مكتبة المسجد النبوي الشريف
رقم الكتاب: ٥٠٦٧٠
تاريخ التسجيل: ١ / ٥ / ١٤٢٢هـ

ابن عثيمين

الإمام الزاهد

١٣٤٧ - ١٤٢١هـ

جمع وتأليف
الدكتور ناصر بن مسفر الزهراني
عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى
وإمام وخطيب جامع سماحة الشيخ ابن باز بمكة المكرمة

٩٢٠
ز هـ ا
٥٠٦٧٠
مكتبة المسجد النبوي

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

ابن عثيمين

الإمام الزاهد

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

صفر ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

عنوان المؤلف

د. ناصر بن مسفر الزهراني

مكة المكرمة - العزيزية - جامع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
هاتف: ٥٥٧٤٣٣١ - جوال: ٠٥٥٦٢٢١٤٨
فاكس: ٥٥٦٤٤٨٩ - ص. ب: (٥٤٠٧)

دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الدمام - شارع ابن خلدون - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣
ص ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠
الإحساء - الهفوف - شارع الجامعة - ت: ٥٨٨٣١٢٢
جدة: ت: ٦٥١٦٥٤٩
الرياض: ت: ٤٢٦٦٣٣٩

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .. فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾ .

ودع الصبرَ محبٌّ ودعك ... ذائع من سرّه ما استودعك

يقرع السن على أن لم يكن ... زاد في تلك الخطى إذ شيّعك

يا أخا البدر سناءً وسنا ... رحم الله زماناً أطلعك

إن يطل بعدك وقتي فلكم ... بتّ أشكو قصر الوقت معك

فَقْدُ العلماء الربانيين نازلة كبرى ، وكارثة عظمى ، وغياب حملة الوحي ثلمة في الدين ، ومصاب للمسلمين ، وألم للمؤمنين ، وحزن للموحدين ، فكيف إذا كان الغائب ابن العثيمين؟ وما هو الحال إذا كان المفقود هو الكنز الثمين؟ .

لقد هز هذا المصاب أعماقي ، وحرّك أحزاني ، وأثار أشجاني ، لازالت نار الحزن على فقد سماحة والدي وشيخي عبد العزيز بن باز تشب ضرامها في كبدي ، وتذكي أوارها في أحشائي ، وكنت كغيري من طلبة العلم نجد شيئاً من وميض العزاء في شيخنا ابن عثيمين – رحمه الله – فاختطفه الموت وغيبته المنايا ، فتجدد ضرام نار الأحزان ، واشتعلت حرقات الوجدان ، وأسبلت دموعها العينان .

عامان أبكي على شيخي وأندبه — واليوم أفجع في محبوبي الثاني
مات العثيمين فالألباب ذاهلة — والهم يكوي حنايانا بنيران
ما أعظم الخطب ما أدهى مصيبتنا — فالأرض تندب إذ ولى الإمامان
ودولة العلم تشكو من تهدمها — وبؤسها بعد أن مات الرئيسان
يا رب رحماك من أمر يراد بنا — ما للأئمة في موت ونقصان
عامان لم تهدأ الآلام من كمد — على أئمة إحسان وإيمان

يا الله ما أعظم الخطب ، يا الله ما أفدح الأمر ، شموس تتهاوى ، وكواكب تتساقط ونجوم تأفل ، وأنوار تطفأ ، ومصابيح تخمد ، وعلماء يقبضون ، وأولياء يرحلون ، وفتن تحدق ، وأمور ترهق ، وليل يظلم ، وزمان يعتم .

وليس هنالك أكبر ظلمة ، ولا أشد عتمة ، من غياب العلماء العاملين والأولياء الباذلين ، فهم نور الدجى ، وضياء الحياة ، وزينة الدنيا ، والحياة بدونهم جسم بلا روح ، وشجر بلا ثمر ، وليل بلا بدر ، ونهار بلا شمس ، وسفينة بلا ربان ، وركب بغير حادٍ ، وتيه بلا دليل ، ووجود بلا مذاق ، وآبار بلا ماء ، وأدواء بلا دواء .

أعظم الناس درجة بعد الأنبياء : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات** ﴾ وأخشى البشرية لله : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ ، وأحسن الناس قولاً : ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾ .

ولقد رزئت أمة الإسلام في هذا الزمن بفقد أئمة علماء ، وهداة أولياء ودعاة أصفياء ، غابت أصواتهم ، وانقطعت نبراتهم ، وتولى ركبهم ، وانقضى نحبهم ، وانتهى أمرهم ، وجف عطرهم ، وانتثر عقدهم ، وتحقق بُعدهم ، ولكن العزاء فيهم : حياة آثارهم ، وعبير أخبارهم ، وعبق أصدائهم ، وجميل أنبائهم .

كنت مع الشيخ محمد العثيمين – رحمه الله – قبل حوالي ستة أشهر من وفاته ، فكان يسألني عن مشروع ابن باز الخيري وعن مسجده ، ففاضت عيناي بالدموع ، وتركت لدموعي حريتها لكي تجيب على سؤال الشيخ ، وقد فهم حديثها ، وعرف مقالها ، فكان ينظر إليّ نظرات غريبة عجيبة ، نظرات تحمل في طياتها معاني كثيرة ، ولكنني لم أفهما إلا بعد أن فقدته – رحمه الله – فعرفت أن عينيه كانتا تناجيان قلبي قائلة له : كيف بك إذا علمت أن الذي تبثه حزنك ، وتشكو له همك عما قريب يفارقك؟ .

رحل الإمام الجليل ، والعالم النبيل الذي علقت عليه الأمة آمالها بعد الله تعالى ، فإذا بركب العلم والإيمان كأنما يتيهون في صحراء الحياة ، دون دليل يهديهم الطريق ، وحاد يحدو الركب ، ومشعل يضيء الظلام ، وخرِّيت يجتاز بهم أخطار الطريق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

حينما توفي سماحة الشيخ ابن باز – رحمه الله – مكثت أسبوعين في

حيرة وذهول ، لا تعرف عيني غمضاً ، ولا يعانق جفني نوماً ، ولا يرتضي جنبي مضجعاً ، إلا ما ندر ، فأحييت تلك الليالي ، وقطعت هاتيك الأيام أنثر عصارة ذهني ، وأدون حشاشة لبي ، على صفحات أوراق الحب ، ودفاتر أفنان الوفاء ، وكنت مع ذلك أسهر الليالي أترقب الفجر ، وأتطلع لبزوغ الشمس لأشتري الصحف والمجلات ، وأنقش في قلبي كلمات العلماء ، وعبارات الفقهاء ، وآهات الشعراء ، فأبى القلم إلا مشاركتي ، فنثر دموع الحب والحزن على سطور الأسى ، وأبى إلا أن يدون تلك الألفاظ الصادقة ، والكلمات العابقة ، والقصائد الرائقة ، فإذا بي أخرج من تلك الليالي السوداء بصفحات بيضاء وحدائق غنّاء ، ودرر عصماء ، وإذا بالأحبة في أنحاء الدنيا يتلقفون بنفوس متلهفة ، وأفئدة متعطشة كتاب (إمام العصر) فلا تكاد المطابع تفي بطلبات المحبين ، ورغبات المتعطشين .

وما أشبه الليلة بالبارحة ، ها هو الحزن نفسه ، والحدث ذاته ، يعاود النفس، ويراود القلب ، ويسكن في الأحشاء ، في حبيب كالأول ، وفقيد كالفقيد ، وإمام كالإمام ، تشابها في العلم والأخلاق ، والسيرة والإرث ، والمرض والموت ، والجنازة والدفن ، والبكاء عليهما ، واللوعة بفراقهما .

نزلت الفاجعة بموت الشيخ العثيمين على قلبي ، فمزقت أحشائي ، وبددت مشاعري ، وحطمت قواي ، جاءني هاتف يعزيني ويخبرني بوفاته – رحمه الله – بعد عشر دقائق من غياب روحه ، وقد كنت أمشي في طريقي لزيارة أحد المرضى ، فتسمرت قدماي عن المشي ، بل والله قعدت على الأرض مباشرة ، لم تعد تحملني رجلاي ، رجف القلب ، ووجف الفؤاد ، ودمعت العين ، واشتعلت نار الحزن ، فتحاملت على نفسي ، وعدت مباشرة إلى مكتبي لأبدأ رحلة من السهر والعناء والألم والبكاء ،

وأمسكت بقلمي فأرسلته ليدون شيئاً من خلجات الفؤاد ، وحرقات الضمير وآهات الوجدان ، وأصدرت الروح أمرها إلى القلم أن أكتب كل ما هو كائن عن حدث موت الإمام ، وإذا بها تملي عليه أول ما تملي :

تمزقت مهجتي واهتز وجداني ... وقوضت خيمتي وانهد صيواني
وجف نهر من الإجلال في لغتي ... وأجدبت كل خضراء ببستاني
في لجة الهول والأمواج تعصف بي ... يغيب طاقم إبحاري ورباني
ما للحوادث ترميني قذائفها ... بوابل من لظى هم وأحزان
كم بت يدمى فؤادي من فواجعها ... وأيقظت من همومي كل وسنان
وأشعلت من ضرام الهم في كبدي ... وبللت بدموع الحزن أجفاني

وعادت قصة الحزن من جديد ، وبدأت رحلتي مع الرصد والمتابعة والتدوين لكل ما جادت به أقلام المحبين في إمامهم العظيم ، فجاء هذا السفر الذي ما هو إلا قطرة في دموع الرثاء ، وهمسة من دواوين الثناء .

جاء هذا الكتاب بحروفه الولهى ، وألفاظه الثكلى ، وعباراته المكلومة وجمله المهمومة التي نفثتها الصدور المحترقة ، وأنشدتها القلوب الملتاعة ، وسطرتها الأنفس الباكية .. لقد مزجت الليل بالنهار، أُمْلي وأنسخ ، وأكتب وأقرأ ، وأصحح وأراجع ، وأرصد وأتابع ، أترقب إطلالة الفجر ورحيل الظلام ، لأنظر ماذا جادت به الصحف ، وأقبلت به المجلات ، وأنا كما قال الشاعر :

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب
تطاول حتى قُلتُ ليس بمُنقضٍ ... وليس الذي يرعى النجوم بآئب
وصدرٍ أراح الليل عازب همّه ... تضاعف فيه الحزن من كل جانب

وبقيت على هذه الحال منذ يوم وفاة الشيخ إلى أن رُفِعَتْ الأقلام ، وجَفَّتْ الصحف ، وأوقفت المشاركات ، وذلك بعد أسبوعين من وفاته – رحمه الله – أي في يوم الجمعة ١/١١/١٤٢١ هـ ، ولو أن ديدن الصحف الاستمرار فيما يكتب عن الشخص مهما طالت المدة لَبَقِيَتْ الكتابة عن الشيخ حولاً كاملاً على الأقل .

لقد منّ الله عليّ فكنت أول من ألف عن سماحة الشيخ ابن باز – رحمه الله – وأول من نقش دموع المودعين على الصفحات ، ونثر على الأوراق صادق العبرات ، فها هي منة أخرى ، وهبة عظمى ، إذ يجود عليَّ ربُّ العالمين لأسبق لنيل رضى المحبين بإيناس قلوبهم بكتاب عن ابن عثيمين ، حامل راية الدين ، وبقية السلف العاملين المجتهدين ، ولم أجد أحسن اسماً لهذا الكتاب من اسم الشيخ الذي عرف به « ابن عثيمين » فقد تألق هذا الاسم في سماء العلم ، وتأصل في دنيا الناس ، وأصبح له مذاق جميل ، ووقع فريد ، ومعنى متوهج ، بل أصبح النطق بكلمة « العثيمين » كأنما يساوي : « العلم الثمين » .

وآمل من الله تعالى أن تجد قوافل المحبين في هذا الكتاب ما يسلي نفوسهم ، ويسعد قلوبهم ، ويرضي مشاعرهم ، وأن يعظم به الحسنات ، ويرفع به الدرجات ، فهو الأعلم بالنيات .

وماذا عسانا أن نكتب ، وماذا يا ترى سنجلي من عظمة هذا الإمام العلامة ، والبحر الفهامة ، ولكنها إشارات عابرة ، وخواطر موجزة .

لقد كان الشيخ – رحمه الله – رضي الخلق ، حسن السمت ، لطيف التعامل ، خفيف الظل ، دائم الابتسامة ، مشرق الوجه ، متهلل الجبين ، لين

الجانب ، مهذب العبارة ، لا يستكبر ولا يتعاظم ، حفياً بالعلماء ، ذاكراً لفضلهم ، متأسياً بهم ، مترحماً عليهم ، مناضلاً عن جنابهم ، ذائداً عن حياضهم ، أخذ منهم أحسن السمات ، وتحلى بأجمل الأخلاق ، لا يدخر وسعاً ، ولا يعرف كللاً ، ولا يضن بعلمه ، ولا يفتر عن نهجه ، ولا يبخل بعونه ، ولا يتمسك بكتبه ، ولا يحتفظ بحقوق تأليفه .

عنصر كريم ، ومعدن شرف عظيم ، أصل راسخ ، وفرع شامخ ، ومجد باذخ ، متمكن في علمه ، متأن في كلامه ، مدقق في عباراته ، موثق لنصوصه ، محترم لجمهوره ، مهتم بطلابه ، معتنٍ بمريديه ، مكرم لمجيئيه ، مسعد لمسامريه ، مؤنس لمجالسيه . عالي الهمة ، عظيم الغيرة ، ساكن الهيبة رقيق الحاشية ، خفيض الصوت ، ذكي الفؤاد .

وهبه الله توقد القريحة ، ونفاذ البصيرة ، وقوة الفهم ، ووضوح الحجة وبيان المحجة ، وجمال الروية ، وصفاء النية ، وسلامة الطوية – كما نحسبه – وحسن التأني لما يحاول ، مع كريم الخلق ، وطيب التعامل ، ونقاء السيرة ، وحسن الإبانة ، وعميق الديانة ، وأداء الأمانة ، وتألق اللغة ، وتأنق العبارة ، ودقة الإشارة ، وعذوبة اللفظ ، وغزارة الحفظ ، وإحكام الإبرام والنقض ، ومتانة الكلام ، وإجادة الإفهام ، وجزالة الأسلوب ، وكسب القلوب ، وحسن الشرح عما يعن من سوانح الفكر ، وما وعاه صدره من أفانين العلم ، وقطوف المعرفة . دقيق الفهم لأسرار الكتاب والسنة ، واسع الإطلاع على آراء المفسرين ، والمحدثين ، والفقهاء ، والأصوليين ، والمتكلمين واللغويين ، والبلاغيين .

ألقت إليه رئاسة العلم مقاليدها ، وملكته طريفها وتليدها ،

فأظهر مكنون قديمها في ثوب جديدها ، واختار بذكائه أفضل الآراء وسديدها .

طلعت شمس الفقه من أفق أفكاره ، وتفجرت ينابيع العلم من خلال آثاره ، وجرت في أنفس المحبين روائع أنهاره . جلاّ بكلامه الأبصار الكليلة ، وشحذ بمواعظه الأذهان العليلة ، وسلك في طريق العلم خير وسيلة ، ولن يهزم من كان الكتاب والسنة دليله .

إنه بدر العلوم اللائح ، وقطرها الغادي الرائح ، وعقال الأفكار عن كل جامح ، وعنوان اللطف والعفو والتسامح ، تستخرج الجواهر من بحوره ، وتحلي الأوراق بقلائد سطوره . شيخ المعارف وإمامها ، ومن في يديه زمامها يحوك الألفاظ على قدر المعاني ، ويسوق الكلام حسب الأماني . إذا أذكى سراج الفكر ، أضاء ظلام الأمر ، واستنبط روائع العلوم ، وأبان عن بديع الفهوم .

لقد كان – رحمه الله فيما نحسبه – من حزب الله المفلحين ، وأوليائه الناصحين ، ومن أئمة الإسلام المعدودين الذين حفظوا على الأمة روعة الدين ، وصانوه عن التغيير ، ونقّوه من التكدير ، وأرسلوا لكل جاهل صيحة نذير ، ووَرَدوا بالناس على مناهل من العلم نقية ، ومشارب زكية ، ومراتع رضية . سقوهم من العلم ماءً نميراً ، عيوناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ، ونفع الله بهم نفعاً كبيراً ؛ لأنهم كانوا يوفون بالعهد ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ويبذلون العلم لا يرجون من الناس جزاءً ولا شكوراً.

إن الــذي تــنــعــين يــا بــلــدي علــم الهــدى والمصلح البــحــرُ

مــتــفــرد بخــلائق غــرر بجــمــالهــا يتــفــاخــر الفــخــر

في كل صــالحــة له خــبــر ولــكل مــحــمــدة له صــور

تتــبــارك الحــسنى بخلتــه يمناً وخلتــه لهــا ذخــر

صــاف كــمــاء المزن ظاهره كــضــمــيــره وكَــسِــرِّه الجــهــر

حــزني عليــه سوف يصــحــبني حــتى يواري جــســمــي القــبــر

اللهم اغفر ذنبه ، وارفع درجته ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، واجمعنا به في جنات النعيم ، واخلف على المسلمين فيه خيراً ، وبارك في أولاده وأهل بيته ، ووفق طلبته ومحبيه لكل خير وفلاح ، وهدى وصلاح ، وفوز ونجاح ، إنك سميع مجيب ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وأنت على كل شيء قدير ،،،

حادي الركب

قصيدة للمؤلف :

تمزقت مهجتي واهتز وجداني ... وقُوِّضتْ خيمتي وانهد صيواني

وجف نهر من الإجلال في لغتي ... وأجدبت كل خضراء ببستاني

في لجة الهول والأمواج تعصف بي ... يغيب طاقم إبحاري ورباني

ما للحوادث ترميني قذائفها ... بوابل من لظى هم وأحزان

كم بت يدمى فؤادي من فواجعها ... وأيقظت من همومي كل وسنان

وأشعلت من ضرام الهم في كبدي ... وبللت بدموع الحزن أجفاني

عامان أبكي على شيخي وأندبه ... واليوم أفجع في محبوبيَ الثاني

مات العثيمين فالألباب ذاهلة ... والهم يكوي حنايانا بنيران

تبددت أحرفي من هول ما كتبت ... وأجهشت بالبكاء المر أوزاني

ما أعظم الخطب ما أدهى مصيبتنا ... فالأرض تندب إذ ولَّى الإمامان

ودولة العلم تشكو من تَهَدُّمِها ... وبؤسها بعد أن مات الرئيسان

يا رب رحـــمـــاك من أمـــر يراد بنا … مـــا لـلأئمـــة في مـــوت ونقـــصـــان

عـــامـــان لم تـهـدأ الآلام من كـــمـــد … والموت يـخطف منا كل ذي شـــان

يا مـوت قَـرَّحْتَ أجـفـاناً مُـسـهـدة … بـفـقـد صـفـوة أحـبـاب وخـلان

بَعْـــد ابن باز تولّى عـــالم فَطِنٌ … مُـــحـــدث ناصـــرٌ للدين ألبـــاني

لم تحظ عـينـاي في الدنيـا برؤيتـه … وإنما حـــبـــه في الله عـنواني

حـامي حـمى السنة الغـراء ليس له … في فنه من مـــثـــيل منذ أزمـــان

حَيٌّ بنور الســجــايا بين أضلعنا … حـــتى وإن كـــان مـدفـوناً بِعَـمَّـان

أمـــا العـــثـــيـمين فـــالأيام حـــافلة … بـذكـــريات لـنا في كل مـــيـــدان

كـــانت أوائل أشـــعـــاري مـــغـــردة … بـحـــبـــه إذ أتى في أرض زهران

وكـان يهـوى القـوافي حين أنشـدها … كـمـا ارتضى المصطفى أشـعـار حـسـان

إن الكريم الذي أولاه نعـــمـــتـــه … بالسيـــر في نهـجـه الميـمـون أولاني

ومـر دهر ولطف الشـيـخ يغـمـرني … وبـالمودة ألقـــــاه ويلقـــــاني

كم من ليـالٍ قـضـيناها برفـقـتـه … في دوحـــة من مـــســرّات وسلوان

تـراه كـــالبـــدر والأخـــلاق زينتـــه … واللفظ يأتيك من دُرٍّ وعـــقـــيـــان

له ابتـــســامـــة طهـــر لا تفـارقـــه … ولا ترى منه إلا كل إحـــســـان

حـيـاته بالرضى والحب مـفـعـمـة … وكـــان بـالمسلمين المشـفق الحـاني

يا شيخ حقاً هجرت الأرض كيف وما ... هذي المواكب من قاص ومن دان

يا من حباني بنورٍ من تألقه ... وفيه تحلو تراتيمي وألحاني

بالأمس كنا نُعَزِّي فيك أنفسنا ... لما تولى الإمام العامل الباني

واليوم من يا ترى نأوي لدوحته ... لنرتوي من معين سلسل هان

يا من له في فؤادي خير منزلة ... رحيلكم هزني بل هد أركاني

تبكي المنابر صوتاً كان يملؤها ... طهراً ويبكي (المحلى) و(الصحيحان)

تبكي عنيزة غيثاً كان يمرعها ... بوابل من شذى علم وإيمان

غاب الذي كان يشدو في مراتعها ... بالترمذي والنسائي وابن حبان

غاب الذي من بديع الفقه ألبسها ... على جميع البرايا خير تيجان

غاب الذي أمتع الدنيا وأسعدها ... وكان فيها علي الشأو والشان

نخل القصيم ارتدى للحزن بردته ... وأسبلت دمعها غابات رغدان

وموطني بات يشكو ما ألمَّ به ... من الحديثة حتى أرض جيزان

بل الملايين في الدنيا تودعه ... لأنه عالميّ النهج رباني

قد كان كالدوحة الغناء دانيةً ... لكل من يجتنيها ذات أفنان

تحيي قلوب البرايا حين يسعدها ... من كل علم نقي صوبُ هتان

آثاره في جبين الدهر ماثلة ... تظل أشهر من رضوى وثهلان

يا واهب العلم لم تُغْفِل أمانته ... يوماً وما كنت عن نفعٍ به واني

هذي الفضائل من علم ومن عمل ... هيهات يسلمها دهر لنسيان

تظل تتلى على الأيام روعتها ... يفوز بالأنس منها كل إنسان

قد كنت عطراً على أنسامه انبعثت ... أرواحنا من شذى علم وتبيان

بل كنت بحراً بعيد الغور أكسبنا ... إبحارنا فيه من در ومرجان

بل كنت غيثاً زلالاً طاب مورده ... لكل قلب لفيض العلم ظمآن

جاءت وفود الهدى والعلم طامعة ... تأوي إلى ظله في خير أكنان

مقدم لدليل الوحي ما شطحت ... أقواله لفلان أو لعلان

ما ضل نهج رسول الله رائده ... وصوته العذب من آيات قرآن

نهج أصيل متين محكم نسجت ... خيوطه من هدى الباري بإتقان

في همة تبلغ الجوزاء ما وهنت ... وما ارتضى أن تُرى في منزل دان

تلك العزيمة لو أمست على جبل ... لأصبح الصخر منه مثل كثبان

العلم شعلة خير نافع هبطت ... من السماء بأنوار وبرهان

ومزقت عن وجوه الجهل أغشية ... وعن ظلام الليالي بؤس كفران

العلم نور إلهي وحامله ... يسير في الناس يهدي كل ولهان

وأنت فيه إمام عامل علم ... مبجل ممسك منه بأرسان

زَيَّنْتَه بالتـقى والزهد مـقـتـدياً	بسنة المجـتـبى من آل عـدنان

أعـدت للفـقـه بين الناس رونقـه	فـجـاء عـذبـاً لأرواح وأذهان

مـضيت في بحـره الأنقى على أسس	لعـالم رائع الأنبـاء شـيـبـاني

أمـا العـقـيدة كم ألبـسـتـها حللاً	وصنتـهـا من لظى زور وبهـتـان

وكنت في الأرض كالطود الأشم لها	تحـمي حـمـاها وتردي أيّ عـدوان

هذا البيت مكسور

ضـربت صـفـحـاً عن المتـفلسـفين إلى	عـلامـة ثاقب الآراء حـرّاني

أفـضت من نهـرك الرقـراق أودية	نقـيـة النبع تـسـقي كل عطشـان

والزهـد أحـيـيتـه فـينا وقـد غـربت	نجـومـه في زمـان للتـقـى شـان

جـاءتك دنيـا الأمـاني وهي لابسـة	من كل ثوب بـهي اللون فـتـان

جـاءت تؤمل أن تلهـو بزهرتـهـا	وأن تـضـمك في مكر بأحـضـان

جـاءتك من كل باب وهي ضـاحكة	فلم تجـد منك إلا كل هجـران

وإن أتوك بأمـوالٍ وأعـطيـة	أتـى جـوابك : إن الله أغـنـاني

يا عـامـراً داره الأخـرى ومـا فُـتِنَتْ	آمـاله بالبـريق الخـادع الفـاني

ضـربت بالزهـد للعـبـاد أمـثلة	عظمى وشـيـدت منه كل بنيـان

في أمـة سـوف تبقى الدهر شـاهدة	لكم بأفـضل إجـلال وعـرفـان

فـازت بآلائك الحـسناء وانتـفـعت	وأخلصـت لك في سـر وإعـلان

يـبقى ضـيـاؤك لـلأرجـاء يـسـعـدها ... ويـزدهي بـســـجـــاياك الجـــديدان
وسوف تبقى حروف الشعر مفعمة ... تـــرتـــل المـــدح مـــن آن إلـــى آن
يا روعـة العـصـر يا بـحـر العلوم ويا ... أنـســاً يبث الرضى في كل مـــيـدان
أصـــابـك الداء كـي تحظى بمنزلة ... هـي الشـــهـــادة فـي أمن وإيمـان
أجـبت أمـر ولي الأمـر في سـفـر ... بحـشـاً عن الطب من داء السـراطان
من حـرصــهـم هيـؤوا للتـو طائرة ... وطاقـــمـــاً من أطبـــاءٍ وأعـــوان
فـسـرت والقلب مـهـمـوم إلى بلد ... مـــا كـنت تـهـواه لولا أمـر سلطان
زهـدت في مـــوطن رايات دولتـــه ... كـفـر ولـم ترتض الطِّبَّ الأمـيـركـاني
يممت وجـهك للبـيـت الحـرام وفي ... عـــينيك أســرار تسليم وإذعـــان
أتـى بـك الـقـلـب قـلـب كـلـه أمـل ... في فـضل رب عظيم اللطف رحـمـن
تـودع الـكـون بـالـعـلـم الـزلال إلـى ... أن جـــاء مـــرســول مـــولانا بإيذان
أسلمت روحك للديان مـرتضـيـاً ... لـقــــاءه فـي هـدوءٍ نـاعـم هـان
وارتجت الأرض واهتــز الزمـــان لما ... دهاه من غـيـبـة للمـصـلح البـاني
وأقـــبل الناس والأرواح بـاكـــيـــة ... ليـحـملوا في ذهول خـيـر جـثـمـان
مـضـوا بشـيخ الرضى للقبـر في عددٍ ... ومـــشـــهـــد مـــا رأته قَـبْـلُ عـيـنان
سـاروا به واللظى والحـزن ينهـشـهم ... نهـشـاً ولا غـرو إن الجـرح جـرحـان

تذكـروا مـثل هذا اليـوم في حـزنٍ   فـمـا مـضى لفـراق البـاز عـامـان
رحـمـاك يا رب هذا المجـد أجـمـعـه   قـد أصـبح اليـوم ملفـوفـاً بـأكـفـان
يا رب فـاجـبـر مـصـاباً في أئمـتنا   وامنن بحـسن الرضى يا خـيـر منان
وكل من صـاغ حـرفـاً في مـودتهم   أهدي إليـــه تحـيـــاتي وشكـراني
يا ابن العشـيـمين والأوزان واجـمـة   ومـــجـــدكم يرتقي عن ألف ديوان
يا رب يا سامـعـاً صـوتي ومـسألتي   يا واسع الفـضل في عـفـو غـفـران
امنن عليــه بغـــفـــران ومنـزلة   عظيـمـة القـدر في جنات رضـوان
في رفقة المصطفى الهادي وصحبته   منعم القلب في روح وريحـــــان
ثم الصـلاة على المختـار ما صدحت   حـمـامـة وتغنت فـوق أغـصـان

إنك ميت وإنهم ميتون

الموت لفظ مخيف ، ونبأ مفزع ، وخبر مذهل ، حار الناس في أمره ، وعجز الأطباء في دفعه ، لا يحتمى منه بقلاع ، ولا يمتنع عنه بحصون ، ولا تكتفي هجمته بجيوش ولا مال ولا عتاد ، ﴿ **أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة** ﴾ .

لا يمهل عالماً لعلمه ، ولا يراعي فقيهاً لفقهه ، ولا يجامل ملكاً لملكه ولا أميراً لإمارته ، ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ .

وهكذا تودع أمة الإسلام عظيماً من عظمائها ، وعالماً من علمائها ، بل وكبير فقهائها ، هكذا بعد أن فقد المسلمون عينهم اليمنى وفقدوا بعدها كثيراً من أطرافهم ، يفقدون عينهم الثانية ، فتزداد الطريق حلكة ، وتفعم الدروب ظلمة ، وتمتلىء النفوس حسرة .

وما النقص في أرض بقبض مهادها ... ولكنه علم الرسالة يرفع
إذا مات من أهل الوراثة عالم ... بكته قلوب بالهداية تمرع
وإن مات من أهل العبادة ساجد ... بكى موضع أعلى، وفي الأرض موضع
وللناس أحوال خفي بيانها ... وحال ذوي الطاعات كالشمس تسطع

هكذا يهوي بدر الإسلام بعد أن كسفت شمسه ، كان ابن باز شمس العلم وضياء الفكر ، وكان ابن عثيمين بدر المعرفة ، وقمر الفقه ، فغابت

الشمس ، وارتحل القمر ، وذلك هو الأمْرُ الأمَرّ .

ولقد كان في وفاة عالمينا الجليلين وفي أحداث موتهما وجنائزهما عظة كبيرة ، وعبرة عظيمة ، حيث أقبلت الوفود الهائلة ، والجموع الطائلة في حب وتشوق ، وتلهف وتحرق ، قادها الحب ، وجاء بها الشوق ، ودفعها الإجلال ، وحداها الإكبار ، وتلك بإذن الله تعالى أمارة الصلاح ، وعلامة الفوز والفلاح .

رأينا ذلك الجمع الغفير ، والمشهد الكبير حين وفاة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – فكان يوماً لم تر العيون مثله ، فإذا بالمشهد يتكرر ، والصورة تعاد ، والحدث يتجدد ، مع تلميذه النجيب ، وخلفه الحبيب .

يأتي ابن عثيمين إلى مكة وهو يحمل المرض العضال ، والداء الفتاك ، وقد كان – رحمه الله – ينهى عن تسميته المرض الخبيث ، ويقول : قولوا « الخطير » ، فيتجرع غصص الأسى ، ويتصبر على حرق الألم ، بل ويجاهد نفسه ليلقي دروساً ، ويحيي قبل أن يموت نفوساً .

وألقى دروساً عامرات زكية ... وأفتى ونور الحق كالبدر يلمع
يقاوم آلاماً ويكبت زفرة ... ويبذل في صبر ، ولا يتضعضع
ويمشي وجيش من أطباء حوله ... ليبصر قوم ما يقول ويسمعوا
ويسعد إذ يدنو لمكة منزلاً ... وما الشوق إلا حيث قلبك ينزع

ثم ينقل إلى المستشفى بجدة على مقربة من البحر الأحمر ، وهناك يجتمع البحران ، ولكن سرعان ما يفترقان ، فإذا بالبحر العذب الخضم

تنضب روافده ، وتجدب منابعه ، بعد أن ضخ كلَّ ما فيه من ماء العلم وزلال الوحي إلى قلوب المسلمين ، وأرواح المؤمنين ، وأفئدة الدارسين ، وأهدى كنوزه ولآلئه ودرره وأصدافه إلى المحبين في أنحاء الدنيا فيذهب إلى مولاه : يوم الأربعاء ليلة الخميس ، ويصلى عليه في الحرم ، ويدفن بجوار صاحبه العظيم ، وشيخه الكبير ، ويا سعادة تلك الأرجاء التي ضمت في فؤادها هذين العلمين الجليلين والإمامين الفاضلين .

وتأتيه في أرض الجوار منية ... فأكرم بضيف جاء لله يخشع
وجاور شيخاً كان بالأمس شيخه ... فطوبى - بإذن الله - زلفى ومهجع
جوار مقام ليس ينفع عنده ... سوى رحمة نرجو نداها ونطمع
فقد بذلا نفسيهما في تقرب ... وكانا مثالاً للذين تورعوا
وقاما على أمر من الحق بيّن ... لربهما والله يعلي ويرفع
وقد غادرا فالله يخلف قادراً ... بخير ، ويجزي بالثواب ويوسع

ألقت الجزيرة بفلذات أكبادها وخيرة عبادها إلى مكة المكرمة ، لتشهد ذلك الموقف الباهر ، والجثمان الطاهر . إنه مشهد يجلي بوضوح أن المحبة محبة الدين ، والرفعة رفعة العلم ، والإجلال إجلال الفقه ، والعظمة عظمة التواضع ، لم يجبر أحد على الحضور ، بل هي أرواح مؤمنة ، وأنفس مسلمة جاءت من أقطار الأرض ، أقبلت القلوب قبل الأقدام ، وتسابقت الأرواح قبل الأشباح ، وسالت الدموع قبل الجموع ، مسافة بعيدة من الحرم إلى المقبرة لو أعطيت أكثر الناس مبلغاً من المال ليقطعها على قدمه لما قبل منك ، ولكن في محبة الشيخ قطعت المسافة الطويلة على الأقدام ، وأقبل المحبون من شتى الجنسيات ، وجميع الفئات ، وكل اللغات ، أقبلوا بأقدام

حافية ، وأعين باكية ، تكاد قلوبهم تسقط من بين جنوبهم من لوعة الهم ، وشدة الكرب ، حتى طوقت المقبرة بتلك الحشود الهائلة ، والجموع الطائلة التي جاءت لتظفر بنظرة وداع لقلبها الذي انتزع من بين جنبيها .

لو رأيتَ العيـون بالدمع تهـمي ... تتلقى رقـادها بالجـفـاء
لو رأيت النفـوس وَلْهى حـيارى ... شـاحبـات من لوعـة الإعـياء
لو رأيت الجمـوع مما دهاها ... مـثل ركب يتـيـه في بيـداء
حيث غـاب الدليل في جنح ليل ... قـاتمِ الوجـهِ مـفـعمٍ بالشـقـاء
في زمـان تضج فـيـه البـرايا ... بجـسـامٍ من فـادح الأرزاء
في ظلام تتـوق فـيـه الأمـاني ... لضـيـاء الشـريعـة الغـراء
والمحبـون أصـبحـوا في وجـوم ... يتـعـالى ضـجـيـجـهم بالبكاء

* * *

موجز الترجمة

هذه ترجمة موجزة للشيخ - رحمه الله لأحد تلاميذه كتبها في عام ١٤١٤ هـ في مجلة الحكمة :

نسبه :

هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبي التميمي .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ أبو عبد الله في مدينة عنيزة إحدى مدن القصيم في عام ١٣٤٧ هـ ، في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك ، في عائلة معروفة بالدين والاستقامة ؛ بل تتلمذ على بعض أفراد عائلته ، أمثال جده من جهة أمة ، الشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ - رحمه الله - فقد قرأ عليه القرآن ، فحفظه ، ثم اتجه إلى طلب العلم ، فتعلم الخط والحساب ، وبعض فنون الآداب .

وكان الشيخ قد رزق ذكاء وزكاء ، وهمة عالية ، وحرصاً على التحصيل العلمي في مزاحمته الركب لمجالس العلماء ، وفي مقدمتهم الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبد الرحمن بن ناصر السعدي .

وكان الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - قد أقام اثنين من

طلابه لتعليم الصغار ، وهما الشيخ علي الصالحي ، والشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع ، فقرأ الشيخ محمد بن صالح العثيمين عليهما « مختصر العقيدة الواسطية » للشيخ عبد الرحمن السعدي ، و« منهاج السالكين في الفقه » للشيخ السعدي أيضاً ، و« الآجرومية » و « الألفية » في النحو والصرف ، وهكذا كانت نشأة الشيخ بين أحضان العلماء .

والشيخ متزوج من امرأة واحدة ، وله من الأولاد الذكور : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وإبراهيم ، وعبد العزيز ، وعبد الرحيم . وله من الإخوة : الدكتور عبد الله ، رئيس قسم التاريخ في جامعة الملك سعود في الرياض ، والأمين العام لجائزة الملك فيصل ، وأخوه عبد الرحمن .

ولم يرحل الشيخ لطلب العلم إلا إلى الرياض ، حين فتحت المعاهد العلمية في عام ١٣٧٢ هـ ، فالتحق بها . يقول الشيخ – رحمه الله – : « دخلت المعهد العلمي في السنة الثانية ، والتحقت به بمشورة من الشيخ علي الصالحي وبعد أن استأذنت من الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت ينقسم إلى قسمين : خاص وعام فكنت في القسم الخاص ، وكان في ذلك الوقت من شاء أن يقفز ، بمعنى أنه يدرس السنة المستقبلة له في أثناء الإجازة ، ثم يختبرها من أول العام الثاني ، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها ، وبهذا اختصرت الزمن ، ثم التحقت بكلية الشريعة في الرياض منتسباً ، وتخرجت منها » .

وبعد وفاة شيخه عبد الرحمن السعدي ، الذي توفي في عنيزة عام ١٣٧٦ هـ ، عن عمر يناهز التاسعة والستين ، رُشِّح بعض المشايخ لإمامة الجامع الكبير ، إلا أنهم لم يستمروا على ذلك إلا مدة قصيرة جداً ، فرُشِّح

الشيخ محمد بن صالح العثيمين لإمامة الجامع الكبير ، وعندها تصدى للتدريس مكان شيخه ، ولم يتصدَّ للتأليف إلا عام ١٣٨٢ هـ ، حين ألف أول كتاب له ، وهو « فتح رب البرية بتلخيص الحموية » وهو تلخيص لكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية « الحموية في العقيدة » .

واستغل الشيخ وجوده في الرياض بالدراسة على الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله – فقرأ عليه من صحيح البخاري ، وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية ، وبعض الكتب الفقهية ، ويقول الشيخ أبو عبد الله العثيمين – رحمه الله – : « لقد تأثرت بالشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله من جهة العناية بالحديث ، وتأثرت به من جهة الأخلاق أيضاً ، وبسط نفسه للناس » .

وقد عرض على الشيخ تولي القضاء من قبل مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ – رحمه الله – الذي ألحّ على فضيلته بتولي القضاء ، بل أصدر قراره بتعيينه رئيساً للمحكمة الشرعية بالأحساء ، فطلب منه الإعفاء ، وبعد مراجعات واتصالات سمح بإعفائه من منصب القضاء .

مشايخه :

استفاد الشيخ أبو عبد الله – رحمه الله – في طلبه للعلم من عدة شيوخ ، بعضهم في مدينة عنيزة ، وبعضهم في الرياض عندما سكنها للدراسة النظامية ، ومن الشيوخ الذين درس عليهم :

١ – **الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي** – رحمه الله – المتوفى عام ١٣٧٦ هـ ، المفسّر المشهور ، صاحب التفسير المعروف بـ « تيسير الكريم

الرحمن في تفسير كلام المنان » في ثمان مجلدات ، وله مؤلفات كثيرة في الفقه وأصوله وقواعده ، وفي العقيدة وغيرها من الكتب النافعة .

وتخرج على يد هذا العالم الجهبذ علماء بارزون ، لهم دورهم الكبير في الساحة العلمية ، وبعضهم أعضاء في هيئة كبار العلماء ، منهم شيخنا أبو عبد الله العثيمين ، الذي لازمه ، واستفاد منه قرابة إحدى عشرة سنة ، وهو من أبرز طلابه فيما يظهر ، ولذا خلف الشيخ في إمامة الجامع الكبير ، والتدريس فيه والإفتاء .

وقد قام زميلنا وأخونا الشيخ الدكتور عبد الرزاق بن الشيخ عبد المحسن العباد بإعداد رسالة الماجستير بعنوان « الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة » ، وضح فيها مكانة الشيخ السعدي العلمية ، وجهوده وآثاره .

٢ – **الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز** – رحمه الله – المفتي العام للمملكة العربية السعودية ، ورئيس هيئة كبار العلماء . درس عليه عندما كان مواصلاً لدراسته النظامية في الرياض ، فقرأ عليه من صحيح البخاري ، وبعض كتب الفقه ، والشيخ عبد العزيز من أبرز علماء هذه الأمة في هذا العصر .

٣ – **الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي** – رحمه الله – المتوفى عام ١٣٩٣ هـ ، المفسّر ، واللغوي ، صاحب التفسير المشهور والمعروف بـ « أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن » . ويعد من أبرز آثاره العلمية .

وقد درس عليه شيخنا أبو عبد الله – رحمه الله – في المعهد العلمي ،

يقول شيخنا أبو عبد الله العثيمين عنه : «كنا طلاباً في المعهد العلمي في الرياض ، وكنا جالسين في الفصل ، فإذا بشيخ يدخل علينا ، إذا رأيته قلت : هذا بدوي من الأعراب ، ليس عنده بضاعة من علم ، رثّ الثياب ، ليس عليه آثار الهيبة ، لا يهتم بمظهره ، فسقط من أعيننا ، فتذكرت الشيخ عبد الرحمن السعدي ، وقلت في نفسي : أترك الشيخ عبد الرحمن السعدي ، وأجلس أمام هذا البدوي؟ فلما ابتدأ الشنقيطي درسه انهالت علينا الدرر من الفوائد العلمية من بحر علمه الزاخر ، فعلمنا أننا أمام جهبذ من العلماء ، وفحل من فحولها ، فاستفدنا من علمه ، وسمته ، وخلقه ، وزهده ، وورعه» .

٤ ـ **الشيخ علي بن حمد الصالحي** ، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

٥ ـ **الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع** ـ رحمه الله ـ فقد قرأ عليه «مختصر العقيدة الواسطية» للشيخ عبد الرحمن السعدي ، و «منهاج السالكين» في الفقه ، للشيخ السعدي أيضاً ، و «الآجرومية» و «الألفية» في النحو والصرف .

٦ ـ **الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان** ـ رحمه الله ـ قرأ شيخنا عليه بعض كتب الفقه ، كما درس عليه الفرائض «علم المواريث» .

٧ ـ **الشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ** ـ رحمه الله ـ حيث قرأ شيخنا القرآن عليه حتى أتم حفظه ، والشيخ عبد الرحمن الدامغ جد الشيخ من جهة أمه .

آثاره العلمية :

لقد صنف الشيخ – رحمه الله – آثاراً علمية في مجالات شتى ، من مسموع ، أو مكتوب ، في العقيدة ، والفقه ، والحديث ، والأخلاق ، والسلوك ، والمعاملات ، وغيرها ، مما كان لها الأثر الكبير في استفادة الناس منها ، سواء على مستوى عامة الناس ، أو طلبة العلم .

وكان الإقبال عليها شديداً ومنقطع النظير ، وما ذاك إلا لثقة الناس به ؛ لما يلمسون في ذات الشيخ من الأهلية والكفاءة التامة التي ترشحه إلى إصدار الأحكام الشرعية ، والتصدي للفتوى والتأليف .

وتمتاز مؤلفات الشيخ بالوضوح ؛ وضوح في الألفاظ ، ووضوح في المعاني ، بعيدة عن التطويل الممل ، والتعقيد ، والاختصار المخل . استدلالاته مدعومة بالأدلة الصحيحة ، والتعليلات والأقيسة الصريحة ، مع إبداع في التبويب ، وحسن في التقسيم ، فيما يحتاج إلى تقسيم .. إلى غير ذلك من الأساليب البديعة التي يحلي بها الكتاب حتى يخرجه في أروع وأحسن لباس :

١ – فتح رب البرية بتلخيص الحموية ، وهو تلخيص لكتاب الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو أول كتاب طبع للشيخ – رحمه الله – في ٨ / ١١ / ١٣٨٠ هـ .

٢ – مصطلح الحديث .

٣ – الأصول من علم الأصول .

٤ – رسالة في الوضوء والغسل والصلاة .

٥ – رسالة في كفر تارك الصلاة .

٦ – مجالس رمضان .

٧ – الأضحية والزكاة ، وقد لخصها الشيخ في كتيب صغير .

٨ – المنهج لمريد الحج والعمرة .

٩ – تسهيل الفرائض .

١٠ – لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد – تأليف موفق الدين عبد الله ابن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ) – قام الشيخ بالتعليق عليه .

١١ – عقيدة أهل السنة والجماعة .

١٢ – القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى .

١٣ – رسالة في الحجاب .

١٤ – رسالة في الصلاة والطهارة لأهل الأعذار .

١٥ – رسالة في مواقيت الصلاة .

١٦ – رسالة في سجود السهو .

١٧ – رسالة في أقسام المداينة .

١٨ – رسالة في وجوب زكاة الحلي .

١٩ – تفسير آية الكرسي .

٢٠ – الضياء اللامع من الخطب الجوامع .

٢١ – الفتاوى النسائية .

٢٢ – زاد الداعية إلى الله عز وجل .

٢٣ - فتاوى الحج .

٢٤ - المجموع الثمين من فتاوى محمد بن صالح العثيمين (جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان) .

٢٥ - حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة .

٢٦ - الخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه .

٢٧ - من مشكلات الشباب .

٢٨ - رسالة في المسح على الخفين .

٢٩ - أصول التفسير .

٣٠ - رسالة في الدماء الطبيعية .

٣١ - أسئلة مهمة .

٣٢ - الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع .

٣٣ - إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار .

٣٤ - رسالة في أحكام الميت وغسله .

٣٥ - نيل الأدب من قواعد ابن رجب .

٣٦ - منظومة في أصول الفقه - نظم على بحر الرجز - .

٣٧ - أحكام قصر الصلاة للمسافر .

٣٨ - تفسير آيات الأحكام - لم يكتمل - .

٣٩ - شرح عمدة الأحكام - لم يكتمل - .

٤٠ - تخريج أحاديث الروض المربع - لم يطبع - .

٤١ - رسالة في أن الطلاق الثلاث واحدة ولو بكلمات - لم يطبع - .

٤٢ – شرح الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٤٣ – مختارات من زاد المعاد .
٤٤ – مختارات من إعلام الموقعين .
٤٥ – مختارات من الطرق الحكمية .
٤٦ – مجموع دروس وفتاوى الحرم المكي .
٤٧ – مختارات من فتاوى الصلاة .
٤٨ – الربا ، صوره ، أقسام الناس فيه .
٤٩ – نبذة في العقيدة الإسلامية .
٥٠ – مجموعة أسئلة في بيع وشراء الذهب .
٥١ – حكمة إرسال الرسل .
٥٢ – شرح أصول الإيمان .
٥٣ – شرح زاد المستقنع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (وهو عمل كبير يقوم بتحريره وإخراج أحاديثه والتعليق عليه كل من: الشيخ الدكتور خالد بن علي المشيقح ، والشيخ الدكتور سليمان بن عبد الله أبا الخيل) وهو المسمى بـ « الشرح الممتع على زاد المستقنع » .
٥٤ – الزواج .
٥٥ – اثنان وخمسون سؤالاً عن أحكام الحيض في الصلاة والصيام والحج والاعتمار .
٥٦ – سلسلة لقاء الباب المفتوح .

ميراث النبوة

إن العلم تركة الأنبياء ، وميراث الأصفياء ، وأهله هم وراثهم ، وحملته أتباعهم ، وهو حياة القلوب ، ونور البصائر ، وشفاء الصدور ، ورياض العقول ، ولذَّةُ الأرواح ، وأنس المستوحشين ، ودليل المتحيِّرين .

و إن ديننا الإسلامي دين العلم والتعليم ، والهداية والإرشاد ، والنور والبرهان ، ولذلك نرى أن انطلاقة الوحي ، وإطلالة النور ، ونزول القرآن إعلان لأهمية العلم ، وقيمة القلم ، وشأن القراءة ، فتهبط الآيات الأولى على قلب محمد ﷺ مستهلة بقوله تعالى : ﴿اقرأ﴾ فلا أمية بعد اليوم ولا استسلام للجهل ، ولا ركون للظلام والضلال ، ﴿اقرأ﴾ فإن هذا الدين عنوانه القراءة ، و دستوره القرآن ، وروحه العلم ، وآلته القلم ، وآفته الجهل ، ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم**﴾ .

ويقسم الله تعالى بالقلم إعلاء لشأنه ، فالقلم هو طريق العلم والتعلم ﴿**ن * والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون**﴾ .

هذا الدين يرفع شأن العلم وأهله ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ ، ويمقت الجهل وأهله ﴿**فلا تكونن من الجاهلين**﴾ ، ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ .

وهذا إمام العلماء ، وسيد البلغاء والفصحاء ، وخاتم الأنبياء يدعو أمته

إلى نور العلم ودوحة القراءة ، وميراث النبوة ، وينبوع الحكمة ، ونفض غبار الجهل **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾** .

وها هو يملأ الأسماع والقلوب بأحاديثه العطرة التي يبين فيها أهمية العلم ، وبركة العلم ، ونور العلم ، ولا يسمح المجال هنا لبسط القول حول العلم وأهميته وأجر العالم والمتعلم ، ولكن نشنف الأسماع ، ونمتع ذوي الاطلاع ، بحديثين بين يدي كلامنا عن هذا الإمام من أئمة العلم ، قال ﷺ : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » . [رواه أحمد وغيره عن أبي الدرداء ، وهو في صحيح الجامع برقم (٦٢٩٧)]

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها » . [رواه مسلم (٨١٦) كتاب صلاة المسافرين]

ولقد عرف الصحابة – رضوان الله عليهم – وعرف التابعون لهم بإحسان عرفوا منزلة العلم وأهميته ، وأن البشرية إذا جهلت وتركت العلم زاغت وضلت وتنكبت الصراط المستقيم فقاموا بواجب العلم والتعليم وحملوا إلى الأمة هدي الرسول ﷺ كاملاً مكملاً ، مجملاً ومفصلاً . وقد ضرب الصحابة والتابعون لهم بإحسان على مر العصور أروع الأمثلة في

الحرص على طلب العلم ، والتفنن في صيانته وتنقيته وتعليمه للأجيال المؤمنة .

يقول ابن القيم – رحمه الله – : « ولما كان التلقي عنه ﷺ على نوعين ، نوع بواسطة وكان التلقي بلا واسطة حظ أصحابه الذين حازوا قصبات السباق ، واستولوا على الأمد ، فلا طمع لأحد من الأمة بعدهم في اللحاق ، ولكن المبرز من اتبع صراطهم المستقيم ، واقتفى منهاجهم القويم ، والمتخلف : من عدل عن طريقهم ذات اليمين وذات الشمال ، فذلك المنقطع التائه في بيداء المهالك والضلال ، فأي خصلة خير لم يسبقوا إليها ، وأي خطة رشد لم يستولوا عليها .

تالله لقد وردوا رأس الماء من عين الحياة ، عذباً صافياً زلالاً ، وأيدوا قواعد الإسلام ، فلم يدعوا لأحد بعدهم مقالاً ، فتحوا القلوب بعدلهم بالقرآن والإيمان ، والقرى بالجهاد بالسيف والسنان ، وألقوا إلى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصاً صافياً ، وكان سندهم فيه عن نبيهم ﷺ عن جبريل عن رب العالمين سنداً صحيحاً عالياً ، وقالوا هذا عهد نبينا إلينا وقد عهدنا إليكم ، وهذه وصية ربنا وفرضه علينا ، وهي وصيته وفرضه عليكم ، فجرى التابعون لهم بإحسان على منهاجهم القويم ، واقتفوا على آثارهم صراطهم المستقيم ، ثم سلك تابعو التابعين هذا المسلك الرشيد ، وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ، وكانوا بالنسبة إلى من قبلهم كما قال أصدق القائلين ﴿ **ثلة من الأولين وقليل من الآخرين** ﴾ .

ثم جاءت الأئمة من القرن الرابع المفضل في إحدى الروايتين ، كما ثبت في الصحيح من حديث أبي سعيد وابن مسعود وأبي هريرة وعائشة

وعمران بن حصين ، ليسلكوا على آثارهم اقتصاصاً ، واقتبسوا هذا الأمر عن مشكاتهم اقتباساً ، وكان دين الله سبحانه أجل في صدورهم وأعظم في نفوسهم من أن يقدموا عليه رأياً أو معقولاً أو تقليداً أو قياساً ، فصار لهم الثناء الحسن في العالمين ، وجعل الله سبحانه لهم لسان صدق في الآخرين ، ثم سار على آثارهم الرعيل الأول من أتباعهم ، ودرج على منهاجهم الموفقون من أشياعهم » . (إعلام الموقعين : ١ / ٤)

واستمع إلى ابن عثيمين – رحمه الله – في حديث أنيس ، وكلام نفيس ، عن فضل العلم وشرف أهله ، وعظيم منزلته ، وجميل مرتبته ، يقول : « ومن أهم فضائل العلم ما يلي :

١ – **أنه إرث الأنبياء** ، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ بالعلم فقد أخذ بحظ وافر من إرث الأنبياء ، فأنت الآن في القرن الخامس عشر إذا كنت من أهل العلم ترث محمداً ﷺ ، وهذا من أكبر الفضائل .

٢ – **أنه يبقى والمال يفنى** ، فهذا أبو هريرة رضي الله عنه من فقراء الصحابة، حتى إنه يسقط من الجوع كالمغمى عليه ، وأسألكم بالله ، هل يجري لأبي هريرة ذكر بين الناس في عصرنا أم لا؟ نعم يجري كثيراً، فيكون لأبي هريرة أجر من انتفع بأحاديثه ، إذ العلم يبقى والمال يفنى ، فعليك يا طالب العلم أن تستمسك بالعلم ، فقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال : « إذا مات الإنسان ، انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

٣ – **أنه لا يتعب صاحبه في الحراسة** ؛ لأنه إذا رزقك الله علماً فمحله في

القلب ، لا يحتاج إلى صناديق أو مفاتيح أو غيرها ، هو في القلب محروس ، وفي النفس محروس ، وفي الوقت نفسه هو حارس لك ؛ لأنه يحميك من الخطر بإذن الله – عز وجل – فالعلم يحرسك ، ولكن المال أنت تحرسه ، تجعله في صناديق وراء الأغلاق ، ومع ذلك تكون غير مطمئن عليه .

٤ – **أن الإنسان يتوصل به إلى أن يكون من الشهداء على الحق** ، والدليل قوله تعالى : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط** ﴾ ، فهل قال : « أولو المال »؟ لا ، بل قال : ﴿ **وأولو العلم قائماً بالقسط** ﴾ ، فيكفيك فخراً يا طالب العلم أن تكون ممن شهد لله أنه لا إله إلا هو مع الملائكة الذين يشهدون بوحدانية الله عز وجل .

٥ – **أن أهل العلم هم أحد صنفي ولاة الأمر** الذين أمر الله بطاعتهم في قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ ، فإن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام ، والعلماء وطلبة العلم ؛ فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ودعوة الناس إليها ، وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله وإلزام الناس بها .

٦ – **أن أهل العلم هم القائمون على أمر الله تعالى** حتى تقوم الساعة ، ويستدل لذلك بحديث معاوية – رضي الله عنه – يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » .

وقد قال الإمام أحمد عن هذه الطائفة : «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم» .

وقال القاضي عياض - رحمه الله - : «أراد أحمد أهل السنة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث» .

٧ - **أن الرسول** ﷺ لم يُرغب أحداً أن يغبط أحداً على شيء من النعم التي أنعم الله بها إلا على نعمتين هما :

أ - طلب العلم والعمل به .

ب - التاجر الذي جعل ماله خدمة للإسلام .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويُعلمها» .

٨ - **ما جاء في الحديث** الذي أخرجه البخاري عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دينٍ الله ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» .

٩ - **أنه طريق الجنة** ، كما دل على ذلك حديث أبي هريرة - رضي الله

عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة » .

١٠ – **ما جاء في حديث معاوية** – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » أي يجعله فقيهاً في دين الله عز وجل ، والفقه في الدين ليس المقصود به فقه الأحكام العملية المخصوصة عند أهل العلم بعلم الفقه وفقط ، ولكن المقصود به هو : علم التوحيد وأصول الدين ، وما يتعلق بشريعة الله عز وجل ولو لم يكن من نصوص الكتاب والسنة إلا هذا الحديث في فضل العلم لكان كاملاً في الحث على طلب علم الشريعة والفقه فيها .

١١ – **أن العلم نور يستضيء به العبد** ، فيعرف كيف يعبد ربه ، وكيف يعامل عباده ، فتكون مسيرته في ذلك على علم وبصيرة .

١٢ – **أن العالم نور يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم** ، ولا يخفى على كثير قصة الرجل الذي من بني إسرائيل قتل تسعاً وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدل على رجل عابد ، فسأله هل له من توبة؟ فكأن العابد استعظم الأمر فقال : لا . فقتله فأتم به المئة ، ثم ذهب إلى عالم فسأله فأخبره أن له توبة ، وأنه لا شيء يحول بينه وبين التوبة ، ثم دله على بلد أهلها صالحون ليخرج إليها ، فخرج فأتاه الموت في أثناء الطريق . والقصة مشهورة .. فانظر الفرق بين العابد والعالم .

١٣ – **أن الله يرفع أهل العلم في الآخرة وفي الدنيا** ، أما في الآخرة فإن الله يرفع درجاتهم بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله عز وجل ،

والعمل بما عملوا ، وفي الدنيا يرفعهم الله بين عباده بحسب ما قاموا به قال الله تعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات** ﴾» (كتاب العلم ، ص : ١٦ - ٢٠)

فالعلماء هم كنز الملة ، وحفّاظ السنة ، وحملة الشريعة ، وهم بعد الأنبياء ، لا يفضلهم أحد ، ولا يفوقهم بشر ، منزلتهم عظيمة ، ومرتبتهم كريمة ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾ هم دعاة الرضى والهدى و « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً » . [رواه مسلم (٢٦٧٤)]

وهم أقرب الناس إلى درجة النبوة ، لأنهم يدلون الناس على ما جاءت به الرسل ، وهم أرقى الناس منزلة عند الله تعالى لأن الواسطة بين الله تعالى وبين عباده هم الرسل والعلماء ، ومن أراد النظر إلى مجالس الأنبياء ، فلينظر إلى مجالس العلماء ، وفضل العالم على العابد كفضل النبي ﷺ على أدنى أصحابه ، وذلك لأن العابد تابع للعالم متقيد به ، مقلد له في عبادته ، واجب عليه طاعته ولا عكس ، والعابد نفعه لنفسه ، أما العالم فنفعه للبشرية جمعاء .

فقيدُ العلم في الناس الفقيدُ ... وحاضره المغيّب والشهيد
يموت المرء بينهمُ فيُنسى ... ويعقبه التنكُّر والجحود
ويقبض عالم فترى تراثاً ... تقلبه القرون وتستعيد
تراثَ نبوة وتراثَ علم ... وصاحبه هو الرجل الرشيد
هو الجبل الأشم يكون فيهم ... فتتزن الحياة ولاتميد
هو القبس الأتم يضيء فيهم ... فتنتظم المسيرة لاتحيد

هو البرهان أن الدين باق ... وأن الله يرفع من يريد
يرد عن الضلالة في أناة ... ويجمع للكتاب ، ولايزيد
ويضرب في الحياة مثال حق ... يقوم عليه ميزان فريد
ويرفع في الأنام منار صدق ... به تُهدى القوافل والحشود
وينشر كلما التبسوا ضياء ... هو الآيات والذكر الحميد
ويرسل كلما اضطربوا بياناً ... يُبصّر ، أو يُذكّر ، أو يذود
ينبه غافلاً ، ويرد غرّاً ... ويرشد سائلاً إذ يستزيد
فيُعرف للصلاح صراط حقٍّ ... وتُعرف للخنا سبلٌ تقود

* * *

موجز الفضائل

إن العمر المديد المبارك الذي عاشه الشيخ – رحمه الله – لهو أنهار متدفقة من العطاء ، وبحور زاخرة بالعبر ، وأمواج هادرة بالعمل ، وسماء هامية بالبذل .

هاكم المجد لا الذي قد سعى الناس إليه من زخرف أو مال
دب حب النفوس فيهم فأطغاهم وعفّى على حميد الخصال
قصروا سعيهم عليهم وراحوا فانطوى ذكرهم مع الآجال
ومضوا ليس منهمُ أثر باق بقلب أو خاطر أو بال
لا تقاس الأعمال في أبد الممتد إلا بمأثرات الرجال
كل شيء إلى الزوال وليس الخلد وقفاً إلا على الأبطال
هم منار الهدى وهم صيحة الحق وهم دعوة المثال العالي

إن في منهاجه القويم ، وعطائه العظيم ، وسيره الحكيم ، دروساً رائقة ، ومواقفَ عابقة ، وروائعَ فائقة ، حريٌّ بأرباب العلم ، وحملة المعرفة أن يقتبسوا من نورها ، ويتضمخوا من عبقها ، ويستروحوا من عبيرها .

ناصحٌ أمتع البرايا فعاشوا — من جنى علمه بأوفى غذاء
كم نهلنا من نهره وانتشينا — ومزجنا وداده بالدماء
عاش يُهدي من سائغ الوحي علماً — يبعث الروح للنفوس الظماء
واستنارت به عقول البرايا — واستفاقت على بديع الحداء

وهنا نعرض عرضاً موجزاً لبعض صفات الشيخ وشمائله ، وسماته ، وفضائله لنؤدي بعض حقوقه علينا ، وما سنقوله ما هو إلا قطر من بحر ، ونزر من نهر ، وغيض من فيض ، وإضاءات من نور أتم ، ومتفرقات من خير أعم[١] :

١ - الإخلاص لله تعالى :

في كل صقْعٍ له صوت وداعيةٌ ... عبير أنفاسه في أُفْقِها سَارِ
لقصة العلم والتوحيد أودية ... سلسالها في ربا أرجائنا جار
مواعظ كرحيق الشهد شافية ... تنير أعماق مهموم ومحتار
وحسن قصدٍ لما يأتيه من عمل ... أو دعوة واهتمامات وأوطار

كان الشيخ رحمه الله تعالى مخلصاً في علمه وعمله كما نحسبه

---

(١) أطلنا الشرح والتفصيل في بعض الصفات لأسباب عديدة منها :
١ - أن هذا الكتاب ليس رسالة علمية ، بل هو ترجمة لعالم عظيم تزخر حياته بالعبر والدروس ؛ فلا بد أن تكون الترجمة حية مؤثرة ، مشحونة بالفوائد والنصوص ؛ لكي تؤدي غرضها في إفادة القارىء .
٢ - ذكْرُنا لكثير من الشواهد أو النماذج أو المقولات عن السلف لكي نُذَكِّر بسيرهم ، ونبين اقتداء الشيخ بهم ، ونؤكد أن هذه الخيرية في العلماء الصادقين متوارثة جيلاً عن جيل ، وأن علماء السلف ودعاة الحق يقبسون من مشكاة واحدة .
٣ - أن كتب التراجم والسير من الكتب المحببة لدى عموم الناس ، وإعمارها بالنصوص والفوائد فرصة سانحة لتحريك القلوب ، وبث المواعظ .
٤ - أن هناك صفات لها أهمية كبرى ، ومنزلة عظمى ، تخفى حقائقها ودقائقها على كثير من طلبة العلم ، فضلاً عن عموم الناس ، وهي التي أسهمت في هذا النجاح الكبير ، والتألق النضير ، فكان بسط القول فيها أولى من الإيجاز .

والله حسيبه ، وقد ظهرت دلائل الإخلاص واضحة في نهجه ، جلية في حياته ، فهو لم يسع في حياته لمصالح شخصية ، ولم يعرف بمطامح دنيوية عاش زاهداً في الدنيا ، وسطاً في المعيشة ، متواضعاً في التعامل ، وكذلك ظهرت بركة الإخلاص على ما زرع له في القلوب من محبة صادقة ، ومودة فائقة ، وآتاه الله قبولاً حسناً وذكراً جميلاً ، وأشرقت روعة الإخلاص في ثنايا كلامه ، وحروف ألفاظه ، وعلى صفحات كتبه ، فجاءت لغة سهلة جميلة ، سامية نبيلة ، هانئة جليلة .

يقول الله تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمِرتُ وأنا أول المسلمين** ﴾ .

وقال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » . [متفق عليه]

وقال ﷺ : « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك في عمل عمله لله – عز وجل – فليطلب ثوابه من عند غير الله – عز وجل – فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » . [صحيح الجامع ٤٨٢]

هذه الأحاديث المرعبة سكنت في ذلك الوجدان الخاشع ، وحلّت في ذلك القلب المؤمن الخائف الوجل ، فأثمرت إخلاصاً وصدقاً ويقيناً وكرهاً للرياء ، ومقتاً للبحث عن السمعة .

لم يكن الشيخ – رحمه الله – فيما نحسبه باحثاً عن سمعة ، أو لاهثاً

وراء المديح ، أو متطلعاً للثناء ، بل كان في كل ما يعمل وما يذر يقصد وجه الله تعالى ، كما نحسبه والله حسيبه ، وكما علمنا ذلك من واقع المعايشة والمتابعة لم يكن الشيخ ممن يحب التصدر أو الظهور ، لقد بسطت جميع الوسائل المسموعة والمقروءة والمرئية ، أذرعتها لاحتضان الشيخ ، وأشرعت أبوابها لاستقباله ، وارتمى كثير منها عند قدمه ، فلم تظفر منه بشيء من ذلك ، يهرب من الأضواء ، ويكره الضجيج ، ويبتعد عن مواطن الشبه ، مهما أوّلت له التأويلات ، وذكرت له المبررات .

لقد أيقن الشيخ أن النية الصادقة هي أساس قبول العمل ، وفلاحه ، ونجاحه ، وطيب ثمرته ، وحسن عاقبته ، وهكذا ديدن العلماء الصادقين المخلصين على مر الأزمان، يقول يحيى بن أبي كثير : « تعلَّموا النية فإنها أبلغ من العمل » .

وقال داود الطائي : رأيت الخير كلِه إنما يجمعه حُسْن النيّة .

ويقول سفيان الثوري : ما عالجت شيئاً أشدَّ عليَّ من نيّتي ، لأنها تتقلب عليَّ .

وقال بعضهم : تخليص النية من فسادها أشدُّ على العاملين من طول الاجتهاد .

وقال ابن المبارك : رُبّ عملٍ صغير تُعظِّمه النيّه ، وربّ عمل كبير تصغِّره النية .

يقول أحد السلف : الإخلاص استواءُ أعمالِ العبد في الظاهر والباطن.

ويقول الآخر : المخلص من كتم حسناته كما يكْتُم سيئاته .

وقال الآخر : اللهم إني أستغفرك مما زَعَمْتُ فيه الإخلاص وقد خالط بشاشةَ قلبي غيرُ ذلك .

وقال مكحول : « ما أخلص عبدٌ قطّ أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه » .

وقال يُوسف بن الحسين : « أعزّ شيءٍ في الدنيا الإخلاص ، وكم أجتهدُ في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبتُ على لونٍ آخر » .

وقال الفضيل بن عياض : ترْكُ العمل لأجل الناس رياءٌ ، والعمل لأجلهم شرْك ، والإخلاص : الخلاص من هذين .

ويقول ابن القيم - رحمه الله - : « ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ ، والصدق فيه ، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق ، فيكون عالماً بما يبلغ ، صادقاً فيه ، ويكون مع ذلك حسن الطريقة ، مرضي السيرة ، عدلاً في أقواله وأفعاله ، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله .

وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله ، ولا يجهل قدره ، وهو من أعلى المراتب السنيات ، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات ، فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعد له عدته ، وأن يتأهب له أهبته ، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه ، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به ، فإن الله ناصره وهاديه ، وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب ، فقال تعالى : ﴿ **ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب** ﴾ ، وكفى بما تولاه

الله بنفسه شرفاً وجلالاً . إذ يقول في كتابه : ﴿ **يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة** ﴾ ، وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه ، وليوقن أنه مسئول غداً وموقوف بين يدي الله » (كتاب إعلام الموقعين لابن القيم : ١ / ٨)

وهذا هو الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – يضرب المثل الأعلى في الإخلاص في علمه وتعليمه – كما نحسبه والله حسيبه – ويأمر طلابه وأتباعه وكل طالب علم ، بل ويؤكد على تمثل الإخلاص ، ويشرح أبعاده ، ويجلي آماده ، فيقول : « الإخلاص في طلب العلم يكون بأمور :

الأمر الأول : أن تنوي بذلك امتثال أمر الله ؛ لأن الله أمر بذلك فقال : ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك** ﴾ ، وحث سبحانه وتعالى على العلم ، والحث على الشيء يستلزم محبته والرضا به والأمر به .

الأمر الثاني : أن تنوي بذلك حفظ شريعة الله ؛ لأن حفظ شريعة الله يكون بالتعلم والحفظ في الصدر، ويكون كذلك بالكتابة .

الأمر الثالث : أن تنوي حماية الشريعة والدفاع عنها ؛ لأنه لولا العلماء ما حُميت الشريعة ولا دافع عنها أحد ، ولهذا نجد مثلاً شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم تصدوا لأهل البدع وبينوا بطلان بدعهم ، نرى أنهم حصلوا على خير كثير .

الأمر الرابع : أن تنوي بذلك اتباع شريعة محمد ﷺ ؛ لأنك لا يمكن أن تتبع شريعته حتى تعلم هذه الشريعة .

الأمر الخامس : أن تنوي بذلك رفع الجهل عن نفسك وعن غيرك » .

(كتاب العلم ، ص : ١٩٩)

ويؤكد – رحمه الله – على الإخلاص في العلم والعمل ، فيقول : « إذاً فيجب الإخلاص فيه لله بأن ينوي الإنسان في طلب العلم وجه الله – عز وجل – وإذا نوى الإنسان بطلب العلم الشرعي أن ينال شهادة ليتوصل بها إلى مرتبة أو رتبة ، فقد قال رسول الله ﷺ : « من تعلم علماً يُبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » – يعني ريحها – وهذا وعيد شديد » .

(كتاب العلم ، ص : ٢٥)

وحينما يُسأل من كثيرٍ من الطلبة الذين يرون أن الإخلاص في العلم في هذا الزمن أصبح أمراً عزيزاً ؛ لأن أكثر الدارسين إنما يريدون الشهادات ، فيجيب – رحمه الله – بقوله : « إذا كنت تطلب العلم لنيل الشهادة ، فإن كنت تريد من هذه الشهادة أن ترتقي مرتقى دنيوياً فالنية فاسدة ، أما إذا كنت تريد أن ترتقي إلى مرتقى تنفع الناس به ؛ لأنك تعرف اليوم أنه لا يمكن الإنسان من ارتقاء المناصب العالية الموجهة للأمة إلا إذا كان معه شهادة فأنا أقصد بهذه الشهادة أن أنال ما أنفع الناس به ، فهذه نية طيبة لا تنافي الإخلاص » .

(كتاب العلم ، ص : ٢٠٠)

ويعرف الشيخ الرياء ، ويبين حكمه وكيفية الخلاص منه ، فيقول : « الرياء هو أن يفعل العبادة ليراه الناس فيمدحوه عليها ، ويقولوا هذا رجل صاحب دينٍ ، ويقولوا هذا صاحب خير ، سواء كانت العبادة : صلاة أم زكاة أم صياماً أم صدقة أم حجاً .

والرياء محرم ، وشرك بالله عز وجل ، قال الله تعالى في الحديث القدسي : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » .

والواجب على المرء أن يتقي الله عز وجل ، وأن يجعل عمله خالصاً لله تبارك وتعالى ، متبعاً في ذلك سنة رسول الله ﷺ ، وهو الإخلاص لله ومتابعة رسوله ﷺ .

وإذا أحس الإنسان بشيء من الرياء فعليه مدافعته ، وأن يعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، ولو اجتمعوا على أن يضرروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ، فليخش الله ، ويخلص عمله له ، وأن يستعيذ من الشرك بقوله : « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم » ، ولعل الله أن يزيل عنه ما يجد ، والله الموفق » . (فتاوى منار الإسلام ص : ٦٨٧)

٣ - **الاعتصام بالكتاب والسنة** ، والاحتماء بالدليل ، وعدم الالتفات إلى قول من خالفها ، فلم يصرف وقته في قراءات مطولات باهتة ، أو أقوال جامحة ، ولم يلهه التعصب الأعمى ، والتقليد المريض ، بل لجأ مباشرة إلى الحصن الحصين ، والركن الركين ، فسبر غور الكتاب والسنة ، وتعمق في فهمهما ، وتضلع من معينهما ، ورشف من رحيقهما . وبعد أن تضمخ بعبيرهما ، وتعطر بأريجهما ، انطلق إلى بقية العلوم الأخرى ، ونهل من بحور العلماء ، وأفاد من كتب النجباء ولكنه رسم لنفسه منهاجاً بيناً وطريقاً واضحاً لم يحد عنه أبداً مهما كانت الظروف ، وهو أن لا يقدم قول أحد كائناً من كان على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

يقول ابن القيم - رحمه الله - واصفاً العلماء الصادقين المهتدين : « وجعل الله سبحانه لهم لسان صدق في الآخرين ، ثم سار على آثارهم

الرعيل الأول من أتباعهم ، ودرج على منهاجهم الموفقون من أشياعهم ، زاهدين في التعصب للرجال ، واقفين مع الحجة والاستدلال ، يسيرون مع الحق أين سارت ركائبه ، ويستقلون مع الصواب حيث استقلت مضاربه ، إذا بدا لهم الدليل بأُخذته طاروا إليه زرافات ووحدانا ، وإذا هداهم الرسول إلى أمر انتدبوا إليه ، ولا يسألونه عما قال برهانا ، ونصوصه أجلّ في صدورهم وأعظم في نفوسهم من أن يقدموا عليها قول أحد من الناس ، أو يعارضوها برأي أو قياس .

ثم خلف من بعدهم خلوف ، فرقوا دينهم ، وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ، وتقطعوا أمرهم بينهم زبراً وكل إلى ربهم راجعون ، جعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون ، ورؤوس أموالهم التي بها يتجرون ، وآخرون منهم قنعوا بمحض التقليد ، وقالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ، والفريقان بمعزل عما ينبغي اتباعه من الصواب ، ولسان الحق يتلو عليهم : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب** ﴾ .

قال الشافعي – قدّس الله تعالى روحه – : « أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس » آهـ .

قال أبو عمر – رحمه الله تعالى – : « فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل ، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد » آهـ .

فقد تضمن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى ، والمقلد الأعمى من زمرة العلماء » (إعلام الموقعين لابن القيم : ١ / ٥)

استمع إلى الشيخ – رحمه الله – في إحدى كلماته وهو يحث على الكتاب والسنة ووجوب تقديمهما على كل ما عداهما ، يقول – رحمه الله – : « يجب على طلبة العلم الحرص التام على تلقي العلم ، والأخذ من أصوله التي لا فلاح لطالب العلم إن لم يبدأ بها ، وهي :

١ – **القرآن الكريم** : فإنه يجب على طالب العلم الحرص عليه قراءةً وحفظاً وفهماً وعملاً به ، فإن القرآن هو حبل الله المتين ، وهو أساس العلوم وقد كان السلف يحرصون عليه غاية الحرص ، فيذكر عنهم الشيء العجيب من حرصهم على القرآن ، فتجد أحدهم حفظ القرآن وعمره سبع سنوات ، وبعضهم حفظ القرآن في أقل من شهر ، وفي هذا دلالة على حرص السلف – رضوان الله عليهم – على القرآن ، فيجب على طالب العلم الحرص عليه وحفظه على يد أحد المعلمين ؛ لأن القرآن يؤخذ عن طريق التلقي .

وإنه مما يؤسف له أن تجد بعض طلبة العلم لا يحفظ القرآن ، بل بعضهم لا يحسن القراءة ، وهذا خلل كبير في منهج طلب العلم ، لذلك أكرر أنه يجب على طلبة العلم الحرص على حفظ القرآن والعمل به ، والدعوة إليه ، وفهمه فهماً مطابقاً لفهم السلف الصالح .

٢ – **السنة الصحيحة** : فهي ثاني المصدرين للشريعة الإسلامية ، وهي الموضحة للقرآن الكريم ، فيجب على طالب العلم الجمع بينهما والحرص عليهما ، وعلى طالب العلم حفظ السنة ، إما بحفظ نصوص الأحاديث أو بدراسة أسانيدها ومتونها ، وتمييز الصحيح من الضعيف ، وكذلك يكون حفظ السنة بالدفاع عنها والرد على شبهات أهل البدع في السنة .

فيجب على طالب العلم أن يلتزم بالقرآن والسنة الصحيحة ، وهما له – أي طالب العلم – كالجناحين للطائر إذا انكسر أحدهما لم يطر .

لذلك لا تراع السنة وتغفل عن القرآن ، أو تراع القرآن وتغفل عن السنة ، فكثير من طلبة العلم يعتني بالسنة وشروحها ورجالها ومصطلحاتها اعتناءً كاملاً ؛ لكن لو سألته عن آية من كتاب الله لرأيته جاهلاً بها ، وهذا غلط كبير ، فلا بد أن يكون الكتاب والسنة جناحين لك يا طالب العلم .

٣ – **كلام العلماء** : يجب على طالب العلم الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأن يستعين بكلام العلماء .

والرجوع إلى كتاب الله يكون بحفظه وتدبره والعمل على ما جاء به ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ ، وتدبر الآيات يوصل إلى فهم المعنى ، ﴿ **وليتذكر أولو الألباب** ﴾ والتذكر هو العمل بهذا القرآن .

نزل هذا القرآن لهذه الحكمة ، وإذا كان نزل لذلك ؛ فلنرجع إلى الكتاب ولنعلم معانيه ، ثم نطبق ما جاء به ، ووالله إن فيه سعادة الدنيا والآخرة ، يقول الله تعالى : ﴿ **فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإنه له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ .

ولهذا لا تجد أحداً أنعم بالاً ، ولا أشرح صدراً ، ولا أشد طمأنينة في قلبه من المؤمن أبداً ، حتى وإن كان فقيراً ، فالمؤمن أشد الناس انشراحاً ، وأشد الناس اطمئناناً ، وأوسع الناس صدراً ، واقرؤوا إن شئتم قول الله تعالى : ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ .

وأما الرجوع إلى السنة النبوية : فسنة الرسول ﷺ ثابتة بين أيدينا ، ولله الحمد ، ومحفوظة ، حتى ما كان مكذوباً على الرسول ﷺ ، فإن أهل العلم بينوا سنته ، وبينوا ما هو مكذوب عليه ، وبقيت السنة ولله الحمد ظاهرة محفوظة ، يستطيع أي إنسان أن يصل إليها إما بمراجعة الكتب – إن تمكن – وإلا ففي سؤال أهل العلم .

ولكن إذا قال قائل : كيف توفق بين ما قلت من الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مع أننا نجد أن أناساً يتبعون الكتب المؤلفة في المذاهب ، ويقول : أنا مذهبي كذا ؛ وأنا مذهبي كذا ؛ وأنا مذهبي كذا!! حتى إنك لتفتي الرجل وتقول له : قال النبي ﷺ : كذا ، فيقول : أنا مذهبي حنفي ، أنا مذهبي مالكي ، أنا مذهبي شافعي ، أنا مذهبي حنبلي .. وما أشبه ذلك؟ .

فالجواب : أنا نقول لهم إننا جميعاً نقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .. فما معنى شهادة أن محمداً رسول الله؟

قال العلماء : معناها : « طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع » .

فإذا قال إنسان : أنا مذهبي كذا أو مذهبي كذا فنقول له : هذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلا تعارضه بقول أحد .

حتى أئمة المذاهب ينهون عن تقليدهم تقليداً محضاً ، ويقولون : « متى تبين الحق فإن الواجب الرجوع إليه » .

فنقول لمن عارضنا بمذهب فلان أو فلان : نحن وأنت نشهد أن محمداً رسول الله ، وتقتضي هذه الشهادة ألا نتبع إلا رسول الله ﷺ .

وهذه السنة بين أيدينا واضحة جلية ، ولكن لست أعني بهذا القول أن نقلل من أهمية الرجوع إلى كتب الفقهاء وأهل العلم ، بل إن الرجوع إلى كتبهم للانتفاع بها ومعرفة الطرق التي بها تستنبط الأحكام من أدلتها من الأمور التي لا يمكن أن يحقق طلب العلم إلا بالرجوع إليها .

ولذلك نجد أولئك القومِ الذين لم يتفقهوا على أيدي العلماء نجد أن عندهم من الزلات شيئاً كثيراً ؛ لأنهم صاروا ينظرون بنظر أقل مما ينبغي أن ينظروا فيه ، يأخذون مثلاً صحيح البخاري ، فيذهبون إلى ما فيه من الأحاديث ، مع أن في الأحاديث ما هو عام ومخصص ومطلق ومقيد ، وشيء منسوخ ، لكنهم لا يهتدون إلى ذلك ، فيحصل بهذا ضلال كبير» .

(كتاب العلم ، ص : ٤٣ – ٥٠)

ويُسأل الشيخ – رحمه الله – السؤال التالي : هناك بعض طلبة العلم يبدؤون طلب العلم بكتب الحديث ، وليس بالمتون الفقهية ، ويعللون ذلك بأن المتون الفقهية خالية من أدلة الكتاب والسنة ، فهل هذا صحيح؟

فيجيب – رحمه الله – قائلاً : «الذي أرى أن يبدأ الطالب قبل كل شيء بفهم القرآن الكريم ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب**﴾ ؛ ولأن القرآن لا يحتاج إلى أي عناء في ثبوته ، لأنه ثابت بالتواتر ، لكن السنة فيها الصحيح ، وفيها الحسن ، وفيها الضعيف ، وفيها الموضوع ، فهي تحتاج إلى عناء ، ثم هي أيضاً تحتاج إلى جمع أطرافها ، فقد يبلغ الإنسان حديث عن الرسول ﷺ يكون له مخصص لعمومه ، أو مقيد لإطلاقه ، أو يكون هذا الحديث منسوخاً وهو لا يعلم ، ولهذا تجد أن الذي يعتمد على فهمه من الأحاديث يخطىء كثيراً .

ولا شك أن الأحاديث أو السنة عن النبي ﷺ أصل من الأصول ، فهي كالقرآن لوجوب العمل بها إذا صحت عن النبي ﷺ .

وأما جوابه بأن المتون خالية مما قال الله وقال رسوله فنعم ، أكثر المتون الفقهية ليس فيها الدليل ، ولكن توجد الأدلة في شروحها ، فليست خالية من الأدلة باعتبار شروحها التي تحلل أغراضها وتبين معانيها ، والذي أرى أن يكون الإنسان بادئاً أولاً بكتاب الله عز وجل ، وثانياً بالسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، وثالثاً بكتب الفقه المبنية على الكتاب والسنة ، لأن هذه تضبط تصرفه وتصحح فهمه .

لكن لو سألنا : هل الأفضل أن أحفظ متناً من متون الفقه أو متناً مختصراً من الحديث؟ رأينا له أن يحفظ متناً مختصراً من الحديث ، كعمدة الأحكام ، وبلوغ المرام ، ولكن لا يدع الاستئناس بكلام أهل العلم وأهل الفقه . (لقاء الباب المفتوح ، ٩١/ ٥١-٦٠)

يقول الشيخ سليمان الضحيان في مقاله المرفق : « والمدرسة الثالثة : هي المدرسة التي مزجت بين محاسن المدرستين ، فعنيت بالاستدلال بالحديث والحرص على الاعتناء بالدليل ، وفي الوقت نفسه الاستفادة من جهود فقهاء المذاهب والاعتناء بأقوالهم واختياراتهم ، وضبط المتون الفقهية مع التعمق بأصول الفقه والقواعد الفقهية ، ويعد العلامة الفقيه الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - من أبرز من يمثل تلك المدرسة في السعودية ، بل في العالم الإسلامي أجمع ، فهو ينسب نفسه إلى الحنابلة ، فيقول : وذكر بعض أصحابنا ... ويعني بذلك بعض فقهاء الحنابلة .

وله عناية بشرح كتب المذهب الحنبلي كـ« زاد المستقنع » و « الكافي »

و « قواعد ابن رجب » وغيرها ، وإلمام بمنهجها ومحتواها ، قال عن زاد المستقنع : وهو أجمع من كتاب الشيخ مرعي « دليل الطالب » ، و« دليل الطالب » أحسن من هذا ترتيباً .

وقال : « المتأخرون يرون أنه إذا اختلف الإقناع والمنتهى فالمذهب المنتهى » لكنه في الوقت نفسه يعظم الدليل ، ويحرّم متابعة المذهب فيما خالف فيه الدليل ، ويشدد كثيراً على وجوب اتباع الدليل ، وكتبه ومحاضراته ودروسه وفتاويه مشحونة بتقرير ذلك ، ومن ذلك قوله : « العبادات لا تتم إلا بالإخلاص لله تعالى ، والمتابعة للنبي ﷺ ؛ والمتابعة لا تتحقق إذا كانت موافقة للشرع في ستة أمور : السبب ، والجنس ، والقدر ، والكيفية ، والزمان ، والمكان ، فلا تقبل العبادة إلا إذا كانت صفتها موافقة لما جاء عن النبي ﷺ » ، ولهذا خالف المذهب الحنبلي بمئات المسائل التي يرى أن الدليل فيها خلاف المذهب كمسألة الطلاق بالثلاثة ، ومسألة مدة القصر في الصلاة ، ومسألة نقض غسل الميت للوضوء ، وغيرها ، وحسبك أن تعلم أنه خالف المذهب في حوالي تسع وثمانين مسألة في باب (الطهارة) فقط ، أحصيتها من كتابه « الشرح الممتع » وعُني بكتب الحديث فشرح صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وكتب الأحكام المبنية على الأحاديث كبلوغ المرام ، وعمدة الأحكام» . (جريدة الوطن ، العدد : ١٠٥)

٣ - روعة التأصيل :

كان الشيخ مدرسة مميزة في قوة التحصيل ، وروعة التأصيل ، والاهتمام بالقواعد والتأكيد على الضوابط ، فلم يكن يسوق الكلام على عواهنه ، ويرسل العلم على علاته ، بل لا تكاد تمر الجملة من حديثه إلا

موثقة مؤصلة ، مدللة مبرهنة ، يؤصل المسائل ، ويورد الدلائل ، ويسند الأقوال لأصحابها ويشيد بالأفضال لأربابها ، ويأتي بيوت المعرفة من أبوابها .

يقول - رحمه الله - : « من أهم الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم التثبت ، فالتثبت فيما ينقل من الأخبار ، والتثبت فيما يصدر منك من الأحكام ، فالأخبار إذا نقلت فلا بد أن تتثبت أولاً ، هل صحت عمن نقلت إليه أو لا ، ثم إذا صحت فلا تحكم ، تثبت في الحكم ربما يكون الخبر الذي سمعته مبنياً على أصل تجهله أنت ، فتحكم أنه خطأ ، والواقع أنه ليس بخطأ .

وهناك فرق بين الثبات والتثبت ، فهما شيئان متشابهان لفظاً مختلفان معنىً ، فالثبات معناه الصبر والمثابرة ، وألا يمل ولا يضجر ، وألا يأخذ من كل كتاب نتفة ، أو من كل فن قطعة ثم يترك ، لأن هذا الذي يضر الطالب ويقطع عليه الأيام بلا فائدة ، فمثلاً بعض الطلاب يقرأ في النحو : في الآجرومية ، ومرة في متن قطر الندى ، ومرة في الألفية ، وكذلك الحال في المصطلح ، مرة في النخبة ، ومرة في ألفية العراقي ، وكذلك في الفقه : مرة في زاد المستقنع ، ومرة في عمدة الفقه ، ومرة في المغني ، ومرة في شرح المهذب ، وهكذا في كل كتاب .. وهلم جرا ..

هذا في الغالب لا يحصل علماً ، ولو حصّل علماً فإنه يحصل مسائل لا أصول ، وتحصيل المسائل كالذي يلتقط الجراد واحدة بعد الأخرى ، لكن التأصيل والرسوخ والثبات ، هذا هو المهم ، اثْبُتْ بالنسبة للكتب التي تُقرأ أو تراجع ، واثْبُتْ بالنسبة للشيوخ أيضاً الذين تتلقى عنهم ، لا تكن ذواقاً كل أسبوع عند شيخ ، كل شهر عند شيخ ، قرر أولاً من ستتلقى العلم

عنده ، ثم إذا قررت ذلك فاثبت ، ولا تجعل كل شهر أو كل أسبوع لك شيخاً ، ولا فرق بين أن تجعل لك شيخاً في الفقه ، وتستمر معه في الفقه ، وشيخاً آخر في النحو تستمر معه في النحو ، وشيخاً آخر في العقيدة والتوحيد وتستمر معه ، المهم أن تستمر لا أن تتذوق ، وتكون كالرجل المطلاق كلما تزوج امرأة وجلس عندها سبعة أيام طلقها وذهب يطلب أخرى .

أيضاً التثبت أمر مهم ، لأن الناقلين تارة تكون لهم إيرادات سيئة ، ينقلون ما يشوه سمعة المنقول عنه قصداً وعمداً ، وتارة لا يكون عندهم إيرادات سيئة ، ولكنهم يفهمون الشيء على خلاف معناه الذي أريد به ، ولهذا يجب التثبت ، فإذا ثبت بالسند ما نُقل أتى دور المناقشة مع صاحبه الذي نقل عنه قبل أن تحكم على القول بأنه خطأ أو غير خطأ وذلك لأنه ربما يظهر لك بالمناقشة أن الصواب مع هذا الذي نُقل عنه الكلام » .

(كتاب العلم ، ص : ٥٠ – ٥٢)

ويقول – رحمه الله – : « من المعلوم أن الإنسان إذا أراد مكاناً فلا بد أن يعرف الطريق الموصل إليه ، وإذا تعددت الطرق فإنه يبحث عن أقربها وأيسرها ؛ لذلك كان من المهم لطالب العلم أن يبني طلبه للعلم على أصول ولا يتخبط خبط عشواء ، فمن لم يتقن الأصول حرم الوصول .

قال الناظم :

وبعد فالعلم بحور زاخرة ... لن يبلغ الكادح فيه آخره
لكن في أصوله تسهيلا ... لنيله فاحرص تجد سبيلا
اغتنم القواعد الأصولا ... فمن تفته يحرم الوصولا

فالأصول هي العلم ، والمسائل فروع ، كأصل الشجرة وأغصانها إذا لم تكن الأغصان على أصل جيد فإنها تذبل وتتهالك ، لكن ما هي الأصول؟ هل هي الأدلة الصحيحة؟ أو هي القواعد والضوابط؟ أو كلاهما؟

الأصول هي أدلة من الكتاب والسنة ، والقواعد والضوابط المأخوذة بالتتبع والاستقراء من الكتاب والسنة ، وهذه من أهم ما يكون لطالب العلم مثلاً : المشقة تجلب التيسير ، هذا من الأصول ، مأخوذة من الكتاب والسنة.

من الكتاب من قوله تعالى : ﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾.

ومن السنة : قوله ﷺ لعمران بن حصين : « صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب » .

وقوله ﷺ : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » .

هذا أصل ، لو جاءتك ألف مسألة بصور متنوعة لأمكنك أن تحكم على هذه المسائل بناءً على هذا الأصل ، لكن لو لم يكن عندك هذا الأصل وتأتيك مسألتان أشكل عليك الأمر » . (كتاب العلم ، ص : ٦٧ – ٦٨)

يقول الشيخ أحمد الحمدان في مقاله المرفق : « كان من حرصه على تعليم الناس الخير أنه في دروسه يقعد ويؤصل ، ويشرح ويعيد شرحه ، ويسأل من حوله وأمامه ، ويحرص على فهم الناس لكلامه ، وإدراكهم للمسائل العلمية التي يوردها ، فنشر الله تعالى ذكره في كل مكان ، وأقبل الناس على دروسه على اختلاف مشاربهم ، وأصبح طلاب العلم يتعلمون من طريقته في التدريس كيف يدرسون .

ومن ذلك أن مجموعة من الشباب ذهبوا إلى مصر في مهمة رسمية ، واختلفوا فيما بينهم في بعض المسائل ، فدلهم مرافقهم على فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك - رحمه الله - فلما عرف الشيخ أنهم من السعودية قال لهم : تسألوني وعندكم الشيخ محمد العثيمين؟ قالوا : يا شيخ وتعرفه ؟ قال : أنا أستمتع بسماع تأصيله العلمي في دروسه » .

٤ - المنهج العلمي المحكم :

يقول الشيخ سليمان الضحيان في مقاله المرفق : « تميزت المنهجية المنضبطة في كل إنتاجه العلمي « كتباً ومحاضرات ودروساً » فمن حيث التعامل مع النصوص يصنع قاعدة عامة يقول فيها : اتباع الظاهر في الأحكام كاتباع الظاهر في العقائد إلا ما دل الدليل على خلافه ، لكن اتباع الظاهر في العقائد أوكد ؛ لأنها أمور غيبية لا مجال للعقل فيها بخلاف الأحكام فإن العقل يدخل فيها أحياناً ، لكن الأصل أننا مكلفون بالظاهر .

وينهى عن الحديث والبحث فيم يورث تشويشاً في العقل من الأمور التي لم يتعرض لها الصحابة كمسألة القدر ، حيث يقول عنها : « الجدير بالمرء ألا يبحث في نفسه ولا مع غيره في مثل هذه الأمور التي توجب التشويش وتوهم معارضة الشرع بالقدر ، فإن ذلك ليس من دأب الصحابة رضي الله عنهم وهم أحرص الناس على معرفة الحقائق وأقربهم من معين إرواء الغلة وكشف الغمة » .

ويعلن توقفه عن القطع فيما لم يصل فيه إلى رأي قاطع فقد سمعته في درس شرح زاد المستقنع يقول : قضية الأوامر والنواهي لم أصل إلى ضوابط محددة في هذه المسألة لأننا لو قلنا بوجوب كل أمر لكلفنا الناس ،

وإلى ساعتي هذه ما وجدت ضابطاً تنضبط به جميع الأوامر وجميع النواهي لأنه يخرج من الوجوب كثير من الأوامر بالاتفاق ، وأما ما خالف الإجماع فالأمر فيه واضح » .

وهذه المنهجية لديه كان لها أثر في طريقة عرضه للمسائل في شرحه وفي فتاويه ، فهو يحرص على السبر والتقسيم والتفصيل والتوضيح ، فقد سئل عن أخذ الشعر فأجاب : « الشعور ينقسم أخذها إلى ثلاثة أقسام : الأول شعور أمر الشارع بإزالتها ، والثاني شعور نهى الشارع عن إزالتها ، والثالث شعور سكت الشارع عن إزالتها » ، ثم فصل المسألة .

ويقسم حكم مشاهدة التلفزيون إلى ثلاثة أقسام ، ويقسم الحركة في الصلاة إلى خمسة أقسام ، والنجاسة إلى ثلاثة أقسام ، فهذا التقسيم والتفصيل يكاد لا يخلو منه فتوى أو مسألة من مسائل العلم في شروحه ، وتشمل المنهجية لديه ترتيب الدروس ، فلكل طالب ملازم لديه مرتبة ، فالدروس تبدأ بصغار الكتب كالأصول الثلاثة والآجرومية والأصول في علم الأصول ، وتنتهي بكبارها كقواعد ابن رجب ، والكافي ، وشرح ألفية ابن مالك » .

ويقول الشيخ الضحيان أيضاً في مقاله العميق الرائع : « وإذا كان لكل علم لغة خاصة يعرف بها ، فإن لغة الشيخ – رحمه الله – في فتاويه ودروسه الفقهية لغة فقهية تتميز بأربعة أمور :

الأمر الأول : التحديد الدقيق للمصطلحات بحدود جامعة مانعة كحد الطهارة ، وحد الحدث ، والنجاسة ، والاحتياط ، والوضوء ، والغرض ، والإجزاء .

الأمر الثاني : العناية بالفروق الفقهية وهو فن دقيق من فنون الأشباه والنظائر لا يتقنه إلا من أحاط بالفقه جميعه وتمرس فيه ، ولا يخلو درس الشيخ الفقهي من التنبيه على بعض الفروق ، ومن ذلك : الفرق بين القضاء والأداء في الصلاة ، والفرق بين فرض العين وفرض الكفاية ، والفرق بين أركان الصلاة وشروط الصلاة ، والفرق بين الفجر الأول والفجر الثاني ، والفرق بين صفة الكمال وصفة الإجزاء في العبادة ، والفرق بين النفي المطلق والنفي المقرون بالتفصيل .

الأمر الثالث : كثرة استعمال القواعد الفقهية الكلية ورد جزئيات المسائل إليها ، ولا يصل الفقيه لمرتبة الاجتهاد إلا بإدراكها وضبطها ، قال ابن نجيم : « وبها يرتقي الفقيه إلى درجة الاجتهاد ولو في الفتوى » ، وقال عنها القرافي : « هي جليلة القدر ، كثيرة العدد ، مشتملة على أسرار الشرع وحكمه ، لكل قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يحصى ، وهذه القواعد مهمة في الفقه عظيمة النفع ، وبقدر الإحاطة بها يعظم قدر الفقيه ويشرف ، وتتضح له مناهج الفتوى » .

وخطاب الشيخ محمد - رحمه الله - مشحون بالقواعد الفقهية الكلية ، ولا تكاد تخلو مسألة دون أن يلحقها بقاعدة كلية ، ومن أمثلة القواعد التي خرج عليها فرعيات المسائل : « إذا انتفى السبب ، انتفى المسبب » ، « العبرة بالأمور بمعانيها لا بصورها » ، « البدل له حكم المبدل منه » ، « ما كان معفواً عنه شرعاً زال ضرره قدرا » ، « عدم السبب

المعين لا يقتضي السبب المعين» ، «يثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً» ، «المشقة تجلب التيسير» ، «الفرع أضعف من الأصل» ، «ينقلب نفياً ما بان عدمه» ، «القضاء يحكي الأداء» ، «ما حرم تحريم الوسائل أباحته الحاجة» ، «كل ما وجب في العبادة فإن فواته مبطل لها» ، «اليقين لا يزول إلا بيقين» ، «الشيء في معدنه لا حكم له» ، «الأصل أن ما ثبت في النقل ثبت في الفرض إلا لدليل» ، «ورود الشك بعد براءة الذمة لا يلتفت إليه» ، «ما شك في وجوده فالأصل عدمه» .

الأمر الرابع : كثرة إيراد القواعد الأصولية والتنبيه على بعض المسائل الأصولية ، وهذا الأمر كثير جداً في لغة الشيخ الفقهية ، من ذلك : «العلة إذا كانت منتشرة لا يمكن ضبطها» ، «تعليق المباح بشرط يدل على أنه لا يباح إلا به» ، «الاستثناء معيار العموم» ، «عدم الأمر في موضعه يدل على عدم الوجوب ولا يدل على عدم المشروعية مطلقاً» ، «الحقائق تحمل على عرف الناطق بها» ، «إذا قيد اللفظ العام بما يوافق العام فليس بقيد» ، «ترك الاستفصال في مقام الاحتمال ينزل منزلة العموم في المقال» ، «ما خرج عن الأصل لعلة معقولة ، فلا مانع من أن يقاس عليه» ، «الاجتهاد لا ينقض باجتهاد» .

وبعد .. فهذه بعض ما يميز لغة الشيخ الفقهية ، وسبق التنبيه على السبر والتقسيم والتفصيل وضرب الأمثال في أطروحات الشيخ – رحمه الله – وكل ذلك يدفعنا إلى القول : إن الشيخ بعقليته الفقهية الفذة

ومنهجيته المنضبطة ، ووسطيته المعتدلة يشكل مدرسة ومنهجاً متميزاً ، خسرته الأمة فجبر الله مصيبتنا به ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أؤجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيراً منه» .

ويقول معالي الدكتور عبد الله التركي في مقاله المرفق : «لقد انتهج الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – منهاج علماء السلف في أعماله العلمية ونهجه الدعوي وطرق التربية والتعليم الأخلاقي ، ومن عرفه عن كثب عرف في منهاجه ما كان عليه سلف الأمة ، ولعل أبرز الملامح في منهاجه – رحمه الله – :

* حرصه الشديد على التقيد بما كان عليه السلف الصالح في الاعتقاد علماً وعملاً ودعوة وسلوكاً ، وذلك مقترن بالتنفير والتحذير مما يخالف ذلك .
* الحرص على صحة الدليل وصواب التعليل ووضوحه ومناسبته .
* الربط بين العمل الدعوي والتقعيد الفقهي ضماناً لسلامة أعمال الدعوة وما يضعه الدعاة بين أيدي الناس من كتب ومذكرات وغيرها .
* العناية بمقاصد الشريعة الإسلامية وقواعد الدين ؛ لأن ذلك مناط الحكم الإسلامي الذي أمر به الله سبحانه وتعالى .
* الاعتدال والتوسط في المنهاج والسلوك والفهم ، والتقيد في ذلك بما كان عليه السلف الصالح .
* الاهتمام بالتطبيق والعناية بالأمثلة والتخريج .
* التيسير الذي يبعد الداعية عن التعقيد أو التنفير .
* البعد عن التعصب والتقليد الأعمى والحرص على التوفيق بين النص والمصلحة .

وهذا الشيخ عبد الرحمن السديس يوجز منهج الشيخ - رحمه الله - في مقاله المرفق ، فيقول : « ولعل أبرز ملامح منهج الشيخ في ذلك ما يلي :

١ - تركيزه على عقيدة السلف علماً وعملاً ودعوة والتحذير مما يخالفها .

٢ - عنايته بصحة الدليل ، وسلامة التعليل .

٣ - بناؤه منهجه على التأصيل العلمي والتقعيد الفقهي .

٤ - عنايته بمقاصد الشريعة وقواعد الدين ، واهتمامه بحكم الشريعة وأسرارها .

٥ - اهتمامه بالتطبيق والعناية بالأمثلة والتخريج .

٦ - توسطه واعتداله في الرؤى والمنهج .

٧ - تميزه بالدقة والعمق والشخصية المستقلة .

٨ - ميله إلى التيسير ورفع الحرج وسلوك مسلك الوضوح .

٩ - بعده عن التعصب والتقليد وحرصه على المتابعة والتسديد .

١٠ - تأثره بالمحققين من العلماء السابقين كشيخ الإسلام ابن تيمية ، ومن المعاصرين سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز .

١١ - إنصافه مخالفيه ، وفقهه لأدب الخلاف .

١٢ - الشمول في المنهج ومراعاة الأولويات .

وغير ذلك مما يحتاج إلى نماذج كثيرة ، وشرح مستفيض » .

ويقول الشيخ سليمان الربعي في مقاله المرفق موجزاً أهم سمات منهج الشيخ العلمي :

١ - القراءة التقريبية لأمهات نصوص المعتقد : « الفتوى الحموية » و « الواسطية » و « لمعة الاعتقاد » .. وغيرها ، هادفاً من وراء ذلك إلى ربط الأمة بالنص بتيسيره وتقريب دلالته ومعانيه ، وتأكيد التمايز العقدي عن الفرق البدعية التي جاءت تلك النصوص بنقد أصولها ، كالجهمية والقدرية ، والخوارج ، والرافضة ، إضافة إلى إشاعة فريضة النقد لما يحتاج من تلك النصوص إلى نقد ، كما في شرحه للمعة الاعتقاد .

٢ - التأصيل الموضوعي لقواعد مطردة في أخص المسائل الاعتقادية التي يقع فيها الخلاف في ضوء منهج أهل السنة ، كمسألة الأسماء والصفات ، وهو ما تجليه شروحه للنصوص السالفة ، وأجوبته ورسائله العقدية التي جمعت في عشر مجلدات ، ومن أبرز آثاره في ذلك كتابه : « القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى » .

٣ - طرح منهج المراجعة النقدية لجملة من المفاهيم ، والألفاظ ، والمسائل التي استقر عند كثير عدم مخالفتها لصحيح الاعتقاد كما في العقيدة من مجموع الفتاوى ، وفي أسئلة سلسلة الباب المفتوح ، وسواهما من الآثار .

وفي الفقه كان رحمه الله مدرسة مستقلة بخصائصها التأصيلية ، ومناهجها الاستنباطية والاستدلالية ، ألمح إلى ثلاث من أهم معالمها :

١ - نبذ التعصب ، والتجرد للدليل ، ولعل هذا العقلية الفقهية المستنيرة من أثر البيئة العلمية التي شكّلت علم الشيخ بدءاً بأستاذه الأول ابن سعدي ، ثم بالشيخين العلمين عبد العزيز بن باز ، ومحمد الأمين الشنقيطي ، ولا سيما الشيخ ابن باز الذي صرّح الشيخ بتأثره به في

اهتمامه بالحديث ، أي بالدليل ، ومعرفة الحق به ، وهذه لا جرم فضيلة علمية لا سيما إذا استحضرنا ظروفها ، حيث التعصب للمذهب ، وطغيان التقليد ، وغياب شروط الاجتهاد .

٢ - ثبات المنهج واطراده ، ومن أسباب هذه الميزة : التعويل على الدليل ، والتجرد الموضوعي في البحث ، وتمثل المقاصد المعتبرة للشريعة ، واستحضار القواعد الأصولية العامة ، ورسوخ الوسائل الإجرائية في الاستنباط ، والبعد عن الهوى ، وتطلب الحق وتحريه .

٣ - التحرير الدقيق للمسائل ، وقد ساعدت العقلية الفقهية المجربة للشيخ تأكيد هذه السمة وترسيخها في شروحه ، ومؤلفاته ، وفتاويه ، بذرائع أصولية معتبرة ، فأثمرت صوابية غالبة في الفتوى ، وتحديداً متناهياً للعلل ، وانضباطاً مطرداً في الأقيسة ، واستقامة مسددة في التفريع ، ولقد برزت هذه الخصائص وسواها في الشرح الممتع على زاد المستقنع لصفته المنهجية ، وفي مجموعه الثمين من الفتاوى ، وفيما يرد إليه من إشكالات فقهية .

وقد كان من نتاج هذه العقلية فضلاً عن التنبيه إلى عديد من المهمات المهملة في أبواب العبادات والمعاملات التي غابت عن حس كثير من الفقهاء صفة القطع لفتوى الشيخ عند الاختلاف لدى أهل العلم ، والوثوقية والطمأنينة فيها عند العامة ، وإعادة تشكيل مفهوم « التيسير » الفقهي بضبطه بالدليل ، ومقاصد الشريعة العامة ، ومقررات الأصول المعتبرة .

ومن وراء هذه الصفات والخصائص ، ثمة سمات كبيرة تأسيسية اتصف بها الشيخ كما كان أسلافه الأعلام ، منها العدل مع المخالف ،

والأدب في المناظرة ، والتأسيس على قيمة الوسطية التي تمثلها مع بدايات تشكل فقهه في البيئة العلمية الأولى ، فضبط بها مساره ، وأترعها مسارات الوعي للأمة في صور تؤكد تكامل عقليته وعلميته في سداد مبارك » آهـ .

وإضافة إلى ما سبق من الحديث عن دقة الشيخ ، وتأصيله للمسائل ، ومنهاجه العلمي الغزير نضيف هنا كلاماً لأحد تلاميذه وهو الشيخ وليد بن أحمد الحسين ، حيث يقول :

« لقد أوضح الشيخ - رحمه الله - منهجه ، وصرح به مرات عديدة ، أنه يسير على الطريقة التي انتهجها شيخه العلامة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي ، يقول شيخنا - رحمه الله - : « لقد تأثرت كثيراً بشيخي عبد الرحمن السعدي في طريقة التدريس ، وعرض العلم ، وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني » .

ومنهج الشيخ السعدي هو أنه كثيراً ما يتبنى آراء شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ويرجحهما على المذهب الحنبلي ، فلم يكن عنده الجمود تجاه مذهب معين ، بل كان متجرداً للحق ، وقد انطبعت هذه الصفة وانتقلت إلى تلميذه محمد الصالح العثيمين .

ولم يكن تبني الشيخ لآراء شيخ الإسلام نابعاً عن هوى أو تقليد أعمى ، بل كان متجرداً للحق أيضاً ، فحيثما وجد الحق فهو ضالته ومطلبه بل إنه خالف شيخ الإسلام في عشرات المسائل أكثر من مخالفة شيخه السعدي لشيخ الإسلام ، ومخالفته لشيخ الإسلام في هذه المسائل لا يدل على استنقاصه لشيخ الإسلام ، ولا تقليلاً من شأن شيخ الإسلام ومكانته العلمية ، ولا يدل على أنه أعلم منه في هذه المسائل ، بل ربما يكن الحق في

جانب شيخ الإسلام فيما خالفه فيه ، ولا زال العلماء قديماً وحديثاً يخالف بعضهم بعضاً في عشرات ، أو مئات ،وربما ألوف المسائل ، لكن العيب في المخالفة أن تكون نابعة عن هوى أوسوء نية ، أو عدم توفر الكفاءة العلمية ، وعدم الدقة في فهم النصوص واحتواء الخلاف فيها بالنسبة للمخالف ، وكل هذه الصفات يتنزه عنها شيخنا – رحمه الله – فهو معروف بسعة علمه ودقة فهمه ، وآثاره العلمية من مكتوب ومسموع ، شاهدة على أهليته وكفاءته .

وكل مسألة يخالف فيها شيخنا أبو عبد الله العثيمين من هو أعلم منه له حظ من النظر فيها ، وما كان كذلك فلا حرج في المخالفة .

قال الناظم :

وليس كل خلاف جاء معتبرا إلا خلاف له حظ من النظر

بعض مسائل الخلاف مع ابن تيمية :

ولا بأس في أن نذكر أمثلة لبعض المسائل التي خالف فيها شيخ الإسلام ابن تيمية ، منها :

١ – يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الجماعة شرط لصحة الصلاة ، ويرى شيخنا أنها واجبة .

٢ – يرى شيخ الإسلام أن المتمتع في الحج يكفيه سعي العمرة عن سعي الحج ويرى شيخنا أن سعي العمرة لا يكفي عن سعي الحج .

٣ – يرى شيخ الإسلام جواز سفر المرأة بلا محرم مع الأمن ، ويرى شيخنا عدم جواز سفر المرأة بلا محرم مطلقاً .

٤ – يرى شيخ الإسلام جواز الجمع بين الأختين من الرضاع ، ويرى شيخنا التحريم لعموم حديث : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » .

٥ – يرى شيخ الإسلام جواز دفع الزكاة في قضاء دين الميت الذي لم يخلف وفاء ، ويرى شيخنا عدم الجواز .

٦ – يرى شيخ الإسلام جواز تعفير الوجه بالتراب تذللاً لله تعالى – ذكرها في الاختيارات – ويرى شيخنا ضعف هذا القول ؛ لأن الأصل في العبادات المنع والحظر ، حتى يقوم دليل على المشروعية .

٧ – يرى شيخ الإسلام أن للأم الثلث مع الإخوة المحجوبين بالأب ، ويرى شيخنا أن للأم السدس ؛ أي إن الإخوة ، وإن كانوا محجوبين بالأب ، لكن تأثيرهم على الأم يظل باقياً ، فيحجبونها حجب نقصان من الثلث إلى السدس ، وهو قول الجمهور .

٨ – يرى شيخ الإسلام جواز الزيادة بين الربويين من جنس واحد في مقابلة الصنعة ، ويرى شيخنا عدم الجواز للعمومات الدالة علي أن الذهب بالذهب لا بد فيه من التساوى وزناً بوزن ، سواء بسواء ،يداً بيد .

٩ – يرى شيخ الإسلام أن المأموم تكفيه قراءة إمامه في الصلاة الجهرية ، وهو المذهب ، ويرى شيخنا وجوب قراءة الفاتحة على المأموم في الجهرية » .

(مجلة الحكمة ، العدد الثاني ، ص : ٣٠)

٥ - النجاح الباهر ، والتفوق الظاهر لدى الشيخ رحمه الله في فن التعليم ، وروعة التدريس ، وجودة التلقين ، لم يكن يهذ الكلام هذاً ،

ويسرد العلم سرداً ، بل كان يتأنق في العبارة ، ويتمهل في الإملاء ، ويتوقف للمناقشة ، ويحرك العقول بالأسئلة ، ويصبر على كثرة التكرار والإعادة ، حتى رسخ العلم في نفوس كثيرة ومكن الفقه في عقول غفيرة .

وقد ساعدته أخلاقه العالية ، وروحه السامية ، ونفسه المرحة للتربع على عرش قلوب طلبته حتى أحبوه حباً عظيماً ، وإذا دانت القلوب بالحب للإنسان قبلت منه ، وأقبلت عليه .

استمع إلى أحد طلبته يجلّي شيئاً من طبيعة الدروس عند الشيخ – رحمه الله – فيقول :

«إن طبيعة الدروس التي التزمها الشيخ ، وسار عليها ، واتخذها منهجاً له منذ توليه التدريس في الجامع الكبير خلفاً لشيخه منذ أكثر من خمس وثلاثين سنة تكمن في نمط معين ، يختلف عن الأساليب التي ينتهجها عامة العلماء في هذه البلاد ، ومن خلال مجالستي لبعض علماء البلاد كالشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ الحافظ عبد الله الدويش – رحمه الله – وغيرهما من الشيوخ تبين لي أن طريقة الشيخ أكثر نفعاً . هذا على وجه العموم ؛ ذلك أن الشيخ يركز كثيراً على حفظ المتون ، ويطالب التلميذ ويتابعه على الحفظ في كل درس ، بل إن الشيخ ينكر على من يحضر درسه ولا يلتزم الحفظ . وقد حفظنا على الشيخ كثيراً من المتون المنثورة والمنظومة، والكتب التي حفظت وتحفظ في درس الشيخ منها :

١ – القرآن الكريم ، وقد وصل إلى سورة النساء في دروس التفسير .

٢ – زاد المستقنع في فقه الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – .

٣ – بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، للحافظ ابن حجر – رحمه الله – .

٤ – كتاب التوحيد ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – .
٥ – منظومة محمد السفاريني في العقيدة .
٦ – العقيدة الواسطية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – .
٧ – منظومة البرهانية في علم المواريث .
٨ – ألفية ابن مالك في علم النحو والصرف .
٩ – الآجرومية في علم النحو ، النظم والنثر كلاهما فرغ من حفظهما .
١٠ – نزهة النظر ، في علم مصطلح الحديث للحافظ ابن حجر .
١١ – منظومة البيقونية في علم مصطلح الحديث .

والمتون المطولة لا تجد طالباً قد أمر بحفظها كلها ، كـ« بلوغ المرام » ، و« زاد المستقنع » ؛ لأن الزمن الذي يتطلب إنهاء مثل هذا الكتاب قد يصل إلى عشرين سنة ، مثل « بلوغ المرام » ، فقد حسبنا الزمن الذي يستغرقه كتاب « بلوغ المرام » ، فوجدناه لا يقل عن ثماني عشرة سنة ، و« زاد المستقنع » أكثر من ذلك .

وتقوم طبيعة الدرس عند الشيخ بمراجعة الباب أو الفصل بعد الانتهاء منه ، والمراجعة تشمل مراجعة الحفظ والمناقشة فيه ، فلا ينتقل إلى الباب أو الفصل الذي بعده حتى يكون الطالب قد أتقن الباب أو الفصل الذي قبله .

ويحرص الشيخ على رفع الهمم ، وزرع الحرص في نفوس طلابه ، وذلك بتكليفهم في تحرير بعض المسائل ، أو ما يشكل عليهم في أثناء الدرس ، سواء كان الإشكال من جهة اللغة ، أو النحو ، أو الفقه ، أو الحديث ، أو غير ذلك ، فيقوم الطالب بتحرير تلك المسألة ، وقراءتها أمام الشيخ وطلابه ، ويناقش الطالب سواء من قبل الشيخ أو من قبل طلابه فيما

يرد من الملاحظات إن وجدت في بحثه ، حتى يخرج البحث في أحسن صورة وأبدعها .

(مجلة الحكمة ، العدد الثاني ، ص : ٣٣ ، المقال للشيخ وليد بن أحمد الحسين)

ومن أسباب نجاح الشيخ الباهر في علمه وتعليمه : متابعته الدائمة لطلابه وحرصه عليهم ، عن ذلك يقول تلميذه وليد بن أحمد الحسين : «لقد اهتم الشيخ – رحمه الله – بطلابه ، وحرص على تذليل الصعاب التي تواجههم في مسيرتهم العلمية ، وذلك أنه خصص لهم سكناً مجانياً متوفرة فيه جميع سبلٍ الراحة ، زيادة على ذلك أنه افتتح لهم مطعماً داخل السكن ، وفرّغ له عاملاً ، يعد لهم الطعام في الوجبات الثلاث اليومية ، كما هيأ لهم مكتبة حافلة بالمراجع والكتب النادرة ، والمخطوطات الأصلية ، التي تصل إلى أكثر من سبعين مخطوطة أصلية ، ومعها مكتبة سمعية من أشرطة لدروس الشيخ ،وصالة للقراءة ، وكل ذلك في السكن نفسه .

كما يقوم الشيخ بمتابعة طلابه ، لا سيما المغتربون ، وبالأخص الذين يقطنون في السكن المعد لهم ، الذي يفتقرون إلى مساعدات مالية لمواصلة مسيرتهم العلمية ، فيخصص لهم مكافآت مالية ، كما يحرص الشيخ على تزويدهم ببعض الكتب التي يستفيدون منها ، ويحتاجون إليها في البحث ومن الكتب المجانية التي زودنا الشيخ بها من خلال ملازمتي له :

١ – صحيح البخاري .

٢ – صحيح مسلم .

٣ – مصنف أبي بكر بن أبي شيبة ، خمسة عشر مجلداً .

٤ – الصراع بين الإسلام والوثنية ، مجلدان ، لعبد الله القصيمي .

٥ – فتح المجيد شرح كتاب التوحيد .

٦ – التنكيل لما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ، لعبد الرحمن المعلمي ، مجلدان .

٧ – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، سبعة وثلاثون مجلداً .

٨ – المغني ، لابن قدامة المقدسي .

٩ – غريب الحديث للخطابي ، ثلاثة مجلدات .

١٠ – المنتقى من أخبار المصطفى ، لمجد الدين ابن تيمية ، مجلدان .

وغيرها من المراجع التي يفتقر إليها طالب العلم .

وهناك من الكتيبات الصغيرة التي لا أستطيع إحصاءها لكثرتها ، ولا سيما مؤلفات الشيخ نفسه ، فإن كل من يقوم بطباعة كتاب من كتبه أرسل إلى الشيخ المئات من النسخ من الكتاب المطبوع له ، فيقوم الشيخ بتوزيعها على طلابه . وإذا كانت الكتب المرسلة إلى الشيخ قليلة لا تكفي إلا القليل من الطلاب ، فإن الشيخ – رحمه الله – يستعمل أسلوب الأقدمية في ملازمته ، وذلك بتقديم الطالب الأقدم فالأقدم ، فيقول من له خمس سنوات فإنه يعطى ، ثم ينتقل إلى من له أربع سنوات .. وهكذا .

لقد لمست حرص الشيخ على طلابه منذ بداية ملازمتي له ، وذلك عندما قصدت هذه البلاد المباركة – المملكة العربية السعودية – قبل ثلاث عشرة سنة ، وقد صحبت معي القليل من المال حتى نفد ، ولم يبق عندي منه شيء فصبّرت نفسي ، وأيقنت أن الله سيفرج هذا الضيق :

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

حتى إذا ما مضى أسابيع ، وأنا أعيش هذا الضيق ، فإذا بالشيخ يناديني بعد صلاة الفجر ، وبيده مبلغ من المال ليس بالقليل ، ويعلم الله أنني لم أشك له حالي ، ولكنه الفرج من الله .

وبعد مدة من الزمن نفد ما عندي من المال ، فخشيت أن أكون قد أحرجت الشيخ في مساعدته لي ، أو يظن أنني لازمته من أجل المال ، فقررت أن أرحل ، وأترك الشيخ لأعمل ، وأجمع مالاً أتقوى به على طلب العلم ، فرحلت إلى الدمام ، حيث معارفي ، وتركت رسالة للشيخ بينت له فيها سبب ارتحالي ، فساءه ذلك جداً ، وحاول أن يتعرف عنواني ، فتيسر له الحصول عليه وعلى رقم هاتفي ، واتصل بي هاتفياً ، وألزمني بالرجوع ، وألح عليّ ، فأجبته إلى طلبه ، وأنا في حرج ، واستأنفت ملازمتي له .

وكان – رحمه الله – لا يبخل عليّ وعلى زملائي من المغتربين بالإنفاق علينا ، ومتابعة أحوالنا ،وتذليل الصعاب التي تواجهنا .

ومن الجوانب المثالية التي تشير إلى اهتمام الشيخ ، وحرصه على طلابه ، هو تكليفهم بالبحوث ،وتحرير المسائل المشكلة .

بل إنه يكلف حتى المبتدئين في علمهم ؛ ليزرع الهمة والحرص في نفوسهم ، ويحاول الشيخ أن لا يفرض رأيه ، وينفرد به في الأمور التي تحتاج إلى مشورة ، بل يحاول جاهداً أن يجعل الطلاب يشاركونه الرأي والمشورة وربما قدّم رأي الطالب على رأيه ؛ لقربه من الصواب ، ولا شك أن مثل هذا فيه تعويد للطلاب على التجرد للحق .

وإن رجوع الشيخ عن رأيه واجتهاده إلى قول تلميذه لا يعد عيباً ، بل هي منقبة عظيمة يشكر عليها .

كما يستعمل الشيخ - رحمه الله - أسلوباً مثالياً في تدريب طلابه على إلقاء الكلمات الوعظية والدروس العلمية ، فيكلف الطلاب بإعداد كلمة وإلقائها أمام الطلاب بحضور الشيخ ، ثم توجه الملاحظات من قبل الشيخ ، أو الطلاب للطالب ، ليجيب الطالب عليها .

كما جعل الشيخ - رحمه الله - دروساً مسندة لدروسه من قبل بعض طلابه من ذوي الكفاءات العلمية ، فيكلفهم في تنظيم دروس علمية للطلاب المبتدئين ؛ فقد قام الأخ الفاضل الشيخ محمد بن عبد الرحمن الإسماعيل بتدريس الفرائض ، علم المواريث ، والأخ الشيخ عبد الرحمن بن صالح الدهش بتدريس النحو ، والأخ الشيخ خالد بن عبد الله المصلح بتدريس كتاب التوحيد ، والأخ الشيخ سامي بن محمد الصغير بتدريس الفقه ، والأخ الشيخ خالد المطرفي بتدريس النحو» .

(مجلة الحكمة ، العدد الثاني ، ص : ٤٦ - ٤٨)

وكما كان الشيخ متألقاً في سماء النجاح على مستوى طلابه ومريديه فقد نجح نجاحاً باهراً على مستوى العالم الإسلامي ، وانداحت دائرة ذلك النجاح لتشمل دنيا الإسلام وأرجاء الإيمان ، وآفاق الشريعة ، فإذا باسمه الناصع يلوح في كل أرض تشرق عليها شمس الإسلام ، ويعبق فيها عطر الإيمان ، وذلك النجاح العريض له أسباب كثيرة بعد توفيق الله تعالى ، وجميل فضله ، وبديع كرمه ، ومن تلك الأسباب :

١ - صدقه وإخلاصه في طلب العلم والتعليم ، وبذل نفسه في ذلك .

٢ - تصديه للدروس والمحاضرات والفتوى في الحرم المكي في شهر رمضان ؛ لأن الناس - ولا سيما طلاب العلم - يزدحمون في الحرم المكي في

شهر رمضان خاصة العشر الأواخر من رمضان ، فيلتفون حول الشيخ .

٣ – وضوحه في الأداء ، سواء ما يرجع إلى اللفظ أو ما يرجع إلى المعنى ، فكان غاية في الوضوح ، مع قوة الأسلوب ، وجزالة العبارة ، التي يفهمها عامة الناس ، فضلاً عن طلاب العلم .

٤ – سلامة المنهج في العقيدة .

٥ – نقاء سيرته من أي شائبة تشوبها ، أو أمور تكدرها .

٦ – عدم خوضه في مهاترات علمية ، أو صراعات كلامية ، أو تعرضه للأشخاص أو إطلاق لسانه بالتجريح .

٧ – عدم تلطخه بشيء من حطام الدنيا أو مباهاته بشيء من بهارجها، فإن من نافس الناس في دنياهم قلت مكانته العلمية عندهم .

٨ – عدم تعصبه وجموده لمذهب معين في جميع مسائل الأحكام . بل كان متجرداً للحق حيثما ثبت الدليل يمم وجهه إليه ، حتى لو كان ظاهره مخالفاً لصريح المذهب الحنبلي الشائع في هذه البلاد ، فلا يضره ذلك .

٩ – تَقَلُّده بعض المناصب المهمة ، مثل عضويته في هيئة كبار العلماء ، ورئاسته لقسم العقيدة في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم ، ورئاسته لجماعة تحفيظ القرآن الكريم في مدينة عنيزة ومشاركته في برنامج « نور على الدرب » الذي يذاع في المذياع ، واتصالاته الواسعة بكبار المسؤولين من أجل المصلحة العامة ، ومشاركاته في مناسبات كثيرة في أنحاء الدنيا .

١٠ – استجابته لكثير من الدعوات الموجهة إليه لإلقاء المحاضرات من كثير من مدن المملكة ، ولا سيما المدن الكبيرة التي يتردد إليها ، كالرياض وجدة ، والمدينة المنورة ، والمنطقة الشرقية ، وبعض مدن القصيم . ولا يقتصر على المساجد ، بل كان يلقي محاضراته حتى في المجمعات العسكرية ، وكان يلقي كثيراً من المحاضرات عن طريق الهاتف ، فتبث في أنحاءٍ كبيرة من العالم ولا سيما أوروبا وأمريكا .

١١ – كثرة الأشرطة العلمية التي سجلت له ، والتي وصلت إلى دول أوروبا وأمريكا وغيرها من دول الغرب ، فاستفاد منها كثير من المغتربين من الجالية العربية المسلمة ، ومتابعتهم لأشرطته بانتظام ، التي تمثل شروحاته لكثير من الكتب العلمية التي تخص طلاب العلم ، والتي شرحها شرحاً كاملاً بهذه الأشرطة مثل كتاب « التدمرية » و « فتح رب البرية » و « العقيدة الواسطية » ، كلها لشيخ الإسلام ابن تيمية ، و« العقيدة السفارينية » ، وهي منظومة للشيخ محمد بن أحمد السفاريني ، المعروفة بـ« الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية » ، وفي شرحه لكتب الأحكام مثل « بلوغ المرام » للحافظ ابن حجر ، إلا أنه لم يكمل شرحه ، و« زاد المستقنع » في فقه الإمام أحمد ، وغيرها من الكتب الكثيرة التي سجلت بالأشرطة ، وانتشرت في أقطار الدنيا يستفيد منها طلاب العلم .

١٢ – حسن توفيق الله له ببعض الطلبة النجباء ، والتلاميذ النبهاء ، والمريدين الأوفياء الذين نشروا علمه ، وأذاعوا صيته ، واعتنوا بكتبه .

١٣ – كثرة مؤلفاته التي أكثرها صغيرة الحجم ، غزيرة الفائدة ، واضحة

العبارة ، ليس فيها غموض أو تعقيد ، يفهمها العامة فضلاً عن طلبة العلم ، وكان الإقبال عليها شديداً ، وترجم بعضها إلى عدة لغات ، لا سيما الإنكليزية ، وانتشرت في أكثر بقاع الأرض ، وقد قمت بنفسي في السعي بترجمة كتابين من كتبه في العقيدة باللغة البنغالية ووزعت مجاناً على نفقة بعض المحسنين » .

(مجلة الحكمة ، العدد الثاني ، ص : ٢٣ ، نقلاً عن تلميذه الشيخ وليد بن أحمد الحسين)

ولقد قدر ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية للشيخ نجاحه الباهر ، وتقدمه الظاهر ، وأنزلوه المنزلة اللائقة به ، فلا يذهب ملك ، أو أمير ، أو وزير لمحافظة القصيم إلا ويكون من أول مهامه زيارة الشيخ في منزله ، والسرور بضيافته ، وقد منحت جائزة الملك فيصل العالمية للشيخ - رحمه الله - في عام ١٤١٤هـ ، تقديراً لجهوده ، وعرفاناً بفضله ، وإكراماً لنجاحه .

نص الجائزة :

قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية منح جائزة هذا العام ١٤١٤ هـ لخدمة الإسلام إلى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، وذكرت لجنة الاختيار في حيثيات فوز الشيخ بالجائزة ما يلي :

أولاً : تحليه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع والزهد ورحابة الصدر وقول الحق والعمل لمصلحة المسلمين ، والنصح لخاصتهم وعامتهم .

ثانياً : انتفاع الكثيرين بعلمه تدريساً وإفتاءً وتأليفاً .

ثالثاً : إلقاؤه المحاضرات العامة النافعة في مختلف مناطق المملكة .

رابعاً : مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كبيرة .

خامساً : اتباعه أسلوباً متميزاً في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتقديمه مثلاً حيّاً لمنهج السلف الصالح فكراً وسلوكاً .

هذا ما ذكرته لجنة الاختيار في حيثياتها ، ومما لا شك فيه أن الشيخ أهل لهذه الجائزة ، ولا نزكي على الله أحداً .

والله أسأل أن يمد في عمره ، ويحسن عمله ، وينفع به المسلمين عامة وطلاب العلم خاصة .

٦ - الموسوعية :

وكنت بساحة التعليم شيخاً ... إلى أفيائه تفد الوفود
تقيم أواصر الإحسان حتى ... تحققت العوائد والوعود
وعم الخير أهل العلم حباً ... وإكراماً وفائدة تعود
فقرت مقلة ، وانسر قلب ... يضمهمُ إليه ويستزيد
ويمضي السائرون على طريق ... وراءك والطريق هو السديد
طويت البيد بالسارين تعلو ... ويشحذ سعيهم هذا الصعود
فما التبست على سفر سبيل ... ولا سئمت من السارين بيد
كذا التعليم إن يرزق أمينا ... يقم لجلاله صرح مشيد
وبالفتيا أنرت بكل درب ... سراجاً ، فهْو من حِكَمٍ وقِيْدُ

فكم من حائر أرشدت حتى أرحت وكان جانبه الرقود
وكم من جاهل علمت حتى تعلم مايضر ومايفيد
وكم من سائل أبصرت حتى تبينت الضوابط والقيود
كذلك كنت في الفتيا بياناً دليلك - كلما سألوا - عتيد

كان الشيخ رحمه الله أنموذجاً بديعاً لتلك المدرسة الموسوعية الرائدة التي تأخذ العلم جملة ، وتهتم بحفظ المتون ، ثم تؤكد على بعض الفنون إلا أن الشيخ رحمه الله كان إماماً في فنون كثيرة ، وعلوم وفيرة ، فهو إمام في الفقه ، إمام في العقيدة ، إمام في التفسير ، إمام في النحو ، إمام في الأصول ، وعالم في الحديث .

كنت في النحو عالماً لا يبارى أو يجارى أذكرتنا بالكسائي
ومعان من التفاسير مثلي تتحدى معانيَ الفراء
وعرفناك واعظاً لوذعيا بات أزكى نهجاً من الإحياء
وحديثاً عن سيد الخلق يُروى كنتَ فيه كمسلم والنسائي
عطر وحي عن جابر وابن صخر ومعاذ وعن أبي الدرداء

بل لقد قرّب علوماً بعيدة ، ويسر مسائل عسيرة ، وذلل أموراً صعبة في فنون شتى . عمد إلى الفقه فسبر غوره ، وغاص في أعماقه ، فجاء منه بنبأ يقين ، وخبر جميل ، دلل وأصّل ، وشرح وفصّل ، وحلل وعلل ، نفض غبار الجمود ، وفك أواصر التقليد ، وحمل راية الحرب على التمذهب بلا دليل ، والتعصب دون حجة . نفى الزبد ، وجلا الشك ، ورفض التمحل ، وأعرض عن التعنت ، وأشاح عن التزمت .

أضاء ظلمات الآراء بوحي السماء ، وهتك دياجير الأهواء بضياء

السنة ، وأنوار الحنيفية ، قرب حدائق الفقه الغناء بعد أن أزال أشواكها ، وشذب أزهارها ، وهذب أشجارها ، ونقى أنحاءها ، وصفى أجزاءها ، وأزال غثاءها ، وأظهر بهاءها ، ثم أفاض عليها ماء الوحي ومما رزقه الله ، فإذا بها تهتز من جديد ، وتنبت من كل زوج بهيج ، وإذا فيها من كل الثمرات متشابهاً وغير متشابه ، وانظروا إن شئتم إلى ثمره حين أثمر وينعه ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

لقد أقنع وأمتع ، وأحسن ، وأبدع ، وأحكم غاية الإحكام فيما جاء به من عمدة الأحكام ، وأقبل العثيمين بالصيد الثمين ، وكذلك فعل الشيخ في علم الأصول ، إذ أتى فيه بما يسر العقول ، وألف الأصول من علم الأصول .

ثم عمد - رحمه الله - إلى كتب الحديث ومصطلحه ، فوجد تعريفات عدة ، وشروحاً شتى ، وتقريرات عجيبة ، ومسائل مهيبة ، ورأى أن ذلك العلم مع روعته وجلاله إلا أن فيه على طالب العلم عناء ، وعلى مريد الفهم لأواء ، فقربه في أحسن عبارة ، وأوجزه في أبدع إشارة ، وقدمه في أبهى حلّة .

سال رحيق قلمه فشفى الله به صدوراً عليلة ، وأنار به أفهاماً كليلة ، فجاءت كتاباته في الحديث ومصطلحه من أجمل الكتابات ، ومن أبدع الإضافات ، وأمتع الدراسات .

ثم أقبل على أصعب المسائل ، وما أتعب الأواخر والأوائل ، وتجاسر على خوض الشدائد ، وسبر أغوار كتب العقائد ، نظر إلى تركة حسنة الأيام ، وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فتضلع من معينها ، وتزود

من فنونها ، وتخرج في مدرستها ، وبعد أن امتلأ بها قلبه ، وأفعم برحيقها فؤاده ، ورسخت روائعها في ذهنه ، أضفى عليها من روحه ، فقدم عقيدة السلف بما سعد به الخلف ، ودرس كتب الفلاسفة ، وعرف دقائق النِّحل ، وأخبار الملل ، وقرأ الشبه المثارة ، والآراء المخالفة ، والأباطيل المختلقة ، ثم عاد من تلك الرحلة الشاقة ، والمسيرة المضنية ، عاد إلى أمة الإسلام بما يسر الأفهام ، ويمتع الأنام ، ويجلو الظلام ، عاد بكتاب في العقيدة تدين له النفوس ، وتشهد له العقول ، أسلوب سهل ، ومقال جزل ، وبعبارة أنيقة ، وكلمات رشيقة ، ألذ من الماء البارد على الظمأ ، وأعذب من الشهد المذاب ، من قرأها فهم خلاصة العقيدة ، ونهج نهج العقول الرشيدة ، وخرج بثمرة مفيدة أكيدة سماها (عقيدة أهل السنة والجماعة) فكانت نعم البضاعة ، مما جعل شيخه الجليل الإمام ابن باز - رحمه الله - يهتف مشيداً بالكتاب فيقول : «الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه .. أما بعد

فقد اطلعت على العقيدة القيمة الموجزة ، التي جمعها أخونا العلامة فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، وسمعتها كلها ، فألفيتها مشتملة على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته ، وفي أبواب الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وقد أجاد في جمعها وأفاد ، وذكر فيها ما يحتاجه طالب العلم وكل مسلم في إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وقد ضمّ إلى ذلك فوائد جمة تتعلق بالعقيدة ، قد لا توجد في كثير من الكتب المؤلفة في العقائد ، فجزاه الله خيراً ، وزاده من العلم والهدى ، ونفع بكتابه هذا وبسائر مؤلفاته ، وجعلنا وإيّاه وسائر إخواننا من الهداة

المهتدين الداعين إلى الله على بصيرة ؛ إنه سميع قريب .

قاله مُمليه الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن عبد الله بن باز سامحه الله ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم » .

ثم أسعد العباد بشرح لمعة الاعتقاد ، ثم اتخذ فهمه مطية ، فشرح الواسطية ، وهكذا عاش – رحمه الله – يخوض بحور العلم بحراً بحراً ، ثم يأتي إلى الأمة بأبدع ما فيها ، وأجمل معانيها ، كذلك نهجه في النحو واللغة والتفسير والفرائض والخطابة وغيرها ، روائع زاهية ، وفضائل باقية ، ومناهل صافية ، وموارد كافية ، وشروح شافية ، وأنهر بالعلم جارية ، كتبها تذكرة لتعيها قلوب داعية ، وآذان صاغية ، فنسأل الله أن يعظم له الأجر ، وأن يثبت مقامه يوم ترى كل أمة جاثية .

قد كان بين الورى شيخاً يعلمهم ... ما قاله الله بالآيات في الكتب
وما أتى عن رسول الله بينه ... علم من الفقه والتوحيد في دأب
قد كان بحراً لأهل العلم تشرعه ... إذا بغت حلية الياقوت والذهب
قد كان للناس نهراً في عذوبته ... وظل بحراً لهم في العمق والرحب
كم من علوم لأهل العلم أتقنها ... وصار فيها إمام الحق ذا الأرب
في كل فن تراه عالماً حذقاً ... ينال منها بجد أرفع الرتب
يمشي على الأرض قرآناً نشاهده ... فالآي فوق الثرى تمشي على خبب
فقد حوى صدره القرآن أجمعه ... ولم يزل في ربيع العمر لم يشب

٧ - عالم العامة :

كان الشيخ رحمه الله عالماً لعامة المسلمين ، فهو لم يكن حكراً لفئة معينة أو طبقة محددة ، أو عالماً لا يعرف إلا محبرته وأوراقه وجدران منزله ، أو مفتياً يصدر فتواه من برج عاجي ، بل امتزج بالناس واختلط بالأمة ، ومازج العامة ، يعلم ويعظ ، ويفتي ويدرس ، ويوجه وينصح ، ويعين ويساعد ، ويدعم ويساند، يحل القضايا ، ويزور المرضى ، ويسعى بالإصلاح ، ويشارك في الآلام والآمال ، ويضرب بالقدوة أحسن الأمثال بأجمل الأقوال وأصدق الأفعال .

يجاهد حتى لا يمل نهاره ... ويمسي إذا أمسى يناجي ويضرع
ولم يأل جهداً في الهداية قائماً ... يكابد فيها كل هم وينزع
يجيب على سؤل ، فيرشد حائرٌ ... ويسكن مكروب ، وينفق موسع
ويسأل عن حال الضعاف ، ويبتغي ... مسرة مكلوم يتوجع
ويدني اليتامى والأرامل كلما ... تحاشاهمُ ذو شرة ليس يشبع
ويترك للأجيال سيرة عالم ... يسير على نهج الرسول ويتبع

لقد انتفعت الأمة بجميع فئاتها ، وشتى طبقاتها بعلم الشيخ الرقراق وفهمه البراق ، وأصبح ابن عثيمين يسكن في وجدان كل مسلم ، وضمير كل مؤمن ، تذهب إلى المستشفيات فتجد المرضى يقرؤون كتبه ، ويستنيرون بفقهه ، ويعلق في غرفهم رسائل الشيخ عن كيفية طهارة المريض وصلاته ، وتنظر إلى المسافرين جواً أو بحراً أو براً فتراهم يحملون كتيبات الشيخ عن كيفية صلاة المسافر ، وتدلف إلى الجمعيات الخيرية ، والمنتديات الإسلامية فتراها تفخر بتزكيات الشيخ وتوصياته ، وتأتي إلى المدارس

والمعاهد وإذا بكتب العقيدة ، وروائع الفقه تقدم لك تحمل اسم الشيخ وتوقيعه ، وتزور كبار المسئولين ، فإذا بهم يتساءلون عن آرائه ، ويستنيرون بفتاواه ، وتسأل عن مدارس البنات ، ومنتديات المسلمات ، فإذا بالنصيب الأوفى ، والحظ الأوفر من الاهتمام بالمرأة والنصح لها ، وشرح الأحكام الفقهية المتعلقة بها قد قام بها ابن العثيمين .

وهكذا في كل المجالات وشتى القطاعات سرى عبير علم الشيخ وتدفق بحر عطائه ، لترتوي منه القلوب ، وتسعد به النفوس .

٨ - الربانية :

قال تعالى : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البُشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ [يونس : ٦٢ - ٦٤] .

قال تعالى : ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون** ﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

قالت عائشة - رضي الله عنها - : يا رسول الله ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة** ﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر ، وهو يخاف الله عز وجل ، قال : « لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » [أخرجه الترمذي] .

ويقول تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ [السجدة : ١٦] .

إذا مـــا الليل أظلم كـــابدوه   فـيـسـفـر عنهمُ وهمُ ركـوعُ
أطار الخـوف نومَـهُـمُ فـقـامـوا   وأهل الأمن في الدنيـا هجـوعُ

* كان ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام ، فقال : « يا أيها الناس اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » [رواه الترمذي وأحمد] .

لقد كان الشيخ – رحمه الله تعالى – عالماً ربانياً ، وعاملاً قرآنياً ، وصالحاً روحانياً ، عاش القرآن بآياته العظيمة ، وعبره الكريمة ، عاش الوعيد الذي يخلع القلوب ، وعاش الوعد الذي يأخذ بالألباب ، ويحرك المشاعر ، ويمتزج بالوجدان ، ثم عاش أحوال الأئمة الربانيين ، بدءاً بمحمد ﷺ إمام الأولياء الناصحين ، وقائد الغر المحجلين ، الذي قضى عمره كله لله ، علماً ، وتعليماً ، وجهاداً ، ودعوة ، وعبادة ، وتقرباً ، ومع ذلك كان يقوم الليل حتى تفطرت قدماه ، فتقول له عائشة : يا رسول الله ، أتفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فيقول ﷺ : « أفلا أكون عبداً شكورا » .

وكان يقول : « يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة » .

بيت من الطين بالقرآن تعمره   تباً لقصر منيف بات في نغم
طعامك التمر والخبز الشعير وما   عيناك تعدو إلى اللذات والنعم
تبيت والجوع يلقى فيك بغيته   إن بات غيرك عبد الشحم والتخم
لما أتتك « قم الليل » استجبت لها   العين تغفو وأما القلب لم ينم

تمسي تناجي الذي أولاك نعمته   حتى تغلغلت الأورام في القدم
أزيز صدرك في جوف الظلام سرى   ودمع عينيك مثل الهاطل العمم
الليل تسهره بالوحي تعمره   وشيبتك بهود آية «استقم»

لقد مضى الشيخ - رحمه الله - على هذا النهج النبوي الرباني الكريم ، ولم يغب عنه سيرة الخلفاء الراشدين ، والعلماء الربانيين على مر العصور ، وأن من أهم أسباب بركة علمهم ، وشيوع ذكرهم ، وعلو شأنهم : هو معرفتهم بالله ، وطاعتهم له ، وإخباتهم لجلاله .

ولقد تأثر الشيخ بتلك المدرسة السلفية الربانية تأثراً كبيراً ، فكثير من سمات النبل ، ودلائل الفضل من الله بها عليه ، وتأثر في كثير منها بأشياخه كالشيخ عبد الرحمن السعدي وشيخه الثاني الإمام عبد العزيز بن باز - رحمهما الله - حيث كانوا علماء ربانيين ، ونجباء روحانيين ، فإن الشيخ قد تعلم العلم النافع ، ثم عمل به في نفسه ، ثم علمه للآخرين ، ثم صبر على المشقة في ذلك ، وهذه صفات العالم الرباني عند أهل السنة : تعلُّمٌ وعمل وتعليم وصبر.

إن المرء تقوى طاعته ، وتعظم ولايته ، بقدر معرفته بربه ، وإيمانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وما لها من مدلولات ، وما تبثه من عظات والشيخ - رحمه الله - من أعرف الناس بالله ، بل لقد قرب للناس المعرفة الحقة بالله تعالى من خلال كتبه في العقيدة ، وشروحه المفيدة .

إن هذا العلم الغزير بالله جل وعلا وبمعاني أسمائه وصفاته ، وبكتابه وبسنة نبيه ﷺ أورث إمامنا خشية لجلال ربه ، وروعة في عموم دربه .

ومن عجبٍ أَنّي أَحنُّ إليهمُ   وأسأل عنهم من لقيتُ وهمْ معيْ

وتطلُبُهمْ عيني وهم في سوادها ويشتاقُهم قلبي وهم بين أضلعي

يقول الحسن البصري – رحمه الله – : (من عرف ربه أحبه ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، ومن خلا عن هذا الحب فلأنه اشتغل بنفسه وشهواته وذُهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته) .

وقال بعضهم : (العارف من أنس بالله فأوحشه من الخلق ، وافتقر إلى الله فأغناه عنهم ، وذل لله فأعزه فيهم ، وتواضع لله فرفعه بينهم ، واستغفر الله فأحوجهم إليه) .

ويقول الجنيد : (لا يكون العارف عارفاً حتى يكون كالأرض يطؤها البَرُّ والفاجر ، وكالسحاب يُظلُّ كل شيء ، وكالمطر يَسْقي ما يُحب وما لا يحب) .

وقال يحيى بن معاذ : (يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيئين : بكاؤه على نفسه وثناؤه على ربه) .

وقال بعضهم : (من عرف الله تعالى صفا له العيش ، وطابت له الحياة وهابه كل شيء ، وذهب عنه خوف المخلوقين ، وأنس بالله) .

وقال ابن الجوزي – رحمه الله – : (من ذاق طعم المعرفة وجد طعم المحبة ، فالرضا من جملة ثمرات المعرفة ، فإذا عرفته سبحانه رضيت بقضائه .

صحب الله راكبين إلى العز طريقاً من المخافة وعرا
شربوا الموت في الكريهة حُلواً خوف أن يشربوا من الضيم مُرّا

أنف القوم من مزاحمة الخلق في سوق الهوى ، وقوي كرب شوقهم فلم

يحتملوا حصر الدنيا ، فخرجوا إلى فضاء العز في صحراء التقوى ، وضربوا مخيم الجد في ساحة الهدى ، وتخيروا شواطىء أنهار الصدق فشرعوا فيها مشارع البكا ، وانفردوا بقلقهم فساعدهم ريم الفلا ، وترنمت بلابل بلبالهم في ظلامٍ الدجى ، فلو رأيت حزينهم لطلب الرضا على جمر الغضا ، فيا محبوساً عنهم في سجن الحرص والمنى ، إن خرجت يوماً من سجنك لترويح شجنك من غم البلوى ، عرّج بذاك الوادي) .

وباختصار فإن حياة الشيخ جميعها ، وساعات عمره كلها كانت لله ، وفي الله ، ومع الله – كما نحسبه والله حسيبه – .

لغة تنشر الرضى وبيان صادق القصد هَازِىءٌ بالرياء
همة تبلغ الثريا وبذل لا يجارى في روعة ومضاء
زاهد صادق المشاعر بالحب بعيدٌ عن مسرح الضوضاء
قدس العلم عن غرور التباهي أو مسيرٍ في موكب الأهواء
ليس يغريه بهرج أو مديح أو فنونٌ من واحة الإطراء
واحتمى بالدليل عن كل زيفٍ فتبدّى في رفعةٍ واهتداء

٩ - الدعوة إلى الله :

بالرغم من ثبات الشيخ الأكيد ، وحرصه المجيد على الدروس المقامة بمسجده بمدينة عنيزة وملازمته المستمرة قدر الإمكان لمقر إقامته ، وموطن إشعاع نوره للدنيا فإنه مع ذلك لم يكن مكتفياً بذلك ، مقتنعاً بما هنالك ، بل يطوف المدن ، ويزور القرى ، ويسافر للهجر ، ويحضر المحافل ، ويشارك في المؤتمرات ، ويشهد المناسبات ، ويقيم المحاضرات ، ويدير الندوات ،

ويعمر المنتديات .

يدعو إلى الله ، وينشر هدايته في أسلوب ماتع ، ونهج ناصع ،وعلم نافع ، وهو بذلك يؤكد أن بركة العلم في الدنيا والآخرة هي في العمل به ، وتعميم هدايته ، وتوسع إضاءته ، وما تلك النضارة لوجهه – رحمه الله – إلا ببركة دعوة النبي ﷺ ، حيث قال : « نضر الله امرأ سمع مقالتي ، فوعاها ، ثم بلغها عني ، فربَّ حامل فقه غير فقيه ، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه » . [رواه أحمد عن أنس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٦٥)]

هذه دعوة ميمونة لمن بلغ مقالة ، أو جاد بحديث ، أو علم جملة ، فكيف بمن قضى عمراً مديداً ، وعاش دهراً رشيداً يبلغ عن الله ورسوله ﷺ في حب وإخلاص ، وعزم وإصرار ، وثبات ويقين؟!! .

لقد أعطاه الله المرتبة الحسنى في الدنيا والآخرة ، نسأل الله له الحسنى وزيادة في الجنة فإنه لا أحسن ممن دعا إلى الله وعمل بعلمه : ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾ .

يقول الشيخ – رحمه الله – : « لا بد من العمل بالعلم ؛ لأن ثمرة العلم العمل ؛ لأنه إذا لم يعمل بعلمه صار من أول من تُسعّر بهم النار يوم القيامة .

وعالم بعلمه لم يعملَنْ معذب من قبل عبّاد الوثن

فإذا لم يعمل بعلمه أورث الفشل في العلم وعدم البركة ، ونسيان العلم لقول الله تعالى : ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به** ﴾ .

وهذا النسيان يشمل النسيان الذهني ، والنسيان العملي ، قد يكون بمعنى ينسونه ذهنياً أو ينسونه يتركونه ، لأن النسيان في اللغة العربية يطلق بمعنى الترك ، أما إذا عمل الإنسان بعلمه فإن الله تعالى يزيده هدى ، قال تعالى : ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى** ﴾ ، ويزيده تقوى ، ولهذا قال : ﴿ **وآتاهم تقواهم** ﴾ .

إذا عمل بعلمه ورثه الله علم ما لم يعلم ، ولهذا قال بعض السلف : العلم يهتف بالعمل فإن أجابه حل وإلا ارتحل» . (كتاب العلم ، ص : ٢٠٠)

قضى الليالي مع الأيام منهمكاً ... في دعوة الله لا يشكو من التعب
كم منبر قد علاه كي يحدثنا ... وكم تلا من أحاديث ومن خطب
دعا إلى الله في صبر بلا كلل ... فلم يكن عاجزاً يوماً ولم يهب
كم صد بالحق أقوالاً مكفرة ... كم انبرى ضد أهل الشك والريب
قد كان لم يخش في الرحمن لائمة ... وإن أتى اللوم في شتم وفي عتب
إذا ألمت بأهل الأرض فاجعة ... بدا كبدر تجلى من علا السحب
يضفي على الناس في أقواله أملاً ... ويبعث البلسم الشافي من النوب
تا الله ما كان يرجو غير مغفرة ... ولم يكن يرتجي شيئاً من النشب

لقد كانت الدعوة إلى الله تعالى شغل الشيخ الشاغل ، امتزجت بدمائه ، ومشت في عروقه ، وسكنت في وجدانه ، وهو وإن لم يسافر إلى خارج المملكة إلا مرة واحدة للعلاج ، إلا أنه كان يصل إلى أنحاء الدنيا بكتبه وأشرطته ، وكانت المراكز الإسلامية في أنحاء الأرض تقيم محاضرات دائمة للشيخ عن طريق الهاتف .

ومن مناشط الشيخ الدعوية الكثيرة مشاركاته المستمرة عبر إذاعة القرآن الكريم في برامج كثيرة ، مثل برنامج : « فقه العبادات » و « نور على الدرب » و « من أحكام القرآن » و « سؤال على الهاتف » ، وغير ذلك .

١٠ - العالمية الرائدة :

كان الشيخ رحمه الله عالمياً في نظرته ، عالمياً في دعوته ، عالمياً في علمه وفتواه ، أحبته الدنيا ، ودانت له الأقطار ، واحترمت علمه الأمصار ، شرقت كتبه وغربت ، عبرت البحار ، وجاوزت الأنهار ، وبلغت ما بلغ الليل والنهار .

وكان يشارك المسلمين في أنحاء الدنيا في كل ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم ، ولقد أسهمت فتاواه المتعددة ، ومواقفه المتفوقة في وقوف المسلمين جنباً إلى جنب مع إخوانهم المنكوبين في أنحاء الدنيا ، بل إن جميع الجميعات الخيرية ، وشتى المؤسسات الدعوية تحرص غاية الحرص أن يكون لديها تزكية أو توصية من الشيخ – رحمه الله – ليقوى موقفها ، وتدعم مشاريعها .

سيذكرك المستضعفون جميعهم ... ويذكرك المضطر ما مسه ضر
سيذكرك الإحسان والعدل والهدى ... وتذكرك الجلَّى إذا حزب الأمر
رحلت وفي أعماقنا ألف لوعة ... وألف حنين لا يكفكفه صبر
رحلت وفي ساحاتنا ألف نكبة ... وألف مصاب إذ مصائبنا كثر
على قمم الأفْغان يُخْزى جهادنا ... ويسوَدُّ طهر عاث في ساحه غدر

وتجـري دمـانا في الجـزائر أنهـراً ومنا وفينا – ويحنا – القتل والنحر
وفي كوسوفا نمحى وتسبى نساؤنا ويرهبنا صـرب هم الغل والكفـر
وفي القدس ويح القدس أين صلاحها أمـا آن أن يجلو دياجيـرها البـدر
أضعنا الهدى يا سيدي فتقطعت عـــــرانا وأردانا بـأرزائه الدهـر

ومواقف الشيخ – رحمه الله – مع المسلمين عديدة ، ومشاركاته عظيمة ، ولكنني أكتفي بشاهدين اثنين من ذلك تجلي لك الحرقة التي كان يعيشها الشيخ لأي مسلم تحل به كارثة أو تنزل به مصيبة .

استمع إليه يتحدث عن قضية المسلمين في البوسنة ، فيقول : «لكن مع الأسف كما ترون اليوم المسلمين متخاذلين ، ليس عندهم من القوة والعزيمة ما يدافعون به عن أنفسهم .

ولا أدل على ذلك مما نحن فيه اليوم ، ففي بلاد الإسلام اليوم من تنتهك أعراضهم ، وتهدم مساجدهم ، وتغنم أموالهم ، وتسبى ذريتهم من قبل النصارى ، ونحن أمة لا نتكلم بما يجب علينا أن نتكلم به ، وما يفعل بالمسلمين اليوم في البوسنة أمر يفطر الأكباد في الواقع ، فلو أن الإنسان منا تصور – لا قدر الله علينا إلا الخير – أن عدوه على أشراف المدينة أو دخل المدينة ، وأن صبيانه وفتياته الصغار ينادون جاءنا الصرب ، جاءنا الصرب ، ويبكون من هول ذلك المشهد ، وهو قد تقطع كبده دماً لكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً ، فهل نحن نشعر بهذا الشعور الآن؟ أبداً ، كل واحد منا على فراشه مع أهله ، ولا كأن شيئاً يجري على إخوانه .

فالنصارى ليسوا أعداء للبوسنة فقط ، وليس نصارى البوسنة هم الأعداء فقط ، النصارى أعداء لكل مسلم في كل بلاد الله ، سواء كانوا من

صرب البوسنة أم من غيرهم ، لكن مع الأسف كثير من المسلمين يجهلون ذلك ، والله إن الإنسان أحياناً لا ينام سريعاً كما ينام في العادة إذا تذكر هؤلاء الإخوان المحصورين على يد هؤلاء الصرب المعتدين الظالمين .

ثم لننظر في موقف الأمم المتحدة ، ماذا صنعت؟ صارت أذل شيء في هذه الحرب ، فالصرب يدخلون على الدبابات والأسلحة التي في حيازة الأمم المتحدة يدخلون وفيها الحراس ، ثم يأخذونها يقاتلون بها المسلمين ، ولا سمعنا أحداً رفع صوته مدوياً من رؤساء المسلمين ينكر هذا الفعل ، فأين التناصر بين المسلمين؟ أين الجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر؟ وكيف يمكن أن نُنصر ونحن متخاذلون هذا التخاذل؟ .

فأنت إذا دعوت الله بنصر المسلمين ودعوته بنصر الإسلام فإنك تدعو الله تعالى أن يهيىء المسلمين إلى حال يكونون فيها أهلاً للنصر ، فنسأل الله تعالى أن يعيد لنا عزنا ومجدنا ، وأن يصلح ولاة أمور المسلمين حتى يكونوا كما أوجب الله عليهم ، فالمسلمون اليوم ألف مليون أو أكثر ، ومع ذلك كما ترون فإنهم أمة ضعيفة مهينة لا تملك شيئاً من أمر نفسها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

ثم سأل الشيخ السؤال التالي : ماذ نعمل الآن من أجل دعم إخواننا في البوسة ، خاصة وأن باب الجهاد لم يفتح حتى اليوم ، وهل نكون مقصرين إذا متنا دون أن نجاهد أعداء الإسلام؟

فيجيب فضيلته قائلاً : « العمل – بارك الله فيك – أن يكون الإنسان مستعداً ، وينوي نية جازمة أنه لو حصل دعوة للجهاد بالمال أو بالنفس ،

فإنه يلبي ويجيب داعي الله ، ويكون بهذا قد حدث نفسه بالغزو ، حتى لا يموت على شعبة من النفاق .

وأيضاً أنا أوصيكم أن تكثروا من الدعاء أن يسلط الله سبحانه وتعالى على هؤلاء الصرب المعتدين جنداً من جنده ، وأن ينزل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، وأن يشتت شملهم ، ويفرق جمعهم ، ويهزم جندهم ، وأن يجعل بأسهم بينهم شديداً إلى غير ذلك من الأدعية ، وتستعينون الله عليهم ، اللهم إننا نستعينك على هؤلاء ، وتدعون الله تعالى أن يثبت إخواننا في البوسنة على مقابلة هؤلاء الأعداء ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى قد ثبتهم لكانوا راحوا بالأمس ، لأن سلاح أعدائهم وشراستهم أكثر بكثير مما عندهم .

إخواننا في البوسة مجردون من السلاح كما هو معلوم ، وهؤلاء عندهم الأسلحة ما يعد الثالث أو الرابع في الدنيا كلها ، ولكن الله ثبت إخواننا ، ولا شك أن هذا – إن الله شاء تعالى – من كرامة الله لهم ، وأن الله تعالى سيأخذ بأيديهم ؛ لأن الله تعالى قال لرسوله ﷺ : ﴿ **فاصبر إن العاقبة للمتقين** ﴾ .

ولكن أوصيكم بالدعاء في كل مناسبة ؛ في السجود ، بين الأذان والإقامة ، في آخر الليل ، في كل وقت ، واجعلوا قلوبكم معهم ، واشعروا بشعورهم أو أكثر ، هم إخوانكم ، ثم إنهم يواجهون اليوم قوماً كفرة من أهل الشرك والتثليث ، أما القنوت فإنه راجع لولاة الأمر ، لكننا نحن نقنت فيما بيننا وبين أنفسنا ، فلا أحد يمنعنا من ذلك » .

(لقاء الباب المفتوح ، ١١٦/ ٥١– ٦٠)

أما الشاهد الثاني فهو عن قضية المسلمين الكبرى ، قضية فلسطين ، وللشيخ – رحمه الله – مواقف كثيرة ومتنوعة حول ما حل بالمسلمين من احتلال اليهود وغدرهم وخيانتهم ، وكان لا يألو جهداً في الحديث عن قضيتهم والدعاء لهم ، و إسداء النصائح الثمينة ، واستمع إليه – رحمه الله – يبين بعض أسباب هزيمة المسلمين ، وبعض عوامل النصر التي يجب الأخذ بها لتحقيق النصر ، وإعادة المجد ، ورد الكرامة .

يقول – رحمه الله – : «إننا إذا نظرنا إلى تسليط هؤلاء اليهود على العرب وجدناه من عند أنفسهم ، كما قال الله تعالى في الجواب على سؤال المصابين يوم أحد : ﴿ **أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم** ﴾ ثم ختم الآية بقوله : ﴿ **إن الله على كل شيء قدير** ﴾ إشارة إلى أنه قادر على أخذ أعدائهم ، فهل تدرون ما هذا الذي كان من عند أنفسهم . إنها معصية واحدة في أمر تنظيمي كانت من أسباب هذه المصيبة ، فلو تصورنا حال العرب اليوم تصوراً صريحاً وحكمنا حكماً عدلاً مبنياً على العقل بعيداً عن تيارات العاطفة لوجدنا في العرب اليوم ما هو من أكبر أسباب الخذلان والهزيمة .

ففي العرب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، وفي العرب من يشرك بالله بدعاء المخلوقين وتعظيمهم والتعلق بهم ، كما يفعل ذلك في الله عز وجل ، وفي العرب من لا يقيم الصلاة ، ولا يؤتي الزكاة ، وفي العرب من لا يصوم رمضان ولا يحج البيت ، وفي العرب من يحكم بغير ما أنزل الله ، ويرى أن الحكم بما أنزل الله قد انتهى وقته ، وانقرض أهله ، وأنه غير صالح لهذا العصر ، وفي العرب من تباع الخمور في أسواقهم ، وتشرب علانية ، كما حدثني بذلك من أثق به ، وفي العرب من لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن

المنكر ، وفي العرب من لا يقيم الحدود التي أوجب الله في الجرائم ، ويرى أن ذلك همجية ووحشية ، إلى غير ذلك من المعاصي والمنكرات .

فإذا كانت معصية واحدة من بعض المجاهدين في غزوة أحد من أسباب مصيبة الهزيمة ، فما بالكم أيها الإخوة بهذه الفظائع التي توجد في بعض البلاد العربية اليوم .

إن الطمع في النصر بدون وجود أسبابه طمع في غير محله ، إنه كالطمع في الأولاد بدون نكاح ، وكالطمع في الأشجار بدون غرس ، أو في ربح التجارة بدون اتجار .

إننا متى صدقنا الله تعالى في الجهاد في سبيله فكان قتالنا لتكون كلمة الله هي العليا ، وشريعته هي الحكم ، فنقيم على أرض الله تعالى دولة إيمانية تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعمل صالحاً ، فتقوم بأمر الله وتحكم بشريعة الله ، وتوالي من والى الله ورسوله ، وتعادي من عادى الله ورسوله وتتمشى في ظاهرها وباطنها على ما مشى عليه عباد الله الصالحون من سلف هذه الأمة ، فستكون العاقبة لنا ، وسيورثنا الله أرضهم وديارهم وأموالهم ، كما ورثها سلف هذه الأمة : ﴿ **وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا** ﴾ ، ﴿ **إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** ﴾ ، ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين** ﴾ » .

(الضياء اللامع ، ص : ٣٧٢)

ثم يصعد – رحمه الله – في يوم من الأيام على منبره وهو يتوقد إيماناً ويتدفق غيرة ، ويحترق أسى ، ويتمزق لوعة للحال التي وصل إليها المسجد

الأقصى ، فيهز القلوب ، ويوقظ الأفئدة ، ويلهب الضمائر ، ويحرك المشاعر بخطبة تاريخية توثيقية إيمانية حماسية بديعة ، فيقول : « أيها الناس .. مضى على احتلال اليهود للمسجد الأقصى أكثر من ثماني سنوات وهم يعثيون به فساداً وبأهله عذاباً ، وفي هذه الأيام أصدرت محكمة يهودية حكماً بجواز تعبد اليهود في نفس المسجد الأقصى ، ومعنى هذا الحكم الطاغوتي إظهار شعائر الكفر في مسجد من أعظم المساجد الإسلامية حرمة إنه المسجد الذي أسري برسول الله ﷺ إليه ، ليعرج من هناك إلى السموات العلى إلى الله جل وتقدس وعلا . إنه لثاني مسجد وضع في الأرض لعبادة الله وتوحيده ، ففي الصحيحين عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال : قلت يا رسول الله : أي مسجد وضع في الأرض أول ، قال : « المسجد الحرام » ، قلت ثم أي ، قال : « المسجد الأقصى » ، قلت كم بينهما ، قال : « أربعون سنة » .

إنه لثالث المساجد المعظمة في الإسلام التي تشد الرحال إليها لطاعة الله ، وطلب المزيد من فضله وكرمه ، قال النبي ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى » .

إنه المسجد الذي يقع في الأض المقدسة المباركة ، مقر أبي الأنبياء إبراهيم وبنيه سوى إسماعيل . مقر إسحاق ويعقوب إلى أن خرج وبنيه إلى يوسف في أرض مصر ، فبقوا هنالك حتى صاروا أمة بجانب الأقباط الذين يسومونهم سوء العذاب ، حتى خرج بهم موسى ﷺ فراراً منهم .

وقد ذكّر الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل بهذه النعمة الكبيرة ،

وذكّرهم موسى نعم الله تعالى عليهم بذلك وبغيره . إذ جعل فيهم أنبياء ، وجعلهم ملوكاً ، وآتاهم مالم يؤت أحد من العالمين في وقتهم ، وأمرهم بجهاد الجبابرة الذين استولوا على الأرض المقدسة ، وبشرهم بالنصر ، حيث قال : ﴿ **يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم** ﴾ ، وإنما كتبها الله لهم لأنهم في ذلك الوقت أحق الناس بها ، حيث هم أهل الإيمان والصلاح والشريعة القائمة : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون * إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين** ﴾ .

ولكنهم نكلوا عن الجهاد : ﴿ **قالوا إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها** ﴾ ، وقالوا : ﴿ **يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون** ﴾ .

ولنكولهم عن الجهاد ومواجهتهم نبيهم بهذا الكلام النافر حرم الله عليهم الأرض المقدسة ، فتاهوا في الأرض ما بين مصر والشام أربعين سنة لا يهتدون سبيلاً حتى مات أكثرهم أو كلهم إلا من ولد في التيه ، فمات هارون وموسى عليهما السلام ، وخلفهما يوشع فيمن بقي من بني إسرائيل من النشء الجديد ، وفتح الله عليهم الأرض المقدسة ، وبقوا فيها حتى آل الأمر إلى داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ، فجددا بناء بيت المقدس ، وكان يعقوب قد بناه قبل ذلك .

ولما عتا بنو إسرائيل عن أمر ربهم وعصوا رسله سلط الله عليهم ملكاً من الفرس يقال له بُختنصر ، فدمر بلادهم وبددهم قتلاً وأسراً وتشريداً ، وخرّب بيت المقدس للمرة الأولى ، ثم اقتضت حكمة الله عز وجل بعد انتقامه من بني إسرائيل أن يعودوا إلى الأرض المقدسة وينشؤوا نشأً جديداً ،

وأمدهم بأموال وبنين وجعلهم أكثر نفيراً ، فنسوا ما جرى عليهم ، وكفروا بالله ورسوله ﴿ **كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون** ﴾ ، فسلط الله عليهم بعض ملوك الفرس والروم مرة ثانية ، واحتلوا بلادهم ، وأذاقوهم العذاب ، وخربوا بيت المقدس ، وتبروا ما علو تتبيرا.

كل هذا بسبب ما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله عز وجل ورسله عليهم الصلاة والسلام : ﴿ **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون** ﴾ .

ثم بقي المسجد الأقصى بيد النصارى من الروم من قبل بعثة النبي ﷺ بنحو ثلاثمائة سنة حتى أنقذه الله من أيديهم بالفتح الإسلامي على يد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في السنة الخامسة عشرة من الهجرة ، فصار المسجد الأقصى بيد أهله ووارثيه بحق وهم المسلمون : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ .

وبقي في أيدي المسلمين حتى استولى عليه النصارى من الفرنج أيام الحروب الصليبية في الثالث والعشرين من شعبان سنة ٤٩٢ هـ فدخلوا القدس في نحو مليون مقاتل ، وقتلوا من المسلمين نحو ستين ألفاً ، ودخلوا المسجد ، واستولوا على ما فيه من ذهب وفضة ، وكان يوماً عصيباً على المسلمين .

أظهر النصارى شعائرهم في المسجد الأقصى ، فنصبوا الصليب ،

وضربوا الناقوس ، وحلت فيه عقيدة إن الله ثالث ثلاثة - أن الله هو المسيح ابن مريم والمسيح ابن الله - وهذا والله من أكبر الفتن ، وأعظم المحن ، وبقي النصارى في احتلال المسجد الأقصى أكثر من تسعين سنة حتى استنقذه الله من أيديهم على يد صلاح الدين الأيوبي يوسف بن أيوب رحمه الله في ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ وكان فتحاً مبيناً ويوماً عظيماً مشهوداً ، أعاد الله فيه إلى المسجد الأقصى كرامته ، وكسرت الصلبان ، ونودي فيه بالأذان وأعلنت فيه عبادة الواحد الديان .

ثم إن النصارى أعادوا الكرة على المسلمين ، وضيقوا على الملك الكامل ابن أخي صلاح الدين ، فصالحهم على أن يعيد إليهم بيت المقدس ويخلوا بينه وبين البلاد الأخرى وذلك في ربيع الآخر سنة ٦٢٦ هـ ، فعادت دولة الصليب على المسجد الأقصى مرة أخرى ، وكان أمر الله مفعولاً .

واستمرت أيدي النصارى عليه حتى استنقذه الملك الصالح أيوب ابن أخي الكامل سنة ٦٤٢ هـ ، وبقي في أيدي المسلمين .

وفي ربيع الأول سنة ١٣٧٨ هـ ، احتله اليهود أعداء الله ورسوله بمعونة أوليائهم من النصارى ، ولا يزال تحت سيطرتهم ، ولن يتخلوا عنه ، وقد قالت رئيسة وزرائهم فيما بلغنا : إن كان من الجائز أن تتنازل إسرائيل عن تل أبيب ، فليس من الجائز أن تتنازل عن أورشليم القدس . نعم لن تتنازل إسرائيل عن القدس إلا بالقوة ، ولا قوة إلا بنصر من الله عز وجل ، ولا نصر من الله إلا بعد أن ننصره : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ .

وإن نصرنا لله لا يكون بالأقوال البراقة ، والخطب الرنانة التي تحول

القضية إلى قضية سياسية ، وهزيمة مادية ، ومشكلة إقليمية ، وإنها والله لمشكلة دينية إسلامية للعالم الإسلامي كله .

إن نصر الله عز وجل لا يكون إلا بالإخلاص له والتمسك بدينه ظاهراً وباطناً ، والاستعانة به ، وإعداد القوة المعنوية والحسية بكل ما نستطيع ، ثم القتال لتكون كلمة الله هي العليا ، وتطهير بيوته من رجس أعدائه .

أما أن نحاول طرد أعدائنا من بلادنا ثم نسكنهم قلوبنا بالميل إلى منحرف أفكارهم ، والتلطخ بسافل أخلاقهم ، أما أن نحاول طردهم من بلادنا ثم يلاحقهم رجال مستقبل أمتنا يتجرعون أو يستمرئون صديد أفكارهم ، ثم يرجعون يتقيؤونه بيننا . أما أن نحاول طردهم من بلادنا ثم نستقبل ما يرد منهم من أفلام فاتنة ، وصحف مضلة . أما أن نحاول طردهم من بلادنا مع ممارسة هذه الأمور ، فذلك التناقض البين ، والمسلك غير السليم ، والفجوة السحيقة بيننا وبين النصر : ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ .

صلى الله على رسوله وسلم ، لقد صلى غداة فتح مكة ثماني ركعات ، إما شكراً لله تعالى على الفتح خاصة ، أو تعبداً بصلاة الضحى ، والعبادة من الشكر ، وهكذا حال الفاتحين في الإسلام يعقبون الفتح بالشكر والتقوى ، فاتقوا الله أيها المسلمون ، وأنيبوا إلى ربكم ، وأقيموا شريعته ، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين .

اللهم انصر الإسلام والمسلمين ، وطهر المسجد الأقصى من اليهود والنصارى والمنافقين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك جواد كريم » . (الضياء اللامع ، ص : ٦٦٢)

ويقول الشيخ الدكتور إبراهيم الدويش أحد تلاميذه في مقاله المرفق : « كان يسأل دائماً عن أخبار المسلمين ، وكان متابعاً لأخبار الشيشان أولاً بأول ، وكان متابعاً لأحداث فلسطين من بدايتها ، ومن قرأ في كتاب الضياء اللامع في الخطب الجوامع عرف اهتمام الشيخ بالقضية من بدايتها ، ولما علم بأحداث فلسطين الأخيرة وهو على فراش المرض تأثر تأثراً كثيراً ، ومن سمع شيئاً من دروسه الأخيرة بالحرم علم متابعة الشيخ لأحداث الساحة ، خاصة ما يتعلق بالأسرة والمرأة ، ولما كنت في زيارته أثناء مرضه كان يوصي بالدعوة إلى الله والصبر والتحمل ، وعلم أني مسافر لإحدى الدول العربية للمشاركة في مؤتمر خاص بالقرآن والعناية به ، ففرح كثيراً ، وقال : سلم لي على الأمير فلان ، واشكره نيابة عني على مثل هذه المناشط ، وقل له : أكثروا منها ، وهذا ما سينفعكم عند الله .. إلخ وصيته للمسؤول الأول عن المسابقة ، بل قال لي : يا ليتني كنت قادراً فأتصل عليه وأشكره وأوصيه بنفسي ، وكنت أتعجب من حماس الشيخ ونسيانه لآلامه في هذه اللحظات ، وهكذا كان حمل همه للدعوة فوق كل شيء حتى صحته وحالته » .

وإليك قصة طريفة تؤكد عالمية الشيخ وذيوع صيته – رحمه الله – يرويها الشيخ أحمد الحمدان في مقاله المرفق ، فيقول : « وفي حج عام ١٤١٦ هـ كنت مرافقاً لسماحته وهو يزور الحجاج – كعادته في كل سنة – يسلم عليهم ويحدثهم ويجيب على أسئلتهم في مطار الملك عبد العزيز بجدة ، ودخلنا صالة استقبال كان فيها حجاج من جمهورية من الجمهوريات الإسلامية التي كانت تحت الحكم الروسي ، وكان أصغرهم سناً قد بلغ الستين ، وليس فيهم من يتكلم العربية ، فسأل الشيخ إن كان معهم

مترجمٌ يترجم كلامه إليهم ، فلم نجد إلا شاباً سعودياً كان في استقبالهم يتحدث بلسانهم ، طلبنا منه أن يترجم كلام الشيخ فوافق ، وأخذ الشيخ يتحدث والشاب يترجم ، وفي أثناء حديثه دخل شاب يركض – علمنا فيما بعد أنه مرشد الحملة – وإذا به يتحدث العربية بطلاقة ، وطلب أن يقوم بالترجمة ، وأخذ مكبر الصوت ، وهو لا يعلم من هو الشيخ ، حتى فرغ الشيخ من حديثه ثم جاء يسلم فقلنا له : هذا الشيخ محمد العثيمين ، وإذا بالشاب ينظر إلى الشيخ باستغراب ، وقد اتسعت حدقتا عينيه ، وقال : الشيخ محمد بن صالح العثيمين! فاستغربنا من معرفته لاسم الشيخ ، وقلنا : نعم ، وإذا به يضم الشيخ بذراعيه ، وأخذت الدموع تنهال من عينيه ، وهو يقول : الشيخ محمد العثيمين!! ويكرر اسمه فرحاً ، ثم ما لبث أن أخذ مكبر الصوت ، ونادى في أفراد الحملة بكلام لم نفهم منه سوى ترديده لاسم الشيخ ، وكانت المفاجأة أكبر عندما أخذ أفراد الحملة يبكون ، وارتفعت أصواتهم وهم يرددون اسم الشيخ : الشيخ العثيمين ، وقال الشاب يا شيخ هؤلاء كلهم طلابك ، هؤلاء كانوا يدرسون كتبك في الأقبية تحت الأرض لما كان تعليم الإسلام عندنا ممنوعاً ، وهم في شوق للسلام عليك ، فهل تأذن لهم ، وأذن لهم الشيخ فأقبلوا يقبلونه ، يقبلون رأسه ويديه وهم يبكون ، ويرددون اسمه ، فكان من أشد المواقف تأثراً ، وما أعلم من بقي في ذلك المكان إلا وبكى تأثراً بما رأى وسمع » .

ويقول فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس إمام وخطيب المسجد الحرام في مقاله المرفق : « أذكر أني مرة في إحدى الدول الغربية دخلت أحد المراكز الإسلامية ، وفيه مكتبة متواضعة فإذا أنا بمجموعة من طلاب العلم في هاتيك الديار من محبي الشيخ – رحمه الله – وهم لم يروه

وقد عكفوا على كتبه ومؤلفاته ورسائله يقرؤونها ، ويبذلون جهدهم في ترجمتها بلغتهم ، فقلت : سبحان الله الذي كتب لشيخنا القبول حتى في مجاهل الغرب وأقاصي الدنيا ، ولقد بشرته بذلك فسر كثيراً ، وهذا من عاجل بشرى المؤمن ، وقد كان يسألني عن أحوال المسلمين في الدول التي أزورها ، ويشكرني على الاستمرار في ذلك ، فجزاه الله عني خير الجزاء لما لمست منه شخصياً من تشجيع أبوي ، وتوجيه تربوي ، جعله الله في موازينه ، وأعانني على رد جميله دعاء ووفاء » .

١١ - طاعة ولاة الأمر :

يقول تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم * فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا** ﴾ .

عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال : « دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، قال : إلا أن تروا كفراً بواحاً ، عندكم من الله فيه برهان » .

قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث : « ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمر في ولايتهم ، ولا تعترضوا عليهم ، إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم ، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين ، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته ، وأجمع أهل

السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق ، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل ، وحكي عن المعتزلة أيضاً فغلط من قائله ، مخالف للإجماع ، قال العلماء : وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه هو ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه » . (شرح صحيح مسلم للإمام النووي ، جـ١٢، ص : ٢٢٩)

ويقول ﷺ : « الدين النصيحة » قالوا : لمن يا رسول الله؟ قال : « لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم » . [رواه مسلم برقم (٥٥) عن تميم بن أوس الداري]

كان الشيخ رحمه الله سامعاً لولاة الأمر ، مطيعاً لهم ، ناصحاً إياهم ، مضى في ذلك على منهاج السلف ، وهو المنهاج الذي سار به مشايخه ، وتبناه مربوه ، فأخذ بنهجهم ، ومضى على إثرهم ، لعلمه ومعرفته أن ذلك هو الطريق الأسلم ، والمنهاج الأحكم ، فهو ينطلق من أسس ثابتة ، ونظرة شرعية متعمقة ، يوازن بين المصالح والمفاسد ، ويحرص على لم الشمل وجمع القلوب ودرء الفتن .

يقول شيخه الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – : « وأمر سبحانه وتعالى بطاعة أولي الأمر ، وهم الولاة على الناس من الأمراء والحكام والمفتين ، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم طاعة لله ، ورغبة فيما عنده ، ولكن بشرط أن لا يأمروا بمعصية ، فإن أمروا بذلك ؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم ، وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله ، ومن يطعه فقد أطاع الله ، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية » .

(تفسير ابن سعدي ٢ / ٨٩)

ويقول – رحمه الله – : « وأما النصيحة لأئمة المسلمين وهم ولاتهم من السلطان الأعظم إلى الأمير إلى القاضي إلى جميع من لهم ولاية صغيرة أو كبيرة فهؤلاء لما كانت مهماتهم وواجباتهم أعظم من غيرهم ، وجب لهم من النصيحة بحسب مراتبهم ومقاماتهم ، وذلك باعتقاد إمامتهم والاعتراف بولايتهم ، ووجوب طاعتهم بالمعروف ، وعدم الخروج عليهم ، وحث الرعية على طاعتهم ، ولزوم أمرهم الذي لا يخالف أمر الله ورسوله ، وبذل ما يستطيع الإنسان من نصيحتهم ، وتوضيح ما خفي عليهم فيما يحتاجون إليه في رعايتهم كل أحد بحسب حالته ، والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق ، فإن صلاحهم صلاح لرعيتهم ، واجتناب سبهم والقدح فيهم ، وإشاعة مثالبهم ، فإن في ذلك شراً وفساداً كبيراً ، فمن نصيحتهم الحذر والتحذير من ذلك ، وعلى من رأى منهم ما لا يحل ؛ أن ينبههم سراً لا علناً بلطف وعبارة تليق بالمقام ، ويحصل بها المقصود ، فإن هذا مطلوب في حق كل أحد ، وبالأخص ولاة الأمر ، فإن تنبيههم على هذا الوجه فيه خير كثير وذلك علامة الصدق والإخلاص . واحذر أيها الناصح لهم على هذا الوجه المحمود أن تفسد نصيحتك بالتمدح عند الناس ، فتقول لهم : إني نصحتهم وقلت وقلت ، فإن هذا عنوان الرياء وعلامة ضعف الإخلاص ، وفيه أضرار أخرى معروفة » . (الرياض الناضرة ، ص : ٤٩ – ٥٠)

وهذا هو شيخه الثاني الإمام ابن باز – رحمه الله – يقول : « ونحن بحمد الله في دولة إسلامية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو إلى الله عز وجل وتحكم شرعه ، فالواجب التعاون معها على الخير وعلى إزالة ما يوجد من الشر بالطرق الحكيمة والأسلوب الحسن مع الإخلاص لله سبحانه والصدق في العمل وعلاج الأوضاع المحتاجة إلى العلاج بالطرق الشرعية

حسب الطاقة فيما بيننا وبين ولاة الأمور وفقهم الله بالمكاتبة والمشافهة وبالتعاون مع العلماء بالمناصحة لهم ، وهكذا يجب على الدعاة إلى الله سبحانه في جميع الدول أن يعالجوا الأوضاع المخالفة للشرع المطهر بالحكمة والموعظة الحسنة والأسلوب الحسن ، ويتعاونوا مع المسئولين على الخير ويتواصوا بالحق مع الرفق والتعاون مع الدولة بالحكمة حتى لا يؤذى الدعاة ، وحتى لا تعطل الدعوة ، فالحكمة في الدعوة بالأسلوب الحسن وبالتعاون على البر والتقوى هي الطريق إلى إزالة المنكر أو تقليله وتخفيف الشر ، ومن أهم ذلك الدعوة إلى تحكيم الشريعة الإسلامية ، فهذا هو الطريق إلى العلاج والإصلاح ولو لم يحصل المطلوب كله لكن يحصل بعض الخير والتجاوب من الحكومة التي ينكرون عليها فيقل الشر ويكثر الخير» .

(الفتاوى ، جـ٧ ، ص : ٢٩٩)

ولقد عني الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – بهذا الأمر عناية فائقة ، وأكد عليه في مناسبات عدة ، ومؤلفات مختلفة لخوفه – رحمه الله – من اندفاع كثير من الشباب وتهورهم في أمور لا تحمد عقباها ، فكان يصدع برأيه بكل قوة ووضوح ، وجلاء وبيان ، يقول – رحمه الله – : «وأما النصيحة لأئمة المسلمين فهو صدق الولاء لهم ، وإرشادهم لما فيه خير الأمة في دينها ودنياها ، ومساعدتهم في إقامة ذلك ، والسمع والطاعة لأوامرهم ما لم يأمروا بمعصية الله ، واعتقاد أنهم أئمة متبوعون فيما أمروا له ؛ لأن ضد ذلك هو الغش والعناد لأوامرهم ، والتفرق والفوضى التي لا نهاية لها ، فإنه لو جاز لكل واحد أن يركب رأسه ، وأن يعتز برأيه ، ويعتقد أنه هو المسدد للصواب ، وهو المحنك الذي لا يدانيه أحد ؛ لزم من ذلك الفوضى والتفرق والتشتت ، ولذلك جاءت النصوص القرآنية والسنة النبوية بالأمر

بطاعة ولاة الأمور ؛ لأن ذلك من النصيحة لهم التي بها تمام الدين ، فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ .

وقال النبي ﷺ : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية » .

وقال ﷺ : « من خلع يداً من الطاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له » .

وقال ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا ، وإن أُمّر عليكم عبد حبشي » .

وقال عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان » .

(الضياء اللامع ، ص : ٢١٣)

ويقول – رحمه الله – : « إن من حقوق الرعاة على رعيتهم أن يناصحوهم ويرشدوهم ، وأن لا يجعلوا من خطئهم إن أخطؤوا سلماً للقدح فيهم ، ونشر عيوبهم بين الناس ، فإن ذلك يوجب التنفير عنهم ، وكراهتهم وكراهة ما يقومون به من أعمال ، وإن كانت حقاً ، ويوجب عدم السمع والطاعة لهم ، وإن من الواجب على كل ناصح وخصوصاً من ينصح ولاة الأمور أن يستعمل الحكمة في نصيحته ، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فإن رأى ممن ينصحه من ولاة الأمور قبولاً للحق ، وانقياداً له فذلك ، وإلا فليتثبت في الأمر ، وليتحقق من وقوع الخطأ منه وإصراره عليه ، ثم ليرفعه إلى من فوقه إن كان في ذلك مصلحة وإزالة للظلم كما كان السلف الصالح يشكون ولاتهم إلى من فوقهم إذا رأوهم قد سلكوا ما لا ينبغي أن يسلكوه » . (الضياء اللامع ، ص : ٢١٥)

واستمع إلى هذا الكلام العميق ، والتفصيل الدقيق له – رحمه الله – حينما سأله سائل بقوله : إذا ندب الله عز وجل إلى أمر من الشريعة ندباً عاماً ، كالدعوة إلى الله مثلاً ، ومنع من إيقاعه ولي الأمر مثلاً ، فهل يستجاب لولي الأمر في هذا مع قول الرسول ﷺ : «إنما الطاعة في المعروف» مع الضابط إذا تيسر جزاك الله خيراً؟ .

فأجابه الشيخ بقوله : «إذا قال ولي الأمر لشخص مثلاً : لا تدع إلى الله ، فإن كان لا يقوم أحد سواه بهذه المهمة ، فإنه لا يطاع ولي الأمر في ذلك ، لأنها تكون فرض عين على هذا الشخص ، ولا طاعة لولي الأمر في ترك فرض عين .

أما إذا كان يقوم غيره مقامه ، نظرنا : إذا كان ولي الأمر نهاه لأنه يكره دعوة الناس ، فهنا يجب أن يناصح ولي الأمر في هذا ، ويقال : اتق الله ، لا تمنع من إرشاد عباد الله ، أما إذا كان نهيه هذا الشخص لسبب آخر يحدث من جراء كلام هذا الرجل ، ورأي ولي الأمر أن المصلحة إيقافه ، وغيره قائم بالواجب فإنه لا يحل لهذا أن ينادد ولي الأمر ، وقد كان عمار بن ياسر – رضي الله عنه – مع عمر بن الخطاب في سفر ، فأجنب عمار – أصابته جنابة – فجعل يتمرغ في الصعيد كما تتمرغ الدابة ، يعني يتقلب ليشمل التراب جميع بدنه ، ثم عاد إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ لعمار : «إنما كان يكفيك أن تقول بيدك هكذا» وأراه التيمم ، ثم جاءت خلافة عمر ، وصار عمار يحدث بذلك ، فاستدعاه عمر – رضي الله عنه – يوماً من الأيام وقال : كيف تحدث بهذا الحديث ؛ لأن عمر يرى أن الجنب لا يتيمم ، وأن التيمم في الحدث الأصغر فقط ، وأن من عليه جنابة ينتظر حتى يجد الماء ثم يغتسل ويصلي ، هذا رأيه . فقال له عمار : يا

أمير المؤمنين أما تذكر أن النبي ﷺ قال كذا وكذا ، فكأن عمر نسي هذا ، فقال له : يا أمير المؤمنين : إن شئت بما جعل الله لك علي من الطاعة ألا أحدث به فعلت ، فقال له عمر : لا نوليك ما توليت . يعني فحدث به ، والشاهد أنه ما أنكر عليه قوله : « إن شئت بما جعل الله لك عليّ من الطاعة ألا أحدث به فعلت » .

أما لو قال ولي الأمر مثلاً : لا تصل النافلة ، فنقول : صلها ، لكن بدون منابذة ، صلها في بيتك ، لأن منابذة ولي الأمر يترتب عليها مفاسد كثيرة ، لا بالنسبة لك أنت أيها المنابذ ؛ لأنك أنت أيها المنابذ ربما تؤخذ وتؤذى وأنت تعتقد أنك أوذيت في الله ، لكن غيرك أيضاً يصاب بهذه المنابذة ، وربما يقتدي بك غيرك ممن لا يعرف ما عرفت ، فينابذ بدون علم ، وربما تتحسس الأخبار من حولك ، ويؤتى بكل إنسان حولك ، ويؤذى بدون جريمة ، ثم إن الحط من قدر ولاة الأمور من العلماء أو الأمراء في أعين الناس له ضرر كبير ، لأن قدر ولاة الأمور إذا سقط من أعين الناس تمرد الناس على ولي الأمر ، ولم يروا لأمره قيمة ، وصاروا يرونه كسائر الناس ، وإذا انحط قدر العلماء في أعين الناس لم يكن لما يقولونه للناس من شريعة الله قيمة ، ولم يهتم الناس بأقوالهم ، وخُربت الشريعة من هذا الجسر ، لأن قدرهم هُوّن في أعين الناس ، فصار الناس لا يبالون بهم ، ولا يأخذون بأقوالهم ، ويذهبون يأخذون من فلان وفلان ممن هو دونهم في فقه شريعة الله عز وجل .

فهذه الأمور لا ينبغي لنا أن ننظر إلى ظاهرها وسطحها ؛ لأن لها غوراً بعيداً عميقاً ، وقد سئل النبي ﷺ عن ولاة الأمور الذين يطالبون بحقهم ، ويضيعون حق الله في رعيتهم فقال ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا ، فإنما عليهم

ما حُمّلوا وعليكم ما حُمّلتم » ، نحن نعطيهم ما لهم علينا ، ونسأل الله سبحانه وتعالى حقنا ، وذلك بأن يهديهم الله حتى يقوموا به .

فينبغي لنا أيها الإخوة ألا ننظر إلى الأمور من سطحيتها فقط ؛ بل ننظر لما يترتب عليها من المفاسد العظيمة ، والأمن حتماً له قيمة ، فالدنيا كلها تبذل في سبيل الأمن ، ويضحي الإنسان من نفسه بأشياء كثيرة من أجل الأمن ، ولا يعرف قدر الأمن إلا من ابتلي بالخوف ، واسألوا آباءكم الأولين ، ماذا كانت عليه هذه البلاد من الخوف فيما سبق.

كان الناس لا يذهبون من بريدة إلى عنيزة ، أو من عنيزة إلى بريدة إلا مسلحين ، وعلى خوف شديد ، بل قال بعض الكبار : كنا - والله - نخرج في رمضان من بيوتنا بعد العشاء ، بل بعد المغرب ونحن نحمل السلاح ، يخافون على أنفسهم من عدو يدخل البلد ، أو غير ذلك . فنعمة الأمن والرخاء لا يساويها نعمة بعد الدين ، فيجب علينا أن نتجنب كل ما يثير الناس ، ونحن لا نبرئ ولاة الأمور من الخطأ ، وولاة الأمور من العلماء والأمراء عندهم خطأ كثير ، لكن جاء في الأثر : « كما تكونون يولى عليكم » انظروا إلى أحوال الناس ، فمن حكمة الله أن الولي والمولى عليه يكونون متساوين ، كما قال تعالى : ﴿ **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون** ﴾ .

كذلك يولي الله على الصالحين صلحاء ، وإذا نظرنا إلى أحوال الرعية وجدنا أنفسنا نحن الرعية عندنا تفريط في الواجبات وإخلال وتهاون ، وتهافت على المحرمات ؛ نجد الغش في المعاملات ، والكذب ، والتزوير ، وشهادة الزور ، وأشياء كثيرة ، فلو أن الإنسان تعمق وسلط الأضواء على

حال المجتمع الإسلامي اليوم ، لعرف القصور والتقصير ، فالمجتمع الإسلامي صدق ووفاء وأمانة ، وكل هذه مفقودة الآن إلا ممن شاء الله .

فإذا أضعنا نحن الأمانة فيما نحن أمناء فيه ، وليس عندنا ولاية كبيرة، فكيف من له ولاية كبيرة ، قد يكون أشد منا إضاعة للأمانة ، لكن استقيموا يول الله عليكم من يستقيم .

ثم إن الواجب أيضاً أن ندعو لولاة الأمور سرّاً وعلناً ، أن ندعو لهم بالتوفيق والصلاح والإصلاح ، لأنهم ولاة أمورنا ، أعطيناهم البيعة ، فلا بد أن نسأل لهم الصلاح حتى يصلح الله بهم ، ويذكر أن الإمام أحمد - رحمه الله - قال : « لو أعلم أن لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان » لأنه إذا صلح السلطان صلحت الأمة ، وهذا صحيح .

فالواجب علينا يا إخواني ألا نيأس ، وأن ندعو لولاة أمورنا أن يصلح الله لهم الأمور ، وأن يعينهم على ما حملهم ، وأن يبعد عنهم كل بطانة سوء ، لأن ولي الأمر ليس وحده ، فله أعوان ، وله وزراء ، وله جلساء ، فإن وفق بجليس صالح وعون صالح ، ووزير صالح ، فهو من توفيق الله له وللرعية ، وإن كان الأمر بخلاف ذلك فهو من شؤمه وشؤم الرعية ، ولهذا يجب أن ندعو الله لولاتنا أن يوفقهم للصلاح والإصلاح ، وأن ييسر لهم البطانة الصالحة ، ونسأل الله لنا ولكم التوفيق .

(لقاء الباب المفتوح ، ص : ٢١٤ - ٢١٧)

ولقد نال الشيخ منزلة كبيرة واحتراماً فائقاً لدى ولاة الأمور لثقتهم في علمه ومعرفتهم بصدق نيته ، لقد أولوه أحسن العناية ، وأصدق الرعاية إلى أن غادر الحياة ورحل عن الدنيا ، فجزاهم الله خير الجزاء .

وإن الشيخ في سمعه وطاعته لولاة الأمور لم يكن يريد بذلك إلا وجه الله تعالى ، ولم يكن لمطامع شخصية ، وأغراض دنيوية ، ولقد كان الشيخ يعلم أن السمع والطاعة لولاة الأمور والصدق معهم هو في دلالتهم على الخير ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، وتحذيرهم من سبل الردى وفق ما قرره الشرع ، وبينه العلماء ، وقدره الفقهاء .

وها هو كما خاطب الرعية يخاطب الرعاة ، وينصح الولاة ، فاستمع إليه يقول : « أما ما يجب على الرعاة والولاة للرعية فأمر عظيم ، ومسؤولية كبرى . يجب عليهم أولاً إخلاص النية لله بأن يقصدوا بتصرفاتهم وتدبيراتهم تنفيذ أحكام الله وإقامة العدل وإزالة الظلم ، وتطبيق ذلك بحسب استطاعتهم ، ويجب عليهم أيضاً أن لا يظلموا الناس لا في دمائهم ولا في أموالهم ، ولا في أعراضهم ، وأن لا يستعملوا سلتطهم في تنفيذ أهوائهم وإشباع رغباتهم بلا حق ، فإنهم مسؤولون عن ذلك ، وما يدريهم لعل سلطتهم تزول في الدنيا قبل الموت ، فيلحقهم من الذل والإهانة بسبب ظلمهم واستطالتهم على الخلق ما هم به جديرون ، وله مستحقون ، ويجب على الولاة أيضاً أن يسووا بين الخلق في إقامة الحق ، فلا يحابوا قريباً لقرابته ولا وجيها لجاهه ولا صاحب دنيا لدنياه فإن الناس في الحق سواء ، فلقد أقسم محمد ﷺ وهو الصادق المصدوق أنه لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع يدها .

أيها الولاة ، وأيتها الرعية ، اتقوا الله تعالى في أنفسكم وفي مجتمعكم وأدوا ما أوجب الله عليكم ، فإنكم إذا فعلتكم ذلك استتب الأمن ، وحصل التجاوب والاتحاد والمحبة ، وإن فرطتم في ذلك سلط الله بعضكم على بعض فتسلط الولاة على الرعية بأنواع الظلم وإهمال الحقوق ،

وتسلطت الرعية على الولاة بالمخالفة والعصيان والسب والبغض وانتشار الفوضى واعتزاز كل ذي رأي برأيه وإعجابه به ، فلا ينضبط للناس أمر ، ولا يصلح لهم حال » . (الضياء اللامع ، ص : ٢١٥)

١٢ - حسن الخلق ولطف المعاملة :

يقول - رحمه الله - : « الذي تدل عليه السنة المطهرة ، سنة النبي ﷺ أن الواجب على الإنسان أن يدعو إلى الله تعالى بالحكمة وباللين وبالتيسير ، فقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ .

وقال الله تعالى له : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم** ﴾ .

وقال الله تعالى حين أرسل موسى وهارون إلى فرعون : ﴿ **فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى** ﴾ .

وأخبر النبي ﷺ : « أن الله يعطي بالرفق ما لا يعطي بالعنف » ، وكان يقول إذا بعث بعثاً : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » [متفق عليه من حديث أنس . انظر الصحيحة (١٥١١)]

وهكذا ينبغي على الداعية أن يكون ليناً طليق الوجه ، منشرح الصدر حتى يكون ذلك أدعى لقبول صاحبه الذي يدعوه إلى الله ، ويجب أن تكون دعوته إلى الله وحده صار بذلك مخلصاً ، وييسر الله له الأمر ، وهدى على يديه من شاء من عباده ، لكن إذا كان يدعو لنفسه كأنه يريد أن ينتصر ، وكأنه يشعر بأن هذا عدو له يريد أن ينتقم منه فإن الدعوة

ستكون ناقصة وربما تنزع بركتها .. فنصيحتي لإخواني الدعاة أن يشعروا هذا الشعور ، أي أنهم يدعون الخلق رحمة بالخلق وتعظيماً لدين الله عز وجل ونصرة له» . (الفتاوى ، ص : ١٦٢)

واستمع هنا إلى هذه الشهادة الجملية ، وهي ليست لأحد من المشايخ بل للناقد الكبير الأستاذ الدكتور عبد الله الغذامي في مقاله المرفق يقول : «لذا فإني مدين للشيخ في وعيي النقدي والنظري من حيث أصول المعارف وتشقيقاتها ، ومن المنهجية ، والدربة على المحاجة والتدقيق.

هذا جانب علمي منهجي تتزامن معه وتصاحبه أمثلة في أخلاق العلم والتقى ، كان الشيخ يتحلى بها في تعامله معنا ، ونحن تلاميذ صغار ، حيث كان لا يفرق في حلقة الدرس في الجامع بين صغير كبير ، وكانت الحلقة تضم كل الأعمار والمشارب ، وكانت علاقة الشيخ مع الجميع علاقة صديق ودود محب يعطف ويهتم ويتابع ويسأل عن شؤوننا الخاصة ، مثلما كان يعامل الناس في المجتمع ، حيث كان يخصص وقتاً من برنامجه اليومي لزيارة أي داع يدعوه إلى القهوة في منزله ، وكان لوالدي موعد خاص مع الشيخ يزور فيه بيتنا ، وكنت أشرف وأنا صغير بخدمة ضيفنا بصب القهوة والشاي والاستماع إلى أحاديث الشيخ التي كانت تغطي كل مجالات الحياة العامة ، من أمور الدين والفتوى إلى أمور المجتمع وأحاديث الحياة ، ومن ديدن الشيخ في هذا كله أنه رجل سمح بشوس أريحي لبق الحديث ، ورحب الروح ، ومتسامح كريم .

تعلمت منه المعرفة مثلما توخيت من سيرته الجد مع الأريحية ، واستثمار الوقت مع القيام بحقوق كل من طلب منه زيارة أو استوقفه في الطريق سائلاً ومستفتياً ، وإنه لمشهد مأثور في شوارع عنيزة أن تمر وتلمح

الشيخ واقفاً في جانب الطريق ، في شمس أو برد ، وبجانبه رجل أو امرأة أو صبي ،وهو يصغي بوقار وأريحية ، أويرد على السؤال ، يتأنى للإيضاح .

هو شيخنا وقدوتنا ووالدنا وحبيبنا ، وله علينا الفضل ، وأي فضل ، أعطى وأكرم في عطائه ، وبذل بأريحية لا تحد ، واتسع صدره لكل الناس ، ولكل القضايا » .

يقول الدكتور سعود المختار في مقاله المرفق : « كان الشيخ قمة في البساطة والتواضع ، فعباءته لا تكاد تساوي خمسين ريالاً ، وأذكر أن بعض الزملاء دعاني مرة لغداء يشرفه الشيخ ، فلما قام الشيخ للغسيل رفع بعضهم عباءته « المشلح » ثم قال كم يساوي هذا؟ وأهل المجلس يعلقون على زهده وبساطته .

كان يجيب دعوة أي إنسان مهما كان ، وأذكر أنه مرة جاء إلى جدة ، ودعاه بعض الوجهاء ،وبعد انتهاء العشاء دعاه عشرات الوجهاء ، والدعاة للمبيت عندهم ، وليس لهؤلاء الزهاد بيوت في كل مدينة كما هو العظماء أقصد عظماء الدنيا!! والكل كان يتمنى أن يكرمه الشيخ بالموافقة فردّ الشيخ عليهم جميعاً : لقد سُبقتم فأنا مدعو عند أحد الأبناء ، ثم ذهب وتوجه إلى شاب صغير في الثانوية ، وأخذه بيده ، وقال دعاني هذا قبلكم فأجبته ، والناس كلهم في دهشة بالغة من تصرف هذا المربي .

ولقد حدث هذا معي شخصياً قبل أكثر من عشر سنوات ، فقد رأيته مرة في مكان عام بمكة ، وقلت له : يا شيخ أتمنى لو تجيب دعوتي مرة ، وتجلس إلى إخواني وأهلي ، فقال : أين عنوانك ، قلت في جدة ، فقال : إن تنتظر إلى بعد الحج آتيك ، وإن دعوتني هنا في مكة آتيك ، فدعوته في بيت صهري عدنان يماني - رحمه الله - بالعزيزية ، فقلت له : متى آتيك

يا شيخ لآخذك ، قال : لا ، أنا آتيك !! وأخذ العنوان ، وفي الوقت المحدد تأخر الشيخ دقائق ، فقلت لعله نسيني ، وهذا هو الطبيعي من مثله لمثلي ، وإذا به يقف أمامي ، ثم أدخلته إلى المنزل ، وذهبت لأحضر مسجلاً لأسجل كلامه فجئت بالمسجل ، ثم ذهبت لإحضار الشاهي ودعوة إخواني الموجودين من أهلي فلما رجعت رأيته قد غير مكانه إلى مكان آخر ، وجهز المسجل بعد أن أزاح بعض الأثاث بنفسه حتى لا يعوق توصيل الكهرباء ، وأنا مندهش لتواضعه ، ثم قال : لا تكلف على نفسك ، الفول زين بمكة ويكفينا للعشاء !! .

هذه المواقف كان لها فعل السحر في قلوبنا ، وكنا نتعلم التواضع من هؤلاء الأئمة الأعلام رحمهم الله » .

كان الشيخ من العلماء القلائل الذين لا تفارق البسمة محياهم ، لقد كان رحمه الله مشرق الوجه ، طلق المحيا ، متهلل الجبين ، رائع الابتسامة ، لطيف المداعبة ، طريف المحادثة ، جميل الممازحة ، هيناً ليناً سهلاً سمحاً .

يقول ﷺ : « المؤمنون هينون لينون ، كالجمل الأَنِف ، إن قيد انقاد ، وإذا أُنيخ على صخرة استناخ » . [صحيح الجامع : ٦٦٦٩]

هيْنُون ليْنُون أيسار بنو يسرٍ صيدٌ بهاليلُ حفّاظون للجار
لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا ولا يمارون إن ماروا بإكثار
من تلقْ منهم تقلْ لاقيت سيِّدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

ما رأيت الشيخ – رحمه الله – يوماً إلا تذكرت النبي ﷺ ، فقد كان ابن عثيمين متأسياً به في زرع الابتسامة المشرقة على محياه دائماً وأبداً ، يقول عبد الله بن الحارث – رضي الله عنه – : « ما رأيت أحداً أكثر تبسماً

من رسول الله ﷺ » [أخرجه الترمذي في الشمائل برقم : ٢٢٨] وأنا أقول ما رأيت من العلماء أحداً أكثر تبسماً من ابن عثيمين!! .

وتقول عائشة – رضي الله عنها – في وصف النبي ﷺ : « كالرجل من رجالكم إلا أنه كان أكرم الناس ، وألين الناس ، ضحاكاً ، بساماً » .

[أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند صحيح]

إن اكفهرار الوجه ، وتقطيب الجبين ، وضيق الصدر ، ليست من صفات الأنبياء ، ولا من سمات العظماء ، وإن الابتسامة المشرقة لها فعل السحر من الأثر في النفوس ، والكسب للقلوب .

فتىً مثل صفوِ الماءِ أما لقاؤه ... فبِشْرٌ وأما وعدُه فجميلُ
يسرُّك مُفْتَراً ، ويشرق وجهه ... إذا اعتلّ مذموم الفعال بخيل
عيّيٌ عن الفحشاء ، أما لسانُه ... فعفٌّ ، وأما طرفُه فكليلُ

يقول زيد بن أرقم – رضي الله عنه – : « ... فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر قد خفَقْتُ برأسي من الهمّ ، إذ أتاني رسول الله ﷺ فعَرك أُذُني وضحك في وجهي ، فما كان يسرّني أن لي بها الخلد في الدنيا » . [رواه الترمذي في التفسير ، باب : ٦٣]

والمتأمل لمعاملة الشيخ – رحمه الله – وحسن أخلاقه يرى مقدار فهمه لأخلاق النبوة وتمثله لها ، انظر إلى مداعباته وممازحاته تجد أنه يتأسى في ذلك بالمعصوم ﷺ الذي كان يداعب أصحابه ويمازحهم ، ولكنه لا يقول إلا حقاً .

أتت امرأة مغربية إلى الشيخ – رحمه الله – وهو في الحرم ، فقالت :

هل أنت ابن عثيمين ، قال : نعم أنا ، فقالت : سبحان الله قالوا إنك ميت ، ونحن صلينا عليك صلاة الغائب في المغرب ، قال لها : لا والله هأنذا ، قالت كيف إذاً؟!! ، قال : نعم ، أنا أموت كل يوم ، ثم يحييني ربي ، فبهتت المرأة وولت وهي تقول الشيخ ولي ، الشيخ ولي ، الشيخ ولي ، وهو يتبسم من فعلها ، فلما ذهبت خشي الشيخ أن تفهم المسألة خطأ فأرسل أحد المرافقين معه وهو الأخ علي السهلي ، وقال له : الحق بها وردها إليّ ، فلما جاءت المرأة قال الشيخ : أنا كنت أمازحك ، فأنا أموت وأحيا يعني أنام كل يوم وأصحو ، فالله تعالى يقول : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى** ﴾ فهدأت نفس المرأة ، وشكرت الشيخ ، ثم ذهبت .

ولك أن تقارن هذه القصة بقصة عن النبي ﷺ حين أتت إليه عجوز فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال : « يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز » قال : فولت تبكي ، فقال : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكاراً * عرباً أترابا** ﴾ ». [أخرجه الترمذي في الشمائل برقم (٢٤١)]

من ممازحات الشيخ ومداعباته - رحمه الله - :

١ - اتصل عليه أحد الصحفيين ليجري معه لقاءً ، فقال له : « يا شيخ بودنا أن نجري معك حوار » ، فقال له الشيخ : يا ولدي الحوار ولد الناقة ، فكيف تجريه معي ، لكن ممكن تجري معي محاورة .

٢ - جاء رجل من إحدى الدول العربية فقال له : أنت الشيخ ابن عثيمين؟ قال : نعم ، قال : والنبي يا شيخ إيه حكم طواف الوداع؟ قال له

الشيخ : يا أخي جزاك الله خيراً ما يجوز تقول والنبي ، لا بد أن تعوذ نفسك على ترك هذه الكلمة لأنها من الألفاظ الشركية ، ووعظه موعظة لطيفة جميلة شكره عليها ، وقال له : حاضر يا شيخ لكن إيه حكم طواف الوداع والنبي !!! فضحك الشيخ .

٣ - في أيام الحج وصل الشيخ إلى مزدلفة فوضع فراشه وذهب ليتهيأ للصلاة ، فجاء أحد الحجاج فأخذ الفراش وجلس عليه هو ومجموعته، فجاء الشيخ ولم يجد فراشه ، فقال لأحد مرافقيه : اذهب هات فراشنا فذهب الأخ علي السهلي إلى الرجل ، وقال : كيف تأخذ فراشنا أعده لنا ، فقال الرجل : يا أخي أين الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، فعاد المرسل إلى الشيخ يخبره بكلام الرجل ، فقال الشيخ : ليش ما قلت له قد ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً .

هذه هي روح الشيخ - رحمه الله - روح باسمة مشرقة وضّاءة ، تعرف قيمة الابتسامة ، وأهمية المداعبة ، وثمار الممازحة ، وفوائد المؤانسة .

ومن أطرف ما روي عن الصحابة رضي الله عنهم : « أنهم كانوا يتبادحون بالبطيخ ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال » . [الصحيحة : ٤٣٥]

وعن بلال بن سعد قال : « أدركتهم يشتدون بين الأغراض ويضحك بعضهم إلى بعض ، فإذا كان الليل كانوا رهباناً » . [الزهد لابن المبارك ص : ٤٧]

روي أن النخعي - رحمه الله - سئل عن أصحاب رسول الله ﷺ هل يضحكون ويمزحون؟ فقال : « نعم ، والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي » .

فأنت ترى هذا التوازن الجميل في حياتهم رضي الله عنهم .

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يتناشدون الأشعار ويتذاكرون الأخبار وأمور الجاهلية ، وكان ذلك في المسجد فيضحكون ، والرسول ﷺ جالس بينهم ، وربما ضحك وتبسم .

وقد ثبت في صحيح مسلم « أن المقداد رضي الله عنه ضحك بحضرة النبي ﷺ حتى ألقي إلى الأرض » . [كتاب الأشربة : ٢٠٥٥]

وكان من الصحابة ثلة اشتهروا بالمزاح والمداعبة والضحك .

وإن ملاطفة العلماء لتلاميذهم ، وممازحتهم لطلابهم أسلوب تربوي فريد ، يبعث السرور ، ويقوي المحبة ، ويطرد الهم ، ويزيل الغم ، ويعمق الفهم ، ومواقف النبي ﷺ في ذلك رائعة ذائعة ، وراجع إن شئت كتاب « قصائد ضاحكة » للمؤلف .

وإليك بعض مواقف عظماء العلماء في لطفهم وحسن معاشرتهم ، وجميل ممازحتهم :

فهذا الشعبي الإمام الثقة الحافظ من أئمة التابعين – رحمه الله تعالى – كان يمزح ويحب المزاح ، فقيل له : يا أبا عمر أتمزح ؟ قال إن لم يكن هذا ، مِتْنا من الغمّ ! .

ومن طريف ما روي عنه أن رجلا جاء إليه وهو جالس مع امرأته ، فقال لهما : أيكما الشعبي ؟ فأشار الشعبي إلى امرأته .

وسأله رجل : هل يجوز للمحرم أن يحك بدنه ، قال : نعم ، قال مقدار كم؟ ، قال : حتى يبدو العظم .

وجاءه رجل يسأله عن امرأة إبليس ما اسمها ؟ فقال : ذاك عرس ما شهدته .

وهذا الإمام الجليل محمد بن سيرين – رحمه الله تعالى – يداعب ويضحك حتى تدمع عيناه ، فإذا أردته على شيء من دينه كانت الثريا أقرب إليك من ذلك ، قال أبو عوانة : رأيت ابن سيرين في السوق فما رآه أحدٌ إلا ذكر الله .

وعن زهير الأقطع : كان محمد بن سيرين إذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدة .

ومع هذا كله قال يونس : كان ابن سيرين صاحب ضحك ومزاح ، وقال هشيم عن منصور : كان محمد يضحك حتى تدمع عيناه .

ولعل من أطرف النماذج التى يستشهد بها في هذا الميدان – ميدان الدُّعابة والمرح والضحك والإضحاك – لعل من أطرفها ذلك الإمام التابعي الجليل : سليمان بن مهران الأعمش ، قال عنه الذهبي : سليمان بن مهران الإمام شيخ الإسلام ، شيخ المقرئين والمحدثين .

وقال يحيى القطان : هو علامة الإسلام .

وقال وكيع بن الجراح : الأعمش ؛ لم تَفتْه تكبيرة الإحرام قريباً من سبعين سنة ،هذا الإمام الجليل إمامٌ مَرِح مَزّاح مُحبٌّ للدعابة وله من القصص والطرائف والمواقف المضحكه الشيء الكثير،ونورد هنا بعض طرائفه ومزاحه ، مما ذكره الذهبي في سيره :

١ – أتاه أضياف في يوم من الأيام فأخرج إليهم رغيفين فأكلوهما فدخل

فأخرج لهم نصف حبل قتّ فوضعه على الخوان وقال : أكلتم قوت عيالي فهذا قوت شاتي فكلوه .

٢ – وخرج الأعمش في مرّةٍ من المرّات فإذا بأحد الجنود « شرطي » فأمر الأعمش – وهو لم يعرفه لأن الأعمش كان يلبس ثياباً رثّة فقد كان فقيراً – أمره الجندي أن يحمله ويعبر به النهر .. فلما ركب الجندي على الأعمش قال : ﴿ **سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين** ﴾ فمشى به حتى تَوَسَّط النهر ثم قال : ﴿ **وقل ربِّ أنزلني مُنزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين** ﴾ ثم رمى به في النهر!!

٣ – قيل : إن الأعمش كان له ولدٌ مغفّل فقال له :اذهب فاشتر لنا حبلاً للغسيل . فقال: يا أبَت ..طول كم ؟ قال : عشرة أذرع ، قال : في عرض كم ؟ قال الأعمش :في عرض مصيبتي فيك !! .

إلى هنا أكتفي بذكر هذه النماذج المرحة لشيخ الإسلام سليمان بن مهران والتي تدل على خفة الرّوح وصفاء النفس وحب الدعابة .

وهذا الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى – تروى له هذه الأبيات :

أفد طبعك المكدود بالجدِّ راحة   بجدٍ وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن   على قدْر ما تعطي الطعام من الملح

ويروي أبو حاتم – رحمه الله – في كتابه روضة العقلاء عن أبي عبد الرحمن الأعرج عن إبراهيم بن أدهم العابد الزاهد الخاشع يقول: كان إبراهيم بن أدهم يحدثنا ويضاحكنا » .

ويروى عن الإمام أبي حنيفة – رحمه الله – أن رجلاً جاءه فقال له : إذا نزعت ثيابي ودخلتُ النهر أغتسل فإلى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال

له : الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تُسرق .

ولعل فيما ورد من النصوص والآثار والقصص الغُنْية عما سواه ، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق .

لقد كانوا رحمهم الله إلى جانب ما هم عليه من العلم والعبادة والزهد والورع ، على قدر كبير من التودد إلى الناس ، وإدخال السرور عليهم* ، متأولين قول الرسول ﷺ كما روى ذلك ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً ، أو تقضي عنه ديناً ، أو تطعمه خبزاً » [صحيح الجامع : ٥٨٩٧]

روى أبو حاتم - رحمه الله - في كتابه روضة العقلاء عن هشام بن عروة عن أبيه قال : « أُخبرت أنه مكتوب في الحكمة : يا بني ، ليكن وجهك بسطاً ، ولتكن كلمتك طيبة ، تكن أحبّ إلى الناس من أن تعطيهم العطايا .

ويقول أبو حاتم - رحمه الله - في كلام بديع : البشاشة إدام العلماء وسجية الحكماء ، لأن البِشْر يطفيء نار المعاندة ، ويحرق هيجان المباغضة وفيه تحصين من الباغي ، ومنجاة من الساعي ، ومن بش للناس وجهاً لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك .

ويروي - رحمه الله - عن سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي قوله : « يعجبني من القُرَّاء كلّ سهلٍ طلق مضحاك . فأما من تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يَمُنُّ عليك بعلمه فلا أكثر الله في القراء ضربَ هذا » .

ويقول - رحمه الله - : « الواجب على العاقل أن يستميل قلوب

الناس إليه بالمزاح وترك التعبّس . والمزاح على ضربين : مزاح محمود ، ومزاح مذموم ، فأما المزاح المحمود فهو الذي لا يشوبه ماكره الله عز وجل ، ولا يكون بإثم ولا قطيعة رحم ، وأما المذموم ، فالذي يثير العداوة ، ويذُهب البهاء ، ويقطع الصداقة ، ويُجرّىء الدنيء عليه ، ويُحقّد الشريف به » . آهـ

• تلك السير الماتعة ، والأخبار الرائعة ، والقصص الذائعة لم تكن غائبة عن ابن عثيمين ؛ العالم الرباني ، والتربوي الإنساني ، والعابد الروحاني ، فكان أنساً للقلوب ، وبهجة للصدور ، وجلاءً للهموم ، وسلوة للفهوم .

١٣ - البعد عن الحزبية الضيقة :

كان الشيخ – رحمه الله – يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإلى الجماعة الواحدة ذات الهدف الواحد ، والنهج الواحد ، والمورد الواحد ، ويحذر من التعصب والتحزب والتفرق ، ويرى أنها عوامل هدم للتعامل والتعاون بين المسلمين ، ولكن أن تتعدد الجماعات ، وتكثر المنظمات ، وهي على قلب واحد ، ونهج واحد ، ومعتقد سليم ، وفكر قويم ، فذلك أمر لا حرج فيه ، ولكن أن تتحول إلى أفكار متصارعة ، ونظريات متنازعة فذلك ما كان يحذر منه دائماً وأبداً وكان يسعى جاهداً لتوحيد الكلمة وجمع الصفوف ،ولكنه مع ذلك لم يجز لنفسه أن يخوض في عرض أحد ، أو يشهر بخطأ مسلم ، فضلاً عن داعية من دعاة الهدى ، وفرق بين مناصحة المسلم والرد على العالم إذا أخطأ ، وبين اقتناص الهفوات وتصيد العثرات .

وصفات ذات منك يأخذها الورى   في المكرمات فكلها أسماء
وتجمعت فيك القلوب على الرضى   توافقت في حبك الأهواء

يقول الشيخ – رحمه الله – : «يجب على طالب العلم أن يتخلى عن الطائفية والحزبية، بحيث يعقد الولاء والبراء على طائفة معينة أو على حزب معين، فهذا لا شك خلاف منهج السلف، السلف الصالح ليسوا أحزاباً، بل هم حزب واحد، ينضوون تحت قول الله عز وجل: ﴿**هو سماكم المسلمين من قبل**﴾، فلا حزبية ولا تعدد، ولا موالاة، ولا معاداة إلا على حسب ما جاء في الكتاب والسنة، فمن الناس مثلاً من يتحزب إلى طائفة معينة، يقرر منهجها، ويستدل عليه بالأدلة التي قد تكون دليلاً عليه، وقد تكون دليلاً له، ويحامي دونها، ويضلل من سواه، حتى وإن كانوا أقرب إلى الحق منها، ويأخذ بمبدأ: من ليس معي فهو علي، وهذا مبدأ خبيث، لأن هناك وسطاً بين أن يكون لك أو عليك، وإذا كان عليك بالحق، فليكن عليك، وهو في الحقيقة معك؛ لأن النبي ﷺ قال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم، فلا حزبية في الإسلام، ولهذا لما ظهرت الأحزاب في المسلمين، وتنوعت الطرق، وتفرقت الأمة، وصار بعضهم يضلل بعضاً، ويأكل لحم أخيه ميتاً، لحقهم الفشل كما قال الله تعالى: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾؛ لذلك نجد بعض طلاب العلم يكون عند شيخ من المشايخ، ينتصر لهذا الشيخ بالحق والباطل، ويعادي من سواه، ويضلله ويبدعه، ويرى أن شيخه العالم المصلح ومن سواه إما جاهل أو مفسد، وهذا غلط كبير، بل يجب أخذ من وافق قوله الكتاب والسنة، وقول أصحاب رسول الله ﷺ».

(كتاب العلم، ص: ٨١)

وهذا هو نهج سماحة الشيخ ابن باز – رحمه الله – وهوما كان يدعو إليه دائماً، والشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – خير من استفاد من المنهاج،

وسار على الأثر ، ومضى على التوجيه ، يقول سماحة الشيخ ابن باز – رحمه الله – في كلام بديع : « أما الانتماءات إلى الأحزاب المحدثة فالواجب تركها ، وأن ينتمي الجميع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأن يتعاونوا في ذلك بصدق وإخلاص ، وبذلك يكونون هم حزب الله الذي قال الله فيه سبحانه في آخر سورة المجادلة : ﴿ **ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ بعدما ذكر صفاتهم العظيمة في قوله تعالى : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله** ﴾ ، الآية .

ومن صفاتهم العظيمة ما ذكره الله عز وجل في سورة الذاريات في قول الله عز وجل : ﴿ **إن المتقين في جنات وعيون * آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين * كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون * وفي أموالهم حق للسائل والمحروم** ﴾ .

فهذه صفات حزب الله لا يتحيزون إلى غير كتاب الله والسنة والدعوة إليها والسير على منهج سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان . فهم ينصحون جميع الأحزاب وجميع الجماعات ويدعونهم إلى التمسك بالكتاب والسنة ، وعرض ما اختلفوا فيه عليهما ، فما وافقهما أو أحدهما فهو المقبول وهو الحق ، وما خالفهما وجب تركه ، ولا فرق في ذلك بين جماعة الإخوان المسلمين ، أو أنصار السنة والجمعية الشرعية ، أو جماعة التبليغ أو غيرهم من الجمعيات والأحزاب المنتسبة للإسلام ، وبذلك تجتمع الكلمة ويتحد الهدف ، ويكون الجميع حزباً واحداً يترسم خطى أهل السنة والجماعة الذين هم حزب الله وأنصار دينه والدعاة إليه ، ولا يجوز التعصب لأي جمعية أو أي حزب فيما يخالف الشرع المطهر » .

ويقول – رحمه الله – : « ولا يجوز التفرق والاختلاف ولا الدعوة إلى

حزب فلان وحزب فلان ، ورأي فلان ، وقول علان ، وإنما الواجب أن تكون الدعوة واحدة إلى الله ورسوله ، إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لا إلى مذهب فلان ، أو دعوة علان ، ولا إلى الحزب الفلاني ، والرأي الفلاني ، يجب على المسلمين أن تكون طريقتهم واحدة ، وهدفهم واحداً ، هو اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ولا يجوز أبداً التعصب لزيد أو عمرو ، ولا لرأي فلان أو علان ، ولا لحزب فلان أو الطبقة الفلانية ، أو الجماعة الفلانية ، كل هذا من الأخطاء الجديدة التي وقع فيها كثير من الناس .

فيجب أن يكون المسلمون هدفهم واحد ، وهو اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في جميع الأحوال ، في الشدة والرخاء ، في العسر واليسر ، في السفر والإقامة ، وفي جميع الأحوال ، وعند اختلاف أهل العلم ينظر في أقوالهم ، ويؤيد منها ما وافق الدليل من دون تعصب لأحد من الناس » .

(الفتاوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، جـ ٧ ، ص ١٧٦)

ويحرص الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – دائماً على بث روح المودة والمحبة بين طلبة العلم ، والبعد عن أسباب الخلاف ، ودواعي الفرقة ، وسبل الشحناء ، ودروب البغضاء ، وأن طلبة العلم يجب أن يبتعدوا عما يوغل الصدور ، ويبث الشرور ، وأن تتسع صدورهم لبعض في مسائل الخلاف .

واستمع إليه يبث في أسماعهم وأرواحهم أدباً من آداب طالب العلم فيقول : « رحابة الصدر في مسائل الخلاف أن يكون صدره رحباً في مواطن الخلاف الذي مصدره الاجتهاد ؛ لأن مسائل الخلاف بين العلماء إما أن تكون مما لا مجال للاجتهاد فيه ، ويكون الأمر فيها واضحاً ، فهذه لا يعذر

أحد بمخالفتها ، وإما أن تكون مما للاجتهاد فيها مجال فهذه يعذر فيها من خالفها ،ولا يكون قولك حجة على من خالفك فيها لأننا لو قبلنا ذلك لقلنا بالعكس قوله حجة عليك .

وأنا أريد بهذا ما للرأي فيه مجال ، ويسع الإنسان فيه الخلاف ، أما من خالف طريق السلف كمسائل العقيدة فهذه لا يقبل من أحد مخالفة ما كان عليه السلف الصالح ، لكن في المسائل الأخرى التي للرأي فيها مجال فلا ينبغي أن يُتخذ من هذا الخلاف مطعن في الآخرين ، أو يُتخذ منها سبب للعداوة والبغضاء .

فالصحابة رضي الله عنهم يختلفون في أمور كثيرة ، ومن أراد أن يطلع على اختلافهم فليرجع إلى الآثار الواردة عنهم يجد الخلاف في مسائل كثيرة ، وهي أعظم من المسائل التي اتخذها الناس هذه الأيام ديدناً للاختلاف حتى اتخذ الناس من ذلك تحزباً بأن يقولوا : أنا مع فلان وأنا مع فلان ، كأن المسألة مسألة أحزاب فهذا خطأ .

من ذلك مثلاً كأن يقول أحد إذا رفعت من الركوع فلا تضع يدك اليمنى على اليسرى . بل أرسلها إلى جنب فخذيك ، فإن لم تفعل فأنت مبتدع .

كلمة مبتدع ليست هينة على النفس ، إذا قال لي هذا سيحدث في صدري شيء من الكراهة ؛ لأن الإنسان بشر ، ونحن نقول هذه المسألة فيها سعة إما يضعها أو يرسلها ، ولهذا نص الإمام أحمد على أنه يخيّر بين أن يضع يده اليمنى على اليسرى هكذا وبين الإرسال ؛ لأن الأمر فيها واسع .

إذاً فالواجب على طلبة العلم أن يكونوا يداً واحدة ولا يجعلوا مثل

هذا الخلاف سبباً للتباعد والتباغض ، بل الواجب إذا خالفت صاحبك بمقتضى الدليل عندك ، وخالفك هو بمقتضى الدليل عنده أن تجعلوا أنفسكم على طريق واحد وأن تزداد المحبة بينكما .

ولهذا فنحن نحب ونهنىء شبابنا الذين عندهم الآن اتجاهٌ قويٌّ إلى أن يقرنوا المسائل بالدلائل ، وأن يبنوا علمهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نرى أن هذا من الخير وأنه يبشر بفتح أبواب العلم في مناهجه الصحيحة ، ولا نريد منهم أن يجعلوا ذلك سبباً للتحزب والبغضاء ، وقد قال الله لنبيه محمد ﷺ : ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء** ﴾ .

فالذين يجعلون أنفسهم أحزاباً يتحزبون إليها لا نوافقهم على ذلك ؛ لأن حزب الله واحد ، ونرى أن اختلاف الفهم لا يوجب أن يتباغض الناس وأن يقع أحدهم في عرض أخيه .

فيجب على طلبة العلم أن يكونوا إخوة حتى وإن اختلفوا في بعض المسائل الفرعية ، وعلى كل واحد أن يدعو الآخر بالهدوء والمناقشة التي يُراد بها وجه الله والوصول إلى العلم ، وبهذا تحصل الألفة ويزول هذا العنت والشدة التي تكون في بعض الناس ، حتى قد يصل بهم الأمر إلى النزاع والخصام ، وهذا لا شك يفرح أعداء المسلمين ، والنزاع بين الأمة من أشد ما يكون في الضرر ، قال الله تعالى : ﴿ **وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين** ﴾ .

وكان الصحابة – رضي الله عنهم – يختلفون في مثل هذه المسائل ، ولكنهم على قلب واحد ، على محبة وائتلاف ، بل إني أقول بصراحة إن الرجل إذا خالفك بمقتضى الدليل عنده فإنه موافق لك في الحقيقة ؛ لأن كلاً

منكما طالب للحقيقة ، وبالتالي فالهدف واحد ، وهو الوصول إلى الحق عن دليل ، فهو إذاً لم يخالفك ما دمت تقرّ أنه إنما خالفك بمقتضى الدليل عنده فأين الخلاف؟ .

وبهذه الطريقة تبقى الأمة واحدة ، وإن اختلفت في بعض المسائل لقيام الدليل عندها ، أما من عاند وكابر بعد ظهور الحق فلا شك أنه يجب أن يعامل بما يستحقه بعد العناد والمخالفة ولكل مقام مقال» .

(كتاب العلم ، ص : ٢٨ – ٣٢)

ويرد الشيخ على الذين ينالون من العلماء أو طلبة العلم ويمتهنون التجريح وتصيد الأخطاء فيقول : «الذي أرى أن هذا عمل محرّم ، فإذا كان لا يجوز لإنسان أن يغتاب أخاه المؤمن وإن لم يكن عالماً فكيف يسوغ له أن يغتاب إخوانه العلماء من المؤمنين ، والواجب على الإنسان المؤمن أن يكفّ لسانه عن الغيبة في إخوانه المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله** ... ﴾ .

وليعلم هذا الذي ابتلي بهذه البلوى أنه إذا جرّح العالم فسيكون سبباً في رد ما يقوله هذا العالم من الحق ، فيكون وبال رد الحق وإثمه على هذا الذي جرح العالم ؛ لأن جرح العالم في الواقع ليس جرحاً شخصياً ، بل هو جرح لإرث محمد ﷺ .

فإن العلماء ورثة الأنبياء ، فإذا جرح العلماء وقدح فيهم لم يثق الناس بالعلم الذي عندهم وهو موروث عن رسول الله ﷺ ، وحينئذ لا يثقون بشيء من الشريعة التي يأتي بها هذا العالم الذي جُرح .

ولست أقول إن كل عالم معصوم ، بل كل إنسان معرض للخطأ ، وأنت إذا رأيت من عالم خطأ فيما تعتقده ، فاتصل به وتفاهم معه ، فإن تبين لك أن الحق معه وجب عليك اتباعه ، وإن لم يتبين لك ولكن وجدت لقوله مساغاً وجب عليك الكف وإن لم تجد لقوله مساغاً فاحذر من قوله ؛ لأن الإقرار على الخطأ لا يجوز .. لكن لا تجرّحه وهو عالم معروف مثلاً بحُسن النية ، ولو أردنا أن نجرح العلماء المعروفين بحُسن النية لخطأ وقعوا فيه من مسائل الفقه ، لجرّحنا علماء كباراً ، ولكن الواجب هو ما ذكرت ، وإذا رأيت من عالم خطأ فناقشه وتكلم معه ، فإما أن يتبين لك أن الصواب معه فتتبعه ، أو يكون الصواب معك فيتبعك ، أو لا يتبين الأمر ويكون الخلاف بينكما هو الخلاف السائغ ، وحينئذ يجب عليك الكف عنه ، وليقل هو ما يقول ، ولتقل أنت ما تقول .

والحمد لله .. الخلاف ليس في هذا العصر فقط .. الخلاف من عهد الصحابة إلى يومنا ، وأما إذا تبين الخطأ ولكنه أصرّ انتصاراً لقوله وجب عليك أن تبين الخطأ ، وتنفر منه ، لكن لا على أساس القدح في هذا الرجل وإرادة الانتقام منه ، لأن هذا الرجل قد يقول قولاً حقاً في غير ما جادلته فيه .

فالمهم أنني أحذر إخواني من هذا البلاء وهذا المرض ، وأسأل الله لي ولهم الشفاء من كل ما يعيبنا أو يضرنا في ديننا ودنيانا » .

(الفتاوى ، ص : ٦٢)

ويحذر الشيخ – رحمه الله – من بعض الأخطاء الكبيرة التي لا يجدر بطالب العلم أن يتلطخ بشيء منها ، لأنها تغضب الرب ، وتضعف القلب ، وتمحق البركة ، وتثير الفرقة ، وتوغل الصدور ، ومن أشدها خطراً الحسد ،

وسوء الظن ، ويقف الشيخ مع الحسد وقفة طويلة ، ويفصل فيه تفصيلاً دقيقاً ، ويحلل أبعاده وآماده تحليلاً بديعاً لعلمه – رحمه الله – أنه من أكبر الأخطار ، وأعظم الأوزار ، فيقول – رحمه الله – : « الحسد هو كراهة ما أنعم الله به على العبد ، وليس هو تمني زوال نعمة الله على الغير ، بل هو مجرد أن يكره الإنسان ما أنعم الله به على غيره فهذا هو الحسد ، سواء تمنى زواله أو أن يبقى ولكنه كاره له .

كما حقق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فقال : « الحسد كراهة الإنسان ما أنعم الله به على غيره » ، والحسد قد لا تخلو منه النفوس ، يعني قد يكون اضطرارياً للنفس ، ولكن جاء في الحديث : « إذا حسدت فلا تبغ ، وإذا ظننت فلا تحقق » يعني أن الإنسان يجب عليه إذا رأى من قبله حسداً للغير ألا يبغي عليه بقول أو فعل ، فإن ذلك من خصال اليهود الذين قال الله عنهم : ﴿ **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيما** ﴾ .

ثم إن الحاسد يقع في محاذير :

أولاً : كراهته ما حكم الله به ، فإن كراهته ما أنعم الله به على هذا الشخص كراهة لما حكم الله به كوناً ومعارضة لقضاء الله عز وجل .

ثانياً : أن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ؛ لأن الغالب أن الحاسد يعتدي على المحسود لذكره بما يكره وتنفير الناس عنه ، والحط من قدره وما أشبه ذلك .

ثالثاً : ما يقع في قلب الحاسد من الحسرة والجحيم والنار التي تأكله أكلاً

فكلما رأى نعمة من الله على هذا المحسود اغتم وضاق صدره ؛ وصار يراقب هذا الشخص كلما أنعم الله عليه بنعمة حزن واغتم وضاقت عليه الدنيا .

رابعاً : أن في الحسد تشبهاً باليهود ، ومعلوم أن من أتى خصلة من خصال الكفار صار منهم في هذه الخصلة ، لقول النبي ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم » .

خامساً : أنه مهما كان حسده ومهما قوي لا يمكن أبداً أن يرفع نعمة الله عن الغير ، إذا كان هذا غير ممكن فكيف يقع في قلبه الحسد ؟ .

سادساً : أن الحسد ينافي كمال الإيمان لقول النبي ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » بمعنى أنك تكره أن تزول نعمة الله عن الغير ، فإذا لم تكن تكره أن تزول نعمة الله عن غيرك فأنت لم تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، وهذا ينافي كمال الإيمان .

سابعاً : أن الحسد يوجب إعراض العبد عن سؤال الله تعالى من فضله ، فتجده دائماً مهتماً بهذه النعمة التي أنعم الله بها على غيره ، ولا يسأل الله من فضله : ﴿**ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله**﴾ .

ثامناً : أن الحسد يوجب ازدراء نعمة الله عليه ، أي أن الحاسد يرى أنه ليس في نعمة ، وأن هذا المحسود في نعمة أكبر منه ، وحينئذ يحتقر نعمة الله عليه فلا يقوم بشكرها بل يتقاعس .

تاسعاً : الحسد خلق ذميم ؛ لأن الحاسد يتتبع نعم الله على الخلق في مجتمعه ، ويحاول بقدر ما يمكنه أن يحول بين الناس وبين هذا المحسود بالحط من قدره أحياناً ، وبازدراء ما يقوم به من الخير أحياناً إلى غير ذلك .

عاشراً : أن الحاسد إذا حسد شخصاً فإن المحسود يأخذ من حسناته يوم القيامة ، فيأخذ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن بقي من حسناته شيء وإلا أخذ من سيئاته - أي سيئات المحسود - فطُرح عليه ثم طُرح في النار .

والخلاصة : أن الحسد خلق ذميم ، ومع الأسف أنه أكثر ما يوجد بين العلماء وطلبة العلم ، يوجد بين التجار بعضهم البعض ، وكل ذي مهنة يحسد من شاركه فيها ، لكن مع الأسف أنه بين العلماء أشد ، وبين طلبة العلم أشد مع أنه كان الأولى والأجدر أن يكون أهل العلم أبعد الناس عن الحسد ، وأقرب الناس إلى كمال الأخلاق .

وأنت يا أخي إذا رأيت الله قد أنعم على عبده نعمة ما فاسع أن تكون مثله ، لا تكره من أنعم الله عليه فقل : اللهم زده من فضلك وأعطني أفضل منه ، والحسد لا يغير شيئاً من حاله لكنه كما ذكرنا آنفاً في هذه المفاسد وهذه المحاذير العشرة ، ولعل من تأمل وجد أكثر ، والله المستعان » .

(كتاب العلم ، ص : ٢٨ - ٣٢)

ثم يحذر - رحمه الله - من سوء الظن ، فيقول : « ومما يجب على طالب العلم الحذر منه أن يظن بغيره ظناً سيئاً مثل أن يقول : لم يتصدق هذا إلا رياء ، لم يلق الطالب هذا السؤال إلا رياءً ليعرف أنه طالب فاهم ،

وكان المنافقون إذا أتى المتصدق من المؤمنين بالصدقة ، إن كانت كثيرة قالوا: مراءٍ ، وإن كانت قليلة قالوا : إن الله غني عن صدقة هذا ، كما قال الله عنهم : ﴿ **الذين يلمزون المطوعون من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم** ﴾ .

فإياك وسوء الظن ، ولا فرق بين أن تظن ظناً سيئاً بمعلمك أو بزميلك، فإن الواجب إحسان الظن بمن ظاهره العدالة ، أما من ظاهره غير العدالة فلا حرج أن يكون في نفسك سوء ظن به ، لكن مع ذلك عليك أن تتحقق حتى يزول ما في نفسك من هذا الوهم ، لأن بعض الناس قد يسيء الظن بشخص ما بناءً على وهم كاذب لا حقيقة له ، فالواجب إذا أسأت الظن بشخص سواء من طلبة العلم أو غيرهم ، الواجب أن تنظر هل هناك قرائن واضحة تسوغ لك سوء الظن ، فلا بأس ، وأما إذا كان مجرد أوهام فإنه لا يحل لك أن تسيء الظن بمسلم ظاهره العدالة ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن** ﴾ – لم يقل كل الظن لأن بعض الظنون لها أصل ولها مبرر – ﴿ **إن بعض الظن إثم** ﴾ وليس كل الظن ، فالظن الذي يحصل فيه العدوان على الغير لا شك أنه إثم ، وكذلك الظن الذي لا مستند له ، وأما إذا كان له مستند فلا بأس أن تظن الظن السيء .

لذلك ينبغي للإنسان أن ينزل نفسه منزلتها ، وأن لا يدنسها بالأقذار وأن يحذر هذه الأخطاء مما تقدم ؛ لأن طالب العلم شرفه الله بالعلم وجعله أسوة وقدوة ، حتى إن الله عز وجل رد أمور الناس عند الإشكال إلى العلماء فقال : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾ .

فالحاصل أنك يا طالب العلم محترم ، فلا تنزل بنفسك إلى ساحة الذل والضعة ، بل كن كما ينبغي أن تكون . (كتاب العلم ، ص : ٢٨ - ٣٢)

١٤ - القدوة الحسنة :

ضرب الشيخ أروع الأمثلة ، وأصدق الشواهد على صدق نيته ، وجميل منهجه بإلزام نفسه بكل ما دعا إليه أو وجه به ، أو نصح به ، لقد امتثل قول الحق جل وعلا : ﴿**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**﴾ .

ولقد علم أن من أعظم سبل الدعوة إلى الله تعالى ، الدعوة بالقدوة كما كان النبي ﷺ داعياً بمقاله وأفعاله وجميع أحواله ، إن كتابة الكتب ، وإصدار المجلدات ، وتقويم المسارات ، وانتقاد المخالفات أمر سهل يجيده أي إنسان ، ولكن الذي لا يجيده إلا أفذاذ الرجال ، وعظماء الأبطال هو تصديق الأقوال بالأفعال ، وإتباع الكلام بالالتزام ، وهل كانت سيرة الشيخ العطرة ، وحياته الحافلة ، ومواقفه الماثلة إلا ترجمة صادقة لأقواله ، وتطبيقاً ناصحاً لتوجيهاته .

لقد كان الشيخ - رحمه الله - يعقل جيداً قوله جل وعلا : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون**﴾ .

وكان يعقل قول النبي ﷺ : «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه : رجل استشهد ، فأُتي به ، فعرّفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ، ولكنك قاتلك لأن

يقال : فلان جريء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأُتي به ، فعرّفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت، ولكنك تعلمت ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : هو قارىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسّع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال ، فأُتي به ، فعرّفه نعمه ، فعرفها قال : فما عملت فيها؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار » [رواه مسلم والنسائي]

١٥ - رجاحة العقل :

العقل من أفضل مواهب الله لعباده ، ومن أعظم نعم الخالق على خلقه، وأمتع منن العظيم على البشرية ، به يكمل الدين ، وتتم النعمة ، وتعظم المنحة ، تكمل به الأخلاق ، وتزكو به الآداب ، وتحلو به الحياة ، وهو الآلة في تحصيل معرفة الإله ، به تضبط المصالح وتلحظ العواقب ، وتدرك الغوامض ، وتجمع الفضائل .

وأفضل قَسْم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربُهْ
إذا أكمل الرحمنُ للمرء عَقْلَه فقد كَمُلت أخلاقه ومآربُه

العقل دليل التائه ، ومرشد الحائر ، ومؤنس الغريب ، وغنى الفقير وسلوة الحزين ، ودليل الفلاح ، وأمارة النجاح ، ورأس البر وعنوان الخير .

ما وهب الله لامرىءٍ هبةً أشرفَ من عقله ومن أدبهْ

هما حياة الفتى فإن عُدما ... فإن فقد الحياة أجمل بهْ

العقل دواء القلوب ، وشفاء الصدور ، وتاج المؤمن في الدنيا ، وقائده إلى الآخرة ، وعدته في النوائب ؛ لا يعدله شيء ، ولا يوازيه أمر ، لا أعظم منه عزا ، ولا أبعد منه قدرا ، إذا تم العقل تمّ معه كل شيء ، وإذا ذهب العقل فلا قيمة لشيء .

إذا تمّ عقل المرء تَمَّت أموره ... وتمت أياديه وتم بناؤه
فإن لم يكن عَقْلٌ تَبَيَّنَ نقصُهُ ... ولو كان ذا مال كثير عطاؤه

عنوان الرشاد هو العقل ، وعمود السعادة هو العقل ، لو صور العقل لأظلمت معه الشمس لجلال نوره وجلال ضيائه . فهو رأس الفضائل ، وأسّ الآداب ، وينبوع الأخلاق ، جعله الله للدين أصلاً وللدنيا عماداً ، فأوجب التكليف بكماله ، وجعل الدنيا مُدبَّرة بأحكامه ، وأعظم الناس قدراً أتمهم عقلاً .

العقل كلمة جميلة ، ولفظة رائعة ، وإسم محبب ، لا أعظم ولا أجمل من أن يقال فلانٌ عاقل ، أو فلانة عاقلةٌ ، فهو وصف يدعو إلى الإجلال ، ويحث على الإكبار ، ويزرع المهابة ، ويورث الاحترام . المرء بعقله أعظم من صاحب الملك بملكه ، وأجل من ذي سلطان بسلطانه وأعز من صاحب مال بماله. فالعاقل يطاع على غير سلطان ويُكرم على غير مال ، فهو كالأسد يُهاب حتى وإن كان رابضاً .

سئل ابن المبارك ما خير ما أعطي الرجل؟ ، قال : « غريزة العقل » .

ومما يروى : ثلاث من حرمهن فقد حرم خير الدنيا والآخرة : « عقل يواري به الناس ، وحلم يداري به السفيه ، وورع يحجزه عن المحارم » .

ويروى أن لقمان عليه السلام قال لابنه : « يا بني اعقل عن الله عز وجل فإن أعقل الناس عن الله أحسنهم عملاً ، وإن الشيطان ليفر من العاقل وما يستطيع أن يكابده ، يا بني ما عبد الله بشيءٍ أفضل من العقل » .

ويروى عن مُطرف أنه قال : « ما أوتي عبد بعد الإيمان أفضل من العقل » .

وقيل : « للعاقل خصال يُعرف بها : يحلم عمن ظلمه ، ويتواضع لمن هو مثله ، ويسابق بالبر من هو فوقه ، وإذا رأى باب فرصةٍ انتهزها ، يتدبر ثم يتكلم ، وإن عرضت له فتنة اعتصم بالله ثم تنكبها » .

لقد كان الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – آية من آيات الله تعالى في رجاحة العقل ، وقوة الفهم ، وروعة الحلم ، وموفور الذكاء ، بل لقد كانت ملامح وجهه ، ونظرات عينيه ، تعبر عما وراءها من الذكاء الخارق ، والبديهة الحاضرة ، والذهن المتوقد .

إن العلم الغزير إذا قرن بالعقل الكبير ، والفهم الوفير ، عظمت المنة ، وكبرت المنحة ، وقطفت الثمرة ، ولكن العلم بلا عقل لا قيمة له ولا طعم ، ولا مذاق ، بل قد يكون وبالاً على صاحبة ، وشراً على حامله ، ونقمة على ناقله .

وإن العقل بقليل من العلم خير من العلم الكثير بقلة عقل ، ولذلك فإن الله تعالى قد أكمل منته على الشيخ – رحمه الله – كما أتمها على أشياخه من قبل ، فكانوا قمة في العلم ، آية في العقل ، ثبتوا في المحن ، وصمدوا للفتن ، خطىً ثابتة ، وأقوال واثقة ، وآراء صادقة ، وسير عابقة ،

ومواقف فائقة .

وأفضل العقل أن يعقل المرء عن الله تعالى مراده ، وعن النبي ﷺ سنته .

وإن من أعقل العقل أن يعمل الإنسان بعلمه ، ويصدق قوله بفعله ، وأن لا يشتري بالعلم والدين ثمناً قليلاً ، وأن لا يذل نفسه ، ولا يهدر كرامته ، ولا يصبح كالريشة في مهب الريح ، مصدقاً للشائعات ، سريعاً إلى الفتن ، كلما سمع فزعة طار إليها ، مفرقاً للصفوف ، مشجعاً للخلاف، مسيئاً للعلم ، متجرئاً على الناس ، متسرعاً في الأحكام ، متصيداً للأخطاء ، متتبعاً للعثرات .

ولقد كان الشيخ – رحمه الله – بريئاً من كل ما من شأنه أن ينقص من مكانته ، أو يقلل من هيبته ، أو ينفر من شخصيته ، وإليك مزيداً من صفات العقلاء ، وعبيراً من سمات النبلاء ، فاعرض عليها عقلك ، واستفت فيها قلبك ، ثم انظر إلى الشيخ – رحمه الله – لتراها جميعاً ماثلة في حياته ، مدونة في سجلاته .

والعاقل لا يقدم اللذة العاجلة ، والمتعة الزائلة على النعيم المقيم : ﴿ **وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون** ﴾ .

والعاقل يأخذ العبرة من الأمم السالفة ، والقرون الغابرة : ﴿ **وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون** ﴾ .

والعاقل لا يتبع هواه ، ولا ينقاد لشهوته .

والعاقل مُوقرٌ للرؤوساء ، ناصحٌ للأقران ، محب للإخوان ، متحرزٌ من الأعداء ، غير حاسدٍ للأصحاب ، ولا مخادع للأحباب ، ولا يتحرش بالأشرار ، ولا يبخل في الغنى ، ولا يشره في الفاقة ، ولا ينقاد للهوى ، ولا يجمح في الغضب ، ولا يمرح في الولاية ، ولا يتمنى ما لا يجد ، ولا يكتنز إذا وجد ، ولا يدخل في دعوى ، ولا يشارك في مراء ولا يشكو الوجع إلا عند من يرجو عنده البرء، ولا يمدح أحداً إلا بما فيه .

والعاقل حسن السمت ، طويل الصمت ، لا يقاتل عدوه من غير عُدَّة ولا يخاصم بغير حجة ، ولا يصارع بغير قوة .

والعاقل لا يطول أمله ، لأن من قوي أملُه ضعف عمله ، ومن أتاه أجله لم ينفعه أمله.

والعاقل لا يبتدىء الكلام إلا أن يُسأل ، ولا يسرع بالجواب إلا عند التثبت .

والعاقل لا يستحقر أحداً : لأن من استحقر السلطان أفسد دنياه، ومن استحقر الأتقياء أهلك دينه ، ومن استحقر الإخوان أفنى مروءته ، ومن استحقر العامة أذهب صيانته .

والعاقل لا يخفى عليه عيبُ نفسه ، لأن من خفي عليه عيب نفسه ، خفيت عليه محاسن غيره .

والعاقل يجتنب ثلاثة أشياء ، هي أسرع في إفسادالعقل من النار في الهشيم : الاستغراقُ في الضحك ، وكثرةُ التمني ، وسوءُ التثبت .

والعاقل يوطن نفسه على الصبر على جار السوء ، وعشير السوء ، وجليس السوء.

والعاقل يُعرف بسكوته وسكونه ، وخفض بصره وحركته في أماكنها اللائقة بها ، ومراقبته للعواقب ؛ فلا تستفزه شهوة عاجلة عاقبتها ضرر ، وينظر في الأمور فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة ، من مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل ، ويترك ما يخشى ضرره ، ويستعد لما يمكن وقوعه .

والعاقل لا يُحَمّل نفسه ما لا تطيق ، ولا يعرضها لإهانة ، ولا يمشي في ريبة ، ولا يتكلم بغيبة ؛ مراقب لربه ، محاسب لنفسه ، محافظ على أهله ، مصاحب لأبنائه ، مربٍ لبناته ، بارٌ بوالديه ، لطيف مع زوجته ، حارس لعرضه ، سباق إلى البر ، محجم عن الإثم ، هاجر لمواطن الريب ، واصلٌ لمجالس الأدب .

إن العقل الكبير الذي وهبه الله للشيخ جعله كالطود الأشم ، لا تهزه الفتن ، ولا تزلزله الحوادث ، ولا يتسرع في الآراء والأحكام والتصرفات ، بل يزنها بميزان العقل والشرع ، وقد بلغ فيهما شأواً عظيماً ، ومنزلاً كريماً .

١٦ - الهمة العالية :

إن المطالب الغالية لا تنال إلا بالهمة العالية ، وإن بلوغ القمة في علو الهمة ، والفوز بالمقصود هو في بذل المجهود ، ومن جد وجد ، ومن زرع حصد ، والسابقون السابقون ، أولئك المقربون ، ومتى علت الهمة فلا تقنع بالدون ، ولا ترضى بالذل ، ولا تستسلم للخور .

وإن الشيخ – رحمه الله – نال بالهمة العالية بعد توفيق الله تعالى أعلى المراتب ، وأجمل المناصب ، وأحسن المناقب ، كيف لا وهو الذي لا يعرف الكلل ، ولا يقعد به الكسل . ليله ونهاره في جهد جهيد ، وعمل

سديد ، وبذلٍ رشيد . يقرأ ويحقق ، ويصحح ويدقق ، ويراجع ويوثق ، ويرتب وينسق ، ويعلم وينصح ، ويوجه ويشرح ، ويجهد ويكدح . يسعى بالإصلاح ، ويمضي في الشفاعات ، ويزور المرضى ، ويعين المحتاج ، ويساعد الفقير ، ويصل الرحم ، ويربي الشباب ، ويحاضر في الجامعات ، ويدرس في الكليات ، ويحضر الندوات ، ثم مع ذلك كله كانت همته عالية ، وعزيمته عظيمة فيما بينه وبين ربه ، من أسبق الناس إلى الطاعة ، وأسرعهم إلى العبادة ، وأدومهم على الذكر ، وأحسنهم صياماً وقياماً : ﴿ **أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب** ﴾ .

لقد أجمع العقلاء من كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم ، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة ، وأنه بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق ؛ تكون الفرحة واللذة ، فلا فرحة لمن لا همة له ، ولا لذة لمن لا صبر له ، ولا نعيم لمن لا شقاء له ، ولا راحة لمن لا تعب له ، بل إذا تعب العبد قليلاً استراح طويلاً ، وكلما كانت النفوس أشرف والهمة أعلى ، كانت تعب البدن أوفر ، وحظه من الراحة أقل .

بَصُرْتُ بالراحة الكبرى فلم أرها ... تُنال إلا على جسرٍ من التعب

إن الشيخ – رحمه الله – يذكرنا بأصحاب الهمم العالية ، والمراتب الغالية ، وأعظمهم محمد ﷺ صاحب الهمة العالية في شتى مجالات الدنيا والآخرة ، وكان يستعيذ دائماً من العجز والكسل .

وهذا معاذ بن جبل – رضي الله عنه – حينما حضرته الوفاة قال : « اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لكري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل ، ولظمأ

الهواجر في الحر الشديد ، ولمزاحمة العلماء بالرُّكَب عند حِلَقِ الذكر» .

ومعاذ بن جبل هو سيد العلماء ، إذا حضر العلماء يوم القيامة يأتي معاذ قبلهم برمية حجر ، مع أن مدة تحصيله للعلم هي حوالي عشر سنوات ، ولكنها الهمة العالية! .

وهذا عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه وأرضاه – يقول : «والذي لا إله غيره ، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه» .

وهذا جابر بن عبد الله – رضي الله عنه وأرضاه – يرحل إلى الشام من أجل حديث واحد من أحاديث المصطفى ﷺ ، رحلة رواحها شهر وغدوُّها شهر .

وهذا الشعبي – رحمه الله – خرج من الكوفة إلى مكة في طلب ثلاثة أحاديث .

وهذا عطاء بن أبي رباح – رحمه الله – كان أسود أعور أفطس أشلّ أعرج ، ثم عمي ، كان ركناً من أركان العلم ، وأميراً للمؤمنين في الحديث ، وكان فراشه في المسجد عشرين سنة لتحصيل العلم ، وحج أكثر من سبعين حجة ، وأسندت إليه الفتوى في عهد بني أمية .

وهذا سفيان الثوري – رحمه الله – بلغ عدد شيوخه ستمائة شيخ ، والرواة الذين رووا عنه يربون عن الألف .

وهذا علي بن عاصم مُسنِد العراق ، أعطاه أبوه وهو شاب صغير مائة

ألف درهم ، وقال له : اذهب ، ولا أرى لك وجهاً إلا بمائة ألف حديث ، فعاد إلى والده بمائة ألف حديث ، وكان يجتمع إليه من الطلاب ثلاثون ألفاً .

وهذا شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك – رحمه الله – حمل العلم عن أربعة آلاف شيخ .

وهذا علم الأعلام ، وإمام أهل السنة في الإسلام الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – المولود ببغداد سنة ١٦٤ هـ ، رحل إلى بلاد كثيرة جداً ، وكان يحفظ ألف ألف حديث ، يقول عن أسفاره : رحلت في طلب العلم والسنة إلى الثغور والشامات ، والموصل ، والمغرب ، والجزائر ، ومكة ، والمدينة ، والحجاز ، واليمن ، والعراقين جميعاً ، وفارس ، وخراسان ، والجبال ، والأطراف ، ثم عدت إلى بغداد .

وهذا يحيى بن معين – رحمه الله – الإمام الحافظ شيخ المدينة يقول : كتبت بيدي ألف ألف حديث ، وهو الذي يقول لو لم نكتب الحديث خمسين مرة ما عرفناه .

وهذا أمير المؤمنين في الحديث – رحمه الله – وصاحب أعظم كتاب في الإسلام بعد القرآن ، وهو محمد بن إسماعيل البخاري ، يقول : أخرجت هذا الكتاب من زُهاء ستمائة ألف حديث ، وما وضعت في كتابي حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك ، وصليت ركعتين ، ويقول : كتبت عن ألف شيخ ، ورويت عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر ، وما عندي حديث إلا أذكر إسناده .

إن الشيخ – رحمه الله – أعاد إلينا بهمته العظيمة ، وعزيمته المتوقدة ؛

تلك النماذج الفريدة ، والأحداث المجيدة ، في زمن بردت فيه الهمم ، وضعفت العزائم . وفي الوقت الذي يتهاون بعض الناس فيه بالصلاة ، وليس بينهم وبين المسجد إلا خطوات ؛ يداوم الشيخ طيلة حياته على الذهاب إلى المسجد يومياً خمس مرات ذاهباً ، وخمساً عائداً رغم طول المسافة ، يأتي وهو يقرأ القرآن ، ويعود وهو يجيب على الأسئلة .

وفي الوقت الذي ينام فيه بعض الناس نهار رمضان ، ويقضون ليله في أكل وشرب وضياع ، كان الشيخ يعمره ليلاً ونهاراً ، ولا ينام إلا قليلاً ، ولا سيما في العشر الأواخر ، فلا يكاد ينام مع ما يلحقه من إرهاق ، وفي الوقت الذي يتكاسل الشباب عن المشي خطوات يسيرة ، كان الشيخ يمشي مسافات طويلة دون كلل أو كسل .

بل كان يدعى في بعض الليالي من رمضان بجوار الحرم في عمائر طويلة ، فيجد الناس يزدحمون على المصاعد ، فيصعد أكثر من ثلاثة عشر طابقاً وهو في أتم النشاط والحيوية .

وفي الوقت الذي اشتغل فيه كثير من الناس بأمور الدنيا وأهملوا الآخرة ، وتركو العلم ، ولم يقدموا للأمة علماً ينفع ، أو خيراً يبقى ، أو صدقة تجري ، يغادر الشيخ الحياة عن كتب كثيرة ، وعلوم غزيرة ، وفوائد جمة ، وصدقات جارية ، وأعمال خير باقية .

وهل هنالك أعظم همة ممن أكل الداء أحشاءه ، والتهم أمعائه ، ثم يبقى إلى آخر لحظة يبذل العلم ، ويجيب السائل ، ويرشد الحيران؟!! .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

١٧ - شيخ الشباب :

من أجمل صفات الشيخ وأحسن سماته ، والتي ندر أن توجد في غيره ، أنه كان شيخاً في روحٍ شابة ، لقد كان هذا الشيخ الجليل ذو اللحية الكثة البيضاء محبباً إلى قلوب الشباب بالذات .. كان يحبهم ويحبونه ، ويحنو عليهم ويبجلونه ، ويلين لهم ويعظمونه ، يجالسهم ويمازحهم ، ويرافقهم ويداعبهم ، يعرف طموحاتهم ، ويشجع نشاطاتهم ، ويسعد بتساؤلاتهم ، ولذلك كان جل أصحابه ومرافقيه من الشباب . بل لا تكاد تراه إلا وحوله ثلة مؤمنة من الشباب الغض المتفتح على حياة العلم ، ودنيا الإيمان .

لقد كان الشيخ يعرف أن هؤلاء الشباب هم عماد المستقبل بعد الله تعالى ، وأنهم أصفى أذهاناً ، وأرق أفئدة ، وأحسن إنصاتاً ، وأسرع استجابة ، وأكثر حصراً ، وهذا يدل على روح الشيخ العظيمة المتواضعة ، ويدل على ذكائه وبعد نظره .

والحرص على الشباب والقرب منهم هو منهج أحمدي ناصح ، فلقد كان جل صحابته ﷺ شباباً ، وأكثر من حمل عنه العلم ، ونشر الدعوة ، وبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاهد في الله حق جهاده من بعده ﷺ هم الشباب الذين بث فيهم منذ صغرهم حب الإيمان ، وروح القرآن ، وعلو الهمة ، وقوة العزيمة كأمثال علي بن أبي طالب ، والحسن والحسين ، ومعاذ ابن جبل ، وعبد الله بن عباس ، وأنس بن مالك ، وأسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر ومصعب بن عمير .

ولقد صدق ظن الشيخ – رحمه الله – وأثمر منهجه ، وتحققت آماله ،

حيث استطاع أن يربي كمّاً هائلاً من الشباب المؤمن الذين أحبوا العلم ، وأكبو على المدارسة ، وتحملوا هموم الدعوة ، ومضوا على المنهاج الذي رسمه لهم شيخهم رحمه الله ، فكما كان شيخاً في روح شبابية أصبحوا هم شباباً في حكمة شيوخ .

يقول الدكتور عبد القادر طاش في مقاله : « لقد كان الشيخ العثيمين محباً لهؤلاء الشباب ، لصيقاً بهم ، حانياً عليهم ، مرشداً لهم ، بل كان - رحمه الله - أكثر العلماء قرباً من هموم الشباب وقضاياهم ، ولعل عدم اشتغاله بمنصب رسمي أتاح له فرصة التفرغ للشباب يلتقون به دوماً في بيته ومسجده ومجالسه ، ويفسح لهم المجال واسعاً لملازمته والتتلمذ على يديه وحضور دروسه ومحاضراته التي لم تنقطع حتى أواخر أيامه وهو يشكو اشتداد المرض عليه .

ولا شك أن قربه من الشباب أكسبه أمرين مهمين ، أولهما : قدرته على معايشة هموم الشباب والتعرف على قضاياهم ، وتحسس اهتماماتهم ورصد تساؤلاتهم ، وفهم إشكالاتهم . وقد ساعده ذلك على اكتساب محبة الشباب له وتعلقهم به وثقتهم فيما يرشدهم إليه ويوجههم به .

وكل هذا جعل من الشيخ العثيمين قدوة صالحة يحترمها شباب الصحوة ، قدوة ذات مصداقية عالية ، وقدر كبير من الإقناع ، كما أصبح الشيخ بسبب قربه من الشباب مرجعاً ثقة لا يختلفون حوله ، يعودون إليه كلما أشكل عليهم أمر ، ويرضون بفتواه كلما احتبست أمامهم مسألة » .

ويقول : « وكان ناقداً بصيراً يدل شباب الصحوة على مكامن القصور برفق وحكمة ، ويحجزهم عن مواطن الشبهات الفكرية والسلوكية

بحسن تصرف وسعة بال .

ولم يكن أسلوبه في نصحه للشباب أو تقويمه لأخطاء الصحوة ومزالقها أسلوب الأمر والإلزام . ولو فعل ذلك لما وجد إلا القبول والإذعان ، بل كان يستخدم أسلوب الحوار والتساؤل والأخذ والرد ، حتى في المسائل الصغيرة التي لا تحتاج إلى مثل هذا الأسلوب . وبذلك استطاع ان يصل إلى مبتغاه بكل يسر دون أن يعنت الشباب أو يخمد حماستهم فيخسر بذلك محبتهم له واقتناعهم بمنهجه .

وهكذا كان الشيخ العثيمين في معايشته لشباب الصحوة الإسلامية حباً ورعاية ، وإرشاداً وتوجيهاً ، وبذلك كان حبيباً في قلوبهم قريباً إلى نفوسهم ، يسألون عنه دائماً ويلازمونه دون كلل ، ويتمنون أن يقضوا معه أوقاتهم كلها : نهلاً من علمه ، واستفادة من حديثه ، واستمتاعاً بصحبته ولذلك فإن فقده عليهم جد عصيب ، فهم فقدوا بموته الأب الحاني ، والمعلم القدوة ، والصاحب الرفيق .

إن شباب الصحوة بعد غياب شيخهم العثيمين أيتام حزانى ، ولا يخفف عنهم سوى أنه علمهم – كما علمه الإسلام – ألا يقولوا إلا ما يرضي ربنا .

فرحم الله شيخنا رحمة واسعة وأجزل له العطاء لقاء ما قدم لأمته ، وجعل مسكنه الجنة مع الصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .. وإنا لله وإنا إليه راجعون » .

يقول الشيخ محمد منصور بن تركي المطيري : « كان الشيخ يعطي طلابه في الإسكان الذي خصصه مكافأة شهرية ، بل وينظم لقاء شهرياً في

إحدى الليالي يتدارس فيها بعض شؤون الطلاب ، وما يحتاجونه من توجيه ونصح ،وكانت عنده طلعة شهرية إلى إحدى مزارع عنيزة الجميلة لبعض التجار الذين يشعرون بالشرف عند ضيافة الشيخ وطلابه ، يقصد فيها الطلاب الترويح والأنس ، وكانت من أجمل اللحظات عندما يأتي الشيخ إلينا ويبادر طلابه الملاطفة والممازحة ، وكانوا يطلبون منه أحياناً المسابقة فيعتذر بعدم قدرته على مسابقة الشباب ، بل وشارك الطلاب ذات مرة السباحة ، حيث استغربوا عندما أخبرهم بمعرفته للسباحة ، فأصروا وأكدوا عليه حتى أراهم مهارته غفر الله له .

حرص الشيخ على تربية طلابه على العلم الشرعي ، والحرص على الدعوة إلى الله ، بل ويحضهم على الدراسة النظامية وإكمال الدراسات العليا حتى ينفع الله بهم البلاد » (جريدة الوطن ، العدد : ١٠٥)

ويقول الشيخ عبد الرحيم النهابي في مقاله المرفق : « كان مربياً تتمثل فيه الصفات التربوية بكامل معانيها ، أتذكر أننا اتفقنا مع طلاب الفصل في الثانية ثانوي أن نخرج برحلة برية ليوم كامل ، فطلبنا من الشيخ أن يخرج معنا فوافق مبدياً تمام استعداده للخروج ورعاية هذه الرحلة ، فكان في هذه الرحلة العجب والعجاب ، والأدب والآداب ، وانظر إلى هذه الرحلة والرعاية التربوية والتوجيهات الأبوية ، وانظر إلى التقسيم والتنظيم الذي تم في هذه الرحلة ، والفائدة الجمة التي خرج بها الطلاب من خلال هذه النزهة .

ولعلي أتذكر أن فضيلته بعد التوجيهات والتعليم والترتيب ابتدأنا بالسبق على الأقدام ، فكان والدنا الشيخ هو الأول مع أحد الطلاب ، فكانت النتيجة أن سبق الشيخُ الطالب لقوة جريه ، ثم تتابع السباق ، ثم

انتقل بنا إلى برنامج آخر وهو السباحة ، وكانت منطقة المنتزه الزغيبية ، وفيها عيون جارية موضوع عليها برك على هيئة مسابح ، وفيها المياه الصافية فكان الشيخ يضع قطعة من النقود الحديد داخل البركة ، ويقول أيكم يأتي به ، فيتنافس الطلاب في ذلك ، فكانت مباريات ورياضات فيها الفائدة والخير حتى استمتع الطلاب بالسباحة والسباق للوصول إلى الغرض.

ثم انتقل بنا إلى برنامج آخر وهو الرماية ، وقد أخرج فضيلته بندقية « أم حبة » أتى بها ليتمرن الطلاب عليها ، ثم اصطففنا للرماية ، ووضع غرضاً لإصابته ، حتى بدأ كل طالب يتقصد الهدف ليصيبه ، فكانت النتيجة أن أصابه البعض وأخفق آخرون .

فانظر الهدف العظيم الذي وصل إليه الشيخ من خلال هذه الرحلة الطلابية من تعليم السباحة والرماية ، والمسابقة على الأقدام يتمثل في حسن اختيار الشيخ ومدى إدراكه للفائدة التي تحصل للطلاب » .

١٨ - الورع والزهد في الدنيا :

ولم تثنه دنيا عن السعي ، أو تكن ... له غاية ، إذ رامها متمتع
ومن عرف الدنيا وأدرك أمرها ... يبادر للأخرى ويطوي ويسرع
ويزهد في هذا التراب وإن زها ... وأجلب يغري الخانعين ويخدع
وما الزهد في الدنيا بضاعة مملق ... تجافته حتى لا يُرى أين يهجع
ولكنه شأن الذي أقبلت له ... تزيّن ألواناً وتدنو وتخضع
فأسقطها من كفه وابتغى التي ... هي المنزل الأبقى ، هي الخير أجمع

يجاهد حتى لا يمل نهاره ويمسي إذا أمسى يناجي ويضرع

الزهد والورع من أهم السمات التي ارتسمت في فؤاد الشيخ – رحمه الله – وظهرت ثمارها المباركة على كل أعماله وأقواله ، بل لقد أصبح رمزاً من رموز الزهد في العصر الحديث ، بل كان فيه إماماً مقدماً !! .

والزهد كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، هو : « الزهد عما لا ينفع ، إما لانتفاء نفعه ، أو لكونه مرجوحاً ؛ لأنه مفوّت لما هو أنفع منه ، أو محصل لما يربو ضرره على نفعه . وأما المنافع الخالصة أو الراجحة ، فالزهد فيها حمق » .

أما الورع فقال شيخ الإسلام : « هو الإمساك عما قد يضر ، فتدخل فيه المحرمات والشبهات ؛ لأنها قد تضر . فإنه من اتقى الشبهات ، فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يحوم حول الحمى يوشك أن يواقعه » .

والفرق بين الزهد والورع ، كما قال ابن القيم في الفوائد : « إن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة ، والورع : ترك ما يخشى ضرره في الآخرة ، والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع ، فالزهد والورع صفتان نبيلتان رئيسيتان ، اتصف بهما الأنبياء ، والتزم بهما العلماء ، الذين جعلوا من منهج الأنبياء صورة حية يعيشونها ويطبقونها في واقع حياتهم ، يزهدون فيما عند الناس من أمور الدنيا ؛ فينالون محبة الناس ، ولا يرغبون إلا فيما عند الله ، يتورعون عن كل ما يجلب لهم الشبهة ، ويلصق بهم التهمة » .

لقد كان بإمكان الشيخ – رحمه الله – أن ينال من زهرة الدنيا ما يريد

نظراً لمكانته الكبيرة ، وشهرته الذائعة ، ومنزلته العالية ، ولكنه أعرض عن ذلك كله ، وجمع الزهد من جميع أطرافه ، وبكل أنواعه ، وشتى أقسامه ، وهي كما ذكرها ابن القيم في كتاب الفوائد :

١ - زهد في الحرام ، وهو فرض عين .

٢ - زهد في الشبهات ، وهو بحسب مراتب الشبهة ، فإن قويت ، التحق بالواجب ، وإن ضعفت ، كان مستحباً .

٣ - زهد في الفضول ، وهو الزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره ، وزهد في الناس ، وزهد في النفس ، بحيث تهون عليه نفسه في الله .

٤ - زهد جامع لذلك كله ، وهو الزهد فيما سوى الله ، وفي كل ما يشغلك عنه ، وأفضل الزهد إخفاء الزهد ، وأصعبه الزهد في الحظوظ» . آهـ .

فلو تأملت هذه الصفات في هذه الأقسام كلها لوجدتها مجتمعة في ذات الشيخ - رحمه الله - لا تنفك عنه في جميع حركاته وسكناته . زهد لا كزهد الرهبنة والتصوف ، وإنما زهد معتدل على منهاج النبوة ، زهد كزهد المصطفى ﷺ .

لم يغب عن الشيخ - رحمه الله - قوله تعالى : ﴿**اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**﴾ .

ولم يغب عنه قوله ﷺ : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » . [الصحيحة : ٩٤٣]

ولم يغب عنه قوله ﷺ : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً ومتعلماً » . [صحيح الجامع : ٣٤١٤]

ولم يغب عنه قوله ﷺ : « إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء » .

[رواه مسلم : ٢٧٤٢]

ولم يغب عنه قوله ﷺ : « والله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم » .

ولم يغب عنه قول علي - رضي الله عنه - : « مثل الدنيا مثل الحية ليّنٌ مَسّها ، قاتل سمها ، فأعرض عما أعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ، وضعْ عنك همومها ، لما أيقنت من فراقها ، وكن أحذر ما تكون لها وأنت آنسُ ما تكون بها ، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور ، أبعده عنها مكروه ، وإن سكن منها إلى إيناس ، أزاله عنها إيحاش » .

فهي لا تصفو لشارب ، ولا تبقى لصاحب ، ولا تخلو من فتنة ، ولا تُخْلِي من محنة ، نعيمها يتنقل ، وأحوالها تتبدل ، ولذاتها تفنى ، وتبعاتها تبقى .

إن إعراض الشيخ عن البريق الزائف ، والحطام الزائل ، والبهرج الخادع رفعه في أعين الناس ، وجمله في دنيا البشر ، لقد ارتمت الدنيا بكل زينتها وبريقها ومناصبها عند قدم الشيخ ، فركلها بقدمه ، وأشاح عنها بوجهه .

لقد عمر الشيخ داره الآخرة ، وادخر طيباته لها ، وذلك من تمام العقل وقوة الإيمان ، وروعة العزيمة ، وجمال التقوى .

لقد ضرب الشيخ بورعه أروع الأمثلة وأجمل الشواهد . لقد كانت ملابس الشيخ التي يرتديها من ثوب وعباءة وشماغ لا تساوي إلا مبلغاً زهيداً ، فلم يكن ممن يفاخر بالملبس والمركب والمنزل والمأكل والمشرب ، مع أن كل ذلك كان بإمكانه لو أراده ، ولكنه ادخر طيباته للآخرة .

وكان - رحمه الله - قمة في البساطة والتواضع ، ولا يحب النوم على السرير ، أو على فراش وثير ، بل ينام على الأرض أو على فراش متواضع أو حصير يؤثر في جنبه .

يقول الشيخ عائض القرني : دخلت مرة على الشيخ ابن عثيمين في مكة في مسكنه أيام الحج فوجدت بيده إبرة يخيط بها ثوبة .

ما لقيناه على درب الهوى ... بل على درب الهداة المهتدين
لكأني أبصر الدنيا التي ... بذلت إغراءها للناظرين
أقبلت تعرض من فتنتها ... صوراً تسبي عقول الغافلين
رقصت من حوله لكنها ... لم تجد إلا سموّ الزاهدين
أرسل الشيخ إليها نظرة ... من عزوف الراكعين الساجدين
فمضت خائبة خاسرة ... تتحاشى نظرات الشامتين
أخرج الدنيا من القلب وفي ... كفه منها بلاغ الراحلين
لم يكن في عزلة عنها ولم ... يغلق الباب عن المسترشدين
غير أن القلب لم يشغل بها ... كان مشغولاً برب العالمين
أو ما أعرض عنها قبله ... سيد الخلق إمام المرسلين

يقول معالي الدكتور عبد الله التركي في مقاله المرفق : « وأذكر لفضيلته موقفين نادرين في عصرنا الحاضر، أحدهما : أنه بعد صدور نظام الجامعة ، أجرت الجامعة تصنيفاً لأعضاء هيئة التدريس فيها حسب الكادر الجامعي وكانت الإجراءات لبعض الدرجات تتطلب تقديم أبحاث ودراسات في مجال الاختصاص ، فلم يتقدم بأي بحث ، وحينما فوتح برر ذلك بأن العالم لا ينبغي أن يستشرف للرتب والترقيات ، وأن أهل العلم الشرعي يحسن بهم الاحتساب والعمل لوجه الله وما يأتي تبعاً لذلك فلا بأس به .

والأمر الثاني : مفاجأته لي وأنا مدير للجامعة بتقديم ظرف بداخله مبلغ من المال ، فسألته عن قصته ، فذكر أنه صرف له مقابل محاضرات ألقاها في كلية الشريعة وأصول الدين في القصيم ، وكان - رحمه الله - وقتها على ملاك معهد عنيزة العلمي ، وأن وقت هذه المحاضرات اقتطعه من الوقت المخصص لتأليف المقررات الدراسية للمعاهد العلمية ، وبذلك لا أستحق ما صرف لي .. ولا شك أن الموقفين نادران في هذا الوقت!! » .

• من السهولة بمكان أن يكون المسلم مصلياً أو صواماً أو قواماً أو داعية أو خطيباً أو معلماً أو حتى عالماً ، ولكن من الصعوبة بمكان أن يكون وَرِعَاً فإن الورع رتبةٌ عزيزةُ المنال ، رفيعةُ المكان ، بعيدة الشأو ، ومتى ما ارتقى الإنسان إلى مرتبة الورع فقد نال أسمى المراتب ، وتحلى بأجمل المناقب التي تؤهله لمنزلة النبيين والصديقين والشهداء .

إن درجة الورع عالية ، ورتبته رفيعة ، ومنزلته بعيدة لا يصل إليها إلا الخلّصُ من الناس ، ولا يرتقي إليها إلا الأفذاذ من العباد ، ولذلك تجد أن الذين اشتهروا بالورع على مر التاريخ هم أناس قلائل ، وأفراد أوائل ، وإذا

قيل في القرون المفضلة : « لولا سفيان الثوري لمات الورع » فما بالك ببقية القرون . فالورع مرتقىً صعب ، ومرتبة شاقة ، وهو ملاك الدين ، وجوهر التقوى ، وزمام الأمر .

يقول الحسن البصري - رحمه الله - : مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة - أي النفل - .

وقال محمد بن واسع - رحمه الله - : يكفي من الدعاء مع الورع اليسيرُ منه .

وقال حبيب بن أبي ثابت - رحمه الله - : لا يعجبكم كثرةُ صلاةِ امرىء ولا صيامه ، ولكن انظروا إلى ورعه ، فإن كان ورعاً مع ما رزقه الله من العبادة فهو عبد لله حقا .

يقول بعض الصحابة - رضي الله عنهم جميعاً - كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام ، وهذا موافق لحديث ضعيف الإسناد صحيح المعنى هو أن النبي ﷺ قال : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به البأس » .

وقد صح عنه ﷺ قوله : « خير دينكم الورع » .

ويقول ﷺ : « إنك لن تدع شيئاً اتقاءً لله عز وجل إلا أعطاك الله خيراً منه » .

ويقول ﷺ : « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة في طُعمة » .

ويعطي ﷺ قاعدة عظيمة في الورع ، فيقول : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » .

وجمع ﷺ الورع كله في كلمة ، فقال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وترك ما لا يعني كلمة عامة تعم كل شيء ، ترك ما لا يعني من الكلام ، وما لا يعني من النظر ، ومن الاستماع ، ومن المشي ، ومن الفكر ، ومن سائر الحركات الظاهرة والباطنة فمن ترك ما لا يعنيه من كل ذلك فقد ارتقى إلى مرتبة أهل الورع .

وهكذا كان الشيخ - رحمه الله - كما نحسبه ، لقد ارتقى إلى ذروة الورع ، وقمة الزهد في زمن يصعب فيه ذلك .

لقد زين الشيخ علمه وحياته بالورع ، فزين الله سيرته ، ونقى سريرته يقول الشافعي - رحمه الله - : « زينة العلم الورع والحلم » .

وقال طاووس - رحمه الله - : « مثل الإسلام كمثل شجرة فأصلها الشهادة وثمرها الورع ولا خير في شجرة لا ثمر لها ، ولا خير في إنسان لا ورع له » .

وقال سفيان الثوري - رحمه الله - : « عليك بالورع يخفف الله حسابك ، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك » .

وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - : « جلساء الله غداً أهل الورع والزهد » .

ركبت مطايا العزم تقوى وهمة ... وأنت لفعل الخير أدنى وأسرع
وأسديت ثوب الزهد ثوباً مسربلاً ... وذلك ثوب ليس والله يخلع
ومن ذاق طعم الأنس بالله حقبة ... فليس له في عيشة الزيف مطمع

وغيرك يستعلي عروشاً كسيحة — وأنت على عرش القلوب تربع
تفكرت في دنياك والأمن سابغ — لمن كان لله المهيمن يخشع
صلاة وقرآن وذكر ومسجد — وحولك أجيال وعان وموجع
فأنَّى لظلم النفس حظ وإنما — شغلت بفعل الخير والدرب مهيع
وكم قمت في عين الملمات فانثنت — وأنت لحصن الدين باب ممنع
تبديت كالشم الرواسي تجذرت — تقر بها الدنيا ولا تتزعزع

١٩ - الحكمة والموعظة الحسنة :

ليس هنالك أجمل طريقاً ، ولا أفضل أسلوباً ، ولا أحسن دعوة من طريق الرسل ، وأسلوب الأنبياء ، ودعوة الأصفياء ، والمتأمل لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ يجدها تأمر باللطف ، وتحث على العفو ، وتدعو إلى الحكمة ؛ لأن القصد هو كسب القلوب ، وتنوير الأذهان ، وبث الإيمان ، وهداية الإنسان .

والنفوس مجبولة على النفور من العنف ، والكره للقسوة ، والبغض للشدة ، ولذلك يأتي التوجيه الرباني العظيم للنبي ﷺ : ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾ .

ويبين جل وعلا لنبيه ﷺ أن سبب كسبه للقلوب ، وحبه في النفوس وجمعه للأرواح هو اللطف واللين ، والرأفة والرحمة : ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾ .

وهذا هو فرعون الكافر العنيد ، والمارد الشديد ، مدعي الربوبية ،

ومحارب الألوهية ، يأمر تعالى موسى وهارون أن يتلطفا في دعوته ، ويلينا في مخاطبته : ﴿ **فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى** ﴾ .

فامتثل النبي ﷺ أمر ربه ، فكان رحمة للإنسانية ، وهداية للبشرية ، عفو كريم ، رؤوف رحيم : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ .

ويمتثل ﷺ أمر ربه في الدعوة بالحسنى ، والنصيحة بالحكمة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، فضرب في ذلك من الأمثلة أروعها ، ومن المواقف أبدعها .

والعلماء الربانيون يقتفون الأثر ، ويسيرون على النهج ، ويقتفون الطريقة ، ويمضون على السنة ، وهكذا كان ابن عثيمين – رحمه الله – كان علمه ومواعظه ونصحه وتوجيهه ينساب إلى القلوب ، ويتسرب إلى الأعماق كالماء البارد ، والنسيم الهادئ ، والشهد المذاب ، بعيد عن العنف بريء من التجريح ، سليم من التشهير ، مصون من التعيير ، وهتف بيانه ، ونطق لسانه بالحث على الحكمة ، والدعوة على بصيرة ، والمجادلة بالحسنى .

يقول – رحمه الله – : « من آداب طالب العلم : أن يكون متحلياً بالحكمة ، حيث يقول الله : ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ﴾ .

والحكمة أن يكون طالب العلم مربياً لغيره بما يتخلق به من الأخلاق وبما يدعو إليه من دين الله – عز وجل – بحيث يخاطب كل إنسان بما يليق بحاله ، وإذا سلكنا هذا الطريق حصل لنا خير كثير كما قال ربنا عز وجل : ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ﴾ .

والحكيم هو الذي ينزل الأشياء منازلها ، لأن الحكيم مأخوذ من الإحكام ، وهو الإتقان ، وإتقان الشيء أن ينزله منزلته ، فينبغي بل يجب على طالب العلم أن يكون حكيماً في دعوته .

وقد ذكر الله مراتب الدعوة في قوله تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ .

وذكر الله تعالى مرتبة رابعة في جدال أهل الكتاب ، فقال تعالى : ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم** ﴾ .

فيختار طالب العلم من أساليب الدعوة ما يكون أقرب إلى القبول ، ومثال ذلك في دعوة الرسول ﷺ ، جاء أعرابي فبال في جهة من المسجد ، فقام إليه الصحابة يزجرونه ، فنهاهم النبي ﷺ ، ولما قضى بوله دعاه النبي ﷺ ، وقال له : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » أو كما قال ﷺ ، أرأيتم أحسن من هذه الحكمة؟ فهذا الأعرابي انشرح صدره ، واقتنع حتى إنه قال: « اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحدا » .

وقصة أخرى عن معاوية بن الحكم السلمي ؛ قال : بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم . فقلت : يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم . فقلت : واثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم . فلما رأيتهم يصمتونني سكت ، فلما صلى رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي ما رأيت معلماً بعده أحسن تعليماً منه فو الله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني . قال : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس . إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن » . ومن

هنا نجد أن الدعوة إلى الله يجب أن تكون بالحكمة كما أمر الله عز وجل .

ومثال آخر أن النبي ﷺ رأى رجلاً وفي يده خاتم ذهب ، وخاتم الذهب حرام على الرجال ، فنزعه النبي ﷺ من يده ورمى به ، وقال : « يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيضعها في يده » ، ولما انصرف النبي ﷺ قيل للرجل : خذ خاتمك انتفع به . فقال : والله لا آخذ خاتماً طرحه رسول الله ﷺ ، فأسلوب التوجيه هنا أشد ؛ لأن لكل مقام مقالاً ، وهكذا ينبغي لكل من يدعو إلى الله أن ينزل الأمور منازلها وألا يجعل الناس على حد سواء ، والمقصود حصول المنفعة .

وإذا تأملنا ما عليه كثير من الدعاة اليوم وجدنا أن بعضهم تأخذه الغيرة حتى ينفر الناس من دعوته ، لو وجد أحداً يفعل شيئاً محرماً لوجدته يشهر به بقوة وبشدة ، يقول : ما تخاف الله ، ما تخشى الله ، وما أشبه ذلك حتى ينفر منه ، وهذا ليس بطيب ؛ لأن هذا يقابل بالضد ، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية لما نقل عن الشافعي ما يراه في أهل الكلام ، حينما قال : « حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في العشائر ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام » .

قال شيخ الإسلام : إن الإسلام إذا نظر إلى هؤلاء وجدهم مستحقين لما قاله الشافعي من وجه ، ولكنه إذا نظر إليهم بعين القدر والحيرة قد استولت عليهم ، والشيطان قد استحوذ عليهم فإنه يرق لهم ويرحمهم ، ويحمد الله أن عافاه مما ابتلاهم به ، أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء ، أو أوتوا فهوماً وما أوتوا علوماً ، أو أوتوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء .

هكذا ينبغي لنا أيها الإخوة أن ننظر إلى أهل المعاصي بعينين : عين الشرع ، وعين القدر ، عين الشرع أي لا تأخذنا في الله لومة لائم كما قال تعالى عن الزانية والزاني : ﴿**فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**﴾ .

وننظر إليهم بعين القدر فنرحمهم ونرق لهم ونعاملهم بما نراه أقرب إلى حصول المقصود وزوال المكروه ، وهذا من آثار طالب العلم بخلاف الجاهل الذي عنده غيرة لكن ليس عنده علم ، فطالب العلم الداعية إلى الله يجب أن يستعمل الحكمة » . (كتاب العلم ، ص : ٣٧ – ٤٠)

ويقول – رحمه الله – : « الدعوة المقصودة هي التي تكون على بصيرة كما قال الله عز وجل : ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾ .

والبصيرة تكون فيما يدعو إليه الشخص ، وفي حال من يدعوهم ، وفي أسلوب الدعوة ، والبصيرة فيما يدعو إليه الشخص تقتضي العلم ، فلا يتكلم الشخص إلا بما يعلم أنه حق أو بما يغلب على ظنه أنه الحق إذا كان الشيء الذي يدعو إليه مما يسوغ فيه الظن ، أما أن يدعو الشخص بجهل فإنه يهدم أكثر مما يبني مع أنه أثم إثماً كبيراً .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾ .

والبصيرة بحال من يدعوهم من مقتضياتها أن يفرق الداعية في دعوته بين الإنسان الجاهل وبين الإنسان المعاند المكابر ، والبصيرة بأسلوب الدعوة هي أن يعرف الداعية كيف يدعو الناس ، هل يدعو بالعنف والشدة والقدح

فيما هم عليه ، أم يدعو باللين والرفق وتحسين ما يدعوهم إليه دون أن يقبحهم فيما هم عليه» . (الفتاوى ، ص : ١٧٤)

ويقول - رحمه الله - : «الذي تدل عليه السنة المطهرة سنة النبي ﷺ أن الواجب على الإنسان أن يدعو إلى الله تعالى بالحكمة وباللين وبالتيسير ، فقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ .

وقال الله تعالى له : ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم**﴾ .

وقال تعالى حين أرسل موسى وهارون إلى فرعون : ﴿**فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى**﴾ .

وأخبر النبي ﷺ : «أن الله يعطي بالرفق ما لا يعطي بالعنف» ، وكان يقول إذا بعث بعثاً : «يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» .

وهكذا ينبغي على الداعية أن يكون ليناً طليق الوجه ، منشرح الصدر ، حتى يكون ذلك أدعى لقبول صاحبه الذي يدعوه إلى الله ، ويجب أن تكون دعوته إلى الله وحده ليكون بذلك مخلصاً ، وييسّر الله له الأمر ، وهدى على يديه من شاء من عباده ، لكن إذا كان يدعو لنفسه كأنه يريد أن ينتصر ، وكأنه يشعر بأن هذا عدو له يريد أن ينتقم منه فإن الدعوة ستكون ناقصة وربما تنزع بركتها ، فنصيحتي لإخواني الدعاة أن يشعروا هذا الشعور ، أي أنهم يدعون الخلق رحمة بالخلق وتعظيماً لدين الله عز وجل ونصرة له» . (الفتاوى ، ص : ١٦٢)

٢٠ - الصبر والمثابرة :

لقد كانت حياته - رحمه الله مثالاً رائعاً للصبر في أجمل أثوابه ، وأحسن أشكاله ، وأبدع أحواله ، صبر على الطلب ، وصبر على البذل ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وصبر على التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر .

والصبر سمة عظيمة ، وصفة كريمة ، تحلو ثمارها ، وتعذب أنهارها ، وتعظم أثمارها ، وتعبق أزهارها ، وتحلو أسرارها ، وتطيب أخبارها .

العلم الغزير الذي حواه صدر الشيخ لم يأت بالتحلي ولا بالتمني ، ولا بالعجز والكسل ، والفتور والخطل ، بل جاء ببذل وعناء ، وصبر ولأواء ، وهمة واعتناء .

وإضافة إلى علم الشيخ بمنزلة الصبر والصابرين من كتاب الله تعالى ، وسنة سيد الصابرين ﷺ فإنه قد تأثر كثيراً بأشياخه الصابرين ، وقدواته المثابرين ، وأعظمهم شيخه العلامة عبد الرحمن السعدي ، وإليك هذه القصة الجميلة التي أجزم أنها واحدة من تلك القصص الهادفة ، والأمثال المحكمة التي كان الشيخ السعدي - رحمه الله- يشجع بها تلميذه البار ، ويقوي بها همته ، ويشحذ عزيمته ، قصة قد تكون عادية في نظر بعض الناس أو ساذجة ، ولكنها تحمل في طياتها الشيء الكثير .

يقول الشيخ - رحمه الله - : « وقد حدثني شيخنا المثابر عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - أنه ذُكر عن الكسائي إمام أهل الكوفة في النحو أنه طلب علم النحو فلم يتمكن ، وفي يوم من الأيام وجد نملة تحمل طعاماً لها وتصعد به إلى الجدار ، وكلما صعدت سقطت ، ولكنها ثابرت حتى تخلصت من هذه العقبة وصعدت الجدار ، فقال الكسائي : هذه

النملة ثابرت حتى وصلت الغاية ، فثابر حتى صار إماماً في النحو .

ولهذا ينبغي لنا أيها الطلبة أن نثابر ولا نيأس فإن اليأس معناه سد باب الخير ، وينبغي لنا ألا نتشاءم ، بل نتفاءل ، وأن نعد أنفسنا خيرا » .

(كتاب العلم ، ص : ٦٢)

لقد صبر الشيخ – رحمه الله – وثابر ، سواء في طلب العلم أو في التعليم والبذل والدعوة والإرشاد ، والصبر على كل تبعات ذلك الطريق الذي سلكه الأنبياء والصديقون والشهداء .

لقد كان الشيخ متعلقاً بحبال الصبر الجميل إلى آخر لحظة من لحظات حياته . ولقد كان يبلغ بنا العجب كل مبلغ ونحن ننظر إلى صبر الشيخ ومثابرته ، وجده واجتهاده ، في العلم والبذل والتدريس والتوجيه ، كنا نتأمل حاله في رمضان حينما يدلف إلى مكة المكرمة في العشر الأواخر بحيث يكاد المرء يجزم أنه لا يعرف للنوم طعماً ، وللراحة مذاقاً ، طيلة يومه في قراءة القرآن ، والإجابة على الفتاوى عن طريق الهواتف ، ثم تبدأ رحلته الليلية الربانية الماتعة صلاة العشاء والتراويح ، ثم درس بعد التراويح إلى القيام ، ثم ينهال عليه طلبة العلم ويكتظ الزحام حوله ، فيظل معهم ساعات طويلة يجيب هذا ويستمع لذلك ، ويناقش واحداً ، ويلاطف ثانياً ويشرح لثالث ، ثم يعود لصلاة الفجر ، فيبدأ درساً طويلاً من بعد الفجر إلى وقت الضحى ، ثم يدعى أحياناً لإلقاء محاضرات أو المشاركة في لقاءات أو المعونة لجمعيات ، وهكذا دواليك ، فما ازداد بالصبر والمثابرة إلا قوة ونشاطاً ، وعزماً وإقداماً ، وحباً واحتراما ، استعان بالصبر والصلاة فأعانه الله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين** ﴾ فنرجو الله تعالى أن يكون من الذين يوفون أجورهم بغير حساب فقد جاهد

وصابر حتى في أيامه الأخيرة ، وحاول وثابر في آخر عشر حضرها ، حاول أن يواصل مسيرة الصبر ، فكان يعلم ويفتي وهو على فراش المرض ، والداء يفتك به ، والسرطان يلتهم أحشاءه ، والآلام تعتصر فؤاده .

ولقد عاش – رحمه الله – يسكب في قلوب طلابه رحيق الصبر ، وزلال المثابرة ، وعدم العجز والكسل ، والتواني والضعف ، يقول – رحمه الله – : « فالثبات معناه الصبر والمثابرة ، وألا يمل ولا يضجر ، وألا يأخذ من كل كتاب نتفة ، أو من كل فن قطعة ثم يترك ، لأن هذا الذي يضر الطالب ويقطع عليه الأيام بلا فائدة ، فمثلاً بعض الطلاب يقرأ في النحو : في الآجرومية ، ومرة في متن قطر الندى ، ومرة في الألفية ، وكذلك الحال في المصطلح ، مرة في النخبة ، ومرة في ألفية العراقي ، وكذلك في الفقه : مرة في زاد المستقنع ، ومرة في عمدة الفقه ، ومرة في المغني ، ومرة في شرح المهذب ، وهكذا في كل كتاب .. وهلم جرا ..

هذا في الغالب لا يحصل علماً ، ولو حصّل علماً فإنه يحصل مسائل لا أصول ، وتحصيل المسائل كالذي يلتقط الجراد واحدة بعد الأخرى ، لكن التأصيل والرسوخ والثبات ، هذا هو المهم ، أثبت بالنسبة للكتب التي تُقرأ أو تراجع ، وأثبت بالنسبة للشيوخ أيضاً الذين تتلقى عنهم ، لا تكون ذواقاً كل أسبوع عند شيخ ، كل شهر عند شيخ ، قررأولاً من ستتلقى العلم عنده ، ثم إذا قررت ذلك فاثبت ، ولا تجعل كل شهر أو كل أسبوع لك شيخاً ، ولا فرق بين أن تجعل لك شيخاً في الفقه ، وتستمر معه في الفقه ، وشيخاً آخر في النحو تستمر معه في النحو ، وشيخاً آخر في العقيدة والتوحيد وتستمر معه ، المهم أن تستمر لا أن تتذوق ، وتكون كالرجل المطلاق كلما تزوج امرأة وجلس عندها سبعة أيام طلقها وذهب يطلب أخرى » . (كتاب العلم ، ص : ٥٠)

ويقول – رحمه الله – : « يتعين على طالب العلم أن يبذل الجهد في إدراك العلم والصبر عليه ، وأن يحتفظ به بعد تحصيله ، فإن العلم لا ينال براحة الجسم ، فيسلك المتعلم جميع الطرق الموصلة إلى العلم وهو مثاب على ذلك ؛ لما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » .

فليثابر طالب العلم ويجتهد ويسهر الليالي ، ويدع عنه كل ما يصرفه أو يشغله عن طلب العلم .

وللسلف الصالح قضايا مشهورة في المثابرة على طلب العلم ، حتى إنه يروى عن ابن عباس – رضي الله عنه – أنه سئل : بم أدركت العلم؟ قال : بلسان سؤول ، وقلب عقول ، وبدن غير مئوّل .

وعنه أيضاً – رضي الله عنه – قال : « .. إن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه – وهو قائل – فأتوسد ردائى على بابه ، تسفو الريح عليّ من التراب ، فيخرج ، فيقول : يا بن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليّ فآتيك؟ فأقول : أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث » . فابن عباس – رضي الله عنه – تواضع للعلم فرفعه الله به » . (كتاب العلم ، ص : ٦٠)

ويقول – رحمه الله – : « وعلى طالب العلم أن يكون صابراً على التعلم ، أي مثابراً عليه ، لا يقطعه ، ولا يمل ، بل يكون مستمراً في تعلمه بقدر المستطاع ، وليصبر على العلم ، ولا يمل فإن الإنسان إذا طرقه الملل استحسر وترك ، ولكن إذا كان مثابراً على العلم فإنه ينال أجر الصابرين من وجه ، وتكون له العاقبة من وجه آخر ، واستمع إلى قول الله عز وجل مخاطباً نبيه : ﴿ **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين** ﴾ » . (كتاب العلم ، ص : ٤٠)

إن الشيخ - رحمه الله - كان يتمثل قول الله تعالى : ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم** ﴾ فصبر كما صبر أولو العزم ، وثابر كما ثابر أرباب الحزم ، وجاهد كما جاهد أولو العلم والحلم .

دعا إلى الصبر ، وكان من أول من امتثل الأمر ، يصعد على منبره ، فيهتف بصوته العذب ، ونبراته الخاشعة ، مخاطباً القلوب والأسماع بأمتع أحاديث الصبر ، وأبدع قصص المثابرة ، فيقول في خطبة بديعة :

« إن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قائم مقام الرسل ، كما قال الله تعالى في وصف خاتمهم وسيدهم محمداً ﷺ : ﴿ **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر** ﴾ فإذا كان قائماً مقام الرسل فلا بد أن يناله من الأذى ما يناله كما قد لاقى الرسل .

ولقد لاقى الأنبياء والرسل من أقوامهم أشد الأذى وأعظمه حتى بلغ ذلك إلى حد القتل ، قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ فهذا أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام لبث في قومة ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، فكان ملوكهم وأشرافهم يسخرون منه ، ولكنه صامد في دعوته ، يقول : ﴿ **إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون * فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم** ﴾ ، حتى قالوا متحدين له : ﴿ **يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين** ﴾ ، وقالوا مهددين له : ﴿ **لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** ﴾ أي من المقتولين رجماً بالحجارة .

وهذا إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن وإمام الحنفاء لبث في قومه ما

شاء الله يدعوهم إلى الله تعالى ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر : ﴿ **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه** ﴾ فما ثنى ذلك عزمه ، ولا أوهنه عن دعوته ، مضى في سبيل دعوته إلى ربه بعزم وثبات ، وأزال منكرهم بيده ، فغدا إلى أصنامهم فكسرها حتى جعلها جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون ، فلما رجعوا إلى أصنامهم وعلموا أن الذي كسرها إبراهيم ، طلبوا أن يؤتى به ليوبخوه على أعين الناس ، فيشهد الناس ما يقول فهل جبن أن يقول قول الحق في هذا المقام العظيم ، كلا بل قال لهم موبخاً : ﴿ **أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدن من دون الله أفلا تعقلون** ﴾ فعزموا على تنفيذ ما هددوه به و ﴿ **قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين** ﴾ فأضرموا ناراً عظيمة وألقوا إبراهيم فيها ، وهي أشد ما تكون اتقاداً ، ولكن رب العزة قال لها : ﴿ **كوني برداً وسلاماً على إبراهيم** ﴾ فكانت برداً لا حر فيه ، وسلاماً لا أذى فيه .

وهذا موسى ﷺ ماذا حصل له من فرعون المتكبر الجبار ، دعاه موسى إلى الله العلي الأعلى ، وقال : ﴿ **إني رسول رب العالمين** ﴾ ، فقال فرعون ساخراً به : ﴿ **وما رب العالمين** ﴾ ، وقال لملئه : ﴿ **إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون** ﴾ ، ثم توعد موسى قائلاً : ﴿ **لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين** ﴾ ، فهل خاف موسى من ذلك ، وهل وهنت عزيمته عن الدعوة إلى الله ، بل مضى في ذلك حتى بين لفرعون من آيات الله ما يهتدي به أولو الألباب ، ولكن فرعون استمر في غيه واستكباره ، وقال مهدداً موسى بالقتل ومتحدياً له أن يدعو ربه : ﴿ **ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد** ﴾ ، وقال لوزيره هامان ساخراً بالله رب العالمين : ﴿ **يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا** ﴾ ولكن موسى ﷺ صبر على

كل ما لاقاه من فرعون وقومه حتى كانت العاقبة له ، وكانت نتيجة فرعون وقومه ما ذكر الله : ﴿ **إنهم جند مغرقون * كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوماً آخرين** ﴾ .

وهذا عيسى عليه السلام أوذي من جانب اليهود ، فكذبوه ورموا أمه بالبغاء – أي الزنا – وعزموا على قتله ، واجتمعوا عليه فألقى الله شبهه على رجل فقتلوا ذلك الرجل وصلبوه ، وقالوا : ﴿ **إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله** ﴾ قال الله تعالى مكذباً لما ادعوه من القتل والصلب : ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾ .

وهذا خاتم الرسل وأفضلهم وسيدهم أعظم الخلق جاهاً عند الله ، هل سلم من الأذى في دعوته إلى الله وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر؟ لا بل ناله على ذلك من الأذى القولي والفعلي ما لا يصبر عليه إلا من كان مثله ، ولم يثنه ذلك عن دعوته إلى الله عز وجل دعاهم إلى عبادة إله واحد : ﴿ **وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب** ﴾ .

وكانوا إذا رأوا النبي ﷺ اتخذوه هزواً ، وقالوا ساخرين به : ﴿ **أهذا الذي بعث الله رسولا * إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها** ﴾ ﴿ **وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون** ﴾ ، ﴿ **وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً** ﴾ ، ﴿ **أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون** ﴾ .

فآذوا النبي ﷺ بكل ألقاب السوء والسخرية ، ولم يقتصروا على ذلك فحسب ، بل آذوه بالأذى الفعلي ، فكان أبو لهب وهو عمه وجاره يرمي بالقذر على باب النبي ﷺ فيخرج النبي ﷺ فيزيله ، ويقول يا بني

عبد مناف أي جوار هذا؟ .

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : بينما النبي ﷺ قائم يصلي عند الكعبة وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال قائل منهم : أيكم يذهب إلى جزور آل فلان أي ناقتهم فيجيء بسلاها ودمها وفرثها فيضعه على ظهر محمد إذا سجد ، فذهب أشقى القوم فجاء به ، فلما سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه ، قال ابن مسعود – رضي الله عنه – وأنا أنظر لا أغني شيئاً ، لو كانت لي منعة ، فجعل أبو جهل ومن معه يضحكون حتى يميل بعضهم إلى بعض من الضحك ، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءت ابنته فاطمة تسعى وهي جويرية حتى ألقته عنه ، فلما قضى النبي ﷺ الصلاة ، قال : اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، ثم سمى فلاناً وفلاناً.

وفي صحيح البخاري أيضاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – قال : بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه عن عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر – رضي الله عنه – فأخذ بمنكبي عدو الله ودفعه عن النبي ﷺ وقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، ولما اشتد به الأذى من قومه خرج إلى الطائف رجاء أن يؤوه ويمنعوه من قومه فلقي منهم أشد ما يلقى من أذى ، وقالوا : اخرج من بلادنا وأغروا به سفهاءهم يقفون له في الطريق ويرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه ، قال النبي ﷺ : « انطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب » .

أيها المسلمون إن هذا الصبر العظيم على هذا الأذى الشديد الذي لقيه النبي ﷺ وإخوته لأكبر عبرة يعتبرها المؤمنون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، ليصبروا على ما أصابهم، ويحتسبوا الأجر من الله، ويعلموا أن للجنة ثمناً: ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب**﴾. (الضياء اللامع، ص: ٥٩٨)

هذه أحرف تُجلّي وميضاً ... من ضياء في لمسة من وفاء
لو شدونا بكل لحن شجيٍّ ... في حروف بديعة الإيحاء
ما وَفَيْنَا بما لكم من جميل ... بات يشدو به قريبٌ وناءِ
إنها همسة من الحب خجلى ... كدتُّ أخفي أبياتها من حيائي
يا مجيب الدعاء يا فارج الهـ ... ـمِّ يا سميع النداء
جد على شيخنا بغفران ذنب ... وجنان في صحبة الأنبياء

* في أحسن تقويم *

يا من له الأخلاق ما تهوى العلى ... منها وما يتعشق الكبراء
أما الجمال فأنت شمس سمائه ... ولأنت بدر مشرق وضّاء
والحسن من كرم الوجوه وخيره ... ما أوتي القواد والزعماء

كانت تلك سبحات متطفلة في بحور الشيخ المتدفقة، وومضات مضيئة من أنواره الساطعة، وأزهار عابقة من حدائقة الغناء. تلك جولة في أعماق شخصيته الفذة، ومنهاجه المتألق.

أما عن سماته الخَلْقية فلا تَقل جمالاً وجلالاً وضياءً وبهاءً عن صفاته الخُلُقية ، وروائعة الإيمانية . كان – رحمه الله – ربعة من القوم ، كثّ اللحية وهي لحية قد اشتعلت شيباً ، أزهر اللون ، مليح الوجه ، متبلج الأسارير ، وضّاء الجبين ، باسم المحيا ، أكحل العين ، ذكي النظر ، خافض البصر ، ضليع الفم ، براق الثنايا ، لطيف الروح ، خفيف الجسم ، قليل اللحم ، قوي العزم ، خفيض الصوت ، بديع النغمة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم فعليه البهاء .

جميل الحديث ، فصيح إذا لفظ ، نصوح إذا وعظ ، لا يقول هُجْرا ، ولا ينطق هذرا . كلام يثمر علماً ، ويبين حكماً ، ويوضح شرعاً .

وكلامه السحر الحلال لَوَ انه ... لم يجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يملل وإن أوجزته ... ودّ المحدَّث أنه لم يوجز

كأنما حديثه الشهد المذاب ، إذا قال أسمع ، وإذا شرح أبدع ، وإذا حاضر أمتع ، وإذا جادل أقنع .

كلامه عسل مصفى ، إذا تناول موضوعاً وفّى وكفّى ، وإذا مشا تكفّأ .

تراه كالبدر والأخلاق زينته ... واللفظ يأتيك من دُرٍّ وعقيان
له ابتسامة طهر لا تفارقه ... ولا ترى منه إلا كل إحسان
حياته بالرضى والحب مفعمة ... وكان بالمسلمين المشفق الحاني

مواقف مع الشيخ

لي مع الشيخ – رحمه الله – تجارب ناصعة ، ومواقف ماتعة ، وذكريات رائعة ، كان يفيء عليّ من ظله ، ويقبل بوده ، ويجود ببشره ، ويتفضل بملاطفته ، ويتحبب بممازحته ، وكنت ألقاه ببشر دائم ، وأقيم على شرفه الولائم ، وأفرح بطلعته كما يفرح بعيده الصائم ، كان إذا جاء إلى مكة يخصني بجزء من وقته مهما كانت مشاغله ، وتعددت صوارفه . فإن لم يجد لي في جدوله موعداً لوليمة غداء أو عشاء همس في أذني أن الفطور عندي ، مرت سنوات عديدة وهو ينزل بجوار مسجدي في مكة المكرمة (مسجد الحارثي) بالعزيزية قبل أن أشرف بإمامة جامع سماحة المفتي – رحمه الله – وكان يصلي معنا كثيراً من الفروض ، ويلقي الدروس ويجيب على الأسئلة ، ونعيش في أيام إقامته عندنا أيام أنس وسلوان ، وبشر وإيمان ، وعلم وأفنان ، وحُسن وإحسان ، وهذه بعض الذكريات العابقة ، والمواقف الرائقة :

الموقف الأول :

أول ما نظمت الأوزان ، وهتفت بالبيان ، وتفجرت ينابيع الشعر في قلبي ، وسالت أنهار القريض في لغتي كان بين يدي سماحته – رحمه الله – وذلك حين زيارته لنا في منطقة الباحة وأنا في مطلع دراستي

الجامعية ، لم أكتب الشعر الفصيح بعد ، ولم أتمرس على صياغته ، ولكن زيارة الشيخ لنا كانت حدثاً جميلاً ، وموقفاً جليلاً ، أبهج القلوب ، وأسعد النفوس ، وأمتع الضمائر ، وهز المشاعر . طربت لمحياه القلوب والعقول ، وكان لزيارته أمتع القبول ، فأنشأت قصيدة مكسرة الأوزان ، مهدمة الأركان ، مخلخلة البنيان ، تمشي على استحياء ، وتشكو من الإقواء ، ليس لها من الشعر إلا رسمه ، ومن القريض إلا اسمه ، ولكنني وقتها قمت أنشدها بين يدي الشيخ وأنا أظن أنني متنبي الزمان ، وشاعر غامد وزهران ، ولكن الحضور أعجبوا بما فيها من عاطفة ، وتبسموا لما حملت من الملاطفة ، وأذكر من أبياتها :

عندي سؤال أريد الشيخ يفتيني
لعل منه الجواب اليوم يرضيني
يا شيخنا لو أتى بعض المساكين
يشكو لكم حاله بالرفق واللين
يقول من متقٍ لله يرحمني
فالفقر يا إخوة الإسلام يؤذيني
فقراً شديداً وكم جبت البلاد وكم
حاولت أحظى بإنسان يواسيني
شكواي يا شيخ عن نفسي وعن بلدي
عن ربع غامد وعن ربع الزهارين
والله يا شيخنا ما فقرنا فقر
في المال أو في حطام الأرض والطين

فأفضل الرزق والإنعام نملكه
والحمد لله نحظى بالملايين
وإنما فقرنا في أن بلدتنا
لم تحظى يوماً بأمثال العثيمين
نريد وقتاً لبلدتنا تخصصه
حتى ولو مرة في كل عامين

هذا ما في ذاكرتي من معلقتي الصماء ، وقصيدتي الفيحاء ، ولكنها كانت نافذة جميلة ، أطللت من خلالها على دنيا الشعر والأدب .

وزاد من إعجابي بقصيدتي ، ورؤيتي لنفسي : أن الشيخ – رحمه الله – طلب منها نسخة ، فذهبت سريعاً لطباعتها وتصحيحها ، ثم انطلقت في إثر الشيخ لأعطيه تلك المعلقة الشهيرة ، ولم ألحق به إلا في المطار ، فلما رآني تبسم ، فعانقته وأعطيته القصيدة وكأنني حصلت على كنز عظيم ، وأظنني لو لم ألحق بالشيخ إلا في القصيم لذهبت لكي أسلمه القصيدة!!.

الموقف الثاني :

سهرنا مع الشيخ – رحمه الله – في ليلة مقمرة ، على قمة جبل شامخ في مدينة جدة ، في منزل الشيخ عبد العزيز غبيشة الغامدي ، وتجاذبنا مع الشيخ أطراف الحديث الخلاب ، والكلام الجذاب ، ما بين فائدة علمية ، أو قصيدة شعرية ، أو نكتة بيانية ، أو قصة تاريخية ، وكان يحب قصائدي ، ويسألني دائماً عن كل جديد ، فأسمعته قصيدتي الشهيرة

«السراج المنير» في الثناء على النبي ﷺ وأنشدتها له بصوت حجازي جميل، فأنس بسماعها، ولم ينكر ذلك، وهي القصيدة التي من أبياتها:

محابر وسجلات وأندية … وأحرف وقواف كن في صمم
فمن أبو بكر قبل الوحي؟ من عمر؟ … ومن علي؟ ومن عثمان ذو الرحم؟
من خالد من صلاح الدين قبلك من … مالك؟ ومن النعمان في القمم؟
من البخاري ومن أهل الصحاح ومن … سفيان؟ والشافعي الشهم ذو الحكم
من ابن حنبل فينا وابن تيمية؟ … بل الملايين أهل الفضل والشمم
من نهرك العذب يا خير الورى اغترفوا … أنت الإمام لأهل الفضل كلهم
ينام كسرى على الديباج ممتلئاً … كبراً وطوق بالقينات والخدم
لا هم يحمله لا دين يحكمه … على كئوس الخنا في ليل منسجم
أما العروبة أشلاء ممزقة … من التسلط والأهواء والغشم
فجئت يا منقذ الإنسان من خطر … كالبدر لما يجلي حالك الظلم
أقبلت بالحق يجتث الضلال فلا … يلقى عدوك إلا علقم الندم
أنت الشجاع إذا الأبطال ذاهلة … والهندواني في الأعناق واللمم
فكنت أثبتهم قلباً وأوضحهم … درباً وأبعدهم عن ريبة التهم
بيت من الطين بالقرآن تعمره … تباً لقصر منيف بات في نغم
طعامك التمر والخبز الشعير وما … عيناك تعدو إلى اللذات والنعم
تبيت والجوع يلقى فيك بغيته … إن بات غيرك عبد الشحم والتخم
لما أتتك «قم الليل» استجبت لها … العين تغفو وأما القلب لم ينم

تمسي تناجي الذي أولاك نعمته ... حتى تغلغلت الأورام في القدم
أزيز صدرك في جوف الظلام سرى ... ودمع عينيك مثل الهاطل العمم
الليل تسهره بالوحي تعمره ... وشيبتك بهود آية «استقم»
تسير وفق مراد الله في ثقة ... ترعاك عين إله حافظ حكم
فوضت أمرك للديان مصطبراً ... بصدق نفس وعزم غير منثلم
ولى أبوك عن الدنيا ولم تره ... وأنت مرتهن لا زلت في الرحم
وماتت الأم لما أن أنست بها ... ولم تكن حين ولت بالغ الحلم
ومات جدك من بعد الولوع به ... فكنت من بعدهم في ذروة اليتم
فجاء عمك حصناً تستكن به ... فاختاره الموت والأعداء في الأجم
ترمى وتؤذى بأصناف العذاب فما ... رؤيت في ثوب جبار ومنتقم
حتى على كتفيك الطاهرين رموا ... سلا الجزور بكف المشرك القزم
أما خديجة من أعطتك بهجتها ... وألبستك رداء العطف والكرم
غدت إلى جنة الباري ورحمته ... فأسلمتك لجرح غير ملتئم
والقلب أفعم من حب لعائشة ... ما أعظم الخطب فالعرض الشريف رمي
وشج وجهك ثم الجيش في أحد ... يعود ما بين مقتول ومنهزم
لما رزقت بإبراهيم وامتلأت ... به حياتك بات الأمر كالعدم
ورغم تلك الرزايا والخطوب وما ... رأيت من لوعة كبرى ومن ألم
ما كنت تحمل إلا قلب محتسب ... في عزم متقد في وجه مبتسم

الموقف الثالث :

كنا في وليمة على شرف الشيخ – رحمه الله – في منزل أخينا الدكتور أحمد المورعي فسألني الشيخ – رحمه الله – كعادته عن الجديد من الشعر فقلت له لدي مقطع من قصيدة لي أنشدتها في الحج عن النبي ﷺ ، ولكن أخشى أن يكون لك عليها ملاحظات ، ثم قلت له : يا شيخ ترى أنا فِيَّ مِلعقتا تصوف ، فتبسم الشيخ ، وقال : إن كان معلقتين فقط فالأمر بسيط هات أسمعنا ، فأنشدت عليه منها قولي :

أحبَّتي عاد بي ذهني إلى زمن … معظّمٍ في سويدا القلب مُستَطَرِ
كأنني برسول الله مرتدياً … ملابس الطهر بين الناس كالقمر
نورٌ وعن جانبيه من صحابته … فيالقٌ وألوفُ الناس بالأثر
ساروا برفقة أزكى مهجة دَرَجَتْ … وخير مشتملٍ ثوباً ومُؤْتزر
ملبياً رافعاً كفّيه في وجلٍ … لله في ثوب أوّاب ومفتقر
مُرنّماً بجلال الحق تغلبُه … دموعُهُ مثل وبل العارض المَطِرِ
يمضي ينادي خذو عني مناسككم … لعل هذا ختام العهد والعمر
وقام في عرفات الله ممتطياً … قَصْوَاءَهُ يالَهُ من موقف نَضِرِ
تأمّلَ الموقف الأسمى فما نَظَرتْ … عيناه إلا لأمواج من البشر
فينحني شاكراً لله مِنّتَهُ … وفضله من تمام الدين والظفر
يشدو بخطبته العصماء زاكيةً … كالشهد كالسلسبيل العذب كالدرر
مجلياً روعة الإسلام في جُمَلٍ … من رائع من بديع القول مختصر
داعٍ إلى العدل والتقوى وأن بها … تفاضلَ الناس لا بالجنس والصور

مُبيناً أن للإنسان حرمته ... مُمَرِّغاً سيء العادات بالمدر
يا ليتني كنت بين القوم إذ حضروا ... مُمَتَّعُ القلب والأسماع والبصر
وأنبري لرسول الله أَلْثُمُهُ ... على جبين نقيٍّ طاهرٍ عَطِرِ
أقبِّل الكفَّ كف الجود كم بَذَلَتْ ... سَحَّاء بالخير مثل السلسل الهَدِرِ
ألوذ بالرَّحْل أمشي في معيَّته ... وأرتوي من رسول الله بالنظر
أُسَرُّ بالمشي لو طال المسير بنا ... وما انقضى من لقاء المصطفى وطري
أما الرداء الذي حج الحبيب به ... يا ليته كفنٌ لي في دجى الحُفَرِ
يا غافلاً عن مزاياه وروعتها ... يَمِّمْ إلى كتب التاريخ والسِّيَرِ
ولو كتبتُ بدمع العين ملحمةً ... في حُبِّه جئتكم في ثوب مُعْتَذِرِ
لم أستطع أن أجلِّي عُشْر عاطفتي ... في حبه لا ولا عُشْراً من العُشَرِ
يا رب لا تَحْرِمَنَّا من شفاعته ... وحوضه العذب يوم الموقف العَسِرِ

فلما انتهيت أثنى عليها الشيخ ، وقال هذا ليس تصوفاً ، بل هو ثناء جميل .

الموقف الرابع :

كان الشيخ – رحمه الله – ضيفي في يوم من الأيام ، فلما طلب مني المشاركة قلت له : يا شيخ عندي قصيدة ، ولكن فيها بعض السخرية ، قال: هاتها ، وكانت تلك القصيدة في السخرية من بعض الذين يدعون الإسلام ، وهم يحاربونه بأقوالهم وأفعالهم ، ويقتلون العلماء ، ويشردون الدعاة ، وقد ألقيتها عقب درس عن سورة الفيل ، ومنها :

يا شيخنا قد تولى صاحب الفيل أَبَادهُ الله بالطير الأبابيلِ
لكنّ في عصرنا مليون أبرهة للْهدم قد هيئوا شتىَ المعاويلِ
لَهُم فعائل سوءٍ ينزوي خجلاً من مثلها لورآها صاحب الفيلِ
لم يهدموا كعبة الإسلام يحفظها من كل صاحب شرٍّ ربُّ جبريلِ
لكنهم أعلنوا هدماً وخلخلةً بلا توانٍ على وحيٍ وتنزيلِ
قاموا بحربٍ على الإسلام واجتهدوا فى قمع أربابه من دون تعليلِ
لم يرتفع صوت أهل الحق بينهُمُ إلا أبيدوا بتشريدٍ وتقتيلِ
شجاعةٌ فذة في أهل ملتهم وإنْ رأوا الخصم بَالوا في السراويلِ

وكان الشيخ يسمع ويضحك – رحمه الله – .

الموقف الخامس :

هذا الموقف كان قبل عام تقريباً من وفاته – رحمه الله – حيث كان في ضيافة شقيقي الشيخ عثمان بن مسفر رئيس الهيئات بمكة المكرمة ، فبعد أحاديث الترحيب والملاطفة قلت له : يا شيخ اليوم فرصة سانحة لي لأقرأ عليك من قصيدتي في الثناء على الله ، وهي قصيدة تربو على المائتين والأربعين بيتاً ، وأريد منك ملاحظتك عليها ، فقال تفضل ، فقرأت عليه ما يقارب النصف ، فكان يوقفني عند كل بيتٍ تقريباً ، وأبدى لي عدداً من الملاحظات التي سعدت بها ، ومن أبيات القصيدة ما يلي :

هذه قصة من الحب تتلى في حروف فتّانة ساحرات
ومعان أضحت بمحراب روحي ذاكرات لربها ساجدات

هذه غـرفـة من الحب تسقي بـرواها ضـمـائراً صـاديات
هذه نسـمـة شـذاها تجلى في سمـاء الهوى بمسكٍ فتات
وسُلاف البيـان يحلو مذاقاً لقلوب شـفـافـةٍ مـرهفـات
بعثتُ ذاتي على حـبيب قريب من فـؤادي ومنه حـبي وذاتي
تـاه لـبّـي وذاب قـلـبـي لـربـي فـهـو حـبي وسَلوتي في حـيـاتي
ولـه كـل ذرّة في كـيـانـي ومماتي ومنسكي وصـلاتي
يـا مـرادي هـذي ترانيم حب من فيوض المشاعر الخاشعات
أنت أهل الثناء والمجد فامنن بجـمـيل من الثناء المُـواتي
مـا ثنائي عليك إلا امـتنان ومـثـال للأنعم الفـائضـات
يا محب الثناء والمدح إني من حيـائي خـواطري في شتات
ذابت النفس هيبةً واحتراماً وتأبّتْ عن بلع ريقي لهاتي
حـبنا وامـتـداحنا ليس إلا ومضة منك يا عظيم الهبات
لو نظمنا قـلائداً من جمـانٍ ومـعـانٍ خـلابةٍ بالمئات
لو برينا الأشـجـار أقـلام شكرٍ بمداد من دجلةٍ والفـرات
لو نقـشنا ثناءنا من دمـانا أو بذلنا أرواحنا الغـاليـات
لو نُشِـرْنا في ذاته أو رُمـينا برمـاح فـتّـاكـةٍ مـشـرعـات
أو جـهـدنا نفـوسنا في قـيـامٍ وصـيـامٍ حـتى غـدت ذاويات
أو مـزجنا نهـارنا بدجـانا في صـلاةٍ وألسن ذاكـرات
أو قطعنا مـفـاوزاً من لهـيبٍ ومـشـينا بأرجل حـافـيـات
أو سـجـدنا على شظايا رصاص أو زحـفنا زحـفـاً على المرمضـات

أو بكينا دماً وفاضت عيون ... بلهيب المدامع الحارقات
ما أبنّا عن همسة من معانٍ ... في حنايا نفوسنا ماكنات
أو أتينا لِذرَّة من جلالٍ ... أو شكرنا آلائك الغامرات
أي شيءٍ يقوله الشعر لما ... يتغنى بخالق الكائنات

الموقف السادس :

بعد عودته – رحمه الله – من رحلة العلاج إلى أمريكا كان في ضيافة معالي الشيخ الدكتور صالح بن حميد – حفظه الله – لوليمة غداء ، ودعيت للمشاركة ، وكان يوماً حافلاً بالعلماء وطلبة العلم جاؤوا يعمر قلوبهم الشوق ، ويملأ نفوسهم السرور بقدوم الشيخ ، وهم في غاية التطلع إلى الاطمئنان على صحته ، وهو جالس بينهم كالبدر المنير ، وكأنه في أتم الصحة والعافية ، يعمر المجلس كعادته ، بعلمه الجم ، وكلامه العذب ، وفوائده البديعة ، وعلى وجهه ابتسامته المشرقة التي لم تفارقه طيلة حياته ، فاستأذنه معالي الشيخ في أن ألقي قصيدة بمناسبة عودته من رحلة العلاج ، فألقيت قصيدة أعتبرها من أبدع قصائدي ، شكرني الشيخ عليها ، ودعا لي بخير .

أما الحاضرون فكثير منهم فاضت عبراتهم ، وظهرت آهاتهم ، لما يعتريهم من مشاعر الفرح والخوف ، فلما أن فرغت منها ، قال الشيخ : لو كنت أجيد الشعر لرددت عليك بقصيدة ، فقلت له : رضاك عني أعظم قصيدة ، وأحسن هدية ، وطلب منها نسخة ، فطبعتها وأرسلتها إليه بالفاكس إلى القصيم ، أما القصيدة فهذه أبياتها :

كم تخيّرت من حروف الثناء لاشتياقي وبهجتي واحتفائي
أيُّ حرف على مُحيَّاه تبدو روعة الأنس والرضا واللقاء
أي حرف في مقلتيه المعاني ناطقاتٌ وفي صداه انتشائي
يا بحور البيان هل من مَعِينٍ فيه زاد من الرضا والرواء
فيض حب وغيث مدح نقي حين يهمي مبشراً بالنماء
وقريض يظل أسمى وأزكى من بيانٍ لبحتري وطائي
معلناً بالوفاء والحب منا للعثيمين وارث الأنبياء
المثال لكل فضل ونبل وارتقاء للقمة الشمّاء
أجمل العلم والتقى والمعالي قد تزيا منها بأزكى رداء
ناصحٌ أمتع البرايا فعاشوا من جنى علمه بأوفى غذاء
كم نهلنا من نهره وانتشينا ومزجنا وداده بالدماء
عاش يُهدي من سائغ الوحي علماً يبعث الروح للنفوس الظماء
واستنارت به عقول البرايا واستفاقت على بديع الحداء
لا تزال الأجيال تجني قطافاً من ثمار السنابل الخضراء
فاح عطر من فيض علم نقيٍّ سوف يبقى على مدى الآناء
صور من روائع العلم تبدو للمريدين في أتم الجلاء
وحياة معمورة بالسجايا في مزيج من التقى والإباء
يا فقيهاً تعجَّب الفقه منه ومضى فيه حاملاً للواء
سابراً غوره بفهم ذكي واختيار موفق وانتقاء
أنت في النحو عالم لا يبارى أو يجارى أذكرتنا بالكسائي

ومعان من التفاسير مثلى … تتحدى معانيَ الفراء
وعرفناك واعظاً لوذعياً … بات أزكى نهجاً من الإحياء
وحديثٌ عن سيد الخلق يُروى … كنتَ فيه كمسلم والنسائي
عطر وحي عن جابر وابن صخر … ومعاذ وعن أبي الدرداء
لغة تنشر الرضا وبيان … صادق القصد هَازِئٌ بالرياء
همة تبلغ الثريا وبذل … لا يجارى في روعة ومضاء
زاهد صادق المشاعر بالحب … بعيدٌ عن مسرح الضوضاء
قدس العلم عن غرور التباهي … أو مسيرٍ في موكب الأهواء
ليس يغريه بهرج أو مديح … أو فنونٌ من واحة الإطراء
واحتمى بالدليل عن كل زيفٍ … فتبدّى في رفعةٍ واهتداء
يا حبيب القلوب كم من قلوب … مفعمات بحبها والوفاء
شبها الهم واعتراها ذهول … حين قالوا إمامُها في عناء
لو رأيتَ العيون بالدمع تهمي … تتلقى رقادها بالجفاء
لو رأيتَ السؤال في كل وجه … عن محياك نابضاً بالرجاء
لو رأيت النفوس وَلْهى حيارى … شاحبات من لوعة الإعياء
لو رأيت الجموع مما دهاها … مثل ركب يتيه في بيداء
حيث غاب الدليل في جنح ليل … قاتمِ الوجه مفعمٍ بالشقاء
في زمان تضج فيه البرايا … بجسامٍ من فادح الأرزاء
في ظلام تتوق فيه الأماني … لضياء الشريعة الغراء
والمحبون أصبحوا في وجوم … يتعالى ضجيجهم بالبكاء

في سؤال ولوعة واحتراق واشتياق لأحسن الأنباء
ثم لاذوا بذي عطاء وفضلٍ شاخصات أبصارهم للسماء
وتفانوا لشيخهم في دعاءٍ بالمسرات والرضا والشفاء
ما نسيناك إذ توليتَ إنا قد صحبناك في الثرى والفضاء
رافقتك الأرواح في كل أرض تملأ الأفقَ من جميل الدعاء
أورق الأنسُ والرضا إذ رأينا مقدم الشيخ معلناً بالبهاء
إنها سلوة لنا لا تجارى إذ نراه في باسم النعماء
جئت فجراً حلو المحيا يجلّي في سطوع مواكب الظلماء
والأماني تفتر عن حلو ثغرٍ ناصع اللون مفعم بالصفاء
أروع الفضل من إله كريم قد تجلى بلطفه في القضاء
يكتسي المرء حُلَّة من يقين حين يرضى من ربه بالبلاء
يا إلهي يا سامعاً كل شكوى يا عليماً بدائنا والدواء
ودبيباً للذر في جنح ليل حين يمضي بصخرة صمّاء
يا ملاذ النفوس في كل كرب يا حبيب العباد والأولياء
يا غياث الملهوف يا واسع الفضل يا عظيم العطاء
يا مجيب الدعاء يا فارج الهم يا سميع النداء
جد على شيخنا بعمرٍ طويل في سرور وعزة وهناء
وأَجِرْهُ من حادثات الليالي يا إلهي وكلِّ هم وداء
هذه أحرف تجلي وميضاً من سرور في لمسة من وفاء
لو شدونا بكل لحن شجيٍّ في حروف بديعة الإيحاء

مـا وَفَـيْنَا بما له من جـمـيل ... بات يشـدو به قـريبٌ وناءِ
إنهـا همسة من الحب خـجلى ... كِدتُّ أخفي أوراقها من حيائي
في مـقـام ومنزل لهـمـام ... وصـديق من خُلَّص الأصدقـاء
وصـلاةً زكـيـةً وسـلامـاً ... من فـؤادي على أبي الزهراء
مـا تغنتْ حـمـائم الأيك تشدو ... وَهْي جـذلى في روضـةٍ غنّاءِ

لماذا كل هذا ؟!

ليس حديثي عن الشيخ وتدويني لشمائله ، ووصفي لفضائله ، ورصدي لما كتب عنه من بديع النثر ورائق الشعر ؛ مجاراة للواقع ، أو زيادة في التباكي ، أو إثارة لمشاعر الحزن وكوامن الأسى ، أو لاستدرار الدموع ، واستجداء النحيب ليس إلا ، فلا شك أن القلوب متفطرة ، والأنفس متحسرة ، والدموع واكفة وحُقّ لها ذلك ، ولكن هل ذلك هو الهدف ، وهل هذا هو القصد ، وهل بذلك نعتبر أنفسنا قمنا بالواجب ، وأدينا الأمانة ، ونصحنا الأمة ، وكشفنا الغمة .

إن المسألة ليست دموعاً تنثر ، وكتباً تنشر ، وأحزاناً تُرقّق بها المجالس وتستجدى بها الدموع ، ويقطع بها الفراغ . إن هذا أسلوب ميت ، وتأثُّر تقليدي ، وموقف سلبي ، نربأ عنه بأنفسنا ، ونرتقي بذواتنا ، ولكننا نريد بذلك بيان منزلة العلم ، ورفعة درجة الفهم ، وعظيم ثمرة الصدق ، وحسن خاتمة النصح ، لنشحذ الهمم ، ونقوي العزائم ، ونلهب الحماس ، ونقدم النبراس ؛ من سيرة صفوة الناس .

لسنا ممن يؤله الأشخاص ، ويبالغ في إطرائهم ، ويغلو في مديحهم ، ولكن حبهم دليل على الدين ، وبرهان على التقوى ، وشاهد على الصدق حبهم واحترامهم هو حب للمنهج الذي يحملونه ،والعلم الذي يبذلونه ، والنور الذي يتبعونه : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ .

إن الصادق في حزنه ، والمتأثر من قلبه هو الذي يدفعه التأثر ، ويقوده الحزن ، وينطلق به الحب إلى آفاق أوسع ، وآماد أبعد، وآمال أعظم فيجزم على حمل الراية ، ويصمم على سلوك النهج ، ويعزم على خوض غمار المجد ينهج نهج الشيخ ، ويحذو حذوه ، ويقتفي أثره ، ويسير على منواله ، فما أوجد الله تعالى في الأمة هؤلاء الأعلام إلا ليقتدى بهم ، ويسار على أثرهم وتتبع خطاهم ، ويكونوا حجة على الناس ، شهوداً على الزمان .

يا من يباهي بحب الشيخ هل جُمِعَتْ قــواك للسيــر في منهــاج أبرار

وهل تَعَلَّمْتَ منه في تَأَلُّقِـــه عن حَمْـأة الذنب أو لوثات أوزار

أم أنت تبكي كما تبكي العجوز بلا بذْلٍ وفضلٍ وتحيا خلف أسوار

وما رأيناه من حب للشيخ ، وبكاءٍ عليه ، وحزن لفقده ، وتألم لفراقه هو علامة خير ، ودليل رشاد ، وإمارة فلاح .

وإن تلك المقالات العظيمة ، والكتابات الكريمة ، والقصائد المدوية ، والخطب المدبجة ، والمشاعر المتأججة ؛ التي اكتظت بها الصحف ، وازدحمت بها المجلات ، ودوت بها المنابر ، إنها ذات أبعاد كبيرة ، وفوائد وفيرة ، ودروس كثيرة ، ومنها :

١ - أنها تبين منزلة العلماء الصادقين ، وتجلي قدر الأولياء الناصحين .

٢ - أنها تؤكد أن أعظم سبيل للنفع ، وأجدر طريق للنصح ؛ هو القدوة الحسنة ، والدعوة بالأفعال قبل الأقوال ؛ فالعلماء كثير ، والدعاة والناصحون أمم ، ولكن الذي يتألق دائماً هم المصدقون لجميل أقوالهم بكريم أفعالهم .

٣ - أنها تظهر أن الفهم العميق للكتاب والسنة ، والالتزام بهما ، والسير

على هداهما ، واقتفاء نهج سلف الأمة الصلحاء ، هو الطريق الأقوم ، والسبيل الأحكم ، فإذا مضى العالم على نور من الله يدعو على بصيرة ويلتزم الحكمة ، ويريد الإصلاح ، ويحذر الفتن ، ويجتنب الشبة ، ويأخذ بالرفق ، ويدعو باللين ، ولا يعرض نفسه ودعوته للمهالك ، ولا يزج بها في المتالف ، ولا ينزع يداً من الطاعة ، ولا يشذ عن الجماعة ، ولا يطلق لسانه لتصيد الأخطاء ، وتتبع العثرات ، والبحث عن الزلات ولا يحسد ، ولا يحقد ، ولا يغش ، ولا يظلم .

إذا مضى العالم والداعية على هذا المنوال ، وأخذ بهذه الخصال ، أفلحت دعوته ، وأثمرت طريقته ، وعظمت منزلته ، وأحبه الصغير والكبير ، والملك والوزير ، والعامل والأمير ، وأصبح كالغيث الهنيىء الذي يهمي على كل الناس وابله الصيب الطيب ، فإن لن لم يكن وابل فطل .

٤ - أنها بشائر خير ، ودلائل فلاح ، وأمارات صلاح ، فالأمة إذا اهتزت مشاعرها وثارت أحزانها على أهل العلم وذوي المعرفة وحراس الشريعة وحملة المنهج فتلك ميزة حسنى ، وسمة مثلى .

٥ - أنها تجلي لنا أن الذي يزهد في الدنيا وزهرتها ، والحياة وبهرجها ، ويرفض البريق ، ويأبى المديح ، ويكره الإطراء ، يرزقه الله بعد وفاته أفضل الحب ، وأعظم المديح ، وأحسن الذكر ، وأجمل الدعاء ، وأصدق الثناء .

٦ - أنها تبين أن المجد مجد العلم ، والفوز فوز التقوى ، والمنزلة منزلة الإيمان فتلك العواطف الجياشة ، والمشاعر الفياضة ، لم تُجبر على الكتابة ولم

تؤمر بالمشاركة ، ولن تمنح جائزة ، ولن توهب مكافأة ، ولن تنال شيئاً من الدنيا على ذلك ، فكان دافعها هو الحب ، ورائدها هو الصدق ، وحاديها هو الإجلال .

٧ – أنها تبين الحقائق ، وتجلي الدخائل ، وتميز الصفوف ، فإن بعض أرباب الصحافة وحملة الأقلام ، ومشاهير الكتاب ، إذا مات شاعر ملحد ، أو كاتب زنديق ، أو مفكر ضال ، أو غانية هابطة ، أو مغن ماجن ، بكت قلوبهم ، وبُريت أقلامهم ، وطال نحيبهم ، وكثر وجيبهم ، وعظم بكاؤهم ، وزاد رثاؤهم .. فإذا مات عالم عامل ، وناصح صادق ، وهاد مهتد ، وإمام مجتهد أخرست الأقلام ، واستعجم الكلام ، وشاهت الوجوه ، واثّاقلوا إلى الأرض ، وأمسكوا عن الحديث ، ﴿ **ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين** ﴾ .

٨ – أنها تظهر مواهب جليلة ، وقدرات جميلة ، وإمكانات عالية .

٩ – أنها تشحذ الهمم ، وتقوي العزائم ، وتلهب الحماس ، فإن الناس عموماً ، وطلبة العلم خصوصاً إذا رأوا حسن الثمرة ، وجميل النتيجة وعاقبة الصبر ، وحسن الذكر ، وروعة الحب ، طمعوا في نيل المطالب العالية ، وبلوغ تلك المراتب السامية ؛ ليفوزوا بجنان قطوفها دانية ، لا يُسمع فيها لاغية .

١٠ – أن إعلان الحب للعلماء وإظهار الإجلال للنبلاء ، وصدق الثناء على المصلحين : يقوي مكانتهم بين الناس ، ويؤصل احترامهم لدى الصغير والكبير ، ويشير بضرورة إنزالهم منازلهم ، والاهتداء بهديهم والأخذ بنصحهم ، والاهتمام بدورهم .

العقد الثمين

في الثناء على ابن عثيمين

«أولاً : النثر»

هذه حبات من العقد الثمين في مناقب الشيخ العثيمين ، ودرر من روائع الكلام في الثناء على الإمام ، وقد يأتي بعد طباعة كتابنا هذا كتابات عدة ، ومقالات كثيرة تفوق ما هو موجود ، ولو رصدنا كل ما كتب لاحتاج ذلك إلى عدّة مجلدات .

وأكاد أجزم أن ما لم ينشر من النثر والشعر لا يقل في كمه وكيفه عما نشر ، ولكن الصحف والمجلات قامت مشكورة مأجورة بما تطيق وبما سمحت به الظروف ، فجزاهم الله خير الجزاء .

وقد جاءت هذه المقالات في ترتيبها على حسب صدورها في الصحف والمجلات عدا أصحاب السمو والمعالي ، وقد يكن هنالك مقالات هي أولى بالتقديم من غيرها من حيث قوتها العلمية ، أو فائدتها الفكرية ، أو رتبة الكاتب الاجتماعية ، ولكن المسألة ليست مسألة مفاضلة ، بل هو رصد لهذه الجهود المباركة ، والعواطف الجياشة ، والمشاعر الصادقة ، وقيمة كل مقال هي في منزلته عند الله تعالى ، وذلك على حسب نية قائله ، ومراد كاتبه ، بارك الله في الجميع ، وأعظم أجرهم ، ورفع قدرهم ، ونضّر وجوههم .

المؤلف

خادم الحرمين وبرقيات العزاء

بعث خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود برقية عزاء إلى الدكتور عبد الله بن صالح بن عثيمين في وفاة شقيقه فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، هذا نصها :

المكرم الدكتور عبد الله بن صالح بن عثيمين .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فلقد كدرنا أشد الكدر نبأ وفاة شقيقكم فضيلة الشيخ محمد . وإننا إذ نبعث إليكم وإلى جميع أسرتكم بأحر تعازينا ومواساتنا لنبتهل إلى المولى جل وعلا أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته ويسكنه فسيح جناته . وأن يلهمكم الصبر ويجزل لكم الأجر ويعوضكم والمسلمين بفقده خيراً . والحمد لله على قضائه وقدره . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

فهد بن عبد العزيز آل سعود

المكرم عبد الله بن محمد بن صالح بن عثيمين وإخوانه ..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد ..

فلقد كدرنا أشد الكدر نبأ وفاة والدكم ، وإننا إذ نبعث إليكم وإلى جميع أسرتكم بأحر تعازينا ومواساتنا ، لنسأل الله جلت قدرته أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته ، ويسكنه فسيح جناته ، ويلهمكم الصبر ويهبكم جزيل الأجر ، ويعوضكم والمسلمين بفقده خيراً ، والحمد لله على قضائه وقدره ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

فهد بن عبد العزيز آل سعود

(جريدة المدينة ، العدد : ١٣٧٧٨)

ولي العهد وبرقيات العزاء

بعث صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ، ورئيس الحرس الوطني برقية عزاء إلى الدكتور عبد الله بن صالح بن عثيمين في وفاة شقيقه الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، هذا نصها :

المكرم الدكتور عبد الله بن صالح بن عثيمين .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فلقد بلغنا نبأ وفاة شقيقكم فضيلة الشيخ محمد ، وكدرنا ذلك أشد الكدر ، وإننا إذ نبعث إليكم وإلى كافة أسرتكم بأحر التعازي والمواساة لنسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه ويسكنه فسيح جناته ، وأن يلهمكم الصبر ويهبكم الأجر ، ويعوضكم والمسلمين بفقده خيراً ، والحمد لله على قضائه وقدره ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

المكرم عبد الله بن محمد بن صالح بن عثيمين وإخوانه ..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ..

فلقد علمنا بنبأ وفاة والدكم وكدرنا ذلك وإننا لنبعث لكم ولكافة أفراد أسرتكم حار تعازينا وصادق مواساتنا ، ونسأل المولى جلت قدرته أن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه ويسكنه فسيح جناته ويهبكم الصبر ، ويجزل لكم الأجر ، ويعوضكم والمسلمين بفقده خيراً ، والحمد لله على قضائه وقدره ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

(جريدة المدينة ، العدد : ١٣٧٧٨)

وفاة ابن عثيمين خسارة كبيرة

بقلم : صاحب السمو الملكي الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

وفاة فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة تعتبر خسارة كبيرة وفادحة عظيمة للعالمين العربي والإسلامي على حد سواء .

وبفقدانه يخسر المسلمون داعية كبيراً هم في أشد الحاجة إلى أمثاله في هذا العصر الحديث ، الذي يواجه فيه المسلمون بصورة عامة تحديات كبيرة تمس دينهم وعقيدتهم .

إنني شخصياً من أكثر الناس الذين تأثروا بوفاته وفقدانه ، نظراً لما عرفته عن فضيلته – يرحمه الله – من فضائل وحكم يستفيد منها الجميع ، ولكن هذا هو قضاء الله وقدره ، ولا راد لقضائه ، وقد كنت على اتصال مستمر بفضيلته – رحمه الله – سواء هاتفياً أو زيارته عندما نكون في مدينة واحدة ، وأستشيره في كثير من الأمور التي تفيدني في أمر ديني ودنياي ، وكانت آخر زيارة قمت بها له في الرابع والعشرين من شهر رمضان الماضي في خلوته بالحرم المكي الشريف ، وقد تأثرت كثيراً عندما رأيت صحته وتأثير المرض عليه .

ومع أن فضيلته كان يعاني من المرض ويتابع العلاج داخل المملكة وخارجها فإن ذلك لم يثنه عن مواصلة أعماله ولقاءاته ومحاضراته وندواته

وإفتاءاته ومواعظه في الجوامع والمساجد والجمعيات والمراكز الإسلامية للمسلمين في داخل المملكة ، وفي الدول التي كان فضيلته – رحمه الله – يتابع العلاج فيها ، وكانت هذه الجهود التي يقوم بها فضيلته – رحمه الله – لخدمة الإسلام والمسلمين تمثل بالنسبة له الأهم على صحته ، ومن هنا نعتبر فضيلته من أكبر المجاهدين الذين أسهموا بفاعلية كبيرة في نشر الدعوة الإسلامية وإبراز محاسن الإسلام في الداخل والخارج .

لقد فقدنا فعلاً رجلاً عالماً وصالحاً وداعياً كبيراً قدم للإسلام والمسلمين الكثير من العمل الصالح ، وله كثير من المؤلفات والكتب والفتاوى التي علينا أن نقتدي بها .

وهذه الأعمال هي العمل الصالح الذي سوف يظل خالداً يذكرنا ويذكر كل إخواننا المسلمين بهذا الداعية الكبير الذي لم تقتصر أعماله على الدعوة والإفتاء والإرشاد ، وإنما امتدت لتشمل أعمالاً خيرية وإنسانية للمحتاجين والفقراء والجمعيات الخيرية ومراكز الأطفال المعاقين في داخل المملكة وخارجها .

وقد ظل المرحوم – بإذن الله – حتى في آخر أيامه يواصل إلقاء محاضراته وندواته عن الإسلام والمسلمين ، ويعطي فتاويه للجميع بدون كلل أو ملل ، لأنه كما أسلفت كان يشعر دائماً أن ما يقوم به من عمل صالح لما فيه خير المسلمين ونفعهم هو أهم من أي شيء لديه .

وإنني من هنا وعبر هذا المنبر الإعلامي أعتبر وفاته وفقدانه خسارة مؤلمة وموجعة جداً ، ليس لدينا في المملكة فحسب ، وإنما في جميع أقطار العالم الإسلامي ، وأدعو كل من تتلمذ على يده أو درس في مدرسة فضيلته أن

يسيروا على نهجه ويعملوا لإكمال رسالته .

وإن العلاقة التي تربطني بفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين قوية ، والتقدير الذي أكنه له كبير ، ولقد كنت في مقدمة مستقبلي فضيلته في مطار الطائف عند قدومه من خارج المملكة بعد رحلته العلاجية ، وكنت على اتصال مستمر بفضيلته أثناء فترة إقامته في الولايات المتحدة الأمريكية للعلاج .

وإنني أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمد فضيلة الشيخ محمد برضوانه ومغفرته ، وأن يجعل ما قدم في ميزان حسناته ، وأن يسكنه فسيح جناته ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٦)

كان ينير الطريق للجميع

بقلم : صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز

*** أمير منطقة القصيم ***

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .. وبعد :

فإن وفاة صاحب الفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين خسارة فادحة للأمة الإسلامية ، ولكننا نحمد الله على كل حال ولا راد لقضائه سبحانه .

وإنني أعرب عن عميق حزني ، وشديد أسفي على فراقه - رحمه الله وغفر له وجمعنا به في جنات النعيم - وإن عزاءنا ما خلّفه - رحمه الله - من تراث عظيم ، ونهج كريم ، وخير عميم : في مجال العلم ، وميدان المعرفة ، وأحكام الشريعة الإسلامية . ذلك الخير المتعدد القنوات ، سواءً ما كان مقروءاً أو مسموعاً أو مرئياً أو ملموساً في واقع المسلمين .

وله إسهامات عظيمة ، وجهود مباركة في هذه البلاد المباركة ، وفي العالم الإسلامي ، حيث يلجأ إليه الكثير من المسلمين في اتصالات مباشرة للاستيضاح عن أمور دينهم ودنياهم ، فكانت إجاباته وإيضاحاته وتوجيهاته - رحمه الله - تفيض بالحكمة ، وتنبع باللطف ، وتدل على البصيرة والتأدب مع السائلين .

ولقد استفدت كثيراً من توجيهات فضيلته - رحمه الله - حيث كان

ينير للجميع الطريق ، ويخالط الجميع ببساطة وروح إنسانية عظيمة ، ورفق وحنان .

إن وفاته - رحمه الله - فقدان لنا في المملكة وللأمة الإسلامية لعالم جليل ، ورجل دولة ودين ، ولا شك أن حياته - رحمه الله - كانت حافلة بخدمة العلم وتقديمه لكل باحث وسائل في أقوى معانيه ومنافعه ، ولقد ترك لنا فضيلته - رحمه الله - مكتبة مقروءة تزخر بكل ما هو مفيد لكل مسلم ، ولقد كان ركيزة لطالبي العلم في الحصول على ما يفيدهم في أمر دينهم ودنياهم ، وكان مرجعاً لكل باحث يجد المعلومة الدقيقة والسليمة التي تفتح أمامه مناهج الحياة .

وكان - رحمه الله - يمثل لي أنا شخصياً أبا ومعلماً طيلة معايشتي له في منطقة القصيم ، فأجد لديه عند زيارتي له أو اتصالي به كل المودة والمحبة وكنت أستفيد من حديثه إليّ في كل ما نتطرق إليه من نقاشات تفيدني في عملي وتفتح أمامي طرقاً أستطيع من خلالها أن أحقق واجباتي على خير ما يرام ، وإذا تأخرت في زيارته أو الاتصال به إذا به - رحمه الله - سباق للسؤال عني وإلحاحه في أن يتم بيننا لقاء أراه لقاء الابن بأبيه .

فأسال المولى جل وعلا أن يتغمده برحمته ، وأن يسكنه فسيح جناته وأن يعوض المسلمين فيه خيراً ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة المدينة ، العدد : ١٣٧٧٨)

(جريدة عكاظ ، العدد : ١٢٥٥٦)

رحمك الله يا شيخ

بقلم : صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن ثامر بن عبد العزيز

** مستشار سمو أمير منطقة مكة المكرمة **

قبل الأمس غاب عنا أحد أكبر العلماء في عصرنا الحاضر ، إنه الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين عضو هيئة كبار العلماء ، ومات وترك وراءه علماً ينتفع به الكبير والصغير ، غيبه الموت عنا فجأة فالحمد لله على قضائه وقدره ، وعزاؤنا الوحيد أننا سنظل ننهل مما تركه لنا من علم .

قبل الأمس فجعنا بوفاتك يا شيخنا الجليل فرحمك الله رحمة واسعة فسجل حياتك المليء بالخير يجعل الكل يحزن على فراقك فقد عشت ورحلت وأنت محب للخير محب للعلم ، ذو سيرة محمودة .

كنت حريصاً على ترسيخ المفاهيم التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية ، ورغم مشاغلك وهمومك الكثيرة لم تثنك هذه المشاغل عن تأليف الكتب التي ترشد الناس إلى كل ما يهمهم من أمور حياتهم والدعوة إلى الله ، وأصدرت العديد من الكتب والمؤلفات والنشرات ، واهتممت بجميع أمور الحياة .

وكانت لك إسهاماتك الكثيرة القيمة في مجال البحث والإفتاء ، وجعلت من حولك طلاباً ينهلون مما حباك وأكرمك الله به من علم ينتفع به الجميع ، فرحمك الله يا شيخ رحمة واسعة ، وأسكنك فسيح جناته ، وألهم أهلك وذويك ومحبيك وطلابك الصبر والسلوان ، وجزاك الله على

ما قدمت خير الجزاء ، فموتك خسارة ليس لنا نحن فقط بل للأمة الإسلامية جمعاء ، فصبرنا الله على هذه المصيبة العظيمة .

رحمك الله يا شيخ ، فمهما كتبنا وتحدثنا عن مآثرك الخالدة فلن نوفيك حقك ، ولكن هذه سنة الحياة .

ولا أستطيع أن أقول في ختام كلمتي هذه إلا أننا فقدنا أحد رجالنا المخلصين الذين قدموا ما حباهم الله من علم وفكر في سبيل خدمة الدين والأمة الإسلامية جمعاء ، فأنت العالم الذي درس على يديك الكثير من طلبة العلم ، وها أنت تعود إلى جوار ربك وأنت إن شاء الله راض مرض عما قدمته في حياتك ، بعد أن أديت رسالتك على أكمل وجه ، فرحمك الله رحمة واسعة ، وأسكنك فسيح جناته ، وجزاك الله عنا خير الجزاء ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة البلاد ، العدد : ١٦٢٢٣)

ابن عثيمين .. أمة في رجل

بقلم : صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن ثامر بن عبد العزيز

* مستشار سمو أمير منطقة مكة المكرمة *

باسم الله القائل ﴿لكل أجل كتاب﴾ ثم الصلاة على معلم الخير محمد ﷺ القائل في الحديث الشريف : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ولكن يقبضه بموت العلماء» ، وقوله ﷺ : «العلماء ورثة الأنبياء .. والأنبياء لم يورثوا درهما ولا ديناراً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» .

إن وفاة سماحة الوالد العلامة وبقية سلف هذه الأمة فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين عضو هيئة كبار العلماء وإمام وخطيب الجامع الكبير بعنيزة لهو خطب جلل ، وفجيعة عظيمة ، لأن هذا الرجل يعتبر مدرسة علمية متنقلة تسير على الأرض ، بل هو جامعة وأكاديمية علمية عظيمة للعلم وطلابه في هذه البلاد ، بل ووصل علمه وفتاواه إلى شتى بقاع الأرض ، وهذا يدل - إن شاء الله - على رضا الله تعالى عنه .

لأن القبول الذي كان يحظى به الشيخ هبة من الله تعالى ، نسأل الله أن نحظى بالقبول منه جل وعلا ، ثم إن الشيخ عليه رحمة الله كان رجلاً في أمة ، وأمة في رجل ، من خلال ما عرف عنه من سلامة العقيدة ، وحرص على الدعوة إلى الله تعالى وفق منهج سيد المرسلين ﷺ وحرصه على الأخذ بالأدلة في كل شئون حياته ، مجسداً واقعاً عظيماً قل أن

يسجله التاريخ ، إلا في سلف هذه الأمة الصالحين في الصدر الأول لتاريخ المسلمين العظيم المليء بهذه النجوم المتميزة واللآلىء المضيئة التي تنير الطريق للأجيال ، ثم إن الحديث عن صفات الشيخ لا يتسع مثل هذا الظرف العصيب لسرده ، بل يمكن لطلاب العلم والباحثين التنقيب عما خلفه هذا الرجل من إرث مبارك ، من علم تمثل في شروحاته لأمهات الكتب في التفسير وعلوم القرآن والحديث وعلوم السنة والفقه والآداب والأخلاق والسير والمغازي والسيرة النبوية .. وغيرها من تحقيقاته التي تدل على مكانة علمية عظيمة تبوأها هذا الشيخ ، وقد استفاد من جملة من علماء هذه البلاد الأفذاذ الذين درس وتتلمذ على يدهم ، رحم الله من قضى منهم نحبه ، وبارك الله في جهود من بقي .

ولا نملك ونحن نودع هذا الشيخ الفاضل إلا أن نقول ما قال سيد البشر ﷺ : «إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن» .. وإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ، وسلام على المرسلين .

(جريدة عكاظ ، العدد : ١٢٥٥٨)

العزاء لأنفسنا وللمسلمين

لسماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ

*** مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء ***

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .. العزاء لأنفسنا وللمسلمين جميعاً في فقيدنا الشيخ المبارك نرجو الله أن يغفر ذنبه ، ويقيل عثرته ، وأن يلحقه بالصالحين ، وأن يرزق أولاده الصبر والاحتساب ، وأن يخلفه عليهم بخير .

المسلمون يستقبلون المصائب بالالتجاء إلى الله والحمد لله على قضائه وقدره ، ويقولون كما قال الصابرون إنا لله وإنا إليه راجعون ، يعلمون أن هذا بقضاء الله وقدره فيرضون ويسلمون .

والشيخ محمد - غفر الله لنا وله - لا تخفى على الجميع ، مكانته وآثاره العلمية من خلال التأليف والفتاوى والمحاضرات والدروس والمقالات ومن خلال الأشرطة التي تحمل في طياتها كل خير ، ومن حيث اعتداله وبعده عن الإفراط والتفريط وكونه في أموره على طريق مستقيم وكم ربى من طلاب وكم شرح من كتاب واستفاد منه المستفيدون ، ونسأل الله أن يجازيه عنا وعن الإسلام خير الجزاء .

زاملنا - رحمه الله - في هيئة كبار العلماء فكان نعم الزميل فقد كان رجلاً ذا علم وفضل ومناقشة وعدم اعتداد بالرأي إذا رأى الصواب ، فكان يرجع إلى الحق إذا استبان له رأي أهل العلم ، وهو غفر الله له لا يتعصب

لرأي إذا ما جاء الدليل خلاف ما هو عليه .

إن فقدان العلماء أمر عظيم ، ولكن عزاؤنا أن هذا قضاء الله وقدره ، والمؤمنون أمام المصائب يصبرون ويحتسبون ، ويرضون عن الله : ﴿ **الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ .

ونسأله أن يبارك في علمائنا ، وأن يوفقهم ، ويجمع كلمتهم ، ويجعلهم سائرين على الطريق المستقيم ، إنه على كل شيء قدير .

ولا بد للمسلمين من الصبر والدعوة للفقيد بالبركة والرضوان ، ويعلمون أن هذا قضاء الله وقدره ، وللعلماء فضلهم ومكانتهم ، فينبغي للمسلمين احترامهم وطاعتهم في طاعة الله والالتفاف حولهم ؛ لأن العلماء الراسخين المخلصين هم الذين ينبغي لهم أن يُقتدى بهم ، ويُتأسى بالذين ساروا على الطريق المستقيم ، بعيدين عن الإفراط والتفريط ، سائرين على منهج الله عز وجل .

قال الله تعالى : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ .

(جريدة عكاظ ، العدد : ١٢٥٥٦)

(جريدة الوطن ، العدد : ١٠٥)

حديث الذكريات

بقلم فضيلة الشيخ : عبد الله بن جبرين

* عضو هيئة كبار العلماء *

كان أول اتصالنا به في سنة ١٣٨٠ هـ وذلك عندما قدمنا بريدة في جولة للدعوة في ذلك الزمان ، زودنا ببعض مؤلفاته ومنها : تلخيصه للحموية وغيره من الرسائل التي كان قد طبعها ، وبشرنا بأنه مقبل على التأليف والكتابة ، وشرح لنا شيئاً عن شيخه عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله – وذكر أنه هو الذي استفاد منه كثيراً ، ثم ذكر لنا أنه يقوم بالخطابة في أحد المساجد بعنيزة ، وأنه يؤلف الخطب ويكتبها في موضوعات ذات أهمية ، ولها مناسبة للوقت ، اقتداء بشيخه ابن سعدي الذي كان يخطب في كل مناسبة بما يناسب الوقت .

بعد ذلك كنا على اتصال به غالباً في الرياض إذا قدم ، وكذلك في بريدة إذا اجتمعنا به ، ثم زارنا مرة في سنة ١٣٨٣ هـ في معهد إمام الدعوة ، ولما دخل المعهد استبشر به الطلاب لأنهم سمعوا عنه ذكراً حسناً ، ولما سلم على المدرسين والمسؤولين في المعهد طلبوا منه أن يتجول على فصول المعهد ففعل ذلك فكان كلما دخل فصلاً سلم على طلابه وألقى عليهم كلمة توجيهية تستغرق خمس دقائق إلى عشر ، ورأينا منه في هذه الكلمات ما يدل على قوة أسلوبه ، وقوة إحاطته ، ووجدنا فيها كذلك ما يدل على عمق معرفته ووفرة معلوماته .

ثم كان يتجدد لقاؤنا به عندما كنا نجتمع لتصحيح اختبارات الشهادات الثانوية والمتوسطة ، حيث يجتمع المشايخ في مكان خاص ، وتأتي إليهم أوراق الاختبارات لتصحيحها ، فكان – رحمه الله – يشترك معنا ، وعندما يشكل علينا أو على غيرنا أمر نسأله فيجيب فوراً ، ويعرف الحاضرون قدرته على الإجابة ويقتنعون بجوابه دون أن يراجعوه في شيء من المسائل التي كانوا يعرفونها ، كانوا يقتنعون بما يقوله .

واستمر لقاؤنا به على هذا الوجه إلى حدود سنة ١٣٩٥ هـ ، وبعد ذلك كنا نجتمع معه في مكة في مخيمات التوعية التي كانت تقيمها جامعة الإمام محمد بن سعود في موسم الحج ، واستمر ذلك إلى سنة ١٤٠٣ هـ ، حيث توقف اشتراكنا .

وكان أيضاً من جملة اللقاءات التي عرفنا بها قدر الشيخ ومكانته المؤتمر الذي أقيم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد اشترك فيه – رحمه الله – بما يدل على قوته ومكانته ، وكتب كتابة قيمة متميزة عن المخدرات والمسكرات .

وبكل حال فإن لقاءنا به دائماً سواء في بلده عنيزة أو الرياض ، وكنا غالباً ما نستفيد منه ، ونرسل إليه الكثير من الأسئلة .

وكذلك نرجع نحن وغيرنا إلى مؤلفاته القيمة التي تعب فيها وحققها وجمع فيها كل ما حضر إليه ، وكل مسألة كتبها تدل على عمق اختياره ، وقد عرفنا منه حرصه على موافقة اختيارات شيخه ابن سعدي – رحمه الله – وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، ولو كان غيره قد يخالفه في شيء من تلك الاجتهادات التي في مجال الاجتهاد .

ثم كان آخر لقائنا به في مكة ليلة (٢٧) من رمضان ، حيث استأذنا في الوصول إليه ، وجلست إلى جواره نحو خمس دقائق فكان سؤاله عني أكثر من سؤالي عنه ، لأنني كنت لا أحب أن أشق عليه بتكرار السؤال لما أعلم من حالته الصحية ، ولكنني كلما سكت بادر هو بالسؤال عن أحوالي وأخباري ، وفي الجملة من رجع إلى مؤلفاته أو نظر في نشراته أو لاحظ كلماته التي يذاع كثير منها أسبوعياً أدرك عمق معرفته - رحمه الله - وتمكنه من العلوم الشرعية ، فرحمه الله وأخلف على المسلمين ما أصابهم ، وتغمده برحمته ، والله أعلم .

(جريدة البلاد ، العدد : ١٦٢٢٣)

الشيخ محمد العثيمين ومنهاج السلف الصالح

بقلم معالي الشيخ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي

*** الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ***

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد .

فقد قال الله تعالى : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** ﴾ ، وأدعوه تعالى أن يجعل فقيدنا العلامة الجليل الشيخ محمد بن صالح العثيمين من هؤلاء المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فقد كانت حياته - رحمه الله وغفر له - زاخرة بالعلم والتعليم والدعوة إلى الله من خلال التدريس في المساجد والجامعات والمعاهد والمؤسسات التي شهدت دروسه الكثيرة ، ومحاضراته القيمة ، ومن خلال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة .

وكان - رحمه الله - متصفاً بأخلاق العلماء في التواضع وتجنب التعصب ، والحرص على الوقوف على الحق واتباعه ، ومتابعة من سلف من علماء الأمة وفقهائها ودعاتها ، ونحن لا نزكي على الله أحداً ﴿ **بل الله يزكي من يشاء** ﴾ فالشيخ - رحمه الله - اجتهد في التعلم والتعليم ، والتفقه والتفقيه ، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنه : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

ولا شك في أن التحصيل العلمي الذي وفقه الله إليه كان له أثر كبير

في حياته يحفزه إلى ذلك ترغيب رسول الله ﷺ في قوله : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » .

لقد انتفع الشيخ - رحمه الله - أيما انتفاع بما يسره الله له من نهل للعلم ، وفهم لمقاصد الشريعة الإسلامية حتى صار علماً من علمائها يدرس ويحاضر في علوم القرآن الكريم والحديث النبوي والفقه وفروع الثقافة الإسلامية ، وقد فتح الله سبحانه وتعالى عليه لما بذله من جهد في التعلم وجهاد في التعليم ، ونحسب أن ذلك يجعله من العلماء العاملين المجاهدين المهديين الذين قال الله فيهم : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾ .

وفي سيرته العلمية - رحمه الله - مثال فذ وشاهد كبير على أهمية طلب العلم والجد في تحصيله ، حيث كان في ذلك نفع له أولاً في تقواه ، وفي ورعه ، وفي خلقه ، ومن ثم نفع لغيره من طلبة العلم الذين تتلمذوا عليه ، وأخذوا عنه في علوم الشريعة وغيرهم من عامة الناس الذين كانوا يتحلقون في حِلَق العلم التي كان - رحمه الله - يقيمها في المساجد ، وفي الجامعات ، والمعاهد ، والمدارس ، والمؤسسات الإسلامية والهيئات الدعوية .

وقد استفاد الناس داخل المملكة وخارجها من علمه الغزير ، حيث كانوا يستمعون طيلة عقود من الزمن لفتاواه وإرشاده وتوجيهه في المذياع ويقرأونها ، كذلك في الصحف والمجلات والنشرات الدعوية ، ثم في كتبه ورسائله القيمة التي كانت من الثمار الطيبة لعلمه ودأبه وجده في المبادرة للقيام بما كلف الله به العلماء من دعوة الناس وتفقيههم وحثهم على تطبيق الإسلام في حياتهم .

لقد كان – رحمه الله – باراً بإخوانه المسلمين ، يبذل كل ما في وسعه لتعليمهم وتفقيههم والإحسان إليهم ، طاعة لله في تفقيه الناس وأداء لأمانة العلم ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ .

وكان للجهود التي بذلها – رحمه الله – في الدعوة إلى الله ونشر العلم الشرعي الصحيح بين المسلمين إسهام كبير في توجيه الناس إلى عبادة الله على الوجه النقي والحال الصحيحة ، بعيداً عن أشكال البدع والضلالات ، أو الإفراط والتفريط ، حيث كان – رحمه الله تعالى – يحذر من الجنوح إلى أحدهما ، وله العديد من المواقف التي انبثقت عن فهم صحيح للإسلام ووسطيته ومنهاجه العادل ، وعن فهم سليم لمهمة العالم الداعية ، وهذا الفهم لمقاصد الدعوة جعل منه العالم الذي يحرص الناس على الاستفادة من علمه ، فكان كبيراً في عيونهم ، رفيع القدر عندهم : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ .

لم يكن فضيلة الشيخ بالواعظ المرتجل بقدر ما كان رحمه الله عالماً وداعية ذا منهاج واع استوعب احتياجات المسلمين ، وحدد الموضوعات التي تحتاج إلى معالجة بحسب أولوياتها معتبراً أن نشر عقيدة أهل السنة والجماعة في مقدمة مهام الداعية في هذا العصر لأهميتها في حياة المسلم وآخرته ، كما أشار – رحمه الله – في مقدمة كتاب (عقيدة أهل السنة والجماعة) .

ولا شك أن مجموعة الجهود التي بذلها في مجال العقيدة كانت ترتكز على ضوابط الكتاب والسنة وما حدده علماء السلف في ذلك ، ملاحظاً خلال جهوده السعي لإصلاح ما فسد من عقائد عملت على نشرها

وإشاعتها بين الناس اتجاهات غير صحيحة ، انحرفت عن الوجه الحق الذي كان عليه أهل السنة والجماعة ، وهادفاً إلى ربط المسلمين بمنهاج الأسوة الحسنة نبينا محمد ﷺ وبما أنزل عليه من الكتاب والحكمة ، معتبراً أن ذلك هو طريق صلاح العباد واستقامة أحوالهم في دينهم ودنياهم ، وهو الطريق الذي ترك النبي ﷺ عليه أمته ، المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك .

أما في حياة الخلق فقد حرص - رحمه الله - على صحة البناء الاجتماعي للمسلمين ، وكان يعتبر ذلك من أولويات عمل الداعية ومتابعته ولعله رحمه الله تعالى وجد في قضايا الحقوق وتعليمها للناس والتأكيد عليها من المحاضرات والدروس والكتب والمواعظ خير وسيلة لصيانة البنيان الاجتماعي في البيئة الإسلامية ، وفي حياة المسلمين ، ملاحظاً كذلك أن الحديث عن الحقوق يفرض الحديث عن الواجبات لما بين الحق والواجب من اقتران في الشريعة الإسلامية ، ويتضح اهتمامه في هذا الجانب الأساسي من حياة المسلمين في كتابه (حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة) الذي بدأه ببيان حقوق الله ورسوله على المسلم ، ومن ثم أبان - رحمه الله - الحقوق الأخرى التي تصون البنيان الاجتماعي للمسلمين ، مثل حق الوالدين ، وحق الأولاد ، وحقوق الأقارب ، وحق الزوجين ، وحق الجيران ، وحقوق المسلمين عامة ، ثم حقوق غير المسلمين .

لقد انتهج الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - منهاج علماء السلف في أعماله العلمية ونهجه الدعوي وطرق التربية والتعليم الأخلاقي ، ومن عرفه عن كثب عرف في منهاجه ما كان عليه سلف الأمة ، ولعل أبرز الملامح في منهاجه رحمه الله :

* حرصه الشديد على التقيد بما كان عليه السلف الصالح في الاعتقاد علماً وعملاً ودعوة وسلوكاً ، وذلك مقترن بالتنفير والتحذير مما يخالف ذلك .

* الحرص على صحة الدليل وصواب التعليل ووضوحه ومناسبته .

* الربط بين العمل الدعوي والتقعيد الفقهي ضماناً لسلامة أعمال الدعوة وما يضعه الدعاة بين أيدي الناس من كتب ومذكرات وغيرها .

* العناية بمقاصد الشريعة الإسلامية وقواعد الدين ؛ لأن ذلك مناط الحكم الإسلامي الذي أمر به الله سبحانه وتعالى .

* الاعتدال والتوسط في المنهاج والسلوك والفهم ، والتقيد في ذلك بما كان عليه السلف الصالح .

* الاهتمام بالتطبيق والعناية بالأمثلة والتخريج .

* التيسير الذي يبعد الداعية عن التعقيد أو التنفير .

* البعد عن التعصب والتقليد الأعمى والحرص على التوفيق بين النص والمصلحة .

إن المسلمين الذين ودعوا فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين وودعوا قبله سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وغيرهما من العلماء والفقهاء مشفقون من هذه الخسارات العظيمة التي تحل بالمسلمين ، بفقد علمائهم ، وهم يخشون بذلك انتزاع العلم .

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله لا ينزع العلم من الناس بعد أن يعلمهم إياه ولكن يذهب بالعلماء ، كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم» .

وأمام هذا لا بد للمسلم أن يحرص على الاستفادة من آثار العلماء التي تتمثل فيما تركوه للناس من كتب ورسائل ومواعظ وإرشادات ، وأذكر لفقيدنا - رحمه الله - وصايا عديدة لطلاب العلم ولسائر الناس ، منها :

١ - الحرص على متابعة تلاوة المسلم للقرآن الكريم وتدبر معانيه والتخلق بأخلاقه والتأسي بسيرة الرسول ﷺ ، والتأمل فيما زخرت به الأحاديث الصحيحة من توجيه وحكمة وخلق كريم والتقيد بذلك .

٢ - بذل كل ما في وسع المسلم للعمل على نشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وتصحيح العقائد الخاطئة لدى بعض المسلمين .

٣ - طاعة ولاة الأمور والحرص على تأليف القلوب بين الناس مع قيام العلماء بواجب التأليف المطلوب بين الراعي والرعية .

وقد حرص - رحمه الله - على بيان العلاقة بين الولاة والرعية ، موضحاً أن الولاة هم الذين يتولون أمور المسلمين سواء كانت الولاية عامة أم خاصة .

وكان - رحمه الله - يعلم طلابه الحقوق المتبادلة بين الرعية وراعيها معتبراً أن حقوق الرعية على الولاة أن يقوموا بالأمانة التي حملهم الله إياها وألزمهم القيام بها من النصح للرعية والسير بها على النهج القويم الكفيل بمصالح الدنيا والآخرة ، وذلك باتباع سبيل المؤمنين ، وهي الطريق التي كان عليها رسول الله ﷺ ، فإن فيها السعادة لهم ولرعيتهم ومن تحت أيديهم وهي أبلغ شيء يكون به رضا الرعية عن رعاتهم والارتباط بينهم وطاعتهم في أوامرهم وحفظ الأمانة فيما يولونه إياهم ، مؤكداً على أن من اتقى الله سلم من الناس ، ومن أرضى الله كفاه الله مؤونة الناس وأرضاهم عنه ؛ لأن

القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء .

وأما حقوق الولاة على الرعية فكان يحرص على تعليمها الناس ، وهي النصح لهم فيما يتولاه الإنسان من أمورهم وتذكيرهم إذا غفلوا ، والدعاء لهم إذا ما لوا عن الحق ، وامتثال أمرهم في غير معصية الله ؛ لأن في ذلك قوام الأمر وانتظامه ، وفي مخالفتهم وعصيانهم انتشار الفوضى وفساد الأمور ، ولذلك أمر الله بطاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر ، فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ .

وكان - رحمه الله وجزاه الله خيراً - يردد على مجالسيه قول النبي ﷺ : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

وكذلك ما رواه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً ، فنادى منادي رسول الله ﷺ الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال : إنه ما من نبي بعثه الله إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء ، وأمور تنكرونها ، وتجيء فتن يرقق بعضها بعضاً ، تجيء الفتنة ، فيقول المؤمن : هذه مهلكتي ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه ، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاءه آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» .

ومما كان يسجله – رحمه الله – في العديد من كتبه أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال : يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا ، فأعرض عنه ، ثم سأله مرة ثانية ، فقال رسول الله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم » .

وبين – رحمه الله – في كتابه (حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة) أن حقوق الولاة على الرعية مساعدة الرعية لولاتهم في مهماتهم بحيث يكونون عوناً لهم على تنفيذ الأمر الموكول إليهم ، وأن يعرف كل واحد مسؤوليته في المجتمع حتى تسير الأمور على الوجه المطلوب ، فإن الولاة إذا لم تساعدهم الرعية على مسؤولياتهم لم تأت على الوجه المطلوب .

وله – رحمه الله – موازنات في مجال الحكم بين حكم الشريعة الإسلامية الذي يوفر الاستقرار الاجتماعي والسياسي في المجتمع المسلم كما هي الحال في المملكة العربية السعودية ، وبين التعدديات السياسية الحزبية ، يقول – رحمه الله – في خلاصة له بذلك : « الواجب على الحكومة في أي بلد من البلدان الإسلامية الرجوع إلى الكتاب والسنة وتوحيد الأحزاب السياسية على حزب واحد ، وهو حزب الله المنفذ لشريعة الله ، وهذا الحزب لن يضر بالأمة الإسلامية مثلما يحصل من التعدد الحزبي ، وقد أشار الله عز وجل في القرآن الكريم إلى أن التعدد الحزبي يورث التنازع والاختلاف ، والتنازع هو سبب الفشل ، قال سبحانه : ﴿ **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ﴾ ، وقال أيضاً : ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم** ﴾ .

لقد كانت حياته – رحمه الله – حياة جد وكفاح ، وعمل دؤوب ، لمصلحة الإسلام والمسلمين ، تعليماً ووعظاً ، ونصحاً ، وتأليفاً .

لقد كان أول لقاء لي بفضيلته في عام ١٣٨٢ هـ حينما كنت مدرساً في المعهد العلمي بالمجمعة ، وكان مدرساً في معهد عنيزة العلمي ، وكنت مع رحلة طلابية من معهد المجمعة إلى منطقة القصيم ، وفي أثناء زيارتنا للمعهد ، كان – رحمه الله – مبرزاً في نصحه وتوجيهه ذا أثر متميز على منسوبي المعهد وطلابه ، وازدادت العلاقة به من خلال عملنا جميعاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ثم بعد انتقالي للعمل في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، حيث الميدان واحد ، والمهام واحدة ، وأذكر لفضيلته موقفين نادرين في عصرنا الحاضر، أحدهما : أنه بعد صدور نظام الجامعة ، أجرت الجامعة تصنيفاً لأعضاء هيئة التدريس فيها حسب الكادر الجامعي وكانت الإجراءات لبعض الدرجات تتطلب تقديم أبحاث ودراسات في مجال الاختصاص ، فلم يتقدم بأي بحث ، وحينما فوتح برر ذلك بأن العالم لا ينبغي أن يستشرف للرتب والترقيات ، وأن أهل العلم الشرعي يحسن بهم الاحتساب والعمل لوجه الله وما يأتي تبعاً لذلك فلا بأس به .

والأمر الثاني : مفاجأته لي وأنا مدير للجامعة بتقديم ظرف بداخله مبلغ من المال ، فسألته عن قصته ، فذكر أنه صرف له مقابل محاضرات ألقاها في كلية الشريعة وأصول الدين في القصيم ، وكان – رحمه الله – وقتها على ملاك معهد عنيزة العلمي ، وأن وقت هذه المحاضرات اقتطعه من الوقت المخصص لتأليف المقررات الدراسية للمعاهد العلمية ، وبذلك لا

أستحق ما صرف لي .

ولا شك أن الموقفين نادران في هذا الوقت .

وتعفف طالب العلم عما فيه شبه ، واعتداله في طلب الدنيا صفات محمودة تقربه للناس ، وترغب الناس فيه .

ويندر - رحمه الله - أن ألتقي به إلا وتكون المناصحة والمحادثة في الشأن العام الذي ينفع المسلمين ، ويعالج شؤونهم ، حتى في زيارتي له في أيامه الأخيرة .

إن البيئة التي نشأ فيها فضيلته ، وهذه الدولة المباركة التي تقدر العلماء وأهل العلم ، وتضع يدها في أيديهم ، مؤهلة بحول الله وقوته لإنجاب العلماء العاملين من أمثال الشيخ ابن عثيمين ، ولا يزال الناس بخير ، فقد قال ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم » .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » .

رحم الله فقيد المسلمين رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وجزاه بما عمل خيراً ، وجعل ثواب أعماله في ميزانه ، فقد انتقل رحمه الله إلى الدار الآخرة كما انتقل من سبقه ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ .

وسوف يلتقي الناس كلهم بتلك الدار : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة** ﴾ .

ولا نقول إلا ما يرضي الله سبحانه وتعالى ، اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها .

اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده ، واغفر لنا وله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٩)

الشيخ العثيمين سلفي حالاً ومقالاً

بقلم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان

* عضو هيئة كبار العلماء *

رحل عالمنا الجليل الفذ الشيخ محمد بن صالح العثيمين الذي انعقدت على حبه وتقديره قلوب الملايين .

هنيئاً ليوم الخمس المشهور ١٩ / ١٠ / ١٤٢١ هـ الذي ترفع فيه الأعمال إنه يوم لقائه الرفيق الأعلى .

آوى جثمانه الطاهر إلى ظلال الكعبة المشرفة قبل صلاة العصر انتظاراً لصلاة الفريضة ، وبعدها تقام الصلاة على الميت الحاضر ، ليتقدم لإمامة المسلمين الدكتور عمر السبيل حفظه الله ، ثم تقام الصلاة على جثمان الشيخ محمد بن صالح العثيمين بإمامة الأب العلامة فضيلة الشيخ محمد ابن سبيل حفظه الله .

كم مرة شهد المسجد الحرام الشيخ العثيمين طائفاً وراكعاً وساجداً ، ومرشداً ، وواعظاً ، ومدرساً .

ويقبل الشهود ، الجموع الغفيرة من المكيين والمقيمين والمجاورين ، والقادمين من خارج مكة المكرمة ، وقد ضاقت لكثرتهم السبل والفجاج والطرق من حول المسجد الحرام ، ليؤدوا الصلاة على معلمهم ومرشدهم ، الذي محض لهم النصح والإرشاد ، والدعوة ، منطقه لهم حب وإخلاص ، وصدق ومودة ، لم ينقطع عن طلابه وتدريسهم ، ووعظ العامة وإرشادهم ،

حتى اللحظات الأخيرة ، وأثناء معاناته الشديدة مع المرض .

مواكب الوفاء والحب للشيخ محمد العثيمين من الشيوخ والشباب والأطفال تملأ ساحات الحرم الداخلية والخارجية وأروقته الواسعة ، وما أن تنتهي الصلاة على جثمانه الطاهر ، والكل دعاء ورحمة وابتهال إلى المولى أن ينال الرضى والجنان العلا ، تنتهي الصلاة ، وتتحرك الجموع الغفيرة كالسيل المتلاطم ، كل واحد يريد أن يتقرب من الجنازة ، ولكن هيهات!! حملته قلوبهم قبل أن تحمله أكتافهم .

موكب عظيم من الحب والإيمان تتضاءل بجانبه مواكب العظماء ، وكذا مواكب رحيل العلماء العاملين ، الذي صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. مشهد رائع ، ومنظر فريد مؤثر .

منح الشيخ محمد بن صالحٍ العثيمين الأمة أفراداً وجماعات حبه وإخلاصه ، فبادلوه بالحب حباً ووفاء .

ليس هذا فحسب فقد خبروه سلفياً جوهراً ومخبراً لا دعوى ومظهراً ، زهد فيما عند الناس فأحبه الله وأحبه الناس ، لا يخوض في أعراض الناس ، بسيط المظهر ، ذو تواضع جم ، يخفض جناحه لمحدثه مهما علا أو تواضع ، همه إصلاح المجتمع ، وهاجسه صلاح الأمة .

الدعوة إلى الله ديدنه في حله وترحاله دون كلل أو ملل ، يتحقق فيه قول المولى جل وعلا : ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**﴾ رحم الله الشيخ محمد العثيمين ، كان القدوة الحسنة في ابتعاده عن المظاهر ، وقوراً في نفسه ، موقراً لغيره ، لين الجانب ، هادىء النفس ، عظيم الإجلال والتقدير لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، شأن

العلماء الصالحين .

حضرت افتتاح درسه بمسجد عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – بالطائف في صيف أحد الأعوام ، فكان حديثه عن خصائص حبر هذه الأمة وصفاته ، حديث الحب العميق ، والتقدير العظيم ، يحس سامعه بالحب الصادق ، والإعجاب الكبير لصحابة رسول الله ﷺ مما يدل على شفافية روحية رفيعة ، وإجلال وحب عظيمين للمصطفى ﷺ وصحابته في أدب واحترام .

أبديت له – رحمه الله – في اليوم التالي في مجلسنا انطباعي في تلك الافتتاحية التي كانت وفاء وحباً عميقاً لصحابة رسول الله ﷺ ، ثم تحدثت إليه قائلا : إن معظم القاصدين لمسجد حبر الأمة عبد الله بن عباس لا يجول بخاطرهم زيارته – رضي الله عنه – يدخلون إلى المسجد ويخرجون دون أن يقوموا بواجب الزيارة الشرعية نحو صحابي جليل له فضل كبير على الأمة ، إن هذا يمثل عقوقاً بصحابة رسول الله ﷺ الذين أسدوا إلى الأمة وإلى رسول الأمة سيدنا محمد ﷺ النصح والحب والإخلاص ، عزوت هذا إلى عدم ما يشير أو يدل على قبره الشريف .

أبدى – رحمه الله – موافقته وتقديره لما قلته لكنه تحفظ مبدياً خشيت أن يزاول بعض الجهلة بعض الأمور التي تتنافى وتتناقض مع عقيدة التوحيد وصفائها ، وهو بهذا – رحمه الله – يغلب جانب سد الذريعة .

جاهد في الله حق جهاده ، وبذل كل ما يستطيع من جهد ووقت ، ناشراً لدين الله كلما واتته الفرصة ابتغاء مرضاة الله ، عزوفاً عن الدنيا ومباهجها ومظاهرها الخلابة ، درس ووعظ ، وأرشد وأفتى ، فأصبح ما يقوله

يردده الناس حباً وإكباراً وتقديراً ، ملأ المساجد والجوامع في البلاد التي يحلها علماً وفضلاً ودرساً وإرشاداً وفتيا ، في تواضع العلماء ، هيناً ليناً في القول ، يؤنس من يتحدث إليه ، فيأنس به محدثه ، هذا هو الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، العامل – ولا أزكي على الله أحداً – الأنموذج والقدوة الصالحة من العلماء ، كانوا أكثر فأصبحوا قلة ، بل ندرة .

حديثه في المجالس العلمية معيار العدل والإنصاف والصدق والتجرد .

لئن رحل الشيخ محمد بن صالح العثيمين جسماً فسيظل ذكرى عطرة خالدة ، يعيش بيننا بعلمه وصدقه وإخلاصه ، والله جل وعلا صاحب المن والفضل أرجو أن يقبل فيه دعاء الداعين ، وأن يدخله الجنة في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، وللسعادة بشائر وإرهاصات ، إذ تشاء الإرادة الإلهية أن يكون مدفنه في الأرض الطاهرة المباركة مكة المكرمة أمنية كل مسلم ، حيث مرقد الأنبياء والصحابة والأولياء والعلماء والصالحين من عباد الله ، ليبعث إن شاء الله ضمن قافلة السعداء في الآخرة .

العزاء الجميل أولاً لخادم الحرمين الشريفين – حفظه الله – ولأصحاب السمو الملكي الأمراء ممن يحيطون العلم والعلماء ببرهم وتقديرهم ، ورجال الدولة الكرام ، ولأولاده وأهله وذوي قرابته ، ولسماحة المفتي ، وكافة العلماء وطلاب العلم ، بل للأمة جميعاً ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها .

(جريدة عكاظ ، العدد ١٢٥٥٩)

وفاة الشيخ

بقلم معالي الدكتور : علي بن إبراهيم النملة

*** وزير العمل والشؤون الاجتماعية ***

توفي الشيخ محمد الصالح العثيمين مساء الأربعاء ١٥ / ١٠ / ١٤٢١ بعد أن قضى شهر رمضان المبارك في رحاب بيت الله العتيق ، يعبد الله بالصلاة والصيام ما تيسر له ، والدرس والإجابة على الأسئلة والفتاوى ، وكان أشيع عنه – رحمه الله – قبل ذلك أنه مريض ، وقابل المرض بالرضا والاطمئنان ، حتى كأنك ترى من حوله أشد منه مرضاً ، ليس لأنهم لم يقابلوا المرض بالرضا والاطمئنان ، ولكنها عوامل كثيرة يتلقاها هؤلاء الرجال ممن يعرفونهم حق المعرفة من إخوانهم وأبنائهم وذويهم .

توفي الشيخ محمد الصالح العثيمين ليلحق بكوكبة من علماء الأمة سبقوه إلى مواقع هي – بإذن الله تعالى – رياض من رياض الجنة بعد أن توقف العمل ، وغادر المشيعون ، وبقي لهم ثلاث فقط : علم ينتفع به ، وابن صالح يدعو له ، وصدقة جارية ، وهذه ميزة المسلم عندما يموت ، يبقى أو يبقي وراءه شيئاً من الثلاث إن لم يبقها كلها .

توفي الشيخ محمد الصالح العثيمين بعد أن أبقى وراءه خيراً كثيراً من آثار علمية ، ومن تلاميذ هم نواة لعلماء قادمين يخلفون السالفين ، ليكونوا بحق خير خلف لخير سلف ، ولتبقى الأمة تحت قيادة علمية متواصية بالحق متواصية بالصبر .

ذلك أن شيخنا محمد الصالح العثيمين نفسه كان خير خلف لخير سلف فقبل أن يكون عالماً وفقه الله تعالى إلى هذا كله ، كان تلميذاً على علماء سبقوه إلى رياض الجنة ، ومن أبرزهم شيخه الجليل عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - وهذه حال العلماء كلهم ، يبدؤون تلاميذ ثم يكونون - بقدر الله تعالى - علماء ، ويكون لهم تلاميذ ثم يكون بعض التلاميذ علماء ، فيبقى الخير في الأمة ، وتبقى الأمة على قدر عال من التفاؤل في أن تحل كوكبة عالمة محل كوكبة عالمة أخرى .

وتظل الأمة على الحق منصورة بفضل من الله تعالى ثم باحترام علمائها وطلبة العلم فيها وإجلالهم على مستوى القيادة والأمة .

توفي الشيخ محمد الصالح العثيمين فاقترن اسمه بالدعاء له بالرحمة والغفران ، كلما جاء ذكره مشافهة أو مكتوباً ، وهذا لعمري من الخير الذي أراده الله تعالى بإذنه له .

رحمه الله رحمة واسعة ، وكان الله في عون الجميع ،،،

(جريدة عكاظ ، العدد : ١٢٥٦٤)

الشيخ الجليل ..

بقلم معالي الدكتور : علي بن إبراهيم النملة

* وزير العمل والشؤون الاجتماعية *

من نعم الله تعالى على هذه الأمة أن هيأ لها منها رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً ، وقضوا حياتهم على العلم صادقين فيه ، فأحبهم الناس لأنهم هم أحبوا الناس ، وطمعوا لهم بالهداية ، زهدوا في الدنيا وقد أقبلت عليهم ، ولكنهم أعرضوا عنها ، لاحقتهم فصدوها صدوداً حكيماً ، أخذوا منها ما يعينهم على الآخرة ، وتركوا الباقي لغيرهم ممن تكالبوا عليها ، وظنوا أنها هي دار القرار ، فمالت إلى الزاهدين العقول والأفئدة ، وجعل الله لهم عند الناس قبولاً ومحبة ، وأضحى الناس يتبارون في القرب منهم ، والجلوس معهم على اختلاف في مستوياتهم العلمية والذهنية ، فتقبلوا الجميع ، وسمعوا لهم ، وحاوروهم ، وردوا عليهم .

وكان لهم مريدون يأخذون عنهم ، وربما كان المريدون أكثر حماساً من هؤلاء الرجال ، ولكنهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فكان منهم كبح لجماح هذا الحماس بالحكمة ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وكبحوا هذا الحماس وجماحه بالفقه ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين.

وكلما ازداد هؤلاء الرجال فقهاً في الدين زادت فيهم الحكمة ، حتى

يأتي رجل إلى أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى – ويرميه بالكفر فيبتسم ابن حنبل ، ويغتاظ من حوله ، ويريدون بالرامي شراً ، ولكن المرمي أراد به خيراً ، ولعل الله أراد به خيراً .

ويذهب ابن تيمية إلى أهل سجانه وقد وافاه الأجل ويعزيهم فيه ، ويضع من نفسه والياً عليهم فيما يحتاجون من الدنيا ، وقبلهم كثيرمن الأمثلة وبعدهما كذلك .

هؤلاء هم شيوخنا الأجلاء الذين فقدنا منهم من فقدنا ، وبقي بيننا منهم خير كثير بإذن الله تعالى ، وآخر المفقودين بالمعنى العميق لكلمة الفقيد شيخنا الجليل محمد الصالح العثيمين الذي خلف وراءه خيراً كثيراً إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث وأحسب أن شيخنا محمداً قد ترك وراءه هذه الثلاث ، اثنتان بارزتان كل يراهما ، وهما العلم النافع ، وأي علم نافع أسمى من العلم الشرعي الصافي الصحيح الذي سار على نهج محمد ﷺ ، والأخرى في الخصال الثلاث الباقية هم الأبناء الصالحون يدعون له ، ونحسب أن أبناءه صالحون يدعون له ، ثم تلاميذه صالحون يدعون له ، ثم المستفيدون من علمه قريباً أو بعيداً يدعون له ، والخصلة الثالثة وهي غير ظاهرة للناس لأنه لا يراد لها أن تظهر للناس ، هي الصدقة الجارية .

أما الأولى ، وهي العلم النافع فإن شيخنا محمداً سيهنأ بإذن الله عندما يعمم هذا العلم أكثر من تعميمه بالنشر التقليدي القائم على الإفادة من الورق بالكتاب والرسالة والمقالة والفتوى في مجلة أو جريدة سيارة ، إذ أن النشر الإلكتروني سيتيح إفادة أوسع بإذن الله تعالى عندما يتم تجهيز

موقع له - رحمه الله - في شبكة المعلومات الإعلامية ، وعندما تقام له مؤسسة علمية خيرية تعنى بإنتاجه العلمي وتنشره بين الناس عبر هذه الوسائل الحديثة ، وما قد يتم بعدها من وسائل أسرع منها رغم أنها هي سريعة .

ومن حفظ هذا العلم تجنب ما ينسب إليه مما لم يقله ، والحذر كل الحذر من أن ينسب إليه شيء لم يقله ، فإن هذا تقوّل على ورثة الأنبياء - ونحسبه منهم - وإنما يتم الحد من ذلك بتوثيق إسهاماته في آلية مرجعية ممكنة اليوم والحمد لله ، وأعلم أن محبيه يتسابقون على رصد آثاره باجتهادات قد لا تكون كلها صائبة ، ولذا فإنه لا بد أن تكون هناك جهة واحدة تقوم بهذا الجهد ، وتتقبل أي إسهام ممكن حتى لا تتشتت الجهود ، وحتى لا ينسب إلى شيخنا ما لم يقله .

ولقد كان منظراً مهيباً بهدوئه في بيت الله الحرام ، وجنازته - رحمه الله - محمولة على الأكتاف ويتقدم المصلين عليه صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز ، وأصحاب السمو الملكي الأمراء ، وأصحاب الفضيلة العلماء والمسلمون من طلبة العلم ، وطلاب الشيخ ومحبو أجر الصلاة على عالم فاضل جليل . كل هذا يُجسد ذلك التقدير الذي حظي به رحمه الله واكتسبه بعلمه ثم بإخلاصه وصدقه مع الله تعالى وزهده بالدنيا - نحسبه كذلك - فكان له منظراً مهيباً ، والمسلمون يصلون عليه صلاة الغائب يوم الجمعة التي تلت وفاته - رحمه الله - لا سيما عندما أفرد الخطباء وفقهم الله ذلك اليوم بخطبة خاصة فيه ، وفي فقد العلماء ، وفي قبض العلم بقبض العلماء ، مع أن هذه الأمة ستبقى بإذن الله تعالى على الحق منصورة ، وسيبقى فيها العلماء الأجلاء من أمثال أولئك الذين أراد

الله بهم خيراً إن شاء الله تعالى ، فمضوا في برزخ هم فيه في رياض من رياض الجنة ، وليسوا في مثواهم الأخير كما تُردد بعض الصحف ، فالمثوى الأخير في جنات عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

هذا ما نحسبه في شيخنا الجليل محمد الصالح العثيمين ، رجل من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً .

أضاف ، بل أضيف بموته حزن على أحزان بفقد الرجال ، والخير في الباقين وفي القادمين ، فكان الله في عونهم ، وكان الله في عون الجميع .

(مجلة اليمامة ، العدد : ١٦٤٠)

العالم الذي فقدناه

بقلم: معالي الشيخ الدكتور علي بن مرشد المرشد

*** الرئيس العام لتعليم البنات ***

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، القائل: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء» الحديث .. أما بعد:

فإن الموت حق، كتبه الله على كل حي في هذه الحياة، يقول الله تعالى: ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾، وإن موت العلماء له أثره الكبير في نفوس المسلمين، وذلك لما لهم في عالمنا الإسلامي من تقدير وإجلال، فهم منارات خير وهدى وعلم، ولهم دورهم في التعليم والتوجيه والحث على فعل الخير، والتعاون على البر والتقوى، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وجمع كلمة الأمة على الحق، والحث على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وطاعة ولاة الأمر، والحرص على الاجتماع وعدم الاختلاف، والاعتصام بحبل الله جميعاً، كما أمر الله سبحانه وتعالى بقوله جل وعلا: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾، وهم محل التقدير والثناء والإجلال من جميع أبناء أمتهم، والأمة لا تنال عزها وشرفها ومجدها إلا بما تفعله من احترام وتقدير لقيادتها وعلمائها .

هذا وإن الإشادة بجهود أهل الفضل من الخصال الحميدة التي حث عليها ديننا الحنيف للاقتداء بهم والدعاء لهم ، وعلماؤنا في المملكة العربية السعودية لهم حق التقدير والإعزاز والمحبة في نفوس الجميع ، كما هو معلوم لدى كل مواطن ومقيم في هذه المملكة ، وذلك لما يتصفون به من العلم والدعوة إلى الله ، وما يبذلونه من نصح مخلص ، وعمل دؤوب للإصلاح ، وجمع القلوب على المحبة والتعاون ، وإظهار المجتمع الإسلامي كما وصفه النبي الحبيب ﷺ بقوله : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

وبالأمس القريب ، وبالتحديد عند مغرب يوم الأربعاء ، الخامس عشر من شوال لعام واحد وعشرين بعد الأربعمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة ، فقدت المملكة العربية السعودية والعالم الإسلامي واحداً من أجل وأشهر علمائها ، إنه فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين ، عضو هيئة كبار العلماء ، وإمام وخطيب الجامع الكبير في محافظة عنيزة ، بعد معاناة مع المرض ، وفضيلته من العلماء الذين عمروا أوقاتهم بالدراسة والطلب والتدريس وخدمة العلوم الشرعية ، وهو من العلماء الذين جمعوا بين التحصيل العلمي على أيدي العلماء في المساجد وفي دور العلم ، وفي كلية الشريعة التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ومن أبرز مشايخه : فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - وفضيلة العالم الفذ الحبر عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه فسيح جناته - .

وسجل فضيلته - رحمه الله - حافل بجليل الأعمال ، ومن أهمها :

* تولي التدريس في الجامع الكبير بعنيزة الذي يؤم فيه المصلين ، بالإضافة إلى التدريس في مكتبة عنيزة الوطنية التي أسسها الشيخ علي الصالحي – رحمه الله – .

* تولي التدريس في معهد عنيزة العلمي .

* عمل مدرساً في كلية الشريعة وأصول الدين في القصيم .

* عضو هيئة كبار العلماء .

وفضيلة الشيخ – رحمه الله – من أولئك العلماء الذين يتصفون بمكارم الأخلاق ، ويتصفون بصفات طلبة العلم ، وسمتهم ، ولقد عرف فضيلته – رحمه الله – عالماً وقوراً هادئاً في حديثه ، يجذبك إليه حسن إلقائه ، ونظرته المتزنة للوقائع ، ويعجبك في أحاديثه ونهجه في الدعوة إلى الله وفي محاضراته وفتاواه ، ذلك النهج التحليلي للأمور .

ومن خلال لقاءاتي بفضيلته المتعددة فقد استفدت من أحاديثه وما يرويه من تجاربه أثناء عمله ، وقد دعوت فضيلته مراراً لإلقاء محاضرات على بناته الطالبات في مختلف أنحاء المملكة ، وما أذكر أنه في يوم من الأيام اعتذر عن ذلك ، بل إني أجد منه الرغبة والحرص في المبادرة إلى ذلك وإضافة إلى هذا ، فقد وجدت منه – رحمه الله – حرصه على الاجتماع بي سواء في المكتب أو المنزل ، والبحث في أمور تعليم البنات ، وخاصة ما له علاقة بالمناهج الدراسية .

لقد كان النهج الذي كان يسير عليه هذا العالم الجليل – رحمه الله – في تبادل الرأي والمشورة ، ينطلق من ذلك النهج الواضح لعلماء هذه المملكة في حب الخير والتعاون في كل ما له نفع للمسلمين واجتماع

كلمتهم وتمسكهم بعقيدتهم الإسلامية الصحيحة ، والحث على واجب أداء الحقوق لولاة الأمر ولعموم المسلمين .

لقد كان - رحمه الله - لطيف المعشر ، محباً للخير للجميع ، وخاصة طلبة العلم الذين يؤنسه وجودهم .

وبوفاته - رحمه الله - فقدت الأمة رجلاً فذاً زاهداً من طراز العلماء الذين يذكروننا بسلفنا الصالح في سمتهم ومعشرهم وصدق أحاديثهم وحبهم للاطلاع وبعدهم عن المظاهر .

أسأل الله عز وجل لفضيلة العالم الجليل الورع التقي الزاهد الشيخ محمد بن صالح العثيمين أن يرحمه رحمة الأبرار ويسكنه فسيح جناته ، كما أسأله - سبحانه وتعالى - أن يغفر ذنبه ، ويقيل عثرته ، وأن يجازيه عما قدم للإسلام والمسلمين خيراً ، فقد عاش محمود السيرة ، سليم القلب، عالماً محققاً محباً للعمل والعلماء ، مكافحاً من أجل خدمة دينه ، مخلصاً لهذه البلاد ولقيادتها الرشيدة ، وداعياً لولاة الأمر بالتوفيق والنصر والصلاح ، وللمسلمين باجتماع كلمتهم ، يحب لهم ما يحب لنفسه ، رحمه الله ورضي عنه ، وأحسن عزاء أسرته ومحبيه وطلابه ، وجعل في ذريته الخير والبركة ، ليعيدوا سيرته ، ويتأسوا به وبأمثاله من سلف هذه الأمة ، وأدعو الله - عز وجل - أن يعوض المسلمين بفقده خيراً ، والحمد لله على قضائه وقدره ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٦)

الفقيد الكبير

بقلم : معالي الشيخ الأستاذ الدكتور راشد الراجح
* عضو مجلس الشورى ورئيس النادي الأدبي بمكة المكرمة *

الحمد لله لا راد لقضائه ، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه وتعالى ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي قال الله في حقه : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ ، لقد فجع العالم الإسلامي بوفاة سماحة الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين - رحمه الله - يوم الأربعاء الموافق ١٥ / ١٠ / ١٤٢١ هـ .

إن وفاة علماء المسلمين عالماً بعد عالم هي مصيبة كبرى ، ولكننا لا نقول إلا كما قال الله تعالى : ﴿ **الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ .

إن سماحة الشيخ محمد بن عثيمين أحد علماء الأمة الإسلامية المرموقين في العصر الحاضر ، له المؤلفات العديدة ، والمحاضرات القيمة ، والفتاوى المدعومة بالدليل من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ، وله استنباطات فقهية فريدة ، كما أن دروسه بالمسجد الحرام ، وفي جامعة الإمام - فرع القصيم - وفي غيرها من المؤسسات الإسلامية لكل ذلك أثره الكبير في إرشاد المسلمين إلى الطريق الصحيح ، وتنوير الجميع بما جاء في الكتاب والسنة ، وشرح ذلك بطريقة مبسطة وسهلة يفهمها العالم كما يفهمها طالب العلم والشيخ العادي .

لقد تشرف نادي مكة الثقافي الأدبي باستضافة سماحته عدة سنوات

في رمضان وفي غيره لإلقاء محاضرات ودروس دينية يحضرها المئات من طلاب العلم والمحبين ، وقد نشر النادي بعضها ، وبعضها محتفظ به في أشرطة مسجلة في مكتبة النادي .

إن سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين بجانب كونه عضواً بهيئة كبار العلماء فهو أستاذ بجامعة الإمام ، وعضو بعدة مؤسسات إسلامية ، ويتصف - رحمه الله - بالتقوى والصلاح والزهد في الدنيا ومباهجها ، وهو على خلق فاضل ، ويتعامل مع الناس باللطف والأخلاق الكريمة .

نسأل الله جلت قدرته أن يتغمده بواسع رحمته ، وأن يعوض العلم والعلماء فيه خيراً ، وأن يجمعنا وإياه في مقر رحمته ، وأن يلهم أسرته الصبر والاحتساب و إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(جريدة عكاظ ، العدد : ١٠٣٣٤)

ليلة ظلماء وبدر مفتقد

بقلم صاحب المعالي الشيخ الدكتور : صالح بن عبد الله بن حميد

* الرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي *

الحمد لله نواصينا بيده ، والحمد لله ماض فينا حكمه ، والحمد لله عدل فينا قضاؤه ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد خير البرية ، كل مصاب بعده جلل ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان .. أما بعد :

فإن من عجائب الدهر عمومه بالنوائب ، وخصوصه بالرغائب ، فتتوالى المصائب ، وتحل البلايا بعضها بما كسبت أيدي الناس ، وبعضها ابتلاء من الحكيم الخبير ، ليتذكر المتذكر ، ويتدبر المتدبر ، ويراجع الناس أنفسهم لعلهم إلى ربهم يرجعون .

ويأتي فقد العلماء مصيبة من أعظم مصائب الدهر ، ويعظم الشعور بالمصيبة بقدر عظم المفقود ، ويشتد الولع والوله بقدر التعلق بالمفقود ، والعلماء بربهم من أعظم مفقود وأعز غائب ، بفراقهم يشتد الألم ، وما سواهم وجود كالعدم .

فهم ورثة الأنبياء ، ومصابيح الدجى ، والضياء في الظلماء ، والدواء للداء ، بهم يعرف الحق من الباطل ، ويستبين الحلال من الحرام ، ويتميز الهدى من الضلال ، فضلهم ظاهر ، وذكرهم عاطر ، وحبهم آسر .

هم حملة الشريعة ، وكنز الأمة ، وحماة الدين ، وكيف لا يكون

فقدهم مصيبة ، ورحيلهم رزية وقد قال نبينا محمد ﷺ : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ، ولكن يقبض العلم بموت العلماء ، حتى إذا لم يبق في الأرض عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا» .

بحياة العلماء تحيا الأمم ، وبموتهم يضيع الناس ، وإن من الناس من لا يفقده إلا أهله ، بل فيهم من منيته أمنية الأماني ، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

والباعث للتقديم بهذه الكلمات ما تعيشه الأمة في هذه الأيام من لوعة فقد إمام جهبذ ، وعالم علم ، نحن على فراقه محزونون ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، ذلكم هو الإمام العالم العلامة ، حبر العلوم ، وبحر المعارف ، شيخ الفقه ، وإمام السنة ، الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – ورفع درجاته في عليين ، وأسكنه فسيح جنته ، وأمطر عليه من شآبيب رحمته .

عظم الخطب بفقده ، وجل الأسى لفراقه ، بعظم المكانة التي بوأها الله له في القلوب .

ولكن يخفف المصاب ، ويسلي المحزون ، ما يتابعه القارىء والمطالع على صفحات الصحف السيّارة ، وعبر وسائل الإعلام المتنوعة من منثور القول ومنظومه ، من حديث عن الشيخ وذكر لمآثره ، ودعاء له بالرحمة والمغفرة ، وتضرع للمولى الكريم أن يعوّض خيراً .

إن تكاثر الكتابة عن أهل العلم ينبع من تعظيم الشريعة ، وتمكينها ، فمن عظّم الشريعة ، عظّم حملتها ، واعترف لهم بفضلهم ، وهذا ما تعيشه بلادنا بفضل الله ، ومنّه بأهلها وولاتها .

وليعلم أنه لا يحظى بالتقدير والاحترام ، ولا تعظم المكانة ، ولا يكتب القبول والإمامة – بإذن الله – إلا لمن جمع بين العلم والعمل وحسن القصد ، وابتغى الله والدار الآخرة ، ذلكم هو الذي يفقد إذا غاب ، ويعظم به المصاب إذا واراه التراب ، ونحسب أن الشيخ محمداً – رحمه الله – من هؤلاء العلماء العاملين ولا نزكي على الله أحداً . يوضح هذا المعنى ويجليه آيتان من كتاب الله في سورة واحدة هي سورة فاطر :

الآية الأولى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة** ﴾ ، وهؤلاء هم العاملون .

أما الآية الثانية فقوله سبحانه : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ ، وهم العلماء العالمون بالله ، العاملون بشرعه .

يقول بعض السلف : « كان يقال : العلماء ثلاثة : عالم بالله عالم بأمر الله ، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله ، وعالم بأمر الله وليس بعالم بالله فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض ، والعالم بالله وليس بعالم بأمر الله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا الفرائض ، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل » .

والظن – إن شاء الله – أن الشيخ – رحمه الله – تعلّم وعلّم من أجل الآخرة ، وشمر للعمل من أجل الآخرة ، بلغه الله حسن المثوبة .

إنه شيخ عَلِم ليعمل ، اهتم بالعلم النافع : علم الآخرة ، أما العلوم الأخرى فهي عنده علوم آلة لخدمة علم الآخرة ، لقد تعلّم الشريعة وعلمها بحديثها وفقهها وتفسيرها ، مشغول وقته بالعلم والذكر والفقه والوعظ

والتوجيه والفتوى ، بلسانه وقلمه .

نهج في التعليم والدعوة والنصح والتوجيه مسلك الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن ، مع الحرص الشديد على تجنب الجدل والدخول في الردود والتعقيبات ، فلا يكاد يحفظ له شيء في باب الردود والتعقيبات .

بل كانت له طريقة فريدة في التعليم وشحذ همم الطلاب ، وإثارة الأسئلة التعليمية ، وضرب الأمثلة ، والتخريج على القواعد ، وفي الإفتاء له مسلك ظاهر في القصد إلى التيسير والاعتدال ، مع لزوم الأدب مع المخالف ، واحترام فقه الخلاف .

كان حسن الرعاية لتلاميذه ، متابعاً لتحصيلهم مما جعل قلوب طلاب العلم تتعلق به ، وترحل إليه ، وتثني ركبها بين يديه ، لقد كان له يد طولى في رعاية الشباب وحسن توجيههم ، والنأي بهم عن مزالق الفتن ، وانحرافات التحزب ، دؤوباً في النصح لهم وتوجيههم ، وبيان لمنهج الحق بما أوتي من علم وحكمة وقوة وقبول .

لقد وسعهم بعلمه ، كما وسعهم بحلمه ، وشملهم برعايته كما شملهم بتوجيهه .

أما في سيرته الشخصية – رحمه الله – فلم يطمح لزينة الدنيا ومتاعها تحدث عن زهده وورعه ، وتعففه القاصي والداني ، ورأى ذلك ولمسه من عرفه وصاحبه وعايشه ولازمه .

لقد حماه الله وسلمه من الأمراض التي تفشو بين كثير من طلبة العلم من أمراض القلوب ، كالحسد وحب الشهرة وجواذب الهوى ، وحب الظهور

يقصم الظهور .

لقد كان – رحمه الله – لسان صدق صادعاً بالحق ، ملتزماً به ، مقيماً عليه ، مع رعاية الحكمة . في حديثه ألفة ، وفي ابتسامته مودة ، وفي كلامه بيان . وجه طليق ، ومجلس لا يمل ، كان محل ثقة وقبول ، إذا فزعوا إليه فقد فزعوا إلى ركن شديد .

خلّف – رحمه الله – ثروة علمية هائلة يُنتفع بها بعده – إن شاء الله – ليمتد له أجرها وثوابها ، ولعلها أن تكون بفضل الله صدقة جارية ، وقافلة بر وإحسان ، ووعاء نصح وهداية ، ومنار علم وفقه ، فلقد دارت المطابع ، وسارت الصحف ، وعلا رنين الهواتف ، وصوت الأشرطة ، مسموعها ومرئيها ، وصدح المذياع ، وبث التلفاز ، وضمت الكتب مؤلفات ابن عثيمين ، وفتاوى ابن عثيمين ، وأشرطة ابن عثيمين ، ورسائل ابن عثيمين ، ومطويات ابن عثيمين ، رحمه الله رحمة واسعة .

هذه لمحات من قبسات وشذرات في إضاءات من سيرة هذا العالم النحرير في فقهه الدقيق ، وورعه المتين ، وزهده الرفيق ، وعلمه الغزير ، عم به المصاب ، ورثاه الأقارب والأغراب ، وشيعته الأمة ، وودعته الملايين ، في مواكب مهيبة ، توافد من أنحاء شتى ، تقدمت فيها القلوب على الأقدام ، وسبقت الأرواح فيها الأشباح ، وسالت الدموع من هذه الجموع .

بكاه العلماء والعامة ، وحزن عليه الشيوخ والشباب ، أحدث رحيله ثلمة وفراغاً في العلم والفتوى ، والبر والتقوى .

تبكيه قلوب التفت حوله ، والتقت به في حلقات الدروس والتحصيل ومجالس الوعظ والتوجيه ، ومنابر الدعوة والخطابة ، ومع عظيم اللوعة ،

وألم الفراق ، فإن لله عزاء من كل مصيبة ، وخلفاً من كل فائت ، ودركاً من كل ذاهب ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وإن من أعظم ما يعزى به أهل الإسلام ويخفف مصابهم في فقد علمائهم أن الله سبحانه بفضله ورحمته قد حفظ على هذه الأمة دينها ، وفضله سبحانه ليس مقصوراً على بعض العباد دون بعض ، ولا محصوراً في عصر دون عصر ، بل إنه سبحانه يقيم في كل فترة من الزمن أئمة عدولاً من كل خلف ، أمناء مخلصين ، علماء مصلحين ، ينفون عن دين الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، يدعون إلى الهدى ، ويذبون عن الحمى ، ويبصرون من العمى ، ويصبرون على الأذى ، فليس حفظ دين الله مقصوراً على ما حفظ ويحفظ في بطون الصحف والكتب ، ولكنه بإيجاد من يبينه للناس في كل وقت ، وعند كل حاجة ، فلله الحمد والمنة .

رحم الله شيخنا ، وأحسن منقلبه ، وأجزل مثوبته ، ورفع في العليين درجته ، وعفا عنا وعنه ، وأصلح عقبه وذريته ، وعوّض المسلمين عنه خيراً ، ووفق علماءنا وسددهم ، وأحسن إليهم ، وزادهم فضلاً وتوفيقاً وإحساناً ، وأدام النفع بهم ، إنه خير مسؤول ، وأكرم مأمول ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٧)

ابن عثيمين .. رحيل العلماء

بقلم معالي الدكتور: محمد عبده يماني

سبحان الدائم وكل شيء يزول .. والقائم وكل شيء يحول .. والباقي وكل شيء يموت .. ولقد تألمنا ونحن نودع عالماً من علماء هذه البلاد .. كان حافظاً مجتهداً على فقه وورع .. وعلم وأدب .

وكان - رحمه الله - يتميز باطلاع واسع على جوانب الشريعة السمحة ، وقد درس وتعلم وعلم ، وكان يتميز بمروءة وفضل وقدرة على الإقناع وأدب في الحوار .

كان - رحمه الله - ممن يألف ويؤلف ، كما كان يتميز بقدرة على مخاطبة الشباب والتحدث إليهم بلغة يفهمونها ، وكنا نحس بقربه من الناشئة .

ولقد عرفت الرجل فيما يزيد على ثلاثين عاماً عندما كنت في جامعة الملك عبد العزيز ، وكان يزورنا ونأنس به في بداياته الأولى ، فقد كان شقيقه الأخ الدكتور عبد الرحمن بن عثيمين يعمل معنا في الجامعة ، وكان الشيخ يزورنا ، وكنا نلاحظ أدبه وغيرته على الشريعة ، وولعه بالعلم ، فقد كان يحرص على اقتناء كل كتاب مفيد في الحديث أو الفقه أو الدعوة .

وظلت صلتي به دائمة ، وكان يأتينا ويتحدث في مساجد جده ، ونأنس به ولكن الأمر الذي يسترعي الانتباه أنه - رحمه الله - كان ينصح لولاة الأمر ويوجههم إلى بعض الأمور التي يراها جديرة بالعناية ، ولكن

نصائحه تأتي بصورة مباشرة إليهم ، وقريبة منهم ، وبحكمة وروية ، ينشد من خلالها النصح دون تكلف أو رغبة في الظهور ، ولهذا فقد كانوا يحبونه وكنت أشعر أيام الملك خالد - رحمه الله - أنه كان يرتاح إلى نصحه ، ويفرح بلقائه ، ويتقبل منه النصح ، وكنا نلاحظ عفة الرجل وترفعه عن الدنيا ، فلم يكتب في طلب لجاه أو مال .

فعندما عرض عليه الملك خالد - رحمه الله - أن يشتري له منزلاً اعتذر وفضل أن يبقى في منزله ، قانعاً محتسباً ، واستأذن أن يدفع المال لبناء المسجد إلى جانب مرفق خيري كمكتبة في جوار المسجد بدلاً من أن يبني له منزلا .

وكان للشيخ - رحمه الله - ولع بالحرمين الشريفين ، وكان يأتيهما بين وقت وآخر ، وأذكر أنه صلى بنا لعدة أيام في المسجد الحرام ، وعندما عرض عليه أن ينتقل فضل أن يبقى مع تلاميذه في عنيزة ، فقد كان يشعر بارتباطه بهم وحرصهم على الأخذ منه .

وقد تخرج على يده مئات الطلاب ، وكان هو قد حفظ عن شيوخه ، وبالذات الشيخ عبد الرحمن السعدي الكثير من أدب الدعوة ، وألف ما يزيد على أربعين كتاباً .

كان الرجل كريم اليد ، طيب النفس ، عفيفاً متواضعاً ، لا ينفر من الحوار ، ولعل مما يميزه قدرته أثناء الحديث مع الشباب على إدخال جوانب من المرح في روحهم بين وقت وآخر .

رحم الله الشيخ محمد بن عثيمين ، وتغمده بواسع مغفرته ، وأسكنه فسيح جناته ، وعفا عنه وعنا جميعاً ، فقد ظل في مرضه الأخير صابراً

محتسباً حتى لقي الله عز وجلٍ ، فنسأل الله أن يتغمده برحمته ، وحسبي الله أن بدأنا نفقد العلماء واحداً تلو الآخر .

ونسأل الله أن يعوضنا خيراً ، وأن يكرمهم بما قدموا ، وأن يخلفهم خيراً في أهلهم وولدهم وتلاميذهم .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٤)

فقدان عالم زاهد

بقلم معالي الدكتور: محمود محمد سفر

* وزير الحج سابقاً *

العلماء في كل أمة هم ورثة الأنبياء في هداية الناس إلى الخير، ووسائلهم إلى الصلاح، والفقهاء هم رسل الحق لتبصير الناس بما يعينهم على دنياهم، وينفعهم في أخراهم .

العلماء والفقهاء في كل مكان وزمان هم حملة كلمة الحق وحماتها، وهم قادة الفكر الراشد، ونفع الجهد الخير، ومثال العمل الصالح، ونموذج السلوك المستقيم، هم ذخيرة الأمة وعتادها، وثروتها ومصدر عزها واعتزازها؛ بهم يهتدي الناس إلى الحق، وعلى طريقهم يسير الناس إلى الرشاد .

وأفدح ما تصاب به الأمم هو فقدانها لعلمائها العاملين الصادقين المخلصين، وأكثر ما تبتلى به هو غياب الفقهاء المجاهدين الزاهدين المحتسبين.

واليوم تتجدد أحزان أمتنا الإسلامية لفقدان واحد من علمائها، وليس كأي واحد، إنه الشيخ محمد صالح بن عثيمين .

فبالأمس القريب غيّب الموت كثيراً من العلماء والوعاظ، والدعاة والفقهاء، والمصلحين في شتى بقاع العالم الإسلامي، ممن اتصفوا بالصدق في أقوالهم، وبالإخلاص في أعمالهم، وبالزهد في حياتهم، وبالورع في

سلوكهم ، فكانت خسارة الأمة بموتهم كبيرة ، وحسرتها على فقدانهم عظيمة .

واليوم تأتي وفاة الشيخ ابن عثيمين ، ذلك العالم الفقيه ، والشيخ المجاهد ، الذي وهب حياته للعلم فلم يصرفه عنه صارف ، وفرّغ وقته للدعوة إلى الله فلم يشغله عنها شاغل ؛ فتتجدد أحزان الأمة .

مات الشيخ ابن عثيمين ، ذلك العالم الجليل بتواضعه ، الفقيه العظيم في زهده ، الورع الملتزم في مسلكه ، فيعمُّ الأسى النفوس .

مات الشيخ ابن عثيمين فجاء فقده والأمة في أشد الحاجة إليه وإلى أمثاله من العلماء والفقهاء العاملين الصادقين المجاهدين الزاهدين المحتسبين .

ونحن وإن كنا لا نزكي على الله أحداً ، فإننا نجد أن العالم الزاهد الورع المحتسب أصبح نادراً اليوم بعد أن أقبلت الدنيا ، وازدادت المغريات ، وتغلبت الأهواء ، وتدافعت الشهوات ، وتداخلت الأمور ، واحتدم الصراع بين الحق والباطل في حياة البشر ، واختلط الحابل بالنابل في دنيا الناس ، فظهر الفساد في الأرض بما كسبت أيدي الناس ، وانتشر الجهل بأبسط مبادىء الدين وقيم الأخلاق ، وأصبحت الموبقات في اطراد .

لهذا تعظم الخسارة اليوم ، ويعمُّ الحزن سائر بقاع الأمة الإسلامية لوفاة عالم في مثل ورع وزهد وتقوى الشيخ ابن عثيمين ، الذي ساد بصفاته تلك دنيا الناس ، فيصدق عليه وعلى أمثاله قول العرب عندما سئلوا : كيف ساد فيكم فلان؟ فقالوا : احتجنا لعلمه واستغنى عن دنيانا ؛ لقد قلنا ذلك في حق الشيخ ابن باز – رحمه الله – بعد وفاته ، ونكرر القول اليوم في حق الشيخ ابن عثيمين – تغمده الله بواسع فضله – وسوف نظل نردده حتى

يوقن طلبة العلم أن السيادة في دنيا الناس ومجتمعاتهم معقودة لمن يملك صفات الزهد والصدق والورع من العلماء والفقهاء والوعاظ والمصلحين ، فمحبة الناس للعلماء والوعاظ ، وتقديرهم للفقهاء والمصلحين يكون في جُله من أجل تلك الصفات في أقوالهم وفي أفعالهم .

ما أكثر علماء الدين في شتى أقطار أمتنا الإسلامية فمجتمعاتها تغص - ولله الحمد والمنة - بهم ، ولكنا نزعم أن بعضاً منهم هم أولئك الذين يستمع الناس إليهم فيصدقونهم ، وقليل أولئك النفر منهم الذين يضربون بأنفسهم وبمسلكهم المثل تلو المثل لمجتمعاتهم كي تيسر على منوالهم وتلتزم بسلوكهم ، وتعمل بأعمالهم .

تحضرني بمناسبة الحديث عن الصدق في القول والإخلاص في العمل قصة كنت قد أوردتها في أحد كتبي بعد أن قرأتها في بعض كتب الوعظ عن عالم وهبه الله ملكة الخطابة المؤثرة ، ومقدرة الحديث المشوّق ، فكان الناس يلتفون حوله في شوق لسماعٍ وعظه ، وما إن ينفض مجلسه حتى يتطلعون إلى لقائه . اقترب منه يوماً عبد من الرقيق ضاق من عيش الرق ، وتاقت نفسه إلى حياة الحرية ، فهمس في أذن الشيخ برجاء أن تكون خطبة الوعظ القادمة في عتق الرقيق ، لعل الله يهدي سيده - وكان من المواظبين على سماع مواعظ الشيخ - فيتأثر بالخطبة فيعتقه ، فوعد الشيخ العبد بذلك .

طال على العبد انتظاره في أن يبرّ الشيخ بوعده ، حتى كان يوماً تحدث فيه الشيخ الواعظ عن عتق الرقيق ، وما فيه من مثوبة وأجر عظيمين ، وما يناله المعتق من رضاء الله وحسن ثوابه ، وما يشعر به من سعادة وبهجة

بمنحه الحرية لإنسان .

كان الشيخ كعادته موفقاً وجاء حديثه مؤثراً ، فلمس شغاف القلوب بالمحبة ، وملأ الأفئدة بالخير ، وغمر الصدور بالنور ، فنالت الموعظة من قلب سيد العبد مكانها فأعتقه ، وتحققت للعبد أمنيته ، ونالت نفسه بغيتها ، فجاء إلى الشيخ ليشكره ، ويحمد له صنيعه .. ثم استفسر منه معاتباً على تأخره في إنجاز وعده حتى كاد اليأس يبلغ منه محله ، فقال له الشيخ بتأثر واضح : لقد كنت أملك عبداً يقوم على خدمتي ويقضي حوائجي وأنا في هذا السن المتقدم كما ترى وأردت أن أعتقه فاحتجت إلى كل هذا الوقت لجمع بعض المال كي أستأجر به خادماً يؤدي عمل العبد بعد أن أعتقه .

ما أعظم الزهد والصدق عندما يتصف بهما العالم والواعظ بحق ، وما أجل الورع والإخلاص عندما يتحلى بهما العالم والمصلح بصدق ، وما أعظمها أمة يكون هداتها علماء زاهدين في دنيا الناس ، وصادقين في أقوالهم وفي أفعالهم ، وما أجلهم قوماً يكون دعاتهم ورعين ومحتسبين ولا تأخذهم في قول الحق لومة لائم .

رحم الله الشيخ ابن عثيمين رحمة واسعة ، وعوض أمته وأهله وطلابه ومحبيه وعارفي فضله فيه خيراً كثيراً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٨)

الشيخ العثيمين .. الناصح الأمين

بقلم معالي الدكتور: عبد الله بن صالح العبيد

* الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي سابقاً *

الحمد لله ولي المتقين، رب الخلق أجمعين، والصلاة والسلام على سيدنا سيد الأولين والآخرين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

نسألك سؤال المتضرعين إليك أن تعظم الأجر والمثوبة لأستاذنا وشيخنا فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الذي اخترته إلى جوارك، اللهم اجرنا معه بجوارك، عز جارك، وعظم سلطانك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

اللهم يا حي يا قيوم وأنت العليم الخبير تعلم ضعفنا بين يديك، وتعلم حاجتنا إليك، خلقتنا ورزقتنا، وهديتنا إلى دينك الحق، وعلمتنا كلمة الحق، اللهم ثبتنا على الحق، وقنعنا بما رزقتنا، وقد قلت وقولك الحق: ﴿**ادعوني استجب لكم**﴾، فاللهم الطف بأمة الإسلام، اللهم وعوضنا عما جرت به المقادير بما هو خير للإسلام والمسلمين.

اللهم اغفر لفقيد أمتك شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين وارحمه وعافه واعف عنه، اللهم جازه بالحسنة إحساناً وبالسيئة عفواً وغفراناً اللهم جازه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، فقد كان أميناً في تبليغ رسالتك، وصادقاً في تحمل هموم أمتك، ضارعاً إليك فيما اختار فيه من أمر خليقتك، كان زاهداً في المظاهر والمناصب، بل نصب نفسه لإظهار

دينك كما كان بعيداً عن مواقع التكالب على الدنيا والمزاحمة عليها بالسواعد والمناكب ، بل نذر نفسه في سحابة نهارها على تعظيم شأنك وتعليم شرعك ، وحبسها في دجى ليلها على مناجاتك وتدبر حكمتك وقرآنك ، عرفه بذلك أهله وذووه ، وخبر به تلاميذه ومحبوه ومحتاجوه .

كان عظيم الشأو ، وتقي السلطان ، بعيداً عن الغلو واللغو ، اللهم يا علي يا عظيم ، يا من أحصيت لكل عمله ، ووعدت أجره وأجرته ، اجعل ما قدمه شيخنا من عمل صالح يرجو به مغفرتك ويخاف به عذابك اجعله في ميزان صالح أعماله .. اللهم يا رب تجاوز عما تكون قد زلت به قدمه أو تعجل به لسانه ، فلم يعد له يا رب اليوم ما يقدمه إلا ما قدمه من عمل صالح نرجو أن يكون من ثمار بذرته ، فاستجب اللهم دعاءنا له ، لقد علمنا شرعك وتوحيدك ، وبين لنا حقك وفضلك وتمجيدك ، لقد علمنا صغاراً ، وأرشدنا كباراً ، وبادلنا النصح سراً وإعلاناً .

اللهم يا من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، يا رحمن الدنيا والآخرة ارحمه رحمة من عندك تيسر عليه الحساب ، وتؤنس وحدته تحت التراب ، وتعظم بها على الأجر والثواب .

اللهم أقر أعيننا واجعلنا في هذا الدعاء من أهل الدعاء المستجاب .. اللهم استجب دعاءه ودعاءنا له .. اللهم أكرم نزله ، وأعلِ منازله .. كلنا بائع نفسه فمعتقها أو موبقها ، فاللهم أعتق رقبة شيخنا ورقابنا من النار .

يا رب قد عظمت الذنوب ، وتكالبت الشرور ، وكثرت الغفلة والفجور ، وقلت الحسرة والندامة والخوف من يوم النشور ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وما اختيارك يا رب لفقيدنا إلا دليل على عظمتك في الصدور ،

وحب خلقك لجندك وأوليائك الصالحين ، فاللهم لا تؤاخذنا بما فعل المبطلون .. اللهم والطف بنا فيما جرت به المقادير .

لقد حمل كتابك ، وبين للناس حكمك وأحكامك ، حلالك وحرامك فبلغ الأمانة على قدر الاستطاعة ، وكان متواصلاً مع عبادك في مسجده ، وعلى منبره ، من كرسيه ، وعلى قدمه ، وأخيراً على سريره يوم استكانت قوته .

بذل ما نال من مالك ، وما نال إلا القليل ، وقدم ما ورث من رسلك وأنبيائك للصغير وللكبير ، خرج من هذه الدنيا بأقل القليل ، لم يهدف إلى القول المثير ، ولا إلى الفراش الوثير ، لكنه خرج للقائك جل جلالك بالشيء الكثير ، خرج بما يحتسبه ونحتسبه كذلك عندك وبفضلك بأجر عظيم ، خرج من هذه الدنيا بحبك وحب لقائك وحب حبيبك ونصرة دينك وخدمة دعوتك ونصح عيالك ، حرص – رحمه الله – على أن يكون الإسلام لهم سلوكاً ، شعوباً وملوكاً ، فكان محل تقدير الجميع أيام حياته ، وعند وبعد وفاته .

يا رب قد توجه الناس إليك في يومين من أفضل أيامك بالصلاة عليه طلباً لمغفرتك ورضوانك ، فاللهم تقبل جهدهم ، ولا تحرمهم سؤالهم ، اللهم وأصلح شأننا وشأنهم ، اللهم حقق سؤلنا وسؤله وسؤالهم ، اللهم أنزله منزل الأخيار ، وأسكنه مساكن الأنبياء والصالحين وعبادك الأبرار .

يا رب لقد اشتغل بطاعتك يوم اشتغل الناس بالدرهم والدينار .. اللهم ارحم هذه العيون الباكية ، والدموع الشاكية ، يا أملنا ومولانا ، يا رجاءنا ، اللهم اشغلنا بطاعتك وسخرنا لنصرة دينك وشريعتك ، وحبك

وحب من يحبك ، وعلى رأسهم حبيبنا وحبيبك صلوات الله وسلامه عليه .

رحمك الله أيها الناصح الأمين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

(جريد البلاد ، العدد : ١٦٢٢٥)

إلى جنة الخلد يا شيخنا

بقلم معالي الدكتور : فهد بن إبراهيم آل ابراهيم

سمعت بمرض سماحة الوالد الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين – رحمه الله – أول وهلة عندما كنت متواجداً في «لوس أنجلوس» مع العائلة في الصيف الماضي ، وكان سماحته قد قدم للفحص في «بوسطن تكساس» فكان وقع النبأ علينا عظيماً ، فبذلنا محاولات للاتصال هاتفياً للاطمئنان عليه ، إلا أننا لم نوفق ، فقرر الشيخ فهد المطيري أحد طلبة سماحته والملازمين له ، والذي كان حاضراً للمشاركة في الدروس التي قامت بمسجد الملك فهد بلوس أنجلوس ، قرر هو وبعض الإخوة من محبي الشيخ التوقف في بوسطن للاطمئنان على سماحته ، وتطميننا عليه ، حيث منعني وجود عائلتي من مرافقتهم ، فجاءت الأخبار بأن سماحته قد أنهى فحصه وعاد إلى المملكة والنتائج مطمئنة .. إلا أنه يبدو أن الداء لم يفارق الجسد .

وبعد العودة من السفر قمت بزيارة سماحته في مستشفى الملك فيصل التخصصي ، ولم يكن يدور بخلدي أنها زيارة توديع ، وأنها النظرة الأخيرة .

وفي العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك جاءنا صوت الشيخ – رحمه الله – وهو يلقي درسه المعتاد بعد صلاة التراويح في المسجد الحرام عبر مكبرات الصوت ، ففرحنا واستبشرنا خيراً ، وفي صبيحة يوم العيد اتصلت بفضيلة الشيخ سعود الشريم – حفظه الله – وعلمت أنه في زيارة

سماحة الشيخ في الحرم ، فأسرعت لعلي أحظى بلقاء الشيخ قبل نقله إلى المستشفى التخصصي بجده ، والتقيت بالأخ الدكتور عبد الله بن عثيمين « شقيق الشيخ » ، وتألمت كثيراً حينما علمت منه عن تردي حالته الصحية ، ودعونا الله أن يلطف بسماحته .

وعند باب الحرم كان المنظر حزيناً ، فسيارة الإسعاف في انتظار الشيخ لنقله إلى المستشفى ، والجموع المحيطة به واجعة حزينة .

وفي منتصف شهر شوال فجعنا والأمة الإسلامية بفقد علم من أعلامها وإمام من أئمتها - رحمه الله رحمة واسعة - وإنه لخطب جلل ، ومصاب عظيم ، لا يهونه ولا يخفف منه إلا ما خلفه من علم غزير سيبقى نبراساً يستنير به طلبة العلم ، ونوراً يهتدى به في زمن كثرت فيه الفتن ، وتشعبت فيه المسالك ، واختلط فيه الحق بالباطل ، والإخلاص بالهوى عمن ضل طريق الحق والصواب .

وإن كان قد توالت المصائب على الأمة الإسلامية بفقد علمائها ، فلنا في الباقين من علمائنا خير عزاء ، نسأل الله أن يمد في أعمارهم ، ويمتعهم بالصحة والعافية ، حاملين لواء العقيدة الصافية ، يذودون عن حياض الشرع المطهر في وجه أهل الزيغ والفساد وأصحاب الشبهات والشهوات والضلال .

وإننا إذ نعزي أبناء الفقيد وأشقاءه وأهله وذويه فإننا نعزي أنفسنا والأمة الإسلامية بفقد عالمنا الجليل سماحة الوالد الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جناته ، وأنزله منازل الأبرار ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٦)

الأب الكبير

بقلم الأستاذ : عبد الله بن داود الفايز

* وكيل إمارة منطقة مكة المكرمة *

الحمد لله الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على إمام العلماء ، وقدوة الأتقياء ، وخاتم المرسلين والأنبياء وعلى آله الأتقياء ، وصحابته الأوفياء ، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم من ذوي الشريعة الغراء .. وبعد .

فإن الحزن عظيم ، والخطب جسيم ، والحادث جلل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإن رحيل الأب الكبير ، والمعلم القدير ، والعالم النحرير ، شيخ الإسلام الشيخ محمد بن صالح العثيمين أمر مذهل ، ومصاب محزن ، وإنه فقيد للأمتين العربية والإسلامية ، وعلى شعب التوحيد ، وبلد الحرمين على وجه الخصوص .

لقد كان – رحمه الله – القائد الراشد ، والمعلم العابد ، والناصح الزاهد ، والموجه المتواضع ، ذا الأخلاق الآسرة ، والشخصية الطاهرة ، والسيرة العاطرة ، إمام جليل ، وشيخ وقور ، ومرب محبوب ، له فضل كبير وعلم غزير ، وفضل وفير ، جند نفسه للعلم ، ووهب حياته للدين ، ونذر وقته للدعوة ، أحبته القلوب ، وأجلته النفوس ، ورضيته الأمة ، وإن حزني عليه لشديد ، وإن ألم فراقه لأكيد ، ولكن الله فعال لما يريد ..

فنسأل الله له وابل الرحمات ، وفيض الحسنات ، ورفيع الدرجات ،

ونسأله تعالى أن يغفر له ، وأن يعظم أجره ، وأن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، إنه سميع مجيب ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(جريدة المدينة ، العدد : ١٣٧٧٨)

إلى جنات الخلد يا شيخنا الفاضل

بقلم الأستاذ : إبراهيم بن محمد الهذلي

* وكيل إمارة منطقة القصيم *

إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع بعد أن ألم بنا هذا المصاب بفقد سماحة الوالد الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ولكنها إرادة الله في خلقه وما من مخلوق إلا وهذا هو مصيره أبطأ به عمره أم أسرع .

كما أنها النفس الإنسانية المسلمة تواقة إلى مناصرة كل من وهبه الله العلم في الشرع ، والتفقه في الدين على بصيرة وهدى ، فهم ورثة الأنبياء ، وهم الذين ينيرون للمسلمين سبيلهم في هذا العصر الذي تلاطمت أمواجه وادلهمت سماؤه .

إن الشعور بالأسى والحزن لوفاة هذا العالم الجليل هو السائد في مجتمعنا في هذه البلاد الطاهرة ، حيث الفطرة السليمة والدين الحق الذي تشرّبه هذا المجتمع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ونهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين على يد أمثال هذا الشيخ الجليل الذي عرف الله حق المعرفة ، فدعا إليه بالحكمة والموعظة الحسنة .

كيف لا نحزن لفقده وهو من تربع في قلوب ملايين المسلمين في هذه البلاد وخارجها بتقواه وورعه ، وبأسلوبه السمح في الإقناع برأيه في الأمور والمسائل الشرعية .

كيف لا نحزن بفقده وهو من بذل وقته وجهده في سبيل نشر دين الله

وتوعية المسلمين وتبصيرهم في أمور دينهم ودنياهم .

كيف لا نأسى على فقد هذا العالم الجليل الذي تواضع لله ، فرفعه وأعلى من شأنه ، وسما بمكانته .

كيف لا نأسى على فقد هذا العالم الجليل ، وهو الذي وهب حياته في سبيل تعليم شريعة الله لأبناء المسلمين من شتى بقاع الأرض مجاهداً في سبيل تصحيح مفاهيم هذا الدين للكثير منهم ممن وفدوا إليه من خارج هذه البلاد ، بل إن الألم ليعتصر القلب والدموع تُغالب المقل لهذا المصاب الأليم.

لقد كان - رحمه الله رحمة واسعة - مثالاً يحتذى في علمه وتواضعه ونبل خلقه ، رؤوفاً بالسائلين معرضاً عن الجاهلين محباً للخير وأهله ، مناصحاً للمسلمين ، لا يكل ولا يمل في سبيل نشر الفضيلة وإشاعة المحبة بين المسلمين ، فأنى لنا بعد فقده بمثله ، وما ذاك على الله بعزيز ؟!!

وحري بنا وقد حل بنا مصابه أن يظل في ذاكرتنا مثالاً يحتذى بعلمه الغزير وتواضعه الجم ، وبجهاده الحق ، وبفكره النير ، وبأسلوبه المميز .

إن كان لنا من عزاء في وفاة هذا الشيخ الفاضل فإنه يتمثل فيما ورّثه من علم حوته مؤلفاته المكتوب منها والمسموع ، وفيما لقنه لطلابه الذين هم أحوج ما يكونون اليوم إلى أن يحذوا حذوه ، وأن يطبقوا نهجه ، وأن يكون لهم القدوة الحسنة ، فوالله إن كان هذا الشيخ الفاضل قد دخل قلوبنا فلم نكن ندرك بأن له كل هذه المكانة العظيمة إلا حينما ألم بنا مصابه ، فإذا به وقد أسر القلوب ، وأخذ بمجامع الأفئدة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ويعلم الله إننا بفراقك يا شيخ محمد بن عثيمين لمحزونون ، ولو كانت بالأماني لفداك الكثير بالنفوس ، ولكنها سنة الله في خلقه ، فرضينا بما قدر

الله وقضى ، ودعواتنا الخالصة للمولى عز وجل في أن يشملك برحمته ، وأن يفسح لك في قبرك ، وأن يجعل مثواك جنات عدن مع النبيين والشهداء والصالحين ، وأن يلهمنا الصبر على فراقك ، وأن يعوضنا خيراً من بعدك ، والله ولي الصالحين .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٨)

مدرسة في البحث والاستنتاج

بقلم الشيخ : أحمد بن عبد العزيز بن باز

رحم الله فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ، فقد كان مرشداً ووالداً ، تعلمت على يديه الكثير .

كان كثير الزيارة للوالد الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – ، كنت أحضر مجالسهما مستفيداً مما أسمع من حوارات ومدارسة للعلوم ، وبحث لأمور المسلمين .

كان – رحمه الله – مدرسة مستقلة في البحث والاستنتاج ، وكان شيخ الزاهدين ، نذر نفسه للعلم والتعليم ، وكنا نكبر اجتهاداته واختياراته وقد كان شديد الاهتمام والعناية بعلم الحديث ، واختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية .

وكان والدي الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – يثني عليه وينزله منزلة خاصة لما كان عليه – رحمه الله – من علم وتقى وزهد .

وكنا أيام طلب العلم نعد الشيخ ابن عثيمين من العلماء الذين تشد إليهم الرحال لطلب العلم والحديث .

لقد حزنت كثيراً عندما زرته في مستشفى الملك فيصل التخصصي في الرياض ، في أوائل شهر رمضان المبارك ، وتذكرت تلك الأيام العصيبة التي مرت بوالدي – رحمه الله – فما أشبه الليلة بالبارحة ، ونحن نودع عالماً

فقيداً من علماء المسلمين الأجلاء بمنزلة ابن عثيمين – رحمه الله رحمة واسعة – وألهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان .

وعزاؤنا ما تركه الفقيد – رحمه الله – من تراث وعلم نافع تمثل في أكثر من ثمانية وثلاثين مؤلفاً ، والكثير من المحاضرات والدروس النافعة التي لن تنقطع بموته ، بل سيترحم عليه المسلمون ويدعون له بالمغفرة والرحمة ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة الاقتصادية ، العدد : ٢٦٥١)

عشت هموم أمتك برؤية سمحة

بقلم الأستاذ : خالد السهيل

من سيتصدى للتأريخ لهذا الجيل ، لا بد أن يعرج في حديثه إلى الشيخين الجليلين عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ومحمد بن صالح العثيمين يرحمهما الله .

ذلك أن ثمة ترابطاً وثيقاً بين هذين العالمين الجليلين ، وبين رسم الخريطة المعاصرة لهذا الجيل ، أياً كانت الصفة التي يطلقها هذا الجيل على نفسه ، سواء كانت هذه الصفة ذات صبغة مرجعية ودينية واضحة ، أو ذات صبغة تأخذ امتدادات أخرى مستندة على الفكر الوارد من الآخر .

كل هؤلاء – اللصيقين بفكر الشيخين والبعيدين عنه – كان للشيخين في وعيهم الكثير من الحضور ، والكثير من الاحترام .

إنهما العالمان العاملان ، الصابران على هذا الجيل ، الحاملان لهمه ، الآخذان بناصية المبادرة لحماية المجتمع من أي خطر داهم يتهدده .

مات الشيخان ، لكن فكرهما لم ولن يموت .

وسوف يذكر الجيل لهما ، أنهما مَثَّلا صمام أمام فكري لهذا الجيل ، فهما من خلال علمهما الرباني ، ومن خلال رؤيتهما ذات المرجعية الواضحة ومن خلال تلك المرتكزات السلفية المستقيمة ، استطاعا أن يقدما على مدى تلك الأعوام الخصبة ، الكثير من العطاء الذي انعكس غيثاً في الأمة .

لحق الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، بسماحة المفتي السابق عبد العزيز بن باز يرحمهما الله .

والشيء اللافت للانتباه ، أن القواسم المشتركة بين هذين العالمين الجليلين لم تتوقف على ذلك السمت العلمي الرزين الذي كان ينم عن طريقتها في التفكير ، بل تجاوزه إلى صبرهما على الابتلاء بالمرض ، والسعي – حتى آخر لحظات الحياة – إلى القيام بأداء أمانة العلم وإظهاره .

وهكذا كان الشيخان حاضرين عند كل نازلة من النوازل التي تحل بالأمة ، لم تزل قدمهما عن الطريق القويم ، ولم تؤثر في رؤيتهما لشؤون الدين والدنيا أي مؤثرات يمكن أن تؤدي لإخراج الفتاوى عن ضوابطها الشرعية .. كانا في هذا الأمر يجاهدان إلى جانب علماء آخرين كالغرباء في تقرير جملة من الأمور التي كانت تبدو شديدة الغرابة لمن لا يملك قاعدة حقيقية من العلم الشرعي .

أحداث كثيرة مرت .. تباحث فيها هذان العالمان مجتمعين مع علماء آخرين من خلال هيئة كبار العلماء أو كل واحد منفرداً عن الآخر ، إلا أن رؤيتهما كانت تأتي كالغيث ، تصب وسط أرض عطشى ، تترقب ما ينطق به الشيخ ابن باز ، والشيخ العثيمين . إذ هما بالنسبة لهذا الجيل والجيل الذي قبله عالمان ربانيان ، لا تؤثر فيهما النوازع والأهواء ، ومن هنا استطاع فكر هذين الشيخين أن يمثل ميزاناً صادقاً استفاد منه هذا الجيل في حماية نفسه من الانزلاق والزلل .

كما أن أصدق وصف يمكن أن يطلق فيه على هذا الجيل ، جيل المعاناة ، التي كانت تنفتح عليه من هنا وهناك ، على هيئة إفراط وتفريط ،

فثمة غلاة كانوا يرون أن الحلول لا تأتي إلا من خلال تبني فكر شبيه بفكر الخوارج ، لكن الشيخين كانا يقفان بالمرصاد لمثل هذه الطروحات الوافدة ، ليس بالتهديد والوعيد – كما يتصور من لم يعاصر هذا الواقع – بل الحجة والدليل المقنع .

وعاد جيل كبير من الشباب الذي تعرض للتضليل ، بعد أن استبان له من خلال أدلة الكتاب والسنة واستنباط الشيخين أن ما يمارسه ليس من الدين في شيء .

ها هو فكر الشيخين الجليلين الذي لم تؤثر فيه المؤثرات ، ولم تغيره طروحات العصر ، ولا الرؤى المذهبية التي لم تكن ترى بأساً في تغير الفتوى اعتماداً على أن مصلحة ما تفرض هذا التغير والتبدل .

ومن هنا فأنت عندما تبحث في فكر الشيخين تجده فكراً يتسم بالثبات ، بينما تجد أن أفكاراً أخرى مقابلة تتسم بالتغير والتبدل .

وثمة فارق شاسع بين الثبات على نهج واضح ، والتغير والتبدل من خلال أكثر من نهج ، الثبات في فكر الشيخ ابن باز والشيخ العثيمين لم يكن يعني الجمود أو التحجر . إذ يمكن للمرء أن يلحظ أي رحابة تتسع لهما فتاوى الشيخين ، ما لم يكن ثمة ما يمنع ذلك في الكتاب أو السنة .

إن اندماج تاريخ هذا الجيل بتاريخ الشيخين يدعمه هذا الحب الشديد الذي كان يحظى به الشيخان من قبل كافة أبناء هذه البلاد ، وبقية البلاد الإسلامية ، ذلك الحب الذي تأسس على حب الله سبحانه وتعالى وحب رسوله ﷺ ، وأولي الأمر ، وحب العلماء المهديين الذين يترسمون خطى الأنبياء والصالحين .

ومن ثم فإن هذا الجيل الذي أصل رؤيته من خلال هذا العلم الرباني استطاع أن يحقق الجدار الواقي له من الوقوع في الزلل ، كان الشيخ العثيمين – يرحمه الله – يحسن الإنصات إلى هؤلاء الشباب .

يسأله أحدهم : هناك حيرة عند كثير من الشباب في كيفية مواجهة المنكرات المنتشرة في كثير من الدول الإسلامية ، أيواجهونها بالعنف ، كما يصنع بعض الشباب ، أم يواجهونها بأسلوب آخر؟ فلا يجدون الاستجابة ، خاصة في بعض الدول الإسلامية التي لا تحكم شرع الله بالطريقة المطلوبة ، فما رأي فضيلتكم في توجيه هؤلاء الشباب؟ .

هنا يرد الشيخ يرحمه الله : «الذي أرى أن يبدؤوا أولاً بعرض الإسلام على حقيقته ، بعقائده ، وأعماله ، وأخلاقه ، وألا يهاجموا هؤلاء مهاجمة توجب نفورهم ، وفيما أعتقد أن الإسلام إذا عرض على الوجه الصحيح أن الفطر تقبله مهما كان الأمر . لأن الدين الإسلامي موافق للفطرة السليمة ، أما مهاجمة الإنسان بما هو عليه من أزمنة قديمة ، وما عليه آباؤه وأجداده ، فهذا يوجب النفور والكراهية لما يدعو إليه من الحق ، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم** ﴾ فلذا أرى لإخوتي الدعاة في مجتمع كهذا أن يحرصوا على بيان الحق على ما هو عليه ، وبيان الباطل على ما هو عليه ، دون أن يهاجموا هؤلاء مهاجمة مباشرة في أعمالهم» . انتهى كلام الشيخ العثيمين – رحمه الله – .

وهكذا كان ديدنه ، فكر رحب ، ورؤية واسعة ، وعلم راسخ ، يتأمل في المسائل بهدوء وروية ، ويعرضها على كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة

نبيه ﷺ ونهج السلف الصالح لهذه الأمة .

إننا بحاجة إلى إعادة قراءة فكر وتاريخ الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – فثمة نقاط كان يلمسها – رحمه الله – كانت ولا زالت تمثل خط الصد الأبرز تجاه الفتن التي تحدق بالأمة .

مات الشيخ العثيمين – يرحمه الله – وقبله مات الشيخ عبد العزيز بن باز – يرحمه الله – لكن علمهما لا يموت ، إذ إن هذا العلم الرباني المحفوظ في الأوراق ، والمحفوظ في عقول تلامذتهما ، يمثل أرضاً خصبة ، تؤتي ثمارها في كل حين .

فليرحم الله موتانا ، وليحم الله مجتمعنا من كل سوء ، وليوفق المخلصين لكل خير .

(جريدة الاقتصادية ، العدد : ٢٦٥١)

ورحل الشيخ

بقلم الدكتور : صالح بن عبد العزيز النصار

* أستاذ المناهج وطرق التدريس المساعد *

الله المستعان ، وفقدت الأمة علماً آخر من أعلامها ، وعالماً فذاً من علمائها ، فالله المستعان و إنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد رحل الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين في وقت أكثر ما تكون فيه الأمة الإسلامية حاجة له ولأمثاله من العلماء الربانيين والدعاة المصلحين.

إنها والله لرزية عظيمة ومصيبة جلل لا يخففها إلا تذكر مصيبة الأمة بفقد نبيها محمد ﷺ ، والخلق كلهم على هذا الدرب سائرون ، لكن من الناس من يموت ولا يشعر بفقده إلا أهله وأقرباؤه ، ومنهم من يموت وتبكيه الأمة بأسرها صغارها وكبارها ، رجالها ونساؤها ، فالحمد لله على كل حال وصدق الشاعر حين يقول :

لعمرك ما الرزية فقد مال ... ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد فذ ... يموت بموته خلق كثير

لقد قرت عيني برؤية الشيخ محمد والسلام على فضيلته في المستشفى الذي يرقد فيه في الرياض بعد عودتي الأخيرة من أمريكا ، حيث وصل إلينا هناك للعلاج ، ثم رجع إلى السعودية ولم نتمكن من رؤيته .

لقد كان الشيخ راقداً على ظهره ، ولكن يخيل إليك أن الشيخ بكامل صحته لما ترى من عزيمته وبشاشته وصبره على المرض ، بل والله لقد كان يصبّر ويواسي هو من تغلبه عينه عندما يقف أمامه وينظر إلى جسمه الذي هده المرض .

لقد حظينا في الولايات المتحدة الأمريكية كما حظي كثير من المسلمين هناك بسماع صوت الشيخ والاستنارة بتوجيهاته والإجابة عن الأسئلة المعقدة التي تواجه الجالية المسلمة هناك ، وذلك من خلال المحاضرة الهاتفية التي نقلت إلى أكثر من مائة مسجد ومركز إسلامي ومنزل .

وهكذا دأب العلماء العاملين ، عطاء دائم لا ينقطع ، ونصح وتوجيه لا يتوقف ، وهم كالغيث المبارك أينما وقع نفع ، حتى في وقت الشدة والمرض لم يتخل الشيخ عن برنامجه اليومي المتمثل في الدروس والمحاضرات والفتاوى ، فسبحان من منح أولئك الرجال تلك العزيمة التي لا تعرف الكلل والنفس التي لا تعرف اليأس ، ولكنها منحة الخالق سبحانه لمن يشاء من عباده .

لقد فقدنا بفقد الشيخ الحديث العذب الذي يأخذ بالأسماع والعقول في الدروس والمحاضرات ، وكأنه ينثر الدرر . إذا تكلم فصاحة وسلاسة وعلماً .

لقد كان رحمه الله مربياً قبل أن يكون معلماً ، واستمع إلى أحد دروسه لترى كيف توجيهه وتربيته لتلاميذه ومريديه ، لقد كان لحديث الشيخ بعلمه ونبرة صوته وحركاته وسكناته سحر يخلب الألباب ويجبر المستمع على الإنصات والمتابعة بلا كلل ولا ملل .

وكيف يمكن للملل أن يتسرب إلى دروس الشيخ وهي كالحديقة الغناء متنوعة الثمار متعددة الأزهار خصبة الأرض وارفة الظلال .

رحمك الله أيها الشيخ ، وجزاك الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء ، وألهم ذويك ومحبيك وتلامذتك الصبر والسلوان .. والله المستعان .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٠)

عظم الله أجركم أهل الإسلام

بقلم الدكتور : عبد الكريم بن إبراهيم آل غضية
* الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة *

رحمك الله يا أبا عبد الله رحمة واسعة ..

رحمك الله يا شيخنا ، آهـ .. لو تغني الآهات ، لقد خسرنا يوم الأربعاء العالم الرباني الحافظ الأصولي الحبر الإمام محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي السلفي . عن عمر يناهز السبعين في جده بعد أن جاهد مرضاً عضالاً لم يمنعه من التدريس ، والإفتاء ، والمطالعة والمناقشة .

رحمك الله يا أبا عبد الله .. فقد كنت من أنجب تلاميذ شيخك عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - ، ولقد كنت من الأئمة المجتهدين المتصدرين في كل الميادين ، فلك من الفتاوى ، والكتب ، والتلاميذ ، والاختيارات ما لا يملك الواقف عليها إلا أن يدعو لك بالرحمة والخير العميم .

رحمك الله أبا عبد الله .. عرفتك المعلم ، والإمام ، والمنظِّر ، والشيخ والأب الرحيم ، والمربي الكبير ، فضائلك علي لا أحصيها ، أما على المسلمين فلا مجال لعدها ، مقارناً بعمرك ، ووقتك ، فلك الله أبا عبد الله .

هو البحر لا بل دون ما علمه البحر   هو البدر بل ما دون طلعته البدر
هو النجم لا بل دونه النجم رتبة   هو الدر لا بل دون منطقه الدر

هو الكامل الأوصاف في العلم والتقى فطاب به في كل ما قطر ذكر
محاسنه جلت عن الحصر وازدهى بأوصافه نظم القصائد والنثر

رحمك الله أبا عبد الله .. لا زلت أذكرك وأنت تؤول رؤيا لامرأة بأن هذا الذي فيه الرؤيا مغفور له ومقبول حجه ، ثم قالت : رأيتك أنت ، فبكيت تواضعاً وفرحاً ، أرجو أن الله حقق لك ذلك ، ما أحلاك وأجملك وأنت تتوسط مستمعيك ، وأنت تسأل هذا ، وتطلب من ذاك أن يعيد .

لك الله أبا عبد الله .. وأنت تتأكد من سائليك ، فلا تفتي إلا بعد تبين ، فشكر الله لك ، وغفر لك ، ورحمك حيث تركت لنا علماً كثيراً مباركاً فيه ، في العقيدة : شرح لمعة الاعتقاد ، المفيد شرح كتاب التوحيد ، وشرح العقيدة الواسطية ، وعقيدة أهل السنة ، ورسائل كثيرة .

وفي الفقه وأصوله : أصول علم الأصول ، والشرح الممتع ، والدماء الطبيعية ، وسجود السهو ، وغيرها من الرسائل في كل فن عامه وخاصه .

وفي التفسير وأصوله : أصول التفسير ، وتفسير لسور من القرآن ، وتفسير آية الكرسي وغيرها ، وفي الحديث شرح صحيح البخاري ، وفي أصول الحديث وغيره ، وفي الوعظ والإرشاد : الضياء اللامع في الخطب الجوامع ، ومجالس شهر رمضان ، والباب المفتوح ، وغيرها .

وأما المشاركة في المناهج التعليمية فهي كثيرة ، ولقد أورثتنا كماً هائلاً من الأشرطة المسموعة والمرئية ، والبرامج الشيقة ، في الحرمين وفي مسجدك ، واللقاءات الخاصة حتى الإنترنت لك فيما يخص المسلمين بصمات – رحمك الله – .

عظم الله أجرنا فيك ، حيث سيبكيك منبرك ، ومجالسك للتدريس

في كل مكان .

لكن عزاءنا أننا نحتفظ بشيء يسير من آثارك التي أسأل الله أن لا يتوقف نشرها ، مسموعاً ومرئياً ومقروءاً .

لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بمقدار ، عزاؤنا لخادم الحرمين ، وولي عهده ، والشعب السعودي ، بل كل الأمة المسلمة ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٠)

وداع في خيمة الحب

بقلم الدكتور: عبد الرحمن بن صالح العشماوي

هذه الخيمة منصوبة على الوفاء والمودة ، خيمة رفيعة العماد ثابتة الأوتاد فسيحة الأبعاد ، خيمة نسجت من خيوط المودة والحب في الله ، وحسبك بها خيوطاً لا يخلقها تعاقب الأعوام .

في خيمة الحب اللقاء مع شيخنا الحبيب محمد بن صالح بن عثيمين – يرحمه الله – اللقاء الذي لا تعكره الدنيا الفانية بشأن من شؤونها أبداً ، ولهذا كان لقاء متميزاً ، فهو لقاء العلم والفقه ، والنصيحة والإرشاد ، لقاء الكلمة الطيبة والعمل الصالح والحكمة والموعظة الحسنة ، لقاء التواضع والتناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

لهذا كله كانت خيمة الحب عظيمة راسخة ، ولهذا كانت تلك القصيدة التي كتبتها قبل شهر – تقريباً – بعنوان :« في خيمة الحب» .

ورأيت واحات القصيم فما رأت ... عيناي إلا منزلي ومكاني
في خيمة الحب التقينا مثلما ... تلقى منابع ضوئها العينان
يا شيخ ما أنتم لأمتنا سوى ... نبع يزيل غشاوة الظمآن

نعم .. في هذه الخيمة الرائعة التقينا مع شيخنا الراحل ، وفي هذه الخيمة وقفنا مودعين له ، ويا له من وداع حزين .

وداع حزين؟! إي وربي .. لأن الفراق بعده طويل ، ولأننا لا نحظى

بعده بجلسة مباشرة في خيمة الحب مع شيخنا الجليل ابن عثيمين ، الذي ودع هذه الدنيا وداع العلماء الأجلاء الذين سكنوا في قلوب الناس ، ولا شك أن وراء هذا القبول الذي حظي به شيخنا الجليل - يرحمه الله - إخلاصاً - كما نحسب ذلك - وقد عرف عن أبي عبد الله من تعهد النفس بالإخلاص وصلاح النية ما يصلح أن يكون قدوة تحتذى ، ومثلاً يضرب للأجيال ، ناهيك عن علمه الغزير ، وصدقه في القول ، ودقته في فتاواه ، مما جعل ثقة المسلمين به في أنحاء العالم كبيرة ، وتسليمهم بمعظم ما يقول وما يقدم من الآراء جلياً .

الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين - يرحمه الله - علم من أعلام المسلمين في عصرنا هذا ، ودعنا وداع الكرماء ، وفارقنا فراق العظماء ، وإنا لنرجو الله عز وجل أن يتغمده برحمته ، وأن يجمعنا به في جنات النعيم .

ماذا تقول لقد جرحت فؤادي ... وقدحت من أملي أحر زناد
ماذا تقول لقد أثرت مواجعي ... ونثرت في عيني جمر سهاد
رفقاً بقلبي أيها الناعي فقد ... ألقيت غصن الشوك فوق وسادي
وسكبت في ظلمات ليلي مثلها ... ألماً يضاعف حرقة الأكباد
مات الحبيب ، أراك حين نقلتها ... أذكيت نار الحزن بالإيقاد
رفقاً بوجدان المحب فإنني ... بشر وما حسي بحس جماد
مات الحبيب لو استطعت مسحتها ... وكتبت نصاً يلتقي بمرادي
يا خيمة الحب التي نصبت على ... تل الوفاء وثيقة الأوتاد
فيها التقينا منذ أن سمعت على ... أرض المودة حمحمات جوادي
منذ استمعت إلى حديث معلم ... ووعيت معنى الوعظ والإرشاد
منذ استقرت في مسامع لهفتي ... نبرات صوت بالصلاح ينادي

سأظل ألقى فيك حكمة شيخنا وجلال منطقه وصدق وداد
ما زال حياً في مآثر علمه والعلم نبراس العقول الهادي

وداعاً يا شيخنا الجليل وداع الأحباب ، ولقاء - بإذن الله - عند رب العالمين في جنات النعيم .

كان الشيخ سدّاً دون الرويبضات

بقلم الدكتور: سعيد بن ناصر الغامدي
* أستاذ مساعد بجامعة الملك خالد بأبها *

كان علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يردد :

أي يومي من العمر أفر ... يوم لا قدر أم يوم قدر
يوم لا قدر لا أرهبه ... ومن المقدور لا ينجي الحذر

الموت حق ، ونصيب واصل لكل حي من الثقلين ، وحقيقة لا يماري فيها مسلم ولا كافر ، ومن الناس من يكون موته فاجعة على الناس ، كما أن هناك من لا يؤبه له ، وهناك – والعياذ بالله – من يكون موته فرحة لأهل الأرض ، كما أخبر بذلك الصادق ﷺ في قوله في الحديث الصحيح : « مستريح ومستراح منه ، العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها ، إلى رحمة الله تعالى ، والعبد الفاجر تستريح منه العباد والشجر والدواب » .

فبم تمايزت درجات الناس حتى في الموت؟

السر في هذا هو في مقدار ما ينطوي عليه الإنسان من خير وفضل ونية حسنة ومقصد نبيل وإرادة طيبة وما ينتجه من أعمال مثمرة وأفعال صالحة ، ولولا ذلك لاستوى الطيب والخبيث ، ولكن قبوله وحبه لبعض عباده لا من أجل أحسابهم أو أنسابهم أو أموالهم أو شهاداتهم ومناصبهم ، بل من أجل ما وقر في قلوبهم وما صدق من أعمالهم الخيرة الطيبة ، وها نحن نرى هذه الأيام مصداق هذه القضية في وفاة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ،

نحسبه كذلك والله حسيبه .

إن موت العالم المسلم نازلة كبيرة يدرك عمقها أولو القلوب الحية والأبصار والبصائر النيرة ، فكيف إذا كان العالم علماً من أعلام أهل السنة والجماعة؟ وأنموذجاً فريداً في عمق العلم والحرص على التعليم والإفادة ، وطرازاً في الزهد ، يبدو غريباً في عصر الماديات والتكالب على الحطام ، وإذا كان لزاماً علينا - بحكم الشرع - تجنب الإطراء والمغالاة في الأشخاص فإن ذلك لا يمنعنا من ذكر المنهج القويم الذي سلكوه وساروا عليه في العلم والعمل حتى جعل الله لهم في قلوب الصالحين وداً ، وفي الآخرين ذكراً حسناً ، ولست بمستقص هنا منهج الشيخ ابن عثيمين ، ولكني أشير إلى أظهر ثلاث خصال جعلت منه عالماً جليلاً ، وإنساناً مقبولاً ، وفقيداً حزنت لفقده قلوب ، ودمعت عيون .

أولاً : حرصه على التعلم والاستفادة والاستزادة من أنواع علوم الكتاب والسنة وعلوم السلف وعلماء الإسلام ، وقد لازمه هذا الحرص كل عمره ، فلم يكتف - كما يفعل البعض - بوصوله إلى درجة الإفتاء والتعليم وانكباب الناس على الأخذ عنه ، سواء طلاب علم أو عامة ، وقد قيل للإمام أبي حنيفة - رحمه الله - : بم بلغت ما بلغت؟ قال : « ما بخلت بالإفادة وما استنكفت عن الاستفادة » .

ثانياً : حرصه على تعليم الناس وإفادتهم ، ومن حضر دروسه أو سمع فتاواه في الإذاعة يعلم مقدار هذه الحقيقة ، فهو يذكر المسألة ودليلها في الغالب ويفصل ، ثم يذكر الفوائد المسلكية والآثار الاجتماعية والنفسية ، وما فعله في شهر رمضان من إصرار على الخروج من المستشفى والذهاب إلى

البيت الحرام لتعليم العلم أكبر دليل على هذه الخصلة الجليلة ، وأكبر حجة على طلاب العلم في وجوب البذل والتضحية .

ثالثاً : زهده في حطام الدنيا وأبهاتها وزخارفها وألقابها ومناصبها وإغراءاتها الخالبة للألباب ، وهو المسلك الذي حذر منه عبد الله بن المبارك في رسالة إلى بعض علماء عصره – رحمهم الله جميعاً – حيث كتب أبياتاً من الشعر يخاطبهم قائلاً :

يا جاعل العلم له بازياً ... يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها ... لحيلة تذهب بالدين
تقول أكرهت فما حيلتي ... زل حمار العلم في الطين
لا تبتع الدنيا بدين كما ... يفعل ضُلال الرهابين

إنها ليست دعوة إلى النسك اليابس والاعتزال ، ولكنها أوصاف نبل وفضل وورع يحرص عليها من أضحت الدنيا في يديه وليست في قلبه ، ومسالك أبرار نفع الله بعلومهم ، وبقي ذكرهم العاطر ، ومكانتهم العالية ، فكانوا سبباً لشفاء أناس من أمراض الجهل والهوى ، ولحفظ الدين من انتحال المبطلبن وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين .

وإن عالماً مثل الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – كان سداً دون مجترئين على فتاوى ، وباباً دون رويبضات يتكلمون في أمر العامة بجهل أو هوى ، وقد رأينا بفقد الشيخ ابن باز – رحمه الله – بعض هذه الرؤوس أطلت ، ترى ماذا سيفعلون الآن؟ وعلى مثل الشيخ ابن عثيمين فلتبك البواكي ، ولتحزن القلوب ، ولتذرف العيون دمعها مدراراً .

جاء في سير أعلام النبلاء في ترجمة محمد بن داود الظاهري ، أنه

كان بينه وبين ابن سريج أشياء ومناظرات وردود في الكتب ، فبلغ ابن سريج موت محمد بن داود فحزن لذلك ونحى فراشه ، وجلس للتعزية ، وقال : ما آسى إلا على تراب يأكل لسان محمد بن داود .

وفي ترجمة عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، أن الإمام البخاري ورد عليه كتاب فيه نعي الدارمي فنكس رأسه ، ثم رفع واسترجع وجعلت دموعه تسيل ، ثم أنشأ يقول :

إن تبق تفجع بالأحبة كلهم ... وفناء نفسك لا أبالك أفجع

وما أحرانا أن نقول في فقيدنا ما قاله كثير:

عمت صنائعه فعم هلاكه ... فالناس فيه كلهم مأجور
والناس مأتمهم عليه واحد ... في كل واد رنة وزفير
يثني عليك لسان من لم توله ... خيراً لأنك بالثناء جدير
ردت صنائعه عليه حياته ... فكأنه من نشرها منشور

اللهم ارحم الشيخ ابن عثيمين ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، وآجر المسلمين في مصابهم ، واخلف لهم في عالمهم بخلف خير يا كريم .

(جريدة البلاد ، العدد : ١٦٢٢٣)

الشيخ العثيمين فقيد الصحوة الإسلامية

بقلم الدكتور : عبد القادر طاش

بموت الشيخ محمد بن صالح العثيمين فقدت الصحوة الإسلامية المعاصرة نجماً بازغاً من نجومها ، وعلماً بارزاً من أعلامها .

فلقد أسهم الشيخ العثيمين في بناء هذه الصحوة إسهاماً كبيراً بعلمه وفكره وتوجيهه ورعايته ، وكان هدفه الواضح أن تُبنى الصحوة على أسس راسخة من العقيدة الصافية والفكر الرشيد والعمل السديد .

وقد أثنى الشيخ العثيمين على الصحوة الإسلامية وشبابها عندما قال : « لا يخفى على الجميع ما من الله به على الأمة الإسلامية في هذه البلاد وفي غيرها من الحركة المباركة واليقظة الحية لشباب الإسلام ، في اتجاههم الذي يكمل به اتجاه سابق ، هذا الاتجاه السليم الذي هدفه الوصول إلى شريعة الله من خلال كتاب الله وسنة رسوله ﷺ » .

ولا نبالغ إذ نقول إن الشيخ العثيمين كان يحمل هم هذه الصحوة المباركة لشباب الأمة ليلاً ونهاراً حتى باتت شغله الأول ، واحتلت في عقله وقلبه المكان اللائق بها من عالم سلفي فذ مثله .

ويتجلى اهتمامه بالصحوة وشبابها في مظاهر عدة ، تتركز في عنصرين أساسيين من عناصر تكوينها وحركتها أولهما اهتمامه بـ « إنسان » الصحوة وهم الشباب الذين تفتحت قلوبهم على الحق ، وامتلأت نفوسهم بالحماسة ، فانطلقوا يطلبون العلم وينشرون الدعوة ، ويأمرون بالمعروف

وينهون عن المنكر بادئين بأنفسهم وأهليهم وإخوانهم وأصدقائهم .

لقد كان الشيخ العثيمين محباً لهؤلاء الشباب لصيقاً بهم حانياً عليهم مرشداً لهم ، بل كان – رحمه الله – أكثر العلماء قرباً من هموم الشباب وقضاياهم ، ولعل عدم اشتغاله بمنصب رسمي أتاح له فرصة التفرغ للشباب يلتقون به دوماً في بيته ومسجده ومجالسه ، ويفسح لهم المجال واسعاً لملازمته والتتلمذ على يديه وحضور دروسه ومحاضراته التي لم تنقطع حتى أواخر أيامه وهو يشكو اشتداد المرض عليه .

ولا شك أن قربه من الشباب أكسبه أمرين مهمين ، أولهما : قدرته على معايشة هموم الشباب والتعرف على قضاياهم ، وتحسس اهتماماتهم ورصد تساؤلاتهم ، وفهم إشكالاتهم . وقد ساعده ذلك على اكتساب محبة الشباب له وتعلقهم به وثقتهم فيما يرشدهم إليه ويوجههم به .

وكل هذا جعل من الشيخ العثيمين قدوة صالحة يحترمها شباب الصحوة ، قدوة ذات مصداقية عالية ، وقدر كبير من الإقناع ، كما أصبح الشيخ بسبب قربه من الشباب مرجعاً ثقة لا يختلفون حوله ، يعودون إليه كلما أشكل عليهم أمر ، ويرضون بفتواه كلما احتبست أمامهم مسألة .

أما العنصر الآخر من عناصر الصحوة التي اعتنى بها الشيخ العثيمين فهو « منهج » الصحوة ، فقد كان يريد لهذه الصحوة المباركة أن تؤسس على هدى وبصيرة ، وأن تبنى على أساس متين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لأنها إذا لم تكن قائمة على ذلك كانت صحوة هوجاء عاصفة ، ربما تدمر أكثر مما تعمر ، ولكنها إذا بنيت على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الثابتين ، صار لها أثرها الفعال في الأمة الإسلامية وغيرها .

ومن هنا كان الشيخ العثيمين ناصحاً أميناً لبناة الصحوة والعاملين من أجلها ، لا يغشهم ولا يتغاضى عن الأخطاء والمخاطر مجاملة لهم ، بل كان يمحضهم النصح ويرشدهم إلى الحق ، ويبين لهم لكيلا تختلط عليهم الرؤى وتفترق بهم السبل .

وكان ناقداً بصيراً يدل شباب الصحوة على مكامن القصور برفق وحكمة ، ويحجزهم عن مواطن الشبهات الفكرية والسلوكية بحسن تصرف وسعة بال .

ولم يكن أسلوبه في نصحه للشباب أو ماقدم لأخطاء الصحوة ومزالقها أسلوب الأمر والإلزام . ولو فعل ذلك لما وجد القبول والإذعان ، بل كان يستخدم أسلوب الحوار والتساؤل والأخذ والرد ، حتى في المسائل الصغيرة التي لا تحتاج إلى مثل هذا الأسلوب . وبذلك استطاع ان يصل إلى مبتغاه بكل يسر دون أن يعنت الشباب أو يخمد حماستهم فيخسر بذلك محبتهم له واقتناعهم بمنهجه .

وهكذا كان الشيخ العثيمين في معايشته لشباب الصحوة الإسلامية حباً ورعاية ، وإرشاداً وتوجيهاً ، وبذلك كان حبيباً في قلوبهم قريباً إلى نفوسهم ، يسألون عنه دائماً ويلازمونه دون كلل ، ويتمنون أن يقضوا معه أوقاتهم كلها : نهلاً من علمه ، واستفادة من حديثه ، واستمتاعاً بصحبته ، ولذلك فإن فقده عليهم جد عصيب ، فهم فقدوا بموته الأب الحاني ، والمعلم القدوة ، والصاحب الرفيق .

إن شباب الصحوة بعد غياب شيخهم العثيمين أيتام حزانى ، ولا يخفف عنهم سوى أنه علمهم - كما علمه الإسلام - ألا يقولوا إلا ما

يرضي ربنا .

فرحم الله شيخنا رحمة واسعة وأجزل له العطاء لقاء ما قدم لأمته ، وجعل مسكنه الجنة مع الصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة البلاد ، العدد : ١٦٢٢٣)

عاصرته أربعة وعشرين عاماً

بقلم الشيخ : جابر المدخلي

* الأمين العامة للتوعية الإسلامية في الحج *

لقد فقدت الأمة الإسلامية علماً من أعلام الهدى والعلم والتقى فقدت نجماً لامعاً يبعث النور والخير والوفاء ، إنه فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين يرحمه الله رحمة واسعة الذي قضى أربعة وسبعين عاماً من عمره متعلماً مواظباً ، ومعلماً عاملاً ، ومؤلفاً ومحققاً ، ومفتياً مجتهداً وداعياً مخلصاً ، وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر مبلغاً وناصحاً .

عرف فضيلته - رحمه الله - بالحلم والرفق والتواضع وبساطة الوجه ورحابة الصدر ، كما عرف بالزهد والورع ومخافة الله ، اشتهر فضيلته في العالم الإسلامي عبر ما يقدمه من فتاوى موثقة ، ودروس محققة من الإذاعة والمسجد الحرام ، ومن المشاركات والتوجيهات العلمية في المناسبات الخاصة ومن خلال مؤلفاته المكتوبة وأشرطته المسموعة ، وفضيلته حجة ثقة وقدوة فيما يقول ويفعل نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً .

لقد عاصرته أربعة وعشرين عاماً متصلة خلال مشاركاته في توعية وتعليم الحجاج والمعتمرين في مواسم الحج من عام ١٣٩٧ هـ إلى عام ١٤٢٠ هـ فوجدت فيه غزارة العلم ، وقوة الحجة ، وأسلوب الإقناع ، ودماثة الأخلاق ، وحسن التعامل ، إذا تكلم شد السامع إليه ، وإذا قال حكماً أو توجيهاً أسرع الناس لتصديقه ، وكانت مؤلفاته المكتوب منها والمسموع

تمتاز بوضوح العبارة ، وسهولة اللفظ ، وقوة الدليل ، ووضوح المعنى .

اهتمت هذه المؤلفات بالدرجة الأولى ببيان العقيدة الصحيحة ومنهجٍ أهل السنة والجماعة في العقيدة والعبادة والمعاملات ، كما تضمنت تفنيداً لأخطاء الناس وانحرافاتهم في دينهم وعقيدتهم .

إن في حياة فضيلته – رحمه الله – جوانب كثيرة تستحق التوضيح والإبراز والتأمل وإطلاع شباب وشيوخ هذه الأمة عليها ، ففيها درس لمن أراد أن يسلك سبيل الصالحين وطريق المفلحين ، وفيها عبرة لمن أراد أن يعتبر لحياة العلماء الذين قضوا عمرهم في علم وعمل ودعوة وجهاد وتعليم وتذكير وأمر ونهي ونصح وإخلاص وصدق وصبر وبذل وعطاء وحرص على إشغال أوقاتهم بالطاعة والعبادة والعلم ، والتي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر له بها وأن يجعله مع الأنبياء والشهداء والصالحين وأن يجمعنا في دار الكرامة ، إنه سميع مجيب ،،،

(جريدة البلاد ، العدد : ١٦٢٢٣)

رحم الله سماحة الشيخ

بقلم الأستاذ : خلف السليمان

*** رئيس تحرير مجلة فراس ***

لم يكن سماحةالوالد الشيخ محمد بن صالح العثيمين عالماً فقط ، وإنما كان رجلاً تميمياً عرف أخلاق ومعاملات الرجال ، فعلمها وعمل بها ، ولا شك أن تربية الشيخ في نجد كان لها الأثر الكبير في حياته ، لكن هناك الكثير من الصفات التي يتفرد بها عليه رحمة الله .

فكان يأسر قلب من أمامه ، فإذا كان الذي أمامه من المؤمنين وجد في الشيخ صفات يحبه من خلالها ، وإذا كان الذي أمامه أعرابياً يحب الرجولة وفنونها وجد في الشيخ صفات يحبه من خلالها ، وإذا كان الذي أمامه من الأطفال وجد في الشيخ وقاراً قد لا يوجد فيمن سواه .

ولا شك أن للشيخ صفات عديدة أهمها أن الله تعالى اختصه من بين كثيرمن الناس ، فهو الأعرابي الموغل في البداوة ، وهو الحضري الذي يعلم كل ما في المدينة ، فتجده يتعامل مع الهاتف والحاسب والسيارة ، كما يتعامل مع بيت الشعر والإبل ، وكل ذلك بدون تصنع أوتزلف ، إنما جبلة يتعامل بها مع كل البشر .

وقد شرفني الله تعالى بزيارة الشيخ في القصيم قبل عقد من الزمان ، فكنت رسول خير بينه وبين صحيفة المسلمين في ذلك الوقت ، فكان - رحمه الله - أكثر إشفاقاً علينا من أنفسنا ، فلم يكن صاحب عداوة إنما

كان لا يريد لنا أن ننزلق إلى فتنة أنفسنا ، وبعد الاستماع لي وتزكية بعض الإخوة في القصيم خصني بحوار تميز كثيراً ، وذلك لشخصية الشيخ وتحمل ما قلت ، كما التقيته مرات عديدة يقربني إليه كثيراً ويشفق عليّ من الصحافة فأناقشه بلغة الصحافة ويرد علي بفضل العلماء .

ولا أنسى محاورتي له عن راتب الزوجة في منزل الشيخ أحمد بن عبد العزيز الحمدان ، وهل للرجل فيه نصيب بغير طيب نفس ، فأكثرت النقاش وكان الرد : قال الله ، وقال الرسول ﷺ ، وأقوال العلماء ، كنت أقول إن الوقت تغير ، قال : الدين لا يتغير ، كان يطوف بي بين العلم الشرعي ونصوصه ورجولة الأعراب في هذه القضية ، كان يجول بي وكأني متفرد به في بستان .

كنت أحاول إقناع الشيخ بالظهور في القنوات الفضائية ، فيقتنع الشيخ ، وأفرح أشد الفرح ، ثم يعاود الاتصال بي على الجوال فيقول : الإخوة يرون غير ذلك ، فاقنع الشيخ بتدوين العلم على شريط فيقتنع عليه رحمة الله ، ثم يعاود الاتصال بي فيقول القناة التي تعمل بها قد تستغل ذلك في تزكيتها ، فأقول : إن وجودك في بعض المدن وفيها منكر ليس تزكية لها ، فيقتنع الشيخ وأحدد موعداً لتسجيل محاضرة في أحد مساجد جده ، ثم يعاود الاتصال عبر الجوال فيقول : إن الإخوان يرون تأجيل هذا الأمر إلى غير هذا الوقت ، فلم أجد غير أن أقع تحت تأثير الرفق بالشيخ وتعبه معي خلال ساعتين من الاتصال بيني وبينه .

رحم الله فقيدنا وأسكنه الله فسيح جناته ، ولقد بكيته ليلة ٢٦ رمضان كثيراً لعلمي أننا لن نسمع سماحته بعد هذا العام في الحرم ، لقد

هد المرض صوت الشيخ لكن رجولته وجلده جعلاه يصر على المجاهدة لآخر أيامه .

اللهم إني أشهدك أنني أحببت شيخنا حباً جماً فلا تحرمنا من أجره ، واللقاء به في جناتك .. إنك سميع مجيب .

(جريدة البلاد ، العدد : ١٦٢٢٣)

ذهاب العلم بفقد العلماء

بقلم الدكتور : إبراهيم بن عبد الله الدويش

* عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين في الرس *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

أولاً : أعزي كل مسلم ومسلمة ، وأقول : أن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بمقدار ، فاصبروا واحتسبوا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، أحسن الله عزاءنا ، وجبر مصيبتنا .

إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ، وإنا على فراقك يا شيخنا لمحزونون ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، رحمك الله يا شيخنا فكل القلوب نارها تتأجج ، وكل الألسن لك تلهج ، اللهم أجرنا في مصيبتنا ، واخلفنا خيراً منها ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

إن حديثنا ليس تخصيصاً لشخص ابن عثيمين - رحمه الله - ولكن لعلم بحر ، ولعلم زاخر ، وخلال حميده مجيدة ، فالأمة تشهد ، ومنابر العلم تشهد أن ابن عثيمين قد جمعها أحسبه كذلك والله حسيبه ، ولا نزكي على الله أحداً .

إننا لنعلم أن الموت حق ، ولكننا نبكي ونخطب لانقطاع الخير ، وذهاب العلم ، نبكي على الشيخ في زمن الفتن والشهوات ، ونحزن على فراقه لأن موت العلماء مصاب للأمة جمعاء ، كيف وهم مصابيح الدجى ،

وعلامات الهدى ، وكالشمس للدنيا ، وكالعافية للبدن ، فعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا» .

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال : «خذوا العلم قبل أن يذهب» قالوا : وكيف يذهب العلم يا نبي الله وفينا كتاب الله؟ ، قال : فغضب ، ثم قال : «ثكلتكم أمهاتكم ، أولم تكن التوراة والإنجيل في بني إسرائيل فلم يغنيا عنهم شيئاً ، إن ذهاب العلم أن يذهب حملته» .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : أتدرون ما ذهاب العلم؟ قلنا : لا ، قال ذهاب العلماء .

وذهاب العلماء معناه : هلاك الناس ، فعن أبي جناب - رحمه الله - قال : سألت سعيد بن جبير قلت : يا أبا عبد الله ما علامة هلاك الناس؟ قال : إذا هلك علماؤهم .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : لا يزال عالم يموت ، وأثر للحق يدرس ، حتى يكثر أهل الجهل ، وقد ذهب أهل العلم فيعملون بالجهل ، ويدينون بغير الحق ، ويضلون عن سواء السبيل .

يقول الإمام أحمد - رحمه الله - : «الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثاً والعالم يحتاج إليه في كل وقت .

قال الإمام الآجري – رحمه الله – : « فما ظنكم رحمكم الله بطريق فيه آفات كثيرة ، ويحتاج الناس إلى سلوكه في ليلة ظلماء ، فإن لم يكن فيه ضياء وإلا تحيروا ، فقيض الله لهم فيه مصابيح تضيء لهم ، فسلكوه على السلامة والعافية ، ثم جاءت طبقات من الناس ، لا بد لهم من السلوك فيه فسلكوا ، فبينما هم كذلك إذ طفئت المصابيح فبقوا في الظلمة فما ظنكم بهم ؟ »

هكذا العلماء في الناس لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض ولا كيف اجتناب المحارم ، ولا كيف يعبد الله في جميع ما يعبده به خلقه إلا ببقاء العلماء ، فإذا مات العلماء تحير الناس ودرس العلم بموتهم وظهر الجهل ولولا العلم لفسد عمل الناس .

قال عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – : « من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح » .

ولقد ضرب النبي ﷺ المثل للعلماء بالنجوم ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة » الهداة الذين يهتدي بهم الناس في الظلمات حيث يشتبه الحق بالباطل .

والعلماء زينة الأرض ، وهم رجوم للشياطين الذين يخلطون الحق بالباطل ، ويدخلون في الدين ما ليس فيه من أهل البدع والأهواء والضلالات .

إن مثل العالم كمثل الماء والغيث ، انتفاع الناس بهما غير محدود

بحد ، قال ميمون بن مهران : «إن مثل العالم في البلد كمثل عين عذبة في البلد» .

وقال بعض الحكماء : «مثل العلماء مثل الماء حيثما تسقطوا نفعوا» ، وليس للناس عوض البتة عن العلماء إلا أن يكون لهم عوض عن الشمس والعافية ، وقال عمر – رضي الله عنه – : «موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه» أعلمتم إذاً لماذا نبكي العلماء؟ .

لأن موتهم موت للعلم ، الذي هو حياتنا ونورنا في طريقنا لربنا فيالها من مصيبة ، وياله من خطب جلل ، لكن عزاءنا في الخطب الأعظم والجلل الأعم عندما نذكر وفاة حبيبنا وقدوتنا ﷺ ، عزاؤنا : ﴿**كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ .

وحتى نعلم لماذا تأثر الناس لوفاة هذا العالم الجليل ، ولماذا بكته الأمة ، فاسمعوا لحقيقة العلم الذي فقدناه : أما علمه وفقهه فحدث بما شئت من سعة علم وفقه واستنباط عجيب ، ودروسه وفتاويه ومؤلفاته ماثلة أمام العيان .

أما أخلاقه : فأخلاق العلماء فابتسامته لا تفارق محياه ورحابة صدره ومزاحه ، وصبره على طلاب العلم ومجادلتهم ، وتلطفه مع الناس واستقباله لأسئلتهم ، وهذا كله يشهد به كل من رأى الشيخ ، زرته في مرضه الأخير وكان كعادته مبتسماً ، مرحباً سائلاً حتى نسيت أنه هو المريض ، فلما هممت بمواساته ، قال : الحمد لله منذ سبعين سنة وأنا بصحة وعافية ، وفضل الله علي كبير ، وأنا بخير الآن الألم لحظات إذا احتسبها العبد كتب له الأجر ، ثم رأيت من صبر الشيخ وتجلده ورضاه عجباً ، وكنت أعلم أنه

يتألم ألماً شديداً لكنها أخلاق العلماء الصابرين المحتسبين ، الراضين بقضاء الله وقدره .

وأما ورعه وتحريه فقد كان – رحمه الله – إذا أشكلت عليه المسألة توقف ، وطلب من السائل أن ينتظر ، وربما قال في تواضع وشجاعة : لا أدري ، بل كثيراً ما يتراجع عن رأيه لحق تبين له ، وهذا كله منهج للسلف الصالح رضوان الله عليهم .

وكان رحمه الله يحمل هم الإسلام في كل مكان ، كان يسأل دائماً عن أخبار المسلمين ، وكان متابعاً لأخبار الشيشان أولاً بأول ، وكان متابعاً لأحداث فلسطين من بدايتها ، ومن قرأ في كتاب اللمع في خطب الجمعة عرف اهتمام الشيخ بالقضية من بدايتها ، ولما علم بأحداث فلسطين الأخيرة وهو على فراش المرض تأثر كثيراً .

ومن سمع شيئاً من دروسه الأخيرة بالحرم علم متابعة الشيخ لأحداث الساحة ، خاصة ما يتعلق بالأسرة والمرأة ، ولما كنت في زيارته أثناء مرضه كان يوصي بالدعوة إلى الله والصبر والتحمل ، وعلم أني مسافر لإحدى الدول العربية للمشاركة في مؤتمر خاص بالقرآن والعناية به ، ففرح كثيراً ، وقال : سلم لي على الأمير فلان ، واشكره نيابة عني على مثل هذه المناشط وقل له : أكثروا منها ، وهذا ما سينفعكم عند الله .. إلخ وصيته للمسؤول الأول عن المسابقة ، بل قال لي : يا ليتني كنت قادراً فاتصل عليه وأشكره وأوصيه بنفسي .

وكنت أتعجب من حماس الشيخ ونسيانه لآلامه في هذه اللحظات ، وهكذا كان حمل همه للدعوة فوق كل شيء حتى صحته وحالته .

هذا ما استطعت أن أقيده في هذه العجالة ، وفي زحمة الآلام والأحزان على فقد شيخنا الحبيب ، وإلا فالحديث عن الشيخ لا ينتهي ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، ورفع درجته في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء .

(جريدة المدينة ، العدد : ١٣٧٧٨)

أستاذ الأساتيذ

بقلم الشيخ الداعية : أحمد بن عبد العزيز الحمدان

* عضو مركز الدعوة والإرشاد في جده *

قال الله تعالى : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ﴾ .

قيل لابن عباس - رضي الله عنهما - : وهل تبكي السماء على أحد؟ قال : نعم . إنه ليس أحد من الخلائق إلا وله باب في السماء منه ينزل رزقه ، وفيه يصعد عمله ، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه بكى عليه ، وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها ، ويذكر الله فيها بكت عليه . إن العالم إذا مات بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً .

قال الله تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ لا والله لا يستوون ، وكيف يستوي عالم بغير عالم ، والله تعالى قرن شهادته بشهادته ، فقال : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ وأخبر أنهم أهل خشيته فقال : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ .

وإن من أعظم الرزايا التي تصيب الأمة المسلمة موت علمائها ، لأن تعويضهم عزيز ، وأثر موتهم على الناس ظاهر ، متى عرف الناس لهم

قدرهم ، وأنزلوهم منازلهم .

قال رسول الله ﷺ : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» .

ولقد مات في يوم الأربعاء الموافق ١٥ / ١٠ / ١٤٢١ أستاذ الأساتيذ ، ومعلم المعلمين ، الذي ملأت دروسه الدنيا ، وتتلمذ عليه ألوف مؤلفة من طلاب العلم ، وجثوا على الركب بين يديه ، ما تركت دروسه المكتوبة والمسموعة بلداً إلا دخلته ، ولا طالب علم إلا انتفع بها ، حتى بلغت أقبية السجون ، ومخابىء المقهورين ، عالم الأمة وحبرها ، سماحة شيخنا العلامة محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين ، أبو عبد الله التميمي الوهيبي ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، وألحقه بالصالحين . آمين .

ودعنا وفارق هذه الدنيا ، نعم ، فارقها بجسده ، تحقيقاً لما كتب الله تعالى على عباده : ﴿**كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون**﴾ .

مات الجسد ، وبقيت سيرته العطرة ، وكلماته الرصينة ، وتأصيله العلمي ، وتدقيقه الأصولي ، وتقعيده للمسائل ، وتعليمه للعلم ، كيف يتعلم ليعلم ، وهكذا يعيش العظماء بعد موتهم ، العظماء الذين لم يكونوا يعيشون لأنفسهم ، ولا لرغباتهم ، ولا لشهواتهم ، بل كانوا يعيشون للصلاح والإصلاح .

مات صاحب العقيدة الصلبة النقية السلفية ، وصاحب الخلق الحسن ، والسلوك القويم ، والتودد إلى الخلق ، والصفح عن المعتدي ، والإعراض عن

الجاهل ، وهداية الخلق أجمعين .

مات الرجل الذي علم العلم ، وأمر به ، وحث عليه ، وحارب الجهل ، وحذر منه ، وسعى جاهداً لإزالته ،وظل عشرات السنوات وهو يعلم الناس الخير .

قال أبو أمامة الباهلي – رضي الله عنه – : ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم ، فقال ﷺ : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» ، ثم قال ﷺ : «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير» .

قال الفضيل بن عياض : عالم عامل معلم يدعى كبيراً في ملكوت السماوات .

كان من حرصه على تعليم الناس الخير أنه في دروسه يقعد ويؤصل ، ويشرح ويعيد شرحه ، ويسأل من حوله وأمامه ، ويحرص على فهم الناس لكلامه ، وإدراكهم للمسائل العلمية التي يوردها ، فنشر الله تعالى ذكره في كل مكان ، وأقبل الناس على دروسه على اختلاف مشاربهم ، وأصبح طلاب العلم يتعلمون من طريقته في التدريس كيف يدرسون .

ومن ذلك أن مجموعة من الشباب ذهبوا إلى مصر في مهمة رسمية ، واختلفوا فيما بينهم في بعض المسائل ، فدلهم مرافقهم على فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك – رحمه الله – فلما عرف الشيخ أنهم من السعودية قال لهم : تسألوني وعندكم الشيخ محمد العثيمين؟ قالوا : يا شيخ وتعرفه ؟ قال : أنا أستمتع بسماع تأصيله العلمي في دروسه .

وفي حج عام ١٤١٦ هـ ، كنت مرافقاً لسماحته وهو يزور الحجاج

- كعادته في كل سنة - يسلم عليهم ويحدثهم ويجيب على أسئلتهم في مطار الملك عبد العزيز بجده ، ودخلنا صالة استقبال كان فيها حجاج من جهورية من الجمهوريات الإسلامية التي كانت تحت الحكم الروسي ، وكان أصغرهم سناً قد بلغ الستين ، وليس فيهم من يتكلم العربية ، فسأل الشيخ إن كان معهم مترجم يترجم كلامه إليهم ، فلم نجد إلا شاباً سعودياً كان في استقبالهم يتحدث بلسانهم ، طلبنا منه أن يترجم كلام الشيخ فوافق ، وأخذ الشيخ يتحدث والشاب يترجم .

وفي أثناء حديثه دخل شاب يركض - علمنا فيما بعد أنه مرشد الحملة - وإذا به يتحدث العربية بطلاقة ، وطلب أن يقوم بالترجمة ، وأخذ مكبر الصوت ، وهو لا يعلم من هو الشيخ ، حتى فرغ الشيخ من حديثه ثم جاء يسلم فقلنا له : هذا الشيخ محمد العثيمين ، وإذا بالشاب ينظر إلى الشيخ باستغراب ، وقد اتسعت حدقتا عينيه ، وقال : الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، فاسغربنا من معرفته لاسم الشيخ ، وقلنا : نعم . وإذا به يضم الشيخ بذراعيه ، وأخذت الدموع تنهال من عينيه ، وهو يقول : الشيخ محمد العثيمين ، ويكرر اسمه فرحاً ، ثم ما لبث أن أخذ مكبر الصوت ، ونادى في أفراد الحملة بكلام لم نفهم منه سوى ترديده لاسم الشيخ ، وكانت المفاجأة أكبر عندما أخذ أفراد الحملة يبكون ، وارتفعت أصواتهم وهم يرددون اسم الشيخ : الشيخ العثيمين ، وقال الشاب ، يا شيخ هؤلاء كلهم طلابك ، هؤلاء كانوا يدرسون كتبك في الأقبية تحت الأرض لما كان تعليم الإسلام عندنا ممنوعاً ، وهم في شوق للسلام عليك ، فهل تأذن لهم؟ وأذن لهم الشيخ فأقبلوا يقبلونه يقبلون رأسه ويديه وهم يبكون ، ويرددون اسمه ، فكان من أشد المواقف تأثراً ، وما أعلم من بقي في ذلك

المكان إلا وبكى تأثراً بما رأى وسمع .

فنسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته أن يرحمه رحمة من عنده ، وأن يسكنه فسيح جناته ، وأن يلحقه بمنازل النبيين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، وأن يثبتنا على دينه حتى نلقاه ، وأن يعوض الأمة الإسلامية بعلماء ربانيين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(جريدة المدينة ، العدد : ١٣٧٧٨)

ابن عثيمين .. الرجل المنهج

بقلم الشيخ : سليمان بن علي الضحيان

* المحاضر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية *

القارىء لخارطة المدارس الفقهية في السعودية يجد أن هناك ثلاث مدارس : المدرسة المذهبية ، وهي تقوم على التمسك بالمذهب الفقهي أصولاً وفروعاً ، وتعتني بكتب المذهب وأقوال علمائه ، والتخريج على أقوال إمامه ، ويقل لديها الاعتناء بالحديث ، وتتوزع المذاهب الفقهية مساحة السعودية ، فيسود المذهب الحنبلي في نجد ، وتسود بقية المذاهب في الحجاز وعسير والأحساء .

والمدرسة الفقهية الثانية : مدرسة أهل الحديث ، وتتميز هذه المدرسة بالاعتناء بالحديث الشريف حفظاً وتحقيقاً وفقهاً ، ويقل لدى أصحاب هذه المدرسة العناية بالمتون الفقهية أو ضبط أقوال علماء المذاهب ، ويقل لديهم كذلك الاعتناء بالقواعد الفقهية ، وقد يشن بعض أصحاب هذه المدرسة الحرب على التمذهب بمذهب خاص ، ويكاد يغلب على طائفة منهم المذهب الظاهري .

والمدرسة الثالثة : هي المدرسة التي مزجت بين محاسن المدرستين ، فعنيت بالاستدلال بالحديث والحرص على الاعتناء بالدليل ، وفي الوقت نفسه الاستفادة من جهود فقهاء المذاهب والاعتناء بأقوالهم واختياراتهم ، وضبط المتون الفقهية مع التعمق بأصول الفقه والقواعد الفقهية .

ويعد العلامة الفقيه الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله – من أبرز من يمثل تلك المدرسة في السعودية ، بل في العالم الإسلامي أجمع ، فهو ينسب نفسه إلى الحنابلة ، فيقول : وذكر بعض أصحابنا ... ويعني بذلك بعض فقهاء الحنابلة .

وله عناية بشرح كتب المذهب الحنبلي كـ « زاد المستنقع » و « الكافي » و « قواعد ابن رجب » وغيرها ، وإلمام بمنهجها ومحتواها ، قال عن زاد المستنقع : وهو أجمع من كتاب الشيخ مرعي « دليل الطالب » ، و« دليل الطالب » أحسن من هذا ترتيباً .

وقال : « المتأخرون يرون أنه إذا اختلف الإقناع والمنتهى فالمذهب المنتهى » لكنه في الوقت نفسه يعظم الدليل ، ويحرّم متابعة المذهب فيما خالف فيه الدليل ، ويشدد كثيراً على وجوب اتباع الدليل ، وكتبه ومحاضراته ودروسه وفتاويه مشحونة بتقرير ذلك ، ومن ذلك قوله : « العبادات لا تتم إلا بالإخلاص لله تعالى ، والمتابعة للنبي ﷺ ؛ والمتابعة لا تتحقق إلا إذا كانت موافقة للشرع في ستة أمور : السبب ، والجنس ، والقدر ، والكيفية ، والزمان ، والمكان ، فلا تقبل العبادة إلا إذا كانت صفتها موافقة لما جاء عن النبي ﷺ » .

ولهذا خالف المذهب الحنبلي بمئات المسائل التي يرى أن الدليل فيها خلاف المذهب كمسألة الطلاق بالثلاثة ، ومسألة مدة القصر في الصلاة ، ومسألة نقض غسل الميت للوضوء ، وغيرها ، وحسبك أن تعلم أنه خالف المذهب في حوالي تسع وثمانين مسألة في باب (الطهارة) فقط ، أحصيتها من كتابه « الشرح الممتع » وعُني بكتب الحديث ، فشرح صحيح البخاري ،

وصحيح مسلم ، وكتب الأحكام المبنية على الأحاديث كبلوغ المرام ، وعمدة الأحكام ، هذه المقدرة الفذة في الجمع بين محاسن المدرستين التي كان يتميز بها - رحمه الله - أعزوها إلى أربعة مؤثرات :

المؤثر الأول : طلبه العلم على العلامة الفقيه عبد الرحمن السعدي ، وهو من جهابذة الفقهاء ، فقد كانت له عناية خاصة بالتأصيل والتقعيد ، فقد ألف في أصول الفقه والقواعد الفقهية وأصول التفسير ، وجمع كتاباً حافلاً بالقواعد والضوابط والأصول من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم سماه « طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول » جمع فيه ألفاً وست عشرة قاعدة وضابطاً وأصلاً ، هذه العقلية الفقهية كان لها أثر كبير على العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في هذا الجانب ، وفي المقدرة الرائعة للشيخ في طريقة الشرح والإفتاء ، حيث السبر والتقسيم والتفصيل وضرب الأمثلة ، يقول الشيخ محمد عن شيخه السعدي : « إنني تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني » .

المؤثر الثاني : طلبه العلم على الشيخ العلامة المحدث عبد العزيز بن باز - رحمه الله - فقد استفاد منه العناية بالحديث ، يقول الشيخ محمد رحمه الله : « تأثرت بالشيخ ابن باز - حفظه الله - من جهة العناية بالحديث » .

المؤثر الثالث : عنايته بكتب الإمامين : شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله - فقد شرح للطلبة « الحموية » ، و« التدمرية » ، و« الواسطية » ، و« اقتضاء الصراط المستقيم » و « السياسة

الشرعية » ، وكلها لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وشرح « النونية » لابن القيم ، وأخرج مختارات من « زاد المعاد » و « أعلام الموقعين » وكلاهما لابن القيم ، وقد تمثل بمنهج هذين العالمين فأثرهما عميق جداً في كتبه ومحاضراته ودروسه وفتاويه من حيث الاعتناء بالدليل ، والاهتمام بالعقيدة ، ومعرفة آراء الفرق المخالفة والرد عليها ، والاهتمام بمقاصد الشريعة وضبط أصولها وكلياتها .

المؤثر الرابع : التعمق بأصول الفقه والقواعد الفقهية ، والشيخ في هذين العلمين يكاد ينفرد بمقدرته الفذة على التمثل بمسائل هذين العلمين حال التدريس والإفتاء ، وله دروس كثيرة في هذين العلمين منها « الأصول من علم الأصول » وهو مؤلف مختصر ، وله دروس شرح فيها « نظم الورقات » للعمريطي ، و« القواعد والأصول » و « مختصر التحرير » ، و« المنظومة في أصول الفقه » ، و« قواعد ابن رجب » .

وكذلك العناية التامة باللغة ، فقد برع بالنحو خاصة حتى إنه أعرب ألفية ابن مالك إعراباً سريعاً في جلسة واحدة ، وله دروس في اللغة ، منها شرح « الآجرومية » ، و« ألفية ابن مالك » ، وله دروس بلاغية .

ولأهمية علم العربية كان – رحمه الله – يحرص على انتقاء القارئ الجيد في الدرس ، فإذا لحن القارئ طلب منه إعراب ما لحن فيه ، ولا شك أن إتقانه لأصول الفقه وللقواعد الفقهية وللنحو كان لذلك كله أثر كبير في مقدرته الفذة على دقة الاستنباط الفقهي والتفسير الدقيق لآيات القرآن الكريم ، هذه المؤثرات مع ما رزقه الله من ذكاء حاد وجلد ومثابرة على البحث والدرس أنتجت قامة علمية سامقة تتميز بمميزات عدة منها :

أولاً : الشمولية العلمية : فالشيخ – رحمه الله – موسوعة علمية له إسهامات في كل فروع العلوم الشرعية ، ففي العقيدة درس « كتب ابن تيمية التي سبق ذكرها » ، وكتاب التوحيد ، وكشف الشبهات ، والأصول الثلاثة ولمعة الاعتقاد ، والقواعد المثلى ، والسفارينية ، وعقيدة أهل السنة والجماعة ، وفي التفسير ، فسر القرآن الكريم والقواعد الحسان ، ومقدمة التفسير ، وله مؤلف لم يتم في أحكام القرآن ، سمعته يقول : استخرجت من آية القصاص نحو ثمانين فائدة ، ودرس تفسير الجلالين ، وفي الحديث شرح البخاري ومسلم ، وعمدة الأحكام ، وبلوغ المرام ، وأبواباً من نيل الأوطار ، ورياض الصالحين ، وفي الفقه شرح زاد المستقنع عدة مرات ، والكافي ، والبرهانية ، وفي الفرائض وفي مصطلح الحديث شرح نخبة الفكر وفي اللغة والنحو الآجرومية ، وألفية ابن مالك ، والبلاغة .

ثانياً : شمولية النفع والدعوة ، فهو عضو في هيئة كبار العلماء ، وخطيب الجامع الكبير في عنيزة ، وأستاذ في جامعة الإمام ، وله حلقة تدريس صباحية ومسائية يومية في مسجده ، ويعقد دورة صيفية مكثفة في الصيف طوال اليوم ، وله دروس في الحرم المكي في رمضان ، وله لقاء شهري لجمهور الناس في عنيزة ، وله محاضرات متفرقة في بعض مدن المملكة .

ثالثاً : الوسطية في أحكامه وآرائه ، وهي وسطية ناتجة من الفهم العميق للشريعة ، فمثلاً آراؤه وأحكامه عن جماعة التبليغ ودوران الأرض ، والحكم بغير ما أنزل الله ، ووصول ثواب العمل إلى الميت ، والعذر بالجهل ، وغيرها قلما تجدها عند غيره ، فمثل هذه المسائل يتباين

العلماء وطلبة العلم في الكلام حولها ، وهي من المسائل المشكلة التي كثر الخلاف حولها .

رابعاً : المنهجية المنضبطة في كل إنتاجه العلمي « كتباً ومحاضرات ودروساً » فمن حيث التعامل مع النصوص يضع قاعدة عامة يقول فيها : اتباع الظاهر في الأحكام كاتباع الظاهر في العقائد إلا ما دل الدليل على خلافه ، لكن اتباع الظاهر في العقائد أوكد ؛ لأنها أمور غيبية لا مجال للعقل فيها بخلاف الأحكام فإن العقل يدخل فيها أحياناً ، لكن الأصل أننا مكلفون بالظاهر .

وينهى عن الحديث والبحث فيما يورث تشويشاً في العقل من الأمور التي لم يتعرض لها الصحابة كمسألة القدر ، حيث يقول عنها : « الجدير بالمرء ألا يبحث في نفسه ولا مع غيره في مثل هذه الأمور التي توجب التشويش وتوهم معارضة الشرع بالقدر ، فإن ذلك ليس من دأب الصحابة رضي الله عنهم وهم أحرص الناس على معرفة الحقائق وأقربهم من معين إرواء الغلة وكشف الغمة » .

ويعلن توقفه عن القطع فيما لم يصل فيه إلى رأى قاطع فقد سمعته في درس شرح زاد المستقنع يقول : قضية الأوامر والنواهي لم أصل إلى ضوابط محددة في هذه المسألة لأننا لو قلنا بوجوب كل أمر لكلفنا الناس ، وإلى ساعتي هذه ما وجدت ضابطاً تنضبط به جميع الأوامر وجميع النواهي لأنه يخرج من الوجوب كثيراً من الأوامر بالاتفاق ، وأما ما خالف الإجماع فالأمر فيه واضح » .

وهذه المنهجية لديه كان لها أثر في طريقة عرضه للمسائل في شرحه وفي فتاويه ، فهو يحرص على السبر والتقسيم والتفصيل والتوضيح ، فقد

سئل عن أخذ الشعر فأجاب : « الشعور ينقسم أخذها إلى ثلاثة أقسام : الأول شعور أمر الشارع بإزالتها ، والثاني شعور نهى الشارع عن إزالتها ، والثالث شعور سكت الشارع عن إزالتها ، ثم فصل المسألة .

ويقسم حكم مشاهدة التلفزيون إلى ثلاثة أقسام ، ويقسم الحركة في الصلاة إلى خمسة أقسام ، والنجاسة إلى ثلاثة أقسام ، فهذا التقسيم والتفصيل يكاد لا يخلو منه فتوى أو مسألة من مسائل العلم في شروحه ، وتشمل المنهجية لديه ترتيب الدروس ، فلكل طالب ملازم لديه مرتبة ، فالدروس تبدأ بصغار الكتب كالأصول الثلاثة والأجرومية والأصول في علم الأصول ، وتنتهي بكبارها كقواعد ابن رجب ، والكافي ، وشرح ألفية ابن مالك .

خامساً : العقلية الفقهية الفذة ، فمع براعة الشيخ – رحمه الله – في التفسير والعقيدة ، وله فيها باع لا يكاد يجارى ، إلا أن شهرته وتفرده ومعرفة عامة الناس به إنما هو للجانب الفقهي منه ، فتَضَلُّع الشيخ بأصول الفقه ، والقواعد الفقهية ، وعلم النحو : وَرّث لديه ملكة فقهية تقوم على تخريج الفروع على الأصول ورد الجزئيات إلى الكليات ، وتفريع عجيب للمسائل الفقهية ، ومقدرة فريدة على الاستنباط الدقيق ، ويصوغ ذلك كله بلغة سهلة ميسورة ، وإذا كان لكل علم لغة خاصة يعرف بها ، فإن لغة الشيخ – رحمه الله – في فتاويه ودروسه الفقهية لغة فقهية تتميز بأربعة أمور:

الأمر الأول : التحديد الدقيق للمصطلحات بحدود جامعة مانعة كحد

الطهارة ، وحد الحدث ، والنجاسة ، والاحتياط ، والوضوء ، والغرض ، والإجزاء .

الأمر الثاني : العناية بالفروق الفقهية وهو فن دقيق من فنون الأشباه والنظائر ، لا يتقنه إلا من أحاط بالفقه جميعه وتمرس فيه ، ولا يخلو درس الشيخ الفقهي من التنبيه على بعض الفروق ، ومن ذلك :

الفرق بين القضاء والأداء في الصلاة ، والفرق بين فرض العين وفرض الكفاية ، والفرق بين أركان الصلاة وشروط الصلاة ، والفرق بين الفجر الأول والفجر الثاني ، والفرق بين صفة الكمال وصفة الإجزاء في العبادة ، والفرق بين النفي المطلق والنفي المقرون بالتفصيل .

الأمر الثالث : كثرة استعمال القواعد الفقهية الكلية ورد جزئيات المسائل إليها ، ولا يصل الفقيه لمرتبة الاجتهاد إلا بإدراكها وضبطها ، قال ابن نجيم : « وبها يرتقي الفقيه إلى درجة الاجتهاد ولو في الفتوى » ، وقال عنها القرافي : « هي جليلة القدر ، كثيرة العدد ، مشتملة على أسرار الشرع وحكمه ، لكل قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يحصى ، وهذه القواعد مهمة في الفقه عظيمة النفع ، وبقدر الإحاطة بها يعظم قدر الفقيه ويشرف وتتضح له مناهج الفتوى » .

وخطاب الشيخ محمد - رحمه الله - مشحون بالقواعد الفقهية الكلية ، ولا تكاد تخلو مسألة دون أن يلحقها بقاعدة كلية ، ومن أمثلة القواعد التي خرج عليها فرعيات المسائل : « إذا انتفى السبب ، انتفى المسبب » ، « العبرة بالأمور بمعانيها لا بصورها » ، « البدل له حكم المبدل منه » ، « ما كان معفواً عنه شرعاً زال ضرره قدرا » ، « عدم السبب المعين لا

يقتضي السبب المعين » ، « يثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً » ، « المشقة تجلب التيسير » ، « الفرع أضعف من الأصل » ، « ينقلب نقلاً ما بان عدمه » ، « القضاء يحكي الأداء » ، « ما حرم تحريم الوسائل أباحته الحاجة » ، « كل ما وجب في العبادة فإن فواته مبطل لها » ، « اليقين لا يزول إلا بيقين » ، « الشيء في معدنه لا حكم له » ، « الأصل أن ما ثبت في النقل ثبت في الفرض إلا لدليل » ، « ورود الشك بعد براءة الذمة لا يلتفت إليه » ، « ما شك في وجوده فالأصل عدمه » .

الأمر الرابع : كثرة إيراد القواعد الأصولية والتنبيه على بعض المسائل الأصولية ، وهذا الأمر كثير جداً في لغة الشيخ الفقهية ، من ذلك : « العلة إذا كانت منتشرة لا يمكن ضبطها » ، « تعليق المباح بشرط يدل على أنه لا يباح إلا به » ، « الاستثناء معيار العموم » ، « عدم الأمر في موضعه يدل على عدم الوجوب ولا يدل على عدم المشروعية مطلقاً » ، « الحقائق تحمل على عرف الناطق بها » ، « إذا قيد اللفظ العام بما يوافق العام فليس بقيد » ، « ترك الاستفصال في مقام الاحتمال ينزل منزلة العموم في المقال » ، « ما خرج عن الأصل لعلة معقولة ، فلا مانع من أن يقاس عليه » ، « الاجتهاد لا ينقض باجتهاد » .

وبعد فهذه بعض ما يميز لغة الشيخ الفقهية ، وسبق التنبيه على السبر والتقسيم والتفصيل وضرب الأمثال في أطروحات الشيخ – رحمه الله – وكل ذلك يدفعنا إلى القول إن الشيخ بعقليته الفقهية الفذة ومنهجيته المنضبطة ، ووسطيته المعتدلة يشكل مدرسة ومنهجاً متميزاً ، خسرته الأمة فجبر الله مصيبتنا به ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أوجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيراً منها .

(جريدة الوطن ، العدد : ١٠٥)

أدين للشيخ في وعيي النظري والنقدي

بقلم الأديب الناقد الشهير الدكتور : عبد الله الغذامي

كنت في الثانية عشرة من عمري حينما وجهني والدي – رحمه الله – إلى حضور حلقات الشيخ محمد العثيمين في المسجد الجامع بعنيزة وكانت تلك بداية لزمن من التتلمذ على يدي هذا الشيخ الفذ امتدت عشر سنين ، وكان أدق ما فيها هو في تلك المهارة الفائقة التي وهبها الله لشيخنا في تفتيق الحجج ومداورة البراهين ، وفتح أفق النظر والتأمل ، وكان قمة في ذلك في دروسه في علوم الأصول ، حيث درست على يديه علمي أصول التفسير ، وأصول الفقه ، إضافة إلى علوم العربية في النحو والبلاغة ، كل ذلك كان في حلقات المسجد ، ثم صاحب ذلك دروسه لنا في المعهد العلمي بعنيزة ، حيث ابتدأنا بشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، وختمنا ذلك بكتاب الورقات في أصول الفقه ، مع تعلقيات شيخنا عليه ، وهي ما أحتفظ به حتى الآن ، وأسترشد به في التفكير النظري والمنهجي .

لذا فإني مدين للشيخ في وعيي النقدي والنظري من حيث أصول المعارف ، وتشقيقاتها ، ومن المنهجية ، والدربة على المحاجة والتدقيق.

هذا جانب علمي منهجي تتزامن معه وتصاحبه أمثلة في أخلاق العلم والتقى ، كان الشيخ يتحلى بها في تعامله معنا ، ونحن تلاميذ صغار ، حيث كان لا يفرق في حلقة الدرس في الجامع بين صغير وكبير ، وكان الحلقة تضم كل الأعمار والمشارب ، وكانت علاقة الشيخ مع الجميع علاقة صديق ودود محب يعطف ويهتم ويتابع ويسأل عن شؤوننا الخاصة ، مثلما

كان يعامل الناس في المجتمع ، حيث كان يخصص وقتاً من برنامجه اليومي لزيارة أي داع يدعوه إلى القهوة في منزله ، وكان لوالدي موعد خاص مع الشيخ يزور فيه بيتنا ، وكنت أشرف وأنا صغير بخدمة ضيفنا بصب القهوة والشاي والاستماع إلى أحاديث الشيخ التي كانت تغطي كل مجالات الحياة العامة ، من أمور الدين والفتوى إلى أمور المجتمع وأحاديث الحياة ، ومن ديدن الشيخ في هذا كله أنه رجل سمح بشوس أريحي لبق الحديث ، ورحب الروح ، ومتسامح كريم .

تعلمت منه المعرفة مثلما توخيت من سيرته الجد مع الأريحية ، واستثمار الوقت مع القيام بحقوق كل من طلب منه زيارة أو استوقفه في الطريق سائلاً ومستفتياً ، وإنه لمشهد مأثور في شوارع عنيزة أن تمر وتلمح الشيخ واقفاً في جانب الطريق ، في شمس أو برد ، وبجانبه رجل أو امرأة أو صبي ،وهو يصغي بوقار وأريحية ، ويرد على السؤال ، ويتأنى للإيضاح .

هو شيخنا وقدوتنا ووالدنا وحبيبنا ، وله علينا الفضل ، وأي فضل ، أعطى وأكرم في عطائه ، وبذل بأريحية لا تحد ، واتسع صدره لكل الناس ، ولكل القضايا .

هنيئاً له عند ربه ، وإلى جنات العلا التي وعدها الله للصالحين والبررة أما نحن فقد فقدنا رمزاً في العطاء ، وفي الصدق والعمل ، ولكن يبقى لنا حق الدعاء والترحم على رجل عاش عمره كله لله ، وبالله ، وعاد إلى ربه مطمئناً راضياً مرضيا - بإذن الله - .

تغمده الله بواسع رحمته ، وجزاه الله كفاء ما فعل لنا خير ما يجزي به عبداً صالحاً .

(جريدة الوطن ، العدد : ١٠٥)

درس من مجلس الشيخ

بقلم الدكتور: عبد الله الغذامي

كان الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - تربوياً وإنسانياً في تعاملاته مع الناس، ومع ماله من الهيبة في نفوس طلابه؛ فإنه كان ودودا وحكيماً في تعامله معهم، وهذه قصة من قصصه معنا، وقد وقعت في عام ١٣٨٠ هـ.

كنا وقتها في السنة الأولى في المعهد العلمي، ولم يكن الشيخ يدرّس الصفوف الدنيا، وكانت دروسه كلها للصفوف العليا، ولكنه كان يحرص على الحضور إلى الطلاب الصغار مثلنا، ويحب التواصل معهم، لذا كان يبادر لتغطية فراغ أي أستاذ غائب.

وذات مرة غاب أحد الأساتذة، وكم كنا فرحين لأنها ستكون فرصة للعب وتزجية الوقت، خاصة لعدد من الطلبة اللعابين - وكنت واحداً منهم - أو لعلني كنت قائد الشغب في الفصل، غير أن ما لم يكن في الحسبان حصل، إذ فوجئنا بالشيخ محمد يدخل علينا هاشاً باشاً كعادته، ولكننا نحن كنا في غاية الحرج والرهبة والهيبة، ومع أن عدداً منا لا يجهلون الشيخ، وبعضنا كانوا يحضرون حلقاته في الجامع، وكنت ممن يداوم على حلقاته تلك، إضافة إلى ماله من علاقة اجتماعية بأهلنا، ولكن الهيبة تظل تطبع نظرتنا إليه، ويصحب الهيبة تحولنا من نوايا اللعب والعبث إلى الانضباط والجد .

قلت إن هذا كان في عام ١٣٨٠هـ وأقول هذا لأن للتاريخ دوراً في هذه الحكاية ، ذلك أنه في ذلك الوقت ظهرت أخبار صحفية تقول : إن هناك خططاً للذهاب إلى القمر بمركبة فضائية ، كان هذا قبل هبوط نيل آرمسترونج بتسع سنوات .

كان خبر الذهاب إلى القمر حديث الناس والمجالس ، وكنا نحن الصغار نسمع من آبائنا وحكمائنا يتحدثون عن هذا الأمر الجلل بحديث متشعب فيه خوف وفيه تخويف ، ومن جانت آخر فيه تشويق وخيال ، وكان الجدل حامياً حول هذا الموضوع في كل المجالس ، وبلغ بقوم أن حرموا الأمر كله ، وخوفوا الناس ، وأنذروهم بالكوارث والعقاب .

كان هناك انقسام حاد حول الخبر ،ولكن التحريم كان هو الأشد وقعاً وبروزاً .

وكما كان الأمر حديث المجتمع فإن الشيخ جعله موضوع المناقشة في الفصل ، ويطرح علينا السؤال : هل تعتقدون أنهم سيصلون إلى القمر؟ .

وما أن طرح هذا السؤال ونحن بحكم الأطفال (سنة أولى متوسطة) حتى حضرت في نفوسنا كل معاني الهيبة والخوف ، فهذا شيخ البلد وأستاذنا ومفتينا ووالدنا مقاماً وقيمة ، مع كل المعاني الروحية لرجل بمثل مكانته عندنا .

كان جوابنا هو ما كنا نظن أن الشيخ يريده منا ، فقلنا بصوت واضح وصارخ كعادة الطلبة الصغار حينما يجيبون بصوت واحد جماعي معلن ومنغم . قلنا : لا ولا . كنا نكذب طبعاً ، لأننا كنا متحمسين ومتطلعين

لتحقق الفكرة ، غير أن هيبتنا للشيخ وتصورنا أن هذا هو ما يريد هي التي جعلتنا نقول ما قلناه .

لم يقتنع الشيخ بجوابنا ولا بطريقتنا في الجواب ، واقترح علينا أن نناقش الأمر ، وشرع بطرح الأسئلة علينا واحداً واحداً ، وهذا هو ديدنه - رحمه الله - وهو أن يعطي المجال للأسئلة كي تأخذ مداها ، ولا يعطي جوابه أو رأيه الخاص إلا بعد استنفاد كل إمكانيات الحوار والنقاش ، وهذا أسلوب تربوي متقدم لا شك أنه قد أثر كثيراً فينا ، وأنا شخصياً مدين لهذا الأسلوب لشيخنا بشيء كثير في تربيتي الحوارية ، حيث يفتح مجالاً للتفكير والتدقيق والتمحيص ومشاركة كل الأطراف في معالجة الإشكال ، وتحريك عقولهم في البحث . هذا أسلوبه وتلك روحه التربوية وأريحيته العقلية والشخصية .

غير أن هذا كله لم يزل الخوف في نفوسنا في تلك اللحظة ، وقلنا أثناء النقاش إن الوصول إلى القمر مستحيل والعياذ بالله ، وبعضنا قال بالتحريم ، وخوفنا من العقاب ، ولعن الكفار وحضارة الكفار ، ولعل البعض كان صادقاً في وهمه ذلك ، ولكني متأكد أنني أنا شخصياً وعدد من زملائي لم نقل ما قلنا إلا مداراة لإحساس الشيخ .

ووسط هذه المعمعة نط واحد من زملائنا وقال : نعم إنهم سيصلون إلى القمر ، قال ذلك بجرأة وقوة ، اعتبرناها حماقة وتطاولاً ، ودب في نفوسنا خوف عظيم توقعاً لغضب الشيخ وسخطه على هذا المتطاول الذي لا يخاف عواقب الشرور والمخاطر ، وبلغ الخوف في نفوسنا مبلغاً ظننا معه أن غضبة الشيخ الآتية ستنالنا جميعاً .

غير أن الشيخ التفت إلينا وسألنا عن رأينا في جواب زميلنا ، وطلب منا أن نناقش قوله ، أو إن كان أحد منا يوافقه على رأيه ، ولكننا نحن أبعد من ذلك كله ، لقد كان الخوف هو المتحكم فينا وأكدنا - كاذبين خائفين - أن زميلنا ضال وواهم ، ولا بد من تبصيره .

لقد استنفد الشيخ كل وسائل المناقشة عند ذلك ، ولذا قال لنا : هل تريدون رأيي ، وكأنه أنقذنا بكلامه هذا من بلاء عظيم ، فصرخنا صرخة واحد : نعم .

هنا قال الشيخ : اسمعوا يا أبنائي .. إن كان القمر في السماء ملتصقاً بها فالسماء في حماية الله ولا يصل إليها بشر مهما أوتي من العلم ، أما إن كان القمر كوكباً سابحاً بين السماء والأرض فهو حينئذ مثل أي قارة أو جبل في الكون يمكن لمن آتاه الله الوسيلة أن يصل إليه مثلما وصلوا إلى القارات المجهولة من قبل ، ثم ذكر رأياً لابن القيم يقول فيه عن احتمال أن يكون القمر جرماً سابحاً في الفضاء .

ما أن قال الشيخ هذا القول حتى عمت في نفوسنا الدهشة ، واختفت الهيبة والخوف ، وصرنا ننظر إلى هذه الحكمة والبصيرة مع الأريحية وحب الحوار ، وصرنا نغبط زميلنا على شجاعته ، وندمنا فعلاً على خورنا أمام الحقيقة ، وتعلمنا من شيخنا درساً في الحوار والمنطق وحب الحقيقة وتربية العقول مع هذا الأفق المفتوح على الإمكانيات ، وعدم القطع بحكم لا براهين عليه ، تعلمنا منه التبصر والروية ووضع كافة الاحتمالات

وبعد تسع سنوات من هذا النقاش وصلوا للقمر، واحتفل العالم كله بهذا الفتح العظيم ، أما نحن فاحتفلنا احتفالنا الخاص إذ بقيت لنا ثقتنا

بشيخنا وبسلامه تفكيره ومنطقية رؤيته .

هذه صورة واحدة من صور كثيرة كانت لي مع شيخي ووالدي محمد الصالح العثيمين ، وكم تعلمت منه من درس ومن عبرة ، تغمده الله بواسع رحمته ، وجزاه عنا خير الجزاء .

(جريدة المدينة ، ملحق الأربعاء ، ٢٩/١٠/١٤٢١ هـ)

جوانب من حياته وتعامله مع طلابه

بقلم الشيخ : منصور بن تركي المطيري

* إمام وخطيب جامع أبي بكر الصديق بالحرس الوطني *

في سلسلة أحداث وفاة العلماء وكبار أهل العلم خلال هذه السنين المتوالية ، نفجع بخبر وفاة شيخنا ووالدنا العلامة الفقيه المفسر الأصولي النحوي الفرضي ، ريحانة المفتين ، وروضة الطالبين أبي عبد الله محمد بن صالح العثيمين غفر الله له ورحمه ، وقدس الله روحه ، ونور ضريحه ، وأفسح له في قبره ، ورزقه الفردوس الأعلى .

توفي شيخنا يوم الأربعاء الماضي وله من العمر أربعة وسبعون عاماً ، وثمانية عشر يوماً بالسنين القمرية ، حيث كانت ولادته في السابع والعشرين من شهر رمضان الكريم في عام ١٣٤٧ هـ ، في المدينة الريفية الجملية المتحضرة « عنيزة » .

مرت أيام هذا العالم ولياليها في طلب العلم الشرعي ، والسفر من أجله ، والقيام بنشر العلم وتدريسه في المعاهد العلمية والكليات الشرعية ، وفي المساجد والجوامع ، والإفتاء للناس ، والإصلاح بينهم ، والقيام بحوائجهم ومساعدتهم ، والشفاعة لهم ، وغير ذلكم من أعمال ومفاتيح البر التي يطرقها العلماء الربانيون أمثاله .

تميز الشيخ – رحمه الله – بصفات عظيمة وقدرات هائلة منذ صغره ، حيث كان نبيهاً ذكياً ، وحافظاً عبقرياً ، عنده صبر وجلد ، رافقت هذه

الإمكانيات والقدارات بيئة صالحة ، وتربة خصبة ، وقبل ذلك وأثناءه وبعده توفيق الله وتأييده .

وفي عام ١٣٧١ هـ بدأ بالتدريس في الجامع ، ثم لما فتحت المعاهد العلمية بالرياض التحق بها عام ١٣٧٢ هـ بعد مشورة الشيخ علي الصالحي ، واستأذن الشيخ عبد الرحمن السعدي ، فدرس بالقسم الخاص بالمعهد واجتاز الدراسة في عامين ، حيث اختصر ذلك .

وأثناء فترة جلوسه في الرياض درس على جملة من علماء ذلك الوقت ، فدرس على الشيخ العلامة الإمام محمد الأمين الشنقيطي ، وقد وجدت للشيخ كثيراً من الفوائد العلمية التي نقلها عنه ، وكذلك درس على سماحة الشيخ الإمام العلامة عبد العزيز بن باز – رحمه الله – فتأثر بهما كثيراً في العلم والدين والخلق .

ويقول الشيخ عبد الله الداوود – عضو في دار الإفتاء – إن الشيخ عندما قدم الرياض كان مميزاً بالعلم والفهم ، وكان يشير إليه الطلاب بالتميز.

وبعد تخرجه عين الشيخ مدرساً في معهد عنيزة العلمي مع مواصلة الدراسة انتساباً في كلية الشريعة بالرياض ، ومواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبد الرحمن السعدي .

وكان الشيخ – رحمه الله – كريم الأخلاق ، لطيف المعشر ، كثير البذل ، لا يرد سؤالاً ولا حاجة طالب ، وكان لطلابه مثل الأب لأبنائه ، بل كان أقرب .

قدمت لمدينة عنيزة للدراسة على فضيلته ، وأنا ابن ست عشرة سنة ،

فكنت أنا وكثير من زملائي ندرس في الصبح في المعهد العلمي أو الكلية ، وفي المساء بعد صلاة المغرب من كل يوم على يد فضيلته في الجامع .

وكان الشيخ – رحمه الله – يتابع مستوانا الدراسي ، بل أحياناً يوقع على التقرير الشهري مكان توقيع ولي الأمر ، وكان طلاب الشيخ من أميز الطلاب في المعهد والكلية ،وكان ذلك يسر الشيخ – رحمه الله – حيث يرى أثر تدريسه لهم .

كان الشيخ يعطي طلابه في الإسكان الذي خصصه مكافأة شهرية ، وبل وينظم لقاء شهرياً في إحدى الليالي يتدارس فيها بعض شؤون الطلاب وما يحتاجونه من توجيه ونصح ، وكانت عنده طلعة شهرية إلى إحدى مزارع عنيزة الجميلة لبعض التجار الذين يشعرون بالشرف عند ضيافة الشيخ وطلابه ، يقصد فيها الطلاب الترويح والأنس ، وكانت من أجمل اللحظات عندما يأتي الشيخ إلينا ويبادر طلابه الملاحظة والممازحة ، وكانوا يطلبون منه أحياناً المسابقة فيعتذر بعدم قدرته على مسابقة الشباب ، بل وشارك الطلاب ذات مرة السباحة ، حيث استغربوا عندما أخبرهم بمعرفته للسباحة فأصروا وأكدوا عليه حتى أراهم مهارته – غفر الله له – .

حرص الشيخ على تربية طلابه على العلم الشرعي ، والحرص على الدعوة إلى الله ، بل ويحضهم على الدراسة النظامية ، وإكمال الدراسات العليا حتى ينفع الله بهم البلاد والعباد .

وكان الشيخ – رحمه الله – ممن يسلك طريق الاعتدال والوسطية في منهجه العلمي والعملي والدعوي ، فلا إفراط ولا تفريط ، متبعاً كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ وآثار سلف الأمة وأئمتها .

وكان ينصح طلابه بالحرص على طاعة ولي الأمر في طاعة الله ومحبته والدعاء له ، ما كان محكماً لشريعة الله ، مقيماً لشعائر الله ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، وولي أمرنا كذلك ولله الحمد ، ما ذاك إلا امتثالاً للأمر الرباني : ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ .

وكان للشيخ مكانة كبيرة ، ومنزلة عظيمة عند حكام هذا البلد الكريم من عهد الملك فيصل - رحمه الله - والملك خالد - رحمه الله - وهذا العهد الزاهر عهد خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - في طاعته ، ولقد رأى الجميع حرص خادم الحرمين الشريفين وأخويه صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله ولي العهد ، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان النائب الثاني ومتابعتهم - رعاهم الله - لإجراء الفحوص في أمريكا ، فجزاهم الله عن أهل الشيخ وطلابه ومحبيه في أقطار الأرض خير الجزاء .

ورحم الله شيخنا رحمة واسعة ، وتغمده الله بشآبيب مغفرته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جناته ، ورزقه الفردوس الأعلى .

(جريدة الوطن ، العدد : ١٠٥)

وعالم آخر رحل

بقلم الشيخ : زين العابدين الركابي

وهذا مصاب جلل رزىء به السعوديون ، بل رزىء به المسلمون في العالم كله في سلسلة موت العلماء في أزمنة متقاربة ، فوفاة العالم الجليل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، خسارة فادحة لكل محب للإسلام ، ولي لله ، حريص على الاتصال بالله ، متقرب إليه زلفى بما شرع ﴿ **ولا ينبئك مثل خبير** ﴾ .

لقيت الفقيد العظيم غير مرة في مخيمات جامعية ، وفي بيته في القصيم ، وفي مكة ، وفي الرياض ، وآخر لقاء رأيته فيه كان في الرياض في إثنينية الشيخ عثمان الصالح ، إذ كان هو محدثنا ومحاضرنا في موضوع « نعمة الأمن ومسؤوليتنا في المحافظة عليها » ، ومن فقهه في هذه المحاضرة الربط الوثيق بين نعمة الأمن وبين الإيمان والسلوك المدني العام .

أ - تحدث عن الركيزة الكبرى للأمن ، وهي الإيمان بالله وتوحيده ، واستشهد بالأصل في ذلك ، وهو قول الله جل ثناؤه : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ ، وهذا حق ، فالأمن النفسي هو : عماد الأمن الاجتماعي والصحي والسياسي ، وكأي من أمم توافر لها الأمن الاجتماعي والسياسي الظاهري ، ولكنه أمن أفسد طعمه ، ونال من ثباته : الاضطراب النفسي والسقم الروحي ، في شتى مضامينه وصوره .

ب – وسئل الشيخ – رحمه الله – عن مسئولية الناس تجاه الأمن المروري ، مثلاً : تفادياً للحوادث والتهلكة ، فأجاب بأن الانضباط المروري في السير ، والتوقف ، والاتجاه يميناً أو يساراً وفق الأنظمة الموضوعة ذلك كله من القربات إلى الله ، لأنه من الطاعة في المعروف التي أمر الإسلام بها فيما يتخذه ولي الأمر ويسنه من أنظمة ترعى المصلحة العامة ، وتضبط تصرفات الناس حتى لا يبغي بعضهم على بعض ، وهذا فقه حسن في المصالح المرسلة .

وهذا – بلا شك – نثارات من فقه الشيخ ، وإلا فهو عالم مستبحر في علوم : العقيدة ، والفقه ، والتفسير ، والفتيا ، وله في ذلك عشرات الكتب والرسائل ، وألوف الأشرطة الصوتية . له باع طويلة ، وقدم صدق ، وكان من منهج الشيخ : الدوران مع الدليل حيث دار ، والتمتع بحقه العلمي في النظر إلى الدليل فهماً واستنباطاً .

حقيقة إن فقد العلماء خسارة فادحة :

أولاً : لأن الإسلام علم .. ليس خواطر ، ولا انفعالات ، ولا مجرد تأملات فلسفية ، ولا إلهامات مدعاة مقطوعة من هدي الوحي ، ولا جرأة جاهلة .

١ – الإسلام علم بحكم مصدره :

أ – ﴿**لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه**﴾ .

ب – ﴿ **قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض**﴾ .

٢ – والإسلام علم بمضمونه ومنهجه :

أ – ﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** ﴾ .

ب – ﴿ **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم** ﴾ .

وما كان علماً لا يحسن حمله ولا التعامل معه ، ولا التكلم فيه إلا أولو العلم :

أ – ﴿ **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم** ﴾ .

ب – ﴿ **والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب** ﴾ .

إن التبليغ عن الله هو وظيفة العلماء ورسالتهم ، وهو رسالة لا تؤدى على الوجه المشروع الحقيقي إلا بالعلم ، ولذا ألف ابن القيم – مثلاً كتاباً كبيراً عنوانه وموضوعه « إعلام الموقعين عن رب العالمين » ومما قاله في هذا الكتاب :

« ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ ، والصدق فيه لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق ، فيكون عالماً بما يبلغ ، صادقاً فيه ، ويكون مع ذلك حسن الطريقة ، مرضي السيرة ، عدلاً في أقواله وأفعاله ، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله ، وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله ، ولا يجهل قدره ، وهو من أعلى المراتب السنيات ، فكيف بمنصب التوقيع عن رب العالمين؟ فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعد له عدته ، وأن يتأهب له أهبته ، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه » .

ثانياً : لأنه بالعلم الشرعي تهدى وتضبط مسيرة التعبد والتدين .

إن الناس - في الجملة - مقبلون على الدين ، راغبون في التدين ، وهذا توجه حميد من حيث المبدأ ، فما يمدح إنسان معرض عن ربه ، بيد أنه حين ينتشر التدين ، تتضاعف مسؤولية نشر العلم أنهاراً حتى يرتوي الناس من النبع الرائق ، أما عندما يقع خلل أو ندرة أو تقصير في الإشباع العلمي المطلوب ، في التدين - كطاقة وسلوك - يصبح أو يترتب عليه كوارث عديدة مركبة :

١ - كارثة أن يصبح المتدينون صرعى أو ضحايا (الخرافة) فلا تزال الخرافة تجهد في الاختلاط بالدين ، أو التستر به ، في حين أن من مقاصد الدين الحق ، ومن منهجه : مطاردة الخرافة ، ونفيها من عقول الناس وأفئدتهم ، ومن مجتمعاتهم ، ومن حياتهم العامة ، ومن هنا كان الأنبياء والمرسلون صلى الله عليهم وسلم هم قادة الكفاح ضد الخرافة بكل أنواعها ، ولا ريب في أن هذه المهمة قد آلت إلى العلماء الثقات الذين يحمون مسيرة التدين من الخرافة ، سواء كانت هذه الخرافة عقدية ، أو فكرية ، أو في مجال الوسيلة والعمل .

٢ - وكارثة الغلو : فتاريخ التدين مملوء بنماذج الغلو الملتصقة بالدين ، المتدثرة بدثاره ، وهذه مشكلة حقيقية ومريرة ، لا ينبغي أن تنتقد تاريخياً فحسب ، بل يجب نقضها في الواقع الماثل أيضاً ، إذ أنها مشكلة لا تفتأ تتبدى في المجتمعات المسلمة المعاصرة في نمطيها الرئيسيين : الغلو الفكري السلوكي العادي أو السلمي - إن صح التعبير - والغلو المقترن بالعنف والبطش ، وهذه مشكلة أو ظاهرة

نقضها الإسلام نقضاً كلياً بمنهج شديد الوضوح ، ففي القرآن :

أ - ﴿ **ألا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق** ﴾ .

ب - ﴿ **لا تغلو في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل** ﴾ .

وفي الحديث :

أ - « يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك الذين من قبلكم الغلو في الدين » .

ب - « عليك بالرفق ، وإياك والعنف والفحش » ، وبداهة ليس من العنف : الكفاح أو الدفاع المشروع عن الأرض والعرض والنفس والممتلكات .

من أولى الناس بنقض هذا العنف بعلم؟ أولاهم العلماء الذين يعلمون هدي الكتاب والسنة في نقض العنف وتجريمه ومكافحته ، والذين عليهم تبيين ذلك .ون كتمان .

٣ - وكارثة الفوضى في الاجتهاد : إن من حقائق الإسلام ومقرراته التي لا يجوز المراء فيها : دعوته الحارة إلى النظر والاجتهاد ، فما يفهم القرآن امرؤ عطل تفكيره وجمد عقله ، ذلك أن القرآن نزل ليتفكر من آياته : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ لكن الاجتهاد المندوب إليه ليس لأولئك الذين لا يملكون إلا القدرة على النطق ورص الكلمات المكتوبة فحسب ، أي أنهم غير راسخين لا في الكتاب ولا السنة ، ولا يملكون شرائط الاجتهاد الموضوعية ، وهي شرائط مختلفة طبعاً عن الشرائط التعجيزية .

إن فوضى الاجتهاد هذه كارثة مركبة ، فهي إذ تقتات على الإسلام من جهة ، فإنها - من جهة أخرى - تدفع الجامدين إلى مزيد من التحجر والجمود ، من حيث أن هؤلاء يستحسنون موقفهم الجامد حين يقارنونه بفوضى الاجتهاد ، والعلماء الحقيقيون هم الذين ينهون هذه الفوضى بالاجتهاد الصحيح المتجدد الواسع النطاق والمتنوع بتنوع القضايا والحاجات .

٤ - وكارثة الفوضى في الفتيا ، ولا سيما الفوضى في التحريم والتحليل ، يقول ابن القيم في كتابه المشار إليه آنفاً : « وقد حرم سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء ، وجعله من أعظم المحرمات ، بل جعله في المرتبة العليا منها ، فقال تعالى : ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾ .

فرتب المحرمات أربع مراتب ، وبدأ بأسهلها وهي الفواشح ، ثم ثنى بما هو أشد منها وهو الإثم والظلم ، ثم ثلث بما هو أعظم تحريماً ، وهو الشرك به سبحانه ، ثم ربع بما هو أشد تحريماً من ذلك كله ، وهو القول عليه بلا علم ، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه ، وقال تعالى : ﴿ **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع قليل ولهم عذاب أليم** ﴾ ، فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه ، وقولهم لما لم يحرمه : هذا حرام ، ولما لم يحلله : هذا حلال ، وهذا بيان منه سبحانه : أنه لا يجوز للعبد أن يقول : هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه » .

كيف تُنهى هذه الفوضى في الفتيا التي ابتلي بها المسلمون في عصرنا هذا؟ تنهى بالعلم ، العلم الراسخ ، ولا يكون العلم الراسخ إلا بالعلماء الراسخين ، ومن هنا في غياب العلماء الراسخين أو ندرتهم خسارة جسيمة جداً ، لأنه في ظل هذا الغياب أو في ظل الندرة يفشو الجهل ، ويتصدى للفتيا : الجهال ، ولقد قال النبي ﷺ : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا» .

تداعت هذه المعاني ونحن نودع العالم الكبير الشيخ محمد بن صالح العثيمين الذي جرد نفسه لطلب العلم الشرعي في مصادره الصافية ، وترك ثروة علمية جزيلة .

نودعه - رحمه الله - ونحن نذكر فضل الله الواسع ، وخيره الذي يفيض ولا يغيض ، ووعده الذي لا يخلف ، وعده على لسان رسوله بوجود الطائفة المنصورة في هذه الأمة إلى يوم القيامة ، فأول وأعظم مقومات هذه الطائفة المنصورة بما معها من حق هو : العلم بالله ، وبكتابه ، وسنة رسوله ﷺ ، وهذا وعد بأن الأرض لن تخلو من عالم قائم بالحجة ، ولا قنوط مع وعد الله عز وجل .

(جريدة الشرق الأوسط ، العدد : ٨٠٨٢)

الموت في نظر فقيد الأمة ابن عثيمين

بقلم الأستاذ : صالح بن يحيى الزهراني

* محاضر بقسم التربية بجامعة الملك عبد العزيز *

خراب الأرض ، ونقص أطرافها يكون بموت علمائها ، قال ذلك جمع من المفسرين عند تفسير قول الله تعالى : ﴿**أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها**﴾ .

وفي الأثر عن الحسن - رحمه الله - أنه كان يقول : موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار» ، وأي ثلمة اليوم أصابت الأمة كثلمة موت فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح بن عثيمين غفر الله له ورفع درجته وأخلف المسلمين في مصيبتهم خيراً .

قرابة سبعين عاماً عاشها مع العلم طالباً فقيهاً مجتهداً عاملاً ، كم علم؟ وكم أفتى؟ وكم ربى؟ وكم تخرج تحت يديه من طلبة العلم؟ ليس على مستوى هذه البلاد فحسب ، بل على مستوى العالم الإسلامي .

كان رحمه الله صاحب منهج ومدرسة مستقلة في الدعوة إلى الله والتعليم والفتيا ، يربي ويعلم ، ويتعهد الناس بصغار العلم قبل كباره ، وبأصوله قبل فروعه ، ويحرص كثيراً على فهم المستفتي وطالب العلم ، فيحاوره ، ويسأله ، ويفقهه ، غيرة عليه وحرقة أن يفوته العلم .

لن أتحدث عن موت الشيخ غفر الله له ولكن سأترك الشيخ يتحدث عن الموت ، ونتعرف على نظرته العجيبة لنهاية الإنسان في الحياة الأولى ،

فقد تكلم - رحمه الله - كلاماً نفسياً عن حقيقة الموت يكتب بماء الذهب هذا الكلام وجهه غفر الله له قبل سنين إلى طلابه في مقدمة شرحه لكتاب الجنائز ، كما جاء في الشرح الممتع ، فقال - رحمه الله وقدس روحه ورفع درجاته - :

« ينبغي للإنسان أن يتذكر دائماً الموت ، لا على أساس الفراق للأحباب والمألوف ؛ لأن هذه نظرة قاصرة ، ولكن على أساس فراق العمل والحرث للآخرة ، فإنه إذا نظر هذه النظرة استعد وزاد في عمل الآخرة ، وإذا نظر النظرة الأولى حزن وساءه الأمر ، وصار على حد قول الشاعر :

لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بادكار الموت والهرم

فيكون ذكره على هذا الوجه لا يزداد إلا تحسراً وندماً ، أما إذا ذكره على الوجه الأول ، وهو أن يتذكر الموت ليستعد له ويعمل للآخرة ، فهذا لا يزيده حزناً ، وإنما يزيده إقبالاً على الله عز وجل ، وإذا أقبل الإنسان على ربه فإنه يزداد صدره انشراحاً وقلبه اطمئناناً .

وينبغي للإنسان أن يتذكر حاله ونهايته في هذه الدنيا ، وليست هذه النهاية نهاية ، بل وراءها غاية أعظم منها وهي الآخرة » .

هذا هو الموت في نظر علامة الأمة وفقيدها فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين غفر الله له وأنزله الفردوس الأعلى ، وحشره في زمرة الأنبياء والصالحين والصديقين .

ومن تأمل حياة الشيخ - رحمه الله - وسيرته العطرة وجدها تطبيقاً وممارسة لنظرته السابقة عن الدنيا والموت ، ولذلك سخر حياته وجهده ووقته ليستعد للآخره - نحسبه كذلك - فكان مثلاً عظيماً لاستثمار العمر

والوقت في طاعة الله ما بين تدريس وفتوى ودعوة إلى الله وتربية للشباب وطلب للعلم ، إلى مسابقة في الخيرات وجلد عجيب في المحافظة على السنن والنوافل والتزود من الصالحات ، فكانت حياته غفر الله له وقفاً لله ما بين علم وتطبيق وعبادة .

نسأل الله العظيم أن يغفر ذنوب الشيخ جلها ودقها ، كبيرها وصغيرها ، كما نسأله أن يأجرنا في مصيبتنا وأن يحسن عزاءنا ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة عكاظ ، العدد : ١٢٥٥٨)

اليوم ينهدُّ جانب عظيم من الحكمة والفقه

بقلم الشيخ : خالد بن عبد الرحمن الشايع

الحمد لله الحي القيوم ، وصلى الله وسلم على البشير النذير محمد ابن عبد الله رسول الله ومصطفاه ، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

فقد كان لوفاة الشيخ محمد بن عثيمين أثرها العظيم في نفوس الناس ومن باب الثناء على المحسنين بسجاياهم الكريمة وخصالهم الحميدة فهذه إشارة مختصرة لبعضها :

الإمامة العلمية العالمية للشيخ ابن عثيمين :

الشيخ محمد بن صالح العثيمين إمام علم ، وعالم جهبذ ، فقد كان - رحمه الله - على جانب عظيم من العلم بشريعة الله ، وقد لحظ العلماء ما حبا الله الشيخ من البصيرة في دين الله ، فقد كان متمكناً من فنون العلم المختلفة ، فإن نظرت إلى علمه بكتاب الله وتفسيره فالشيخ لا يشق له غبار في ذلك ، فقد كان له من استحضار الكتاب العزيز واستظهاره ما كأن السامع له يقول إنه منشور بين ناظريه ، وزان ذلك تمكنه من علوم القرآن بما مكنه من الاستنباط وانتزاع الدلالات على مختلف المسائل .

وإن نظرت إلى علم الشيخ في السنة المطهرة فأنت واجد أنه قد أخذ بحظ وافر من العلم بها ، وخاصة بعدما انتقل أوائل عمره من عنيزة إلى الرياض ، والتقى بسماحة الإمام علامة الجيل عبد العزيز بن باز - رحمه

الله – ودرس عليه ، ثم استمراره بعد ذلك في العناية بالسنة تعلماً وتعليماً حفظاً وتدريساً ، ولهذا فقد كان الشيخ يوشك ألا يذكر مسألة من العلم إلا وأتبعها بدليلها من الكتاب أو السنة .

وإن نظرت إلى علم الشيخ في الفقه فأنت واجد علماً غزيراً وفهماً متيناً ، وذلك لعناية الشيخ بأصول الفقه وقواعده ، واطلاعه على مذاهب العلماء في ذلك ، ثم ما كان يتمتع به من قدرة على الترجيح والاختيار وفق ما تقتضيه دلالات النصوص الشرعية ، وبالنظر كذلك إلى عنايته بمناهج المحققين من العلماء المتقدمين ، وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم – رحمهما الله – .

وهكذا عناية الشيخ باللغة العربية وقواعدها وفقهها ، كان ذلك منه واضحاً ومشهوداً في تدريسه واستشهاداته واستنباطاته .

ولما كان الشيخ – رحمه الله – على هذا الجانب العظيم من أخذه بفنون العلم وتمكنه منها فقد مكنه ذلك من الاجتهاد وبلوغ مرتبته ، ولأجل ذلك فقد كانت اختيارات الشيخ وترجيحاته محل عناية ورعاية لدى أهل العلم ، ولهذا بات رأي الشيخ في المسائل الفقهية وبخاصة الحوادث منها مما يحرص العلماء والباحثون أن يقفوا عليه ويتبينوه .

كما كان لعضويته في هيئة كبار العلماء في المملكة وزنها ومكانها المعظم في نفوس أهل العلم ، وكان ما يصدر عنه محل اعتداد والتفات عظيم إليه ، بالنظر لصدوره عن عالم متقن محرر متمكن .

ولم تكن تلك المكانة العلمية للشيخ – رحمه الله – مقصورة على المملكة ، بل إنها على مستوى عالمي ، فالمسلمون في أرجاء الأرض

يحتفون حفاوة عظيمة بعلم الشيخ وبما يصدر عنه من الفتاوى ، ويجتهدون غاية الاجتهاد في تحصيل ذلك .

عنايته بالعقيدة الصحيحة والذب عنها :

ومن المجالات التي عني بها الشيخ – رحمه الله – العقيدة الإسلامية التي جاء بها نبينا محمد ﷺ وكان عليها السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، ولأجل ذلك لم يزل الشيخ معتنياً بهذا الباب من خلال عدد من الوسائل : تأليفاً وتعليماً وتقعيداً وذباً ورداً على المخالف ، ومن مظاهر عناية الشيخ – رحمه الله – بالعقيدة مؤلفاته النافعة في العقيدة ، سواء ما كان منها بالتصنيف ، ككتاب «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى» وغيره ، أو بالشروح لكتب العقيدة كشرحه للعقيدة الواسطية ، وشرحه للعقيدة الحموية ، وشرحه لكتاب التوحيد ، وغير ذلك ، وهكذا إجابات الشيخ المحررة المتقنة عن كثير من مسائل العقيدة الحادثة التي قد تلتبس على كثير من الناس .

عنايته بالتعليم وبالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

تميز الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله – بما شاهده الناس من قيامه بالدعوة إلى الله على منهاج حكيم ، ولهذا فقد كانت أوقات الشيخ عامرة بكل ما فيه نفع للإسلام والمسلمين ، فدروس الشيخ التي جعلت من مدينة عنيزة بمنطقة القصيم مقصداً لطلاب العلم ، ليس من المملكة فحسب ، بل من أنحاء العالم المختلفة ، وقد التقيت بعدد من طلاب العلم في مختلف قارات العالم ممن درس عند الشيخ أو أعد عدته لذلك ، وإن

حرصهم على الحضور عند الشيخ والتلقي عنه أعظم من حرصهم على أن يقبلوا وينتظموا في أروقة الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي ، وذلك لما عُهد عن الشيخ من العلم العظيم والتعليم المتقن والعناية بطلاب العلم ، وتنوع فنون العلم في مجالسه العلمية ، وقد اشتهر عنه ذلك ، وهو كذلك.

ولما كان كثيرمن المسلمين خارج المملكة يشق عليهم الحضور عند الشيخ فقد سعى عدد من محبي الشيخ والحريصين على علمه والتلقي عنه إلى عقد دروس شهرية عبر الهاتف ، وذلك بنقل الدرس عبر الهاتف من مكان إقامة الشيخ في المملكة إلى المساجد والمراكز الإسلامية في عدد من الدول في الخارج ، بحيث يتم الإعلان المسبق عنها ، والتنظيم الدوري لها في زمان محدد - كل شهر مثلا - ثم يجيب الشيخ عن أسئلة الحضور ، وقد عظم نفع هذا العمل ، واستفاد منه خلق من الناس .

ومن مظاهر عناية الشيخ بالدعوة إلى الله مشاركاته المستمرة والمنتظمة عبر إذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية ، عبر عدد من البرامج كبرنامج « فقه العبادات » و « نور على الدرب » ، و « من أحكام القرآن الكريم » ، و « سؤال على الهاتف » ، وغيرذلك .

وهكذا ما كان يعقد للشيخ من المحاضرات العلمية المتنوعة في مختلف مناطق المملكة ، وكانت تشهد إقبالاً عظيماً من عموم الناس لما يجدون فيه من العلم والاطمئنان لما يصدر عن الشيخ من الفتيا والتعليم والتوجيه ، وكذلك خطابته في الجامع الكبير في عنيزة منذ وفاة شيخه العلامة عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - عام ١٣٧٦ هـ .

ولم يكن الشيخ - رحمه الله - بمعزل عن المجتمع وما يحدث فيه من

المنكرات التي لا يسلم منها مجتمع في أي مكان وزمان ، وقد كان للشيخ وقفاته المشهودة في ذلك ، حيث يسعى جهده وطاقته لإنكار المنكر الذي بلغه بالمعروف ، ولأن للشيخ مكانته وتقديره لدى ولاة الأمر في المملكة فقد كان دائم التشاور معهم والمناصحة فيما يبلغه من الأمور ، وكانوا يتلقون منه ذلك بالقبول والعناية والاهتمام إدراكاً منهم لمكانة الشيخ وما عنده من العلم والبصيرة والغيرة لدين الله .

عناية الشيخ بالتصنيف والتأليف :

من الملاحظ على عدد من علماء المملكة إقلالهم من التأليف والتصنيف ، وذلك بالنظر إلى قيامهم بأعباء متنوعة من التعليم والفتيا والدعوة إلى الله وغير ذلك ، مما جعل مؤلفاتهم لا تتواكب مع العلم الغزير الذي أوتوه ، غير أن الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله – قد يسر الله له أن يكون له من المصنفات النافعة ما طبقت شهرتها الآفاق ، وصار ما يصدر عنه من مؤلفات محل عناية طلبة العلم في أنحاء العالم ، ويتلهفون لكل ما يحرره من المصنفات المتنوعة ، لما يجدون فيه من العلم المتين ، والفقه العميق مع قيام الشيخ في الحين نفسه بأعباء الدعوة والتعليم وغير ذلك من مهامه النافعة .

أسلوبه المتميز في التربية والتعليم :

تميز الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله – بأسلوب عال ومتميز في التعليم ، بحيث أنه يجعل الطالب بين يديه منتبهاً له غاية الانتباه ، وآتاه الله من القدرة على تيسير العلوم وتبسيطها الشيء العظيم ، ولم يكن تعليم الشيخ لطلابه تعليماً مجرداً من العمل والتطبيق ، بل كان الشيخ

- رحمه الله - يقرن تعليمه بالتوجيهات الأبوية والتربوية ، ويؤسس في نفوس طلابه مراقبة الله تعالى ، ويوصيهم بالعلم ما علموا ، وينبههم إلى ضرورة الرفق بالناس لدى دعوتهم ، وتأليف قلوبهم والتلطف معهم ، وقد كان التطبيق الفعلي لتلكم اللفتات يظهر جلياً في معاملة الشيخ لطلابه ، بل وفي عموم تعامله مع الناس .

عناية الشيخ بجمع الكلمة وتحذيره من التفرق والاختلاف :

من المعالم البارزة في منهج الشيخ - رحمه الله - ما كان يحرص عليه من جمع الكلمة ونبذ كل سبب للاختلاف ، فقد كان الشيخ ينبه طلبة العلم إلى أن الواجب عليهم تأليف القلوب والحرص على اجتماع الكلمة والحذر من الانزلاق فيما يؤدي إلى الفرقة والاختلاف .

وأنت واجد مما يدل على ذلك أن الشيخ - رحمه الله - مع عنايته بالرد على المخالفين للشرع في مجالات متنوعة أنه كان يرد عليهم بأسلوب يكتسي حكمة وأدباً ، فلا يلمز ولا يعير ولا ينتقص ، بل همه بيان الحق ورد ما خالفه ، وأنت واجد أيضاً أن الشيخ كان رذا عرض عليه سؤال وفيه تصريح باسم أحد من الناس يقترن بفعل سيىء فقد كان ينهى عن التصريح بالاسم ، ويرشد إلى ما ينبغي دون تحديد صاحب المنكر ، سواء أكان معروفاً عن الناس أم من دهمائهم ، ثم قف على هذا النص من كلام الشيخ عن شرحه لكتاب الزاد ، حيث يقرر قاعدة جليلة فيقول : «إن السلف إذا اختلفوا في شيء وليس هناك نص فاصل فإن الأمر يكون واسعاً» وقرر الشيخ قبل ذلك أن المسائل العلمية والخلاف فيها ينبغي أن يكون في إطار من الود والاحترام ، وأن يُسعى لجمع كلمة الأمة واتفاقها ، والحذر من أن يكون

الاختلاف في الرأي الذي يسوغ فيه الاجتهاد سبباً لتضليل الآخرين ومفارقتهم .

ومن مجالات حرص الشيخ على جمع الكلمة تأكيده وعنايته على ضرورة الاجتماع على ولاة الأمر وتحذيره من كل ما يؤول إلى الخروج عليهم ومشاقتهم ، مع قيامه في الحين نفسه بواجب النصح بالحكمة والموعظة الحسنة .

أدب جم وزهد وتواضع وخلق كريم :

مهما التقيت بالشيخ فأنت واجد تلك الابتسامة التي تنبئك عن حسن الطوية وصفاء السريرة من الشيخ نحو الآخرين ، وكان الشيخ برغم المهابة التي يضفيها عليه ما آتاه الله من العلم في دينه والبصيرة فيه كان يلقى الناس بالحفاوة والمبالغة في الترحاب بهم وسؤالهم عن أحوالهم ، حتى ولو كان من أمامه صغيراً في سنه .

ومما تحلى به الشيخ ذلك الزهد الذي يذكرك بزهد السلف الصالح وورعهم ، كان ذلك في لباس الشيخ المتواضع ، وفي بعده عن كثير من مظاهر الأبهة التي يتعاطاها كثير من الناس ، وجملة القول : إن الشيخ قد زانه الله بخلق كريم في بيته ومع أهله ، ومع طلابه ، وعموم الناس .

وبعد فذلكم هو الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين نحسبه على خير عظيم ، ولا نزكيه على الله ، ولا نغلو فيه ، ولا نقول ما فيه المخالفة للشرع ، ولكنا نشهد له بالخير ونثني به عليه .

ولا ريب أن موته ثلمة عظيمة ومصيبة كبيرة ، ومما يبين أثر موت العلماء على الأمة ما نقله المفسرون في تفسير قول الله تعالى : ﴿ **أولم يروا**

أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ وقال عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – خرابها بموت فقهائها وعلمائها وأهل الخير منها .

ومما جاء في بيان الرزية بفقد العلماء ما رواه الشيخان في صحيحيهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» .

قال ابن مسعود – رضي الله عنه – يوم مات عمر :« إني لأحسب تسعة أعشار العلم اليوم قد ذهب» .

وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس : قال : «إذا هلك علماؤهم» .

ونقل عن علي وابن مسعود وغيرهما قولهم : «موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار» .

وقال سفيان بن عيينة : «وأي عقوبة أشد على أهل الجهل أن يذهب أهل العلم» .

وهذا لا يعني القنوط والتشاؤم والتطير ، فقد مات من قبل سيد العلماء وإمام الأتقياء محمد ﷺ ومن بعده صحابته النجباء وأتباعهم النبلاء ولم يزل دين الله باقياً ظاهراً ، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بإذنه تعالى ، ولكن المقصود هو بيان مكانة العلماء في الأمة ، وأن يعرف الناس منزلتهم عند الله وعند رسوله ﷺ ، وأن الخير قريب منهم ما بقوا بينهم ، ليستفيدوا من هديهم وينهلوا من علمهم وينزلوهم المنزلة

اللائقة بهم من التقدير والتكريم والرجوع إليهم فيما يشكل عليهم ، وإن يعلموا أنهم أمنة لهم بإذن الله تعالى ، لأنهم مصلحون والله لا يهلك القرى وأهلها ما دام فيها المصلحون .

اللهم ارحم عبدك محمد بنٍ عثيمين ، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة ، واخلف على الأمة فيه خيراً ، وصلاة ربي وسلامه على عبده ورسوله محمد ﷺ .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩١)

فراق الشيخ الجليل

بقلم الكاتبة الأستاذة : فاطمة العتيبي

ويرحل الشيخ الجليل .. يترجل الفارس .. ويترك صهوة حصانه .. وتطلق الدنيا برمتها آهة حارقة ..

أحسستها تمنح كل شيء مساء الأربعاء مذاقاً حزيناً مريراً .. يدهم قلوب الأمة جمعاء ، تلك التي تبكي رحيل شيخها الجليل ..

جاءني صوت شقيقي مساعد :

« الشيخ يطلبك الحل .. أردت أن أبلغك بنفسي فلا تفزعي من التلفزيون » .

وكان أخي يتابع حالة الشيخ من أبناء الشيخ بأنفسهم ..

فيحزننا تارة ، ويطمئننا تارة .. ولم يك هذا حال بيتنا فقط ، بل كانت أحوال عنيزة كلها ، وكل من عرف الشيخ وأحبه .. وارتبط الناس بفضيلة الشيخ محمد .. كما يتداول اسمه في عنيزة .. مدينته التي عاشت مساء الأربعاء يوماً ممضاً حارقاً .. ارتباطاً تعاظم أمره من المدينة الصغيرة ، وتمادى حباً وتقديراً من ناحية كافة العالم الإسلامي ، وكان مرده ذلك الجهد العظيم ، والمكانة الرفيعة التي اكتسبها فضيلته بجده واجتهاده ودأبه على العلم والعمل به والتيسير على الناس وتنوير دروبهم بالفتوى المستندة إلى الكتاب والسنة ، ورعايته للمحتاجين ، ودعمه لطلاب العلم

وفقراء المسلمين في كل مشارق الدنيا ومغاربها .

استعدت الآن فقط ..

الجامع الكبير بعنيزة وكيف كنا « طفلات » نتوق للنظر في داخله ومعرفة أسرار هذا الجامع الذي يحتشد الناس عنده كل ظهر جمعة ..

وكبرنا قليلاً وصرنا نتجه إلى عمق المدينة الصغيرة ناحية المدارس المتوسطة ، وظل منظر سير الشيخ محمد الحثيث مشياً على أقدامه باتجاه منزله بعد فراغه من صلاة الظهر ، ويسير معه من يستفتيه أو يلتقيه للسلام منظراً مهيباً ظل محفوراً في الذاكرة ..

وكبرنا أكثر ، واستيقظت صحوة دينية عارمة اتشح معها عالمنا بكل تفاصيله بالبياض ، ونحن نرقب كيف يتحول العالم إلى اتجاهات الإيمان بعد الملل والسأم واللاجدوى من كافة التجارب والتيارات .

فكان لعنيزة موقعها الإيماني الكبير الذي تمثله الشيخ محمد بن عثيمين في جامعه الكبير .. الذي تبكي مآذنه اليوم فراق إمامها ..

ولقد كنا طيلة الشهور الماضية محزونين متألمين مفزوعين من هاجس رحيله – رحمه الله – وأسكنه فسيح جناته .

ولقد رأيته – يرحمه الله – فيما يرى النائم وأنا في جده في الصيف الماضي ، وكان فضيلته واقفاً في لجّة بحر عظيم ، لكنه واقف دون أن تبتل له ثياب ، ودون أن يتأثر هندامه المعروف بغترته وثوبه وعقاله بهدير الموج حوله ..

ولقد كان واقفاً مبتسماً رافعاً يده ..

ولقد أدهشتني هذه الرؤيا وتأملت كثيراً في يومي الذي أقضيه في سفري ، وهل فيه ما يمكن صلته بهذا الحلم حتى قرأت بعد يومين من هذا أن الشيخ قد سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإجراء الفحوصات ..

فسميت الله كثيراً ودعوت للمغادر بطي السفر والعودة إلى الديار مسرور الخاطر .. وللشيخ في نفوس تلاميذه مكانة أعظم ، والذين عرفوه وعرفوا جم أخلاقه هم أشد ألماً لفقده ..

فهو في القلب والعقل - رحمه الله - يعرفه أطفال المدينة قبل شيوخها ، وتقدره كبيرات النساء قبل صغيراتها ، فليرحمه الله وليعوضنا خيراً بفقده ، وليلهم أهله ومحبيه السلوان ..

وليرحم الله أمي تلك التي دعت الله قبل ثلاثة أيام من وفاتها وهي على سرير المرض في تخصصي «بريدة» ألا يأخذ الله أمانتها إلا في يوم الجمعة ، وأن يمهلها الله لكي تحظى بصلاة الشيخ عليها بجامعه الكبير في ظهيرة الجمعة .

ولقد كان الله سبحانه كريماً عظيماً معها فقد غادرت روحها إلى بارئها مع إشراقة شمس يوم الجمعة فاستعجل أشقائي وسابقوا الزمن وأنهوا الإجراءات سريعاً ليلحقوا بأمي إلى حيث يقف فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين فيكرب عليها ، ويصلي عليها مع جموع الناس في صلاة الجمعة صلاة الميت ..

أفلا يكون فقد فضيلته فقداً عظيماً وهو التقي الصالح الذي لم يغادر عقول الناس وقلوبهم حتى وهم يعاركون لحظات الموت والرحيل ..

رحم الله أمواتنا وأعاضنا عن علمائنا خيراً ، ويسر الله لنا من يخلف

علماءنا الكبار فلا يشيع بيننا الخوف من رحيل العلماء ، وقبض الله العلم بقبضه العلماء تباعاً .. اللهم آمين .. والعزاء العزاء أيها المؤمنون بتقوى الله التي كانت آخر وصايا الشيخ الجيل .

(جريدة عكاظ ، العدد : ١٠٣٣٤)

فقيد الأمة الإسلامية

بقلم : الشيخ محمد العثمان القاضي

في ليلة الخميس .. وما أدراك ما ليلة الخميس ، فقد العالم الإسلامي علماً من الأعلام ، وشخصية فذة ، إنه العالم العامل بعلمه الشيخ محمد بن صالح العثيمين من قبيلة تميم من فخذ الوهبة ، فكان لمصابه الوقع المؤلم في نفوس كل من انتفع بعلومه ، وحقاً إن فقده خسارة فادحة على عموم المسلمين من عارفي فضله ، ففيه خصلتان من السبعة الذين يظلهم الله في ظله كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ، فهو شاب نشأ في عبادة الله ، وهو رجل قلبه معلق بالمساجد ، كما أنه متصف بصفتين يحبهما الله ، الحلم والأناة ، كما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ لأشج عبد قيس .

ولد الفقيد في عنيزة في رمضان ١٣٤٧ هـ ، وتربى تربية حسنة من الجانبين من أب صالح ، وجده من قبل أمه ممن عرف بالورع والزهد والديانة الشيخ عبد الرحمن بن دامغ إمام مسجد الخريزة ، ومدرس الكتاتيب ، فحفظ القرآن عليه ، وتعلم مبادىء العلوم عنده ، وربما استفاد في الإمامة وهو يافع من مشايخه الشيخ محمد العبد العزيز المطوع ، والشيخ عبد الرحمن بن عودان قاضيي عنيزة ، وشيخنا عبد الرحمن بن سعدي ، وهو أكثر مشايخه نفعاً له ، فقد لازمه في جلساته كلها زمناً ، ولما ارتحل والده إلى الرياض حاول أن يصحبه معه ، فطلب شيخنا منه أن يبقيه للانتفاع ضمن المتفوقين ، فلبى طلبه ، كما طلبه مدير التعليم للتدريس ، فاستشار

شيخه ، فقال : لا أوافق ، وقال كلمته الشهيرة ، هل أنتم تاركو لي ولدي؟ لما يرى عنده من إقبال منقطع النظير .

ولما افتتح معهد الرياض العلمي عام ١٣٧١ هـ انتظم به ، فشق ذلك على شيخه ، وحينما افتتح معهد عنيزة عام ١٣٧٣ هـ تعين مدرساً فيه ، ولما افتتحت جامعة الإمام بالقصيم تعين مدرساً فيها إلى قرب وفاته .

ومن مشايخه سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - والشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - وطلابه لا يحيصهم العد ، ومن أبرزهم في المعهد العلمي علي المحمد الزامل ، وعبد العزيز المساعد ، ومحمد الصغير ، وحمد المرزوقي ، وعبد الله الصيخان ، فهم من طلابه ، ومن زملائه آخرون لا يتسع المجال لذكرهم .

أما مؤهلاته العلمية فقد تخرج من كلية الشريعة بالرياض انتساباً من الفوج الثاني ، ونال الجائزة العالمية جائزة الملك فيصل ، وله نشاط في التأليف ملموس ، ومن أبرز مؤلفاته حاشية على الروض المربع ، وتسهيل الفرائض ، وحاشية على الحموية والواسطية ، وتعليقات على زاد المعاد ، وأعلام الموقعين لابن القيم ، وعلى مغني اللبيب ، ورشحه شيخه قاضي عنيزة محمد المطوع بعد وفاة شيخنا ابن سعدي لإمامة الجامع الكبير بعنيزة عام ١٣٧٦ هـ ، والتدريس فيه ، وقام بنشاط ملموس بقلمه السيال في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمنظورة في شتى الفنون ، ودرس في المسجد الحرام في مواسم الحج والعمرة ، وبالجملة فقد فقدنا أحوج ما نكون لمثله ، وفي الحديث : «إن الله لا ينتزع العلم انتزاعاً من صدور الرجال ، وإنما ينتزعه بانتزاع العلماء» . .

عرفت الفقيد من عام ١٣٦٠ هـ وزاملته وتتلمذت له خمساً وثلاثين سنة ، فهو زميلي وشيخي ، ونعم الزميل والشيخ ، يقول ابن عباس – رضي الله عنه – في قوله تعالى : ﴿**أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها**﴾ هو موت العلماء والصالحين . ويقول الشاعر :

لعمرك ما الرزية فقد مال ... ولا فرس تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد شخص ... يموت بموته بشر كثير

وإن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، ودركاً من كل فائت ، وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٤)

وإنا لفراقك يا ابن عثيمين لمحزونون

بقلم : الشيخ رضوان بن عبد الكريم المشيقح
* رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ببريده *

الحمد لله وحده .. وبعد :

فإن العلماء لهم المنازل السامية في قلوب الأمة المحمدية ، وذلك نظراً لسعة علومهم ، وعظم إخلاصهم في سبيل خدمة دين الله ، وسنة نبيه ﷺ ولأنهم بذلوا غاية وسعهم في سبيل إسعاد أمتهم مما خلفوه من ثروة دينية ومجموعة فقهية ، ولو تمسك المسلمون اليوم بها واهتدوا بهديها واقتبسوا من نورها ، وتركوا المذاهب المرتجلة ، وطرحوا القوانين الوضعية العليلة ، لعمتهم بإذن الله تعالى الرحمة والسعادة ، ولحالفتهم المعرفة والهداية ، ولفارقتهم الحيرة والعماية .

حيث أن الله جل جلاله اختص من خلقه من أحب فهداهم للإيمان ، ثم اختص من سائر المؤمنين من أحب فتفضل عليهم ، فعلمهم الكتاب والحكمة ، وفقههم في الدين ، وعلمهم التأويل ، وفضلهم على سائر المؤمنين ، وذلك في كل زمان ومكان ، رفعهم بالعلم ، وزينهم بالحلم ، بهم يُعرف الحلال من الحرام ، والحق من الباطل ، والضار من النافع ، والحسن من القبيح ، فضلهم عظيم ، وأجرهم جزيل ، هم ورثة الأنبياء ، وقرة عين الأولياء ، فالحيتان في البحار تستغفر ، والملائكة بأجنحتها لهم تخضع ، والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع ، هم أفضل من العباد ، وأعلى درجة

من الزهاد ، حياتهم غنيمة ، وموتهم مصيبة ، يذكرون الغافل ، ويعلمون الجاهل ، فهم سراج العباد ، ومنار العباد ، وقوام الأمة ، وينابيع الحكمة ، وغيظ الشيطان ، بهم تحيا قلوب أهل الحق ، وتموت قلوب أهل الزيغ والضلال ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء ، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، وإذا انطمست النجوم تحيروا ، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا ، قال تعالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ .

وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ولكنهم ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر » .

ولهذا الشرف العظيم رفع الله قدر المؤمنين والعلماء في درجات الدنيا والآخرة ، فقال عز من قائل عليم : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير** ﴾ .

ولقد كانت خلافة آدم على الأرض وفضله على الملائكة بسبب العلم الذي من الله تعالى عليه وحباه به دون الملائكة ، وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » ، وليس أعظم منصباً من إنسان أراد الله به الخير ، ومن أراد الله به الخير فقد سعد في الدنيا والآخرة ؛ لأن العلم هو العمل الباقي بعد أن تنقطع الأعمال بالموت ، ولصاحبه من الثواب ما يدوم حتى تقوم الساعة .

لقد قدر الله علينا في السنوات القريبة الماضية أن نودع علماءنا الأعلام واحداً بعد الآخر ، وهي علامة آخر الزمان ، فمنذ أن ودعنا العلامة المجاهد

الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ علي الطنطاوي ، وكذلك الشيخ مصطفى الزرقاء ، والشيخ ناصر الدين الألباني ، والشيخ أبو الحسن الندوي والشيخ مناع القطان ، والشيخ عطية سالم ، والشيخ سيد سابق ، ومن قبل ذلك فضيلة الشيخ صالح بن غصون ، والمفسر الكبير الشيخ محمد متولي الشعراوي – رحمهم الله جميعاً – والآن وفي الأمس القريب ودعنا العالم الأكبير ، فقيه هذا العصر الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين وجميع علمائنا رحمة واسعة .

لقد كان الشيخ ابن عثيمين من أبرز علماء هذه الأمة وفقهائها ، صاحب الكتب والشروح والفتاوى المعروفة ، والدعوة والمحاضرات واللقاءات المفتوحة ، عرفه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، وملأ حيزاً في كثير من المكتبات ، فلا تجد في الغالب أحداً من طلبة العلم إلا وعنده مجموعة من كتب ومسائل هذا الشيخ الجليل ، ولا تجد مسألة علمية إلا وله رأي فيها سواء في الفقه أو العقيدة ، والشيخ له أسلوبه المميز في طرحه لكثير من المسائل الفقهية ، ذلكم الأسلوب الميسر والمبسط الذي يعرفه العالم والمتعلم بل والعامي أيضاً ، بعيداً عن وعورة المصطلحات والتعقيدات اللفظية التي ينتهجها بعض المتعلمين .

والذي أهم من ذلك وعُرف به الشيخ – رحمه الله – أنه ما يذكر في الغالب مسألة إلا ويعقبها بالدليل ، ويستمع دائماً لوجهة نظر المخالف ، وما لديه من اعتراضات ، فهو – رحمه الله – رحب الصدر ، بسيط الجانب ، بعيد عن العنف والغلظة ، له شخصية متميزة في الفقه ، فهو ليس مبتدعاً ، ولا مقلداً ، وإنما له شخصيته المتميزة عن كثير من الفقهاء ، مستندة دائماً في كثير من الفتاوى إلى القرآن الكريم ، وهذا كثيراً ما يصرح به في كثير من

المحاضرات بأن على طالب العلم أن يبدأ أولاً بالدليل من الكتاب ، فإن لم يجد فإلى السنة ، وهكذا ، حسب الترتيب المعروف .

أما من ناحية المنهج فإن الشيخ – رحمه الله – أخذ بأيدي كثير من الشباب من العنف والتزمت والعاطفة إلى منهج التبسيط واليسر ، وأن هذا الدين بأحكامه ومنهجه دين الحنيفية السمحة ، وأن الله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ورفع الحرج والمشقة من عباد الله .

لقد عاش الشيخ ابن عثيمين طوال عمره للعلم والدعوة والفقه وسائر علوم الدين تاركاً ثروة علمية من كتب ورسائل وأشرطة وفتاوي وعلم نافع وتاركاً هذه السيرة الطيبة ، وتاركاً التلاميذ الذين ألفهم وألفوه ، ويدعون له بالمغفرة والرحمة ، وتاركاً الذكر الحسن كما سماه أمير الشعراء أحمد شوقي :

دقات قلب المرء قائلة له   إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها   فالذكر للإنسان عمر ثاني

ومع هذا فلا ينبغي لأحد أن يقول : ذهب العلماء ، وذهب الصالحون ولم يبق في الناس بركة ، بل نقول بقي فيهم علماء خير وصلاح إن شاء الله فقد صح عنه ﷺ عند الإمام أحمد وغيره من حديث أنس – رضي الله عنه – أنه قال : « مثل أمتي مثل المطر لا يدرى في أوله الخير أو في آخره » فما زال في هذه الأمة ولله الحمد علماء خير وصلاح وعقيدة ، فهي أمة مباركة أينما كانت ، فهي تعطي الخير ، وتنشر الصلاح في أرجاء البلاد ، والدين دين الإسلام رسمه الشارع ، وهو لا يقوم على الأشخاص ، وإنما تكفل الله به إلى يوم الدين ، ولقد مات محمد بن عبد الله ﷺ ومع ذلك

قال أبو بكر مقالته المشهورة : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وكذلك من بعده مات الخلفاء الراشدون ، وهذه سنة الله في خلقه ، والحمد لله على كل حال .

فأحسن الله عزاءنا وعزاءكم في هذا المصاب الجلل ، ولله تعالى ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى .

وإن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا ابن عثيمين لمحزونون .

اللهم يا حي يا قيوم ، نسألك أن تفسح له في قبره ، وأن تجزيه خير ما جزيت عاملاً على عمله ، آمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

(جريدة عكاظ ، العدد : ١٠٣٣٤)

فقيه الأمة وفقيدها

بقلم : الشيخ محمد بن سعد السعيد

* إمام وخطيب جامع سلطانة الشرقي الرياض *

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

لا يخفى على الجميع أن الموت حق ، وكأس مر ، حق على الجميع أن يشرب منه ، ويتجرع غصته ومرارته ، قال تعالى : ﴿ **كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ ، فكم أودعنا الأجداث ، وو ارينا من صديق وعزيز وحبيب رحلوا عنا بدون رجعة ، فنسأل الله لهم الرحمة ، وأن يرزقنا العبرة والاتعاظ ، وفي آخر الزمان يقبض العلم بموت العلماء وفنائهم ، قال ﷺ : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساء جهالاً ، فسألوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » متفق عليه .

وفي مساء يوم الأربعاء الموافق للخامس عشر من شهر شوال لعام ١٤٢١ هـ فجع العالم الإسلامي بنبأ وفاة عالم من علمائه الأفذاذ الذين قضوا حياتهم في طلب العلم ونشره وتعليمه والدعوة إلى الله عز وجل ، ألا وهو فضيلة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عضو هيئة كبار العلماء ، والمحاضر بكلية الشريعة بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم ، وإمام وخطيب الجامع الكبير في محافظة عنيزة - رحمه الله -

وغفر له وأسكنه فسيح جناته ، ونوّر ضريحه ، وأنزله منازل الأبرار ، وجمعنا به في دار كرامته ومستقر رحمته ، وجبر الله مصيبتنا فيه ، وأخلفنا خيراً منها ، وأحسن الله عزاءنا وأهله وجميع المسلمين فيه ، وخير ما نقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

فلا يخفى على الجميع أنه علم من أعلام الأمة وفقهائها وجهابذتها المتميزين بغزارة العلم والإخلاص والورع والزهد والكرم والبذل والسخاء وحسن الخلق والحلم والأناة ، والحكمة والروية وبعد النظر ، والرأي السديد حتى أحبه الناس ، الصغير والكبير ، والبعيد والقريب ، وتناقلوا فتاواه ، وذاع صيته في أنحاء العالم الإسلامي ، وصار مرجعاً يعول عليه ، وحجة يحتج به ، حيث نذر وقته وحياته منذ صغره إلى أن وافاه الأجل المحتوم ، واليوم الموعود في طلب العلم والبحث عنه والعناية به ، وحفظ المتون والمطولات ، ثم في نشره للعلم وتعليمه للناس ، وبذله لهم ، وتيسيره لهم بأسلوب فريد مشوق ، حتى تزاحم الطلاب بالركب في حلقاته ودروسه بالمساجد والمحاضرات والندوات ، وإلقاء الكلمات ، والدعوة إلى الله في كل مكان ، وفي مواسم الحج في مكة ، وفي الحرم المكي في رمضان ، ومن خلال إجابته على الأسئلة عبر الإذاعة ووسائل الإعلام ، المقروءة أو المرئية أو المسموعة ، كبرنامج نور على الدرب ، والبرامج المذاعة على الهواء مباشرة ، فيجيب بكل ثقة في المسائل الكبيرة والصغيرة ، ويعقد ويأصل لها ، ويحتج بالدليل من الكتاب والسنة وأقوال الفقهاء والعلماء ، ويجتهد ما يسوغ فيه الاجتهاد ، غير متعصب لمذهب من المذاهب ، وكان غالباً ما يفتي ويميل لرأي شيخه ومعلمه العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمهم الله - وكان - رحمه الله - لا يكل من

التدريس وبذل العلم لطلابه ، والإجابة على الأسئلة حتى في مرض موته وآخر أيامه ، إذ كان يلقي دروساً معتكفاً في العشر الأواخر من رمضان في غرفة بالحرم المكي ، صابراً متحملاً ما به من مرض ، والناس يسمعون ويستفيدون ، وللشيخ بالشفاء والعافية يدعون .

كان - رحمه الله - فاتحاً بابه في عنيزة لطلبة العلم والضيوف والمحتاجين والمعوزين ، نذر حياته في خدمة الإسلام والمسلمين ، وقضاء حوائجهم والاهتمام بقضاياهم ، والسوال عن أحوالهم إلى أن توفاه الله ، حيث بدأ به مرض خبيث من بداية هذه السنة ، نقل على أثره لأمريكا ، وتلقى العلاج ، وتماثل للشفاء ، وعاد لبلده ، وفي رمضان المنصرم أدخل المستشفى التخصصي بالرياض لتلقي العلاج بعد معاودة المرض له ، ثم سافر إلى مكة كعادته لإلقاء الدروس في الحرم ، ولكن المرض تمكن منه في الليالي الأخيرة من رمضان ، ونقل على أثر ذلك للمستشفى التخصصي بجده للعلاج حتى وافاه الأجل المحتوم ، ولا راد لقضاء الله وحكمه ، وذلك عن عمر يقدر بأربع وسبعين سنة ، حيث ولد - رحمه الله في عام ١٣٤٧ هـ في السابع والعشرين من شهر رمضان بمحافظة عنيزة ، واسمه : أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي ، وله خمسة من الأبناء الذكور هم : عبد الله ، ويعمل أستاذاً بفرع جامعة الملك سعود بالقصيم ، وعبد الرحمن نقيب بوزارة الدفاع والطيران ، وإبراهيم ملازماً أول بوزارة الدفاع والطيران ، وعبد العزيز ملازم بالمديرية العامة للجوازات ، وعبد الرحيم موظف بالخطوط الجوية السعودية ، ولفضيلته من البنات ثلاث بارك الله في عقبه ، وجعلهم خير خلف لخير سلف .

وأشقاءه ثلاثة ، وهم الدكتور : عبد الله عضو مجلس الشورى ،

والأستاذ عبد الرحمن مدير عام الإدارة العامة للشئون الإدارية والمالية بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ، وله رحمه الله شقيقة واحدة ، وواحد وعشرون حفيداً من أبنائه وبناته ، وزوجة واحدة ، وقد قرأ فضيلة الشيخ يرحمه الله القرآن على جده من أمه عبد الرحمن الدامغ ، ثم التحق بمدرسة تعليم الكتابة ، فتعلم الخط والحساب ، وبعض فنون الأدب ، ثم دخل مدرسة تحفيظ القرآن فحفظ القرآن عن ظهر قلب ، ثم اتجه إلى طلب العلم .

وكان الشيخ السعدي – رحمه الله – قد وجه بعض الطلبة المتمكنين لتدريس المبتدئين ، منهم الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع ، حيث أخذ عنه الشيخ مبادىء التوحيد والفقه والفرائض والنحو ، وكذلك الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان أخذ عنه الفرائض والفقه ، ثم لازم الشيخ عبد الرحمن السعدي ، وأخذ عنه الكثير من العلوم كالتوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصوله ، والفرائض والمصطلح والنحو والصرف ، وممن أخذ عنهم الشيخ علمه الشيخ علي الصالحي أحد طلبة الشيخ السعدي .

وفي عام ١٣٧١ هـ جلس الشيخ محمد بن عثيمين لتدريس الطلبة في الجامع الكبير ، ثم التحق بالمعهد العلمي بالرياض وتخرج منه سنة ١٣٧٤ هـ وعين بعدها مدرساً في معهد عنيزة العلمي ، وقد واصل دراسته بالانتساب في كلية الشريعة ، وقرأ على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – في صحيح البخاري ، وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية ، وبعض الكتب الفقهية ، ولما توفي الشيخ السعدي سنة ١٣٧٦ هـ ، تولى الشيخ ابن عثيمين إمامة الجامع الكبير في عنيزة ، وإمامة العيدين ، والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية ، ثم محاضراً في كلية الشريعة وأصول الدين ، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم ، بالإضافة لكونه عضواً في

هيئة كبار العلماء ، وقد فرض عليه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رئاسة القضاء بالمحكمة الشرعية بالأحساء ، واعتذر الشيخ عن ذلك بعد إلحاح شديد بإعفائه من القضاء ، وقد فاز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام في عام ١٤١٤ هـ ، وقد أسس - رحمه الله - الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بعنيزة عام ١٤٠٥ هـ ، وقد أوصى أبناءه - رحمه الله - بتقوى الله وطاعته ، وطاعة ولاة الأمر في مرضاته ، وعلى العلم ونشره ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وكذلك نشر علمه وفتاواه من خلال شبكات الإنترنت العالمية لينتفع الناس بها في كل مكان ، وسيخصص لفضيلته موقع على الإنترنت عن قريب إن شاء الله .

أما طلابه وزملاؤه فلا حصر لهم إذ يبلغون أحياناً خمسمائة طالب في الحلقة الواحدة فسبحان الله حبب فيه خلق ، وجاءت سيرته على كل لسان .

وقد ألف فضيلته كتباً كثيرة ، ورسائل عظيمة نافعة تزخر بها المكتباب ودور العلماء تربو على أربعين مؤلفاً

فنسأل الله أن ينفع بها ، وأن لا يحرمه أجر وثواب تأليفها إلى جانب ما سجل له من الأشرطة السمعية العديدة ، وما فيها من الدروس والمحاضرات النافعة لمن رغب فيها .

وبعد هذا المشوار الطويل في البذل والعطاء والتدريس والتأليف ، توارى عن الأنظار ، وخلف حزناً عظيماً في قلوب المسلمين ، حيث صُلي على جثمانه في الحرم المكي الشريف جوار الكعبة المشرفة بعد صلاة العصر من يوم الخميس السادس عشر من شهر شوال لعام ١٤٢١ هـ ، حيث صلى

عليه خلق كثير ، وجمع غفير من أصحاب السمو الأمراء ، وفي مقدمتهم صاحب السمو الملكي وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز – حفظه الله – ومن أصحاب الفضيلة العلماء والمشايخ وطلبة العلم ، يخيم عليهم الحزن والبكاء على فراق الشيخ داعين له بالمغفرة والرحمة ، وأن يسكنه فسيح جناته ، حيث ووري جثمانه في مقبرة العدل بمكة المكرمة ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله على تدبيره وحكمه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٤)

من أعلام علماء القصيم

بقلم الدكتور : عبد الله بن محمد بن رميان الرميان

تحدثت في مقالات ماضية وما زلت عن الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – وما كنت أظن أني سأضطر أثناء حديثي عن الشيخ إلى الحديث عن تلميذه النجيب وخليفته البارز الذي جلس في مجلس شيخه منذ ما يقارب من نصف قرن ، فخلفه في إمامة الجامع الكبير بعنيزة ، والخطابة فيه ، والتدريس في ذلك الجامع العامر .

رحل الشيخ السعدي – رحمه الله في منتصف عام ١٣٧٦ هـ ، وترك فراغاً كبيراً في بلده وما جاوره ، وأصبح طلابه كالأيتام الذين فقدوا عائلهم وما ظن أشد المتفائلين في ذلك الوقت أن يأتي من يسد هذا الفراغ الذي تركه الشيخ بعد رحيله .

ويعتقد كثير من الناس أن الشيخ السعدي – رحمه الله – هو الذي أوصى بأن يكون الشيخ محمد العثيمين الخليفة من بعده في الخطابة في المسجد ، والتدريس ، وهذا ليس بصحيح إذ كان يخلفه حال سفره في المسجد الشيخ عبد العزيز بن محمد البسام – رحمه الله – المتوفى سنة ١٤١٣ هـ ، وعندما طلبت من الشيخ محمد العثيمين – رحمه الله – معلومات عن شيخه – حال كتابتي لبحث الماجستير عن الشيخ السعدي رحمه الله – أحالني للشيخ المذكور ، وقال لي : إنه أعلم به ، لأنه كان يخلفه في الصلاة حال سفره ومرضه ، لكن تنصيب الشيخ محمد خليفة

لشيخه كان من قبل أحد زملائه الكبار ، بل وأحد شيوخه في سن الصغر ، وهو الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع – رحمه الله – قاضي عنيزة في الفترة (١٣٧٥ – ١٣٧٩ هـ) المتوفى سنة ١٣٨٧ هـ .

وكان هذا منه – رحمه الله – من الفراسة النادرة ، ومما يذكر له فيشكر عليه إذ أصبح الشيخ محمد بعد ذلك أبرز تلاميذ الشيخ وأقدرهم على القيام بهذه المهمة ، فتوافد طلاب العلم على مسجده ، والتف الطلاب على حلقته ، وقصدوه من شتى بلاد الدنيا ، حتى أصبح ذلك المسجد خلية نحل طوال أيام السنة ، فترى طلاب العلم حملوا كتبهم وأعدوا دفاترهم وبروا أقلامهم وتزاحموا على مجلس الشيخ ، والمتأخر عن الحضور لا يكاد يجد له مكاناً إلا في مؤخرة المسجد حيث لا يكاد يرى الشيخ من كثرة طلابه ، هذا سوى من يجلس هنا وهناك في زوايا المسجد من المستمعين الذين يحرصون على استماع حديث الشيخ كلما سنحت لهم الفرصة ، وقد بلغ الشيخ رحمه الله رحمة واسعة درجة من العلم والشهرة والقبول لم يبلغها إلا ثلة من العلماء يعدون على أصابع اليد الواحدة .

نسبه ومولده :

هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، عرّف رحمه الله بنفسه في حديث ماتع فقال: ولدت في مدينة عنيزة ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٤٧ هـ ، وبدأت في قراءة القرآن على جدي من جهة أمي الشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ – رحمه الله – فحفظت على يديه القرآن الكريم ، ثم اتجهت إلى طلب العلم ، فتعلمت بداية الخط والحساب وبعضاً من فنون الآداب ، وأتذكر في تلك الفترة أن الشيخ الجليل

عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – أقام اثنين من طلبة العلم لديه ليقوما بتدريس الطلبة الصغار من أمثالي ، وكان يقوم بتدريس عدد من فنون العلم فقرأت على يديه مختصر العقيدة الواسطية ، ثم قرأت في الفقه منهاج السالكين للشيخ عبد الرحمن السعدي ، ثم قرأت في متني الألفية والأجرومية ، كذلك قرأت على الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان الفرائض والفقه ، ثم تتلمذت على يد شيخي وأستاذي الشيخ السعدي ، فقرأت عليه التفسر والفقه وأصوله ، والفرائض ، ومصطلح الحديث ، والتوحيد ، وشيئاً من النحو والصرف ، والحقيقة أن انتقال والدي – رحمه الله – إلى الرياض كشف لي مدى الحب الذي يكنه لي الشيخ السعدي . إذ أصر فضيلته في طلب بقائي بجواره في عنيزة للاستزادة من العلم ، وكاتب والدي كثيراً ، فوافق – رحمه الله – فبقيت بجوار الشيخ السعدي ، وأجدني اليوم متأثراً به كثيراً ، سواء في طريقة عرضه للدروس والعلم ، أو تقريبه بالأمثلة والمعاني ، كما تأثرت بأخلاقه – رحمه الله – فقد كان يمازح الصغير ، ويضحك مع الكبير ، وكان من أحسن من رأيت أخلاقاً .

ثم قرأت على شيخي الثاني سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – فابتدأت قراءة صحيح البخاري ، ثم بعضاً من رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية ، والحقيقة كان تأثري بالشيخ عبد العزيز – رحمه الله – لعنايته بالحديث ، وأخلاقه الفاضلة ، وبسط نفسه للناس .

وبعد هذه السنوات من التعليم جلست للتدريس في الجامع ، وعندما فتحت المعاهد العلمية بالرياض عام ١٣٧٢ هـ ، كنت أول الملتحقين ، ولما علم المسؤولون في المعهد عن مستواي العلمي أدخلوني السنة الثانية بعد أن استشرت الشيخ علي الصالحي أحد طلبة الشيخ السعدي ، وكان المعهد في

تلك الفترة ينقسم إلى قسمين ، خاص وعام ، فكنت في القسم الخاص ، وكان يسري في تلك الأيام نظام دراسة السنة المستقبلة أثناء العطلة ، ثم يجري الاختبار مع بداية العام الثاني ، فإذا نجح الطالب ، ينتقل إلى السنة التي تليها ، وقد اختصرت زمن دراستي في المعهد بهذه الطريقة إلى سنتين عينت بعدها مدرساً في معهد عنيزة العلمي ، لكنني واصلت دراستي منتسباً في كلية الشريعة مع مواصلتي طلب العلم على الشيخ عبد الرحمن السعدي ، وبعد وفاته - رحمه الله - توليت إمامة الجامع الكبير في مدينة عنيزة ، ومارست التدريس في مكتبة عنيزة الوطنية ، إضافة إلى التدريس في المعهد العلمي ، ثم انتقلت للتدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم .

هذا حديثه المختصر - رحمه الله - عن نفسه ، وأقول زيادة على هذا الحديث :

قراءته على الشيخ عبد الرحمن بن عودان - رحمه الله - عندما كان قاضياً في عنيزة (١٣٦١ هـ - ١٣٦٩ هـ) وتلميذي الشيخ السعدي اللذين نصبهما لتدريس الصغار أمثال الشيخ محمد هما : علي بن حمد الصالحي ومحمد بن صالح المطوع .

عرض على الشيخ رحمه الله القضاء مراراً لكنه رفض ، بل صدر قرار بتعيينه رئيساً لمحاكم الأحساء ، وبعد مراجعات وشفاعات أعفي .

تصديه للتدريس :

كما بيّن - رحمه الله - تصديه للتدريس في وقت مبكر ، وانفرد به بعد وفاة شيخه ، وطار صيته ، وانتشر ذكره في نهاية التسعينيات الهجرية ،

فتوافد عليه طلاب العلم ، وكانت حلقته تضم المئات من طلاب العلم من بلده ، ومن البلدان المجاورة ، سوى الطلبة الغرباء الذين جاوروا مسجده ولازموا حلقته .

والحقيقة أن العجب لا ينقضي من بذل الشيخ لنفسه ، وإقباله على التدريس ، وبذل أوقاته فيها ، فهو ملازم للمسجد للتدريس لا يكاد يتركه إلا في موسمي رمضان والحج ، حيث ينتقل إلى مكة المكرمة للتعليم والفتوى .

فهو يقضي طوال وقته في التدريس في الجامعة أو المسجد ، بل خصص وقت الظهر الذي يجعله الناس للراحة للرد على استفسارات الناس ، وما يرده من الفتاوى عن طريق الهاتف .

وإن المتأمل في حاله – رحمه الله – يراه جامعة مستقلة ، ففي الإجازات الصيفية حال استعداد كثير من المدن بالدورات العلمية الصيفية التي يجندون لها الأعداد الكبيرة من العلماء وطلبة العلم لتدريس سائر فنون العلم ، وربما يجد المنظمون لهذه الدورات الحرج الكبير في تسديدها نجد الشيخ – رحمه الله – دورة علمية متكاملة ، يعلن عنها كل صيف ، تبدأ في الساعة الثامنة صباحاً ، وتنتهي عند صلاة الظهر مع استمرار برنامجه اليومي المعتاد ، وهذا لا يطيقه إلا من آتاه الله من القوة والصبر والجلد مثل ما منّ الله به على الشيخ – رحمه الله – والذين يرون إقبال الشيخ على التدريس في الحرم في شهر رمضان ، وبذله لوقته واجتهاده في ذلك رغم المشقة الظاهرة عليه يبدون إشفاقهم على الشيخ مما يرون من الإرهاق الظاهر عليه .

ففي العشر الأواخر من رمضان في أيام الصيف يقضي ما بين صلاة التراويح إلى صلاة القيام في التدريس ، ثم بعد صلاة القيام تنهال عليه الأسئلة ، ويحاصره السائلون ، فلا يكاد يصل بيته إلا قرب الفجر ، ثم يدرس بعد صلاة الفجر ، حتى ترتفع الشمس ، ولا أدل على ذلك من استمراره – رحمه الله – على هذا المنوال حتى مع ازدياد المرض وشدة وطأته حيث انتقل في شهر رمضان الماضي من المستشفى في الرياض إلى بيت الله الحرام ، وألقى دروسه كالمعتاد ، مما ظن معه كثير من الناس أن ما ألم بالشيخ قد زال .

زهده وتواضعه :

الشيخ – رحمه الله – عاش حياة الزهد والورع ، فقد كان – رحمه الله – بعيداً عن الدنيا رغم إقبالها عليه ، وترى أثر هذا الزهد والتواضع في ملبسه ومركبه ومسكنه ، وسائر حياته ، كان إلى وقت قريب قبيل انتقال مسكنه يذهب إلى مسجده على قدميه رغم بعد المسافة ، وقد عرف الناس ذلك فكانوا يستغلون هذا الطريق للالتقاء بالشيخ واستفتائه ، فلا تراه في سائر الأوقات إلا وتتبعه الجماعات التي تتناقص بعد انقضاء حاجاتها .

كان – رحمه الله – متواضعاً للصغير والكبير ، وأذكر ذات مرة وقد أكرمنا الله بمجاورة الشيخ لنا في أحد مواسم الحج أنه قدم من المسجد ونحن برفقته ، وبعد صعوده الدرج خرج أحد أبنائي الصغار ، فلما رآه الشيخ نزل من الدرج للسلام عليه ، فأسرعت وحملته إليه لأمنعه من النزول ، فقبله ثم نزل لتقبيل الآخر ، فتعجبت من هذا الخلق ، وشكرت له هذا التواضع ، وهذا ديدنه – رحمه الله – مع جميع الصغار .

ومما يجدر بالذكر أن الشيخ – رحمه الله – لم يسافر خارج المملكة طوال عمره إلا مرة واحدة في إجازة الصيف الماضي لتشخيص المرض الذي أصابه ، وكان يرى أن بقاءه في الداخل أكثر نفعاً وأجدى ، لكنه كان شديد الحرص على مقابلة المسلمين من شتى بلاد الدنيا عند قدومهم للحج أو العمرة ، وأذكر أني دعوته ذات مرة لتناول طعام العشاء ، وكان – رحمه الله – لا يرد الدعوة إلا عند عدم استطاعته لإجابتها ، فوافق على ذلك ، ثم أرسل لي أحد تلاميذه بعد صلاة العصر للاعتذار ، وطلب تأجيل الموعد لأن هناك وفداً من المسلمين الأمريكان طلبوا لقاء الشيخ ، فخشي الشيخ أن يمتد الوقت بهم ، فاعتذر ، وفعلاً بقي معهم الشيخ إلى قرب منتصف الليل وهذا يدل على حرصه – رحمه الله – على مقابلة المسلمين والوقوف على مشاكلهم رغم عدم سفره إلى بلادهم .

مؤلفاته :

ترك الشيخ – رحمه الله – العديد من الكتب النافعة والرسائل المفيدة منها ما كتبه وألفه بنفسه ، ومنها ما جمعه تلاميذه من دروسه ، ثم عرضت عليه فأجازها ، حيث أصبحت هذه الكتب من أهم المصادر الحديثة التي يعتمد عليها طلبة العلم لتعمق الشيخ في بحث المسائل ، ومتابعته للدليل ، ومنها :

* تلخيص الحموية * مجالس رمضان * شرح الواسطية * القول المفيد على كتاب التوحيد * الشرح الممتع على زاد المستقنع * تسهيل الفرائض * القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى * رسالة في الحجاب * رسالة في الدماء الطبيعية * حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها

الشريعة * المنهج لمريد الحج والعمرة * الضياء اللامع من الخطب الجوامع .

وغيرها من الكتب والرسائل النافعة ، هذا سوى الكتب التي جمعت فيها فتاواه والتي صدر منها العديد من الأجزاء .

ويذكر أن الشيخ – رحمه الله – أحد أعضاء هيئة كبار العلماء في هذا البلاد ، وتستضيفه إذاعة القرآن الكريم في برنامج « نور على الدرب » وغيره للإجابة على أسئلة المستمعين ، وقد فاز – رحمه الله – بجائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام سنة ١٤١٤ هـ .

دعوة للباحثين :

إن ما تركه الشيخ من تراث علمي ينبغي أن يوجه طلاب العلم للاستفادة منه وإبرازه ، وهذا يوجه على وجه الخصوص إلى الذين يسعون لتسجيل رسائل علمية في التخصصات الشرعية ، فنذكرهم بأن تراث الشيخ العلمي خصوصاً في تخصصي الفقه والعقيدة يحتاج إلى دراسة متخصصة إذ كل منهما يحتاج إلى رسالة دكتوراه تامة تامة .

وفاته ومشهد جنازته :

أصيب – رحمه الله – بمرض السرطان ، واكتشف سريانه في جسده في الإجازة الصيفية الماضية ، فسافر إلى أمريكا ، ورجع بعد أيام قضاها هناك ، وقد رفض – رحمه الله – أخذ العلاج الكيماوي ، خصوصاً أن المرض لم يكتشف إلا بعد أن استفحل ، فعاد إلى بلده مستسلماً لقضاء الله وقدره ، وما زال المرض في ازدياد حتى أدخل على أثره المستشفى التخصصي بالرياض ، وبقي فيه حتى انتقل في بداية شهر رمضان إلى مكة ، حيث أعد له مكان داخل الحرم ، ربط بالشبكة الصوتية للحرم ، حيث ألقى

دروسه من على سريره ، وقد كشف هذا المرض محبة الناس للشيخ وعظم تعلقهم به من كثرة زيارته والسؤال عنه ، انتقل بعد عيد الفطر إلى المستشفى التخصصي بجده ، حيث قضى فيه بقية أيامه ، حيث وافاه أجله بعد عصر الأربعاء ١٥ / ١٠ / ١٤٢١ هـ ، وبعد إعلان خبر وفاته ، وانتشاره قصدت الوفود مكة المكرمة ، وبدأ الناس يتوافدون على الحرم من بعد صلاة الظهر حتى أصبح الحرم والمنطقة المحيطة به أشبه بحاله في أيام العشر الأواخر من رمضان ، وما أن حانت صلاة العصر حتى اكتظ الحرم بالمصلين ، فالمطاف والأروقة والساحات المجاورة لم تسع الناس ، ولما انتهت صلاة الميت ، وحُمل - رحمه الله - على الأعناق انهمرت الدموع ، واختلطت الأصوات ، وضج الناس بالبكاء ، فمصابهم واحد ، وبقي تتناقله الأيدي من المطاف إلى باب الملك عبد العزيز في وقت جاوز الثلاثين دقيقة رغم أن المسافة أمتار معدودة لكن لكثرة الزحام وتدافع الرجال .

ورغم الترتيب الأمني الدقيق والتواجد المكثف إلا أن الجنازة لم تصل إلى السيارة إلا بعد جهد جهيد ، ووقت طويل .

وبعد نقله إلى مقبرة العدل توجه الناس إليها راكبين وراجلين ، حتى اكتظت الشوارع بالمشاة ، ولكثرة الأعداد منع الكثير منهم من دخول المقبرة لضيق المكان ، ولو سُمح للجميع بالدخول في ساعة واحدة لربما حدث ما لا تُحمد عقباه لشدة الزحام ، وبعد دفنه عزّى الناس بعضهم بعضاً ، وارتفعت الدعوات الخالصة للفقيد بالرحمة والتثبيت .

وقد حانت صلاة المغرب والمقبرة ما زالت تغص بالوافدين ، ولا شك أن هذا من علامات القبول إن شاء الله ، فكما جاء في الحديث : « أنتم شهداء

الله في أرضه» خصوصاً أن هذا المحبة خالصة لوجه الله لا يشوبها أو يكدر صفوها ترغيب ولا ترهيب .

نسأل الله تعالى أن يغفر لشيخنا ، وأن يرحمه ، وأن يوسع له في قبره ويفسح له فيه ، وأن يجزيه عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

(جريدة عكاظ ، العدد : ١٠٣٣٤)

فقيد الأمة .. ابن عثيمين

بقلم الشيخ : سلمان بن محمد العمري

بالأمس ودعت الأمة الإسلامية علماً بارزاً من أعلامها ، ورمزاً فذاً من رموزها ، إنه سماحة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين – رحمه الله رحمة واسعة – نعم رحل عنا الشيخ الجليل والعالم الكبير إلى جوار ربه إلى دار الحق ، بعد أن ترك لنا إرثاً نافعاً عظيم الأثر ، وبنفس الوقت ترك في نفوسنا وفي أرض الواقع فراغاً كبيراً ، ندعو الله أن يعوضنا عنه بكل نافع لهذه الأمة ، وهذا الدين ، لقد ودعنا الشيخ الجليل وهو بعمر يناهز الرابعة والسبعين ، كان حافلاً وعامراً بالخير والعطاء .

فكلماته كانت نبراساً للجميع ، وأفعاله كانت مثالاً للقدوة الحسنة الطيبة ، وأعماله فحدث ولا حرج ، فأنت أمام عالم كبير القدر ، عظيم الشأن ، واسع الإدارك والمعرفة ، نير البصيرة ، متقد الذهن .

لقد ولد الشيخ الجليل في السابع والعشرين من رمضان المبارك عام ١٣٤٧ هـ ، وها هو يودعنا بعد أن شهد معنا رمضان ، والعيد وانتصف شوال ليشهد غياب أحد أكبر علماء الأمة .

لقد قرأ شيخنا وعالمنا الكبير القرآن الكريم على جده من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ – رحمه الله – وحفظ القرآن واتجه لطلب العلم على أيدي الشيوخ الأفاضل الذين من بينهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – الذي كان يقول عنه شيخنا : « تأثرت بالشيخ عبد

العزيز بن باز من جهة العناية بالحديث ، وتأثرت به من جهة الأخلاق أيضاً ، وبسط نفسه للناس » ، وعندما حصل على العلم النافع ، وتمكن منه امتثل لأمر الله ورسوله بإذاعة هذا العلم وإعطائه للناس ، كي لا يكون مثل الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، ففي عام ١٣٧١ هـ جلس للتدريس في الجامع ، ولما فتحت المعاهد العلمية في الرياض التحق بها ولما تخرج عين مدرساً في المعهد العلمي بعنيزة مع مواصلة الدراسة انتساباً في كلية الشريعة ، ومواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله – وعندما توفي فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله – تولى شيخنا إمامة الجامع الكبير بعنيزة ، والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية بالإضافة إلى التدريس في المعهد العلمي ، ثم انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم .

لقد افتخرت هيئة كبار العلماء في مملكتنا الحبيبة بأنها تضم بين جوانحها فضيلة الشيخ الكبير ابن عثيمين ، كما أنه قد عرض عليه وبإلحاح تولي القضاء ، لا بل صدر القرار ، ولكن الشيخ طلب الإعفاء تواضعاً منه .

لقد كان لفضيلة الشيخ نشاط كبير في الدعوة إلى الله عز وجل ، وتبصير الدعاة في كل مكان ، فهو داعي الدعاة ، وكيف لا وهو الذي نذر حياته ونفسه في خدمة هذا الدين الحنيف ، لا يبتغي من ذلك مدحاً ولا منة ، بل يرجو الجزاء من ربه ، والغفران من خالقه ، والرحمة من مولاه .

لقد وفقني الله تعالى لأن أعرف الشيخ والعالم الجليل عن قرب ، فقد سعدت بلقائه مرات ومرات ، وكنت كل مرة لا أغادره إلا وقد حصلت على

فائدة علمية ، ونور كريم ، وكان آخر لقاء لي مع فضيلته في منزل الشيخ عقيل العقيل مدير عام مؤسسة الحرمين الخيرية ، الذي أقام - جزاه الله خيراً - مأدبة عشاء تكريماً لفضيلته بعد رحلته العلاجية من أمريكا ، والتي حضرها بعض أصحاب الفضيلة العلماء والمشايخ .

وكان الشيخ العثيمين - رحمه الله - رغم مرضه يجيب على كل الأسئلة والفتاوى التي تطرح عليه مع ذكر الدليل موجهاً وناصحاً ومعلماً للحضور ، وقد ودعت الشيخ العلامة على أمل لقاء آخر أشتهيه وأتوق إليه والآن ها هي العين تدمع ، والقلب ينفطر ، ولا نقول إلا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأنتم السابقون ونحن اللاحقون ، ودعاؤنا للعلي القدير أن يجمعنا في جنات خلده ، وفسيح رضوانه ، ورياض فردوسه ، إنه على كل شيء قدير .

إنها سنة الله في خلقه ، فكل نفس ذائقة الموت ، والحمد لله ، ولا راد لقضاء الله وقدره ، وندعو الله أن يلهمنا الصبر والسلوان ، وأن يلهم ذوي المغفور له بإذن الله كل صبر وراحة بال وطمأنينة ، فنحن نعرف حجم مصابهم ، وكبير الابتلاء الذي يمتحنون به الآن ، ولكن صبراً آل عثيمين فإن شيخكم في نعيم إن شاء الله .

لقد منّ الله تعالى على هذه الأمة بأن جعلها أمة الحق والإيمان ، ومنّ عليها وتفضل بأنه لم يتركها ، فكان هناك العلماء ورثة الأنبياء الذين لا تخلو منهم هذه الأمة بحمد الله في أي زمان ومكان ، وكلما ذهب واحد منهم عوضنا الله تعالى بأمثاله وأقرانه بما يحفظ هذا الدين ، ويبقي النور مشعاً إلى ما شاء الله .

لقد كان الشيخ العالم رمزاً ومثلاً أعلى في التواضع والإيثار وحب الخير ، ونكران الذات ، والتوجه لله بقلب طاهر مطهر ، لا يبتغي من هذه الحياة إلا العمل الصالح ورضوان الله .

لقد كان أخاً للكبير وأخاً للصغير بكل ما تحمل هذه الكلمات من معاني الحب والخير والعطاء والحنان .

لقد افتقدت الأمة في الآونة الأخيرة عدداً من علمائها الأجلاء الأفاضل وأملنا كبير بما استودع الله هذه الأمة من شباب ورجال يحملون لواء الحق وراية التوحيد ، وكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، نعم عيوننا تنظر بأمل كبير ، وقلوبنا تتلهف بشوق أكبر إلى هؤلاء الفتية الصالحين الذين نطمع أن نرى من بينهم من يكون بمكانة أولئك الذين توفاهم الله .

إن الدور عليكم إخوة الإيمان في رفع هذه الراية المباركة ، عليكم شحذ الهمم ، واستخلاص العلوم ، والصبر ، والتوسع في المدارك والعطاء ، والوصول لأن تكونوا القدوة الصالحة الخيرة ، فالأمة بانتظاركم ، وكم هو جميل ورائع وعظيم أن يذكر الإنسان عند وفاته ، وبعد مماته بمثل ما يذكر به الآن هذا العالم الكبير ابن عثيمين ، أليس في هذا الدافع كل الدافع للعمل والعطاء المتواصل للوصول للمراتب العالية ، ليس في المناصب ، وإنما في حب الخير وفعله ، وإرشاد الأمة لسبيل الحق ، والدعوة إلى الله .

لقد أمضى شيخنا حياته مدافعاً عن كلمة الحق والدين ، وداعياً إلى الله بإذنه ، بلسان مهذب ، وكلمة لطيفة ، وفعل ألطف وأحسن ، وهكذا أحبته القلوب ، وتلهفت للقائه النفوس ، وكان حديثه ومجلسه لا يمله أحد بل كان مطلباً ملحاً للجميع ، يقصدونه للتزود من معين علمه وفكره

الخصب النير .

لقد شهد المستشفى التخصصي في جدة يوم الأربعاء اليوم الأخير من حياة ابن عثيمين الدنيوية ، فقد ودعنا بعد العصر ، ويوم الخميس شهد الحرم المكي الشريف الوداع الأخير ، شهدت له أرض مكة الطاهرة بالخير كل الخير ، وصليت عليه صلاة الغائب بعد صلاة الجمعة في كل مساجد المملكة .

نودعك وعيوننا تفيض بالدمع الذي ينزل مدراراً وعزاؤنا أننا نعرف أنك عند الذي أحببت ، وعند الذي أمضيت حياتك رافعاً لراية دينه ، نودعك وقلوبنا ترنو لعلمك الغزير الذي تركته فينا ، أو ليست الكلمة الطيبة والأثر الطيب من النعم الكبرى؟ أليست الذي فاقت مؤلفاته الأربعين وكلها بأصول الدين والفقه والدعوة إلى الله؟ أليس هذا بشاهد كبير لك عند ربك؟ نودعك ونحن مطمئنون ونفوسنا راضية ، لأننا نعلم أنك تلقى ربك بأمان واطمئنان ، ونفس راضية مرضية بإذن الله .

وأنتم يا أهل فقيدة الأمة ، المصاب ليس مصابكم وحدكم ، بل مصابنا جميعاً ، مصاب الأمة كلها ، فهنيئاً لكم بهذا العالم الكبير الذي سبقى ذكره علماً بارزاً في سماء هذه الأمة ، وسيبقى إرثه فخراً لنا كلنا وللأمة جمعاء ، وستبقى فعاله الطيبة ذكرى للذاكرين ، وهنيئاً لك يا شيخ الأمة وعالمها بما عملت وبما قدمت وبما فعلت وبما قلت ، وهنيئاً لك بلقاء ربك بنفس راضية مرضية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٤)

ثلمة لن تسد

بقلم الشيخ : محمد الغفيص

أصاب الأمة خطب عظيم ، ومصيبة كبرى ، أخرست أفواه الكثيرين ، وألجمت عبارات الأدباء ، وكمدت قرائح الشعراء ، انفرط العقد ، وتناثرت حباته بوداع الثمرة اليانعة ، والنخلة الباسقة شيخ الأمة وحبرها وعالمها العلامة الشيخ الهمام محمد بن صالح العثيمين عليه رحمة الله الواسعة .. لقد حيي حياة عزيزة ملؤها العلم والورع والزهد والخشوع والبذل والتضحية والاحتساب ، علم فعلم ، ووجه وأرشد ، وخطب ووعظ ، وفقه واجتهد ، وأفتى وألف ، ونشر العلم في البقاع ، وامتلأت بذكره وعلومه الأصقاع والرقاع ، لم يبخل بوقته ، وبذل جاهه ووسعه ، وزهد في الدنيا وراحة العيش ، آثر الآخرة على الدنيا الزائلة ، لم تخضعه الأمور ، ولم يكن بدنيانا بمفتون ، بعلمه فاق الأقران ، وباجتهاده أخرس المتعالمين ، وبابتسامته أمال إليه قلوب الغافلين والمتعامين .

حجة في زمانه وعصره . بحر في علمه وفقهه . أذهل المستمعين ، وأطرق لحجته المجتهدون ، رحمك الله يا نهج الأنبياء والصالحين ، ويا سليل المبتلين . نِعْم الصبر يا شيخ المسلمين ، وواحة الموحدين ، وإمام العارفين ، في زمن الفَاتنين والمفتونين .

سيبكي فقدك كل شيء ، فالإمتاع في الممتع امتنع ، وشكا فقدك الجامع وجزع ، ومنارته السامقة الوفية للقياك في شوق وطمع .

وطالب العلم يدلف الباب ممسكاً بكتابه قد ساقه الوجد والولع لشيخه حتى خلت البقعة وساده الفزع .

إنا لله وإنا إليه راجعون ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيراً منها .

إن التحدث عن سيرة العلماء جدير ، والاقتداء بهم بما شرعه الله أمر على من يسره الله عليه يسير .

لقد مضى خلال أقل من سنتين علماء جهابذة ، وورثة للأنبياء على قدر من الصفات ، قارعت عنان السماء عالية .

إن العقد انفرط نظامه ، وتتابعت حباته ، وإن الأجدر بنا أن نستفيد من السير العطرة لأمثال هؤلاء العلماء ، فهناك نرى أمامنا قدوة في العلم ، وقمة في البذل ، وتضحية بالصحة والراحة ، وإيثاراً ، ووفاءً ، وإيماناً ، وصدقاً ، وبركةً في الوقت والمال ، وسيلاً مدراراً من العواطف والمواهب ، وصبراً عظيماً .

عدة لمن يدرك ، وجلد على الطاعة ، وصدق في المعاملة ، ومحبة لله ومحبة من الناس ، وقبول في الأرض ، وشوق ومحبة في السماء إن شاء الله .

أين نحن من تلك الصفات الحميدة ، أليس الأجدر بنا الأخذ بها ولو من بعضها ، ولو محاكاة لعلنا نتدارك برحمة الله سبحانه .

إن الشيخ العثيمين – رحمه الله – من المدارس التربوية والعلمية التي آتت ثمارها جيداً ، وتخرج من أروقتها علماء أفذاذ ، وطلبة العلم البارعون

نسأل الله جلت قدرته أن يطرح فيهم البركة ، وأن يكونوا خير خلف لخير سلف ، وأن يؤدوا الأمانة التي أعطاهم الله إياها بنفع الأمة ، وبذل العلم والوسع ، ونشر الفتوى ، وإشاعة الحب والمودة ، وأن يكون لكثير من الإخوة ممن يفقدون الابتسامة أن يكون لهم في الشيخ قدوة ، فالابتسامة دعوة صامتة ، ودعوة بالقدوة ، فحقا وحقاً وحقاً قد ثلمت من الإسلام ثلمة .

إذا ما مات ذو علم وتقوى فقد ثلمت من الإسلام ثلمة

أحسن الله عزاء الجميع ، وألهمنا وإخواننا المسلمين وأسرة الشيخ وطلابه ومنبره ومجلسه الصبر والسلوان ، وأخلفنا خيراً .

اللهم ارفع درجة شيخنا في المهديين ، واخلفه في عقبه في الآخرين ، واجعلنا وإياه من ورثة جنة النعيم ، ووالدينا ووالديهم وعلماءنا وإخواننا المسلمين .. آمين .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٤)

رحيل عالم زاهد

بقلم معالي الشيخ الدكتور: محمد بن سعد الشويعر

مصيبة وأي مصيبة ، عندما تفقد الأمة عالماً مجاهداً بلسانه ، حريصاً على طهارة العقيدة ، محباً للخير وأهل الخير ، عرف بالزهد والورع ، من حيث بدأ المسيرة العلمية مع شيخه عبد الرحمن بن سعدي - رحمهما الله - إنه الشيخ الجليل الذي عرف بالتواضع والبساطة في جميع أموره ، حتى أنه يذكر الجالس معه ، والحاضر لمواطن حديثه .. أنه مع واحد من علماء السلف ، الذين نقرأ قصص حياتهم وورعهم .

لقد فقدت المملكة العربية السعودية ، والعالم الإسلامي بأسره يوم الخميس ١٦ / ١٠ / ١٤٢١ هـ الشيخ العالم : محمد بن صالح بن عثيمين ، وصلي عليه في المسجد الحرام بجمع حاشد ، يذكرنا برحيل شيخ الجميع منذ أقل من عامين ، وبالجماهير التي حضرت جنازته - رحمهما الله وجمعهما في مستقر رحمته - حيث دفن الأخير بجوار الأول في مكة المكرمة ، والشيخ محمد بن عثيمين ، وإن كان يعتبر نفسه تلميذاً للشيخ عبد العزيز بن باز ، حيث تتلمذ عليه في كلية الشريعة في الرياض ، فإن كلاً منهما يجل الآخر ، ويتبادل معه النصح في المسائل التي تهم المسلمين ، ليس في المملكة وحدها ، ولكن في أنحاء العالم ، لأنهما يحملان هموم المسلمين ويحزنهما ما يحزن أي مسلم في أي موقع من الأرض ، ويسرهما ما يسر المسلم ، أخذاً من الحديث الشريف : « ومن لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم » .

وبقوله ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

ونحمد الله على أن علماء هذه البلاد قد زانوا العلم الذي منحهم إياه وفتحوا صدورهم لتفهم كل أمر يهم المسلمين ، وبيوتهم لاستقبالهم ، وعواطفهم لتحسس مشاعرهم ، ومساعدتهم بالكلمة الطيبة ، وبالتواضع وحسن الدراسة لكل ما يعترضهم من مشكلات ، وحل فتاواهم باليسر المستمد من نهج الإسلام « يسروا ولا تعسروا » .

فكان الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - عند كل من عرفه يمثل نموذج العالم الورع في بسطه ، وتيسير وقته لكل راغب في الاستفادة أو وافد ليسأل عن مسألة ، الزاهد في حطام الدنيا ، مع ما أتيح له في الدنيا ، لو كان يريدها ، أقبلت عليه فأدبر عنها ، وتزينت أمامه فزهد فيها ، وشاح بوجهه عند مظاهرها وزخرفها .

أحب العلم فشعر بمسئوليته في العطاء ، ففتح بابه للطلاب ، ونظم الدروس للراغبين في غير سويعات العمل في الجامعة ، وشعر بحاجة القاصي والداني فاستجاب بالهاتف والمحاضرات ، وتنظيم الأوقات في الجمعيات النسائية ، ومع طالبات العلم والراغبات في الاستفتاء مما يشكل عليهن ، عرفته - رحمه الله - عن كثب ، وعرفت فيه خصالاً هي حلية العالم ، وزينة طالب العلم ، ومن ذلك طيبة القلب ، ونزاهة اليد ، وعفة اللسان ، وطيب القلب ، فهو - رحمه الله - يحسن الظن بمن يتوسم فيه ذلك ، لكنه يتورع في الفتوى المكتوبة إلا بعد تأييدها بكلمات منه تؤكد ما فيها مع قيد ذلك بالتاريخ والختم والتوقيع ، لأن بعض الذمم قد فسدت فأحب أن

يقيد فتواه بالحبال الموثقة حتى لا يقال عنه ما لم يقل .

كنت أعرف عنه حبه البذل من ماله لمن هو مستحق في داخل المملكة وخارجها ، ويساعد في بناء المساجد والجمعيات الإسلامية ومدارسها في الخارج متى ثبت لديه سلامة عقيدة القائمين عليها ، ولا شك أنه سيترك فراغاً قل أن يملأه إلا من أعطاه الله نية صادقة ، واحتساباً وبذلاً من نفسه ومن جاهد .

لقد حزن أهالي القصيم خاصة ، والمملكة عامة عندما توفي شيخه عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله – وكان بعضهم يظن أنه لن يأتي من يحل مكانه ، وبمثل قابليته عند الناس ، وسعة علمه ، فكان تلميذه الوفي الشيخ محمد بن عثيمين هو البديل الذي جعل الله فيه الخير والبركة .

وحزن الناس أكثر عندما اخترمت يد المنون شيخ المشايخ ومفتي الديار السعودية محمد بن إبراهيم – رحمه الله – فجعل الله في الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – الكفاية في العلم والمقدرة في الفتوى ، والقابلية عند الناس .

وقبل الشيخ محمد ، عندما توفي عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، فكان من فطنة الملك عبد العزيز أن قال للمشايخ وهم في المقبرة بعد الدفن مباشرة : لئن دفنا العلم فإن في هذا الرجل ، وأشار إلى الشيخ محمد بن إبراهيم الكفاية إن شاء الله ، ثم أسند إليه القيام بمهام عمه ، ونحن اليوم في فقدنا لعلمائنا ، نسأل الله سبحانه أن يجعل في العلماء الباقين بعدهم خير الخلف لخير سلف ، وأن يمدهم بعونه لنصرة دينه وإعلاء كلمة الحق ، مذكريهم بمقالة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – « نحن قوم

أعزنا الله بالإسلام ، ومتى ابتغينا العز بغيره أذلنا الله » .

ومن حقهم وحق ولاة الأمور على الأمة الدعاء والتعاون ، فإن ولاة أمرنا لحبهم لسلامة العقيدة ، واهتمامهم بالإسلام : عقيدة وعملاً وتطبيقاً كانوا يقدرون العلماء ، ويتأدبون معهم ، وينزلونهم المكانة التي تليق بالعالم المدرك مكانة العلم في نفسه وفي عمله ، بل يسندونهم في تبليغ ما آتاهم الله من علم ، ويهيئون الفرص ، حتى أصبحت المملكة الآن مرمى أفئدة طلاب العلم الشرعي ، وعلماؤها موطن الثقة بما عندهم ، والاطمئنان لما يصدر عنهم وخاصة في أمور العقيدة .

ولذا كانوا وبخاصة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد بن عثيمين – رحمهما الله – مقصداً لطالب العلم ، وموطن ثقة لراغب الفتيا ، وبفقدهما فقد طلاب العلم في الخارج خاصة ، وفي الداخل بصفة عامة سنداً قوياً في الميدان العلمي ، لأن أي خلاف تبرز آثاره بين المتناقشين في أمر من الأمور الدينية في دول العالم ، يرون الاحتكام الذي يصدرون عنه : ما قاله الشيخ ابن باز ، أو ما أفتى به الشيخ ابن عثيمين .

نسأل الله أن يعوض الأمة خيراً في علمائها الباقين ، وأن يجعل لهم الورع ، ورسول الله ﷺ يطمئن أمته بأنهم لا يزالون بخير في مثل هذا الحديث : « من قال هلك الناس فهو أهلكهم ، أو فقد أهلكهم » لأن الله جلت قدرته قد تعهد بحفظ هذا الدين ، ومن حفظه قيام رجال بترسم خطى من قبلهم من أهل الصدق والأمانة ، والحرص على التخلق بأخلاقهم في الأداء ، وصدق النية والعمل .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

لقد كان من مواطن الشبه بين الشيخين : ابن باز وابن عثيمين أن كلاً منهما لما أصيب بالمرض تحامل على نفسه أداء وعملاً وحرصاً على إفادة الناس ما يحتاجون إليه ، وهذا من الاهتمام بالأمانة العلمية ، وتبليغ ما أعطاهم الله ، خلافاً لأهل الكتاب الذين كتموا العلم .

فالشيخ ابن باز - رحمه الله - كان يعطي الدروس ، ويحدث الناس في المناسبات ، وفي المسجد حتى اشتد به المرض ، أي قبل وفاته بيوم واحد .

والشيخ ابن عثيمين كان يؤدي حديثه المعتاد في رمضان بعد التروايح حتى آخر رمضان عندما اشتد به المرض .

والشيخ ابن باز حرص حرصاً شديداً أن يذهب إلى مكة لأخذ العمرة قبل وفاته بأيام .

والشيخ ابن عثيمين قبل ذلك فقد أصر على المجيء إلى مكة في رمضان والصلاة في آخر الشهر بالحرم .

والشيخ ابن باز ممن أكرمه الله بثبات حواسه كلها ولم يحس المراجعون عن حاله بشيء .

وكذا الشيخ ابن عثيمين كانت حواسه كاملة مستمرة معه ، والدعاء المشهور : « اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوانا أبداً ما أحييتنا » ، وقد استجاب الله لهما ذلك ، وحققه سبحانه .

والشيخ ابن باز يحب مكة كثيراً ، ويحب المجيء إليها ، ولذا لما مات دفن فيها وصلي عليه في الحرم .

وكذا الشيخ ابن عثيمين يحب مكة ويجيء إليها كثيراً ، وقد صلي

عليه في الحرم ودفن بجوار الشيخ ابن باز .

وكل منهما محب لطلاب العلم ، وباسط جناحه لهم ، ويمدهم بالمساعدات ، وخاصة الذين من الخارج .

وهكذا نجد الخصال الحميدة ، والسيرة الحسنة ، والزهد والورع ، ناهيك بالعبادة ، وحب المساكين . فرحم الله الشيخ محمد بن عثيمين ، فقد كان نجماً ساطعاً في سماء العلم ، وقمراً يضيء الله به ظلام الجهل ، وسلفياً محباً للعقيدة ، ترسم خطى مشايخه ، وأخذ بأقوال العلماء من قبله دراسة وعملاً ، فكان تلميذاً لابن تيمية في كثير من مسائلة ، وكان حريصاً على أخذ العلم الشرعي من مظانه عن شيوخه ، وعن كتب السلف ، حيث يحرص على التحقيق والتدقيق ، لينفرد بما يراه أنفع للناس ، تأسياً بشيخه عبد الرحمن بن سعدي في سعة اطلاعه وبعد نظرته .

رحم الله الجميع ، ووفق الله علماءنا إلى ترسم خطى أسلافهم ، القريبين بمآثرهم ، والبعيدين بعلمهم المدون ، ومواقفهم المعروفة ، وجمعنا بمن سلف في مستقر رحمته ، إنه على ذلك قدير .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٤)

من أخلاق الشيخ رحمه الله وصفاته

بقلم الشيخ : أيمن عبد العزيز أبا نمي

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. وبعد :

فأريد أن أسلط بصيصاً من الضوء على بعض أخلاق وصفات ذلك الجبل الأشم ، والديوان من دواوين العلم ، شيخ شباب الصحوة ، والإمام العالم القدوة : محمد بن صالح العثيمين ، غفر الله له وأسكنه فسيح جنته وجعله في أعلى عليين ، وذلك من خلال ما عرفته عن الشيخ وشاهدته بنفسي ، وذلك لتكون نبراساً للناس ؛ ليعرفوا على ماذا كان علماؤهم فيقتدوا بهم ، فمن أبرز صفاته :

١ – حرصه على نشر العقيدة الصحيحة ومحاربة البدع والشركيات ، وذلك واضح من خلال كتبه التي ألفها بخط يده على كثرة مشاغله ، منها على سبيل المثال : شرح لمعة الاعتقاد ، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى .. وغيرها .

وأيضاً من خلال دروسه التي يخصص جزءاً منها لشرح كتب العقيدة وتوضيحها للناس ، حتى في الدروس العامة ، دروس الحرم ، مثلاً قلما يأتي درس إلا وتجد الشيخ يعرج على موضوع في العقيدة ، خاصة موضوع الأسماء والصفات لكثرة الخلط فيه ، فيبينه للناس غاية البيان بالحجة والبرهان .

٢ – حرصه الشديد على نفع الناس ونشر الخير ، فالشيخ أينما ذهب

يقيم درساً في المكان الذي يذهب إليه ، ففي كل سنة يذهب إلى مكة يقيم فيها درساً ، سواء أتاها في رمضان أو غيره ، وإذا ذهب إلى المدينة أقام درساً ، وإذا أتى إلى الرياض أقام درساً ، حتى إنه في الأشهر الأخيرة من حياته عندما كان عند أخيه في الرياض كان يشرح كتاب رياض الصالحين بعد صلاة العصر في مسجد الحي ، مع ما كان يعانيه من المرض ، بل إن الشيخ في شهر رمضان عندما يرقد على السرير الأبيض متعباً ، وقد شاهدت جسمه الضئيل كان يجيب على أسئلة برنامج سؤال على الهاتف الذي يذاع في إذاعة القرآن الكريم ، بل إنه ألزم المذيع بأن يأتي كل يوم لتسجيل هذا البرنامج .

والشيخ لا يفوت فرصة تحصل له بأن ينفع الناس إلا ويستغلها ، أذكر مرة أني كنت بالحرم المكي ، فأتى الشيخ رحمه الله رحمة واسعة ، وألقى درساً ، وعليه إحرامه ، فلما سئل عن ذلك ، قال : إني انتهيت من العمرة وأحببت أن أجلس مع الإخوة ، وأن لا يفوت هذا اليوم بلا درس ، فانظر ينتهي من العمرة متعباً وعليه إحرامه ، ومع ذلك يجلس ليعلم الناس ويفتيهم على حساب راحته ، فرحمك الله يا شيخنا رحمة واسعة ، وأنار قبرك بالأنوار الساطعة .

٣ - تمسكه الشديد بالسنة والعمل بها ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، لكن أذكر منها حث الناس دائماً على التمسك بالدليل ، وعدم تركه لرأي فقيه أو عالم ، ومن ذلك ما كان يقول من وجوب غسل الجمعة ، لحديث «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» فعندما يقال له : بأن قول الجمهور بأنه سنة يتعجب من ذلك ، ويقول لو أن عالماً كبيراً قال قولاً لاحترمتم قوله وعملتم به ، ودافعتم عنه ، وهذا رسول الله ﷺ يقول لكم أن غسل الجمعة

واجب ، وتقولون أن الجمهور يقولون بأنه سنة .

ومن تمسكه بالسنة أنه ينبه في كل وقت على ما هو سنة ، وما هو بدعة ، ومن ذلك أنه قد يأتي أحد ليسلم عليه فيقبل رأسه أو يصافحه ، فينبه أن ذلك بدعة ، ويأمر بالمصافحة ، حتى إنه كان يأمر بذلك وهو على السرير في المستشفى ، والذهاب إلى المسجد ماشياً مع أن بيته في عنيزة بعيد عن المسجد ، ومع ذلك يذهب ماشياً ، ومن عمله بالسنة المشي حافياً أحياناً إلى المسجد ؛ لأن النبي ﷺ كان يحتفي أحياناً ، أيضاً عدم صلاته السنة الراتبة في مكة لأنه يكون مسافراً ، ولبسه البياض من الثياب ، ومن عمله بالسنة وإحيائها إفشاء السلام ، حيث كان مع أنه الشيخ العالم الكبير يسلم على كل من مر به ، وأذكر مرة أني كنت أسير معه متوجهين إلى الحرم فكان إذا مر بأحد سلم عليه ، حتى الصبيان يمر عليهم ويسلم عليهم ، حتى إنه سلم على صبي فعرف الشيخ فأعطاه سواكاً ، فقبله الشيخ منه بكل تواضع وابتسامة ورحابة صدر .

٤ - تواضعه - رحمه الله - : وأما إن تكلمت عن تواضعه فهذا البحر الذي لا ساحل له ، لكن من ذلك ما ذكرته من سلامه على الصبيان ، وقبول هديتهم ، وسكنه في بيت من الطين لمدة طويلة مع أنه عرض عليه الملك خالد شراء بيت جديد له لكن رفض ، وجلس سنوات فيه ، ولولا ضغط أبنائه وإلحاحهم الشديد لما ترك بيت الطين الصغير .

ومما شاهدت من تواضعه أنه مرة كان في أحد دروسه في سطح الحرم فأتت هرة بين الصفوف ، والشيخ كان يلقي الدرس ، فأوقف الشيخ الدرس وقال : ماذا تريد هذه الهرة ، لعلها تريد ماء ، اسقوها ماء ، فسقوها ، ثم

ذكر الشيخ فائدة عن حكم سؤر الهرة ، ثم قال بعد ذلك : هذه فائدة بمناسبة حضور الهرة ، فضحك الجميع ، فانظر إلى تواضع الشيخ ، يوقف درسه ليسقي هرة ، أو ينظر في شأنها ، ومرة ذهب ليلقي محاضرة في الحرس الوطني وقد استعد كبار الضباط لاستقباله عند المسجد ، فلما أتى لينزل من السيارة جعل حذاءه داخل السيارة ونزل ، فأشار إليه مرافقه أن يلبس للوجاهة فقال الشيخ : لا دعها ونزل حافياً فما زاده ذلك إلا مهابة وتعظيماً .

ومن تواضعه بساطة لباسه وكلامه وملاطفته لمجالسه واستماعه للصغير وتقبيله وغير ذلك .

أسأل الله أن يخلف على المسلمين ، وأن يجعلنا على دربه سائرين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٤)

ألا رحمه الله

بقلم الشيخ : محمد هاشم الهدية

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان

سماحة الشيخ ابن عثيمين هو ذلك العالم الذي تلقاه باسماً منشرح الصدر ، تنقاد إليه منذ أن تقع عينك عليه ، فقد كان قوياً إذا تكلم ، وقورا إذا سكت ، مهاباً مع أنه رقيق الحاشية ، رفيقاً بالناس ، ولا تكاد تجده إلا نشيطاً في مشيه ، وفي جميع حركاته ، لم يؤثر كبر السن في حيوتيه التي عهدناها فيه خلال الثلاثين عاماً التي عرفناه فيها ، وكان مفاجأة لنا يوم بلغنا أن الشيخ قد أصيب بمرض عضال ، وقد سافر إلى أمريكا للعلاج ، وسررنا بعودته وهو معافى ، وقد زال حزننا يوم عودته ، وما كنا نظن أن المرض قد تمكن منه حتى حرم أحبابه من زيارته وهو في غرفة الإنعاش ، ولا يوم أن سكن غرفة في الحرم المكي يواصل فيها درسه الذي أصر عليه من على البعد مستفيداً من الأجهزة الحديثة التي توصل صوته إلى تلاميذه في الحرم المكي الذي صعب عليهم انقطاع صوته الواضح الفصيح .

ولولا الإيمان بأن الله حد لكل حي أمداً تنقضي فيه حياته ما توقعنا وفاته المفاجئة لنا ، فلا نملك إلا أن نقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

إن مصيبة الموت مكتوبة على كل حي ، والصبر شأن كل الأتقياء والصابرين ، والعزاء لازم لطلبته الكثيرين قبل ذويه ، فإنهم أصبحوا بالنسبة

إليه كأعضاء جسمه ، وأرى أن الصدمة عليهم قوية ، وأرجو الله أن يمدهم بالصبر على فقده ، والثقة القوية في الله عز وجل أن يهيىء لهم عالماً يقوم مقامه ، ونسأل الله أن ينزل شيخنا وشيخهم منازل الأبرار ، وأن يوسع في مرقده ، وأن ينور له في قبره مد بصره ، وأن يفتح له باباً من أبواب الجنة ، وأن يحييه حياة الشهداء ، فإنا نشهد أن وقته كله كان ملكاً لطلاب العلم في جميع مواضع وجوده .

ألا رحم الله ابن عثيمين ، وأجزل له المثوبة ، فإنه فقدٌ ونقص في الدين لأنه انحجب علمه الوفير عن محبي مجالس علمه ، وهم كثر يصعب حصرهم بالإضافة لطلابه الذين يسكنون في المساكن التي هيئت لهم قرب مسجده ، وهم من بلاد شتى ، لقد كان والداً لهم يتفقدهم في حياتهم من حيث السكن والإعاشة ، وهم فخورون بهذه الأبوة الحانية .

أما نحن في السودان وخاصة في العاصمة المثلثة الخرطوم تعودنا أن نلتقي مجموعات من طلبته أبناء السودان في العطلة الصيفية ، حيث يعقدون الدورات والحلقات العلمية في أماكن شتى في السودان ، وهي دراسة منهجية بدأت بطلبة الجامعات الأكاديمية ، وظلت تتطور من سنة لأخرى حتى شملت مدارس الأساس والثانويات .

والأمل معقود على استمرار هذا العطاء حتى لا ينقطع ثواب هذه السنة التي سنها طلبته اقتداء به ، وعزاؤنا لأبنائه ولأسرته ومحبيه ولله ما أعطى ، وله ما أخذ .

(جريدة عكاظ ، العدد : ١٠٣٣٤)

في رحاب الله يا بحر العلوم

بقلم الشيخ : عبد الإله علي حمزة

فجعت الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها مساء الأربعاء ١٥/١٠/١٤٢١ هـ بوفاة أحد علمائها ، وهو الشيخ محمد بن صالح العثيمين عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية ، فقدته الأمة عالماً فذاً ومصلحاً ومربياً كريماً .

أيها العالم الرباني : يبكيك محرابك الأشم في الجامع الكبير في عنيزة بالقصيم ، تبكيك الأمة حامياً لعقيدتها من تأويل المبطلين ، وتحريف المرجفين ، عُرفت أيها الشيخ الوقور بعلمك الجم ، وخلقك الفاضل ، وتواضعك ونظرتك الثاقبة ، وحسن معاملتك مع الصغير والكبير ، والعالم والمتعلم ، والعامي ، والمعروف ،والبعيد والقريب ، تفيد المتعلم ، وترشد الجاهل ، يبكيك المصلون في مسجدك ، يبكيك طلاب العلم الذي أتوا إليك من كل فج عميق لينهلوا من علمك الوفير ، فقد كنت لهم بقلبك الكبير ، يبكيك المسلمون المخلصون في العالم أجمع ، المحبون لربهم ، المتلهفون لنصرته ، وقد لمسوك فواح العلم ، راعياً للمستضعفين المهملين ، عطاء للمحرومين الجاهلين .

في رحاب الله يا بحر العلوم والمعاني والحكم ، تفقدك الملائكة التي كانت تحف مسجدك ، يفقدك الأيتام الذين كنت لهم كفيلاً ، والأرامل اللاتي كنت لهن عائلاً ومعيناً ، يبكيك عشاق أحاديثك العذبة ،

وروحانياتك الغامرة ، ولفظك المؤثر الجميل ، تبكيك الحنيفية المحاربة التي كنت لها سنداً ، والملة المطاردة التي كنت لها مؤيداً ونصيراً .

أيها الشيخ الوقور : لن تنساك حلقة علمك في الجامع الكبير بعنيزة ، والكلم الطيب يتقاطر من فمك شهداً من بحر علمك الوفير .

في رحاب الله أيها الشيخ .. فقد كنت كريماً متواضعاً تجيد أدب الحديث والاستماع والعناية بشئون المسلمين ، وقضاء حوائجهم .

في رحاب الله أيها العالم ، يا بحر العلم الرباني ، العابد المتفاني ، صاحب الخلق العظيم ، والأدب الجم الرصين ، ما زالت نبرات صوتك في الأسماع وأنت تجيب على أسئلة المسلمين من كل مكان ، عبر برنامج «نور على الدرب» و «سؤال على الهاتف» من إذاعة القرآن الكريم ، قدمت العلم أيها الشيخ في أصعب مراحل مرضك ، وأنت على الفراش بمكة المكرمة ليستفيد المسلمون في البيت العتيق .

رحمك الله رحمة واسعة أيها الشيخ الجليل ، فقدك خسارة للإسلام والعلم والدعوة وللمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، فقد كنت شهاباً في سمائهم ، وقمراً في ليلهم وشمساً في نهارهم ، وضياء للعلم والحقيقة والمعرفة ، وما الجموع التي ودعتك بمكة المكرمة إلا لحبها لك وإجلالها لك .

انظروا كيف تخمد الأنوار   انظروا كيف تسقط الأقمار

رحمك الله أيها الشيخ بقدر ما قدمت لدينك وأمتك ، وما نقول إلا ما يرضي ربنا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٥)

ما بال هذا العقد

بقلم الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله الغنام

** الجمع الخيري بشمال بريدة **

الحمد لله مقدر الأقدار ، ناسخ الآثار ، كتب الآجال ، وقدر الأعمار ، أحمده على جزيل فضله المدرار ، وأصلي على النبي المختار ، محمد سيد الأبرار ، وعلى آله الطيبين الأطهار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القرار ، وبعد :

العقد الثالث من هذا القرن الخامس عشر ليس كأي عقد ، إنه عقد وفاة العلماء ، كواكب هوت ، ونجوم أفلت ، خطفتها المنون ، وحجبت نورها بواطن الأرض ، كل ذلك في هذا العقد ، ليته لم يأتنا ، وليتنا لن نأته ابن باز ابتدأه ، ثم الألباني ، ثم ثم ثم واليوم ابن عثيمين ، ويا ويح قلبي أو مضى شيخ الشيوخ ، وعالم الزمان ، مرشد الظمآن والحيران ، أوَ مضى بدر الدجى ، وشمس الضحى ، هل مضى؟ هل انقضى؟ ليت شعري هل تعلم المنون من أخذت؟ ليت شعري ، هل تعلم الأرض من غيبت؟ أوَ يدرك حبري نعيي للدنا؟ أم أن حبري عشق الأشجان؟ أو يعلم الورق رسم حروفي؟ أم أن حرفي ألِف الأحزان؟ يا ويح قلب قطعته مآس ومزقته النواعي فهل يا ترى سيكتفي هذا العقد بما أخذ منا من كواكب ونجوم؟ .

هل يا ترى ستكتفي الأرض بما غيبت في أحشائها من علماء؟

وعلّي أختم حديثي بهذه القصة الطريفة التي حصلت للشيخ في حج

إحدى السنوات ، حيث كان الشيخ - رحمه الله - خارجاً من الحرم يريد الذهاب إلى دار الإفتاء ، فاستوقف أحد التكاسي فركب معه ، فسأله صاحب التاكس ، أين تريد؟ فقال الشيخ أريد الذهاب إلى منى إلى الإفتاء وفي أثناء الطريق سأل السائق الشيخ من أين؟ فقال الشيخ؟ من عنيزة ، فقال السائق : من ديرة ابن عثيمين؟ فقال الشيخ : أنا ابن عثيمين . فضحك السائق وقال للشيخ : إذاً فأنا ابن باز ، فقال له الشيخ : ولكن ابن باز أعمى ولا يقود السيارة ، فقال السائق : كيف تقول لي إنك ابن عثيمين؟ فقال الشيخ : نعم أنا ابن عثيمين . فنظر السائق إلى وجه الشيخ وأوقف سيارته فجأة في وسط الطريق ، ونزل وأكب على الشيخ يقبله ويبكي ويقول : والله الذي لا إله غيره إني كنت سأبيع السيارة بعد الحج فأما الآن فلو وزنوا لي بها ذهباً ما بعتها وأنت قد ركبتها ، فابتسم الشيخ ودعا له .

عزاؤنا في مصيبتنا بنبينا ﷺ وصحابته من بعده ، وكذلك التابعون لهم بإحسان ، نسأل الله عز وجل أن يجيرنا في مصيبتنا ويخلف لنا خيراً منها .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٥)

أم إبراهيم وموقف مع الشيخ في الحرم المكي

بقلم الكاتبة الأستاذة : نسيبة بنت سليمان الربعي

* كلية التربية للبنات ببريدة - قسم الدراسات الإسلامية *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فإن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، وإن القلب ليحزن ، والعين لتدمع ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا لفراقك يا شيخنا لمحزونون ، إن في الله خلفاً من كل هالك ، والحمد لله على قضائه وقدره ، أما بعد :

فقد أشهد الله تعالى أولي العلم على أجل مشهود عليه ، وهو توحيده ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم** ﴾ ، وهذا يدل على فضل العلم وأهله ، فقد استشهدهم دون غيرهم من البشر ، وفي ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم ، فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول ، بل قال أهل العلم : « إنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين ، فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة على توحيده » ، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله مزيداً من العلم فقال : ﴿ **وقل ربي زدني علما** ﴾ .

وأهل العلم هم أهل خشيته ، وهم الذين تضع لهم الملائكة أجنحتها قال الإمام مالك - رحمه الله - في معنى هذا : « أي تبسطها بالدعاء

لطالب العلم بدلاً من الأيدي » ، وفي الحديث الآخر : « إنها تحفه بأجنحتها : فالوضع تواضع وتوقير وتبجيل ، والحف بالأجنحة حفظ وحماية وصيانة ، فتضمن الحديثان تعظيم الملائكة لهم وحبها إياهم وحياطتهم وحفظهم ، فلو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيل لكفى به شرفاً » .

وقد قال ﷺ : « إن العلماء ورثة الأنبياء » ، وفي هذا تنبيه على أنهم أقرب الناس إليهم ، فإن الميراث إنما يكون لأقرب الناس إلى الموروث ، وهذا كما أنه ثابت في ميزان الدينار والدرهم ، فكذلك هو في ميراث النبوة ، والله يختص برحمته من يشاء .

دعا لهم ﷺ بقوله : « نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها » .. الحديث ، هذه النضرة التي هي البهجة ونضارة الوجه وتحسينه ، وهي أثر تلك الحلاوة والبهجة والسرور الذي في قلبه وباطنه ، ولا نحسب سماحة شيخنا إلا منهم ولا نزكي على الله أحداً .

قال الإمام علي – رضي الله عنه – : « محبة العلماء دين يدان الله به ، وإننا نشهد الله على محبته وأمثاله حباً فيه سبحانه وتعالى » .

رزقه الله الفقه في دينه ، وقد قال ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » وقد ضم إلى هذا الفقه العمل ، فاستحق اسم الفقيه ، ذلك أن السلف – رحمهم الله – لم يكونوا يطلقون اسم الفقيه إلا على العلم الذي يصحبه العمل ، فهذا هو العلم :

سماحته من قوم علموا أن الدنيا دار ممر ، ومنزل عبور ، لا مقعد حبور وأنه خيال طيف أو سحابة صيف ، وأن من فيها كراكب قال – أي استراح في نصف النهار – تحت ظل شجرة ، ثم راح عنها وتركها ، وتيقنوا أنها

أحلام نائم ، أو كظل زائل ، إن اللبيب بمثلها لا يُخدع .

فقدنا هذا العلم ، وفقده هو الرزية كما قيل :

تعلم ما الرزية فقد مال ... ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر ... يموت بموته بشر كثير

لم يخف – رحمه الله – من الحق فقد كان يصدع به فكان كما قال القائل :

لا تخف وحشة الطريق إذا سر ... ت وكن في خفارة الحق سائر

ومما يعزينا أن مآثره باقية :

وما دام ذكر العبد بالفضل باقياً ... فذلك حي وهو في الترب هالك

فأثر العلم يبقى وإن مات ، وليس كغيره ، كما قيل :

وكان بنو عمي يقولون مرحباً ... فلما رأوني معسراً مات مرحب

حدثتني أم إبراهيم – وفقها الله – قالت : وقفت للشيخ في العام الماضي في الحرم المكي لأسأله عن شيء مما اختلف الناس فيه ، لأعرف رأي سماحته ، فوقف مقتدياً في ذلك برسول الله ﷺ ، حيث توقفه المرأة والصبي في حاجتهما فيقف حتى يقضي ذلك ، وما أن وقف سماحته حتى أحاط بي ومجموعة صغيرة من النساء جمع غفير من الرجال – هداهم الله – لحرصهم على سماع أي فتوى منه ، لكني قلت لسماحته : إني لا أستطيع الكلام وهؤلاء الرجال يحيطون بنا ، فالتفت إليهم ، وقال : اذهبوا حتى فرقهم جميعاً ، ثم انضم إلي جمع كثير من النساء فاستمع الشيخ إلى استفتاءاتهن حتى فرغن . آهـ .

وفي آخر كلمتي أتوجه إلى كبار طلبة الشيخ ، بل إلى أحدهم ليعرف الناس بكبارهم حتى يُعرفوا ويرجع إليهم فيما يراد من تراثه ، وأن يهتموا بجمع الفتاوى المتفرقة ، فإن هناك منها أشياء كثيرة في نوازل متعددة ليعم النفع بها .

رحم الله شيخنا ، وأسكنه الفردوس الأعلى مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وفق الله الجميع ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٥)

مات بقية السلف الصالح

بقلم الكاتبة الأستاذة : هدى بنت سلطان القحطاني

الحمد لله القائل : ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾ ، والقائل : ﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ .

فقد أتانا يوم كنا نخافه ، وساعة كنا نخشى شهودها ، وخبرٍ كنا لا نود سماعه ، وعلم لا نود معرفته ، فها هو الموت يغيب رجلاً فاضلاً نحبه في الله ونجله .

شيخنا الجليل الفقيه الزاهد ، خطيب الخطباء ، وعالم العلماء : محمد بن صالح بن عثيمين الأب الروحي لنا ، وهو من كان لنا في عصرنا كما قال القائل :

هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر

فماذا بقي لنا؟ أي حزن أصابنا؟ وأي ألم زاد في قلوبنا؟ بل أي مصاب هو مصابنا؟ فما أشبه اليوم بالأمس ، فمنذ أن ودعنا العام المنصرم شيخ زماننا الإمام العلامة ابن باز – رحمه الله – ما جفت مآقينا ، فلنا في كل يوم حال بفقد العلماء ، ومرض الأحبة ، وتقتيل المسلمين في أنحاء الأرض ، فها هو جرح الإسلام الدامي في فلسطين ما زال ينزف ، والقدس تصرخ وما من مجيب .

فعند الله نحتسب فقد عالمنا العابد ابن عثيمين – رحمه الله – وإلى

الله نشكو حالنا وحال المسلمين ، إنه بنا رؤوف رحيم .

إن الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين – رحمه الله – اسم يعرفه الصغير قبل الكبير ، رجل قضى حياته في خدمة الإسلام والمسلمين ، قضى عمره المبارك في طلب العلم والدعوة إلى الخير ، وربّى الأمة والأجيال القادمة بأقواله وصدقها بأفعاله ، يحسبه من يراه رجلاً من السلف الصالح ، أكرمنا الله بوجوده ، لزهده ومخافته لله ، وقوته في الحق ، حيث كان لا يخشى في الله لومة لائم ، ولتواضعه مع الناس جميعاً : الرجل والمرأة ، والغريب ، والكبير والصغير ، أحب الله بكل ما فيه فأحبه الله ، وأنزل محبته في قلوب الناس ، وكان سنداً عظيماً للداعين للخير ، والآمرين بالمعروف ، معيناً على كل أمر فيه صلاح الأمة واستقامتها ، يعمل في طاعة الله كأنه سيموت غداً ولأن الله أحبه فقد ابتلاه بالمرض ، والرسول ﷺ قال : « أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل » يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة شدد عليه في البلاء ، فكان – رحمه الله – صابراً على الألم والمرض ، محتسباً ، مجاهداً في هذه الدنيا لآخر لحظة ، لم ينقطع عن طلابه ، ولا عن نشر علمه ، ولا عن عبادته ، ولم يبخل عن صاحب حاجة أو سؤال على رغم ما هو فيه من الألم ، كما قال ذلك من رآه .

إنه الرجل المجاهد بكل ما في هذه الكلمة من معان عظيمة ، وعلى مثل هذا الرجل والله فلتبك البواكي ، قال تعالى : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** ﴾ .

ولكنها الدنيا التي لا يأمن عاقل فطن مكرها ، دار الابتلاء والفناء ،

وما يجري عليها من أحداث تجعل كل مسلم عاقل يعرف أنه في طريق الموت سائر ، وإنه لربه ملاق .

لا يدفع المرء ما يأتي به القدر وفي الخطوب إذا فكرت معتبر

فموت العلماء إنما هو فقد للعلم ، وهذه مصيبة عظيمة تصاب بها الأمة الإسلامية ، وإن من علامات يوم القيامة قبض العلم بموت العلماء .

وبفقده نعزي أنفسنا ، ونعزي أهل بيته ، ونعزي طلابه وتلاميذه ومحبيه ، ونعزي المسلمين والمسلمات في هذا العالم ، ولن يبقى إلا وجه الله ذو الجلال والإكرام ، وأمة الإسلام قد أصيبت بمصيبة أعظم وأكبر من هذه حينما فقدت نبيها ﷺ ، وقد قال الله تعالى : ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ ونذكرهم بقوله ﷺ : « يا أيها الناس .. أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري ، فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي » .

وكما قال القائل :

وإذا أتتك مصيبة تشجى بها فاذكر مصابك بالنبي محمد

قال الله سبحانه : ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم * دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين**﴾ .

فاللهم ارحم شيخنا وأعظم أجره ، ونور له في قبره ، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة ، واجعل البركة في ذريته وخليفته ، وعلماء هذه البلاد ، وسائر علماء المسلمين من بعده .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٥)

عنيزة قومي ودعيه فقد مضى

بقلم الشيخ : إبراهيم بن علي الخشان

ثلاثون عاماً ، بل تزيد ، وعنيزة تزهو بشيخها الوقور ، إذا فاخرت أبناء عنيزة ، قالوا لك : يكفينا الشيخ .

ثلاثون عاماً .. بل تزيد .. وشوارعها الصغيرة المتعرجة تحضن الشيخ ، غادياً إلى الجامع ، أو آيباً منه.

ثلاثون عاماً .. بل تزيد .. الشيخ والجامع لهما عن أهل عنيزة دلالة خاصة ، ومزجوا بين الإثنين – حُباً – في الإثنين ، فقالوا : جامع الشيخ ، فإن سألت عن أيهما عرفوا أنك ضيف فأكرموك بما أنت أهله .

منذ ثلاثين عاماً .. بل تزيد .. والشيخ بجسمه النحيل ، وابتسامته المشرقة ، وعباءته المميزة – لبساً – لا نوعاً ، يغدو منفرداً إلا من كلام الله ، ففي رحلة الذهاب يراجع القرآن الكريم ، أما في الإياب فجموع حاشدة تحوط به ، هذا محب – وكلهم ذلك إن شاء الله – أتى مسلماً ، وآخر مستفتياً ، وطالب علم يفيد من هذا البحر .

ثلاثون عاماً .. بل تزيد .. والشيخ يجلس للناس في محرابه بعد صلاة الجمعة ، لم نره يوماً متبرماً ، بل كل منا يرى أنه حظي من الشيخ ما لم يحظ به غيره ، وبينه وبين الأطفال محبة ومودة وألفة ، فيقبلهم بأبوة وحنان ، ويجيب على أسئلتهم ببسط وإيضاح ، ولربما سأل أكثر من مرة : أفهمت؟ وإلا فيعيد الإجابة حتى تفهم .

ثلاثون عاماً .. بل تزيد .. والعيد في عنيزة لا تكتمل بهجته إلا بالصلاة مع الشيخ ، ثم يكون أول من نهنيء ، وفي هذا العام كان العيد في عنيزة مختلفاً ، فالقلوب كسيرة ، وفي العيون نظرات حزينة ، والشيخ في القلوب حاضر لم يغب .

وبعد .. فها هو قضاء الله قد حل ، وأمره قد نفذ ، ولا راد لما قضى به وأمر ، وتلك سنة الله في خلقه ، وسبحان من هو حي لا يموت ، وها هي الأمة تودع علماً من أعلامها ، تودع شخصه ، أما علمه فباق ، وأما ذكره فخالد – بإذن الله – لم لا؟ وهو ممن حمل ميراث النبوة .

عنيزة قومي ودعيه فقد مضى .. هذا نجمك قد غاب .. قد هوى .. هذا مجدك المؤثل قد انثوى .. العهد بك تفين لمن وفى .. عنيزة هذا أوان الحزن فاحزني .. هذا أوان الدموع فلا تبخلي .. لك مع الشيخ قصة فهيا حدثي .. عن البحر الذي جاز بالعلم العلا .. بل أبحر الكل منها ارتوى .. بكى النخل – وجدا – فجاوبه الغضا .. بكى الناس – كلهم – فقيرهم ومن اغتنى .. حبك في الله – والله – تدفق وسرى .. ومن لا يحب مثلك فمنافق قد غوى .. ومن لم يحزن لفقدك ففاسق لم يرعوِ ..

ها هو الشيخ يغادرنا مودعاً الدنيا الفانية إلى الدار الباقية ، ها هو يترجل – بأمر الله – بعد رحلة حافلة في العلم والتعليم ، تُرى ألم ندرك بعد من هم النجوم الذين تهتدي بهم الأمة؟ ألم يئن الأوان للغارقين في وهم نجومية الفن والرياضة الزائفة أن يعوا الحقيقة؟ أليس لديكم عقول تفكرون بها وتقارنون؟ يموت الواحد منكم فيموت ذكره ، وتطوى صفحته إلى الأبد كم من كبير فيكم مات ، ولم يحزن ، لفقده سوى أهله؟ أما ترون الكل

يحزن لموت العلماء ويترحم عليهم ويدعو لهم .

إن كان في موت العلماء ثلمة للأمة ، فإن فيه عظمة للغافلين المفرطين – وكلنا ذاك الرجل – اللهم ارحم شيخنا وتغمده بواسع رحمتك واجمعنا به ووالدينا في عليين مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ، والصالحين ، اللهم اجبر مصابنا في فقده .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٥)

فقيدنا الكبير

بقلم الشيخ : إبراهيم بن حمد الجطيلي

في يوم الأربعاء الموافق ١٥ / ١٠ / ١٤٢١ هـ انتقل إلى رحمة الله تعالى الإمام الشيخ محمد بن صالح العثيمين – غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين – وماذا أقول في البداية والنهاية ، وماذا أقول في العناية والرعاية ، وماذا أقول في المناهل والوسائل والرسائل والمسائل والفوائد والدروس العلمية في كل مكان ، في البر والبحر والجو والأعلام والإعلام والعلوم والمعاهد والجامعات والندوات والمحاضرات والردود والفتاوى الرجالية والنسائية ، وفتاوى المناسبات والمواسم ، وماذا أقول في الحنكة والحكمة والرحمة والأمة في عنيزة في القصيم ، في المملكة العربية السعودية ، في العالم العربي والإسلامي ، بل في الدنيا كلها من أقصاها إلى أقصاها ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم اؤجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها ، واحشره مع الأنبياء والأتقياء والأصفياء والأولين ، إن رحمة الله قريب من المحسنين .

وقد نظمت هذه القصيدة رثاء ومواساة في الفقيد الكبير :

في الأربعاء توالت الأخبار ... لله كيف يغادر الأحبار
خبر الفجيعة يوم مات محمد ... شيخ جليل كله أنوار
إن الشريعة روحنا بل روحنا ... عنوانها العلماء والأخبار
إني أعزي المسلمين بما جرى ... بفجيعة وإلهنا يختار
رحم الإله محمداً فدروسه ... وعلومه تزهو بها الأقطار

والعالمون بموتهم لمصيبة … إن المصائب أمرها أسرار
موت السفيه لرحمة بل نعمة … في موتهم تتساقط الأوزار
والفاسقون إذا تناصر شملهم … سعدت بذاك الأرض والأشجار
إن القلوب إذا القساوة دأبها … تقسو بها الأعضاء والأحجار
ماذا أقول وشيخنا قد جاءه … موت ودارت حوله الأقدار
يا رب تغفر للإمام ذنوبه … فهو المجاهد حبره مدرار
وهو المعلم والمدرس والذي … بالعلم فينا والهدى سيار
حلق الدراسة والفراسة عنده … أقواله أحواله إيثار
ودثاره وشعاره ووقاره … نعم الشمائل أيها المحتار
آل العثيمين الكرام عزاؤهم … وعزاؤهم ما بالحياة قرار
كل اليراع وضجرت كلماته … شرقت لهول كله أخطار
وعنيزة فقدت إماماً عاملاً … بل عالماً متمكناً يمتار
يا أيها الأحباب تلك قصيدتي … سجلتها كلماتها أنوار
واختاره الرحمن في أم القرى … في بقعة وربوعها أطهار
كل القصائد والفرائد هاهنا … مهما كتبنا إنها لقصار
خمسون عاماً والدروس جليلة … جناتها تجري بها الأنهار
فهو الإمام تواضعاً وتعاوناً … وهو الضياء إذا الورى قد حارو
وهو الخطيب بحكمة وبحنكة … درر الكلام ويرتوي السمّار
فلشعر نابل نثر نابل قولنا … تلك الحقيقة مسكها أزهار
تفسيره توحيده وحديثه … بل فقهه الفتوى بها أمطار
تحقيقه تصديقه توفيقه … سارت بها الركبان والأمصار
في جامع بعنيزة توجيهه … الصدق والإخلاص والأثمار

والجامعات معاهد ومناهلٌ عذب فراب واستقى الأبرار
ووسائل الإعلام كان مشاركاً حسن الجواب وزالت الأخطار
هو للمساجد عامر ومشارك ومبارك قد أفلح العمار
هو للزكاة مصدق ومتصدق ووجاهة وتعاون وقرار
هو في الديانة أمة معلومة هو في التورع أسوة ووقار
يا رب قد عظم المصاب وإننا راضون بالأقدار فهي تدار
الأمر أمر الله جل جلاله الموت حق سيفه بتار
كل الخليقة للفناء مصيرها والأنس يجني زهره الأطهار
موت الأئمة نكبة ومصيبة مهما يكن لو طالت الأعمار

ومن تاريخ الشيخ ابن عثيمين كما هو في ذاكرتي :

١ – ولد الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – ليلة الجمعة الموافق ٢٧/٩/١٣٤٧ هـ .

٢ – حفظ القرآن في ستة أشهر عند المعلم الكفيف علي بن عبد الشحيتان .

٣ – درس في المعهد العلمي بعنيزة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم .

٤ – بدأ في التدريس في المساجد عام ١٣٧١ هـ .

٥ – بدأ في التدريس في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤ هـ .

٦ – رشح خليفة للشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي وشيخه من قبل عبد الله الخالد السليم أمير عنيزة السابق ، وخالد العبد العزيز السليم أمير عنيزة اللاحق ومحمد العبد العزيز المطوع قاضي عنيزة وطائفة من وجهاء عنيزة ، منهم محمد المنصور الزامل – رحمه الله – .

٧ – أول صلاة صلاها إماماً في جامع عنيزة هي صلاة الظهر من يوم الأحد الموافق ٢٦/٦/١٣٧٦ هـ .

٨ – أول جمعة صلاها خطيباً وإماماً كانت في يوم الجمعة الموافق ٢/٧/١٣٧٦ هـ

٩ – آخر صلاة صلاها في عنيزة هي صلاة الاستسقاء يوم الإثنين الموافق ٣/٨/١٤٢١ هـ في مصلى العيد .

١٠ – درسنا على يده التفسير والتوحيد والفقه والحديث والفرائض واللغة العربية وآدابها والنونية لابن القيم .

١١ – بعض العلماء يختص ويتخصص في قسم من العلوم الشرعية ، لكن الشيخ محمد العثيمين حاز الأصول والفروع بالتحقيق والتدقيق .

١٢ – في ردوده وتحقيقاته ومسائله ورسائله يتجنب التجريح والإحراج ، بل هو اللطف والعطف في القول والعمل ، وله قدرة عجيبة وغريبة على التحمل والكلام والاعتصام بالكتاب والسنة والإجماع والقياس والإحسان إلى الناس .

١٣ – ساهم في عمارة المساجد والجوامع والمصليات ، كما ساهم بجاهه وماله وأعماله وأقواله بالمعاينة والمساهمة والمساعدة والشفاعة الحسنة .

١٤ – كان للطلاب والداً لطيفاً ومربياً وموجهاً ومنبهاً ومفقهاً ومصلحاً .

١٥ – يساهم في الزكوات والصدقات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة والإرشاد وجماعات تحفيظ القرآن الكريم والجامعات والمدارس للرجال والنساء .

١٦ - عاصرته منذ أكثر من خمس وأربعين سنة وكان عمري حينها اثني عشر عاماً ، ودرست على يده أكثر من عشرين سنة ، فكان الموجه والمعلم والإمام والخطيب والمدرس والمصلح والقدوة والأسوة الحسنة .

١٧ - صليت عنه إماماً وخطيباً في الجمع والأعياد في جامع عنيزة في التسعينيات الهجرية ودرست على يده في الصباح والمساء ، وقد عقدنا معه جلسة علمية منذ عام ١٣٩٢ هـ حتى عام ١٤١٢ هـ أي استمرت أكثر من ثلاثين عاماً ملئت حزماً وعلماً وفقهاً وتوجيهاً .

١٨ - كان يشاركنا في الرحلات البرية ببساطته المعتادة ويتقبل المزح الخفيف والسجع اللطيف وكنا إذا خرجنا إلى البراري يفضل المشي على الأقدام وكان نموذجاً في اللين والأخلاق والأدب وكتب الله له القبول والمحبة في الأرض .

١٩ - استقطب الطلاب من جميع الأقطار وأسكنهم وجهز لهم كل ما يحتاجون إليه حتى تفرغوا للعلم وحضر دروسه الرجال والنساء الخاصة والغامة وطلبة العلم من الصغار والكبار وله جهود مباركة في «نور على الدرب وسؤال على الهاتف» وهيئة كبار العلماء والمجالس العلمية ، وحتى ولاة الأمر - وفقهم الله - فقد وجد لديهم الإكرام والاحترام والتقدير والقبول وهم أهل لذلك أحسن الله إليهم .

٢٠ - كان لا يخاف في الله لومة لائم ولكن يختار المكان والزمان والحضور بما يلائمهم ولا يحرجهم ، وكان لا يشرع في الفتوى حتى يحكم الموضوع من جميع جوانبه ، وكان ينصح في السر والعلانية .

٢١ - كانت له جلسات مع القضاة وطلبة العلم والخطباء والأئمة .

٢٢ – ممن زاره في بيته من ولاة الأمر – وفقهم الله – وسدد خطاهم جلالة الملك خالد – رحمه الله – كما زاره خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز – حفظه الله – وسمو ولي عهده الأمين ، وسمو النائب الثاني ، وغيرهم من النبلاء والعلماء والوجهاء .

٢٣ – ناب عنه في الإمامة والخطابة محمد المنصور الزامل ، وإبراهيم الحمد الجطيلي ، وصالح العبد الله الخويطر ، وأحمد العلي التركي ، وسليمان العبد العزيز المطلق ، وعبد الرحمن الريس .

٢٤ – جدد جامع عنيزة عام ١٣٦٢ بواسطة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي – رحمه الله – .

٢٥ – كما جدد شرقي الجامع عام ١٣٧٢ هـ بواسطة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي – رحمه الله .

٢٦ – ثم جدد الجامع ووسع بأمر من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز – رحمه الله – وافتتح في شهر ذي القعدة من عام ١٤٠٦ هـ والآن في عنيزة ولله الحمد ثلاثون جامعاً .

٢٧ – منارة الجامع الطينية الأثرية بنيت عام ١٣٠٧ هـ على حساب عبد الله العبد الرحمن البسام ، ولا تزال قائمة ولله الحمد والمنة ، وقد بناها محمد الصالح الدليقان ، والذي توفي عام ١٣٤٧ هـ .

٢٨ – المكتبة الوطنية بعنيزة الملحقة بجامع عنيزة أسسها الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي وتلميذه علي الحمد الصالحي وأشرف عليها ودرس الطلاب الصغار فيها محمد العبد العزيز المطوع ، وعلي الحمد الصالحي ، ومن طلبتها آنذاك الشيخ محمد الصالح العثيمين – رحمه الله – .

٢٩ – استطاع الشيخ محمد الصالح العثيمين أن يؤمن عمائر لطلبة العلم وجماعة تحفيظ القرآن الكريم بعنيزة ، كما ساهم في قضاء الديون وتزويج الشباب وحل المشكلات العائلية والإصلاح بين الناس والشفاعة الحسنة فهو يتوسط بكلامه وقلمه .

٣٠ – الترميم القائم الآن لجامع عنيزة بمشورة وإشراف الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – .

٣١ – إبراهيم بن محمد الريس الفياض – رحمه الله – أذن في جامع عنيزة وعاصر في الإمامة والخطابة صالح بن عثمان القاضي ، وعبد الله بن محمد المانع ، وعبد الرحمن العلي العدوان ، وعبد الرحمن الناصر السعدي ، ومحمد الصالح العثيمين ، وتوفي عام ١٤١١ هـ وخلفه حفيده عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم الفياض الريس .

٣٢ – درس الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله تعالى – في جامع الضليعة في التسعينيات الهجرية ، وكنت أقرأ عليه في درس العشاء الأخير في بلوغ المرام .

٣٣ – وبعد فهذه المعلومات قاصرة وقصيرة لأنني كتبتها وأنا على وشك السفر إلى مكة المكرمة للمشاركة في تشييع جنازة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله تعالى –

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٥)

شيخنا ومجلة النهضة

بقلم الدكتور : عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي

* أستاذ العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب المشارك في قسم التاريخ بجامعة الإمام *

لم يعد ذلك الجسد الناحل ذو الروح الزاهدة ، يذرع الطريق عشر مرات كل يوم غادياً أو رائحاً من الجامع الكبير بعنيزة إلى بيته ، توقفت خطواته ، فلم يعتل المنبر ، ولم يطل بوجهه الصبوح على الجمع الذي جاء يستمع إلى خطبه ، لم يتربع أمام طلابه ، ولم يعقد جلساته ، وهو الذي لم يترك واجباته حتى في ذروة مرضه وشدة ألمه ، وهو الذي يحترم المواعيد بشكل عجيب ، يسجلها بدفتره ، ولكنه هذه المرة غاب بجسده الذي شيعه المسلمون بدعواتهم ودموعهم ، وواروه الثرى ، لترجع النفس المطمئنة إلى ربها راضية مرضية ، وتدخل في عباده ، وتدخل جنته برحمته تعالى .

الحديث عن شيخي متشعب طويل ، كامتداد سمعته ، وغزارة علمه ، وكثرة أعماله الخيرية ، ولعلي هنا أتذكر جوانب لا يعرفها الكثيرون عنه ، أرويها كتلميذ من تلاميذه إبان المرحلة الثانوية ، فقد أسند إليه الإشراف على جمعية الدعوة الإسلامية في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٩٤ رغم أنه لا يحبذ التقيد بهذه الالتزامات ، ويرى – رحمه الله – أن وقته وقف على استذكار القرآن المجيد وعلومه والسنة ، وكتب السلف ، والفتوى ، وطلب مني – رحمه الله – جمع مادة علمية لإصدار مجلة خاصة بالمعهد ، وبعد أن أجاز نصوصها ، اقترحت أن يكون عنوانها (النهضة الإسلامية) فاعترض أحد الزملاء بحجة أن الشق الأول من الاسم يشبه مجلة لها خطها المغاير ،

فما كان منه إلا أن التفت إليه قائلاً : هل يعيب الاسم سلوك من تسمى به ، وهل نهجر الأسماء المحببة من أجل ذلك؟ فظهرت المجلة بهذا العنوان مطبوعة على «الاستنسل» بعدد وحيد .

وأشرف على فعاليات المسرح في المعهد ، وكانت الأمسيات تقام فيه ، يحضرها جمع من المجتمع ، فقراتها كلمات وقصائد ومشاهد مضحكة ، وكان - رحمه الله - يجيز الكلمات ، وينظر في الأبيات الشعرية وينقدها ، ويساهم في رحلات الطلاب ويشاركهم فرحهم وسباقهم ، ومسابقاتهم الثقافية .

أما في إلقاء درسه ومتابعة تلاميذه فكان حازماً ، وكان تصحيحه دقيقاً ، فليس في حساباته أنصاف إجابة ، فإما صواب وإما خطأ .

صدع بالحق ، كان صلباً لا تأخذه بالله لومة لائم ، كان يحب الصدق والصادقين ، وينبذ الكذب والمنافقين . يكره الادعاء والخيلاء ، يتشح رداء التواضع ، كانت خطبه تأصيلية ، وكأنه يهدف إلى تأصيل المفاهيم الإسلامية لدى أفراد المجتمع ، ثم ينتقل إلى تلمس مشكلاتهم اليومية ، وأخذ - رحمه الله - يتناول أحوال المسلمين وقضاياهم بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، وأتبع القول بالعمل ، فأسس مرافق خيرية ، وأسهم في برامج إغاثية .

أما في مجال الفتوى فكان يفتي في المسجد ، وفي الطريق منه وإليه ، ومن خلال الهاتف والإذاعة والتلفزيون ،واللقاءات الطلابية ، والندوات العلمية .

وإنني أقترح - تقديراً لهذا العلامة - إطلاق اسمه على المعهد العلمي

بعنيزة ، وعلى الميزان المحيط بالجامع الكبير ، وأن يجتهد بجمع فتاواه وكتبه ونشرها بأعمال كاملة على هيئة ورقية وحاسوبية بعد أن يتوافر عليها الباحثون يرتبونها ويصنفونها كالعمل الذي نفذه - مشكوراً - مركز ابن صالح الثقافي للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي .

رحم الله علماءنا الأخيار ، وأسكنهم دار الأبرار ، وأتوجه بتعازي الحارة إلي خادم الحرمين الشريفين ، وولي عهده الأمين ، والنائب الثاني ، وإلى أسرة الشيخ : أخويه الأستاذ الدكتور عبد الله ، والأستاذ عبد الرحمن وأبنائه : عبد الله ، عبد الرحمن ، إبراهيم ، عبد الرحمن ، وأقاربهم ، وإلى الشعب السعودي ، وعموم المسلمين .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٥)

يالعزاء الأمة في فقد الجهبذ الأمة

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور: عبد الرحمن السديس
* إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة *

الحمد لله النافذ أمره ، الغالب حكمه ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، وهو الحكيم الخبير ، جعل لكل أجل كتاباً ، وللمنايا آجالاً وأسباباً والصلاة والسلام الأزكيان الأشرفان على من كان المصاب بفقده أشد حزناً وأعظم مصابا .

وإذا أتتك مصيبة تشجى بها فاذكر مصابك بالنبي محمد

القائل فيما أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء » صلى الله عليه وعلى آله الأبرار وأصحابه الأخيار ما جن ليل وبزغ نهار وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد :

فإن لله سبحانه الحكمة البالغة والقدرة النافذة في كونه وخلقه ، وإن مما كتبه الله على خلقه الموت والفناء ، يقول سبحانه : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ ويقول عز وجل : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ ، ويقول جل وعلا : ﴿ **كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ .

وإن أشد أنواع الفقد على النفوس وقعاً ، وأعظمه على الأمة لوعة وأثراً فقد العلماء الربانيين ، والأئمة المصلحين ، ذلكم أن للعلماء مكانة كبرى ، ومنزلة عظمى ، فهم ورثة الأنبياء ، وخلفاء الرسل ، والأمناء على

ميراث النبوة ، وهم للناس الشمس الساطعة ، والكواكب اللامعة ، وللأمة مصابيح دجاها ، وأنوار هداها ، بهم حفظ الدين ، وبه حفظوا ، وما عزت الأمم ، وبلغت القمم ، وأشيدت الحضارات ، وقامت الأمجاد ، وتحققت الانتصارات إلا بهم .

فهم مادة حياة القلوب ، وغذاء الأرواح ، وزاد القرائح والأفكار ، لا سيما علماء الشريعة وأئمة الدين ، ولذلك كان فقدهم من أعظم الرزايا ، والبلية وموتهم من أعظم البلايا ، «فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة» ، كما في الحديث الصحيح عند أحمد وغيره من حديث أنس رضي الله عنه .

ولقد رزئت الأمة في هذه الآونة الأخيرة بفقد عدد من علمائها ، ووفاة كوكبة من فقهائها، فما إن كفكفت الأمة دموعها ولملمت ضلوعها بعد وفاة سماحة الإمام العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله – حتى انفرط العقد الوضاء المتلألىء ، وتناثرت حباته ، فرزئت الأمة بوفاة العلامة الجهبذ الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، رحمه الله وأكرم في الجنة مثواه ، فهو كشيخه وسلفه ، علم من أعلام الأمة ، فلقد جمع الله لهما في عصرنا مالم يجمع لغيرهما ، كوكبان أغران ، ونجمان لامعان في العلم والدعوة والمنهج المتكامل والجهد المتواصل ، خدمة لدين الله ، ونفعاً لعباد الله في جميع أرجاء أرض الله .

وبموت الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – تطوى صفحة لامعة وورقة ناصعة من خصال الخير المتكاثرة ، إنه أنموذج شامخ في التقوى والصلاح والزهد والورع ، وعلم بارز في السنة ، وقمة سامقة في العلم ، وآية وحجة

من حجج الزمان ، وأئمة هذا العصر والأوان ، بفقده وأمثاله تنقص الأرض من أطرافها كما قال حبر الأمة عبد الله بن عباس ، وفي الأثر عن علي - رضي الله عنه - : «إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه» وإن موت العالم ثلمة لا تسد ، ومصيبة لا تحد ، وفاجعة لا تنسى ، ونازلة لا تمحى .

لقد كان الشيخ - رحمه الله - مرجعية عالمية في الفقه والفتوى والنوازل ، ولقد شهدت ذلك عن كثب إبان زياراتي الدعوية المتواضعة لأمريكا وأوروبا ، فقد كتب الله له القبول وشيخه - رحمهما الله جميعاً - وأكاد أجزم أنهما - غفر الله لهما - ممن كان أن يجمع على جلالتهما وعظم قدرهما ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

يعد الشيخ - رحمه الله - من بقية السلف الصالح ، وإماماً من أئمة أهل السنة والجماعة ، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً ، فهو ممن قل نظيره ، وممن جل أن ترى العيون مثله بلا مبالغة ، لما حباه الله عز وجل ، فهو موسوعة علمية وأخلاقية ودعوية ومنهجية يقل نظيرها ، فهو أئمة في إمام ، وأمة وحده ، ونسيج بمفرده ، وطراز مستقل ، طالما نفع الله به ، وذاع صيته وعلا قدره ، واستفاد منه القاصي والداني ، متميز المنهج ، فذ العبقرية ، متعدل الرؤى ، متماسك الشخصية ، متوازن النظرة ، وعلى الرغم من حصول زوابع ، وهبوب عواصف ، وهيجان أمواج ، إلا أنه ظل بتوفيق الله الثابت في صدق المسلك ، ونفاذ البصيرة ، والنصح لله ولرسوله ﷺ ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم .

ولقد تعرضت الأمة لكثير من جوانب الخلل العقدي والفكري

والمنهجي والأخلاقي ، فكان الشيخ – رحمه الله – نعم الموجه في تماسك بنية المجتمع التحتية ، وقاعدته الصلبة ، والحفاظ على أمن الأمة بصوره المتعددة ، وجوانبه المختلفة ، حتى لقد كان مدرسة يصدر الدعاة وطلاب العلم عن رأيه في النوازل ، وتوجيهه في المستجدات ، ونصحه في المتغيرات تمسكاً بالتأصيل الصحيح ، والمنهجية المنضبطة بالدليل والقاعدة الشرعية والمقصد الإسلامي النبيل .

لقد كان نبأ فقده هزة عنيفة ، وخسارة فادحة شديدة الوقع ، عظيمة الأثر في نفوس محبيه محلياً وعالمياً .

وما كان هلك قيس هلك واحد	ولكن بنيان قوم تهدما
لعمرك ما الرزية فقد مال	ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد شهم	يموت بموته بشر كثير

لقد شهد الحرم المكي الشريف مشهداً مؤثراً قل نظيره من جموع المسلمين الملتاعين لفقد شيخهم النحرير ، ووالدهم الكبير ، وأستاذهم الشهير ، ومربيهم القدير ، من داخلت محبته شغاف قلوبهم ، وصميم أفئدتهم ، وأعماق نفوسهم ، ومع أنه رحمه الله لم يغادر المملكة للتعليم والدعوة إلا أنه جاب العالم بعلمه ودعوته وحسن توجيهه .

أذكر أني مرة في إحدى الدول الغربية دخلت أحد المراكز الإسلامية ، وفيه مكتبة متواضعة فإذا أنا بمجموعة من طلاب العلم في هاتيك الديار من محبي الشيخ – رحمه الله – وهم لم يروه ، وقد عكفوا على كتبه ومؤلفاته ورسائله يقرؤونها ، ويبذلون جهدهم في ترجمتها بلغتهم ، فقلت : سبحان الله الذي كتب لشيخنا القبول حتى في مجاهل الغرب وأقاصي الدنيا ،

ولقد بشرته بذلك فسر كثيراً ، وهذا من عاجل بشرى المؤمن ، وقد كان يسألني عن أحوال المسلمين في الدول التي أزورها ، ويشجعني على الاستمرار في ذلك ، فجزاه الله عني خير الجزاء لما لمست منه شخصياً من تشجيع أبوي ، وتوجيه تربوي ، جعله الله في موازينه ، وأعانني على رد جميله دعاء ووفاء .

إن من حسن العزاء أنه رحمه الله باق بعلمه ، حي بذكره :

فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها   فالذكر للإنسان عمر ثان

كما أن من حسنه أيضاً أن دين الله محفوظ ، وشريعته باقية ، يحملها ولاة أمر هذه البلاد من الولاة والعلماء من البقية المباركة من علمائنا الأجلاء ، فهذه الأمة بحمد الله أمة معطاءة .

إذا مات فينا سيد قام سيد   قؤول لأقوال الكرام فعول

فاهل العلم بحمد الله في بلد الحرمين الشريفين متوافرون ، وإن تأييد وتشجيع ولاة الأمر لهم مما يستحق الإشادة والتقدير ، ففي بلادنا ولله الحمد تعانق سلطان الحكم مع سلطان العلم في نسيج مترابط ، وانسجام متكامل لم يشهد التاريخ المعاصر له مثيلاً ، ففتحت الأمة قلوبها ولاء لولاتها ، وقام ولاتها بتشجيع علمائها ، وما عناية ومتابعة خادم الحرمين الشريفين وولي عهده والنائب الثاني وفقهم الله وزيارتهم له في حياته ومتابعتم لحالته أثناء مرضه ، وتعزيتهم فيه بعد وفاته ، وما حضور ومشاركة سمو وزير الداخلية وفقه الله إلا شاهد من شواهد الثوابت الراسخة التي قامت عليها منهجية هذه البلاد ، فارتقت إلى سلم التميز الفريد في عالم اليوم الذي يموج بالتحديات ، وتكتنفه المتغيرات ، وتعصف بعوامل استقراره المستجدات ،

والحق أن الشيخ بموته قد أتعب من بعده ، وترك فراغاً كبيراً لخلو موقعه العلمي المتميز في مثل هذه الظروف العصيبة التي تمر بها الأمة الإسلامية ، ولكن الأمل في الله عز وجل ، ثم في الخلف المبارك من علمائنا الأجلاء أن يكونوا خير خلف لخير سلف .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

ومن فضل الله علينا أن أمتنا زاخرة بالكفاءات العلمية ، مليئة بالرجال المخلصين ، ولن يخور العزم بإذن الله ، ولن يضعف العطاء بحول الله بفقد علم بارز ، ففي الأمة بحمد الله من سيحمل مشعل الهداية ، وراية العلم والدعوة ، ويسد الثغرة ، وينهض بالمسئولية العلمية والدعوة ، وما علينا إلا أن نسمو بهممنا وننهض بمهماتنا في نصرة دين الله ، أقول ذلك مسحاً لإطلالة تشاؤم وبوادر يأس قد تطفو على السطح في ساحة العلم وميدان الدعوة والحسبة والإصلاح ، فهول الفاجعة يقتضي كمال الرضا بالقضاء والقدر ، وحسن التصرف في الأمور وألا تغلب العواطف على العقل والتأصيل وحسن العمل والتدبير .

وإن واجبنا جمع ما تناثر من عقد المحبة والولاء ، والمودة والصفاء ، وانتظامه بيننا لا سيما طلبة العلم والدعاة إلى الله عز وجل في نسيج وحدوي متميز ، وأن نضع أيدينا في أيدي ولاتنا وكبار علمائنا لتعبر سفينة مجتمعنا بأمان في بحر الفتن ، وأمواج المحن إلى شاطئ السلامة والنجاة ، حتى يقطع الطريق أمام من يريد الاصطياد في الماء العكر .

وإن كان من كلمة قبل أن أضع القلم فإنها تكمن في الحاجة الماسة إلى أن يولى علم الشيخ وموروثه الفقهي والأصولي ، ومنهجه العقدي والدعوي

والأخلاقي العناية الفائقة ، والإبراز العميق من قبل المتخصص ، سداً للباب أمام المتعالمين وأصحاب النظرات الشخصية ، وضرورة إخراج موسوعة علمية متكاملة تحت إشراف متخصص رفيع المستوى عما خلفه الشيخ للأمة من علم غزير ، وبحر غفير من الاستنباطات التأصيلية ، والتقعيدات الأصولية والاجتهادات المعاصرة ، وأن تتولى الجامعات ومراكز البحث العلمي ، والأقسام المتخصصة في الدراسات العليا ، إبراز منهج الشيخ العقدي والأصولي والفقهي والدعوي والتربوي والأخلاقي .. إلخ .

ولعل أبرز ملامح منهج الشيخ في ذلك ما يلي :

١ – تركيزه على عقيدة السلف علماً وعملاً ودعوة والتحذير مما يخالفها .

٢ – عنايته بصحة الدليل ، وسلامة التعليل .

٣ – بناؤه منهجه على التأصيل العلمي والتقعيد الفقهي .

٤ – عنايته بمقاصد الشريعة وقواعد الدين ، واهتمامه بحكم الشريعة وأسرارها .

٥ – اهتمامه بالتطبيق والعناية بالأمثلة والتخريج .

٦ – توسطه واعتداله في الرؤى والمنهج .

٧ – تميزه بالدقة والعمق والشخصية المستقلة .

٨ – ميله إلى التيسير ورفع الحرج وسلوك مسلك الوضوح .

٩ – بعده عن التعصب والتقليد وحرصه على المتابعة والتسديد .

١٠ – تأثره بالمحققين من العلماء السابقين كشيخ الإسلام ابن تيمية ، ومن المعاصرين سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز .

١١ – إنصافه مخالفيه ، وفقهه لأدب الخلاف .

١٢ – الشمول في المنهج ومراعاة الأولويات .

وغير ذلك مما يحتاج إلى نماذج كثيرة ، وشرح مستفيض .

كل هذا أداءً لشيء من حقه علينا ، وربطاً للناشئة والأجيال بعلمائهم ذوي المنهج السليم ، وختاماً ، أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يحسن عزاء الأمة ، ويجبر مصابها ، ويغفر لشيخنا ، ويسبغ عليه رضوانه ، ويمطر على قبره شآبيب رحمته ، وأن يجعل الفردوس الأعلى منزلته ، وأن يجمعنا به في دار كرامته ، وأن يرفع درجاته في المهديين ، ويخلفه في عقبه في الغابرين ، وأن يخلف على الأمة الإسلامية ويعوضها بفقده خيراً ، إنه خير مسئول ، وأكرم مأمول ، والحمد لله على قضائه وقدره ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، اللهم آجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(جريدة البلاد ، العدد : ١٦٢٢٥)

سكن الليل يا شيخنا العثيمين

بقلم الأستاذ : عبد الكريم بن محمد بن صقر

* وزارة الداخلية - الرياض *

ليلة الخمس تشاهدها صخب وضجيج ، ورواح ومجيء ، وتنقل بين التسوق والأنيس ، لا تكاد تسمع أو ترى إلا حركة دائبة في المسير .

وليل خميس الخامس عشر ذهول وهدوء ، وأنين وحنين ، وملامح مكفهرّة في الوجوه ، فبربك ماذا دهى الكون ، وماذا جرى للناس ، وما عسى أن يكون؟!

نعم كان الأمر جد خطير ، أسكت الناس ، وأهدأ عاصفة المساء الأليم نبأ توقفت به رياح الثلج ، وطأطأ الشجر الحزين ، واختفى قمر السماء المنير ولاحت نجوم السماء بضوء خفوت ، وذاب ثلج الشمال ، وانحنت جبال الجنوب ، وفي الشرق والغرب توقف الموج ، ويا لها من علوم .

عفواً شيخنا الأبي الكريم فما خبر الوفاة بشيء قليل ، فقد هز مشاعر الصغير والكبير ، والقريب والبعيد ، ولفقدك رجفت القلوب ، ودمعت العيون ، لم لا وأنت نبراس علم وفقه مكين ، لما لا وأنت ذاك الرجل الحليم الوديع ، لما لا وأنت من كنت تجلس جنباً لجنب مع قيادتنا تؤانسهم وتحادثهم وأنت بذاك الشكل المتواضع المقبول الجميل بالعلم والنور .

رباه ماذا أقول .. إلى جنة الخلد يا شيخنا العثيمين ، وإلى الفردوس

الأعلى بمشيئة الرحمن الرحيم ، وستبقى طوداً شامخاً في قلوب العالمين ، رحماك ربي لشيخنا العثيمين .

وإلى قيادتنا قادة العز والوفاء ، نرفع آيات العزاء في فقد الجميع .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٢) .

آه .. يا ريحانة العلماء

بقلم الشيخ : عبد الله العيادة

أفقت من صدمتي بعدما عمّ الخبر ، وبعثر السكون ، فقلت أسأل نفسي ، أحقاً هذا الخبر؟ ريحانة العلماء أحقاً رحل؟ يا لقسوة الألم .. يا لقسوة الخبر ..

أمتي .. ثكلت يوم أمس .. وجرحها بعد لم يندمل ، أحقاً ريحانة العلماء .. أحقاً قد رحل؟ ما الأمر في ذلك؟ وما السر في ذلك؟ وما الغريب في ذلك؟ موت لا يفرق .. أجل لا يتأخر .. وقدر لا يخطىء ﴿**حكمة بالغة فما تغني النذر**﴾ .

آه ريحانة العلماء .. أسلموه لصدع من الأرض وحيداً .. من بقي معه؟ من رحل معه؟ من عاد وتركه؟ ماذا بقي منه؟

ريحانة العلماء أسلم الروح بعد صراع مع المرض ظنناه مريراً وشديداً ، يا ترى هل هو حقاً شديد؟ لو عرف الثمن .. لهان الألم .. ريحانة العلماء دوماً يرتدي وشاح اليقين ، في عزم متواضع لا يلين ، يردد دوماً : ﴿**يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه**﴾ .

ريحانة العلماء ، ترى الزهد والجد في محياه ، تطمئن لعلمه ، تطمئن لفتواه ، فيا للعلم كيف يرفع أهله؟ كيف يخلد ذكرهم ، كيف يزرع في القلوب محبتهم ، تأمل يوم فراقهم ورحيلهم .

ريحانة العلماء .. ألوف تشيع .. عيون تبكي .. أجسام تسافر .. ألسنة تدعو .. لماذا؟ .

طيب ذكر .. خلود بعد ممات .. نور يبقي يضيء للسائرين بدل الحائرين .. «علم ينتفع به ..» .

فيا ريحانة العلماء .. رحلت مع من رحلوا .. علمك باق وذكر باق .

فالجاهل رحل .. العالم رحل .. الغني رحل .. الفقير رحل .. العجوز رحل .. والصبي رحل .

ريحانة العلماء .. سؤال يرتسم على الشفاه الحزينة بعد الرحيل ، ما الذي يبقى؟ .

فماذا بقي منك؟ وماذا بقي منهم؟

فكم هم الذين طوى النسيان ذكرهم؟ ونسيت معالمهم؟ نجوم هوت منذ زمن ولم يزل نورها وذكرها يضيء .

عجباً .. للعلم والمحبة والمجد والرفعة والعلو وخلود الاسم بعد الرحيل .. ليس ملكاً لأحد .. «حكم بالغة ، وعدل لا يضاهيه عدل» فتأمل بدايات هؤلاء السادة النجباء ، والأعلام الفضلاء ، كيف كانوا؟ وإلى أين صاروا؟ .

قال والي المدينة أيام الإمام مالك - رحمه الله - للإمام الشافعي ، وهو في بداية الطلب حينما طلب منه أن يشفع له عند مالك بعد المغرب ، قال الوالي : لأن أسير حافي القدمين من المدينة إلى مكة أهون عليّ من أن أذهب إلى الإمام في مثل هذا الوقت؟ فتأمل .

آهـ يا ريحانة العلماء .. تبكيك المنابر والأقلام .. ذلك المسجد في عنيزة يبكيك .. قد ألفك .. يشم رائحتك إذا أقبلت .. صدى صوتك .. وقع خطاك .. قراءتك .. إمامتك .. دروسك .. في كل زاوية ..

ذلك الطريق قد ألفك .. بيوت الطين تعرفك .. عصافيرها أشجارها قد ألفتك .. ذلك الطريق اليوم يبدو موحشاً .

آهـ يا ريحانة العلماء .. يا لوحشة الطريق بعد رحيلكم .. يا لجرح أمتي .. يا لوجع أمتي .. يا لنزيف أمتي .. جسد تمزقه الخلافات .. عدو يفتك بالمقدسات .. ويحرق الأرض .. ويقتل الأطفال .. وعدو آخر مفترس يبعثر الأوراق .. يصطاد في الظلام .. وأخرس منافق لا يجرؤ على الكلام .. ونجوم الهدى تهوي وتغيب .. فمن لأمتي؟!! .

من يدافع عن أمتي؟ من يحرس ثروة أمتي؟ من يعيد أمتي .. غيرك يا ربي وخالقي .

اللهم ارحم نجوم الهدى الذين ماتوا ، واحفظ نجوم الهدى ما بقوا ...

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٦)

ابن عثيمين .. الإنسان

بقلم الشيخ : سامي صالح العزّير

* معهد التربية الفكرية بعنيزة *

أحسن الله عزاء الأمة الإسلامية بوفاة عالمها وحبرها الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله رحمة واسعة – .

تكلم الجميع عن علم الشيخ وفضله وورعه وزهده وتقواه ، ولكن هناك جانب على قدر كبير من الأهمية لتكتمل شخصية الشيخ – رحمه الله – وهو : خدمات الشيخ الاجتماعية .

حيث كان وسيطاً للمحسنين في إيصال الخير للمحتاجين من الفقراء والمعدمين بعد التحري والتثبت عن حالهم ، وكذا مساعدة الشباب على الزواج ، وإعفافهم وإحصانهم وسداد الديون الكبيرة عن المعسرين ، وبذل نفسه ووجاهته وجاهه في الشفاعة للناس عند المسؤولين ، ولدى ولاة الأمر يحفظهم الله ، وكذلك التزكيات التي كان يبذلها للأفراد العاملين على شؤون المسلمين والجمعيات الخيرية والمؤسسات الإنسانية .

وأعجب ما رأيته في الشيخ هو ضعفه أمام الأطفال الصغار وخاصة المعوقين ، فتجده مبتسماً في وجوههم ، مازحاً معهم ، تنفرج أسارير نفسه لهم ، فكنت إذا أردت منه حاجة وتوقعت أنه سيردني لضيق وقته وكثرة مسؤولياته أخذت معي أطفالي الصغار لتنفتح نفسه لي تلقائياً ، وينفذ لي كل ما أبغيه بسرور وانبساط ، لحبه الكبير للصغار وضعفه الواضح أمامهم .

ومرة قام ابني الصغير أحمد وعمره ثمان سنوات بسحب الشيخ من بين تلاميذه إلى خارج المسجد قائلاً له : تعال سلم على بابا سامي ، وكنت خارج المسجد ، فرأيت الشيخ الجليل يخرج مع ابني أحمد بهيبته ، وهو يبتسم ، فقبّلت رأسه ، وشكرته ، واعتذرت منه على تصرف الولد ، ولكنه كان مسروراً جداً ، ولم يبد أي تضايق .

فرحمه الله رحمة واسعة ، وأنزل عليه شآبيب رحمته ، وأخلف على الأمة بخير ، ووالله إن فقده لمصيبة عظيمة حلت بالأمة الإسلامية .

فنسأل الله أن يرزق أهله وطلابه ومحبيه الصبر والسلوان .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٦)

الرحيل الآمن

بقلم الشيخ : خالد عبد الرحمن العوض

أنت .. ومن أنت؟ إنسان يضيع بين عامة الناس مسافر من القصيم إلى الرياض .

تدخل إلى المطار ، تذهب لاستخراج كرت الصعود للطائرة ، يأتي إليك الدور ، تأخذ الكرت وتدلف نحو الصالة الداخلية ، يستوقفك منظر جميل ، شيخ جليل يلبس ثوباً أبيض ، وغترة بيضاء ، يتأبط عباءته ، ويوزع ابتساماته نحو اليمين ونحو اليسار ، لا بد أنه الشيخ محمد بن صالح العثيمين .

ابتساماته الجميلة ، وهيئتة البسيطة ، تشيع جواً من الراحة والأمن ، ينتشر في كل أجزاء المطار ، تبتهج ويقفز قلبك فرحاً عندما تستنج أنه سيصاحبك في نفس الرحلة ، ماذا عليك أن تفعل؟ هل يجب أن تذهب وتسلم عليه؟ نعم ، لكن ليس الآن ، هو لا يعرفك إطلاقاً ، لكنك تعرف أن هذا الشيخ يعرف أنك أخوه المسلم ، وهذا يكفي ، يجب أن تنتظر ، خاصة أنه مشغول في الحديث مع هذا وذلك ، الآن الكل يغبطك على ما أنت فيه رحلة بالطائرة وبمصاحبة من؟ الشيخ العثيمين؟ سافرت مرات كثيرة ولم تشعر بمثل هذا الاطمئنان والأمن في حياتك .

كم هي جميلة بعض المواقف التي لم تخطط لها ، تذهب بسعادة كبيرة نحو الصالة الداخلية بانتظار الدخول إلى الطائرة ، لا يخيفك السفر

بالطائرة كما كنت تفعل دائماً ، كل شيء في المطار بدا جميلاً ،حتى موظفو المطار بدوا وكأنهم حصلوا للتو على علاوة كبيرة ، لقد تعاملوا معك والمسافرين على نحو استثنائي وراق قلما تجده في أي مكان ، هل هذا له علاقة بالشيخ؟ بل على العكس ، بعضهم لا يعرف بوجوده في المطار ، أم أن كل ذلك بسبب الحالة الانفعالية السعيدة التي تعيشها؟ تدخل الطائرة وتبقى بانتظار قدوم الشيخ ، نعم ، ها هو يدخل ، يوزّع نفس الابتسامة على جميع المسافرين ، تتضايق من استنتاجك المزعج أن يذهب الشيخ إلى مقاعد الدرجة الأولى ، وهل هناك أحد في الطائرة أفضل من هذا الشيخ الجليل . ما هذا؟ الشيخ العثيمين يتجه نحو الدرجة السياحية؟ تنفرج أساريرك ، وأنت تتابع الشيخ وهو يتجه إلى مقعد في الصف الذي يقع أمام الصف التي تجلس فيه ، يعرفه بعض المسافرين ، فيذهبون للسلام عليه .

أدرك أحد المضيفين أن بصحبتهم في الطائرة رجلاً مهماً ، تحمد الله أنك لا تملك مالاً كثيراً يجعلك تحجز مقعداً في الدرجة الأولى ، لأنك لو فعلت فكيف ستقبل بالجلوس هناك ، وهذا الشيخ الجليل يجلس في الدرجة السياحية! كم هم تعساء أولئك القابعون هناك! جاء أحد المضيفين يعرض على الشيخ الانتقال إلى الدرجة الأولى ، حيث إنه يوجد مقعد شاغر هناك تتضايق وتخاف أن يستجيب الشيخ لطلبه .

ترقب ماذا سيقول الشيخ له؟ يعتذر الشيخ من الذهاب إلى هناك ، ويبقى في مقعده بينكم . يزداد المكان طمأنينة ، تقرر الذهاب للسلام عليه .. تذهب إليه وتلقي عليه السلام ، يرد عليك بأفضل منه .

يبتسم لك كما لم يبتسم لك أحد من قبل ، تتيقن أنه يعرفك كما لم

يعرفك أحد من قبل ، تسأله عن صحته ، فيسألك عن صحتك كما لم يسألك أحد عن صحتك من قبل ، تستفتيه فينصت إليك كما لم ينصت إليك أحد من قبل .

ترغب أن تواصل الحديث شخص آخر خلفك يريد أن يتحدث معه .

تودعه مضطراً فيودعك كما لم يودعك أحد من قبل ، يصطحب أحدهم طفلة صغيرة إليه فيجلسها الشيخ بجانبه ، يقرئها سورة الإخلاص فتقرأ ، يقرئها الفاتحة وهي تقرأ خلفه .

يبقى الشيخ معها يحدثها وتحدثه ، يمضي الوقت سريعاً ، تهبط الطائرة في الرياض ، ينزل أصحاب الدرجة الأولى أولاً ، تحمد الله مرة ثانية بأن جعلك من ميسوري الحال ، تضحك سخرية من الموقف .

يغادر الجميع الطائرة ، تنظر أنت إلى الشيخ وهو ما زال يخاطب الطفلة ، وكأنه يعرفها ، وكأنها تعرفه منذ سنوات .

ينزل الشيخ الجليل من الطائرة ، تسير خلفه ، وتتمنى أن تتبعه ، تعود إليك انفعالاتك القديمة ، تتضايق عندما تعرف أن الشيخ سيفارقك ، إحساس بالوحشة ينتابك .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٦)

العالم الذي فقدنا

بقلم الشيخ : عبد العزيز على الحيني

* عضو مركز الدعوة والإرشاد وخطيب جامع الهقص بحائل *

الحمد لله الذي يصطفي من عباده ما يشاء ويختار ، والشكر له على صروف الأقدار ، يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن ، والصلاة والسلام على صفوة الأبرار ، وعلى آله وصحبه الأخيار ، أولي العلم والأبصار ، أما بعد :

فقد رزئت الأمة الإسلامية بمصاب جلل ، ووترت بصارم من العلم طالما تعبت في مثله وانتظرت ، فعظم الخطب بفقد خليفة العلماء في زمن قل فيه الفقهاء ، وكثر الأدعياء .

منيت الأمة بخسارة فقيه نحرير ، ومجاهد صادق ، نذر نفسه ووقته وجهده لله جل وعلا ، حتى أفنى حياته في خدمة الإسلام ، علماً وتعليماً ودعوة وإفتاء وتأليفاً وإرشاداً ووعظاً ونصحاً وبذلاً ومعونة وشفاعة ومساعدة قدر وسعه وطاقته ، بلا ملل ولا كلل ، بل بصادق العزم ، وقوة الحزم ، يبتغي وجه الله والدار الآخرة ، دليله القرآن ، وحجته السنة ، سيماه الزهد ، وشعاره الورع ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يخشى في ذات الإله نقمة ناقم ، طريقته سلفية ، وعلومه أثرية .

ذلكم الإمام العالم ناصر السنة ، وقامع البدعة في فقه الأولين ، وناشر علوم الدين ، صاحب التحقيق والتصنيف ، المحدث الفاضل ، والفقيه البارع

والزاهد العابد الذكي الباهر : محمد بن صالح بن عثيمين ، بقية السلف ، ونابغة الخلف ، فذلكم هو ، وذلكم قدره ، وذلكم فكره وتوجهه ، ولذلك أحبه الناس ، وانتشر علمه ، وبوركت جهوده ، ولهذا ستفقد الأمة بذهابه علماً كان يمشي على الأرض ، فبات مسجى تحت أطباق الثرى ، فيا وحشة الديار بعده ، ويا ضيق الرباع من بعده ، فمن للدروس المفصلات ، ومن للتقاسيم المبدعات ، ومن لسبر النصوص المحكمات ، فيا رب أفض على قبره واسع الرحمات ، وجُد عليه إلهي بجميل الهبات ، فكم استفاد بنو الإسلام من علومه ، واستقوا من آدابه واستناروا بتوجيهاته .

ابن عثيمين الذي رسم للأمة طريقاً يوضح لها كيف يكون اتباع الرسل بصفات وخصال جماعها تقوى الله سبحانه وتعالى ، والعلم والبصيرة ، فقد اختلط في كل تصرفاته وفتاويه وتوجيهاته ما تقتضيه الشريعة الربانية بكل معانيها ومقاصدها السامية ، فأوضح آيات الكتاب ، وأبان السنة على طريقة الأنبياء وصبر العلماء .

ابن عثيمين الذي صحب حياته الهمة العالية بلا سأم ولا تقهقر ، بل حزم وجلد مع توازن وتكامل بمفهوم الإسلام ، لا إفراط ولا تفريط ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده .

ابن عثيمين : مدرسة الجد والاجتهاد والمثابرة أينما كان ، فعلمه معه في مسجده وكليته وطريقه ومنزله ، إذا دخل المسجد لا يكاد يخرج منه ، فطلبة العلم والمستفتين يترقبونه ويبادرونه ، فإذا خرج من المسجد تسابقوا على صحبته في طريقه ، فإذا وصل منزله اعتذر بلطف ، لأن الوقت منظم فالمكتبة تنتظره بكتبها ورسائلها وبريدها وهاتفها .

ابن عثيمين : إذا نظرت إليه لا بد أن تحبه بصدق - هكذا - لأنه عالم عامل وزاهد صادق ، قد رضيته الأمة موقعاً عن رب العالمين ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ابن عثيمين .. إذا أبصرته تذكرت ما عليه السلف الصالح ، وما يرويه أصحاب السير والتاريخ عن العلماء الأفذاذا ، والجهابذة الكبار ، فتبدو حقيراً بجانب تلك الشخصية الكبيرة النادرة .

ابن عثيمين الذي إذا تكلم في المسألة الشرعية تحدث عن ثقل وعلم جم ، قد حوى الأدلة الشرعية الإجمالية منها والتفصيلية ، بقواعدها وأصولها الفقهية ، واعتباراتها واستثناءاتها ومصالحها وحكمها ومقاصدها ومناط تعليمها ، وإلحاق النظر بها ، وأولوياتها ، وجمع أدلتها ، وتوضيح متشابهها ، وتقييد مطلقها ، وتخصيص عامها ، ومعرفة ناسخها ، وتقديم أرجحها ، بدقة المحققين ، وتنقيح الأصوليين .

ابن عثيمين الذي ملك الناس بحسن خلقه ودماثة طبعه ، فلم يستكبر يوماً بعلمه ، ولم يحتقر مناقشاً بجانب واسع فقهه ، كان متواضعاً لله تعالى سهلاً شنقاً حازماً مؤدباً مربياً ، فلا تعنت ولا جفاء ، ولا غرور ولا اجتراء ، بل كان خُلُقه القرآن .. وما ظنك بعالم انتفع بعلمه .

ابن عثيمين وسام فخر تعتز به هذه البلاد خاصة ، والمسلمون عامة ، وبيان ذلك أن هذه البلاد قد خصها الله تعالى بأن جعلها مهبط الوحي ، وأرض الحرمين الشريفين ، فكانت مهوى أفئدة قلوب المسلمين من جهة هذه الخاصية .

وفي ظل كثرة المنتسبين للعلم في كثير من بقاع الإسلام التي كانت

تعد حاضرة الإسلام ، ومع ذلك فإن وجود مثل شخصية ابن عثيمين في هذه البلاد ، وبما تمتاز به مثل هذه الشخصيات النادرة من مؤهلات وصفات فريدة جعل الله تعالى أيضاً في قلوب المسلمين في العالم الإسلامي محبة علماء هذه البلاد ، فإليهم تهفو النفوس ، وتطمئن القلوب ، وعلى رأسهم ابن عثيمين الذي شاع علمه ، وذاع خبره على مستوى العالم ، أما في المملكة فلا تكاد تأتي محافظة أو قرية إلا وتجد مدرساً أو قاضياً أو داعية أو طالباً للعلم استفاد من علم الشيخ ، وحضر دروسه .

ابن عثيمين الذي جاءته الدنيا وهي راغمة في أوج تنافس أهلها عليها ولكن نفسه الأبية لم تطمع يوماً للركون لأعراض فانية ، وآثار عاجلة ، فلم تكن مكانته مؤثرة على ورعه وزهده ، ولم تدعه وجاهته للاستكثار من دنياه ، ولم يجعل امتيازات منصبه تقدم في نيته وإخلاصه وتحفظه ، بل كان ماضياً في طريقه يتأول كتاب ربه تعالى : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾ ، فكانت عاقبته حميدة ، وسيرته رشيدة ، وعلومه مفيدة ، وكتب الله له أن يكون في عداد العلماء العاملين ورثة الأنبياء والمرسلين ، فسارت الركبان بعبق هداه ، ومضت صروح التعليم تقرر فتواه ، فعظم في الصالحين اسمه ، وبقي في العالمين ذكره ، فاللهم أنزله نزل المكرمين ، وارفع درجته في المهديين ، واخلف الأمة خيراً ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٦)

في رحاب الله الشيخ ابن عثيمين

بقلم الشيخ : عبد الله العلي النعيم

فقدت الأمة السعودية والعربية والإسلامية مساء الأربعاء الماضي ١٥/١٠/١٤٢١ هـ واحداً من أبرز علمائها فضيلة الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين عضو هيئة كبار العلماء.

إن فقده يعتبر خسارة كبيرة للعلم في العالم الإسلامي عامة ، والمملكة خاصة ، إذ بفقده فقد العالم عالماً كبيراً ، وفقيهاً متمرساً ، وهو أحد علماء هذا الجيل ، وداعية مخلص ، دعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعلى نور وبصيرة .

إن فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين من العلماء البارزين ، وهب نفسه لتدريس العلم النافع للناس ، وكان عالماً بارزاً ، وله مؤلفات عديدة في الفقه ، وفي العقيدة ، وفي الفرائض ، وقد نذر حياته وسخر جهوده للبحث والتأليف والتحقيق في شتى المسائل الفقهية ، وكان له أسلوب مميز ومحبب في بيان المسائل ، وشرح الدروس ، الأمر الذي حبب الناس فيه ، وكانت الاستفادة منه كبيرة ، كما كان له الأثر الفعال في تخريج عدد كبير على يديه من طلاب علم تميزوا ، وغدا لهم أثر كبير في مسيرة العلم الفقهي والتشريعي ، وكانت محاضراته وكلماته وكتاباته ذات فائدة عظيمة لكل داعية إلى الله .

وقد أفنى الشيخ عمره مسخراً في الدعوة إلى الله وبذل العلم دون

كلل ، ووقف مع الدعاة ، وكان مدركاً أهمية المنبر الدعوي ، وكان منزله قبلة لطلاب العلم ، ولم يغلق بابه أو هاتف منزله في وجه مستفت أو طالب علم في أي ظروف أو وقت .

وكان يقابل كل ذلك بالبشاشة والمرح ، وكانت مجالسه معمورة بالعلم النافع والنصح للمسلمين ، تتلمذ على يديه عدد كبير من طلاب العلم الذين أصبحوا من أعمدة العلم ، ونفعوا به كثيراً في داخل المملكة وخارجها .

وكان عطوفاً على الفقراء والمساكين ومحباً للخير ، وبذل المعروف من جهده وماله الخاص ، وكان المحسنون كباراً وصغاراً يقدمون له مبالغ كبيرة وصغيرة لكي يتولى إنفاقها على من يستحقونها ، وخاصة طلبة العلم .

كان زاهداً إلى أبعد حدود الزهد ، متواضعاً في سلوكه وحديثه ومسكنه وملبسه ومعاشه ، وربما لا يعرف الكثير أن صلتي بالشيخ نشأت منذ كنا طلاباً صغاراً نتلقى العلم سوياً على يد المغفور لهم مشايخ عنيزة ، وخاصة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله وغفر له - ولذلك فإنني أحد الذين يدركون كم هي الخسارة كبيرة في فقده وانتقاله إلى رحمة الله .

هكذا كان فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين « طيب الله ثراه » غزير العلم ، وله الكثير من الفتاوى والاستنباطات الدقيقة من الكتاب والسنة التي تدل على عظمة هذا العالم واجتهاداته العلمية والفقهية .

وإنني لا أملك في هذه العجالة إلا أن أعزي نفسي وأبناء وطني وتلاميذه ومحبيه في المملكة والوطن العربي والإسلامي على ما قدمه من

علم وفتاوى ، ومن باب الوفاء لهذا العالم الجليل أضم صوتي إلى ما ذهب إليه الكثير من العلماء والكتاب وإلى اقتراح صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز لإحياء علم الشيخ .

وأعتقد أن هذا المقترح يحتاج إلى عمل وجهد كبيرين من طلبة العلم وتلاميذ الشيخ ومحبيه لجمعه وتوثيقه ليخرج بالصورة التي تحقق الفائدة المرجوة وإثراء المكتبة الإسلامية .

ومن جانبي وكحق للشيخ وعرفاناً بفضله ، وكحق لمدينة عنيزة التي ولد فيها المرحوم - بإذن الله - وتعلم فيها وعاش فيها ، ونفع الله به الناس منها ، فقد اتصلت ببعض المسؤولين لإطلاق اسمه على بعض المراكز العلمية تخليداً لذكراه ، ولقد أحسنت إدارة التعليم بالرياض حيث نشرت إحدى الصحف يوم السبت ١٧ / ١٠ / ١٤٢١ هـ أن الإدارة قررت إطلاق اسمه على إحدى مدارس منطقة الرياض .

رحم الله فقيدنا وفقيد الأمة السعودية والعربية والإسلامية رحمة واسعة وأحسن إليه ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٦)

الشيخ ابن عثيمين نموذج في نفع الأمة

بقلم الشيخ : عبد الرحمن الدهش

* المحاضر بجامعة الإمام وإمام وخطيب جامع الملاح بعنيزة *

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد .

فحدثان قدرهما الله عز وجل في آخر هذا الأسبوع ﴿**وكل شيء عنده بمقدار**﴾ حدث سماوي علوي ، وحدث أرضي سفلي .

أما الحدث السماوي فانخسف القمر ، وذهب نوره ، ذهب نوره الحسي فهرع الناس إلى ربهم مقتدين بنبيهم محمد ﷺ ، هرع الناس إلى المساجد ، معترفين بذنوبهم ، يخشون عقوبة ربهم ، يخافون بتخويف إلههم ، يصلون صلاة عجيبة ، لا يصلون نظيرها في غير هذا الحدث ، يصلون أربع ركعات في ركعتين ، وأربع سجدات ، فهي صلاة عجيبة تناسب حدثاً عجيباً ، أعقبها النبي ﷺ بخطبة عجيبة أيضاً ، فذكر النبي ﷺ فيما ذكر في خطبته ثلاثة أشخاص بأعيانهم ، وذكر أعمالهم التي أوجبت لهم دخول النار ، ذكر عمرو بن لحي الخزاعي ، وذكر صاحبة الهرة ، وذكر صاحب المحجن ، وهؤلاء الثلاثة إذا تأملت حالهم لوجدت كل واحد

قد استقل بمعصية هي أصل في مجالها .

أما الأول : وهو عمرو بن لحي الخزاعي فقد رآه النبي ﷺ يجر قُصبه – يعني أمعاءه – يجرها في جهنم ، وأما عمله فبئس العمل ، فهو أول من أدخل الشرك على أناس موحدين ، جلب إليهم الأصنام ، ونصب لهم الأوثان ، وسيب السوائب وهي الإبل ينذرونها لأصنامهم ، وفي هذا يا عباد الله أشد تحذير أن يجعل الإنسان نفسه باب شر على الناس في عقائدهم أو أخلاقهم أو معاملاتهم ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

ولذلك قال النبي ﷺ : «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه أول من سن القتل» متفق عليه .

فاحذر يا عبد الله احذر أن تكون باب شر على أهل بلدك ، أو على أهل بيتك ، فتكون مذمة لك في الدنيا ، وإثماً عليك في الآخرة ، فلا تبع شيئاً محرماً ، ولا تعن من يبيعه ، ولا تشتر لأهلك أو تدخل بيتك ما يكون فتنة لهم في دينهم أو دنياهم .

وأما الثانية : فهي صاحبة الهرة ، امرأة ربطت هرة عندها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ، ربطتها حتى ماتت جوعاً ، رآها النبي ﷺ تعذب في النار بسبب هذه الهرة ، فهذه عاقبة الظلم وإن الله تعالى حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً ، فلئن عذبت امرأة في ظلم هرة لا تعقل ، فكيف تقر عين من ظلم عبداً من عباد الله ، فمنعه حقه الواجب أو اعتدى عليه ، فأين بعض الكفلاء الذين ظلموا مكفوليهم ، وأين بعض الأزواج الذين ظلموا أزواجهم فلم يمسكوهن

بمعروف ولم يسرحوهن بإحسان ، واستغلوا ضعفهن وتمسكهن بهم لأجل ما بينهم من الأولاد ، فلم يعطوهن حق المعاشرة ، ولا واجب النفقة ، وربما ضربوهن ضرباً مبرحاً لأتفه الأسباب ، وإن ربك لبالمرصاد .

وأين بعض الأولياء والآباء الذين ظلموا أولادهم ففرقوا بينهم في المعاملة والعطية ، فوقعت بينهم العداوة والبغضاء ، وأين بعض الأولياء والآباء الذين ظلموا بناتهم فلم يعطوهن الواجب من التربية والرعاية ، وربما منعوهن الأزواج الأكفاء حتى لا ينقطع ما تدرّه عليه بنته من مرتبها ، ألا فليعلم هؤلاء أن هؤلاء البنات الضعيفات إن لم يستطعن أن يأخذن حقوقهن في الدنيا ، فإنهن خصم لك - يا عبد الله - يوم القيامة ، وليعلم كل ظالم قد ظلم أحداً في هذه الدنيا مظلمة مال أو دم أو عرض ، ليعلم أنه على خطر عظيم .

وأن سنة الله تعالى أن يعاجل الظالم بعقوبته في الدنيا مع ما يوفر له من العذاب في الآخرة : ﴿ **ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾ .

ولا تنس أيها الظالم أن بيد المظلوم سلاحاً يوشك أن يسلطه عليك فتندم حين لا ينفع الندم ، قال النبي ﷺ : « واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .

وقال النبي ﷺ : « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ، ثم قرأ : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ .

وأما الثالث : فقد رأى النبي ﷺ صاحب المحجن ، والمحجن هي العصا المحنية الطرف يسرق بها الحجاج ، فإن فطن له أحد قال تعلق متاعك

بمحجني ، وإن غفل عنه ذهب به ، فهذا ذنبه ، تحايل مكشوف على أموال الناس ، بل على من قصد ما عند الله من حجاج بيت الله ، فما ظنك بما سوف يكون مع الحاج ، وما ظنك بما سوف يتعلق من ماله بهذا المحجن ، ولكن يا عبد الله إن التطلع إلى ما في أيدي الآخرين والتحايل على أموالهم مرض تبتلى به بعض النفوس ، فالحلال عندهم ما يحل في اليد ، ولا تسأل عن وجهه وطريقه ، فالغش في السلع ، وإظهار الرديء بمظهر الجيد ، وإخفاء العيوب أصبح حذقاً ودليلاً على القدرة على تصريف البضائع ، والرشوة أصبحت أتعاباً وخدمة يأكلها على عمل واجب عليه ، وهكذا السلع عند الدلالين يتبايعونها بينهم فلا يرجع صاحبها إلا بأقل ثمن .

والحدث الآخر : الحدث الأرضي ، فموت عالم وفقيه ومجاهد ، وانتبه يا عبد الله ، فلا علاقة بين حدث كسوف القمر ، وحدث موت أحد من الناس ، ولا لقرب موته أيضاً ؛ لأن النبي ﷺ يقول : «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته» .

قال ذلك النبي ﷺ لما قال الناس : انكسفت الشمس لموت إبراهيم ، يعنون ابن النبي ﷺ ، وإنما جمعت الكلام بين الحدثين لأنهما حدثان مفزعان تقاربا زمناً ، وقد سمعت شيئاً من فزع النبي ﷺ من الحدث الأول .

يا عباد الله لقد ودع الناس وواروا الثرى شيخنا بل شيخ الجميع ، ووالد الكل محمد بن صالح العثيمين ، ودّعوا فقيهاً محسناً ، ومعلماً ناصحاً ، ومفتياً بارعاً ، وليس المقام يا عبد الله مقام تهييج أحزان ، ولا إثارة عواطف ، فالله تعالى يقول لنبيه محمد ﷺ : ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾

وعزاؤنا بفقد كل أحد فقدناه : نبينا محمد ﷺ ، فكل مصيبة تهون عند مصابنا به ، ويقول تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون** ﴾ فالموت يا عبد الله سبيل كل حي ، وغاية لكل موجود : ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ .

ولكن بموت العالم يتذكر الإنسان قول النبي ﷺ : « إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » متفق عليه .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - وهو واقف على قبر زيد بن ثابت - رضي الله عنه - : « هكذا يذهب العلم » .

إنه مقتد بالنبي ﷺ في كل شأنه ، والعلماء ورثة الأنبياء ، ولقد كان شيخنا محمد - رحمه الله - نموذجاً فريداً في العطاء ونفع الأمة ، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فدروسه اليومية المتنوعة ، ودروسه المضاعفة في وقت إجازة الناس وعطلهم الدراسية أنتم من أدرى الناس بها يا أهل عنيزة ، في حين افتقرت كثير من البلدان إلى الدروس ، وعطلت منذ سنين فيها حلقات العلم ، ودرس شيخنا وتوجيهه لعامة المسلمين ، وإجابته للسائلين لم يزل قائماً بها يلقيها في المسجد الحرام حتى أيامه الأخيرة ، يلقيها - رحمه الله تعالى - بصوته المتقطع ، ونبراته المتعثرة .

سمع الناس صوته فعلموا أن الخطب عظيم ، وأن الفارس يوشك أن ينزل عن فرسه ، فلم يتمالكوا أنفسهم ، فأجهش بعضهم في البكاء ، وعلا نحيبه في أروقة المسجد ، ولسان حال الشيخ يقول : هذه قدرتي والله

المستعان على ما أجد وأعاني ، وهكذا إجابته للسائلين في الإذاعة عبر الهاتف ، يلقيها وهو على سرير المرض ، وإن شئت قلت يلقيها وهو على سرير الموت .

فهكذا يا عبد الله يكون العمل للدين ، فلا انقطاع عن عمل صالح نستطيعه ، فلا تدري يا عبد الله لعل العمل الذي تثقل به موازينك ، وتعلو به درجاتك ، ويدفع الله به عنك ميتة السوء ، لعلك لم تعمله حتى الآن ، فاجتهد في إصلاح نفسك ، وبذل الخير لغيرك ، وعزاؤنا بعد الله تعالى في علم الشيخ المكتوب ودروسه المسجلة ، وفي طلابه من هذا البلد ومن غيرها .

فيا معاشر الطلبة ، هذه رفعة الله تعالى للعالم في الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى .

ومن حضر جنازة الشيخ أو شاهدها علم أن لله في عبده سراً مكنوناً – والله أعلم حيث يجعل رسالته – .

فما أسف على عالم استكمل أجله ، فقضى نحبه ، ولكن تخوف على أمة بعد عالم ، فالعالم سراج يضيء طريقهم ينور بنور الله بصائرهم يعلم جاهلهم ويفتي سائلهم ، ويدفع الله به من الشر ما لا يعلمه إلا الله ، والعالم قذى في أعين أعداء الدين ، وغصة في حلوق المارقين ، ووجوده شؤم على المنافقين ، والذين يريدون أن تميلوا ميلاً عظيماً .

وإنه بوفاة العالم يجب أن يقف الإنسان مع نفسه وقفة يهز بها مشاعره ويحرك بها شعوره ، ويدفع بها عنه ركام الغفلة ، فماذا أعددت – يا عبد الله – لمثل هذا اليوم؟ .

ماذا أعددت يا عبد الله لليوم الذي يقال فيه : مات فلان بن فلان؟ وفلان هو أنت ، تخطى الموت غيرك إليك ، وطالما تخطاك إلى غيرك فأحسن العمل ، وقصّر الأمل .

كل ابن انثى ولو طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

ومن الوقفات التي يقفها المسلم في هذا الحدث العظيم والفازعة الجليلة أن يقف مع سيرة العالم وجميل مآثرة ، وكريم خصاله ، وليس هذا من باب ندب الميت وهي تعداد محاسنه ، ولا من باب تزكيته على ربه ، فلا نزكي على الله أحدا ﴿**بل الله يزكي من يشاء**﴾ ولكنها – يا عبد الله – من باب الدروس من حياة العالم ، فالعالم مدرسة ، والدروس تؤخذ منه في حلقته ، وتُثنى الركب عنده ، والدروس تؤخذ من العالم من صلاته إذا صلى إماماً أو مأموماً أو منفرداً ، والدروس تؤخذ من العالم في حال صحته وعافيته وإقامته وتؤخذ الدروس من العالم في هذه المواضع وغيرها ، لأن الظن بالعالم .

والنبي ﷺ يقول : « أنتم شهداء الله في أرضه » فاستمسكوا معاشر الطلبة بما أنتم عليه ، وجدوا واجتهدوا ، وأخلصوا النية ، وتذكروا حالة الأمة ، فالأمة قد تسد حاجتها من كل شيء ، وتستغني عن كل ضرورة إلا ضرورة العالم الرباني ، فأحسن الله عزاء الأمة الإسلامية في فقيدها ، وفي سائر من فقدت من علمائها ، وبارك لها فيمن بقي منهم ، وكتب على أيديهم الخير ، وألهمهم رشدهم ، ووقاهم شرور أنفسهم .

وفي حق فقيدنا وشيخنا خاصة ، نقول ما قاله النبي ﷺ في أبي سلمة لما دخل عليه ، وقد احتضر ثم قبض – رضي الله عنه – نقول : اللهم اغفر

لأبي عبد الله محمد ابن عثيمين ، اللهم اغفر له وارحمه ، وارفع درجته في المهديين ، وافسح له في قبره ، ونوّر له فيه ، واخْلُفه في عقبه ، واغفر لنا وله يا رب العالمين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٦)

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد

بقلم الشيخ الدكتور : أسامة خياط

*** إمام وخطيب المسجد الحرام ***

لقد هزني وآلمني ووكف عبرتي وعقد لساني نبأ وفاة شيخنا العلامة الجليل الإمام القدوة العابد القانت الزاهد الأواب ، صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية ، وإمام وخطيب الجامع الكبير في عنيزة – حرسها الله – والأستاذ في كلية الشريعة بالقصيم .

وإنها لثلمة كبرى ، ومصيبة عظمى نزلت بالبلاد والعباد بوفاة هذا الشيخ الإمام القدوة ، ويا لها من مصيبة ، ويا لها من ثلمة ، كيف لها أن تسد ، وأنى لها أن تعالج .

إن موت العلماء هو من أعظم ما تُمنى به الأمة من بلايا ، ومن أشد ما ينزل بها من رزايا ، وحسبكم في بيان مقدار عظم هذه النازلة ، وتبين فداحة هذا الخطب : قول رسول الهدى ﷺ في الحديث الصحيح الذي أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

ولذا كان وجود العلماء في الأمة بمثابة المصابيح التي يهتدي بها

السالكون في الدياجي ، ويستضيء بها المدلجون في الظلمات ، فإذا انطفأ المصباح فما عسى أن يصنع السالك؟ وإذا فُقد الضياء فمن أين يجيء النور؟ ﴿ **ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور** ﴾ ، إنه نور العلم والإيمان والتقى الذي حبا الله تعالى به فقيد الأمة والبلاد : الشيخ محمد بن صالح العثيمين .

لقد عاش حياة مضيئة رائعة ، ومات ميتة عظيمة شامخة ، ومضى إلى ربه راضياً مرضياً إن شاء الله .

درس ، وعلم ، وأفتى ، ونصح ، وأرشد ، وحذّر ، وأنذر ، وألف بين قلوب طال تنافرها ، وجمع بين نفوس اشتد تنائيها وتباعدها ، جمعها على موائد القرآن والإيمان ، وأظلها في ظلال السنة والعقيدة والفقه والأصول والتفسير والفرائض والمصطلح والمناسك وغيرها وغيرها .

فكم من مواعظ وخطب ألقى ، وكم من محاضرات ودروس وندوات أقام ورعى؟ وكم من جولات الخير والإرشاد والهداية أشاد وأعلى؟ .

وكم من تصانيف ورسائل عديدة مفيدة ، مذكورة مشهورة ، انتشرت له بين الناس ، فاستقبلتها قلوبهم قبل أعينهم ، وأصاخت لما فيها من الحق والهدى أسماعهم قبل أن تصلها أيديهم .

وأقبلت على موائدها العوامر عقولهم ، وصبت إليها نفوسهم وأرواحهم ، ولهجت بالدعاء له ألسنتهم وألبابهم .

ولقد كان مما من الله به على كاتب هذه السطور أن كان من أكثر المنتفعين بعلم الشيخ - رحمه الله - ذلك العلم المبثوث في أرجاء هذه الأرض عبر قنوات لا تكاد تعد ولا تحصى .

كما كان لي بحمد الله انتفاعات خاصة أخرى تتعلق بالإمامة بالحرم الشريف ، إذ أكرمني الله وبقية إخواني الأئمة حفظهم الله بصلاة هذا الشيخ الإمام مؤتماً بي وبهم في حشد من الصلوات في أوقات مختلفات .. فكان له من الإفادات والتوجيهات والتذكيرات في هذا الباب - باب الإمامة والخطابة - ما لا منتهى له ، ولا حد يحده ، كيف وهو الإمام المتمرس ، والخطيب الخبير؟ الذي أفنى زهرة عمره ، ونضارة شبابه في هذا المقام الشريف .

فكيف بعد ذلك لا أستشعر فداحة الخطب ، وشدة النازلة ، وعظم المصيبة ، وكيف - بربكم - تعالج هذه الرزية ، وأنى يجبر هذا الكسر؟ .

لكن العزاء في إخوان الشيخ - رحمه الله - الصلبيين والعلميين أن يواصلوا دربه ، ويمضوا على طريقه في الزهادة ، والعلم ، والعمل ، وأن يجعلوا من سيرة هذا الراحل الكبير منهج حياة ، وطريق هدى ، ومسلك رشد ، وجادة صلاح وإصلاح .

جبر الله مصاب الأمة كلها في هذا الفقيد العظيم ، والعزاء مبذول لجميع محبي الشيخ ، وفي الطليعة : خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله ، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ، والنائب الثاني صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود وجميع أفراد الأسرة المالكة الكريمة ، وأصحاب السماحة والفضيلة رئيس وأعضاء هيئة كبار العلماء ، والدعاة والأئمة ، ورجال الحسبة ، وأهل الخير والصلاح ، وطلاب العلم ، وكافة أفراد الشعب والأمة والعالم الإسلامي .

ورحمك الله أيها الشيخ الراحل الكبير ، فلقد هزنا المصاب وهدّنا الألم ، وأبكانا ولوعنا الفراق ، وأدمى قلوبنا هذا الرحيل ، فسلام عليكم في الآخرين ، وسلام عليك في الصالحين ، وسلام عليك وعلى أسلافك الراحلين إلى جنات النعيم إن شاء الله رب العالمين .

(جريدة عكاظ ، العدد : ١٢٥٦٠)

وأطفئ السراج الوهاج

بقلم الكاتبة الأستاذة : الجوهرة بنت ناصر

وذهب حبيبنا في الله إلى مثواه ، وتفرق الأحباب ، وعظم المصاب ، وتشتت شمل الأصحاب ، نذير بعد نذير يوحي بأمر خطير ، أغمض عينيه إلى الأبد ، وسكن اللحد وأدخل في علم الواحد الأحد .

صعدت روحه إلى خالقها وبارئها ، نسأله تعالى أن تكون في روح وريحان ، وجنات نعيم ، نسأله تعالى أن يلقى سلاماً من أصحاب اليمين .

هبطت هامته إلى الثرى ، وصعقت الأمة لفقد عالمها ، وحزنت القلوب ، وبكت الأعين ، واضطربت النفوس .

حمله الرجال على أكفهم وأكتافهم ، وطارت جنازته إلى مقرها ومستودعها .

رجل في الحق قدير ، وبالصدق خبير ، وفي العمل بصير ، وبالأخلاق جدير ، وبالهدى منير ، وللأمانة خير مؤد وحفيظ وأمين .

أطفئ القنديل ، وخيم السكون ، واجتمعت الأحزان ، وإنا لفراقه لمحزونون .

أخذت الأرض في تناقصها من أطرافها شيئاً فشيئاً ، حتى أصبحت تضيق بدائرها .. اللهم نسألك الرحمة بنا .

وبعد يا أحبتي في الله ، إنه أمر الحياة ، وزرع الموت لا بد من قطافه ،

ولا بد من حصاده ونقصه ، فإن كنا زرعاً للموت وقطافاً له أفلا نعتبر .. ذهب الإمام الجليل وترك لنا الدليل ..

ذهب إلى المأوى وإلى لقاء من أحب فيه ، واعتلى وترك لنا ضياء منه ونوراً وسيرة وحبوراً ، وعلماً من دستور . استعان به الكفيف ، أضاء حسه ووجدانه وبصيرته وأعيانه ، هذا هو المعين من علم ودين ، انقطع عمله إلا ما ينتفع به المسلمون ، ومن أبنائه الصالحين .

خلف وراءه صدقة جارية لا تنقص إن شاء الله ، بل تزيد كلما ارتشف منها ونهل طالب العلم ، وقاصد التوبة ، ومبتغي الهداية ، والمحب لله ، والفار إليه ، والعامل ، والمجاهد ، والمستنير .

خلف من علم البيان والسيرة العطرة ما تزود وتعطر به طوال سنينه ، فأفلح وعطر ، وعطره المسكوب وجهده وجهاده واجتهاده وكفاحه وتفانيه وبحثه وصلابته في الحق من قول مبين ، يشهد له علماء الدين .

ذهب الشيخ الجليل ورحل ، وتكالبت على الأمة المحن ، وعاصرنا وقت تلاطمت فيه الفتن ، وللأزمات ألم ، في سر وعلن ، ومصاب جلل ، وأمر دفين قد علم .

وما الناس إلا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق .

وما هي إلا ساعة وساعة تنتقص الأجيال والبضاعة ، وتموت الأحداق في ظرف راحه ، ويطوي الصباح مساءه ، وما نقص العمر إلا أطاحه .

للمنايا رضى عليك تدور كلنا جاهل بها مغرور
رحم الله من بكى للخطايا كل باك فذنبه مغفور

توقف عن الخفقان ، علم من الأعلام ، وأغمد سيف في سبيل إعلاء كلمة التوحيد همام ، خلق ودين ، وأدب جم وحنين ، وتواضع للناس غير مهين ، وبساطة ووداعة ، وحلم ويقين وإيمان غامر ، يسبر أغوار النفس فتستكين .

خلوص النية ، وسلامة العقيدة ، والقرب من الله والسعي إليه .

صفات عظيمة جليلة في شيخنا رحمه الله رحمة واسعة ، وأحسن إليه ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهمنا وذويه الصبر والسلوان والرشد والإلهام من خير اجتهاداته ، وجعل لنا في مشعل النور والهداية من الكتاب والسنة خير دليل ومرشد وخليل ، من مخطوطاته وفتواه وبحر علمه وتفقهه وتفسيراته ، نستعين بها بعد الله من فضائل قطوفه ، ميراث شيخنا الفاضل ابن عثيمين ، تبصرة ومنار نهتدي به في ظلمة حياة فانية ، علنا نحسن قطافاً كما أحسن فتتعطر سيرتنا بعطر من نهج كتاب ربنا وسنة نبينا وقدوة أئمتنا .

سلام قولاً من رب رحيم .. ونحن لك بالدعاء نقيم .. وعلى الألم وفقدك الأليم .. نستعين بواحد عليم .

نم قرير العين فما زال في الأمة صالحون ، وبالميراث قائمون ، وعن اللغو معرضون .

اللهم ألهمنا رشدنا ، واجبر كسرنا ، وأعنا على مصابنا ، وتمم بالصالحات أعمالنا ، وأحسن خاتمتنا ، وطهر قلوبنا وأنفسنا ، واغلسها بالماء والثلج والبرد ، ونقها كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس .

وارحم اللهم عالمنا الرباني ، وكل علمائنا الأجلاء رحمة واسعة تغنيهم

عن رحمة من سواك .

والطف بنا وارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه ، اللهم آمين يا رب العالمين .. إنا لله وإنا إليه راجعون

(جريدة الرسالة ، العدد ١٣٧٨١)

ابن عثيمين .. دمعة على بقية

بقلم الشيخ : سليمان بن عبد العزيز الربعي

العلم – كما أخبر النبي ﷺ – لا ينتزعه الله من صدور الناس انتزاعاً ، وإنما بقبض العلماء ، نقصان الأرض من أطرافها – كما في رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما – : ذهاب فقهائها وخيار أهلها . وخسارة الأمم – شرعاً وعقلاً وواقعاً – لا عوض لها إذا كانت في مبيني الكتاب ، ومعلمي الخير ونصحاء السر والعلانية ، وأهل الثبات في الشدة والرخاء ، من الأعلام الموقعين عن رب العالمين .

وأي فجيعة هذه التي ترزأ بها الأمة اليوم أن يكون قبض علمائها ونقصان أطرافها وفاة شيخنا الشيخ محمد بن عثيمين؟ العلم الذي تنبيك سريرته عن قيم الخير بما شئت ، وتهمي عليك خبر السلف وسيماهم ما هويت ، علماً ، وتحقيقاً ، ورسوخاً ، وورعاً ، وزهداً .

فقدت الأمة المسلمة بوفاته – رحمه الله – عالماً موسوعياً كبيراً ، وفقيهاً ضليعاً مجتهداً ، ومعلماً أميناً نصوحاً من الرعيل الأول ، وفي هذه القيمة الأخيرة تمثل علم الشيخ وفقهه ، بل حياته كلها .

لقد عاش الشيخ معلماً أتقن صنعة العلم وأحبها ، فملكت قلبه ، وشغلت وقته ، وأفضل عليها جهده ، وأنار لها من أسباب النجاح شموعاً .

كان مجلس درسه في الجامع الكبير بعنيزة ، وقاعات محاضراته في فرع

جامعة الإمام ببريدة ، وبينهما مجالس المسجد الحرام ، والدروس الفصلية في الرياض ، وفي غيرها ، من أحب المجالس عنده ، تقرأ فيها البشر يتهلل من محياه ، والراحة تشرق من وجهه

أما الجامع فالثغر الذي ملأه الشيخ بسنّي عمره على مدى أكثر من نصف قرن من الزمان ، معلماً ، وأمين مكتبة ، ثم إماماً وخطيباً ، ببرامج علمية يكاد يضيق عنها الوقت وتكل لها عزائم الشباب ، وجموع الطلاب تتقاطر استعذاباً لمعينه ، فهيأ لهم الرباط مأوى وكفالة ، وعاش مشكلاتهم ، يحمل الكل ، ويتفقد ذا العوز ، ويعود المرضى ، ويشفع للمحتاج ، ويعين على الخير ، بل وتعدى نفعه الطلاب إلى ذويهم مما فيه إعانة لهم على التفرغ للعلم ، وفي فرع الجامعة لم يتوقف جهده عند بذل جاهه لتقدمه ، والمشاركة الفاعلة في مناسباته ، وشغل أروقته بالتوجيه والتعليم ، وإنما تجاوزها إلى تأسيس منهج حازم في مفهوم التحصيل وطلب العلم .

أما عن علمه ، فإنه وإن كان بحراً استوعب فنون الشريعة والعربية بموسوعية شاملة كما سلف ، إذ درس التفسير ، والعقيدة ، والحديث ، والمصطلح ، والأصول ، والفقه ، والفرائض ، والنحو والبلاغة وغيرها ، مفيداً في كل منها من مجموع علومه ، إلا أنه قد برز وبز في علمين جليلين خاصين ، كان بهما مرجعية معتبرة ، وجبلاً راسياً راسخاً ، هما علما العقيدة والفقه وحسبنا ، إذ لا نستطيع الإلمام بجهوده فيهما ، أن نلفت إلى بعض من أبرز سماتهما عنده ، ففي العقيدة – وكان رحمه الله رئيساً لقسمها في فرع الجامعة زمناً طويلاً – كان من أجلى آثاره وجهوده فيها ما يلي :

١ - القراءة التقريبية لأمهات نصوص المعتقد كـ « الفتوى الحموية » و« الواسطية » و « لمعة الاعتقاد » .. وغيرها ، هادفاً من وراء ذلك إلى ربط الأمة بالنص بتيسيره وتقريب دلالته ومعانيه ، وتأكيد التمايز العقدي عن الفرق البدعية التي جاءت تلك النصوص بنقد أصولها ، كالجهمية ، والقدرية ، والخوارج ، والرافضة ، إضافة إلى إشاعة فريضة النقد لما يحتاج من تلك النصوص إلى نقد ، كما في شرحه للمعة الاعتقاد .

٢ - التأصيل الموضوعي لقواعد مطردة في أخص المسائل الاعتقادية التي يقع فيها الخلاف في ضوء منهج أهل السنة ، كمسألة الأسماء والصفات ، وهو ما تجليه شروحه للنصوص السالفة ، وأجوبته ورسائله العقدية التي جمعت في عشر مجلدات ، على أبرز آثاره في ذلك كتابه : « القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى » .

٣ - طرح منهج المراجعة النقدية لجملة من المفاهيم ، والألفاظ ، والمسائل التي استقر عند كثير عدم مخالفتها لصحيح الاعتقاد كما في العقيدة من مجموع الفتاوى ، وفي أسئلة سلسلة الباب المفتوح ، وسواهما من الآثار .

وفي الفقه كان رحمه الله مدرسة مستقلة بخصائصها التأصيلية ، ومناهجها الاستنباطية والاستدلالية ، ألمح إلى ثلاث من أهم معالمها :

١ - نبذ التعصب ، والتجرد للدليل ، ولعل هذا العقلية الفقهية المستنيرة من أثر البيئة العلمية التي شكّلت علم الشيخ بدءاً بأستاذه الأول ابن سعدي ثم بالشيخين العلمين عبد العزيز بن باز ، ومحمد الأمين

الشنقيطي ، ولا سيما الشيخ ابن باز الذي صرّح الشيخ بتأثره به في اهتمامه بالحديث ، أي بالدليل ، ومعرفة الحق به ، وهذه لا جرم فضيلة علمية لا سيما إذا استحضرنا ظروفها ، حيث التعصب للمذهب ، وطغيان التقليد ، وغياب شروط الاجتهاد .

٢ - ثبات المنهج واطراده ، ومن أسباب هذه الميزة : التعويل على الدليل ، والتجرد الموضوعي في البحث ، وتمثل المقاصد المعتبرة للشريعة ، واستحضار القواعد الأصولية العامة ، ورسوخ الوسائل الإجرائية في الاستنباط ، والبعد عن الهوى ، وتطلب الحق وتحريه .

٣ - التحرير الدقيق للمسائل ، وقد ساعدت العقلية الفقهية المجربة للشيخ تأكيد هذه السمة وترسيخها في شروحه ، ومؤلفاته ، وفتاويه ، بذرائع أصولية معتبرة ، فأثمرت صوابية غالبة في الفتوى ، وتحديداً متناهياً للعلل ، وانضباطاً مطرداً في الأقيسة ، واستقامة مسددة في التفريع ، ولقد برزت هذه الخصائص وسواها في الشرح الممتع على زاد المستنقنع لصفته المنهجية ، وفي مجموعه الثمين من الفتاوى ، وفيما يرد إليه من إشكالات فقهية .

وقد كان من نتاج هذه العقلية فضلاً عن التنبيه إلى عديد من المهمات المهملة في أبواب العبادات والمعاملات التي غابت عن حسن كثير من الفقهاء ، صفة القطع لفتوى الشيخ عند الاختلاف لدى أهل العلم ، والوثوقية والطمأنينة فيها عند العامة ، وإعادة تشكيل مفهوم « التيسير » الفقهي بضبطه بالدليل ، ومقاصد الشريعة العامة ، ومقررات الأصول المعتبرة .

ومن وراء هذه الصفات والخصائص ، ثمة سمات كبيرة تأسيسية اتصف بها الشيخ كأسلافه الأعلام ، منها العدل مع المخالف ، والأدب في المناظرة ، والتأسيس على قيمة الوسطية التي تمثلها مع بدايات تشكل فقهه في البيئة العلمية الأولى ، فضبط بها مساره ، واترعها مسارات الوعي للأمة في صور تؤكد تكامل عقليته وعلميته في سداد مبارك .

وبعد ، فمن المهم الإشارة إلى أمرين أساسيين :

أولاً : أن استقراء هذه الشمائل العلمية والمنهجية عند اشيخ ، ليس الغاية منه التأبين تجريداً ، وإنما أن تطّرد امتدادات مشرقة لمنهج الطلب والتعليم والمعاملة ، فمن الحري بطلابه خاصة ، والمنتمين للبيئة العلمية بصفة أعم ، إمعان النظر في هذا الميراث لإعادة إنتاجه في عطاءات مفيضة ، ليس في علميته فقط ، وإنما في خصائصه التكاملية ، منهج حياة شامل .

ثانياً : إنه وإن فقد المسلمون بوفاة الشيخ ومن سبقه من الأعلام – رحمه الله – قيماً علمية مهمة ، إلا أن الخير في الأمة – لا ريب – باق ، والعلم محمول مكفول ، وفي الأمة نماذج عدولية راسخة علماً وتقى غير أنها سياقة من ألم النفس في أفول نجم من النجوم المهمة في مسيرة العلم والتوجيه والترشيد ، وعلم – فيما نحسب – عامل متقن مخلص ، كان نموذجاً حقيقياً لحقبة سالفة طيبة من الرعيل الأول ، فرحمه الله وأخلف في الأمة بخير .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٣)

خطب جلل ومصيبة فادحة

بقلم الدكتور : صالح بن عبد العزيز المنصور

*** كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم ***

بالأمس أصيبت الأمة الإسلامية بالإمام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز – رحمه الله – واليوم يفجع العالم الإسلامي بعلامة القصيم ، بل علامة العالم الإسلامي الشيخ العالم العامل بعلمه محمد بن صالح بن عثيمين – رحمك الله يا أبا عبد الله – .

ماذا أقول عنك معزياً لنفسي ، لقد عقد الحزن لساني ، وشوش ذهني فلم أستطع أن أقول أو أكتب كما ينبغي أن أكتب عنك يا أبا عبد الله ، فلست بحاجة لكلامي أو كلام غيري فيك لبيان حالك وواقعك ، وتعداد فضائلك ومحاسنك وعلمك ، كلا فقد عرفك العالم الإسلامي عالماً في العقيدة السلفية الصافية ، فلا غرو ، فقد غذيت بنيانها ، ونهلت من موردها العذب الزلال الذي لم تكدره دلاء أهل البدع .

لقد كنت عالماً بالتفسير وعلومه ، والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله ، واللغة ، والبلاغة والبيان ، ملماً بعلوم كثيرة ، لقد كانت فتاواه رحمه الله مستندة إلى الأدلة من الكتاب وسنة رسول الله ﷺ وإجماع الأمة ، وأقوال الصحابة ، والقياس ، والنظر السليم الذي يستند إلى الأدلة الشرعية ، يأمر بالتمسك بها ، ويحذر من البدعة في الدين ، لذا كان كثيراً ما يتكلم فيما نقل عن العلماء من أقوال أو أفعال في الدين لا أصل لها في شرع الله .

لقد درس عليه جم غفير من طلاب العلم والمبتدئين ، فنهلوا من نبعه الزلال ، وتخلقوا بأخلاقه ، وتأدبوا بآدابه ، وسلكوا منهجه .

كان الناس يتسابقون إلى دروسه وفتاواه ، فقد فتح الله بعلمه قلوب العباد كما أشرب به القلوب ، فتجد الناس لا يرتاحون إلا إلى فتواه كما كان قبله شيخنا وشيخه العلامة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله وطيب الله ثراه - .

فإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على محبة الله لهذا العالم ، وهذا مصداق ما جاء عن رسول الله ﷺ ، حيث قال : «إن الله إذا أحب عبداً نادى جبرائيل فقال : إني أحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، وينادي جبريل في أهل السماء أن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض» أو كما قال ﷺ .

لقد كان الشيخ محمد - رحمه الله - ورعاً كثير التثبت فيما يفتي ، فلا يتسرع في الفتوى قبل أن يظهر له الدليل ، وكثيراً ما يقول : لا أعلم ، أو أتوقف في هذه المسألة ، أو لم يتبين فيها شيء - وهكذا العالم التقي الورع - .

كان - رحمه الله - زاهداً متواضعاً ، وجهاً بشوشاً ، اجتماعياً يخالط الناس ، ويؤثر فيهم ، ناصحاً لله ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم ، يصدع بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وكل ذلك بالحكمة ، يغضب إذا انتهكت محارم الله ، والحق يقال : إني لم أعلم أحداً مثله في علمه ، وقبول الناس له بعد شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمهما الله رحمة واسعة - .

لقد كنت يا أبا عبد الله في حياتك منبر هداية ، ولسان صدق ، وها أنت بعد وفاتك منبر هداية ، لقد كان عظم الفاجعة بمصابك مؤثراً في قلوب كثير من الفاسدين والمنحرفين مما يكون إن شاء الله سبباً في هدايتهم واستقامتهم .

رحمك الله يا أبا عبد الله ، لقد عمرت وقتك كله في طاعة الله ومرضاته ، بل في جهاد في سبيل الله بنشر العلم وتبليغ الرسالة ، فلم تفتر همتك ، ولم تضعف عزيمتك حتى وأنت في أشد المرض ، كنت تواصل مسيرة دعوتك بهمة قوية ، وعزيمة صلبة عبر برامج إذاعة القرآن ، البرامج الخاصة بك ، بل كنت تدرس في رمضان ، وفي المسجد الحرام في شهر رمضان لم يمنعك شدة المرض أن تستمر كعادتك ، وتجيب على أسئلة الجمهور ، وكنت على هذه الحال حتى قبيل وفاتك بأيام .

رحمك الله يا أبا عبد الله ، أرجو الله أن يجعل هذا المرض الذي أصابك فقبلت قضاء الله وبلاءه بنفس صابرة راضية محتسبة ، أرجو أن يكون رفعة في منزلتك عند الله ، وأبشر بما وعد الله الصابرين المحتسبين من أجر عظيم ، وصواب كبير ، أما أنت يا أبا عبد الله فقد بلغت وأديت الأمانة، كما أحسبك ، وقد قدمت إلى رب كريم رحيم غفور ودود ، يفرح بلقاء عباده الصالحين ، أما نحن فإنا لفراقك يا أبا عبد الله لمحزونون ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

اللهم اجبرنا واجبر المسلمين بهذه المصيبة ، واخلف لنا خيراً منها ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده ، إنك سميع قريب مجيب ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٣)

فقيه العصر

بقلم الأستاذ : محمد بن عبد الله المشوح

* المستشار في أمانة مدينة الرياض

لقد فقد المسلمون بالأمس القريب علماً من أعلام الأمة ، وطوداً شامخاً اعتلى العلم بكل جدارة ، وتسنم عليا الفقه بكل اقتدار .

آتاه الله أدوات التحصيل من ذكاء وفطنة ، وحرص واجتهاد منذ كان صغيراً وطالباً في حلقات الشيخ محمد المطوع – رحمه الله – والشيخ ابن عودان – رحمه الله – ، ثم شيخه الأكبر عبد الرحمن السعدي الذي توسم فيه النجابة ، ورأى في عينيه النبوغ ، فدفعه إلى التدريس وهو طالب في حلقته ، فكان مثار إعجاب الطلاب الذين تحلقوا حول الشاب اليافع القادم بألمعية فذة ، وذكاء متوقد .

لقد كان لي شرف اللقاء منذ أن كنت طالباً في كلية الشريعة ، ومدرساً لنا في العقيدة ، والتحقت بحلقته في إجازة صيف أحد الأعوام .

ثم التقيت به مرات عديدة عبر مناسبات إعلامية ، كنت أستضيف الشيخ خلالها للإفتاء والتعليق ، وخصوصاً في موسم الحج ، أو عبر بعض المحاضرات في المساجد والمسجد الحرام ، وكنت أحمل في تلك اللقاءات العديد من المواقف التي سرعان ما تطايرت نتيجة هول الحديث وعظم المصيبة .

طلبت منه – رحمه الله – أن نعقد معه لقاء عبر برنامج « في موكب

الدعوة » المعروف الذي يذاع عبر إذاعة القرآن الكريم ، لنتناول شيئاً من سيرته وحياته ، وطلبه للعلم ، ومشايخه ، وتوجيهاته لطلبة العلم ، فلبى بكل تواضع ، فصدرت ذلكم اللقاء بتقديم موجز مختصر ، أثنيت فيه على الشيخ – رحمه الله – بما هو أهل له من الأوصاف العلمية والمديح الصادق .

فأوقفني وأوقف التسجيل ، وطلب محو وإزالة تلك المقدمة ، والاكتفاء بالاسم مجرداً من أي مديح أو إطراء أو ثناء .

فباشرت اللقاء وهو يتحدث بكل مصداقية عن شيوخه ، وخص الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – المزيد ببيان من منهجه في التدريس مع طلابه والتي استقى الشيخ محمد – رحمه الله – فيها كثيراً ، وسار على منهجه فيها .

كما أثنى على الشيخ علي الصالحي – رحمه الله – وأنه ذو فضل عليه حين أشار عليه بالالتحاق بكلية الشريعة .

ثم سألته عن وفاة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – وعلاقته بسماحة الشيخ فأوضح ما كان مهماً من علاقته وتتلمذه على سماحة الشيخ – رحمهم الله جميعاً – .

لقد جمع الله بينهما في صفات عديدة عبر علمهما الغزير ، وفقههما الواسع ، وشفقتهما على أحوال المسلمين ، وحرصهما على قضاء حوائجهم وتعدد نفعهما ، وانتشار علمهما ، ومحبة الناس لهما .

وكان هناك ثمة قاسم مشترك جمع بين الإثنين ، وهو زهدهما في الدنيا ، وإعراضهما عنها ، وورعهما كان مثار إعجاب تولدت محبة صادقة استوطنت سويداء القلب نحوهما .

لقد عاش الشيخ – رحمه الله – حياته في غاية من التقشف والزهد ، وظهر ذلك جلياً في هيئته وملبسه الذي كان غاية في الجمال ، قمة في الزهد ، لقد راودته الدنيا من كل جانب ، ولكنه صد وأعرض ، وعبس في وجهها ، فولت مدبرة ، وأتت نحوه القلوب راغمة محبة وإجلالاً وتقديراً .

عاش الشيخ – رحمه الله – وهو متعلق بالعلم ، محباً له ، فكان لا يتردد عن كل مناسبة يتوخى فيها أثراً ونفعاً للناس .

جدد الشيخ – رحمه الله – في حياته منهج أهل السنة والجماعة في كثير من الجوانب العلمية المهمة ، فكان في العقيدة إماماً ، شرح التدمرية بالتقريب ، والحموية بالتلخيص ، وكانت شروحه تتدفق غزارة وبحثاً في العلم غير مسبوق .

أبان عن منهج أهل السنة في التعامل مع الفرق ، وأهل الذمة ، وولاة الأمر ، في وقت كادت تلك الأصول أن تندرس .

أما الفقه فهو الإمام فيه ، وأحيا في نفوس طلبة العلم حبه ، وتدافع الشباب نحو كتب الفقه تحقيقاً ومدارسة ، وأمتع الناس كافة بكتابته في شرح زاد المستنقع ، فضلاً عن عشرات الكتب في أصول الفقه ، والفرائض ، والحديث ، والتفسير ، والدعوة ، والإفتاء .

كان من أبرز ملامح الشيخ – رحمه الله – أنه محل قبول تام من المسلمين في أنحاء الأرض ، وكانت فتاويه يتناقلها الجميع بكل رضا وقبول .

برز في منهجه العلمي تأثره الواضح بآراء شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وذلك في دقة الاستنباط ، والبحث عن الدليل ، والتأصيل للمسائل .

ومن ملامح الشيخ – رحمه الله – في تعامله مع الناس كافة تواضعه مع الصغير والكبير ، ولطافته في الحديث ، بل لا يتردد في تقديم طرفة أو سرد حكاية تضفي جواً من الارتياح لمن حوله .

إن حزن الناس على فقده وتأثرهم بذلك نابع من مكانة الشيخ العلمية والشرعية ، فكم هدى الله بكلماته من قلب ضال ، وكم أنار لفتواه حيرة متردد ، فدل على السنة ، وحذر من البدعة ، ودعا الناس إلى سلوك ولزوم الحق.

كان – رحمه الله – شفيقاً عطوفاً حدباً على الشباب ، يستمع إليهم ويناقشهم ، فيرشد ويعظ بكل لين وأدب .

لقد استمعت إلى بعضهم ينهر الشيخ ، ويعلون أصواتهم عليه حين يتحدثون عن بعض المنكرات ، ولكن الشيخ – رحمه الله – يعاملهم بكل هدوء ، ويبين لهم أصول الإنكار وضوابطه بعيداً عن الحماس المرتجل ، والعاطفة الثائرة المجردة من العلم والعقل ، فما أعظم فقدك يا أبا عبد الله ، وما أحوج الناس والشباب خصوصاً إلى مثلك ، ولكن الله يفعل ما يشاء ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٣)

مما رأيته في شيخنا ..

بقلم الشيخ : خالد بن صالح النزال

فإنا لله وإنا إليه راجعون ، لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى .

لقد فجع العالم الإسلامي في اليوم الخامس عشر من شهر شوال لعام ١٤٢١ هـ بموت علم من أعلامه ، ووريث من ورثة محمد ﷺ ، إليه انتهت إمامة أهل السنة والجماعة ، وإليه انتهت الفتوى ، فهو عالم زمانه ، وإمام عصره ، أجمع أهل العلم والفضل على إمامته ، وعلى علمه وورعه وزهده كان شاغلاً وقته كله في آية وتفسيرها ، وحديث ومعناه ، ومسألة وحكمها لم أره إلا معلماً ، أو مجيباً لسائل يسأله ، أو منكباً على كتاب قرأه ، رحمه الله رحمة واسعة .

لن أتناول في هذا المقال سيرته الذاتية فهي معلومة مدونة ، وإنما سأذكر شيئاً مما رأيته فيه :

أشرت سابقاً أن شيخنا انتهت إليه الفتوى آخر حياته ، وصار إماماً لأهل السنة والجماعة وعامة الناس ، ناهيك عن خاصتهم ، يرون في فتاواه بعدها عن التعقيد وتقعير الكلام ، فهو رحمه الله يذكي الحكم ودليله من الكتاب والسنة ، مبتعداً عن التقليد والتعقيد والتقصير .

وكانت دروسه اليومية التي يعقدها بعد صلاة المغرب من كل يوم تضم أعداداً كبيرة من طلاب العلم ، يعدون بالمئات ، وكان درسه – رحمه الله –

مليئاً بالعلم الشرعي ، والأحكام المبنية على الأدلة من الكتاب والسنة ، حيث كان للشيخ اجتهاده في المسائل الشرعية ؛ فكان لا يقلد أحداً من أهل العلم ، بل كان يعرض أقوالهم ، ثم يرجح ما يراه موافقاً للنصوص الشرعية .

ومرة قدم إليه أحد الطلاب كتاباً يبين فيه المناسك على المذاهب الأربعة ، فمزقه الشيخ أمام الطلاب في الدرس كراهة منه للخلاف ، وإيقاع العامة في الحيرة ، وإبعادهم عن نصوص الكتاب والسنة ، وكلنا يعلم أن الشيخ لم يدع فناً في العلوم الشرعية إلا وأخذ منه نصيباً ، وشرح فيه متناً ، وكانت له يد طولى في الفقه والتفسير والنحو ، ولست أعني بالفقه ذكر أقوال العلماء فحسب ، بل أعني بالفقه : الفقه المرتبط بنصوص الكتاب والسنة ، ومعرفة مقاصد الشريعة .

كنا نتعجب من صبره على مجالسه العلمية ، وصبره على إلقاء الدروس ، فكان لا ينقطع عنها إلا نادراً ، وهذا سبب اعتذاره كثيراً عن السفر إلى بعض المدن ، حرصاً منه - رحمه الله - على طلابه وعلى دروسه.

وكان يذهب إلى المسجد ماشياً ، ويرجع إلى بيته ماشياً كذلك ، والمسجد يبعد عن بيته كيلاً واحداً تقريباً ، فهذه عشرة أكيال يقطعها - رحمه الله - يومياً ماشياً ، ونادراً ما نراه إلا ومعه عدد من طلبة العلم الذين يسألونه أو يقرؤون عليه متوناً ، وقد قرأت عليه مما قرأت وهو يمشي أكثر من مائة قاعدة فقهية جمعتها وأخي الشيخ مازن الغامدي ، وشرحها الشيخ كاملة لنا في أشرطة مسجلة ، وكنت أتعجب من صبره وأريحية

نفسه ، وربما كان ذلك في يوم شديد البرودة حتى إنني ذات مرة كان لساني ينعقد عن الكلام من شدة البرد ، وهو لا يأبه لذلك ، ولا يهتم ، صابراً محتسباً – رحمه الله – .

كان – رحمه الله – يبذل المكافأة الشهرية لطلابه في السكن ، وكانت أعدادهم كبيرة ، عوناً لهم على طلب العلم .

وكان لا يتوانى في الشفاعة لمن يستحقها ، فكان يبذل جاهه بكل ما يستطيع عند المسئولين وأولياء الأمر .

قدمت إلى عنيزة طلباً للعمل عنده في سنة ١٤١١ هـ وكنت في السنة الأولى من الثانوية في المعهد العلمي في عنيزة ، وكان عمري آنذاك ست عشرة سنة ، ضمن مجموعة من الطلاب قدموا في تلك السنة ، منهم أخونا الشيخ منصور بن تركي المطيري ، والشيخ عبد الله بن سالم الأحمدي وكان يهتم بنا اهتماماً شديداً ، وذلك لصغر سننا في تلك الفترة ، حتى كان يوقع أحياناً على التقرير الشهري الدراسي في المعهد العلمي بدلاً من أولياء أمورنا ، وكان يتفقد أحوالنا ، ويسأل عن أمورنا ، ويحرص أشد الحرص على توفير ما يساعدنا على طلب العلم ، حتى إنه وفر لنا سيارة توصلنا إلى المعهد العلمي في فترة من الفترات لم نكن نجد فيها سيارة .

وكان – رحمه الله – يهتم بمن يقدم من خارج المملكة حرصاً منه على تفقيههم ليكونوا دعاة في بلادهم .

وكان يخرج مع طلابه شهرياً إلى إحدى المزارع في عنيزة ، فكان يلاطفهم ، ويجلس معهم ، ولا تخلو مجالسه من فائدة يذكرها أو مسألة يبينها .

وقد كان – رحمه الله – حريصاً على الالتزام بما كان عليه السلف الصالح علماً وعقيدة وأخلاقاً وعملاً ، وأذكر أني استأذنته في السفر إلى إحدى المدن للدراسة على أحد علمائها ممن قدموا من خارج هذه البلاد في أصول الفقه ، وكان هذا العالم قد عرف بجهله بعقيدة السلف الصالح ، فنهاني الشيخ – رحمه الله – من السفر إلى ذلك الرجل ، وقال : ائت لي بالمتن الذي تريد دراسته على ذلك الرجل ، وسأشرحه في طريقي إلى البيت بعد صلاة الفجر من كل يوم ، وكان ذلك في سنة ١٤١٤ هـ ، فهذا من حرصه – رحمه الله – على عقيدة السلف ، وكان يأمر أن لا يؤخذ إلا ممن عرف بالعقيدة السليمة .

وأذكر أنه بعد تخرجي من جامعة الإمام وحصولي على الشهادة الجامعية في كلية الشريعة ، أشار إليّ أحد الإخوان أن أكمل دراستي للحصول على الماجستير في إحدى الجامعات في بعض الدول العربية ، وأخبرته بذلك في رسالة مكتوبة ، فاتصل عليّ ونهاني نهياً شديداً عن أخذ العلم الشرعي إلا ممن عرف بالعقيدة السليمة ، وتعظيم النصوص الشرعية ، فانتهيت ، ومازلت كلما تذكرت ذلك أدعو له ، وأحمد الله على أخذي برأيه .

وكان يكره الجدال في العلم والمخاصمة فيه ، وإيراد الإيرادات على النصوص الشرعية ، وربما حصل ذلك من بعض الطلاب ، فيزجره زجراً شديداً ، وكان ينهانا أن نذكر عنده رأي أحد من العلماء المعاصرين الأحياء خوفاً من الفتنة ، وتنقيص رأيه ، وفي ذلك مفاسد لا تخفى .

وكان يحث طلابه دائماً على الالتزام بالآداب والأخلاق الكريمة ،

وعدم الإخلال بشيء من حقوق المسلمين .

وكان يفرح فرحاً شديداً حينما يعلم أن أحداً من طلابه ألقى محاضرة أو أقام درساً ، وشاهدت ذلك مراراً ، وكيف أن الشيخ تظهر السعادة على محياه عندما يخبر بذلك .

كتب الله له القبول في الأرض عند الناس عامتهم وخاصتهم ، وسأذكر واقعة تدل على ذلك :

في رحلة الشيخ العلاجية إلى أمريكا كنت أنا والشيخ خالد الجدوع في كندا في رحلة دعوية تابعة لمؤسسة الحرمين ، وعلمنا من الإخوة هناك أن الشيخ ألقى محاضرة نقلت عن طريق الهاتف إلى مدينة تورنتو في كندا ، وكان الشباب هناك يبشر بعضهم بعضاً بأن الشيخ بصحة وعافية ، فسبحان من جعل المحبة في قلوب الناس لأهل العلم والفضل .

إن قلة من الناس على مر التاريخ ممن يتأثر العامة والخاصة بموتهم ، وإني أحسب أن شيخنا من هؤلاء القلة .

رحمك الله يا شيخنا ، وأسكنك فسيح جناته ، وجمعنا وإياك في دار كرامته ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٣)

مات الشيخ ابن عثيمين ، ثم ماذا؟

بقلم المهندس : حمود السالمي

* مدير عام التخطيط والميزانية بوزارة الشؤون البلدية والقروية *

لم يكن نبأ موت الشيخ محمد بن صالح العثيمين كغيره من الأنباء ، ولكنه كان حدثاً فريداً له وقع خاص ، في زمن تتابعت فيه مصائب عامة على مدى نحو عامين من الزمان ، فقدت فيهما الأمة أئمة أعلاماً ، وفي فقد كل واحد منهم فجيعة عامة ، فكان المصاب عظيماً ، اهتزت له أفئدة وعروش ، أفئدة أولئك الذين ملأ الله قلوبهم بالإيمان ، وعرفوا قدر العلم وأهله ، بل وأفئدة كثير من المقصرين الذين وجدوا في الحدث وقفة للمراجعة .

واهتزت عروش أقلقتها حرب أولئك الأفذاذا للعقائد الباطلة ، أو البدع الظاهرة والباطنة ، أو الفساد المقنن الذي يمارس ويحمى ، ولقد بلغ أولئك الأئمة النجباء منزلة ما بلغها غيرهم من المعاصرين ، حتى إن بعض الخصوم غدا يتغنى بكلمة سمعها من أحدهم ، أو رسالة نالها من بعضهم ، وكل يدّعي وصلاً لليلى .

لا أريد رثاء الشيخ ، ولا ذكر محاسنه أو مناقبه التي أجهل أكثرها ، ومهما كتب عنه الكاتبون فلن يوفوا الشيخ حقه ، ولا بعض حقه ، ولكنني أريد الوقوف بعض الوقفات عند هذا الحدث العظيم ، فلعل موعظة تطرق قلوباً أورثها طول الأمل شيئاً من الغفلة ، لأخاطب ما فيها من الإيمان

والخشية ، ولعل سامعاً أن يجيب ، وقد قال الرسول ﷺ : « كفى بالموت واعظاً » ، فأقول :

١ – من الناس من تحيا بحياته أمم ، وإن مات فقدته أمم ، فمثل هذا فراقه ألم ، ومنهم من يكون وجوده كعدمه ، أو ربما كان عدمه خيراً من وجوده ، وهذا لا يفقده إن مات إلا أهله – إن فقدوه – ومثل هذا قد يكون فراقه أملاً ، فمن أي الفريقين تحب أن تكون؟

٢ – الميتة التي كتبها الله على الشيخ قد ذاقها ، وهو الآن بين يدي أرحم الراحمين ، نرجو له منزلة عالية إن شاء الله ، وعسى أن يكون ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ **تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ﴾ ، وهذه المنزلة التي نرجوها له منزلة لا تُدرك بالواسطة المقيتة ، ولا بالتمييز أو التفرقة التي يمارسها بنو البشر في واقعنا المعاصر اليوم، العصر الذي فُتن فيه فئام من الناس بالدنيا وزينتها ، حتى عبد كثير منهم – على مختلف فئاتهم وطبقاتهم – صنماً معاصراً اسمه المال .

منزلة لا تدرك بألقاب تطلق على بعض ممن لا يعلم حقيقة قربهم منها أو بعدهم عنها إلا الله وحده ، ولا بغير ذلك من الاعتبارات التي لا ولن تغني عن أهلها شيئاً إن لم يعمروا قلوبهم بالإيمان بالحي الذي لا يموت ، ثم يتبعوا ذلك عملاً لا يقبل إلا بشرطين :

أ – أن يكون خالصاً لله وحده لا شريك له .

ب – وأن يكون وفق ما جاء به محمد ﷺ .

كيف وقد قال ﷺ : « إن الله عز وجل لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

٣ - صلى على الشيخ في بلد الله الحرام أعداد كبيرة ، وصلى عليه صلاة الغائب جموع أخرى لا يحصيها إلا باريها ، حتى تمنى المرء أن المصلى عليه هو ، وفي احتشاد هذه الجموع عبرة من جانبين :

أ - نرجو أن يكون الشيخ ممن قال النبي ﷺ فيهم : «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض» ، وإني لأرجو أن يكون ذلك من ذلك .

ب - لكل الذين يناوئون العلم وأهله ، والسنة وأهلها ، ممن طمس الله قلوبهم ، أو غلبهم الهوى من أعداء ظاهرين ، أو ممن لا يُعرفون إلا في لحن القول ، ألم تذكركم الجنازة والمصلون عليها بقول الإمام أحمد - رحمه الله - : «قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز» .

فكان كما قال - رحمه الله - إذ صلى عليه ما يزيد على المليون ومائتي ألف مصل أو نحواً من ذلك كما ذكر أهل السير ، بينما لم يصل على خصومه إلا عدد أصابع اليدين ، مع أنه عاش زاهداً ، وعاشوا مترفين ، هو بين الناس وفي شظف من العيش ، وهم في شاهقة المناصب والقصور ، وما يتبع ذلك من زيغ وطيش ، فلما لم يتقوا الله فيها كانت النتيجة تلك .

١ - قال ﷺ : «إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة» ، ولقد كان الشيخ أمة في رجل ، فهل من مدكر؟!! .

الموت أفناهم واستبقاك بعدهم ... حياً فما أقرب القاصي من الداني

فهل من رجعة ، ما دمت في مهلة؟ أم لا بد من الإصرار حتى تُنشب المنية أظفارها ، ولات حين مندم ، الله المستعان .

٢ – قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساء جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » .

ولربما لم يدرك هذه المعاني إلا من نوّر الله بصيرته ليعرف مقام العلم وأهله ، فالعالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً لكن الجاهل لا يعرف العالم ، لأنه لم يكن عالماً ولأجل ذلك انصرف الناس عن العلم وأهله انصراف الزاهدين ، وانحرفوا عنه وعنهم انحراف المعاندين ، لأن من جهل شيئا عاداه .

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأ لم يحي بالعلم ميت ... فليس له حتى النشور نشور

٣ – الناس في أمس الحاجة إلى العلماء الربانيين ، والأئمة المصلحين ، وقد قال رسول الله ﷺ : « يوشك العلم أن يُختلس من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء » فقال زياد بن لبيد : وكيف يختلس منا العلم وقد قرأنا القرآن وأقرأناه أبناءنا؟ فقال : ثكلتك أمك يا ابن لبيد هذه التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى ما يرفعون بها رأساً » .

وروي عن النبي ﷺ قوله : « موت العالم مصيبة لا تجبر ، وثلمة لا تسد ، وهو نجم طمس » .

وعن أنس بن مالك قال : قال النبي ﷺ « إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا انطمست النجوم أوشك أن يضل الهداة » .

٤ – إلى طلبة العلم : نعلم أن الله تعالى لن يترك الأمة هكذا ، وقد تعهد

ببقاء الطائفة المنصورة التي لا يضرها من خالفها أو خذلها ، ولكن سد الثغر الذي ثُلم لن يكون بالأماني وملحقاتها ، بل يحتاج إلى جد ووقت من إخلاص ومثابرة ، فنناشدكم الله أن تقدروا الأمر قدره ، وأن يكون لكم في السلف وبقية السلف قدوة ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

رحم الله الشيخ رحمة الأبرار ، وجعل منزله الفردوس الأعلى في الجنة وجمعنا به والصالحين في دار نعيمها مقيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيد الأنبياء والمرسلين .

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٣٧)

فقد عالم

بقلم الشيخ : عبد العزيز بن حمين الحمين

* رئيس محكمة محافظة الرس *

إذا ما مات ذو علم وتقوى فقد ثلمت من الإسلام ثلمه

حقاً .. يثلم الإسلام ، ويرزأ المسلمون ، ويحزن المؤمنون ، بفقد العالم الذي ينشر إرث الأنبياء ، وسنة سيد المرسلين ، فمصابنا في فقد شيخنا وإمامنا فضيلة الوالد الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، مصاب عظيم ، وخطب جلل ، تهتز له القلوب ، وتعتصر له النفوس ألماً وحسرة ، ولكن قضاء الله نافذ ، والحمد لله على قضائه وقدره ، فليبكه العلماء والمشايخ الذين عرفوه بحراً زاخراً بالعلم ، وعرفوه طالباً للحق مدافعاً عن السنة ، عرفوه نبعاً صافياً ومعدناً أصيلاً لا تغيره الأحوال ، ولا تؤثر به الظروف ، وليبكه طلاب العلم الذين كانوا معه وكان معهم ، لا يفارقونه ولا يفارقهم ، حتى في أيامه الأخيرة .

فهم أكثر الناس التصاقاً به ، وأقرب الناس إلى قلبه ، وأكثر من يعتني بهم وبشؤونهم ، وليبكه السائلون والمستفتون من عامة المسلمين وخاصتهم الذين كان الشيخ إماماً لهم وأباً لهم ، يسألونه في مسجده ، وبيته ، وفي الطريق ، والهاتف ، وفي برامج الإذاعة والتلفزيون ، وغيرها كثير ، فيجدون عنده الدليل والاتباع والحكمة والعقل ، في أدب جم ، وعبارة لطيفة واضحة صريحة ، ولسان عربي مبين ، وليبكه المساكين والمحتاجون الذين كان الشيخ

منتهى لحاجاتهم ، ونهاية لمطالبهم ، مع ما هو فيه من شغل مع طلبة العلم والعلماء ، ولتبكه المنابر والمحاريب والمساجد وقاعات المحاضرات ودور العلم ، وبرامج الخير وأهلها .

إنه - رحمه الله - مدرسة متكاملة ، بل جامعة شاملة من العلم والأدب والفكر والسماحة ، جمع من الخصال والسجايا ما يعجز عن وصفه البيان ، ففي مدرسته يتعلم الكبير والصغير ، ويتربى طالب العلم ، فقد كان - رحمه الله - يركز تركيزاً على التطبيق العملي للسنة النبوية والتربية العملية عليها ، ولشيخنا - رحمه الله - سجل حافل في هذا الميدان ، يعرفه القريب والبعيد ، والقاصي والداني ، ولعل مما يذكر في هذا المقام وعرف عن الشيخ ولمسته شخصياً منه - رحمه الله - ما يلي :

١ - رفع صوته بالذكر والاستغفار بعد السلام من الصلاة تطبيقاً عملياً للسنة ، وتعليماً لطلبته على الصدع بها في كل مقام ، وتربية للجميع على هدي الرسول ﷺ في الانصراف من الصلاة .

٢ - إفشاء السلام على الصغير والكبير ، حتى على عمال النظافة والباعة في الأسواق ، في رحمة وألفة عجيبة تخرج بلا تكلف ولا عناء ، مع ابتسامة إيمانية تأخذ القلوب ، تطبيقاً لقوله ﷺ : « أفشوا السلام . . » الحديث ، وهو أسلوب تربوي دعوي لا يكلف شيئاً ، لكنه عظيم الأثر، عميق التأثير .

٣ - إرساله من يسوي الصفوف ويتفقدها بعد إقامة الصلاة ، اقتداءً بالرسول ﷺ ، وهي سنة مهجورة تركها الكثيرون ، لكن الشيخ بعلمه واتباعه طبق هذه السنة وعلمها الكثيرين .

٤ - حرصه - رحمه الله - على المشاركة في كل أمر خيري وتجمع على الخير والبر وطلب العلم ، ومن ذلك حرصه على مشاركة جمعيات تحفيظ القرآن الكريم في أنشطتها وحفلاتها ، وخاصة حفلات تخريج حفظة كتاب الله تعالى ، فهو لا يتوانى عندما يدعى في تلبية الدعوة رغم مشاغله وارتباطاته .

٥ - اتباع الدليل وهو ما اشتهر عن الشيخ وعُرف به ، فتجده يدور مع الدليل حيث دار ، ويأخذ به متى صح ، ولا يتوانى لحظة في الرجوع عن رأيه إلى الدليل إذا صح عنده ، فالدليل الصحيح مذهبه ، والأخذ به واجب عنده ، مع تقديره وعنايته بأقوال سلف الأمة ، وهو جمع عزيز في مثل هذه الصور .

لقد كان مصاب الأمة الإسلامية في فقده عظيماً ، فقد غادرنا وكل الناس محتاجون إلى علمه وحلمه ، وكل الناس في حاجة إلى مثله ، نعم .. فقدنا منارة من منارات العلم ، وعلماً من أعلام الأمة ، وعظيماً من عظمائها ، لكنه باق معنا بعلمه الذي ورّثه ، وسيرته العطرة التي سطرها طوال حياته الحافلة بالعطاء ، باق معنا بمنهجه العلمي الفريد ، وأسلوبه في مخاطبة القلوب والعقول ، باقٍ معنا مجدداً وداعية وعالماً قل أن يجود الزمان بمثله .

فحقه - رحمه الله - علينا حق كبير ، وواجبه علينا واجب عظيم ، إنه الأب والمربي والعالم الناصح الذي احتل مكانة في القلوب ، وتربع على عرش الأفئدة ، حياته علم وتعليم وفقه واجتهاد وجهاد في مثابرة لا تعرف الكلل والملل ، فترك لنا علماً غزيراً في العقيدة والفقة والأصول والأخلاق

والآداب ، مكتوباً ومسموعاً ، وترك لنا طلبة له في كل الآفاق ، يحملون علمه إلى المسلمين ، وينشرون سيرته العطرة بينهم ، وستبقى بإذن الله تعالى فتاواه وآراؤه واجتهاداته للأجيال القادمة نبراساً يضيء لهم الطريق .

نعم .. سيفقده كل داعية ومصلح ، سيفقده كل عالم وطالب علم ، سيفقده كل باحث ومستفتٍ ، سيفقده كل المسلمين ، فغيابه خسارة ، لكن هذا قضاء الله ولا راد لقضائه .

اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيراً منها ، وإن لله ما أعطى ، وما أخذ ، وكل شيء عنده بمقدار ، وإنه لله وإنا إليه راجعون .

رحم الله شيخنا رحمة واسعة ، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة ، وجعل منزلته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٣٧)

العظماء يولدون بموتهم

بقلم الدكتور: حسن بن فهد الهويمل
* رئيس النادي الأدبي بالقصيم *

موت الكبار مولد جديد ، وحالة كتلك تعني مجرد الانشطار بين الروح والجسد .

يعود الجسم إلى أصله تراباً : ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم**﴾ ، وتعود الروح إلى عالمها الغيبي في انتظار التلاحم من جديد : ﴿**ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾ ، ﴿**قد علمنا ما تنقص الأرض منهم**﴾ ، ﴿**بلى قادرين على أن نسوي بنانه**﴾ .

وحين يخلو ظهر الأرض من ذلك الجسم المادي ، وتصعد الروح إلى بارئها ، تتداعى القيم ، لتحل محل الجسم الترابي . يراها الناس في البصيرة كما رأوا صاحبها من قبل بالبصر ، وهنا يكون المولد الجديد ، والحضور الجديد ، والمعايشة الجديدة ، حياة لا يملكها كل الميتين ، وكم سويت الأرض بالملايين فصاروا تراباً ، وقديماً قال أبو العلاء :

خفف الوطء ما أظن أديم الـ   أرض إلا من هذه الأجساد

وخلود العظماء لا يظفر به كل الهالكين :

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر والإقدام قتّال

فجاج الأرض تذرعها الأرجل ، وتملؤها الجنات والقصور ، وصفحات

التاريخ تضيئها الأقوال والأفعال الخالدة ، كل الأحياء يملكون الركض بأرجلهم على الأرض ، وليس كل الأموات يملكون الركض على صفحات التاريخ بسمعتهم وأفضالهم وجميل أعمالهم .

حياة القيم على صفحات التاريخ حياة عطرة طويلة ، تتوراثها الأجيال وتتعاقب عليها الأحقاب . ولا يعايشها إلا متميزون . الدهماء يسمعون عن الخالدين فقط ، والنخب هم الذين يعيشون مع الخالدين على صفحات التاريخ ، هذه الحياة ليست لكل الناس ، ومعايشة العباقرة والخالدين هي الأخرى معايشة استثنائية ، والقليل القليل من يستطيع الظفر بمفحص قطاة على صفحات التاريخ ، لأن الثمن باهظ ، وسلعة الخلود غالية ، كما أن سلعة الله غالية ، وهل من مُثمّن يوازي الجنة؟ .

والخلود ثمن وقيمة ، ولا يمكن تحقيق الاثنين للخلف إلا بالاستيعاب والتمثل ، فذكر الخالد لا يكون إيجابياً حتى يتخطى به المتلقي مرحلة المتعة إلى الاقتداء ، والتاريخ مدرسة وأفضله تاريخ الرجال ، فتاريخ الرجال للاقتداء ، وتاريخ الأحداث للاعتبار ، ولا يسعد عظماؤنا في قبورهم حتى يكونوا قدوة صالحة لمن بعدهم .

الزعماء والقادة والعلماء والمفكرون والمصلحون ، وحملة الهم الجماعي والمؤثرون على أنفسهم ، والعصاميون ، والمخترعون هم وحدهم الذين يولدون ساعة يموتون ، وهم الذين يمارسون بذكرهم التحدي لمن بعدهم . الموت انقطاع ، والمورثون للأمجاد يظلون في الذاكرة ، والصدقة الجارية ، والعلم المنتفع به ، والعقب الصالح مدرسة جديدة وحياة من نوع آخر .

لقد فقدنا علماء وزعماء ومصلحين واريناهم الثرى ، ونفضنا أيدنا ،

وجفت مدامعنا ، وذهبت أحزاننا ، وعدنا إلى بيوتنا وأسواقنا وجامعاتنا ومدارسنا ومكتباتنا ، فوجدناهم ماثلين أمامنا بما تركوه من علم نافع ، وما حققوه من إنجاز خالد ، وما قدموه من تضحيات ، وما أشاعوه من سيرة عطرة .

مات الرسل والأنبياء والصالحون والزعماء والقادة ، فغابت شخوصهم ليعودوا من جديد قيماً في كتب قيمة ، وأين أنت من سير أعلام النبلاء ، وصفوة الصفوة ، وحياة الصحابة الذين جاهدوا في الله حق جهاده؟ أشاعوا الفضيلة ، وأظهروا الدين ، وأمنوا السبل ، وأناروا الطريق ، وعلموا الناس أمر دينهم ، ثم أين أنت من التاريخ الحديث وعلمائه وعظمائه وقادته؟ لقد غيب الموت قادة وعلماء ومصلحين ، بكاهم الناس ، وخافوا على أنفسهم وديارهم من الضياع بعدهم ، ولكن الله عوضهم بمن يسد الخلة ، وينهض بالمهمة .

مات علماء الدعوة السلفية ، ومات الأمراء الذين ناصروهم ، ومات من قبلهم ومن بعدهم ومعهم في آفاق المعمورة رجال لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فكانت سيرتهم قدوة ونبراساً ، وفي كل يوم يخطف الموت عزيزاً ، وتخلو الثغور من حماتها ، ويحس الناس بفراغ مفزع ، وينتابهم الخوف من كل جانب ، وكأن العالم الورع التقي سور له باب يحتمي الناس بداخله ، يتقون به سهام الفتن وعوادي الزمن .

ومع الإيمان بأن الموت حق إلا أن ساعة المواجهة مربكة ، فالقلب يحزن والعين تدمع ، ولكن الصابرين المحتسبين لا يقولون إلا ما يرضي الله ، وهل أحد أشد بأساً من عمر بن الخطاب؟ لقد اختل توازنه بموت الحبيب ، وأشهر

سلاحه في وجه من قال : إن محمداً قد مات ، وغاب عنه أن تلك سنة الله في خلقه : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ . ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ . ﴿ **أفإن مت فهم الخالدون** ﴾ ، ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا** ﴾ .

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

وحين عاد أبو بكر من ضيعته بكل ما يحمل من ثقة بالحي الذي لا يموت أعاد المسلمين إلى رشدهم ، واستأنف معهم الحياة ، وكأن محمداً لم يمت .

والرهبة والخوف الحقيقيان مما بعد الموت : ﴿ **يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** ﴾ ، تلك لحظات الرهبة ، وساعات الخوف ، والأمة المبتلاة بنقص الأنفس تودع رجالاتها بالثناء والدعاء والذكر الجميل ، وتحاول أن تسد الفراغ الذي تركوه ، وتنهض بالمهمات التي تخلوا عنها ، وقد تمنى الأمة بفقد عظمائها بحالة من التردد ، وقد يترك موت العظماء فراغاً لا يمكن ملؤه إلا بعد جهد جهيد ، فتتعرض مسيرة الأمة للارتباك .

أقول قولي هذا والبلاد تعيش حالة من الحزن والألم على فقد علم من أعلام البلاد ، وركن من أركان الدين ، وهل أحد يجهل العالم الفذ والفقيه المجتهد والعابد الورع الزاهد محمد بن صالح بن عثيمين (١٣٤٧ - ١٤٢١هـ) ؟

لقد عاش حياته في طلب العلم الشرعي من تفسير وحديث وفقه وأصول والعلم العربي من نحو وصرف ولغة بوصف اللغة العربية وعاء الدين وعلم الكلام السلفي لتصحيح العقيدة ومواجهة التيارات المادية والمذاهب

المنحرفة ، تلقى كل ذلك على أبرز علماء نجد ، وبخاصة شيخه العلامة عبد الرحمن بن سعدي (١٣٧٦ هـ) رحمه الله وكلاهما امتداد للمدرسة السلفية التي من أبرز علمائها ابن تيمية وتلميذة ابن القيم ، ومن ورائهم علماء الدعوة السلفية النجدية ، ثم بذل ما توفر عليه : تعليماً وإفتاء وتأليفاً ، ولقي في اجتهاداته ومبادراته النصب والتعب ، فقد كان من علماء المذهب الحنبلي المجتهدين الذين استفادوا من اجتهادات شيخ الإسلام ابن تيمة وتلميذه ابن القيم ، كما امتد نظره إلى ما اطمأن إليه من آراء ابن حزم في المحلى ، وابن عبد البر في التمهيد ، وجهابذة علماء المذاهب الإسلامية ، ولم يأخذ بقول غير معزز بدليل قطعي أو قياس جلي ، ولم يجد حرجاً من الترجيح ، فقد أشار بعض طلبته إلى ما خالف به شيخ الإسلام فيما يتعلق بصلاة الجماعة ، والسعي ، وسفر المرأة مع الأمن دون محرم ، والجمع بين الأختين من الرضاعة ، كما أشار إلى آرائه إزاء النوازل التي حارت بها الأفهام وزلت بها الأقدام .

وقد كان لاجتهاداته ومبادراته الأثر الواضح في شيوع ذكره ، واحتفاء الأوساط العلمية به ، واستئناسهم بفتاواه ، وكان – رحمه الله – الفقيه المتمكن في لغته ووعيه للمقاصد ، وإلمامه بالقواعد ، وحجته البالغة ، وحرصه على التيسير ، والأخذ بما هو أرفق بالأمة ، وتنبهه للضرورات وضوبطها ، والبدع ودركاتها ، من ثم حمل الأثير إلى آفاق المعمورة آراءه وفتاواه ، وكانت مثار إعجاب جماهير العلماء ، ولما لم يكن ميالاً إلى التأليف فقد هب تلاميذه لتدوين دروسه وتعليقاته على المتون ، وبخاصة متون الفقه الحنبلي ، ورسائل ابن تيمية العقدية ، كالحموية والتدمرية ، وجمعوا فتاويه ولطائف تفسيره وتدريسه لعلوم اللغة مع ما قام به – رحمه

الله - من مؤلفات ، وما كتبه من رسائل ، وما خطه من محاضرات ، وما تداوله في المؤتمرات من أحاديث ، فما فقدت الأمة شيئاً مما قاله ، وتلك من نعم الله عليه وعلى الأمة .

ومن حسناته أنه لم يندفع وراء التسييس الثوري للإسلام ، ولم يشأ ربط خطابه الشرعي بالنوازل السياسية ، ولم ينجرف في تيار الخطاب الإعلامي ، ولهذا ارتبط بالفكر السياسي السلفي القائم على البيعة والشورى ومناصحة ولي الأمر وتوظيف الإمكانيات العلمية لمصلحة الأمة ، والحرص على جمع الكلمة ودرء الفتن والمفاسد .

لقد عرفت فضيلته عن قرب ، وكلما استمعت إليه أو اقتربت منه بحكم العمل المشترك في فرع الجامعة أحسست أنني أمام شخصية فذة في تواضعها وغزارة علمها وبعد نظرها وزهدها في مباهج الحياة ، واشتغالها فيما يهم الناس من أمر دينهم ، وكلما استمعت إليه يتحدث في أمر من أمور الدين ، أدركت كم هو الفرق بين لغة الفقهاء وكلام المنشئين ، وحين يخرج من قاعة الدرس في الكلية يلتف من حوله الطلبة ، يسألونه ويستفتونه ويراجعونه فيما لم يقتنعوا فيه ، وهو يجيب ويفتي واقفاً أو ماشياً ، وق يحتدم الخلاف بينه وبين تلاميذه الذين غرس فيهم الثقة والجرأة حتى إذا بلغ مكتب العميد أو مقر القسم عاد إلى القاعة دون أن يأخذ ما يأخذه زملاؤه من الراحة .

لقد نقل العملية التعليمية من الإلقاء والتلقي الحشوي إلى الحوار والمراجعة والمشاركة ، وضخ في شرايين الدرس الفقهي المتني الواحدي المذهب أو قل المقدم من المذهب ما عرف بالفقه المقارن ، بحيث استدعى

النص ومارس مع تلاميذه الاستقراء والاستنباط ، فكان في درسه لا يعطي الجاهزيات ، وإنما يعلم الطريقة ، فلم يكن يوزع السمك ، وإنما كان يعلم كيف يصاد ، ومن ثم أتاح الفرصة للرأي الآخر ، وخرج العلماء ، ولم يخرج الحفظة .

لقد أنس بمقارعة الحجة بالحجة ، ومواجهة الرأي بالرأي ، وكانت ثقته بالنص وإيمانه بتجدد معطياته وفق النوازل سبيلاً لتواصل التجديد وتعدد التحولات ومراقبة المبادرات ، أعطى الطلبة حق الإسهام في صناعة القضايا ، واستكمال متطلباتها ، حتى لقد وجد فيه الطامحون مضامير لاكتشاف قدراتهم ، وتحول درسه إلى ما يشبه المرافعات القضائية ، كل طالب يقول ما فيه نفسه ، وفضيلته يتفجر علماً ومعرفة . يسوق البرهان تلو البرهان ، والحجة في أعقاب الحجة ، لا يضن بعلم ، ولا يبخل بجهد ، ولا يتردد في سبيل إرشاد ضال أو تعليم جاهل ، وهو إلى جانب ذلك رجل محسن يسعى في حاجات الفقراء والمساكين ، يدعم الجمعيات ، ويجمع لها التبرعات ، ويشفع لكل ذي حاجة عند ولاة الأمر ، ويتفقد أحوال معارفه وجيرانه .

توفي أحد جيرانه قبل أسبوع من وفاته ، فهاتف أولاده من المستشفى في جدة معزياً ومواسياً وداعياً وناصحاً لهم ، وقال لهم بالحرف الواحد : أنا مريض ، ولا أعلم ما يكتب الله لي فاستوصوا بوالدتكم وإخوانكم الصغار خيراً .

وقالت تلك الأم الفجوعة بزوجها : إن ألمنا بوفاته - تعني الشيخ رحمه الله - لا يقل عن ألمنا بوفاة عائلنا .

ومن ثم لم يكن رجل علم لا يبرح مكتبه أو مكتبته ، ولكنه كان جوّاب أرض ، يبذل الجهد والمال والوقت في سخاء وطيب نفس ، وكان موته فاجعة للأمة ، والدولة التي تقدر العلم والعلماء تتقبل التعازي به كما لو كان من الأسرة ، والناس تخشى أن يكون هذا الموت الذي طوى الجهابذة من العلماء من باب ذهاب العلم ، والرسول ﷺ أخبر بذلك ، وهو لا ينطق عن الهوى ، فالله لا يقبض العلم انتزاعاً من الصدور ، ولكن يكون بموت العلماء الأفذاذ الواحد تلو الآخر ، والعلماء ورثة الأنبياء ، وهم الأعرف بالله والأخشى له ، وهم الأرفع درجات ، وإذا تساقط الشوامخ خلت الأرض من أطنابها ، وفقدت رسوّها وثباتها ، وأخذ الناس الاضطراب .

والذين يستخفون بذهاب العلماء ، ولا يعرفون أثرهم الخفي الذي يدب في أوصال الحياة كما الدماء تركض بالحياة في شرايين الأمة لا يقيمون وزناً لأثرهم ، ومن المؤسف والمؤلم فقد احترام العلماء والتعامل معهم دون الاحتفاظ بأقدارهم ، فالعلماء الأجلاء يختلفون حول النوازل ويتراجع بعضهم عما أخذ به ، ولا يسيء أحد منهم الأدب مع أقرانه ، ولا يتهمه عند العودة إلى الحق ، فهم جميعاً يبحثون عن الحق ، ولا يفكرون بالانتصار ولو أن بعض المتسرعين قرؤوا كتب الخلاف والفقه المقارن وكتب الخلاف داخل المذهب الواحد (كالإنصاف) لعرفوا اختلاف العلماء وسعيهم الدؤوب وراء الحق ، وتأدب بعضهم مع بعض .

رحم الله فقيد الأمة وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، وجبر مصاب الأمة ، وعوضها عنه بمن بقي من علمائنا الأفذاذ .

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٣٧)

الشيخ ابن عثيمين وموقف في بغداد

بقلم الشيخ الأديب : عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس

*** رئيس النادي الأدبي بالرياض ***

قضت حكمة الله وإرادته النافذة وسننه الكونية التي لا تتخلف عن مساراتها التي قضاها لها جل وعلا أن لا يبقى في هذا الوجود خالد خلوداً أبدياً إلا وجهه الكريم ﴿**كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ .

ولو كتب البقاء والخلود لأحد من خلقه لكان الأنبياء والرسل هم الأولى بذلك ، ثم ورثتهم في تعليم الناس الحق وهدايتهم إلى صراطه المستقيم ، حيث قال رسول الهدى محمد ﷺ : «إن العلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ، ولكنهم ورّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» .

كما أن المصطفى ﷺ قد أخبر : «أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها دينها» والمجدد للدين في كل قرن قد يكون واحداً ، وقد يكون أكثر من واحد ، وقد يكون المجددون في بلد واحد ، وقد يكونون في بلدان متعددة ، لأن منطوق الحديث هذا ومفهومه لا يدل على فردية المجدد إلا في أزمنة القحط العلمي والدعوة ، كما هو الحال في قلب الجزيرة العربية خلال القرن الحادي عشر الهجري ، حيث كانت الجهالة والأمية والانحراف العقدي هي السائدة حينذاك ، فأظهر الله مجدد الإسلام في ذلك القرن ، وهو الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – ليعيد

للعقيدة الإسلامية صفاءها ونقاءها ، ويقضي على مظاهر البدع والخرافات والتوسل بالصحابة والصالحين والأولياء .

وكان أن جعل الله في ذرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلامذته وأتباعه من توارثوا العلم والدعوة إلى الله على علم وبصيرة ، وبرزوا في علوم العقيدة والشريعة ، فصاروا نجوماً ساطعة بالنور الإلهي الذي أشرقت به الجزيرة العربية ، ثم امتد إلى آفاق العالم العربي والإسلامي ، ولا زال كثير من المسلمين في العالم يسيرون على منهجه السلفي .

وكان من أسطع تلك النجوم في العصر الحاضر العلماء الأفذاذ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية سابقاً ، ثم الشيخ عبد العزيز بن باز ، ثم الشيخ محمد بن عثيمين - رحمهم الله جميعاً - وغيرهم من كبار العلماء المحققين .

أما أحدث فقيد من جلة العلماء الجهابذة الذين فقدتهم الأمة الإسلامية باتساع رقعتها فهو العلامة الفقيه ، والداعية الشهير ، والعفيف الزاهد المجاهد في الله حق جهاده ، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين أحد كبار العلماء ومشاهيرهم في هذا العصر ، والذي لم يكن الحزن بفقده أقل من الحزن بفقد شيخيه محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وعبد العزيز بن باز ، ومن في مستواهم علماً وتقى .

لقد عرف الشيخ ابن عثيمين في العالم الإسلامي على نطاق واسع ، وبخاصة مع وجود الفضائيات التي تغطي الكرة الأرضية من جوانبها ، وهو ما لم يتحقق للعلماء الذين سبقوه إلى رحمة الله تعالى قبل وجود هذه المحطات الفضائية .

لقد زاملت الشيخ محمد بن عثيمين في الدراسة بكلية الشريعة بالرياض ، فقد كنت وزملائي من الدفعة الأولى التي تخرجت عام ١٣٧٦ هـ والشيخ ابن عثيمين كان بعدنا بسنة واحدة ، وهو قبل دراسته في الكلية كان طالب علم على شيخ عنيزة عبد الرحمن بن سعدي ، كما نحن كنا قبل المعهد العلمي والكلية طلاباً على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمهم الله .

وقد عرفت فيه كثيراً من خصال الخير والتقى ، والزهد والورع ، إلى جانب الغزارة العلمية والدقة الفقهية ، والحرص الشديد على إيصال العلم النافع والقدوة بالعلم الصالح إلى إخوانه المسلمين في وطنه ، قبل أن يتسع مجال عطائه في العالم الإسلامي .

وسوف أذكر هنا موقفاً يشهد بتقديره وعظمة قيمته عند الشعوب العربية ، فضلاً عن شعب الجزيرة العربية ، وهو مثال واحد من مئات الأمثلة على هذا التقدير والمحبة والإجلال له ، وللإمام الشيخ عبد العزيز بن باز تحديداً .

ذهبت إلى مسجد قرب فندق الشيراتون ببغداد حينما كانت تأتيني دعوة وزير الثقافة والإعلام العراقي « لطيف نصيف جاسم » للمشاركة في « مهرجان المربد » السنوي قبل غزو الكويت ، وحينما انتهت الصلاة أحاط بي عدد من المصلين فسلموا علي وطلبوا مني التريث في المسجد ليتحدثوا معي ، وقالوا نحن عرفناك من خلال قصيدتك التي نقلها التلفزيون من أنك سعودي ، فاسمح لنا ببعض الأسئلة ، قلت : تفضلوا ، وجرى الحديث كله في النواحي الدينية .

وكان أهم ما لفت نظري إلى هؤلاء الرجال أنهم يتابعون البرنامج الممتاز « نور على الدرب » الذي يذاع من الإذاعة السعودية ، وقال اثنان منهم : إننا نعرف ونتابع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز ومحمد بن عثيمين ولم يذكروا سواهما ، فقلت : وهناك علماء آخرون يشاركون في هذا البرنامج الذي نحبه وتحبونه ، ويحبه كل من يستمع إليه في العالم العربي والإسلامي.

وأخذوا في الثناء على العالمين الجليلين ابن باز وابن عثيمين ، وعن مدى محبتهم لهما ، والاستفادة من فتاواهما « كما قالوا » .

وأطرف ما في هذا الموقف أن أحدهم قال : « من شدة محبتي للشيخ ابن باز أني كلما رأيته بكيت ، وذات مرة رأيت في التلفزيون « مالكم » – تعني تلفزيونكم بالعامية العراقية – كفيفاً فظننته الشيخ ابن باز وبكيت كالعادة فلما التفت إذا هو غيره ، فقلت « يا ولد خلك على بجوتك » – أي على بكوتك – .

فإذا كان الإعجاب ببرنامج « نور على الدرب » من العراقيين وهم ليسوا أرق مشاعر من الشعوب العربية الأخرى فما ظنكم بمستمعيه في العالم العربي والإسلامي .

وإذا كان العراقيون معجبين ومحبين لبعض علمائنا فلا شك أن غيرهم من العرب لا يقلون عنهم محبة وإعجاباً بما يفيضه علماؤنا الأجلاء من الدعوة والإرشاد والتبصير بأمور الدين وأحكامه خلال هذا البرنامج وسواه .

رحم الله علامتنا الجليل ، وفقيد العرب والمسلمين فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين الذي كان آخر لقائي معه منذ سنتين ، حينما كنا معاً في

حضور « جائزة المدينة العلمية » السنوية ، وكان فضيلة مدير فرع وزارة العدل بالمدينة قد دعاني لحفل عشاء أقامه على شرف فقيدنا الراحل ، وكانت الجلسة في منتهى الجلال والجمال بوجود هذا العالم الجليل المنفتح على آفاق الحياة الإسلامية السمحة من مزح مباح ودعابة ظريفة .

رحمك الله يا شيخنا وأسكنك فسيح جناته وعوض للمسلمين فيك خيراً ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٣٧)

هذا ما أخفاه ابن عثيمين عن الأمة

بقلم الدكتور : عبد الله الموسى

* رئيس قسم الحاسب الآلي ونظم المعلومات بجامعة الإمام *

بدأت علاقتي المباشرة بالشيخ محمد بن صالح بن عثيمين عندما التحقت في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم في عام ١٤٠٥ هـ ، وقد كنت أشتاق إلى رؤيته فقط فضلاً عن الاستفادة من علمه وكنت أنتظر خروجه من الجامعة من بعد وأستمتع بتزاحم الطلاب عليه وسؤالهم ، وكان هذا يبعث في نفسي السكينة والاطمئنان ، ورغم أنني في بداية حياتي استمعت للشيخ في شرحه لبعض المتون المتخصصة في النحو إلا أنني كنت أتمنى رؤيته ، وتحققت الرؤية .

وبدأ العلاقة القوية مع الشيخ عندما ذهبت لمكة المكرمة لدراسة الماجستير في جامعة أم القرى عام ١٤١٠ هـ ، وبدأت بالترتيب مع جاري في المنزل الأستاذ حسين عبد الغني ثقة صاحب مكتبة الطالب الجامعي ، وقمت بالتنسيق معه بجمع رسائل ابن عثيمين وأسميناها العقد الثمين في رسائل ابن عثيمين ، ونشرت هذه الرسائل والحمد لله في مجلدين ، وأحضرتها للشيخ ، فسر بها ودعا لي بالتوفيق والصلاح .

ثم بدأت العلاقة تزداد يوماً بعد يوم ، وبعد أن أكملت درجة الماجستير عدت إلى فرع الجامعة في القصيم ، بدأت مع مجموعة من المشايخ بالتتلمذ على يد سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، وكانت

البداية في كتاب زاد المعاد ، لكن هذا التتلمذ لم يستمر طويلاً ، وذهبت للولايات المتحدة الأمريكية وكرمني الشيخ برقم الهاتف الخاص في المنزل ، وطلب مني ألا أستخدمه إلا في الحالات القصوى التي تحدث دائماً في بلاد الغرب ،وينتج عدم الفصل فيها إلى الفتنة والفرقة والشقاق والنزاع ، وكنت أستخدم هذا الهاتف بين الفينة والأخرى ، وكم كان هذا مفيداً على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد اتصلت به مراراً ولا سيما عندما يبلغ الخلاف الحلقوم ، وبهذا الرمق الخاص انكشفت كرب ، وانحلت عقد ، واتحدت قلوب ، بهذه الفتوى . حتى إنه في أحد الأيام أن أحد الإخوان لم يصدقني في قول ابن عثيمين فنقلته له ، وقال : لا مانع لدي أن يكون اللقاء مباشرا عبر الهاتف ، وأنا مستعد للمناقشة ، ومرت الأيام ، وفي زيارتي السنوية للملكة العربية السعودية أعود لمجلس الشيخ مرة أو مرتين ، وأذكر له بعض الصور الموجودة هناك ، وأحوال المسلمين ، وأعرض عليه بعض الفتاوى وكان يكتب وييسر ، وكنت أناقشه بصراحة إلى درجة أنه رفض الفتوى في موضعين لما أخبرته بكامل القضية ولم يعطني جواباً ، وقال : اسأل غيري ، وهذه الفتاوى هي :

أ – فتوى بطلب ترك إدارة المركز الإسلامي أو أخذ صدقة الفطر نقوداً فالشيخ لا يرى إخراج صدقة الفطر نقوداً ، ولا يرغب في أن أترك المركز – لحسن ظنه جزاه الله خيراً – فقال اسأل في هذا غيري .

ب – أما الثانية فهي قضية البطاقات التي تصرفها بعض الشركات مثل بطاقة (AAA) التي تقوم بإصدارها المؤسسة الأمريكية للسيارات ، بحيث تقدم بعض الخدمات مقابل هذا الاشتراك ، ووضحت أهميتها للمقيم هناك .. كلام طويل ، حتى قال لي : « اتركها عنك » بنص العبارة ،

فقلت له : يا شيخ هل هي جائزة أم لا؟ قال أقول اتركها عنك فقط ، لكنني كنت مصراً على الفتوى الصريحة ، عن ذلك قال لي الشيخ : اسأل في هذا غيري .

جـ- وأما الفتوى التي يسر فيها الفتوى هي قضية تأخير الصلاة أو جمعها عند دخول المحاضرات في بلاد الغرب ، ولا سيما إذا كان الخروج من المحاضرة يثير الشبهة أو يؤثر على الدرجة وغيرها من الفتاوى التي يضيق المجال لذكرها ، وغير ذلك من الفتاوى التي كان الشيخ يتورع فيها ، ويرى عدم القطع فيها .

أما آخر لقاء مع الشيخ فقد كان قبل بضعة أشهر في محافظة الزلفي عندما قدم لإلقاء محاضرته السنوية ، وكنت من مودعيه مع فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله الطيار ،ومجموعة من المشايخ ،وتحدثنا عن موقع الشيخ عبر الإنترنت لعلاقتي بهذا الموضوع ، وقال ماذا ستفعل لي؟ قلت : اؤمرني يا شيخ ، فأنا رهن إشارتك ، فقال : أول شرط هو عدم وجود احتكار ، أي احتكار للكتب والأشرطة والفتاوى ، وقال لي : أنا أرغب بذلك ، وضع الكتب والفتاوى والأشرطة عبر الإنترنت ، وسألني عن فوائده ، وكان الحديث طويلاً .

وقال للشيخ الطيار تزكيه ، فقال : نعم ، قال أنت مسؤول عن الموقع ، وقال لي الشيخ سوف يتصل بك ابني إبراهيم للتنسيق حول الموضوع ، وبدأت الاتصالات مع ابنه إبراهيم ، وزارني في المنزل وزرته كذلك ، وبدأ العمل للترتيب لموقع الشيخ على الإنترنت ، وما زال العمل جارياً ، وكنت أقول لابنه أنني مستعد للإشراف والمساعدة في الموقع بأي وجه من الوجوه ،

وهذه قربة إلى الله سبحانه وتعالى ، وما زال العمل جارياً على هذا الموقع ، وما زالت الاتصالات جارية حتى قبيل شهر رمضان الماضي ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن نوفق جميعاً للعمل في خدمة علم الشيخ وآثاره ، وسوف تكون العاقبة حميدة إن شاء الله تعالى .

أما ما أخفاه الشيخ عن الأمة فهو تبرعه السخي الخاص للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأذكر أنني في إحدى زياراتي له في منزله عندما كنت أدرس في الولايات المتحدة الأمريكية أنه أخذ بيدي إلى مختصر له ، فقال : يا عبد الله أنا وأنت هنا ، ولا يرانا إلا الله خذ هذا المال – وكان كبيراً– وهو من مالي الخاص ، واشتر به مصاحف ووزعها على المحتاجين في السجون الأمريكية ، وأنت مسؤول عن الشراء وعن التوزيع ، وأسألك بالله ألا تبلغ بهذا أحداً ، ولم أبلغ بهذا أحداً منذ وقته إلى الآن ، أما وقت انتقل الشيخ إلى الرفيق الأعلى فلا أرى بأساً أن أذكر أنه كان من المنفقين في السراء والضراء ، وكان لا يريد علم الناس بذلك ، رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأجزل له المثوبة والعطاء .

ولن أتحدث عن مناقب الشيخ ، فهناك من هو خير مني يترجم ذلك ، ولا سيما طلابه ، ولكن ماذا يجب علينا تجاه الشيخ محمد بن صالح العثيمين لكي يبقى اسمه ساطعاً وعلمه ثابتاً وراسخاً ، ومنهجه واضحاً وبيناً ، وصبره واحتسابه مثالاً وأنموذجاً للأجيال القادمة ، أذكر بعض المقترحات الواجبة علينا على سبيل العد لا الحصر :

١ – أقترح أن يقوم أحد الأثرياء بالتبرع بطباعة كتب الشيخ بعد تنقيحها ووضعها في مجلدات بدلاً من أن تكون متناثرة على شكل كتيبات

صغيرة ، بل إنني أرى ترجمة كتب الشيخ إلى اللغة الإنجليزية ، لكي يعم نفع هذا العلم جميع العالم ، ثم إنني أذكر بفتوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – بأن الكتب هي من العلم الذي ينتفع به الذي بقي للميت بعد وفاته ، كما أتمنى أن تتبنى مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية هذه الفكرة .

٢ – على صعيد وزارة المعارف ، أتمنى أن تدرس سيرة الشيخ في المناهج ، ثم إنني أقترح أن تحمل بعض المدارس التي سوف تفتتح هذا العام اسم الشيخ ، سواء على مستوى المناطق أو على مستوى المحافظات ، سواء كانت ابتدائية أو متوسطة أو ثانوية ، وبكلمة أخرى أن يكون في كل محافظة أو منطقة على الأقل مجمع تعليمي أو مدرسة باسم الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، كما أتمنى أن يكون نصيب محافظة عنيزة من ميزانية الخير والعطاء لهذا العام إنشاء مجمع تعليمي اسمه « مجمع الشيخ محمد بن صالح العثيمين التعليمي » .

٣ – على صعيد وزارة الشؤون الإسلامية ، أقترح أن تقوم بتسمية بعض المساجد والجوامع التي سوف تفتتح هذا العام باسم سماحة الوالد ، ومثل ذلك حلقات تحفيظ القرآن الكريم التابعة للوزارة .

٤ – على صعيد الجامعات ، وخاصة جامعة الإمام التي علّم فيها الشيخ آمل أن يتم تسجيل رسالة بل رسائل علمية في كلية الدعوة والإعلام حول « جهود ابن عثيمين في الدعوة » ، « منهجه في التفسير » .

أما في كليات التربية في الجامعات السعودية فأقترح أن تبادر أقسام أصول التربية الإسلامية بدراسة « الفكر التربوي للشيخ ابن عثيمين » ،

حيث إنه مثال للتربية والتعليم ، كما أنني أقترح أن تقوم الجامعات بتسمية بعض القاعات باسم الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين .

وعلى صعيد الإنترنت آمل أن تقوم جامعة الإمام باستضافة موقع الشيخ مجاناً وتخصيص خط مباشر للقائمين على الموقع وتحديثه .

٥ – على صعيد طلاب العلم الموجودين من خارج البلاد ويدرسون عند الشيخ ، ولم يكملوا سنتين – يدرس الطالب عادة عند الشيخ سنة أو سنتين ثم يوصي بقبوله في جامعة الإمام – آمل أن يتم قبول الطلاب جميعاً في الجامعة لهذا العام ، وفي هذا تكريم للشيخ ؛ لأن الطلاب جاؤوا لهذا الهدف ، وكلي أمل في الله ثم في معالي مدير جامعة الإمام أن يحقق هذا الأمر ، فهو سباق لما يخدم الإسلام والمسلمين .

٦ – على صعيد وزارة البلدية والقروية آمل أن يتم التوصية للمحافظات بتسمية شارع الشيخ ابن عثيمين ؛ لأن اسم الشيخ جدير بأن يكون له شارع خاص يذكر فيه ، ويدعى له عند ذكره .

أخيراً فإننا بحاجة إلى من يدون سيرة سماحة شيخنا العلمية والعملية لكي تبقى نبراساً ومنهجاً ودليلاً ومرجعاً للأجيال القادمة ..

اللهم ارحم شيخنا ، واغفر له ، وأعل منزلته .. آمين .

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٣٧)

لماذا كل هذه العواطف الجياشة؟

بقلم الدكتور: فهد بن صالح السلطان
* وكيل وزارة الشؤون البلدية والقروية المساعد للتخطيط والبرامج *

كما أن رحيل العلامة الشيخ ابن باز لم يكن بالأمر الهين على أبناء الأمة فإن رحيل العالم الشيخ محمد بن عثيمين لم يكن حدثاً عابراً بالنسبة للعالم الإسلامي بأسره ، رحمهما الله رحمة واسعة .

والذي يستقرىء بإمعان الصفات التي ميزت الرجلين ، والتي طبعت محبتهما في قلوب العامة والخاصة يجد إجابة واضحة لأي غموض حول الأسباب التي جعلتهما يستأثران بقلوب الشريحة الكبرى من المجتمع الإسلامي .

وهي من وجهة نظري أسباب يجب أن يقف عندها طالب العلم قبل العامة .

لقد قدم ابن عثيمين – رحمه الله – إلى ما قدمه بعد أن وهب نفسه للبحث والتحصيل والتعليم والإفتاء والدعوة إلى الله ، وأدى رسالة أحسب والله أنها أم الرسائل ، فقد درس وعلم علماً سماه الأوائل بعلم السيادة ، ونال به بفضل الله عزة في الدنيا ، وأسأل الله أن يكون له شفيعاً يوم القيامة.

ومن هذا المنطلق فإن كتابتي وغيري عنه لم تضيف له شيئاً ، ولقد حرصت هنا على تلافي الأسلوب التقليدي في الرثاء بسبب قناعتي بأن

هناك من هو أقدر مني على إجادته ، ولكنني أردت بهذا المقال المتواضع الدعوة إلى أن يكون حدث وفاة الشيخ ابن عثيمين - كما دعوت لذلك عند وفاة الشيخ ابن باز رحمه الله - نقطة للمراجعة والتدبر بالنسبة لنا جميعاً ، وبوجه خاص بالنسبة لطلبة العلم الشرعي ، ومن شرفهم الله بالقيام عليه .

ونقطة المراجعة من وجهة نظري يجب أن ترتكز على عدد من المعطيات تستثيرها الاستفسارات التالية :

لماذا كل هذه العواطف الجياشة تجاه هذين الرجلين؟ وما هو سر محبتهما في قلوب الجميع؟ هل هناك عوامل أو صفات مشتركة بينهما؟ هل المستوى العلمي وحده المحرك لتلك العواطف ؟ بمعنى هل هو التميز العلمي فقط؟ أم السلوك الشخصي؟ أم ماذا؟ .

في اعتقادي أن الوقفات التالية تتضمن نقاطاً هامة في قراءتنا للموضوع ، وفي محاولتنا لتفسير أي غموض يكتنفه :

أولاً : أهمية العفة والنزاهة بالنسبة للجميع وبخاصة العلماء ودورها في إضفاء الهيبة والوقار عليهم ومحبة الناس لهم ، لقد كانت العفة والنزاهة التي تميز بها كل منهما وبحق مصدر ثقة بهما ومحبة لهما وعزة وكرامة لهما في الدنيا وأرجو أن تكون شافعة لهما يوم القيامة ، وأحسب أن العفة والنزاهة راية بيضاء يجب أن تميز طالب العلم الشرعي ، وثوب ناصع البياض يرتديه ويميزه عن طلاب الدنيا ، وقد أثبت التاريخ بأن العفة والنزاهة تضفي على أصحابها من العلماء هيبة ووقاراً في قلوب العامة والخاصة .

ثانياً : الزهد في هذه الدنيا الفانية بما فيها من وظائف وأموال وأولاد واحتقار المادة وغيرها مهما بلغ حجمها .

ثالثاً : التواضع الذي تميز به كل منهما ، كان أحد أسباب رفعته وعزته في الدنيا .

رابعاً : التركيز على البحث والتدبر والتحصيل بدلاً من الاكتفاء بالنقل فقط ، وإغفال وتعطيل الفكر والعقل ،وهو أمر يحتاج إلى علو همة وصبر ومثابرة .

خامساً : الجمع بين العلم والعمل والربط بين إيمان القلب وعمل الجوارح.

سادساً : الأخذ بالمنهج الرباني وسيرته ﷺ في السلوك الشخصي .

سابعاً : المثابرة على الدعوة والاستمرار في العمل وعدم الانقطاع عنه حتى الموت .

ثامناً : إخلاص النية وإخلاص العمل لوجه الله سبحانه .. والله تعالى أعلم.

وباختصار فالذي أردت أن أصل إليه هو أن العلم الشرعي وحده لا يكفي ، ومن أراد أن يقتفي أثر الصالحين ويقتدي بسيرة سيد المرسلين وصحبه الكرام ، وينال بذلك رفعة في الدنيا وثواباً في الآخرة ، فإن عليه ربط العلم بالعمل .

والله من وراء القصد .. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعمنا جميعاً برحمته .. إنه سميع مجيب .

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٣٧)

وقفات من حياة الشيخ ابن عثيمين

بقلم الدكتور: صالح حسن المبعوث
* جامعة أم القرى *

شيخنا العلامة محمد بن صالح بن عثيمين غني عن التعريف ، لا تزيده الكلمات والمراثي مكانة وقدراً ، ولكن من حقه علينا أن نبره ونحبه حياً وميتاً ، وأن نقول فيه كلمة حق ، وشهادة صدق ، وهو العالم الذي لا يشق له غبار ، وقل أن نجد مثله في غزارة علمه ، وسعة فقهه ، واتساع أفقه وانتشار علمه ، حتى قيل إنه ابن تيمية العصر .

وقد وضع الله له القبول بين العباد وطلاب العلم ، وتلك إن شاء الله عاجل بشرى المؤمن ، ولقد عانى رحمه الله تعالى الآلام والأمراض في آخر أيام عمره ، ومع ذلك كان مصطبراً راضياً بقضاء الله وقدره ، ضابطاً لأحزانه ، متناسياً لآلامه ، حريصاً على العلم وعلى طلابه ، حتى كان مع اشتداد المرض بين طلاب العلم في أكثر أيام شهر رمضان المنصرم في بيت الله الحرام بمكة المكرمة ، فأجزل الله له المثوبة ، ورفع الله قدره في المهديين ، وأنزله الله منازل الصالحين .

وهذه وقفات من حياة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين نلقي الضوء على أثره في الأمة الإسلامية :

الوقفة الأولى : أن الشيخ رحمه الله تعالى كان صاحب رسالة ، عرف كيف يحمل هم الإسلام ، ويبلور رسالة الإيمان من خلال علم شرعي أصيل

مؤصل ، يعتمد على الكتاب والسنة ، وفقه الأسلاف من العلماء الأخيار ، فكان علمه غزيراً ، وتأثيره كبيراً ،واجتهاداته صمام أمان ، وفتاواه بلسماً نافعاً ، فكان مستشعراً لمسئوليته كعالم أنيط به البلاغ والسعي نحو صلاح الأمة ، وقول كلمة الحق التي لا يخاف فيها لومة لائم ، أمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، ودعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان رحمه الله أمة في رجل واحد أسبغ الله عليه شابيب الرحمة والغفران .

الوقفة الثانية : إن معالم التربية الإسلامية الحقة ظهرت في حياة الشيخ ابن عثيمين فلم نر عليه آثار ترف أو طمع في دنيا ، أو سعي نحو مناصبها وزخارفها ، ولو شاء لجاءته راغمة ، وظهر صدق ورع سماحته وبان زهد فضيلة ، وتلك والله سمات الصالحين ، فكان والله مضرب مثل للعالم الورع والزاهد النادر في عصره ، وإنا لندعو الله صادقين أن يجزل له الأجر والمثوبة وأن يذيقه نعيم الآخرة لقاء صدقه وإخلاصه وتقواه .

الوقفة الثالثة : لقد روى ابن ماجة في سننه أن النبي ﷺ قال : «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً ينشره ، وولداً صالحاً تركه ، ومصحفاً ورثه ، أومسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته» ، وإننا نحسب الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – ممن له في كل هذه الأصناف إن شاء الله باب للأجر لا ينقطع.

الوقفة الرابعة : إن الشيخ ابن عثيمين يعد من علماء السلف الصالح السائرين على منهج أهل السنة والجماعة في معتقده وفقهه ، وكان – رحمه الله – إماماً متصدراً لها في الأمة بدءاً من إمامة الصلاة إلى إمامة الفقه ،

وقد ترك – رحمه الله – مجلدات في الفقه ستبقى بإذن الله علماً نافعاً، ومعينا لطلبة العلم لفهم قضايا أظهر فيها فضيلته شخصيته الفقهية، واجتهاداته التي تنسجم مع النصوص الشرعية والمصالح المرسلة، فرحمه الله من عالم ومجتهد جهبذ.

الوقفة الخامسة: لقد كان الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – ملاذاً لطلبة العلم عامة، وطلبة العلم الشرعي خاصة، والقضاة والمبتعثين ومديري المراكز الإسلامية، فكانوا يقولون بفتواه ويطمئنون إلى رأيه ونصحه لأنه رجل همه الإسلام والمسلمون، فكم هي خسارتهم بفقده وغيابه، وإنا لنأمل أن يجبر الله كسر قلوبهم بفراقه، وأن يلهمهم الصبر وينزل عليهم السكينة في هذا المصاب الجلل.

الوقفة السادسة: أن أفراد الأمة تعتري حياتهم الصحة والمرض، ولهم أعمار وآجال، ويحل بهم الموت، تلك سنة الله في خلقه، فالآجال محدودة، والمصير محتوم، قال الله تعالى: ﴿**لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾.

ولكن هناك فرقاً بين أن يموت فرد عادي من أفراد الأمة، وبين أن يموت عالم من علماء الإسلام، يدل لذلك قوله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».

وإن موت الشيخ ابن عثيمين قبض فيه العلم، وثلمة في الإسلام لا تسد إلى يوم القيامة، فرحم الله شيخنا، وعوض الأمة الإسلامية فيه خيراً.

الوقفة السابعة : لقد كان الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – عالماً ربانياً رابط الجأش ، مناصراً للإسلام والمسلمين ، بعيداً عن الغلو ، ناهجاً منهج الوسطية ، حكيماً في تصرفاته ، حاثاً طلابه على التحلي بالصبر والأناة ، والسمع والطاعة لولاة الأمر ، وعدم الخروج عن الجماعة ، وكم هدى الله به وبفتاويه وبعلمه قوماً ضلوا عن الطريق المستقيم ، وعن الحق المبين ، فرحم الله الشيخ وبوأه منازل الشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

الوقفة الثامنة : أن جوامع وجامعات ومجامع افتقدت الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – ففقده المسجد الحرام في دروسه النافعة ، وفقده محرابه ومنبره بالجامع الكبير في عنيزة ، وجامعات المملكة التي لا يمضي بضع شهور إلا وله فيها محاضرة قيمة ، فقدته هي كذلك ، أما كلية الشريعة بالقصيم فقد فقدت إمامها وشيخها ، فالصبر يا طلاب العلم ، ويا محبي الشيخ ، فإن الصبر جزاؤه الجنة ، وعليكم بالدعاء للشيخ أن يتغمده الله برحمته ، ويسكنه فسيح جناته ، كما فقدت المجامع الفقهية فقيهاً فذاً ، ومجتهداً بارزاً له من الآراء والاجتهادات ما يثق به الناس ، ويتماشى مع أصول الشريعة ، فرحم الله الشيخ وأجزل له المثوبة والأجر .

كما فقدت مساجد عدة في عرض المملكة وطولها شيخاً جليلاً ، كما فقدت المساجد والمؤتمرات والندوات ومجالس العلم شيخاً عالماً ، إذا حدث أقبلت عليه بقلبك وقالبك ، حديثه من القلب إلى القلب ، تحس فيه صدقه وتلمس فيه حسن عبارته ، وإخلاص نيته ، كما فقدت الشيخ إذاعات وقنوات بث إعلامية إسلامية ، وهذا الفقد سيظل فراغاً كبيراً لا يسده أحد وستبقى فتاوى الشيخ ابن عثيمين في « نور على الدرب » ، وفي « سؤال على الهاتف » ، وفي غيرها من البرامج علامة بارزة على فقهه ، وصدق

منهجه ، وصحة وسلامة معتقده ، وعلى أمانته وورعه في الفتوى بالأصح والأحوط الذي يعضده الدليل ، دون تعصب لمذهب أو لعالم أو لرجل أو لقوم ، فرحم الله الشيخ ابن عثيمين ، وجعل ما قدم من الأعمال في ميزان حسناته يوم القيامة ، وأبقى له أجرها إلى يوم البعث والنشور .

كما أن المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، ومجلس هيئة كبار العلماء قد رزئا بفقد عالم فذ ، فأحسن الله عزاء الجميع بفقده وعوض المسلمين فيه خيراً .

الوقفة التاسعة : إن حقاً علينا طلبة العلم عامة ، وعلى أبناء الشيخ وإخوانه ومحبيه خاصة أن يديموا البر به بعد وفاته ، فيحفظوا له مكانته من خلال علمه الغزير ، وذلك يتلخص فيما يلي :

١ – الحرص على نشر تراث الشيخ العلمي الذي يزيد على ٦٠ مؤلفاً في حقول الشريعة الإسلامية المختلفة ، وذلك لتنتفع به الأمة من جهة ، وليبقى صدقة جارية يصله ثوابها إليه بعد موته من جهة أخرى .

٢ – المسارعة في إخراج موقع الشيخ ابن عثيمين على شبكة المعلومات «الإنترنت» حتى يعم النفع بقلم الشيخ القاصي والداني ، ويكون ذلك وقفاً للشيخ – رحمه الله – بعد وفاته .

٣ – أن تسارع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعقد ندوة فكرية عن منهج الشيخ ابن عثيمين في العلم والفقه والدعوة ، وذلك تقديراً لمكانته رحمه الله تعالى وإبراز مظاهر القدوة في سيرته ليكون مثالاً يحتذى وحافزاً أسمى لطلاب العلم لينهجوا نهجه ، ويغترفوا من بحر علمه .

٤ - أن للشيخ ابن عثيمين اجتهادات رائعة ، واختيارات موفقة في قضايا إسلامية ، وفقهية ، وفكرية ، ودعوية في ميادين الحياة ، بنيت على أصول من القرآن والسنة ، وراعت المصالح المرسلة ، وسد الذرائع ، فجلب للأمة إيماناً وأمناً وأماناً ورأياً سديداً ، وأن هذه الآراء الاجتهادية لجديرة بأن تكون محل درس وبحث من لدن طلاب الدراسات العليا بالجامعات الإسلامية والسعودية ، ونحن نودع الشيخ ابن عثيمين من دنيانا الفانية إلى الدار الباقية فإننا نبتهل إلى الله أن يغفر للشيخ ويرحمه ويسكنه فسيح جناته ويرفع درجاته في المهديين ، ويخلفه في عقبه في الغابرين ، ويغفر لنا وله أجمعين .

وأحسن الله عزاء المسلمين عامة ، وقادة المملكة العربية السعودية وعلماءها وطلبة العلم وشعبها خاصة ، وعوض الله الجيمع خيراً وألهمنا الصبر ، وأنزل علينا السكينة ، وربط على قلوبنا على فراقنا حبيبنا وإمامنا شيخنا العلامة محمد بن صالح بن عثيمين عليه من الله شآبيب الرحمة ، وسيل الغفران .

(جريدة عكاظ ، العدد : ١٢٥٦١)

اهتمام ابن عثيمين بحديثي الإسلام

بقلم الشيخ : حمود الشميمري

عرف فضيلة محمد بن عثيمين – رحمه الله رحمة واسعة – بتواضعه الجم وابتسامته التي يستقبل بها ضيوفه وزواره ، وتأتيه مع العوام ، وفرحته الكبيرة بحديثي الإسلام ، فقد زرته في مخيمه في منى مع عدد من إخواننا حديثي الإسلام للسلام عليه وإلقاء بعض الأسئلة ، وكان رحمه الله عند دخولنا عليه يلقي درساً على عدد كبير من الحاضرين ، فأسررت له أن معي بعض الإخوة الأمريكيين والأوروبيين يرغبون بالسلام عليه والاستفتاء في بعض الأمور التي تهمهم في بلاد الغرب فما كان منه – رحمه الله – إلا أن طلب من أحد المشرفين على المخيم أن يستضيفهم في خيمته الخاصة ، حتى يفرغ من إلقاء درسه ، وما هي إلا دقائق معدودة وإذا به يدخل علينا في خيمته هاشاً باشاً مرحباً بالإخوة حديثي الإسلام ، ويهنئهم على نعمة الإسلام ، ثم بين لهم وسائل الثبات ، ومسؤولياتهم نحو أسرهم وأقاربهم ومجتمعاتهم ، ثم جلس بعد ذلك يستمع إلى أسئلتهم ، ويجيب عليها بكل اهتمام وسعادة ، ويكرر الإجابة للاطمئنان على فهمهم لها ، وقد كنت أقوم بدور الترجمة ، فأكد علي رحمه الله الاهتمام بهم وتقديم كل ما يحتاجونه للتفقه في دينهم وتقديم أي مساعدة يحتاجونها ، ثم ودعهم رحمه الله بأحسن ما يكون التوديع ، ودعا لهم .. رحم الله فضيلة الشيخ وأدخله فسيح جناته .

(جريدة المدينة ، العدد : ١٣٧٨٢)

فقدنا عالماً جليلاً

بقلم الشيخ : محمد بن أحمد الشدي

فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله – عالم كبير مهتم بالكتاب والاطلاع بشكل لم أره إلا لدى القلة من الناس ، ومعرفتي بفضيلته جاءت بالصدفة من خلال عملي ، فقد وصله بطريقة معينة أن الجمعية لديها لوحات ، والعدد من الرسامين السعوديين تدخل رسوماتهم تحت طائلة «غير المباح» من الفن التشكيلي ، وجاءت مكالمة فضيلته بهذا الخصوص مع سمو الأمير فيصل بن فهد – رحمه الله في مكتبه مصادفة – وأنا لدى سموه لعرض بعض الأوراق ، فقال سموه – رحمه الله – لدي فلان سوف يتصل بفضيلتك ويشرح لكم واقع الحال الذي هو الصحيح الذي نسير عليه في جميع أعمالنا .

وفعلاً في مساء ذلك اليوم اتصلت مع فضيلته وشرحت له ، فوجدت الشيخ – رحمه الله – متفهماً لدورنا في رعاية الشباب بكل أبعاده الفكرية والعملية ، ومن ضمنها الفنون التشكيلية التي ليس فيها شائبة ، وأكد – رحمه الله – أنها يجب أن تكون خالية من ذوات الأرواح ، وأكدت لفضيلته ذلك في كل ما نقيمه من معارض ، وأرسلت له نماذج مصغرة منها ورضي فضيلته ، وقال : إن فيما ذكرته لي محاولة منكم لإشغال الشباب بأعمال مفيدة ، وقد تصده عما يضره وحملني السلام لسمو الأمير فيصل – رحمه الله – .

وتحدثت مع فضيلته عن بعض الكتب الهامة والمفيدة ، وأصبحت علاقتي به ثقافية أبوية – رحمه الله – وعوضنا عنه خيراً .

(جريدة الندوة ، العدد : ١٢٨٤١)

فقد العالم الرباني لا يعوضه مال ولا عقار

بقلم الدكتور: عبد الله بن عبد الرحمن الشثري
* عميد كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية *

فجع العالم الإسلامي في يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية بوفاة عالم جليل سلفي المعتقد، نقي الأخلاق، تقي الأفعال، ورع زاهد، هو العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين - رحمه الله -.

فكان خبر وفاته نبأ طرق الأسماع فهز الأفئدة هزاً عنيفاً، وكيف لا تهتز الأفئدة فزعاً لفقده، والإسلام اليوم في أشد الحاجة إلى مثله.

مات - رحمه الله - فحزن لفقده كل من عرف قدره، وعرف غزارة علمه وزهده وورعه، وشهد مجالسه العامرة بالفوائد العلمية واللطائف الأدبية، والأخلاق الزكية.

مات - رحمه الله - على عقيدة نقية سلفية، ودين متين، ولهجة صادقة، وأخلاق عالية.

مات - رحمه الله - وترك للإسلام والمسلمين كماً كبيراً وسجلاً حافلاً من علوم الشريعة، ما بين تحقيق وتحرير، وتأليف وتدقيق لمسائل العلم وأحكام الدين والأخلاق والأدب والوعظ والإرشاد.

الله أكبر، حياتة كلها كانت عامرة بالعلم المفيد، والعمل المجيد، والرأي السديد، ثم طويت طي السجل للكتاب.

كان العلم والجهاد القولي لا يفارقه في حله وترحاله ، في حضره وأسفاره ، في انفراده واجتماعه ، بل وإلى آخر وقت في حياته كان همه نصرة الإسلام وإعلاء كلمة الدين ، ونشر العلم والتعليم .

مات – رحمه الله – ولم يكن له غاية يعمل لها إلا إعزاز هذا الدين ، ونشر السنة ، وإعلاء شأن العلم والعلماء ، وكان يشد من عزائم طلاب العلم والمسلمين جميعاً ، لما فيه خير الدين وصلاح الأحوال ، ولم الشمل ، واجتماع كلمة المسلمين على الهدى والدين .

لم يمت – رحمه الله – على فراشه معرضاً عن العلم كما يموت ضعيف العزيمة وواهن الهمة ، بل كان العلم الذي يحمله ويدعو إليه أقرب إليه من وصف الدواء الذي كان يعالج به مرضه .

مات – رحمه الله – صابراً محتسباً على ما أصابه ، مجاهداً في سبيل دينه ، ناطقاً بالحق في مرضاته ، ذاباً بقلمه ولسانه عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . حقاً لقد فجعت أمة الإسلام برحيله إلى الدار الباقية ، فكان مصابها عظيماً ، وحزنها عليه شديداً ، وكيف لا يكون ذلك والمسلمون بحاجة إلى علماء مثله .

وكان منقطع النظير في علمه وورعه ، وخشيته وتقواه ، وخلقه وأدبه وتواضعه وغيرته على دين الله .

فطار علمه كل مطار في جميع الأقطار والأمصار .

فما شئت من علوم الشريعة واللسان ، وما شئت من حكمة وحنكة ، وتشمير وهمة ، وما شئت من ضبط للوقت ، ونصح وإخلاص ، وحلم وأناة وعون ومساعدة ، وعطف ورحمة ، وغيرة على دين الله ، ونصرة للإسلام

والمسلمين إلا وجدت كل ذلك فيه ، شهد بذلك الناس قاطبة ، وهذا نهاية ما تصل إليه النفوس من السمو والعلو والرفعة ونهاية ما يصل إليه القبول والرضا والاطمئنان

وأما دعوته إلى التوحيد ، والأخذ بالدليل والبرهان ، والتمسك بالحجة ونبذ التقليد ، فقد شهد له بذلك كبار علماء عصره .

ولم يكن – رحمه الله – من أولئك الذين يذهبون مذهب التأويل ، الذي يدل على جهل مرتكبه ، قبل أن يدل على ضعف إيمانه ، وانحلال عقيدته ، بل كان يجمع بين الإيمان الصادق ، والاتباع الموافق للهدي النبوي والعلم الوافر ، واستنارة البصيرة في مقتضيات العصر الحاضر ، وبما يتوافق مع الدين ، وينفع المسلمين ، فكان منفرداً في طريقته التعليمية ، ووحيداً في عرضه وسياقه للمسائل العلمية في محاضراته ودروسه وفتاويه ، وقل أن يشابهه أحد من أقرانه في ذلك ، وهو بحق إمام في كل شيء ، في العلم والعمل ، والدعوة والصبر ، والكرم والأخلاق ، والعطف والتواضع .

اجتمعت فيه خصال عديدة : من الخلق الوضاء ، والدين المتين ، والعقيدة الصافية ، والعلم العميق ، والزهد المتناهي ،والصدر الواسع ، والعطاء المتجدد ، والبراءة من التكلف في العلم والتعليم ، والعمل والتطبيق والحديث والمحادثة ، والحرص على ذكر الله في كل حال ، حتى وهو في أيامه الأخيرة من مرضه لم ينقطع عن التعليم والدعوة إلى الله والإفتاء والتدريس .

وكان يوصي المسلمين دائماً بتقوى الله ، والتمسك بالكتاب والسنة ، واتباع الدليل والحجة ، ومنهج السلف الصالح ، والنهي عن التقليد ،

والحرص على الأخلاق الفاضلة ، والتأدب بآداب السلف ، والحرص على طلب العلم والإخلاص فيه .

إن فقد العالم ليس فقداً لشخصه فحسب ، ولكنه فقد لجزء من تراث النبوة بحسب ما قام به هذا العالم المفقود من الدعوة والتعليم .

فوالله إن فقد العالم الرباني لا يعوض عنه مال ولا عقار ، ولا متاع ولا دينار ، بل فقده مصيبة على الإسلام والمسلمين ، كما قال الحسن : كانوا يقولون : موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار.

وإن فقد العلماء في مثل هذا الزمن لتتضاعف به المصيبة ، لأن العلماء العاملين أصبحوا قلة قليلة بين الناس ، مع كثرة الجهل والتشكيك والإلباس ، ولكن الأمة لن تيأس من روح الله ، ولن تقنط من رحمة الله ، فقد أخبر الصادق المصدوق في الحديث المتفق على صحته عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » .

وأهل الإسلام على ثقة بما عند الله من الخير ، فالخير باق في أمة الإسلام إلى قيام الساعة .

وفي كبار علماء هذه البلاد من سيخلف هذه الإمام الجليل ، وهم قادرون بإذن الله على ملء الفراغ الكبير الذي تركه رحيل هذا العالم ، كما وأن العلماء في هذه البلاد بحمد الله لهم مكانة عالية وقدر رفيع عند ولاة الأمر وفي قلوب الناس ، وهذه من المفاخر التي نفرح لها ونعتز بها ، وهي تحقيق للمعاهدة الأولى التي كانت بين الإمامين الكبيرين محمد بن سعود ،

ومحمد بن عبد الوهاب – رحمهما الله – معاهدة على إظهار الدين ونصره ونشره ، وإجلال العلماء وتوقيرهم . حتى أصبح ولاة الأمر في بلادنا منذ ذلك الزمن وإلى هذا العهد الميمون أكبر عون للعلماء في نشر علم القرآن والسنة ، وما كان عليه سلف الأمة ، فأصبحوا حكام عدل ، وحراساً لدين الإسلام ، أن يطرقه طارق الاختلال ، أو يطوف به طائف الضلال ، فجمعوا الناس على هداية القرآن ونور السنة ، فنشأ فينا مجتمع إسلامي يشارف السلف في عقائده وعبادته ، وأخلاقه وصفاته ، وصلته بسنة نبيه محمد ﷺ وقربه من الله .

والعلماء قائمون بواجب النصح والتذكير ، مؤدون للأمانة ، راعون لعهد الله ، مسارعون إلى نصرة الحق ، محاربون للبدع والشر والفساد .

فرحم الله الشيخ الإمام محمد بن صالح بن عثيمين رحمة واسعة وغفر له ، ورفع درجته في المهديين ، وأجزل له الأجر والمثوبة ، وأنزله منازل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ورحم الله علماءنا العاملين ، وأسكنهم فراديس الجنان برحمته الواسعة ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة المدينة ، العدد : ١٣٧٨٣)

صور من حياة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

بقلم الشيخ عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضي

* مدير مكتب هيئة الإغاثة بعنيزة وإمام وخطيب جامع السلام *

يتذكر الناس رحيل العلماء فتستوقفهم تلك المواقف البارزة في حياة أولئك الأفذاذ ، فتستمر ذكراهم في الناس ويستعصي نسيانهم ، نقول ذلك مطالبين أن يتذكر الناس علامة هذا العصر الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – وأسكنه فسيح جناته فيتذكروا مواقفه البارزة ، ويذكروا الناس بها ويدعوهم للتأسي بها ، فليس ذكري لشيخي ابن عثيمين رحمه الله أو كتابتي عنه من باب النعي أو الندب ، بل هي وقفات تميزت في حياته أحاول من خلال عرضها تعريف الناس بها والدعوة إليها .

أولى وقفاتنا نذكر فيها الخصوصية العظمى التي كان يتمتع بها فضيلة الشيخ – رحمه الله – في مجالاته الخيرية ، فليس غريباً أن يبقى بعد ذلك الجهد الخيري العظيم الذي يقوم به الشيخ خفياً على الكثير إلا من قلة ممن عاصروه أو تعاملوا معه ، فالشيخ اعتاد أن تكون صلته مباشرة مع صاحب العمل الخيري ، فلا يعلم أحد عن هذا الخير إلا إذا بُيِّن بعد وفاته – رحمه الله – .

أذكر في غير مرة – رحمه الله – كنا إذا حدثناه عن عمل خيري هنا أو هناك يساهم بدعمه ليس دعماً مادياً فقط ، بل بالتوجيه والنصح والتحري في بذل المال ، ولو أردت ضرب الأمثلة فإن المقام لا يسع لذلك ، ولكنني

أذكر أنه في أحداث البوسنة والهرسك ، كان كثيراً ما يطلب مني المرور عليه لأخذ الأموال التي وصلت إليه وإيصالها إلى هناك ، ولقد قمنا بطباعة عدد من الكتب على حسابه بواسطة مكتب هيئة الإغاثة أو بواسطة الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة أو غيرها .

وكانت له صلة مباشرة – رحمه الله – مع المسلمين العاملين في البوسنة والهرسك ، حتى إنه أقام درساً أسبوعياً توجيهياً لأحد المراكز الإسلامية بالهاتف في البوسنة إبان أزمة تلك البلدة ، وتكرر اهتمامه – رحمه الله – واتسعت همومه لعدد من قضايا المسلمين التي كان يشجعنا على العمل فيها ، وجمع التبرعات لها ، بل وتخصيص خطبة الجمعة عنها كقضايا الشيشان التي حظيت بنصيب كبير من اهتمامه في آخر حياته – رحمه الله – وكذلك قضية فلسطين وكشمير والفلبين وإندونيسيا .

وأقمنا بواسطته – رحمه الله – عدداً من المراكز العلمية في العالم التي كان يدعمها ويشارك في إلقاء المحاضرات بها ، وإرسال الكتب والأشرطة إليها ، وربما أن كثيراً ممن حوله لم يعلموا بذلك لخصوصيته المتميزة – رحمه الله – في ذلك .

أما مشاريعه في داخل المملكة أو في موطنه بالذات ، فلا أظن أن أحداً يستطيع جمعها وإحصاءها لكثرتها وتنوعها ، سواء في مساعدة الراغبين في الزواج تصل حتى نصف المهر ، أو بالسداد عن المدينين ، أو بمساعدة الفقراء والمحتاجين ، وسد عوزهم أو ببناء المساجد ، وحفر الآبار الصالحة للشرب ، ولعل آخر مشاريعه بهذا الخصوص التبرع المبذول بواسطته لصالح زيادة مياه الشرب بحفر آبار جديدة بمبلغ ثلاثة ملايين ريال أو تزيد قبل نحو سنة .

وأذكر أنه – رحمه الله – كان مهتماً بحال الفقراء ورفع مستوى معيشتهم في بعض المناطق المحتاجة في المملكة ، كبعض قرى الحجاز والجنوب والشمال ، وذلك ببناء المساجد لهم ، وإرسال المساعدات إليهم ، ومحادثة المسؤولين والقادة عن حاجتهم والاهتمام بهم .

أما بذله لجاهه في خدمة المحتاجين فهذا هو الحديث الطويل ، كمساعدة المقيمين من طلبته وغيرهم على جلب عائلاتهم إليهم ،والبحث لهم عن الكفلاء من معارفه وثقاته ، والوساطة للمحتاج منهم لعلاجه في المستشفيات الحكومية ، ولو سألت أحداً ممن حوله لأخبرك عن ذلك القصص الكثيرة ، والأعجوبة في ذلك أنني أكاد أجزم بأنه لم يستخدم وجاهته هذه في حاجات خاصة له أو لأقربائه ممن هم حوله ، فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

(جريدة الوطن ، العدد : ١١٠)

رحم الله إمام أهل السنة

بقلم الأستاذ : تركي بن منصور التركي
* الكلية التقنية ببريدة *

العلماء هم ورثة الأنبياء ، ومن يحفظ الله بهم دينه وشرائعه ، ولذا فقد كان الحزن الكبير الذي أصاب الجميع بفقد الوالد الشيخ العلامة محمد بن صالح بن عثيمين هو دليل أكيد على معرفة الناس لهذه المكانة التي ملكها الشيخ في قلوب الناس ، أولئك الذين كانوا أهله ساعات وأياما حينما كان يغيب عن بيته وأبنائه لأجل تعليمهم ومنحهم ما منحه الله من علم وفضل ، بل كانوا ينتقلون مع الشيخ وهو في طريقه إلى بيته والذي يبعد عن مسجده مسافة طويلة ، فلا ينتهي من سائل إلا ويأتي سائل آخر ، وطلابه خلفه منهم من يحمل ورقة ، ومنهم من يحمل أجهزة تسجيل ، ومنهم من يستمع بعقله ، من علم الشيخ الكبير .. رحم الله والدنا وإمام أهل السنة رحمة واسعة ونفع الله بعلمه وما تركه من ثروة علمية كبيرة .

ولعل وصية الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بفتح باب مكتبته لجميع من أراد الاستفادة وطلب العلم لهو دليل أكيد وجلي على حرص على العلم حتى وهو في الدار الآخرة .

شيخنا العلامة ترك لنا ثروة ضخمة من فتاواه ومؤلفاته ودروسه التي يلقيها في جامعه ، وهذه الثروة تستحق الاهتمام والعناية ، ومن يقوم على إظهارها للملأ ، ولعل هذا هو دور أبنائه ، ليسوا فقط الذين من صلبه ، بل

أبنائه الذين طلبوا العلم على يديه ونهلوا من معين علمه الصافي .

الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – وهو يودع هذه الدنيا بزخارفها وبهرجها أوصى بأن يهتم بأمر الدعوة إلى الله تعالى ،وخص وسيلة الاتصال الحديثة « الإنترنت » بأن تستغل وتستثمر لنشر هذا الدين لمن لا يعرفونه ، ومحاربة البدع والخرافات التي تعج بها عقائد قوميات إسلامية هنا وهناك ، ولا شك أن هذه الرسالة تبين أمرين : أولهما : حرص الشيخ على نشر الدين بعامة ، والثانية : ضرورة استثمار هذه الثروة التكنولوجية الكبيرة لأمر مهم يغفله كثيرون وهو الدعوة إلى الله عز وجل .

ففي وقت أصبحت فيه المنتديات الإنترنتية المتنوعة وسيلة لتفكيك الأخوة الإسلامية من خلال خلافات بسيطة ، جعلت المنهج الواحد مناهج متعددة ، يبدع منظروها في بيان المثالب قبل المناقب ، وتصيد الأخطاء قبل محاولة علاجها ، حتى أصبح الداخل الجديد للدين أو الباحث عن الحق حيران لا يهتدي لطريق ولا يعرف أين يكمن الحق من الباطل بعد أن فرق بعض المتعجلين الدين فرقاً وشيعاً بعضها يلعن بعضاً ، وكل يظن نفسه « الفرقة الناجية » التي ذكرها المصطفى ﷺ والأخرى من فرق النار والعياذ بالله .

ونحن نعيش هذه الأيام حزناً عارماً برحيل عالم الأمة الكبير ، ونحن نطالع وصيته التي ذكرها ابنه البار إبراهيم ، يجب على أولئك الإخوة في الله أن يراجعوا مناهجهم ويبتعدوا على أسباب الفرقة والشتات ، ورب خطأ أو مخالفة تتبعها مئات ، بل آلاف المسائل والأمور المتفق عليها ، فلا يكون حظنا من هذه المحنة الإلهية العظيمة هو البحث عما يزيد من فرقتنا ويعلي

من شتات أمتنا ، حتى إذا بحثنا فيما خرجنا به بعد ردود ومماحكات أنها إيغار للصدور وزرع لبذور الفتنة ، فهل يعي رواد المنتديات « خاصة الإسلامية » وأصحاب المواقع الإسلامية على الشبكة العنكبوتية ذلك ويجعلون همهم خدمة الدين وزيادة رقعته ، ومد جسور التواصل والمحبة بين الإخوة في أقطار الأرض ، أتمنى ذلك مخلصاً كحاجة مهمة ، وامتثالاً لوصية إمامنا الكبير محمد بن عثيمين رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٥)

محمد بن عثيمين فقيد الأمة الإسلامية

بقلم الشيخ : أحمد بن عبد الرحمن المانع

لن آتي بجديد في الحديث عن هذا الحبر البحر الجليل علامة زمانه وكوكبة أقرانة سماحة الوالد الشيخ محمد الصالح العثيمين – رحمه الله – ولكنني أحب أن أدلي بدلوي في الدلاء ، وأبدي شيئاً مما أعرفه عن هذا العالم الفاضل الذي ملأ ذكره الدنيا ، وشاع علمه وفضله في الآفاق .

فقد كنت في عام ١٣٧٥ هـ أنوي الالتحاق بمعهد عنيزة العلمي ، وكان هناك في المعهد مرحلة تمهيدية تسمى « القسم التمهيدي » بسنتيه الأولى والثانية ، يوازيان الخامس والسادس الابتدائي ، وكان الشيخ – رحمه الله – رئيس لجنة القبول للدخول في المعهد ، حيث اختبرني واجتزت الامتحان ، واستمررت في المعهد العلمي ، حيث تخرجت منه عام ١٣٨٢هـ

وكان لي الشرف العظيم بالتعلم على يديه والنهل من معين علومه والاغتراف من معارفه وفهومه ، وكان إلى جانب تدريسه المواد الدينية كالتوحيد والتفسير وأصوله ، والفقه وأصوله ، والحديث ومصطلحه ، والفرائض وعلومها ، يدرس علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والبلاغة ، وقد درسنا على يديه كتاب البلاغة الواضحة الذي كان يدرس آنذاك في المعاهد العلمية ، وكان – رحمه الله – مبدعاً في الشرح والإيضاح أيما إبداع وسبحان من أعطاه القبول !!

فكلماته تخرج من القلب وتقع في القلب ، ورغم أنه لا يشغل

السبورة إلا قليلاً فإن شروحه وإيضاحاته تستقر لدى الطالب ولا ينساها ، وهذه هبة من الله تعالى ، ثم إن مؤلفاته تدرس في المعاهد العلمية والكليات مثل كتاب فتح رب البرية بتلخيص الحموية وتسهيل الفرائض ، وشرح زاد المستقنع ، وله شروح وتحقيقات وتعليقات على كثير من الكتب والمناهج ودروس وفتاوى في المسجد الحرام والمشاعر المقدسة .

وقد أفنى عمره في التحصيل وطلب العلم ونشره وتعليم الطلبة ، إلى جانب المحاضرات والندوات التي يشارك فيها في عدد من الأندية ودور العلم والجامعات ، وهناك حلقات يومية منتظمة في الجامع الكبير بعنيزة ومساجد المنطقة في جميع فروع المعرفة ، وكان حرياً على طلابه يعاملهم كما يعامل أبناءه ، وكان يتسم بالتسامح والتواضع ولين الجانب وحسن الخلق .

وكان - رحمه الله - مشهوراً بالزهد والتورع والبعد عن الدنيا وزخارفها ، وقد حدثني أحد المسؤولين في جامعة الإمام أن الشيخ لما كان يدرس في المعهد العلمي بعنيزة سبق أن استأذن للسفر إلى الرياض بضعة أيام ، فلما طلب منه استلام الراتب اقتطع حق هذه الأيام من راتبه ورفض استلامها ، حتى إن إدارة المعهد أحرجت في كيفية التصرف بهذا المبلغ المقتطع ، وحصلت مكاتبات بين المعهد والجامعة بصدد ذلك كما ذكره لي المسؤول .

ومن أهم ما كان يتمتع به - رحمه الله - هو الحرص على محاربة البدع والخرافات التي تنتشر بين الناس ودحضها بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة من الكتاب والسنة ، وكثيراً ما نرى الكتيبات والملصقات على أبواب المساجد والدوائر ما يرشد الناس إلى ما يجب اتباعه في أمور دينهم

ودنياهم ، وفي مسائل العقيدة والعبادات والمعاملات ، ونحو ذلك من أمور الشرع مما يهم المسلمين ويبصرهم بأحوال معاشهم ومعادهم .

رحم الله الشيخ رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم ذويه ومحبيه الصبر ، وأعظم للجميع الأجر ، وعوض المسلمين خيراً بفقده ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده ، واغفر لنا وله ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٥)

وأفل النجم

بقلم الدكتور: عبد الله بن علي الجعيثن
* فرع وزارة الشؤون الإسلامية بالقصيم *

لئن كانت النجوم زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، ونوراً يستضاء بها ، وعلامات يُهتدى به ، فإن العلماء كذلك ، فهم زينة الأرض ، وهم النور الذي يستضاء به ، والهدى الذي يُهتدى به في ظلمات الجهل وتيه الضلالة ، فبالعلماء تعرف العقائد الصحيحة ، وبهم تتضح معالم الحلال والحرام ، وبهم يستنير السبيل ، ويتضح الحق من الباطل ، وهم أيضاً رجوم شياطين الأرض الذين يكشفون زيف الباطل ، ويفضحون خططه ، ويبينون تفاهته .

وإذا كان الأمر كذلك فموت العالم ثُلمة لا تسد وثغرة لا تملأ ، وإن وفاة شيخنا الإمام العالم العلامة محمد بن صالح بن عثيمين لمصيبة عظمى ، وفاجعة كبرى على الأمة جمعاء ، لكن لا نملك إلا أن نقول : إن الله له ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فاللهم اجبرنا في مصيبتنا واخلفنا خيراً منها ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وإن الجوانب التي تسترعي الانتباه في شخصية شيخنا كثيرة ، لكن ما يتجلى منها أكثر من غيره ، ثلاث خصال :

الأولى : الورع ، ويظهر ذلك في أمور عدة منها :

- أنه يتوقف كثيراً في عدد من الأحاديث التي يسأل عنها صحة

وضعفاً إذا لم يكن لديه علم بذلك .

– وكذا يتوقف في كثير من المسائل الشرعية التي لم يتبين له الصواب فيها ، وما كان يجد في ذلك أدنى تحرج أو تردد .

– ومنها تورعه عن القول بأي شيء لم يسبق إلى القول به ، وإن كان يرى صوابه ، ومن أمثلة ذلك أنه كان يميل إلى قوة القول بأن لابس الخف لو نزعه وهو على طهارة مسح أن له إعادته والمسح عليه ، لكنه أوقف القول به على وجود قائل به ممن سبقه ، حيث قال : فالذي يمنعني من القول به هو أنني لم أطلع على أحد قال به فإن كان قال به أحد من أهل العلم فهو الصواب عندي.

ومن ورعه في القول : أنه لم يكن ممن يشتغل بالكلام في الآخرين بأشخاصهم ، أو الرد عليهم بأعيانهم ، وإن كان ينقد الأفكار ، ويبين الأخطاء ، ولم يكن – رحمه الله – ممن يشتغل بتصنيف الناس أو الأشخاص بل ينهى عن ذلك .

الخصلة الثانية : عنايته بالدليل والتعليل ، وقوة استنباطه من النصوص فما كان – رحمه الله – يتكلم في مسألة إلا ويذكر مأخذها ودليلها ، ومن تأمل شرحه العظيم «الشرح الممتع لزاد المستقنع» وجد ذلك ظاهراً جلياً ، فهو من الكتب النادرة التي شرحت زاد المستقنع بالدليل والتعليل والحجة والبرهان ، وبيان الراجح من المرجوح .

وأما قوة الاستنباط فحدث عن الحبر ولا حرج ، ومن نظر في تفسيره لكتاب الله رأى أمراً عجباً في استنباطه الفوائد من الآيات ، وقد سلك في ذلك مسلكاً متيمزاً ، حيث يذكر عن كل آية ما دلت عليه من فوائد

وأحكام ، وقد سمعته في ١٤ / ١٠ / ١٤٠٤ هـ يفسر آيات من سورة العنكبوت ، فذكر تحت الآيتين (٣٣ - ٣٤) خمس عشرة فائدة ، وتحت الآيات (٣٥ - ٤٠) ستاً وثلاثين فائدة .

وقد بلغ مجموع الأشرطة التي سجل فيها تفسيره لبعض سور القرآن اثنين وثمانين شريطاً ، تفسير سورة البقرة ، وستين شريطاً سورة آل عمران ، وخمسة وأربعين شريطاً سورة النساء ، وثمانية وثلاثين شريطاً سورة المائدة وثمانية عشر شريطاً سورة النور .

الخصلة الثالثة : الجدية وحفظ الوقت ، فقد كان - رحمه الله - جاداً في تنظيم وقته وتخصيص كل وقت بعمل ، فأوقات للفتوى ، وأوقات للدروس الثابتة طيلة العام ، وأوقات للدروس العلمية المكثفة في الإجازات الصيفية ، وأوقات لتعاهد القرآن ، وأوقات للبحث والنظر ، حتى إنه - رحمه الله - قال لي ذات مرة ، وقد طلبت منه المشي معه من بيته إلى المسجد : إن هذا الوقت من البيت إلى المسجد قد خصصته لمراجعة حفظي للقرآن .

وكان في عودته من المسجد إلى المنزل كثيراً ما تُقرأ عليه الدروس المفرغة من الأشطرة المسجلة من دروسه في الجامع لتصحيحها ومراجعتها ، وكان في أثناء إلقاء الدروس جاداً مع طلابه حتى إنه لا يكاد يغفل أحد من طلابه إلا وينبهه أو يوجه إليه سؤالاً مفاجئاً ، وكان لا يسمح بإلقاء السؤال عليه أثناء الدرس حتى يفرغ منه ، ثم يتيح الفرصة لمن يريد أن يسأل أو يستوضح .

فرحم الله الشيخ رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جنته ، وجزاه عن

الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، ورزقنا الانتفاع بعلمه واقتفاء أثره في الدعوة والتعليم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٥)

وداعاً يا أبا عبد الله إلى الفردوس برحمة الله

بقلم الدكتور : عبد الله بن حمد الجلالي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ..

لقد جبلت هذه الحياة الدنيا على الكدر والمصائب كما قال سبحانه : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ إنها مصائب فطر الله عز وجل عليها هذه الحياة حتى لا يطمئن بها هذا الإنسان ، لأنه تعالى يقول : ﴿ **إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ..** ﴾ ولعل أعظم رزايا الحياة مصيبة الموت والفراق بين الأحبة ، ولا سيما إذا كان هذا الفراق لأفضل شريحة في المجتمع ، وهم العلماء الذين أنار الله تعالى بهم طريق الحياة الدنيا ، ورسم بهم الطريق إلى الحياة الآخرة ، خصوصاً العلماء الربانيين أهل الفضل والورع .

إن الرزية تتضاعف ، والمصيبة تعظم ، ويتفاقم الخطر ، خصوصاً في أشد ساعات الحياة ، وأحلك ظروفها ، وفي عالم يعج بالفتن والتقلبات في عصر التقنية والتحدي ، ولا سيما في هذه الأعوام الأخيرة التي رزىء بها العالم الإسلامي بمصائب وتغيرات زامنها فقد كوكبة من العلماء الذين أيقظ الله بهم هذا الضمير البشري الغافل ، وساهموا مساهمة فعالة في هذه الصحوة المباركة ، فكان لهم قصب السبق ، فقد أظهر الله بهم الحق ، وكشف بهم زيف الحضارة في زمن قياسي عجيب ، واليوم يعيش الفجيعة الكبرى بفقد رجل لا كالرجال ، سواء كان في علمه أو جهاده المتواصل لمدة

تزيد عن نصف قرن من الزمان قضاها على أفضل ما يجب أن يكون العلماء والمصلحون ، ثم ترك لنا بعد ذلك خير ما يتركه العلماء من آثار .

نسأل الله أن يتقبلها منه وألا يحرمنا أجره ، ولا يفتنا بعده .

لقد فقدته الأمة في وقت هي أحوج ما تكون فيه إليه وإلى أمثاله ، ولنا أمل في الله سبحانه أن يخلف على الأمة خيراً منه ، وأن يجبر المصاب ، ويحقق الآمال في بقية العلماء .

إنه الأب الحنون ، والشيخ المتواضع ، والعالم الرباني الورع ، الشيخ أبو عبد الله محمد بن صالح العثيمين الذي لا يسعنا إلا أن نقول له : وداعاً يا أبا عبد الله ، طبت حياً وميتاً ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا لفراقك لمحزونون .

ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الليالي

ولعل كاتب هذه الكلمات بدموعه من الذين عايشوا الشيخ ردحاً من الزمن يندر أن يحظى به أحد من الناس ، فقد تشرفت بصحبته ٤٧ عاماً ، كنت أحد طلابه منذ عام ١٣٧٤ ، ثم صرت زميله في المعهد العلمي مدرساً في عنيزة زمناً ، ثم زاملته في التدريس في جامعة الإمام بالقصيم زمناً ، فكانت حياة ألذ ما تكون أعتز بها كثيراً ، بل كنت في أول حياتي العملية بصحبته حتى داخل بيته ، وفي الرحلات والتنزه قبل أن يهبه الله سبحانه هؤلاء الأنجال الكرام ، بل كنت موضع ثقته ، وقائد السيارة برفقته الميمونة أحتسبها عند الله ، لذا فإني أعتبر نفسي أول من رزىء به بعد أهله وأبنائه الكرام ، وإني أحتسب هذه المصيبة العظمى عند الله سبحانه وتعالى مع أحر التعازي لإخوانه وأهله وأبنائه جعلهم الله خير خلف لخير

سلف ، ولحكومة خادم الحرمين الشريفين – حفظه الله – وللشعب السعودي كافة ، وللأمة الإسلامية جمعاء .

حياة الشيخ العلمية والعملية تغمده الله برحمته :

ولد في مدينة عنيزة في أواخر شهر رمضان المبارك ، وفي ليلة سبع وعشرين ، ولعلها وافقت الليلة المباركة في عام ١٣٤٧ هـ ، ولعل هذا التاريخ المبارك الذي بدأت فيه حياة الشيخ غفر الله له تزامن مع أصول عريقة لفضيلته ، فقد كان بين أجداده لأمه آل دامغ بيت فضل وعلم وصلاح ، وقد كان لهم قصب السبق في تعليم كتاب الله تعالى على مستوى عنيزة كلها في فترة من الزمن ، يضاف إلى ذلك الفترة التي عاشها فضيلته في أيام شبابه حيث عنيزة حينئذ مركز العلوم على مستوى نجد كلها ، حيث احتضنت أول مدرسة حكومية « المدرسة العزيزية » ، وحيث العلماء البارزون مثل فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – غفر الله له – وغيره ممن تمتاز بهم مدينة عنيزة ، إضافة إلى انتشار الكتاتيب في عنيزة مما كان سبباً في بروزه – غفر الله له – .

ولما يمتاز به فضيلته من ذكاء ومثابرة وطول نفس كل ذلك بعد توفيق الله سبحانه ، فقد حفظ القرآن منذ نعومة أظفاره ، واتجه إلى العلوم الشرعية وتحصيلها مبكراً ، لذا فقد برز فضيلته ، وكانت له الباع الطولى في العلم ، ولا سيما في جانب الاجتهاد وفقه الكتاب والسنة ، والأخذ بما يسانده الدليل ، جرياً على منهج شيوخه الثلاثة – رحمهم الله – : شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم ، والشيخ عبد الرحمن السعدي .

لذا فإني أعتبره – حسب علمي – لا يجارى في فقه الاجتهاد في هذا

العصر كله ، مع احترامنا لبقية العلماء ، وأعتبر وفاته نكبة وثلمة أصابت العلم والعلماء ، ولنا العزاء في بقية العلماء ، وقد التحق غفر الله له في المعهد العلمي بالرياض عام ١٣٧٢ هـ ، ثم أكمل كلية الشريعة عام ١٣٧٧هـ.

أما حياته العملية فقد عين مدرساً في المعهد العلمي عام ١٣٧٤ هـ ، وكان لنا شرف التتلمذ عليه في الصف الثاني المتوسط ، فكان لنا نعم المربي - رحمه الله - ، وفي عام ١٣٧٦ هـ ، وبعدما انتقل إلى جوار ربه الشيخ السعدي ، خلفه الشيخ محمد - رحمه الله - إلى أن لقي ربه سبحانه لمدة ٤٥ سنة إماماً وخطيباً ومدرساً ومفتياً ، وكان خير خلف لخير سلف .

ثم انتقل فضيلته إلى التدريس في جامعة الإمام فرع القصيم ، وتم ترشيحه عضواً في هيئة كبار العلماء ، وقضى جزءاً كبيراً من عمره حافلا بالعمل الجبار ، كما قضى فضيلته طيلة حياته في البحث والتعليم والفتيا والدعوة إلى الله تعالى ، وكان مثلاً يحتذى به في البحث والتربية والتدريس ، يقضي الساعات الطوال بين جنبات الكتب ، وكان - رحمه الله - يحافظ على الوقت ، ويحصر اتصاله بالجمهور أوقات الصلوات ، وبعض الجلسات الخفيفة بعد العشاء ، يزور بعض الناس ، ويقضي ساعة أو قريباً منها ، وكانت الجلسة كلها علمية أسئلة وأجوبة فقط ، ولم يكن هناك أي حديث آخر من أمور الدنيا ، وكان يقضي الوقت كله في العلم وبحوثه .

أما التعليم فقد حظي بعدد كبير جداً من الطلبة لم يتوفر لأحد غيره رجالاً ونساء ، سواء في ذلك من الداخل أو خارج المملكة ، فكانت هناك عدة عمارات في عنيزة مخصصة لسكن طلابه من أصحاب الأسر والعزاب ،

وقد هاجر إلى عنيزة مئات الطلاب من الدول العربية والإسلامية المجاورة من أجل طلب العلم عليه .

وكان – رحمه الله – ينفق على الفقراء منهم ، وكانوا ينتقلون معه إلى مكة إذا انتقل إلى هناك ، ويلتفون حوله في المسجد الحرام ، وكان – رحمه الله – يقضي الساعات الطوال في المسجد مع طلبته على أفضل طريقة تربوية في متابعة التحصيل والأسئلة والأجوبة والبحوث التي يكلف بها الطلبة ، وكانت منتظمة مفيدة متنوعة الدروس ، وقد أثرت المكتبة الإسلامية في عهده ثراءً منقطع النظير .

وكانت له مؤلفات قيمة في مختلف المصنفات : في الفقه ، والأصول، والحديث ، والتفسير ، وله رسائل صغيرة في فتاوى خاصة معينة ، كما أن هناك أشرطة كثيرة جداً تحتوي على دروسه ومحاضراته وأجوبته ، والكثير منها فرغ في كتب ، ولقد انتشرت تلك الأشرطة داخل المملكة وخارجها ، واستفاد منها الناس كافة ، حتى أني التقيت ببعض الشباب في مدينة في الولايات المتحدة ، فرأيت عندهم أكثر من ٣٥٠ شريطاً كاسيت للشيخ ، ووجدت أشرطة لديهم لم أسمع بها في بلد الشيخ نفسه ، وكان الكثير من الشباب هناك في غاية الشوق إليه ، وخصوصاً غير السعوديين الذين لم يتعرفوا على شخصه إلا من خلال الأشرطة ، لذا اعتبروا فرصة اللقاء به ثمينة جداً حينما ذهب للعلاج هناك ، فالتفوا حوله من سائر الولايات المتحدة الأمريكية ، وكندا ، وكانوا يلحّون على الشيخ بالبقاء معهم مدة أطول .

أما الفتيا فكان المقصد الأول في أنحاء المملكة ، وقد خصص أحد

هواتفه للفتيا إضافة إلى أن بلده عنيزة صارت مقصداً لطلاب الفتوى ، والذين لا يثقون بأحد سواه ، وخصوصاً في أمور خاصة وهامة كالطلاق ، ولا سيما طلاق الثلاث ، أو الطلقة الثالثة التي يوسع فيها فضيلته على الناس ، مع أخذ الحيطة والحذر ، ولا سيما أنه يرى أن الطلقات الثلاث لا تبت المرأة عنده إلا إذا كانت الثلاث متفرقة ، وبين كل طلقتين رجعة ، وهذا في الحقيقة توسيع على كثير من الناس ، كذلك لا يرى الطلاق البدعي ، ولا يقع : كالطلاق أثناء الحيض أو في طهر جامع فيه ، فهو لا يرى وقوعه ، خلافاً لكثير من العلماء ، فكان الناس يقصدونه من كل صوب يعرضون عليه مشاكلهم ، وكان يستقبلها بصدر رحب ، ولم يكن – رحمه الله – يعطيهم الفتوى إلا من خلال المحكمة التي تقع حولهم ، كذلك كان مقصداً للمستفتين أيام الحج ، فكانوا يزدحمون حول مخيمه كما كانوا يزدحمون حول شيخه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – ويجدون حلولاً لأخطائهم في الحج تختلف عن فتاوى غيرهم ، فقد كان مبدؤها التسامح عن الخطأ والنسيان حينما يفتي الكثير من المشايخ في دم لأكثر الأخطاء مما يكبد الناس خسائر .

أما خطبة الجمعة فكانت تختلف عن خطب الكثير ، فكانت تركز على الكثير من أحكام العبادات والمعاملات ، وكانت تناسب الزمن والأحداث ، فكان المصلون يخرجون من الجمعة بأفضل حصيلة علمية يستفيدون منها طيلة حياتهم جرياً على نهج شيخه عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – وكان يخصصها للمناسبات ، ويعدل بها الكثير من الأخطاء المنتشرة .

وكان من أبرز صفاته – رحمه الله – أنه لا يفوت الفرصة في أي أمر

يتطلب سرعة الإنكار ، فلا يكاد يحضر حفلاً أو مناسبة علمية أو محاضرة فتمر كلمات تنافي الشرع إلا وينكر ما ورد فوراً كائناً من كان المتحدث أو المتحدث عنه ، وهي صفة شجاعة لا تكاد تتوفر في الكثير من العلماء ؛ لأن مشكلة المجاملة تسيطر على الكثير من الناس ، ولربما الحياء ، فكان يكسب بهذا العمل رضا الكثير من الناس ، حتى من ينكر عليهم تحقيقاً لقول المصطفى ﷺ : « من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس » .

كما كان ينكر فوراً على من يأكل أو يشرب باليد اليسرى أو يسبل ثيابه ، فيستفيد فاعل المنكر والحاضرون ، وتكون حياته درساً لا ينسى .

كما كان سريع الغضب لله سبحانه حينما تنتهك محارم الله سبحانه وإن كان لا يظهر ذلك للناس .

وأخيراً نقول : وداعاً يا فضيلة الشيخ محمد ، طبت حياً وميتاً ، وتبوأت بإذن الله من الجنة منزلاً ، سائلين الله سبحانه أن يجمعنا بكم في دار كرامته في الفردوس الأعلى في الجنة ، ووالدينا والمسلمين كافة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

كما أسأله أن يهب للأمة الإسلامية علماء ربانيين ، وأن يكف بهم بأس الذين كفروا ، والله أشد بأساً وأشد تنكيلا .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٨)

دروس من حياة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله

بقلم الشيخ : أحمد بن صالح الدهش

* عضو مجلس إدارة جمعية تحفيظ القرآن الكريم في محافظة عنيزة *

الحمد لله على كل حال ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أؤجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها .

حياة العلماء وسيرتهم كنز ثمين من الدروس والعبر وموتهم ثلمة في الأمة لا يسدها إلا من خصه الله بسماتهم والاقتداء بهم ، والسير على منهجهم حتى يصل إلى ما وصلوا إليه : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ .

وحينما تصاب الأمة بفقد عالم كبير من علمائها تعظم مسؤولية من خلفه من طلاب ومحبين ، وفقد الشيخ محمد بن عثيمين - يرحمه الله - كان مصاباً عظيماً على مستوى العالم الإسلامي جميعاً ، نسأل الله تعالى له الرحمة والرفعة في جنات النعيم ، فلقد كان شامخاً بعلمه وقدره في الدنيا فلا حرمه الله هذه المرتبة في الآخرة .

والآن وبعد أن توفاه الله تعالى تاركاً ثروة علمية ضخمة وذكراً طيباً ، وأثراً فاعلاً في حياة الأمة ، فماذا سيكون موقف خلفه من طلاب علم ودعاة إلى الله؟

إن في تتبع سيرة العلماء عبر التاريخ حافزاً إيمانياً ، وباعثاً للهمم ، وفي سيرة شيخنا الذاتية من الدروس والعبر ما يشهد له القاصي والداني ، وفيها

دعوة للتأسي به ، والسير على خطاه ، وفق المنهج الإسلامي السليم ، فقد كان يرحمه الله قدوة صالحة ، فلم يكن علمه مجرد دروس ومحاضرات نظرية يلقيها ، بل كانت تطبيقاً عملياً لما يعمل ويعلم ، وهذا ما كان رحمه الله يدعو إليه ، فكان يوجه طلابه بأن قيد العلم وتوثيقه بالعمل به ، فلا تجد حكماً شرعياً أو دعوة إلى خير إلا ويكون الشيخ أسبق الناس إلى تطبيق ذلك على نفسه .

ثم تميز – رحمه الله – بالحزم والصبر والجلد ، فلقد كان حازماً جلداً في طلب العلم وتعليمه وتنظيم وقته والحفاظ على كل لحظة من عمره ، فدرسه في موعد محدد ، وزيارته والجلسة معه لها وقت منظم ومنسق من قبل ، أما صبره فما الأيام الأخيرة من حياته بخافية على المقربين منه خاصة ، حينما كان يعاني من المرض الخطير وآلامه ، وحينما يتحامل على نفسه ، ويلقي دروسه في الحرم المكي ، ويتحمل أعباء السفر ومشقة التنقل تحت رقابة طبية دقيقة لعلم الأطباء بتردي حالته الصحية .

ولقد عرفت عنه قدرته على إدارة الاجتماعات وتنسيق الحوار ، والأخذ بالشورى ، وحكمة إصدار القرار ، ويتجلى هذا واضحاً في رئاسته لجلسات مجلس إدارة تحفيظ القرآن الكريم في محافظة عنيزة ، وفي مجال تحفيظ القرآن الكريم .

كان – رحمه الله – حريصاً على تشجيع الطلاب على حفظه ، وذلك بدعمه وحضوره شخصياً لحفلات تخرجهم في الجمعيات الخيرية المتفرقة ، أو ينيب عنه من يحضر تلك الاحتفالات مهما بعدت عن مدينة عنيزة ، ويرى أن ذلك من خدمة كتاب الله تعالى وتشجيع العاملين في تلك

الجميعات والشد من أزرهم .

وختاماً نسأل الله العلي القدير أن يعلي منزلته في الآخرة ، كما أعلاها في الدنيا ، وأن يجعل في خلفه خيراً ، وأن يرزقهم الاستقامة والثبات ، وأن يجمع قلوبهم على طاعته والإخلاص له ، وأن يكون لهم ولنا خير أسوة في النصح والبعد عن الهوى والتعصب ، وأن لا يحرمنا أجره ولا يفتنا بعده ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٨)

إمام من أئمة المسلمين

بقلم الدكتور : إبراهيم بن محمد أبو عباة

* رئيس جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني *

كان خبر وفاة سماحة الشيخ العلامة محمد بن صالح بن عثيمين مؤثراً حيث فقدت الأمة الإسلامية عالماً جليلاً زاهداً ورعاً ، وفجع الجميع بوفاته - رحمه الله - مساء يوم الأربعاء ١٥ / ١٠ / ١٤٢١ هـ لمكانته الكبيرة والرفيعة في قلوب الناس رجالاً ونساءً ، كباراً وصغاراً .

فالشيخ إمام من أئمة المسلمين في هذا العصر ، متمكن في كافة العلوم الشرعية : القرآن والسنة والعقيدة ، فروعاً ومذاهب ، وفي الفقه وأصوله وقواعده ، واللغة ، والبلاغة ، حتى بلغ مرتبة الاجتهاد .

والمسلمون في أنحاء المعمورة يحرصون على تلقي فتاوى الشيخ ، ويجتهدون في تحصيلها ، وله منهج حكيم في الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وقد كانت دروسه ومحاضراته العلمية المتنوعة محط طلاب العلم في المملكة وخارجها ، كما أن للشيخ مصنفات وكتباً ومؤلفات كثيرة بلغت شهرة واسعة .

وعندما نتحدث عن الزهد فإن للشيخ نصيباً وافراً منه ، يشبه زهد السلف الصالح وورعهم ، وقد عرف عنه - يرحمه الله - الحلم مع الناس ، والتواضع لهم ، والصبر عليهم ، حتى في مرضه ، ولقد لمست هذه الخصلة الحميدة ، والسمة الفريدة في جميع لقاءاتي بفضيلته ، وهي كثيرة ،

وآخرها عندما زرته قبيل وفاته في أواخر شهر رمضان المبارك ، فقابلني برحابة صدره ، وبشاشته .

وكان – رحمه الله – لا يتوانى في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإلقاء الدروس العلمية ، صابراً ومحتسباً الأجر والمثوبة من الله عز وجل .

وكان لنا نحن في الحرس الوطني النصيب الأكبر من وقت فضيلته ، حيث كنا نتشرف بلقائه أكثر من خمس مرات في العام ليلقي محاضراته على أبنائه منسوبي الحرس الوطني في الحج ، والكلية ، ومساجد الإسكانات ، وكنا نجد منه التجاوب والرغبة الصادقة لدعوتنا محبة في الخير بل إننا إذا تأخرنا في الاتصال بفضيلته بادر – رحمه الله – بالاتصال ، وهذا كله دليل على تواضعه وحبه لنشر العلم والخير بين الناس .

رحل الشيخ ابن عثيمين بعد أن قدم للإسلام والمسلمين العلوم النافعة والثمينة من فتاوى ، ومؤلفات ، وكتب ، ستبقى – بإذن الله – كنزاً ينهل منه المسلمون طلاباً وعامة .

وعلى الرغم من الحزن الشديد على فراق الشيخ إلا أننا لا نقول إلا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ونحمد الله على قضائه وقدره .

غفر الله لهذا الشيخ ، ورفع درجته في عليين ، وأنزله منازل المهديين الصديقين ، ونسأله – عز وجل – أن يثقل موازينه على ما قدم ، وأن يحسن عزاءنا والمسلمين أجمعين فيه ، وأن يعوض الأمة بالعلماء الذين يحفظ بهم الدين ، وينفعون الإسلام والمسلمين .. إنه سميع مجيب .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٨)

دمعة على فراق الشيخ

بقلم الشيخ : خالد بن صالح الشبل

في القلوب لوعة ، وفي الحلق غصة ، وفي العين دمعة ، أسلو أحياناً ، أكتوي بنار الذكرى أحايين .

أمر على آثاره .. طريقه ، جامعه ، مكان دروسه ، وتلوح صورته في مخيلتي ، فتذكي كل هذه جذوة نار في مهجتي ، يأتي عليّ أوقات أسأل فيها نفسي : أمات الشيخ حقاً ؟ .

حدثني صديقي بمثل هذا عشية دفن الشيخ فلمته ، وإذا بي اتبعه على ذلك ، لقد رأيت لك يا أبا حفص - رضي الله عنك - عذراً في نفي موت النبي ﷺ ، ومصابنا بموته أكبر مصيبة ، عليه الصلاة والسلام .

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن الدهر غير مخلد
أو ما ترى أن الحوادث جمة ... وترى المنية للعباد بمرصد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

ولكنها سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ ، ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ .

كان الشيخ محمد - رحمه الله - نعم المعلم والمربي ، وربما رحم المخطيء فقسا عليه على طريقة : « فليقس أحياناً على من يرحم » .

كان يجري حب التعليم والتدريس في دمه ، ويجد لذلك متعة ولذة ،

وقد حدثت أنه – رحمه الله – في آخر أيامه في المستشفى ، ولما اشتد به المرض ، صار يسمع منه تدريس ، وربما شرح درساً كاملاً ، وكما قالوا : من شب على شيء شاب عليه ومات عليه .

أما الزهد والورع فقد ضرب الشيخ أطنابه فيهما ، وسأسند في هذه الحكاية عن نفسي : كان للشيخ محاضرة في إحدى الدور الصيفية للبنات التابعة لجمعية تحفيظ القرآن في عنيزة ، ولما حضر كنت أحضرت معي إناءً صغيراً فيه رطب ، وكان الرطب في بدايته ، ولما قدمته للشيخ أكل منه اثنتين أو ثلاثاً ، واستغرب أن يوجد هذا في ذلك الوقت ، لكني قلت له : إن هذا من نخلة عندنا بجوار المسجد وتسقى من ماء المسجد ، ويأكل منها جماعة المسجد والمارة ، فتغير وجهه وقال لي ، ولم يكن معنا أحد : يعني ليست عندك في البيت؟ ، قلت : لا ، فأخرج من جيبه عشرين ريالاً ، ومدها لي فحاولت رده ، لكنه رفض بشدة ، فأدخلت المبلغ للمسجد ، وندمت إن كنت أسأت إلى الشيخ من حيث لا أريد ذلك ، وإنما أحببت أن يطعم منها حباً له .

وأما انبساطه فإنه على قدر ما كان حازماً جاداً في دروسه إلا أنه كان يحب إدخال السرور في مجلسه ، وكان ذا دعابة وابتسامة ، وربما كانت دعابته تحمل في طيها النقد للواقع .

كان مرة معي في السيارة ، ومررنا بمحل اتصالات ، وكان هناك وقتها أزمة في أرقام الهاتف ، فكان الشيخ يقرأ لوحة محل الاتصالات بصوت أسمعه ، وإذا فيها : هاتف جوال ، فالتفت إلي وقال بلهجتنا : حنا نبي هاتف يعرج .

وبالجملة فإن الحديث عن صفات الشيخ محمد ومواقفه طويل ، ولكنني اقتصرت على هاتي القصتين لأنني لا أسند فيهما عن غائب .

فإلى كل مسلم في بقاع الأرض أقدم خالص العزاء والمواساة .

إني أعزيك لا أني على ثقة   من الحياة ولكن سنة الدين
ليس المعزّى بباق بعد ميته   ولا المعزّى وإن عاشا إلى حين

رحمك الله يا شيخ وقدس روحك ، ونور ضريحك ، وجزاك عن الأمة خير ما يجزي عالماً عن أمته ، اللهم آجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها آمين .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٩)

ولكنه بنيان قوم تهدما

بقلم الشيخ : عبد الرحمن بن يوسف الرحمة

إن فقد العلماء الربانيين مصيبة كبرى ، وطامة عظمى ، وفقدهم ثلمة لا تسد ، وفاجعة لا تحد ، لأنهم أركان البلاد ، وأعمدة الأنام ، وهم كالنجوم في السماء علواً وارتفاعاً ، ضياءً وشعاعاً ، ولقد فقدنا بالأمس القريب شيخ الإسلام في عصره ، وحيد دهره ، ونابغة زمانه ، الإمام المجدد العلامة شيخنا عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله – وما زالت الدموع تجري وتهطل ، والقلوب تتفطر وتتكسر حزناً عليه ، حتى جاءنا ما يزيد الألم ألماً ، والمصاب وجعاً ، وذلك بفجيعتنا في عالم الأمة وركنها وفقيهها الشيخ العلامة الإمام محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – .

وإن البيان ليعجز ، والكلام لا يفي مقام هذا الرجل الذي كان أمة في العلم ، وقدوة في الزهد ، وأسوة حسنة في مجالات الخير جمعاء ، وفي ميادين المعروف كافة ، عرفناه تقياً نقياً صالحاً مصلحاً عالماً فقيهاً مجدداً كريماً جواداً معطاءً ، شهماً شجاعاً ، عرفناه غرة لهذا الزمان في الزهد والورع والبعد عن المناصب والألقاب ، وحطام الدنيا الزائل ، عرفناه عالماً ينشر علمه في الآفاق بكل ما أوتي من قوة جنان ، وفصاحة لسان ، وبلاغة بيان ، عرفناه مرحاً بشوشاً اجتماعياً يخالط الناس ويؤثر فيهم ، ناصحاً لهم مبيناً الخير ، محذراً من الشر ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، دالاً للفضائل ، واعظاً ومحذراً عن الرذائل .

وفقد مثله خسارة أيما خسارة ؛ لأن الأمة كلها خسرته ، وهي أحوج ما تكون إليه في فقهه المتين ، وعلمه الرصين ، ونصحه الصادق ، ورأيه الثاقب .

ولقد كان – رحمه الله – ممن أفنى عمره وحياته من أجل خدمة الدين ونشر العلم ، ونصرة أهل السنة في كل مكان ، وله في ذلك المواقف المشهودة ، والمناقب المحمودة ، وأذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

١ – أنه كان يتعاون مع أصحاب الجمعيات الخيرية بتوزيع الزكوات والصدقات على مستحقيها الذي لا يعرفون ، ويحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف .

٢ – ومنها موقفه مع جيرانه المجاورين لمنزله . إذ سأل بعضهم عن الحج فأحرج ولم يستطع الجواب ، فأعطاه من ماله الخاص مبلغاً كبيراً لكي يتمكن من الحج هو وعائلته .

٣ – ومنها بناؤه للمساجد في الداخل والخارج بالتعاون مع المحسنين ، ويتم ذلك بالتعاون مع بعض الذين يثق بهم من أصحاب الجهود الخيرية والإحسانية ، وأخصهم بذلك الأخ المفضال الشيخ محمد بن ناصر العريني حفظه الله ، رئيس جمعية البدائع الخيرية .

٤ – ومنها وقوفه مع الجميعات الإسلامية ودعمها ، وخاصة في شهر رمضان المبارك ، حيث يزوره في بدايته جماعات عديدة من أولئك فيخرجون من عنده بدعم مالي ، أو شفاعة حسنة ، ويجدون منه الكرم الفياض والأريحية .

٥ – ومنها وقوفه مع المحتاجين والمديونين والمعسرين ، وغيرهم من أصحاب

الحاجات ، ولقد رتب لهم وقتاً بعد العصر في جامعه الكبير في عنيزة ، فيخرجون من عنده وقد امتلأت وجوههم سروراً ، ونفوسهم حبوراً.

وكان - رحمه الله - آية في الصبر على بعض الجفاة منهم ، فلربما آذوه ونالوا منه ، ولكنه يدفع بالتي هي أحسن للتي هي أقوم ؛ لأنه قد وهب ذاته ونفسه لمرضاة الله - فرحمه الله وقدس روحه - .

وغير ذلك من المواقف المضيئة والقصص المشرقة ، ولعل طلابه الملازمين له أقدر مني على ذكر بعضها فدعوة صادقة ، ونداء من أعماق القلب أوجهه إليهم لإبراز تلك المواقف لأن بها عبرة لأولي الألباب ،وذكراً وتسلية لمن أحبه من أجل الوهاب ، والله الموفق للصواب .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٩)

غيّب القبر الجبل

بقلم الكاتبة : أنوار الغريب

لم أصدق وما صدقت إلى الآن ولو كنت صدقت واستشعرت معنى فراق الكوكب الدري لكان بلوغي القرب أقرب من الشيخ إليه ، لكن الحمد لله الذي جعل في قلوبنا إيماناً يقويها فتصطبر ، ويعزيها فتسلو وتحتسب ، وهكذا نحن نقول بإيمان بقضاء ربنا : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أؤجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيراً منها ، مصيبة بانهداد الصرح الشامخ عوضنا الله بعلمه الحي خيراً .

هي ثلاثة أحرف تهز كيان أمة بأكملها ، تجري مدامع الرجل قبل المرأة بل وتحزن طفلاً تعلم منذ خروجه إلى الدنيا أن فتوى ابن العثيمين تسكت الجميع .. مات.

ليس الحزن على الكلمة ، وإنما على من وقعت عليه ، وقعت على حصن عتيد لتدك قلوبنا دكاً ، وقعت على الزهد بعينه ، بل الورع ، وقل التقوى والعلم ، وقعت على بحر لا ساحل له ، على نور شعشع في عوالمنا يوم مات النور في قلوب كثير منا ، على وائد الفتنة ، محيي السنة ، رجل الأمة ، علم العمل ..

وقعت على ابن عثيمين ، وما أعظمها من مصيبة بعد موت رسول الله ﷺ ، لم تسعد قلوبنا بسلوها بعد فقدنا ابن باز ، فما لبثت إلا وجبل آخر يهد ، ويخفى تحت التراب ، فلم تفتأ جراحنا تهزها المصائب ، وتنكأها

الآلام ولا أعلم متى ستندمل .

ها أنا ذا أبث لكم عن قليل بل شيء لا يذكر من بعض ما وهب الله به شيخنا ، وهو للتذكير ، ليس إلا فكلكم تعلمون من هو العالم الرباني ابن عثيمين ، وكلكم تقرؤون ما يكتب عنه من سيرته ، لكنها كلمات أسطرها أسأل الله جل جلاله أن يجعلها حجة لي لا علي ، ولعلي أوفي بجزء قليل من حقه بعد الدعاء له .

عندما تقرأ كتب الشيخ ، خصوصاً المجلدات والشروح ، لا تمل ، وكأنك تقرأ كتيباً سرعان ما ينقضي ، فتدخل في عالم جميل تحفه لمسات العثيمين الرائعة ، وكنوز العلم الوافرة .

عندما تقرأها تجد الاستنباطات والفوائد ، بل الوقفات المرتبطة بعصرنا فينساب فهمك ، ولا يتعسر عليك شيء ، وقلّما تجد هذه الصفة في كثير من الكتب ، وإن شئتم اقرأوا مجلداته ، وستعلمون أيضاً ضرب الأمثلة الواقعية .

فهو مختص بهذه الصفة ، والجميع يشهد بذلك ، وكأنه يدري دواليب العقل ، فتتحرك وتستوعب عن طريق الأسلوب الحسن ، مع ضرب الأمثلة الحية زيادة في الإقناع .

الشيخ ابن عثيمين في فتاواه مطلع ، ولا يصدر الفتوى إلا بعد دراسة دقيقة ، فكثير من فتوى النساء قد تخفى عليه ، وواقع النساء قد لا يراه بطبيعة الحال ، وعند سؤاله عن حكم من هذه الأحكام يبدأ يسأل ويستفسر وعندما يجد الإجابة يقول قبلها : «بلغني كذا وكذا» فهو دائماً يثلج

صدورنا بأجوبة شافية كافية ، خصوصاً نحن النساء ، كأنه بيننا ويرى ما نرى.

علمه الجم في كل فرع من فروع العلم ، حسن خلقه ، أما زهده فحدث ولا حرج ، هل لي أن أتحدث عن بقية مآثره .. يا عبارات اخجلي ، مآثر من تعدين؟ هل أترجم آهات قلبي وزفرات نفسي بكلمات تتمتم بعلم ذاك الشيخ لا أعتقد !! .

وها أنا امرأة قد حرمت مجالسته ، والأنس بحديثه عن قرب ، وسؤاله لكن هو الحب في الله جمع القلوب ، وقصر المسافات ، وما نسمعه من الشيخ ، وما نقرأ له يتكلم بلسان حاله ، ولا حاجة له بثناء الآخرين والكلام عنه .

لقد عرفنا الشيخ بصوته وطاعته وكتبه ، وعلمه ، وها نحن نرفع أكفنا إلى مولانا بأن كما حرمنا مجالسته في هذه الدنيا أن يجمعنا وإياه في دار السلام في جنات ونهر مع محمد ﷺ وأصحابه ، وكل من أحببناهم فيه .

فيا رحماك يا رب في زمن الفتنة ،و في هذه الظروف ، قد غيّب القبر الجبل .. لا نبكي عليك شيخنا ، إنما نبكي على نفوس لم تطق أن تعمل كعملك لترتاح طويلاً ، كفي أيتها العبرات ، لن يجدي انحدارك على الخدود ، ترجميها لأعمال ، كوني كأمثال هؤلاء الشامخين ، لم يكن الشموخ لمال أو منصب ، وإنما لعلم وعمل تشهد به الأرض والسماء قبل العباد .

قالوا قد مات محمد بن عثيمين ، ولم أصدق ما قالوا .. دفن السد

الطاهر في ثرى بكة الطاهر .. كيف سيعتاد قلمي أن يكتب - رحمه الله - بعد أن كان يكتب - حفظه الله وأطال في عمره - لكن سأكتبها وأنا راضية بقضاء ربي وقدره ،

جبر الله مصابنا وكَسْر قلوبنا ، وأبدلنا الله علماء أخياراً كأمثاله ، والحمد لله رب العالمين .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٩)

ابن عثيمين لم يرفض الكيماوي

بقلم الأستاذ الدكتور: عبد الله الصالح العثيمين

كان العالمان الجليلان الشيخ عبد الرحمن السعدي والشيخ عبد العزيز ابن باز – تغمدهما الله برحمته ورضوانه – أعظم أستاذين للشيخ محمد العثيمين – رحمه الله – وكان لهما من غزارة العلم، وفضل نشر المعرفة التي وهبهما الله والتفاني في إرشاد الناس إلى ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ما جعل مودتهما تنغرس في أفئدة الكثيرين.

ولعل شهرة الشيخ السعدي عن طريق انتشار مؤلفاته بعد وفاته قد أصبحت أعظم من شهرته في أثناء حياته لأسباب، منها أن وسائل الاتصالات الحديثة لم تكن بمثل ما تطورت إليه، ومن أدلة شهرته المتجددة المتسعة مع مرور الزمن عبر كتاباته المتضمنة لآرائه، أن هيئة كبار العلماء في المملكة قد استأنست برأيه في الحكم على بعض القضايا المعاصرة المهمة، وأن تفسيره القرآن الكريم بالذات من أكثر الكتب رواجاً داخل المملكة وخارجها، وبخاصة في دول المغرب العربي.

أما الشيخ ابن باز فمهما أوتي المرء من قدرة كتابية فلن يوفيه حقه.

وكان لتلميذ العالمين الجليلين الشيخ محمد العثيمين، من العلم، والجهد في نشره والقبول لدى الناس داخل المملكة وخارجها ماله. مما لا مجال هنا للإشارة إليه.

ولأن الشيخ محمداً – رحمه الله – حظي بمثل هذا القبول فإن

المناسب أن يبين موقفه من التداوي والعزاء ، ذلك أن الكلام عن موقفه منهما كثير بين الناس ، سواء في مجالسهم أو في كتاباتهم : وذلك لئلا يفهم البعض خلاف ما كان واقعاً .

لقد جاء اكتشاف مرض الشيخ – رحمه الله – متأخراً ، وكان اكتشافه أول الأمر في مستشفى الملك فهد بالحرس الوطني ، وقد قام المستشفى إدارة ومختصين بما يشكرون عليه من عناية ، ثم أجريت له فحوصات أخرى في مستشفى الملك فيصل التخصصي ، ونال من إدارته والمختصين به كل عناية ورعاية ، فجزى الله الجميع في المستشفيين خير الجزاء .

وقد اختلفت آراء الأطباء ؛ سواء من كشفوا عليه أو من اطلعوا على التقارير عنه ، واستشيروا حولها ، في طريقة علاجه ، فكان منهم من رأى علاجه بالأشعة والكيماوي ، ومنهم من لم ير ذلك .

وفي تلك الظروف كان الشيخ محمد متردداً لما رآه من اختلاف وجهات نظر الأطباء ، ولمزيد من الاطمئنان ، تشخيصاً وعلاجاً ، جاءت مشورة ولاة الأمر في هذا الوطن له كي يسافر إلى أمريكا حفظهم الله ورعاهم وجزاهم أفضل ما يجزي به عباده الصالحين على ما أبدوه تجاهه من عطف ، وما قاموا به من رعاية .

وقد أكدت الفحوصات هناك ما توصل إليه من تشخيص في المملكة ، واستقر الرأي الطبي على أن يعالج مدة بالأشعة ، مع جرعات مخففة بالكيماوي ، ثم يبدأ العلاج بالكيماوي وحده .

وسُر الشيخ – رحمه الله – بذلك ، قدم إلى الوطن ليبدأ في مستشفى

الملك فيصل التخصصي ما استقر الرأي الطبي عليه ، وعولج بالأشعة فعلا ، على أن الأطباء رأوا أخيراً أن سلبيات علاجه بالكيماوي أوضح من إيجابياته ، ففضلوا عدم علاجه به ، وقبل الشيخ ما فضلوه .

أما بالنسبة للعزاء فقد تردد في المجالس وفي بعض الكتابات أنه قد أوصى بعدم الجلوس للتعزية به ، والوصية عرفاً لها مفهومها ؛ مكتوبة أو منطوقة ، والواقع أن الشيخ – رحمه الله – لم يوص كتابة أو شفهياً ، بعدم الجلوس للتعزية به ، لكنه كان لا يرى من حيث المبدأ الجلوس للتعزية ، وطبق رأيه هذا بعدم جلوسه للعزاء في المنزل عند وفاة والده ، ثم وفاة أمه ، رحمهما الله ، ولأن عدم الجلوس للتعزية هو موقفه ، رأياً وتطبيقاً ، فإن أولاده وبقية أفراد أسرته لم يجلسوا للعزاء ، مكتف بما حدث من تعزية لهم في المقبرة التي دفن فيها ، وفي مسجد الجامع بعنيزة ، وغيره من المساجد ، وبما تلقوه من تعزيات عبر الهاتف أو من خلال البرقيات والكتابات .

وإن كاتب هذه السطور ، وأولاد الشيخ محمد وأفراد أسرته جميعاً ليعبرون عن شكرهم الجزيل لكل من واساهم في مصابهم ، ويدعون الله لهم بحسن الجزاء والمثوبة ، ويسألونه سبحانه أن يتغمد الفقيد برحمته ، ويلهم الجميع الصبر والسلوان .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٦)

رحل الشيخ فهل يمكن البوح عن الألم أو الشكر؟

بقلم الدكتور: عبد الله الصالح العثيمين

عظم البلاء على البلاء   فالصمت أبلغ في الرثاء

هذا البيت مطلع قصيدة بعث بها إليّ أخي الكريم، وصديقي العزيز الدكتور عبد الرزاق الحمد، تعزية بوفاة شقيقي الأكبر الشيخ محمد، تغمده الله برحمته.

وفي بيت أخيٍ عبد الرزاق ما يعبر عن موقفي بدرجة كبيرة، فلقد خبرت نفسي سابقاً مع المصائب، وأعيشها الآن بكل ما فيها من ثكل، فوجدت أنني - خلاف ما هو متوقع - كلما عظمت المصيبة ازدادت قدرتي التعبيرية ضعفاً عن أن أبوح بما أحسه من مشاعر، عرفت ذلك عند وفاة أعز حبيبين إليّ: والدي ووالدتي، أسكنهما الله فسيح جناته، فكان حجم مصيبتي بفقدهما أعظم وأجل من أن أعبر عنه، شعراً أو نثراً، وبقيت جراحات الفقد تتعايش مع دعواتي وابتهالاتي أن يجمعني الله بهما في جنة خلده.

وهأنذا أعيش هذه الأيام مع المصيبة بفقد شقيقي الأكبر، الشيخ محمد رزقه الله وإيانا وجميع المؤمنين شفاعة نبيه ﷺ، وسقى الجميع من حوضه، إنه سميع الدعاء، ومرة أخرى يعجم وقع المصيبة لساني عن التعبير وتشل فداحتها يدي عن الكتابة بوحاً عن مشاعري، فلا أجد ما ألجأ إليه إلا قول الله تعالى: ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ وما أجمل هذا القول وأطيبه

لدى نفس كل مؤمن صابر .. أما بعد :

لقد لمست ما جعله الله في قلوب الكثيرين داخل الوطن وخارجه من قبول للشيخ محمد - رحمه الله - شخصية اجتماعية ، ومنهجاً سليماً ، وعلماً نافعاً .

وجدت ذلك القبول أينما سرت ، شرقاً أو غرباً ، أذكر من ذلك كنت مع أساتذة من الجامعات السعودية ، ذهبوا إلى المغرب مع وزير التعليم العالي قبل سنتين ، وبينما كنا في كلية الطب بإحدى الجامعات المغربية فوجئت بأعداد من الطلبة والطالبات تحيط بي ، وكان السؤال الذي وجه إليّ من قبل الجميع : « كيف حال شيخنا عبد العزيز بن باز والشيخ العثيمين؟ » وكم كانت سعادتي عظيمة في مثل بلد المغرب ، وكلية طب يأتي هذا السؤال! ومصدر هذه السعادة أن الشيخين - رحمهما الله - كانا أنموذجين يمثلان منهجاً واضحاً تعتز به هذه البلاد ، وتدعو إليه ، وما وجدته في المغرب أشار إلى حدوث مثله في المشرق - في بغداد - أخي الكريم الشيخ عبد الله بن إدريس في مقالته عن الشيخ محمد الأسبوع الماضي ، وهو أمر يدركه كل من استمع إلى البرنامج العظيم « نور على الدرب » حيث لا تقل الأسئلة الموجهة عبره من خارج هذه البلاد إلى علمائها عن الأسئلة الموجهة إليهم من داخل البلاد .

ولقد كانت مسارعة الكثيرين إلى حضور ما كان يلقيه الشيخ محمد - رحمه الله - من دروس ومحاضرات عامة دليلاً واضحاً على ما جعله الله له من قبول لديهم ، وكان تدفق الناس أفراداً وجماعات من جميع جهات أمريكا للاجتماع به عندما كان يجري فحوصات هناك أمراً يزيد ذلك الدليل

وضوحاً ، ثم جاء تزاحم الأخيار من مختلف طبقات المجتمع لزيارته بعد أن دخل المستشفى التخصصي للعلاج ، وكان ما يُلمس ويدرك من مشاعر هؤلاء من الأمور التي لا يمكن التعبير عن عظمتها ، كانوا يمثلون القيادة حكماً وعلماً ، ، ويمثلون أبناء الوطن شيباً وشباناً وأطفالاً ، وتجمعهم جميعاً خيرية هذه الأمة .

وإذا كانت مواقف الكل مما لا ينسى فإن ثالث المواقف بالذات كانت أكثر رسوخاً في الذاكرة . . ذات ليلة ، وأنا عند باب الغرفة التي كان فيها الشيخ - رحمه الله - اقترب مني طفلان في العاشرة أو التاسعة من عمريهما ، وقالا : « حنا عيال الخليوي يا عم ، ودنا نشوف الشيخ محمد » وما كان ألذ على قلبي من أن ألبي رغبتيهما ، وخرجا من عنده السعادة بادية على وجهيهما أبقاهما الله لأسرتهما مصدر غبطة وحبور .

وفي ليلة أخرى كان الشيخ - رحمه الله - قد تعب بعد ساعة من رؤيته الزائرين والدعاء المتبادل بينهم وبينه ، ورغب في أن يرتاح ، عند ذاك كان بين من لم يكن هناك وقت لدخولهم إليه شاب يبدو في العشرين من عمره ، فتقدم إلى الباب مصمماً على الدخول إلى الشيخ ، وأخبر بأن الشيخ متعب ، لكنه أزداد تصميماً على الدخول ، وصاح : لا يمكن إلا أن أراه ، فقد مات الشيخ ابن باز ولم أره ، وانفجر باكياً ، وأقنع أخيراً بأن يأتي مبكراً في مساء اليوم التالي ، ففعل ، وكان أول من دخل إلى الشيخ ، فخرج منه سعيداً مسروراً .

أما الموقف الثالث فرمز وفاء ونبل : شيخ في التسعين من عمره ، أو ينيف عن ذلك ، فقد بصره وخرج لتوه من المستشفى العسكري بعد إجراء

عملية في قلبه أتي به محمولاً في عربة ، ودخل إلى الشيخ – رحمه الله – وأخذ يبكي ويدعو ، والشيخ يبادله الدعاد ، ذلكم هو النبيل الكريم أبو خالد ، عبد الله بن عبد الرحمن القاضي ، متع الله به ، وأثابه أحسن الجزاء.

أما ما حدث بعد وفاة الشيخ محمد – رحمه الله – صلاة عليه ، وتشييعاً لجنازته ، وتعزية به ، ودعاء له ، فيغني عن الإشارة إليه ما سمع وشوهد عبر أجهزة الإعلام ، وما كتب شعراً ونثراً ، ناهيك عما تلقاه أولو الأمر في هذا البلد – حفظهم الله ورعاهم – من تعزية به ، وما تلقته أسرته الصغيرة من برقيات ومكالمات هاتفية لا تحصى ، وتدعو له بالمغفرة والرحمة وللجميع بالصبر والسلوان .

تلكم كانت مشاعر الكثيرين تجاه الشيخ محمد – رحمه الله – معافى يستمع إلى دروسه ومحاضرات ، ومريضاً يزار ويدعى له بالعافية ، ومتوفى يصلى عليه ويشيع ، وتسأل له المغفرة ، ويعزى به ويرثى بمختلف الوسائل.

هذه المشاعر أكبر دليل على مودة راسخة في القلوب تجاه الشيخ محمد – رحمه الله – ولعلها كما يرجو كل من يوده شاهد على محبة الله له ، على أن مشاعر ود الأمة تجاه من هو مثله أكبر دليل أيضاً على خيريتها التي يأمل المخلصون أن تزداد عمقاً ورسوخاً .

وإذا كانت المصيبة قد أعجمت لساني عن التعبير ، وشلت لداحتها يدي عن كتابة رثاء للفقيد ، شعراً أو نثراً ، فإني عاجز عن إبراز مشاعر الشكر والتقدير للجميع على مواقفهم النبيلة التي وقفوها مع الشيخ وذويه في حياته ، وعواطفهم الودية الجياشة التي أبدوها تجاهه وتجاههم بعد وفاته .

من حق من أسدى معروفاً أن يجازى عليه ، فإن لم يجد المسدى إليه ما يجازى به صاحب المعروف فإن من واجبه أن يدعو له ، ولقد كان معروف الكثيرين في الظروف التي مر بها الشيخ محمد - رحمه الله - ومرت بها أسرته قبيل وفاته وبعدها من العظمة بحيث لا يمكن أن يقام بالواجب تجاهه ، ولا يملك إلا الدعاء لكل من أسداه ، وتأتي في طليعة أصحاب ذلك المعروف قيادة هذا الوطن ، وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين حفظه الله وأبقاه راعياً لشعبه وأمته ، وأفراد الأسرة المالكة الكريمة.

جزى الله الجميع ما يجزي به عباده الصالحين ، وأعظم لهم الأجر والمثوبة ، وجمع قلوب رجال الأمة ونسائها على الخير والبر ، وكتب الصحة والسعادة للأحياء منها ، والرحمة والمغفرة لمن انتقل إلى الدار الآخرة ، إنه سميع مجيب .

على أن ما قام به ذو الشهامة والنبل الأمير عبد العزيز بن فهد بالذات من رعاية وجود أكبر من أن يوصف ، وأجل من أن يعبر عن مداه ، لكن ذلك كله مهما بلغ من كبر وجلال غير مستغرب على نجل الفهد ، وحفيد عبد العزيز ، زاده الله رفعة وقدراً ، وجزاه على ما قام به أعظم الجزاء وأحسنه .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٢)

شيخنا محمد بن صالح العثيمين

بقلم الدكتور : خالد بن علي بن محمد المشيقح

*** الأستاذ المشارك بكليتي الشريعة وأصول الدين بالقصيم ***

إن وجود العلماء نعمة من الله تعالى على أهل الأرض ، فهم مصابيح الدجى ، وأئمة الهدى ، وحجة الله في أرضه ، بهم تمحق الضلالة من الأفكار ، وتنقشع غيوم الشك من القلوب والنفوس ، فهم غيظ الشيطان ، وركيزة الإيمان ، وقوام الأمة ، وهم الساهرون على مصلحة الأمة ، المؤيدون للحق ، الناشرون له ، المعارضون للباطل ، المحاربون له ، المتحملون في هذا السبيل كل أذى ومشقة .

وهم الأمناء على دين الله ، الداعون له بلسان صدق وجنان ثابت ، ويقين راسخ ، لا تزعزعه الشكوك والشبهات ، ولا الخوف والشهوات ، يصلحون ما فسد ، ويقومون ما اعوج ، ويدعون إلى الطريق المستقيم طريق النجاة والسلامة غير هيابين ولا وجلين ولا يخافون في الله لومة لائم ، ولا يسكتون عن حق وجبت إذاعته ، ولا يكتمون حكماً شرعياً في قضية أو مشكلة ، لأنهم آمنوا بقول الله تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ .

فالله عز وجل رفع مكانتهم ، وقرن شهادته بشهادتهم ، فقال سبحانه : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إلا هو العزيز الحكيم** ﴾ .

وفي حديث معاذ – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » .

ومن هؤلاء العلماء الربانيين في وقتنا فضيلة شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين المولود سنة ١٣٤٧ هـ في ٢٧ من شهر رمضان المبارك في عائلة معروفة بالدين والاستقامة والعلم .

وقد رزق شيخنا – رحمه الله – ذكاء وزكاء وفهماً ودقة وحرصاً على التحصيل ، وهمة عالية .

وقد أخذ – يرحمه الله – عن علماء كثيرين ، منهم : شيخه عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) ، والشيخ علي بن حمد الصالحي والشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع ، والشيخ محمد الأمين بن المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ) والشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان ، والشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ .

وأما تلامذة الشيخ فلا يمكن حصر جميع من تتلمذ على الشيخ ؛ لأنهم أزدحموا في مجلسه ، لا سيما في السنوات الأخيرة بما يزيد على خمسمائة طالب ، وأذكر أن أول حضوري على الشيخ سنة ١٤٠٥ ، أو ١٤٠٦ هـ ، وكان الطلبة يعدون على الأصابع ، ويرجع ذلك لعدة عوامل منها :

١ – صدقه – يرحمه الله – وإخلاصه في تعليم العلم ، وبذل نفسه في ذلك .

٢ – وضوحه في الأداء سواء فيما يرجع إلى اللفظ ، أو ما يرجع إلى المعنى ، فكان في غاية الوضوح مع قوة الأسلوب، وجزالة العبارة التي يفهمها

عامة الناس ، فضلاً عن طلاب العلم .

٣ – طريقته الفذة في التدربس كما سيأتي بيانه .

٤ – عدم تعصبه وجموده على مذهب معين ، بل كان – يرحمه الله – متبعاً للدليل .

٥ – استجابته للدعوات الموجهة إليه لإلقاء المحاضرات .

٦ – كثرة الأشرطة العلمية التي سجلت له ، سواء فيما يتعلق بشرح المتون أو إلقاء المحاضرات .

زهده وورعه :

الزهد كما قال ابن القيم : ترك مالا ينفع في الآخرة ، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة .

فالزهد والورع صفتان نبيلتان اتصف بهما الأنبياء ، والتزم بهما العلماء الذين جعلوا من منهج الأنبياء صورة حية يعيشونها ويطبقونها في واقع حياتهم ، وما شيخنا – يرحمه الله – إلا صورة من هؤلاء ، فقد جمع أقسام الزهد ؛ الزهد في الحرام ، الزهد في الشبهات ، والزهد في فضول الكلام والنظر والسؤال وغير ذلك ، الزهد الجامع لذلك كله ، وهو الزهد في سوى الله عز وجل .

منهجه العلمي :

اتباعه لما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فقد كان – يرحمه الله – متجرداً للحق حيثما ثبت الدليل يمم وجهه إليه ، فحثيما وجد الحق فهو ضالته ومطلبه ، وكثيراً ما نسمعه يستدل بقوله تعالى : ﴿**يوم يناديهم**

فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ ، وقوله تعالى : ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ .

وكان – يرحمه الله – إذا أخذ بقول ، ثم تبين له رجحان غيره من حيث الدليل رجع عن قوله الأول ، ولذلك أمثلة ، فمنها :

١ – كان يرى أن الكدرة قبل الحيض لها حكم الحيض إذا وجدت القرائن كأوجاع العادة ، ثم رجع عن هذا واعتبر الحيض هو الدم دون ما تقدمه من كدرة ونحوها .

٢ – أن دم النفاس لا حد لأكثره ، ثم رجع عن ذلك واعتبر حده أربعين يوماً .

٣ – أن المستحاضة تتوضأ لوقت كل صلاة ، ثم رجع عن ذلك وأن طهارتها باقية ما لم يتجدد حدث آخر .

٤ – استحباب جلسة الاستراحة مطلقاً ، ثم رجع عن ذلك إلى استحبابها عند الحاجة وغير ذلك .

كيفية التدريس عند الشيخ :

اتخذ الشيخ – رحمه الله – منهجاً في التدريس كان مخالفاً للأساليب التي ينتهجها العلماء في وقته ، فيأخذ اللفظ الذي يريد شرحه ، سواء كان من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أو من متون أهل العلم ، فيتعرض لجانبه العقدي والفهمي واللغوي والنحوي ، وغير ذلك من الجوانب فيظل طول الدرس يشرح مع ضرب الأمثلة والتكرار عند الحاجة ، وتقسيم المسألة إلى أقسام وصور ، مما يقرب فهم ذلك للطلبة .

متابعته لطلابه :

اهتم رحمه الله تعالى بطلابه ، وحرص على تذليل الصعاب التي تواجههم في مسيرتهم العلمية ، وذلك أنه خصص للمغتربين سكناً مجانياً توفر فيه جميع سبل الراحة من المأكل والمشرب وغير ذلك .

كما هيأ أيضاً مكتبة داخل السكن تضمنت سائر أنواع الفنون ، ومن اهتمامه بطلابه أيضاً : عيادة مريضهم ، وزيارتهم ، وتفقد أحوالهم ، وإعانتهم ، والشفاعة لهم .

(جريدة اليوم ، العدد : ١٠٠٨٠)

وكنت لي كأبي الحنون

بقلم الدكتور: عبد الله بن محمد الطيار

الحمد لله الذي جعل الموت راحة ورحمة للمؤمنين ، فكل الخلائق ذائقة طعم الموت : ﴿ **كل من عليها فان** ﴾ ، ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ ولكن الناس يتفاوتون في مصيبتهم وأعظم ما تصاب به أمة الإسلام موت العلماء الربانيين لأنهم ورثة الأنبياء ، وحاملو لواء الشريعة والنجوم التي يهتدى بها في الأرض .

إن مصاب أمة الإسلام بفقد العالم أمر عظيم ، إذ لا يفقده أهله وذووه فحسب ، وإنما يفقده الصغير والكبير ، والذكر والأنثى ، الحاكم والمحكوم ، والقريب والبعيد .

وإن مصابنا بوفاة سماحة شيخنا محمد بن عثيمين أمر جلل ، ولكن عزاؤنا قول ربنا جل وعلا : ﴿ **ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ .

إن وجود شيخنا معنا وأمثاله من إخوانه العلماء من أعظم نعم الله علينا ، فهم مصابيح الدجى ، وأئمة الهدى ، وحجة الله في أرضه ، بهم تمحق الضلالة من الأفكار ، وتنقشع غيوم الشك في القلوب والنفوس ، فهم غيظ الشيطان ، وركيزة الإيمان ، وقوام الأمة ، مثلهم في الأرض كمثل

النجوم في السماء يهتدى بهم في ظلمات الحياة في البر والبحر ، ولقد كان لشيخنا محمد العثيمين - رحمه الله رحمة واسعة - قصب السبق في هذا الميدان ، فهو أحد فرسانه الذين أثروا المكتبة الإسلامية بمجموعة من الكتب القيمة ، وله الإسهام المتميز في الدروس والفتاوى والمحاضرات واللقاءات .

لقد عرفت شيخنا عن قرب ، وكل لحظة أجلس معه أو أتصل به عبر الهاتف اتعلم خلالها الكثير من الأدب والخلق والعلم النافع والعمل الصالح ، ولقد منحني الشيخ ثقة أعتز بها كثيراً ، حيث أعطاني هواتف خاصة أتصل به في أي وقت في ليل أو نهار وأحال عليّ قضايا خاصة للإصلاح بين طرفيها ، وهذه الإحالات في أوراق بخط يده ما زلت أحتفظ بأصولها ، وبعضها بصورها ، ولقد أنعم الله عليّ بتقييد جميع لقاءاتي مع الشيخ ، وجميع اتصالاتي الهاتفية خلال عقدين من الزمان ، وستخرج بإذن الله جل وعلا بعد ترتيبها وتنسيقها .

وهنا يحسن أن أذكر موقفين أحدهما في بداية علاقتي القوية بالشيخ وهذا الموقف تعلمت منه الشيء الكثير في ضبط المواعيد والدقة فيها ، ومراعاة أهمية الوقت وقدره لدى العلماء ، وبالتالي في نهاية حياة الشيخ بل فصله الأخير بعد وفاة الشيخ ، وهو يدل على استمرار عطائه ونفعه ومحبته للآخرين حياً وميتاً - رحمه الله - .

ويتمثل الموقف الأول أن الشيخ - رحمه الله - دعاني للغداء في شهر ذي الحجة من عام ١٤٠٣ هـ وكانت الدعوة خاصة لي ، وقال - رحمه الله - هل تريد أن تحضر معك أحداً ، فقلت وكيل الكلية فقط ، فقال الشيخ - رحمه الله - : إذاً يحسن حضور عميد كلية الشريعة ووكيله ، وقال لي

الشيخ : الحضور الساعة الثانية ظهراً ، لأني قلت له إن دوامنا يستمر إلى الواحد والنصف ، وقال لي : انتبه لا تتأخر عن الموعد ، فقلت له إن شاء الله .

ثم خرجت من مكتبي الساعة الواحدة والربع وذهبت لمكتب فضيلة عميد كلية الشريعة ، وألححت عليه بالذهاب للشيخ وعدم التأخر ، وكانت معه معاملات كثيرة ، فلم نخرج من مكتبه إلا الساعة الثانية إلا ثلثا وكانت الجامعة في شرق بريدة ، وأمامنا مسافة تحتاج إلى نصف الساعة على الأقل ، وانطلقنا إلى بيت شيخنا – رحمه الله – ووصلنا الساعة الثانية وعشر دقائق فلما وصلنا تفاجأنا بأن الشيخ راكب في سيارته ، فنزلت وقلت له : أين تذهب يا شيخ؟ فقال الأولاد عندكم تغدوا معهم ، فقلت له : ما جئنا من أجل الغداء ، جئنا لنجلس معك ، ووالله إن ذهبت لن ندخل ، فضحك الشيخ ، وقال : لا بأس بشرط ألا تتأخر مرة أخرى ، فقلت : إن شاء الله ، ولكن السبب كذا أو كذا ، فأعطانا الشيخ درساً عملياً في دقة المواعيد والاهتمام بها والحرص عليها .

الموقف الثاني في العشر الأخير من رمضان هذا العام سألني شخص عن قضية شائكة في الطلاق ، فقلت له : اطمئن فالشيخ محمد بن عثيمين يرى كذا وكذا ، فقال : لعلي أذهب إليه ، فقلت له الشيخ متعب ويصعب وصولك له ، ولكن إذا عاد إن شاء الله إلى الرياض أو عنيزة سهلت لك زيارته ، وطرح الموضوع عليه ففرح الرجل واستبشر خيراً ، ثم واصل الاتصال عليّ بعد أن تفرقنا ليلة العيد ، حيث اتصل عليّ يوم العيد ، وبعده بثلاثة أيام ، ثم بأسبوع ، وأنا أطمئنه ، ولما توفي الشيخ – رحمه الله – اتصل بي وقال : ماذا أفعل الآن ، فقلت الجأ إلى الله بالدعاء ، وسيتيسر

الأمر وسأحيلك إلى أحد كبار العلماء إن شاء الله ، وكان ذلك قبيل الجمعة ١٧ / ١٠ / ١٤٢١ هـ .

يقول الشخص فأصبحت زوجتي يوم الجمعة تتحرى ساعة الإجابة ، وتدعو حتى المغرب ، وبعد صلاة المغرب غفت إغفاءة فرأت الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - أقبل إليها ، وقال لها اطمئني ، فالجواب صحيح ، وستعودين إلى زوجك ، ولو كنت أستطيع الفتوى لأفتيتك لكنني الآن لا أستطيع الفتوى .

ثم أحلت الشخص إلى أحد كبار العلماء واستفتاه فأفتاه برجوع زوجته له ، وقد قلت للشخص هذه من بركات العلم ، وصدق اللجوء إلى الله .

وإني أعزي في شيخنا إخوانه من العلماء وعامة طلاب العلم ، وفرع الجامعة في القصيم عمداء وأساتذة وطلاباً ، وأخص بالتعزية صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز لما أعلمه من مكانة خاصة للشيخ في نفسه ، ومن مكانة له عند الشيخ ، فرحم الله شيخنا رحمة واسعة ، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة ، وجعل البركة والخير في ذريته وعقبه وطلابه ، إنه خير مسؤول ، وصلى الله على نبينا محمد .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٧)

ذهب مستودع العلم

بقلم الشيخ : سليمان بن عبد الله المهنا

* رئيس محكمة الرياض الكبرى *

لا ريب أن فقد سماحة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين - رحمه الله - مصاب جلل رزئت به الأمة جمعاء ، وهي التي استفادت كثيراً من علومه ، واستنارت بفتاواه ، وعلى قدر الرجل يكون قدر المصاب .

فالشيخ - رحمه الله - كما يعلم الجميع كان عالماً جهبذاً ، وطوداً منيفاً ، امتاز بتفنن علومه ، وسلامة منهجه ، وحسن تعليمه ، وإخلاصه وجده في الدعوة إلى الله ، إلى جانب ما تحلى به في نفسه من الزهد والصلاح .

ومما أحب أن ألفت إليه أن التأثر بفقد العلماء إنما هو لكونهم مستودع العلم والرأي السديد ، وبقبضهم يقبض العلم والرأي ، ومصداق ذلك في قوله عليه الصلاة والسلام : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء» .

ومن أجل ذلك إن قبض عالم ثلمة في الدين ؛ لأن العلم قوام الدين ، وصدع في جدار الإسلام لا يسد إلا بعالم مثله ، وهو نقص في الأرض لا يعادله نقص ، بل هو أشد من نقص الأموال والثمرات .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : ﴿**أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها**﴾ معناه ذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها .

وروي عن مجاهد أنه قال في الآية : موت العلماء .

وما حزن الناس على العالم وتأثرهم بفقده إلا صدى للقبول السماوي فإن الله وملائكته يحبون العالم العامل حتى إنه ليدعى في السماء بألقاب جليلة إكراماً لعلمه وعمله وجهاده .

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : عالم معلم يدعى كبيراً في ملكوت السموات ، وروي هذا عن بعض الصحابة .

ومن ثم يحب أهل الإيمان من أحبه الله وملائكته حباً يحتسبون له الأجر كما روي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال : محبة العلماء دين يدان به .

ولأن محبة الناس للعالم من محبة رسول الله ﷺ فإنهم ورثوا عنه العلم ، والميراث إنما يكون لأقرب الناس إلى المورث ، فمحبة العلماء وإجلالهم تابعة لمحبة الله ورسوله ﷺ وإجلالهما ، وكذلك الطاعة ، وترى أهل الإيمان يحبون العالم العامل محبتهم للوالد الشفيق ؛ لأن العالم الناصح يشفق على الناس ويتدرج في تربيتهم من صغار العلم إلى كباره ، ولا يحمل أفهامهم ما لا يطيق ، كما يفعل الأب بولده الطفل في إيصال الغذاء إليه ، ومن هنا صح عنه ﷺ قوله : « إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم » .

ففقد العلماء آية توقظ الناس من وسن الغفلة لصلاح أمرهم ؛ لأنهم لا صلاح للناس ، بل الوجود ، لا يصلح إلا بالعلماء ، وفقد واحد منهم مصيبة لا يجبرها إلا عالم يخلفه ، ويقظتهم تبدأ من إدراكهم ضرورة تربية النفوس على العلم الشرعي ، وتنشئة النشء عليه ، والاقتداء بصالح من سلف من أئمة العلم .

أسأل الله أن يعوض الأمة خيراً ممن فقدت ، وأن يتغمد الشيخ بواسع رحمته ، وفيض مغفرته ، ويكرم نزله ، إنه أكرم من سئل .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٧)

قراءة في كتاب الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين

بقلم الدكتور : عبد الرحمن أحمد الجرعي

* أستاذ مساعد بجامعة الملك خالد *

يعد كتاب زاد المستقنع لشرف الدين أبي النجا الحجاوي المتوفى سنة ٩٦٨ هـ ، من أهم المتون في الفقه الحنبلي ، واسمه كاملاً : زاد المستقنع في اختصار المقنع لموفق الدين ابن قدامة « ت ٦٢٠ » .

وقد اشتغل به المتأخرون من الحنابلة قراءة وحفظاً وشرحاً ، ثم أصبح بعد ذلك كتاباً مقرراً في المعاهد العلمية في المملكة العربية السعودية ، وصار شرحه « الروض المربع » هو الكتاب المقرر في أكثر كليات الشريعة في هذه البلاد .

ولأجل أهمية هذا الكتاب اتجهت همة العلماء الفقهاء المعاصرين إلى شرحه والتحشية عليه .

ومن أهم شروحاته في هذا العصر شرح العلامة الشيخ : محمد بن صالح العثيمين .

وهو في الحقيقة عبارة عن تفريغ لأشرطة سجلت في شروحه للزاد ، وليس إملاء منه ولا تحبيراً بقلمه ، وإن كان قد اطلع – رحمه الله – على ما نسخ من الأشرطة ، وما قام به المحققان الدكتور سليمان أبا الخيل ، والدكتور خالد المشيقح جهد مبارك يشكران عليه ، حيث اهتما بالتصحيح قبل الطباعة ، وخرجا الأحاديث الواردة في الشرح ، واهتما بالعزو للنقول التي

يوردها الشيخ في شرحه ، وكذلك الغريب ، ويضيفان الفوائد المستحسنة ، غير أن ما حقق من الشرح الممتع لم يجاوز الثمانية الأجزاء ، حيث ينتهي بنهاية كتاب الصداق ، ويبدو أن الشيخ – رحمه الله – أراد أن يعيد النظر في هذه الثمانية الأجزاء فأعيدت طباعة الكتاب ، وأخرج منه مجلدان فيما أعلم قبل وفاة الشيخ .

وكنت أتمنى أن يستمر المحققان الكريمان في إصدار الأجزاء الباقية إن لم يكن للشيخ نظر في ذلك ، لأن إصدار بقية الأجزاء على كل حال خير من بقائها في بطون الأشرطة ، ولقد أثر عن الإمام النووي – رحمه الله – أنه أراد أن يمحو كتابه الذائع الصيت : « روضة الطالبين » فقال له تلاميذه ، قد سارت به الركبان ، فقال في نفسي منها – أي في الروضة – أشياء ، وكان يريد مراجعة هذا الكتاب وتحريره ، فلم يتسع له العمر .

وكتاب « الشرح الممتع » لابن عثيمين كتاب يمتاز بأشياء منها :

١ – سهولة العبارات ، والبعد عن التعقيد اللفظي الذي تزخر به كتب الفقه.

٢ – اعتماد الدليل في المسائل التي يتناولها ، حتى وإن خالف المذهب.

٣ – تناوله للمسائل المعاصرة التي تدور في فلك المسائل التي يتعرض لها كتاب الزاد .

٤ – حرصه على إبراز المقاصد الشرعية ، وربط الأحكام الشرعية بها .

٥ – الإكثار من توظيف القواعد الأصولية والفقهية في الاستدلال ، وفي ذلك فائدة عظيمة لطلبة العلم ، حيث يعرف الطالب الكيفية الصحيحة للاستفادة من هذه القواعد .

٦ – الاستطراد النافع في بعض المسائل ، وذلك لتصحيح مفهوم عقدي ، أو للتنبيه على خطأ شائع لدى طلبة العلم كما في تنبيهه – رحمه الله – على البعد عن الخلاف الذي يوصل إلى اختلاف القلوب ، وكذلك وصيته بتحمل الخلاف إذا كان مما يسوغ فيه الاجتهاد .

٧ – إعادة ترتيب الكلام في المسائل الفقهية وتقسيم المسألة إلى صور مع بيان حكم كل صورة ، وهذا نافع جداً لطلبة العلم في أخذ التصور الصحيح للمسألة، وعدم الخلط بين أحوالها .

٨ – التنبيه على أوهام بعض الفقهاء ، ونقد التعليلات التي عللوا بها بعض الأحكام ، انظر مثلاً نقده لقول الفقهاء : «إن ما كان دون الهرة في الخلقة فهو طاهر» حيث قال الشيخ : كون العلة صغر الجسم غير صحيح ، فالعلة هي التطواف ، وهي علة معلومة المناسبة ، وهي مشقة التحرز ، فلا نعلق الحكم بما دون الهرة في الخلقة .

وطريقة الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – في تناول مسائل الزاد بالشرح على النحو التالي :

١ – يورد العبارة الواردة في متن الزاد ، ثم يثني بشرحها بما يوضح المقصود منها ، ومن المعلوم أن عبارة الزاد تحتاج إلى شرح وبيان في أحيان كثيرة .

٢ – ثم يبين الأحكام الواردة في عبارة الزاد مع ذكر المحترزات إن وجدت .

٣ – ثم يبين الدليل على الحكم الذي أورده صاحب الزاد من الكتاب والسنة والإجماع والتعليل .

٤ - فإن كان في المسألة قول آخر يراه الشيخ راجحاً ثنى به ، وقال : الصحيح في المسألة كذا ، أو قال القول الثاني في المسألة كذا وهو الصحيح ، ثم يذكر الأدلة على القول الراجح لديه .

٥ - يذكر الشيخ أحياناً أقوال الفقهاء الأربعة في المسألة ، وذلك عند ذكر الخلاف ، وإن كان تركيز الشيخ على القول أكثر من القائل ، وبحثه عن الصواب في الأقوال أكثر من اهتمامه بجمع الأقوال .

٦ - يتوقف الشيخ - رحمه الله - أحياناً عن الترجيح وعن الجزم بصواب أحد القولين حينما تتكافأ الأدلة ، وذلك شأن العلماء الربانيين الراسخين في العلم .

٧ - جعل الشيخ نصب عينيه نصرة القول الذي يسنده الدليل ، ومن هنا كثرت موافقته لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في اجتهاداته التي قاده إليها الدليل ، غير أن الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - لم يكن ظلاً لشيخ الإسلام ، بل خالفه في بعض المسائل ، كما في مخالفته له في أكثر مدة النفاس ، حيث يرى شيخ الإسلام أن لا حد لأكثره ، ويرى الشيخ أن الدم إذا كان مستمراً على وتيرة واحدة فإنها تبقى إلى تمام ستين ولا تتجاوزها ، وكما في مخالفته لشيخ الإسلام بأن الجماعة شرط لصحة الصلاة.

وإنني أقترح في نهاية هذه الكلمات ما يأتي :

١ - أن تتوافر الجهود على تجلية منهج الشيخ في الاستدلال والتوضيح بالمسائل الفقهية ، فهو يمثل مدرسة متميزة على مستوى العالم الإسلامي ، وأن يكون هناك ندوات موسعة عن حياة الشيخ العلمية

والدعوية ، وأن تطرح أبحاث هذه الندوات لجمهور الناس حتى يقتدي طلبة العلم بأئمتهم وعلمائهم

٢ - أن يقوم مركز متخصص بجمع تراث الشيخ وفتاواه وهي كثيرة وتحتاج إلى تصنيف وإعادة طباعة ، وكذلك تفريغ المئات من الأشرطة التي ملئت بعلم الشيخ وفقهه ، فهي مادة ثرية ، إن لم تلحظ بالعناية فسيذهب عنا كثير من علم الشيخ ، وكثير من هذه الأشرطة فيها فتاوى متميزة ونادرة .

هذه نظرات سريعة في كتاب الشرح الممتع للشيخ : محمد الصالح العثيمين - رحمه الله - وأسكنه فسيح جناته ، فقد نفع الله بهذا الكتاب المئات ، بل الآلاف من طلبة العلم ، وقرب لهم مسائل العلم ، فرحمه الله وغفر له وجمعنا به في عليين ، إنه على كل شيء قدير .

(جريدة البلاد ، العدد : ١٦٢٣٠)

هذه سجاياه .. فمن مثله؟

بقلم فضيلة الشيخ : عبد المجيد الزنداني

*** رئيس جامعة الإيمان ***

عندما عشت في المملكة سمعت عن شيخ لمع اسمه جديداً ، وسألت عنه فسمعت ثناءً كثيراً من عامة الناس ومن الخاصة ، كذلك وكانوا يقولون هذا الشيخ الذي يأتي اسمه بعد اسم الشيخ ابن باز ، ورأيت في الحرم جمعاً كبيراً وحشداً من الناس ، فلفت انتباهي ذلك الحشد ، فقلت من صاحب هذا الحشد؟ فقالوا لي هو الشيخ ابن عثيمين ، فاقتربت إلى الحلقة لكي استمع إليه ، فرأيت عالماً متمسكاً بالكتاب والسنة ، حريصاً على الدليل ، بسيطاً مع تلاميذه ، حريصاً على إفهام الفكرة ، وتوضيحها ، محباً للناس الخير ، فحمدت الله تعالى أن وجد في هذه الأمة من يتصف بهذه الصفات من العلماء .

موقف محرج :

حدث لي موقف معه كان موقفاً محرجاً ، فقد دعوناه إلى حضور ندوة عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، وكان ذلك في أوائل الثمانينيات ، وكان يحاضر فيها المحاضر باللغة الإنجليزية ، فبعض الذين اشتركنا معهم من غير المسلمين في بحوث كتبت باللغة الإنجليزية ، وقرأت في تلك الندوة ، والمترجم كان غير مطلع على هذه البحوث ، ولغة البحث ليست معروفة لديه .

فالمترجم يترجم اللغة المعتادة ، لكن اللغة العلمية تحتاج إلى مصطلحات خاصة كي تفهم فأخذ يترجم فكان يقلب المعاني لأنه كان يترجم ترجمة فورية ، فبدلاً من أن يسوق المعنى سوقاً صحيحاً فإذا به يسوقه على غير معناه ، فيقلب المعنى ، فيلتفت إلينا الشيخ ابن عثيمين مستعجباً مستنكراً ، فقلت له : إن المترجم أخطأ في الترجمة والأصل كذا وكذا ، وبعد قليل فإذا بالمترجم يخطأ خطأ جديداً ، ثم ثالثاً ورابعاً ، وفي كل مرة كنت أقول للشيخ بن عثيمين أن المقصود غير ما ترجمه المترجم ، فكثرت الأخطاء ، وتمعر وجه الشيخ ابن عثيمين ، وبدأ يتساءل هل هذا هو الإعجاز العلمي الذي تدعوننا إليه ، فلم أجد من إجابة إلا أن أقول له أن عكس ما قاله المترجم هو الصحيح ، وذلك من شدة الأخطاء التي وقع فيها المترجم ، لكن الشيخ ابن عثيمين ما ترك واجب البيان ، وما جامل أحداً من الحاضرين ، فقد طلب الكلمة ثم وقف يعظ الحاضرين ، ويقول لهم ألا يتعجلوا في مثل هذه البحوث ، وأوصيكم بما التزم به العلماء من تدقيق وضبط ، وأوصي بمراجعة البحوث المقدمة ، ووقف وقفة قوية ، فهم من الحاضرين أن الشيخ بن عثيمين يرفض فكرة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، فجاءني المنظمون لهذه الندوة ،وقالوا لي : إن كلمة الشيخ ابن عثيمين هي حكم في هذه القضية ، ولا بد لك أن تتدخل ، فطلبت الكلمة وشرحت ما كنت أقوله بيني وبين الشيخ ابن عثيمين ، شرحت اللبس الي وقع ، ووضحت الأمر ، وبينت القواعد .

اطمأنت نفس الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – وعلم أن كلامي كان هو الحق ، والحمد لله أنه قبل التوضيح ورضي به بعد أن صححنا أخطاء المترجم .

كنا نجد الشيخ ابن عثيمين متابعاً لقضايا الأمة ، متفهماً للصور المستجدة في عصرنا لقضايا الناس ، خبيراً في إعادة الأمور إلى أصولها الشرعية ، ولذلك كان يفتي الناس عن علم بحقائق الأمور التي هم عليها ، وعلى علم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وعرف عنه الصدق ، وفعل الخير ، والشجاعة ،والحمد لله كان محل ثناء وتقدير من أبناء الأمة وعلمائها .

كان يستحضر الدليل :

كان الدليل حاضراً معه ، وكذلك كان يستحضر أقوال العلماء وما وصلوا إليه ، وكان يسير على منهج سوي سليم في إعادة الأمور إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وكان لفتاواه أثر كبير خارج إطار المملكة العربية السعودية ، وذلك أن الشيخ ابن باز هو صاحب الفتوى عند الكثير من أبناء الصحوة الإسلامية ، ومن يطلبون الدليل من الكتاب والسنة ، فإذا جاءت فتوى الشيخ ابن باز نزلت منزلة القبول والرضا في نفوس الناس ، لعلمهم بتمكن الشيخ ابن باز وحرصه وإخلاصه وصدقه – رحمه الله – ولكن زاحمه الشيخ ابن عثيمين في هذه المكانة ، وكان لفتاواه القبول بين الناس وأصبحوا يقولون ماذا قال الشيخ ابن باز؟ وماذا قال الشيخ ابن عثيمين؟ .

ومرة سمعت الشيخ ابن عثيمين وهو يتكلم عن الشيخ ابن باز فكان يصفه قائلاً : قال شيخنا ابن باز ، وكان يسعد أن يذكر الشيخ ابن باز بهذه المكانة – رحمهما الله – .

علاقته بعلماء عصره :

إذا وجد الإنصاف قلت دوافع الحسد والتنافر بين العلماء ، ولكنها قد

تشتد عندما يصل الخلاف إلى درجة التضاد ، فمن كان الخلاف معهم خلاف تضاد فتبقى الحساسية قائمة ، بل تزداد بقدر قبول الناس لقول العالم الذي يعارضه غيره معارضة تضاد ، ولكن يبحثون عن الحق ويتحرون الدليل ، إذا وجدوا من ينصف الأمر ويدقق في المسائل ، فإن ذلك يكون سبباً للقبول وللتعاون وللمحبة التي أوجبها الله أن تكون بين المسلمين ، فضلاً عن العلماء ، ولذلك أرى أن الشيخ ابن عثيمين كان يكن كل محبة لعلماء عصره و يتعاون معهم ، ويصدر فتاواه على ضوء فهمه واستنباطه لأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية ، وأقوال العلماء ، في المسائل الفقهية التي كان يقف بصددها .

الاهتمام بقضايا المسلمين :

كان الشيخ - رحمه الله - متابعاً لكافة القضايا والمستجدات ، ويبحث عن مصادرها الصحيحة ، وكان لا يكتفي بمن جاء إليه فقط ، ومن وصل إليه فقط ، بل يتتبع ويسأل ، وإذا جاءه أحد يحمل وجهة نظر معينة فلا يقبل بها مطلقاً ، وإنما يفتح قلبه وسمعه لرأي آخر ولمعلومة أخرى ، حتى يتثبت ويرى إجماعاً على ذلك الأمر عندئذ تطمئن نفسه إلى أنه وصل إلى معرفة الحقيقة موضع البحث .

(جريدة البلاد ، العدد : ١٦٢٣٠)

أضواء على منهج الإمام ابن عثيمين

بقلم الدكتور: عوض بن محمد القرني

إن العلماء في الأمة لقليل ، وإن الأئمة الربانيين في العلماء لنادرون ، وإن الشيخ الإمام العلامة محمد العثيمين - رحمه الله - من هذا النادر من ذلك القليل ، وإن الشيخ ، وقد انتقل إن شاء الله إلي واسع رحمة الله ومغفرته قد بقي بين أيدينا علمه وإنتاجه وعطاؤه نبراساً وضياء ونوراً تنهل منه أجيال الأمة ما شاء الله لها أن تنهل .

وإن منهج أي عالم من علماء الأمة الربانيين هو الإطار الذي من خلاله يتم ترتيب وتنظيم عطائه العلمي ، وتفاعله مع قضايا الحياة ومستجدات الأحداث ، ونوازل الأمور ، ومن هنا فإن من أهم ما ينبغي الاهتمام به والالتفات إليه في البحث في تراث الأئمة الأعلام كأمثال شيخنا - رحمه الله - هو منهجهم ، وإن نظرة عجلى على منهج الشيخ تظهر لنا من معالم ذلك المنهج السديد :

١ - الإخلاص لله سبحانه وتعالى ورجاء ما عنده ، وإن كان الإخلاص أمراً قلبياً خفياً إلا أن شواهده وأدلته والقرائن التي تشير إليه في حياة الإنسان يمكن أن تخفي من التواضع والزهد وحسن الخلق والإحسان إلى الناس والورع والابتعاد عن مواطن الشبه والإعراض عما لا ينفع عند الله والاستغراق في العبادة والنسك والتقلل من متاع الدنيا وكل من عرف شيخنا - رحمه الله - عرف فيه كل هذه الخلال .

٢ – الاحتكام إلى الدليل والبرهان والحجة والبيان في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وهذا المعلم من معالم منهج الإمام – رحمه الله – ارتفع به عن حضيض التقليد ، وارتقى به إلى مقام الأئمة المجتهدين ، وإن المتتبع لدروسه وفتاواه ومؤلفاته ليدرك اطلاعه الواسع على علوم الكتاب والسنة ، ورسوخه في معرفة مذاهب العلماء وأقوالهم ، وتفريقه بين مواطن الإجماع ومواطن الخلاف ، وما ينبغي لكل نوع من هذه المسائل .

وفي الوقت الذي غاية العلم والفقه عند الكثير حفظ أو قراءة متن فقهي والاقتصار عليه ، نجد أن الشيخ – رحمه الله – يخوض عباب العلوم الأصلية ، وينفتح على جميع المذاهب ، ويبحث ويناقش ، يرجح بناء على منهج علمي دقيق ، وقواعد أصولية راسخة .

ومن هنا لقي الشيخ من القبول في جميع بلدان العالم الإسلامي ما لم يلقه كثير من معاصريه .

٣ – السلفية المستبصرة ، والتي من خلالها حافظ الشيخ على منهجه في الفهم لنصوص الشرع وسلامة منهجه في الاستدلال ، بحيث أن المتابع لعطائه العلمي يلمس التفعيل الراشد لعلم أصول الفقه في مرحلة صفائه ونقائه وسلفيته ، فقل أن يذكر – رحمه الله – حكماً فقهياً أو فتوى شرعية إلا ويذكر معها دليلها ، ووجه الاستدلال ، ورد الاعتراضات الواردة على ذلك ، والقواعد الأصولية والفقهية التي يبني عليها حكم هذا الفرع الفقهي فأعاد لعلم الاجتهاد رونقه وبهاءه وثمرته العلمية .

٤ – استيعابه لقضايا العصر ومستجدات الحياة ، وانفتاحه على كل جديد ، والاتصال بأهل التخصص وسؤالهم عن خفاياه قبل الفتوى ، والحديث فيه ، ولقد رأيت له فتاوى اجتهادية خالف فيها بعض ما اشتهر عند العلماء السابقين ، حيث ثبت له طبياً عدم صحة مستندهم الذي بنو عليه اجتهادهم ،ولذلك كان بحق أحد أئمة الصحوة المعاصرة.

٥ – احترامه لغيره من العلماء وثناؤه عليهم وإن اختلفوا معه ، وحسن تأدبه معهم حتى وإن كانوا أقل منه علماً أو سناً أو منزلة وشهرة عند الناس ، وقد رأيت منه – رحمه الله – في هذا الأمر في مجالس كثيرة خاصة وعامة العجب العجاب مما جمع القلوب حوله ، ويسر للنفوس الاستفادة من علمه الجم الغزير .

٦ – حسن خلقه مع الناس عامة مما نتج عنه لطف عبارته ، ودوام ابتسامته ، وسعيه الدؤوب إلى كل ما يجمع ولا يفرق ، ويوحد ولا يشتت ، وإنها لخصلة افتقدها الكثير من أهل العلم في تأليفهم ودروسهم ، فنفرت منهم القلوب ، وجفلت عنهم النفوس ، بينما نجد شيخنا – رحمه الله – اجتمعت عليه قلوب الخاصة والعامة ، ووضع الله له القبول في الأرض ، ولم يؤثر عنه – رحمه الله – أن جرح أحداً في كتاب أو منبر وإنما كان النصح اللطيف الرفيق لإخوانه المسلمين .

٧ – استغراقه وقته كله في النافع المفيد ، تعلماً ، وتعليماً ، أو ذكراً ، أو عبادة ، في مجلسه وسيارته ومسجده وحله وترحاله ، .

كنا في إحدى السنوات معه في مخيم التوعية في الحج في يوم عرفة في ثلة من العلماء الأخيار ، فقضى وقته كله في إفادة وذكر وعبادة حتى إنني

تابعته بدقة فلم أجده فرط في شيء من وقته من الصباح حتى غروب الشمس ، وبهذا الاجتهاد المنقطع النظير في زماننا إلا في قلائل من أمثاله بلغ ما بلغ – رحمه الله – .

٨ – عدم فصله بين العلم والدعوة والتربية فهو عالم فقيه ، وداعية مبلغ ، ومرب حاذق ، وهذا السمت النبوي الراشد الذي تميز به الرعيل الأول من الصحابة والتابعين ، والذي كان به علماء السلف حملة رسالة ودعاة هداية قل في العصور المتأخرة فتحول العلم في الغالب إلى مهنة احترافية لكسب العيش .

إلا أن شيخنا – رحمه الله – من أحيا سمت النبوة هذا ، فكما أنه غرة العلماء فهو أستاذ المربين والمعلمين ، قضى في ذلك جل حياته في المعهد والجامعة ، وحلقات التدريس ، وهو كذلك من رؤوس الدعاة وأئمتهم من خلال الخطابة في المسجد والمحاضرات والندوات في المناطق المختلفة ، وفي وسائل الإعلام ، وبهذا فعّل – رحمه الله – علمه وحوله إلى وسيلة لهداية الناس وإصلاح أحوالهم وحل مشكلاتهم .

(جريدة البلاد ، العدد : ١٦٢٣٠)

موت العلماء .. الوقوف على الأطلال

بقلم الدكتور : فهد بن سعد الجهني
* عضو هيئة التدريس بفرع جامعة أم القرى بالطائف *

روى البيهقي في مناقب الشافعي بسنده عن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - قوله : « ما كنا نعرف الناسخ والمنسوخ إلا بعد أن جاء الشافعي » .

وأرسل الإمام الكبير المحدث عبد الرحمن بن مهدي إلى الإمام الشافعي رحم الله الجميع ، رسالة علمية فريدة يستكتبه فيها أن يكتب له كتاباً جامعاً يجمع له فيها قواعد أصول الفقه : من ناسخ ومنسوخ ، وعام وخاص ومطلق ومقيد ، وأمر ونهي ، فاستجاب الإمام العلم الشافعي لهذه الرغبة العلمية العظيمة ، فأرسل له كتابه البديع الموسوم ب « الرسالة » ليكون أول مدونة في أصول الفقه ، وقواعد التشريع .

ولما توفي الشافعي - رحمه الله - (٢٠٤ هـ) وكان حين مات إمام عصره بلا منازع ، وحجة زمانه بلا مكابر ، والطلاب في أمس الحاجة إليه ، مات الشافعي ولم يتجاوز عمره أربعة وخمسين عاماً ، فما الذي حدث بعد وفاته؟ وما هو قدر الفائدة التي حصلها طلابه؟ وما مدى تأثيره بعد وفاته؟ وهل انتهى دوره بموته؟ أسئلة لا بد من معرفة الإجابة عليها حتى نصل إلى المستوى المطلوب من المسئولية تجاه مشايخنا وعلمائنا الراحلين والباقين !

لقد نهض أصحاب الشافعي من بعده ، بعد أن استوعبوا منهجه ، وسبروا فقهه وعلمه ، وأخذوا بنشر مذهبه ، وإخراج ما لم يخرج من كتبه ، ونظروا في أصوله التي خلفها لهم في كتابه «الرسالة» والمستمدة من فهمه للكتاب والسنة ، فساروا على نهجه ، وبذلك بقي الشافعي بينهم حياً لم ينقطع علمه ، ولم تنته فائدته ، وهو في يقيني أكبر عزاء في فقده وفقد أمثاله من العلماء الراسخين في كل عصر وحين .

أقول : أن غرضي من هذا كله أن أبين كيف كان العلماء وطلاب العلم يحرصون على أكبر قدر من الفائدة من أئمتهم وشيوخهم يعرفون مواطن الإبداع والمعرفة عندهم ، فيحرصون على تحصيلها والإفادة منها ، وذلك لعلمهم ويقينهم أن العالم مهما عاش فإنه سيموت فهم لم يوقفوا فائدتهم وتحصيلهم على شخص العالم ووجوده بين ظهرانيهم فحسب ، بل حاولوا واجتهدوا أن يأخذوا عن شيوخهم الشيء الذي لا يموت بموته ، وهو الفائدة العلمية المركزة والمنهج العلمي الذي يساعدهم على مواصلة التفوق والإبداع .

أما من اكتفى من شيخه بالجلوس معه والاستفادة الوقتية منه حال حياته ، وتعداد مناقبه والفرح برؤيته ، وسرد ذكرياته ونوادره – مع أن هذا كله مطلوب ولا يخلو من فائدة – دون وعي وبصيرة ، وجد في طريقة الطلب والتحصيل الذي يأمل منه صاحبه أن يحقق لنفسه أكبر قدر من الفائدة من هذا الشيخ ، مما يرجو بقاءه ذخيرة له يوم يأذن الله برحيل هذا الشيخ .

أقول : إن من اكتفى بذلك ولم يع هذه الحقيقة فإنه في حقيقة الأمر

غلبه حب الشيخ على حب علمه ، ورجح الاستئناس بشيخه والفرح بشخصه على الفرح بحصول الفائدة العلمية منه ، وهو أمر خفي قد يحصل عند البعض من طلاب العلم ونحوهم ، ويدخل عليهم من حيث لا يشعرون ويحسبهم الناظر إليهم - عن بعد - أنهم قد حازوا العلم من أطرافه ، ودخلوا معترك العلم من بابه حتى إذا ما مات ذلك الشيخ انقطعت فائدتهم منه ، وضيعوا خيراً كثيراً مع طول ملازمتهم له ، وندموا ولات ساعة مندم أن الذي دفعني لكتابة هذا المقال هو : ما أجده كل يوم على صفحات الصحف - منذ وفاة الإمام الشيخ بن عثيمين - رحمه الله - من مقالات وبكائيات اكتفى معظم أصحابها بالوقوف على الأطلال واجترار الذكريات وسرد القصص والحكايات وخلع الألقاب ، والتفنن في منح الأوصاف .

وهذا الأمر إن كان مقبولاً من عامة المحبين أو ارتضيناه - على تحفظ - إلى حين ، فإنا لا نرتضيه أبداً أن يكون منهجاً لطلاب العلم والتعامل مع مثل هذه الحوادث الجسام .

إن الشيخ - رحمه الله - وغيره من أعلام الأمة ليسوا بحاجة إلى تزكيات وبرقيات عزاء ، بل إن الناس من بعدهم - خاصة هذا العصر عصر الفتوى الفضائية - بأمس الحاجة إلى من يبدأ من حيث انتهى هؤلاء النفر الأعلام ، وأن ينشروا علمهم ، ويوضحوا منهجهم توضيحاً دقيقاً ، وفي أمور ومجالات كثيرة منها على سبيل المثال :

١ - بيان منهجهم الأصولي في الفتوى والاجتهاد ، والضوابط التي كانوا يعونها جيداً ، وإن الفتوى درجة رفيعة لا تجوز إلا لأهل العلم والبحث والنظر .

٢ – بيان منهجهم في التعامل مع القطعيات وثوابت الدين ، وإنها مساحة لا يجوز فيها الاجتهاد ، وإن هناك مسائل تقبل التوهين والمداهنة (أحد المفتين – على سبيل المثال – يتوقف وعلى الهواء مباشرة من بيان حكم الله في اليهود والنصارى وهل هم في الجنة أم النار إذا ماتوا لى دينهم الباطل) وهذا غيض من فيض .

٣ – بيان منهجهم في التعامل مع المخالف في الرأي والاجتهاد ، ومن الصبر عليه وسماع حجته وعذره ، إن كان يتكلم عن اجتهاد ونظر .

٤ – نشر كتبه التي لم تنشر ، واستكمال مشاريعه العلمية وفق منهجه الذي رسمه .

الأمر يتطلب أكثر من ذلك ، ولعل ذلك ييسر أن أتكلم عن شيء من منهج الشيخين (ابن باز وابن عثيمين) رحمهما الله في مقال آخر بإذن الله .

في الختام .. أن كثيراً من طلاب الأئمة والمشايخ صاروا نجوماً بعدهم ، يرجع إليهم كما كانوا هم يرجعون إلى مشايخهم ، وذلك بالجدية والبصيرة وحسن الطلب ، وكفانا بكائيات ووقوفاً على الأطلال ، فما هكذا يكون العزاء ، وما هكذا يُختصر المشايخ في مقال أو خاطرة أو نادرة ..

فالموت حق ويقين ، وقد مات سيد العلماء ، وامام الهدى محمد ﷺ وكل مصيبة بعده تهون ، وبعد وفاته بسنيات أصبح عمر أمير المؤمنين يصدر أوامره في المدينة لتبلغ فارس والروم ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، الجد الجد ، فإنا نجابه وفي كل يوم من الأرض والفضاء بألوان عجيبة من المناهج والعلماء والمدعين ، الذين يشغبون على الناس دينهم ، ويشككونهم في مسلماته .

فلزاماً على كل من علم علماً صحيحاً نافعاً نشره وبيانه للناس .. والله من وراء القصد هو مولانا ، نعم المولى ونعم النصير ،،،

(جريدة البلاد ، العدد : ١٦٢٣٠)

موت العلماء .. والوقوف على الحقائق

بقلم الدكتور : فهد بن سعد الجهني
* عضو هيئة التدريس بفرع جامعة أم القرى بالطائف *

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أفضل خلق الله : بعد مقالي السابق «موت العلماء .. والوقوف على الأطلال» يأتي هذا المقال ، والذي سأتحدث فيه - وبحسب المساحة المتاحة - عن واجب طلاب العلم والمحبين تجاه الشيخين العلمين : عبد العزيز بن باز ، ومحمد العثيمين - رحمهما الله - وأن من أعظم مظاهر محبتهما الحقيقة والعملية هو : السير على منهجهما العلمي والعملي ، وإبراز هذا المنهج لطلاب العلم ، ولا يعني ذلك أن يكون الشيخان هما المرجع الذي ترد إليه المسائل ، بل المرجع هو : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وكل يؤخذ من قوله ، ويرد كائناً من كان إلا رسول الله ﷺ ، ولكن من العلماء من آتاهم الله فهماً عنه بتوفيق الله لهم ، وبعلمه حسن مقاصدهم ، وبصبرهم وجلدهم على طلب العلم ، الأمر الذي يجعل غالب أقوالهم واجتهاداتهم مما تطمئن له النفس المؤمنة ، ويحالفه الصواب بإذن الله تعالى .

ومع أني لم أتتلمذ على أحد من الشيخين رحمهما الله تعالى بالمعنى الصحيح والمعروف للتلمذة ، إلا أني جلست في كثير من مجالس علمهما ، واستمعت إليهما ، وقرأت كثيراً من كتبهما ، وأفدت من ذلك كثيراً ، خاصة لمن كان يقرأ قراءة أصولية ، محاولاً تلمس القواعد الأصولية التي يبني عليها هذا الفقيه أو ذاك فتواه ، ويرجع إليها اختياره وقوله .

وقد ظهر لي من خلال ذلك كله جمل من سمات منهجهما في الفتوى والبحث والتعامل مع الأقوال المخالفة أو أصحابها المتقدمين أو المعاصرين ، فوجدت والله درراً من القول ، ونماذج ذهبية من التعامل والسلوك ، وعجباً من الإنصاف والتجرد ، مما نفتقد بعضاً أو كثيراً منه في ساحتنا العلمية اليوم ، ونحن في أشد الحاجة إلى معرفته وتجليته .

والكتابة عن منهج سماحة الشيخ ابن باز – رحمه الله – أو سماحة الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – خاصة في جانب الفتوى والترجيح بين أقوال أهل العلم تحتاج في الحقيقة إلى تأنٍ واستقراء ، ونظر أصولي دقيق ، ليس هذا مكانه ، ولكن أذكر هنا سمات عامة في منهج الشيخين ، وأرجيء الأخرى إلى أن يأذن الله .

السمة الأولى : تقديم النصوص الشرعية من كتاب وسنة صحيحة علي ما عداها من الأقوال ، واطراح كل قول أو هوى مهما كان قائله أو مذهبه إذا خالف هذين الأصلين العظيمين ، لذلك نجد أن فتاوى الشيخين أو أقوالهما لا تنفك أبداً عن هذين الوحيين أو أحدهما ، واهتمامها بسنة رسول الله بعد كتاب الله أمر واضح وجلي ، وفي تأصيل مكانة السنة وبيان ضابط حجيتها ، يقول العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – : « وأنها – أي السنة – الأصل الثاني من أصول الإسلام ، وأنها حجة مستقلة قائمة بنفسها ، يجب الأخذ بها والرجوع إليها ، وأنه متى صح السند إلى رسول الله ﷺ وجب الأخذ به مطلقاً ، ولا يشترط في ذلك أن يكون متواتراً أو مشهوراً ، أو مستفيضاً ، أو بعدد كذا من الطرق .. سواء سمي خبراً متواتراً أو آحاداً ، لا فرق في ذلك ، كلها حجة يجب الأخذ بها » (انظر الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز) .

وأين هذا التأصل من عالم يأتيه الحديث الثابت عن رسول الله ﷺ السالم من العلة والمعارضة فيرده بحجة أنه خبر آحاد ، أو أنه لا يستقيم مع مسلمات العقل!! .

السمة الثانية : نبذ التعصب المذهبي أو المكاني ، والنظر في الدليل مباشرة ، بصرف النظر هل وافق المذهب أم خالفه ، وهذه السمة مشتهرة عن الشيخين ، تنضح بها كتبهما وفتاويهما ، فخروجات الشيخين عن المذهب كثيرة ، واتباعهما لما صح به الدليل هو الأصل عندهما ، فالشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله – لا يذكر مسألة فقهية إلا من خلال منهج علمي ثابت دقيق ، ويتلخص في الآتي :

أ – عرض المسألة بتصور صحيح .

ب – ذكر الأقوال في المسألة ، مع الاستدلال لكل قول حتى أن تظن أنه لن يرجح غيره ، ثم يكر على الأقوال بالمناقشة والتمحيص ، حتى تظن أنه لن يرجح قولاً منها ، وهذا في الحقيقة من العدل والإنصاف الذي يقتضيه المنهج العلمي المتجرد .

جـ – ذكر القول الذي ترجح عنده مع دليله من الكتاب والسنة والقياس المعتبر ، ولو خالف المذهب ، والمعروف عن الشيخ – رحمه الله – أن ترجيحاته لا تخرج في الغالب عن ترجيحات شيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية – رحمه الله – إلا أن المتتبع والمدقق يجد أنه قد يخالف حتى شيخ الإسلام إذا تبين له من خلال بحثه ونظره أن الصواب في غير ما ذكره ، وأذكر مسألتين – على سبيل المثال – رجح فيهما الشيخ ابن عثيمين خلاف ما رجحه شيخ الإسلام – رحم الله الجميع – وهما : مسألة في العبادات :

وهي ائتمام من يصلي الفريضة خلف من يصلي صلاة الميت ، فقد ذهب شيخ الإسلام إلى جوازه ، وخالف الشيخ ابن عثيمين في هذا الجواز ،ورآه بعيداً .

ومسألة في المعاملات : وهي في التورق ، حرمها شيخ الإسلام ، وهي رواية عند الإمام أحمد ، وذهب الشيخ إلى جوازها بشروط ثلاثة وهي : تعذر القرض أو السلم ، وجود الحاجة البينة ، أن تكون السلعة مملوكة للبائع وفي حوزته .

ومن تأصيلات الشيخ ابن باز وقواعده في هذا الباب قوله :« أنا ولله الحمد لست بمتعصب ،ولكن أحكم الكتاب والسنة ، وأبني فتاوي على ما قاله الله ورسوله ﷺ ، لا على تقليد الحنابلة ولا غيرهم ، والفتاوى التي تصدر مني إنما أبنيها على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة حسب ما ظهر لي ، وهذا الذي سرت عليه منذ أن عرفت العلم » قلت وهذا الذي عهدتك الأمة عليه منذ أن عرفتك ، وحتى ودعت ، يرحمك الله .

إنها دعوة لكل طالب علم أن يضع هذا المنهج الحكيم والعادل نصب عينيه ، فإنه يوم القيامة لن يسأل عن مذهب فلان وفلان ، بل سيسأل عن قول الله وقول رسوله ﷺ ماذا عمل بهما ، وفي الشيخين وغيرهما من علماء الأمة المنصفين خير مثال يحتذى .

وليعلم الجميع : أن آثار هذا الأصل عظيمة جداً ، وأن بركته ظاهرة ، من أبرز آثاره : أن وضع الله لهما القبول في الأرض من كافة الناس على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، لأنهم لم يحصروا أنفسهم في زاوية المذهبية الضيقة ، وفرق بين التمذهب العلمي المنهجي ، والتعصب المذهبي ، فتأمل!

وكانوا ينظرون إلى الأمة كجسد واحد ، وأن دورهم الدعوي والعلمي يتعدى بلادهم إلى كل نفس مسلمة تحتاج التوجيه والإرشاد .

ومن مظاهر هذا القبول : أن فتاوى الشيخين ودروسهما مقبولة معمول بها في شتى أصقاع الأرض شرقاً وغرباً ، بل إنها حجة لدى مجتمعات كثيرة ، وعند شباب الصحوة والمراكز الإسلامية المتعددة ، وهكذا شأن الفتاوى التي يظهر فيها الدليل والخوف من الله .

وهذا الأمر - عدم التعصب وأثره - مهم جداً أن ينتبه له المشايخ وطلاب العلم ، حتى يستوعبوا الأمة ويزيلوا الحواجز النفسية بينهم وبين الآخرين .

السمة الثالثة : حسن التعامل مع المخالف ، ومن مظاهر ذلك : إرادة النصح له وتقديمه ، ومخاطبته بالتي هي أحسن ، والثناء على الخير الذي عنده ، وعذره عند الاجتهاد والنظر ، ولو أخطأ في النتيجة ، وعدم التشنيع على المخالف في المسائل التي تقبل الاجتهاد ، وتضليله وتبديعه ، وأمثلة ذلك كثيرة في حياة الشيخين يعرفها العالمون بأخبارهما ، وهذا الأمر ليس بالهين فإنه يتطلب صبراً وتجرداً ، وتخلصاً من حفظ النفس ، ورغبة صادقة في الإصلاح العام ، وجمع شمل الأمة ، ولا يعني ذلك أبداً إغفال الأخطاء ، وترك النصيحة ، والتحذير إن لزم التحذير ، والشدة إن كان لها موضع ، وهذا في الحقيقة منهج السلف من قبل ، وكتب العالمين الكبيرين ابن تيمية والذهبي ، وغيرهما ، تنضح بالإنصاف والعدل ، وقد أحياه الشيخان في هذا العصر ، فما أعظم منفعتهما ، وصدق الله القائل : ﴿ **وإذا قلتم فاعدلو** ﴾ .

السمة الرابعة : حث الطلاب على الاهتمام بالدليل الشرعي ، ومعرفة المسألة بدليلها ، أو مأخذها الأصولي الذي بنيت عليه ، وعندما تقرأ في مؤلفات الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – الفقهية كالشرح الممتع مثلاً تجده أنه يهتم جداً بذكر المأخذ الأصولي ، أو القاعدة الفقهية التي تفرع عنها هذا الحكم أو ذاك ، مما يعود الطالب أو القارىء على أخذ الحكم بدليله وقاعدته ، حتى يكون فهمه أكثر دقة وعمقاً .

وهنا ملاحظة لمستها من خلال تدريسي في الجامعة لمادة أصول الفقه وعند الدخول في مناقشة بعض المسائل الفقهية ، وحصول نوع من النقاش والخلاف حول رأي ما ، فأطلب من بعض الطلاب ذكر دليله فيما ذهب إليه في المسألة مدار البحث ، فبعضهم يبادر بالقول : هذا هو قول فلان من العلماء كابن تيمية وابن باز أو ابن عثيمين – رحم الله الجميع – ويظن أن هذا هو طريق الاستدلال الصحيح ، وأنه حجة كافية مسكتة للمخالف ، فنزَّل قول العالم أو ترجيحه منزلة الدليل ، وهو بلا شك خطأ كبير ، فكان الواجب عليه معرفة القول بدليله الشرعي من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس صحيح أو غير ذلك من الأدلة والقواعد الشرعية ، فليس قول أحد من العلماء حجة على أحد ما لم يكن مستنداً على دليل معتبر شرعاً ، وهذا هو المتقرر عند علمائنا – رحمهم الله – .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : « التقليد : قبول القول بغير دليل ، فليس المصير إلى الإجماع تقليداً ، لأن الإجماع دليل ، وكذلك يقبل قول الرسول ﷺ ولا يقال له تقليد ، بخلاف فتوى الفقيه » .

وقد أثر عن الإمام أحمد – رحمه الله – قوله : « وخذوا من حيث

أخذنا » .

فلا بد إذاً من تعويد النفس والطلاب على معرفة الدليل أو القاعدة التي بنى عليها العالم أو المفتي قوله أو فتواه .

أقول في ختام هذا المقال : إن هذا بعض ما تيسر ذكره من سمات منهج الشيخين الإمامين – رحمهما الله – .

(جريدة البلاد ، العدد : ١٦٢٣٧)

وانطفأ السراج

بقلم الشيخ : محمد بن عبد الجواد الصاوي

* أحد مرافقي الشيخ في جدة وقارىء الأسئلة في المسجد الحرام *

أعظم الله أجر كل مصاب في الأمة الإسلامية بوفاة الشيخ العلامة الذي ملأ علمه الدنيا ، وأضاء في الأرض نور علمه وورعه وزهده وخشيته .

يعجز قلمي عندما أطلب منه أن يكتب عن الشيخ ، وأي شيء يكتب عمن علمه الكتابة وأرشده للحق ، ووجهه للصواب ، بل أي حروف يكتب عن إمام من أئمة الدين ، وعلم من أعلام الدنيا ، خلد الله ذكره ، ورفع مكانته ، وجعل له القبول في الأرض .

لقد مات .. نعم مات وارث علم الرسول ﷺ وغادر الدنيا بعد أن خلف لنا علماً عظيماً ، وكنزاً كبيراً من ورثه ورث خيراً كثيراً .

وحسبي في هذه الوقفة التي لا تفي بشيء من حق الشيخ علينا أن أذكر فيها جانباً من زهده وورعه في الدنيا ، وحبه وإقباله على الخير ، وعلى ما عند الله من الثواب والأجر .

قد كان – رحمه الله – معرضاً عن الدنيا مقبلاً على الآخرة نحسبه أنه في حياته : « أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه » .

كان يسير على خطً ثابتة ، وإيمان راسخ لا يتزعزع ، كان له مبدأ وهم سار للوصول إليه ، وتحقيقه إلى آخر لحظات عمره – رحمه الله – يذكرك أول ما تنظر إليه بواحد من السلف الذين بقوا لنا في هذا العصر .

كم هي تلك المناصب التي عرضت عليه فرفضها واعتذر عنها ، بل وكم في سيرته من المناقب التي نالها ووصلها بفضل زهده وبساطته ، تراه يمشي في طريقه يجيب على أسئلة الناس لم يضع بينه وبينهم الحواجز المصطنعة ، ولم يبن جداراً من الوهم بينه وبين العامة ، بل كان يعيش مع كل الناس الصغير والكبير ، الغني والفقير ، الرجل والمرأة ، تراه مع هؤلاء كلهم أباً حنوناً أوقاته كلها لهم ، بذل الخير للأمة ، وهاهي اليوم نحسبها ترد شيئاً من الجميل له بعد موته .

لك أن تعجب في سيرته إن تحدثت عن رقته وعطفه ، فانظر له مع كبار السن كيف يعاملهم ويحسن لهم ، كأن الواحد منهم يجلس إليه وهو مغضب ، فلا يقوم من عنده إلا وقد رضي وتهللت أسارير وجهه ، تراه إن رأى الشاب الصغير ضحك له وهش وبش ، وسأله عن حاله وحال أهله ، ثم أوصاه بحفظ القرآن والقراءة في تفسيره ، بل ويسأله قبل ذلك أول ما يسأل عن مقدار ما يحفظ من القرآن .

تعرف بحق أنه والدٌ لكل الناس ، يرى الطفل الصغير فيمسح على رأسه ويقبله ويضحك له ويلاعبه أحياناً حتى لو كان في مجمع كبير من الناس ولو كان وقته لا يسمح بذلك . إلا أنه ربى فينا العطف والحنان على الصغار ، والنصح والبذل للصغار والكبار.

لم يفتر أبداً عن الدعوة إلى الله حتى وهو على عجلة من أمره ، كم هي المرات التي لا أحصيها وهو يمشي من المسجد الحرام إلى بيته الذي يسكنه في رمضان فما أن يرى مدخناً أو صاحب لباس فيه تشبه بالكفار أو آية معصية ظاهرة إلا ويوقفه ويأخذ بيده ويناصحه بكل لطف وجميل عبارة

ولا يزال به حتى يقلع عن معصيته .

أذكر مرة في إحدى المرات كان ذاهباً فيها إلى البيت من الحرم بعد إلقاء دروس ، وكنت كما هي العادة أذهب معه وأوصله إلى البيت استوقف أحد المدخنين وهو يمسك سيجارته ، ونصحه بلطف وهدوء حتى رمى هذا المدخن السيجارة من يده لما رآه من هيبة هذا الرجل الذين نصحه ، ورأى الناس خلفه بأعداد هائلة كلهم يريد سؤاله واستفساره ، فسألني وأنا أسير خلف الشيخ .. من هذا؟ فقلت له : الشيخ محمد بن عثيمين ، فلم أكمل كلمتي إلا وصرخ من شدة دهشته للموقف ، وقال : والله لا أشرب الدخان بعد هذه المرة أبداً .. فتعجبت أشد العجب من هذا الموقف ، ولم العجب وقد جعل الله له القبول في الأرض!! وآلاف هي المواقف التي سجلت له ، ولا غرو فهو العالم العامل الذي فقدته الأمة اليوم وهي صابرة محتسبة ، استرجعت وسألت الله الصبر على مصابها .

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد شخص يموت بموته بشر كثير

ولنعلم علم اليقين أنه لن ينفع الشيخ منا إلا الدعاء ، وإن كان النبي ﷺ قد قال في الحديث الصحيح : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» فقد خلف الشيخ صدقات جارية لا حصر لها ولا عد ، من أبرزها مسجده الذي بناه في مكة المكرمة مؤخراً .

أما عن الذي ينتفع به فقد خلف علماً جماً أمثال الجبال العظيمة ، ولا يزال الانتفاع به بإذن الله إلى أن يشاء الله .

وإن كان قد خلف - رحمه الله - أولاداً صالحين يدعون له دائماً ، إلا أن الأمة كلها أبناءٌ له على علمه ودعوته - رحمه الله - يدعون له في كل يوم وليلة .

فرحمة الله المتعاقبة على الشيخ الزاهد الذي لم ينقطع عمله بإذن الله ولا يزال يؤنس في قبره .

نوّر الله قبره ، وأفسح له فيه ، وجمعنا به في الفردوس الأعلى من الجنة كما جمعنا به في الدنيا ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة البلاد ، العدد : ١٦٢٣٠)

كم فاتنا من الخير بوفاته؟

بقلم الدكتور : جاسم محمد مهلهل الياسين

* رئيس مجلس الأمانة العامة للجان الخيرية بالكويت *

إن للعلماء في الإسلام أرفع مكانة ، وأجل مرتبة ، إذ بهم تنار الظلمات ، وتندفع الشبهات ، وتنعم البلاد ، ويستهدي العباد ، وليس العالم هو من يستظهر المتون في كل الفنون ، أو يجيد النظم في كل فن ، وإنما العالم هو من كان ربانياً قائماً لله ، قلباً وقالباً ، كماً وكيفاً .

وإنا لنحسب فقيدنا علامة الجزيرة ، وشيخ الفقه والعقيدة والأدب ، وجامع الفنون سماحة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين – يرحمه الله رحمة واسعة – منهم .. فلله در الشيخ عالماً ، فكم أفاد وأجاد ، وكشف عن دقائق الفقه ، وجلى عن أصول عقيدة السلف ، وأخرج فيها قواعد مثلى ، ولآلىء حسنى ، في توحيد الله سبحانه .

ولله در الشيخ قامعاً للبدعة ، مقيماً لبناء السنة ، وذاباً عنها ، وباعثاً لمعالمها، وحامياً لجنابها ، وباسطاً لرحابها .

ولله در الشيخ من معلم ومرب له مريدوه ومحبوه ، الذي نهلوا من فيضه ، وعبّوا من علمه ، وملأوا طباق الأرض علماً ، وعنهم أخذ الناس ، وهم بقية الخير الباقية .

ولله در الشيخ من صاحب مؤلفات حسان ، علت بها شريعة الرحمن ما بين مقال ، وكتاب ، ورسالة ،ومحاضرة ، تشهد بعلو قدمه ، وصفاء

ذهنه ، وبعد غوره ، وسداد فكره .

يعلم الله كم فاتنا من الخير بوفاته ، وكم نلتاع حسرة لفراقه ، فكم أحيا الله على يديه من سنن ، وكم أبان بفتاويه حججاً شرعية ، وقواعد مرعية ، علت في الآفاق ، وجبر بها صدع الدين ، واستبان صراط المستقيم .

إنا لنبتهل إلى الله بطيب الدعوات لفقيدنا ، ونبعث بخالص تعازينا إلى المملكة العربية السعودية جميعاً ممثلة في خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله ، وسمو ولي العهد الأمير عبد الله ابن عبد العزيز حفظه الله ، ونبعث كذلك بتعازينا لعلماء المملكة من هيئة كبار العلماء ، وأعضاء هيئات التدريس ، وأهل العلم والفضل جميعاً ، ونبعث برسائل السلوى وجم العزاء إلى طلاب العلم في المملكة العربية السعودية ،وعلى رأسهم طلاب سماحة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين يرحمه الله تعالى ، والعزاء والسلوى إلى جميع أهل العلم بل إلى أمة الإسلام .

(جريدة البلاد ، العدد : ١٦٢٣٠)

آثار الشيخ محمد بن صالح العثيمين

بقلم الشيخ : عبد الإله بن عثمان الشايع

اللهم آجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيراً منه ..

في عصر يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال من سنة إحدى وعشرين وأربعمائه وألف رحل عنا إمام جليل وطود شامخ في العلم والزهد والتقوى .

يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري – رحمه الله – في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » .

ولا شك أن فقد العلماء مصيبة عظيمة ، وثلمة في الدين ، وهو علامة على قرب يوم الدين .

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد شخص يموت بموته خلق كثير

وإن كان الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحل عنا ببدنه ، لكنه خلف لنا علماً غزيراً ، وآثاراً عظيمة ، وترك من الأعمال ما لا ينقطع ثوابه من العلم النافع ، وسأحاول في هذا المقال أن أسلط الضوء على أثار الشيخ

محمد – رحمه الله – سواءً ما كان من المؤلفات المطبوعة والمتداولة – ولله الحمد – أو من العلوم الموجودة في الأشرطة والدروس العلمية التي تركها لنا خلال مشواره الحافل بالنشاط العلمي الغزير فيما يقرب من نصف قرن ، كان مليئاً بالدعوة إلى الله ، ونشر العلم بين الناس ، فدرس وشارك في تقديم برامج في الإذاعة ، وأجاب على الفتاوى التي كانت تعرض عليه .

مؤلفات الشيخ :

وقد تميزت مؤلفات الشيخ – رحمه الله – بالاعتماد على الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح ، وتميزت بكثرة التقعيدات ، وذكر القواعد الفقهية والأصولية التي ينبني عليها المسائل العديدة ، ودقة الاستنباط ، وهضم كلام العلماء المتقدمين والمتأخرين منهم ، وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية ، لذلك حظيت مؤلفات الشيخ بالإقبال الكبير ، وإليك بيان أهم مؤلفات الشيخ :

أولاً – علم العقيدة :

* فتح رب البرية بتلخيص الحموية وهو أول كتاب يطبع للشيخ ، وقد فرغ منه في سنة ١٣٨٠ هـ * شرح لمعة الاعتقاد * شرح العقيدة الواسطية * عقيدة أهل السنة والجماعة * القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى * الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع * القول المفيد شرح كتاب التوحيد * شرح ثلاثة الأصول * شرح أصول الإيمان * أركان الإيمان * شرح كشف الشبهات * مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم * تقريب التدمرية * تعليقات على العقيدة الواسطية .

ثانياً - القرآن وعلومه :

* تفسير آيات الأحكام * تفسير آية الكرسي * أحكام من القرآن الكريم «الفاتحة والبقرة» * شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية * أصول التفسير .

ثالثاً : الحديث وعلومه :

* مصطلح الحديث * شرح عمدة الأحكام * شرح رياض الصالحين في ٧ مجلدات * تخريج أحاديث الروض المربع .

رابعاً : الفقه وأصوله :

* الأصول من علم الأصول * كفر تارك الصلاة * رسالة في الوضوء والغسل * الأضحية والزكاة * المنهج لمريد الحج والعمرة * تسهيل الفرائض * رسالة في أن الطلاق الثلاث واحدة ولو بكلمات * رسالة الحجاب * الصلاة والطهارة لأهل الأعذار * مواقيت الصلاة * سجود السهو * أقسام المداينة * وجوب زكاة الحلي * أحكام الميت وغسله * نيل الأرب من قواعد ابن رجب * المسح على الخفين * قصر الصلاة للمبتعثين * الدماء الطبيعية * الشرح الممتع على زاد المستقنع في ٨ مجلدات * صفة صلاة النبي ﷺ * منظومة في أصول الفقه وقواعد فقهية * مناسك الحج والعمرة.

خامساً : الفتاوى والوعظ والإرشاد :

* الضياء اللامع من الخطب الجوامع .

* مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ،

جمع وترتيب الشيخ فهد السليمان طبعة في ١٥ مجلداً حتى الآن.

* فتاوى نور على الدرب في مجلدين .
* فتاوى منار الإسلام في ٣ مجلدات إعداد الدكتور عبد الله الطيار.
* لقاء الباب المفتوح ، إعداد الكتور عبد الله الطيار في ٣ مجلدات .

سادساً : كتب متفرقة :

* مختارات من زاد المعاد .
* المنتقى من فرائد الفوائد .

وغير ذلك من المؤلفات العديدة النافعة .

الدروس العلمية المسجلة على أشرطة سمعية :

وللشيخ محمد - رحمه الله - النصيب الكبير منها ، حيث تمتلئ محلات التسجيلات الإسلامية بأشرطة الشيخ ، وهي تحظى بالإقبال الكبير ، وذلك لعلمية الشيخ الفذة ، وأسلوبه السهل الواضح في تقريب العلوم للمستمعين ، ودقة عباراته واعتماده على الاستشهاد بالكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ، وتحريره للمسائل الشائكة ، وتوضيحه لما انغلق من المسائل العلمية التي تصعب على الكثير من الطلاب ، وقد تميز الشيخ باتباعه للدليل بعيداً عن التعصب لأقوال العلماء .

وكذلك تميز الشيخ - رحمه الله - بأسلوبه التربوي في إلقائه للدروس وشد انتباه المستمع بطرح الأسئلة والمسائل على الطلاب حتى إنه في كثير من الأحيان يغلط نفسه ليختبر معلومات الطلاب ، ولكي يصحح الطالب

المعلومة الخاطئة .

والأشرطة الموجودة للشيخ محمد - رحمه الله - تبلغ آلاف الأشرطة ما بين محاضرات ، وندوات ، وفتاوى ، دروس علمية ، وسأذكر إن شاء الله تعالى أبرز هذه الدروس مع ذكر عدد الأشرطة ، علماً أن هذه الدروس متوفرة في محلات التسجيلات الإسلامية ، وفي إذاعة القرآن الكريم ، وفي المكتبة الناطقة للمكفوفين ، وهذه أهم دروس الشيخ المسجلة .

العقيدة :

- شرح كتاب التوحيد - شرح العقيدة الحموية - شرح العقيدة التدمرية - شرح العقيدة الواسطية - شرح العقيدة السفارينية - شرح القواعد المثلى - شرح القصيد النونية - شرح القصيدة الميمية - شرح عقيدة أهل السنة والجماعة .

علم الحديث (أصول الحديث) :

- شرح نخبة الفكر (الشرح الأول) - شرح المنظومة البيقونية - شرح نخبة الفكر (الشرح الثاني) .

صحيح البخاري :

- كتاب الوحي والإيمان والعلم - كتاب الوضوء والغسل والتيمم - كتاب الصلاة ومواقيت الصلاة - كتاب الأذان - كتاب فضائل القرآن - كتاب النكاح - كتاب الطلاق - كتاب الأطعمة والأشربة والذبائح والصيد - كتاب المرضى والطب - كتاب اللباس - كتاب الاستئذان - كتاب الرقاق والقدر - كتاب الإيمان والنذور - كتاب الفرائض والديات والحدود - كتاب

استتابه المرتدين والمعاندين والحيل - كتاب الفتن والأحكام - كتاب التمني وإخبار الآحاد والاعتصام بالكتاب والسنة - كتاب التوحيد .

صحيح مسلم :

- كتاب الإيمان - كتاب الطهارة - كتاب الصلاة - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - كتاب الحج - كتاب الزكاة - كتاب الصيام - كتاب الجمعة والعيدين والاستسقاء والكسوف والجنائز - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - كتاب النكاح والرضاع والطلاق - كتاب الصلاة (نيل الأوطار في منتقى الأخبار - كتاب الاستسقاء والجنائز - كتاب النفقات - كتاب الدماء والحدود .

بلوغ المرام :

- شرح كتاب الطهارة (الشرح الأول) - شرح كتاب الطهارة (الشرح الثاني) - شرح كتاب الصلاة - شرح كتاب الجنائز - شرح كتاب الصيام - شرح كتاب الحج - شرح كتاب الزكاة - شرح كتاب البيوع - شرح كتاب النكاح - شرح كتاب الطلاق - شرح كتاب الرضاع والنفقات والحضانة والجنايات - شرح كتاب الحدود - شرح كتاب الجهاد - شرح كتاب الديات ودعوى الدم والقسامة وقتال الجاني - شرح كتاب الأطعمة والأشربة والذبائح والأضاحي والصيد والعقيقة - شرح كتاب الأيمان والنذور والقضاء والشهادات - شرح كتاب الجامع في الأدب والزهد والورع - الشرح المختصر بعد صلاة العصر البلوغ من الطهارة إلى الحج - شرح رياض الصالحين زاد المستقنع - شرح كتاب البيوع - شرح كتاب الوقف - شرح كتاب الوصايا - شرح كتاب الفرائض - شرح كتاب العتق - شرح كتاب

الزكاة (الكافي) – التعليق على كتاب الطهارة – التعليق على كتاب الصلاة والجنائز – التعليق على كتاب الحج – التعليق على كتاب الصيام – التعليق على كتاب الزكاة – الفرائض البرهانية .

الفتاوى المكية والمدينة :

- فتاوى الحرم المكي من عام ١٤٠٧ هـ – ١٤١٨ هـ .
- الفتاوى المكية في الإجازة الصيفية ١٤١٨ هـ .
- فتاوى الحرم المدني ١٤١٦ هـ .
- جلسات رمضانية من عام ١٤١٠ هـ – ١٤١٦ هـ .
- سلسلة اللقاء الشهري بالجامع الكبير ١٤١٥ – ١٤١٩ هـ .
- جلسات الحج لعام ١٤٠٨ – ١٠٩ هـ .
- سلسلة اللقاء الأسبوعي ١٤١٣ هـ – ١٤١٩ هـ .

عمدة الأحكام :

- كتاب الطهارة .

التفسير :

– تفسير سورة الفاتحة – تفسير سورة البقرة – تفسير سورة النساء – تفسير سورة العنكبوت – تفسير سورة الكهف – تفسير سورة الروم – تفسير سورة الأحزاب – تفسير سورة سبأ – تفسير سورة يس – تفسير سورة الصافات – تفسير سورة ص – تفسير سورة الزمر – تفسير سورة غافر – تفسير سورة فصلت – تفسير سورة جزء عم – شرح القواعد الحسان لابن

سعدي – شرح مقدمة التفسير لابن تيمية – برنامج من أحكام القرآن لابن عثيمين – شرح أصول التفسير لابن عثيمين .

أصول الفقه :

– شرح كتاب الأصول من علم الأصول – شرح مختصر التحرير – التعليق على قواعد ابن رجب – شرح نظم الورقات – شرح المنظومة في أصول الفقه وقواعده – شرح القواعد والأصول والفروق والتقاسيم البديعة النافعة لابن سعدي .

النحو :

– شرح متن الآجرومية – شرح الدرة اليتيمية – شرح البلاغة – كتاب حلية طالب العلم – التعليق على مقدمة المجموع – شرح المهذب للإمام النووي – شرح كتاب السياسة الشرعية لابن تيمية – التعليق على رسالة الإمام الشوكاني رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين .

اللهم ارحم شيخنا ابن عثيمين ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٠)

أسى وحزن لرحيل شيخ الإسلام

بقلم الشيخ : أحمد بن ناصر الخضيري

*** القاضي بالمحكمة الكبرى في عرعر وإمام وخطيب الجامع الكبير بعرعر ***

الحمد لله الحي الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون ، تفرد بالبقاء وحده جل وعلا ، وكتب الفناء على جميع خلقه عزة وقهراً . ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله ، صاحب الجبين الأزهر ، والوجه الأنور ، والحوض المورود ، واللواء المعقود ، خاطبه ربه بقوله : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ ، بأبي وأمي ونفسي والناس أجمعين هو ﷺ وعلى أزواجه أمهاتي وصحابته سادتي ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ .

عظمت مصيبة الإسلام وأهله ، وخيم الحزن على العالم الإسلامي بأسره يوم الخامس عشر من شهر شوال من عام ألف وأربعمائه وواحد وعشرين ، بوفاة شيخ الإسلام العلامة والفقيه محمد بن صالح بن عثيمين ، رحمه الله رحمة واسعة .

إنه لخطب عميم ، ومصاب جلل ، لفقد هذا العالم النحرير في وقت

ادلهمت فيه الخطوب على الأمة الإسلامية من كل حدب وصوب .

فقدنا هذا العالم في وقت كشرت فيه الصهيونية الحاقدة على أنيابها على الإسلام والمسلمين .

لقد كان – رحمه الله – قوياً في الحق لا يخشى في الله لومة لائم ، لقد تصدى هذا العالم الرباني لكشف عوار تلك المخططات اليهودية والنصرانية عبر دروسه ومحاضراته العلمية .

هذا العالم الرباني وأمثاله الذين حملوا على عواتقهم تبليغ كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله ﷺ في منهجية واضحة على نور من الله ، وأفنوا أعمارهم في صيانة شريعة الله ، ونقلوها بأمانة وصدق إلى الأجيال التي تتعاقبهم .

هذا العالم الرباني وأمثاله كالمصابيح النيرة التي تضيء دروب الحياة لعامة المسلمين ، وهم أيضاً كالحصون المنيعة التي يلتجيء إليها المسلمون من مضلات الفتن ، وهم كالموارد العذبة الطيبة التي ينهل منها الصغير والكبير ، والشريف والوضيع ، والذكر والأنثى ، فيروون عطشهم ، فهذا يستفتي وذاك يستشير ، وآخر يطلب حل المشكلة ، وآخر أشكل عليه فهم أحد النصوص الشرعية .

هذا العالم الرباني وأمثاله تستغفر لهم الملائكة ، بل حتى الحيتان في البحر ، بل حتى النملة في الجحر ، قال ﷺ : «إن الله وملائكته يصلون على معلم الناس الخير» .

هذا العالم الرباني وأمثاله لما عفت أيديهم عن زخارف الحياة الدنيا ، عاشوا في هذه الأيام الخالية أعزاء أنقياء أتقياء ، فهابتهم الأعداء ، وخطب

ودهم الأوفياء لعلمهم ، وحياتهم تسعد الدنيا ، وتفرح الأرض والسماء ، ولموتهم تظلم الدنيا وتبكي الأرض والسماء ، وتحزن الدواب ، وتتفطر الأشجار .

ولد شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي في مدينة عنيزة إحدى مدن القصيم عام ١٣٤٧ هـ في السابع والعشرين من شعر رمضان ، في عائلة معروفة بالدين والاستقامة ، وتتلمذ على جده لأمه الشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن دامغ – رحمه الله – .

ثم اتجه لطلب العلم ، فتعلم الخط والحساب ، وبعض فنون الآداب ، وكان الشيخ – رحمه الله – قد رزقه الله ذكاء وهمة عالية ، وحرصاً على التحصيل العلمي في مزاحمة الركب لمجالس العلماء ، وفي مقدمتهم الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – .

ولم يرحل الشيخ لطلب العلم إلا إلى الرياض ، حين افتتحت المعاهد العلمية عام ١٣٧٢ هـ فالتحق بها ، وبعد وفاة شيخه عبد الرحمن السعدي رشح الشيخ محمد بن صالح العثيمين لإمامة الجامع الكبير . عندها تصدى للتدريس مكان شيخه ، وألف أول كتاب له عام ١٣٨٢ هـ ، وهو كتاب « فتح رب البرية بتلخيص الحموية » وهو تلخيص لكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية « العقيدة الحموية » .

واستغل الشيخ – رحمه الله – وجوده في الرياض بدراسته على الشيخ إمام أهل السنة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، فقرأ عليه صحيح البخاري ، وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية ،وبعض الكتب الفقهية .

وأما العلماء الكبار الذين نهل الشيخ ابن عثيمين من علمهم فهم : العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، وإمام أهل السنة الشيخ عبد العزيز ابن باز ، والعلامة محمد الأمين الشنقيطي صاحب تفسير أضواء البيان ، والشيخ علي بن حمد الصالحي ، والشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع ، والشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان ، والشيخ عبد الرحمن بن سليمان ابن دامغ رحمة الله عليهم رحمة واسعة .

ولقد تميز – رحمه الله – في منهجه العلمي ، حيث أوضح مراراً وتكراراً أنه يسير على منهج شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي الذي يتبنى كثيراً آراء شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، ويرجحهما على المذهب الحنبلي ، فلم يكن عنده تجرد تجاه مذهب معين ، بل كان متجرداً للحق .

وقد تميز – رحمه الله – بأن جمع بين العلم الغزير والدعوة إلى الله عز وجل ، فقضى معظم أوقاته في التدريس في مسجده بعنيزة ، والتدريس في المسجد الحرام ، وإلقاء الكثير من المحاضرات ، والندوات العلمية .

وتنقل – رحمه الله – في أنحاء المملكة للدعوة إلى الله عز وجل ، بل فرغ نفسه لإلقاء الدروس عبر الهاتف لطلابه خارج المملكة .

والشيخ – رحمه الله – لديه طلاب من كافة الجنسيات ، وقد وضع لهم مساكن خاصة بهم ، ولإعاشتهم ، وقد جاوزت مؤلفاته الخمسين ، حتى أصبح بيت كل مسلم لا يخلو من مؤلف أو شريط له ، ولقد وضع له القبول لدي الخاصة والعامة ، ولقد سعدت بلقائه أكثر من مرة ، وجلست بجانبه لأكثر من مرة ، فلا تسل عن تواضعه في لباسه وطريقة حديثه ، ولا

تسل عن بشاشته وطلاقة وجهه وحرصه وسؤاله عن العامة والخاصة .

كان حريصاً – رحمه الله – على تعليم السنة القولية والفعلية . كان – رحمه الله – يكره الحديث عن نفسه والمبالغة في المديح . مرة تحدث أحد المقدمين لمحاضرته ،وقال : « والشيخ ابن عثيمين غني عن التعريف . . » فغضب الشيخ – رحمه الله – من هذه المقالة .

كان – رحمه الله – عفيفاً نقياً ، فقد كان الملك خالد – رحمه الله – ضيفاً على الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – فأراد الملك أن يصنع له معروفاً فأمر ببناء مسكن للشيخ – رحمه الله – فأشار الشيخ – رحمه الله – أن هناك بيتاً أشد احتياجاً للبناء من بيته ، فدله على البيت فإذا هو الجامع الكبير بعنيزة ، فأمر الملك خالد – رحمه الله – ببناء الجامع.

لقد بلغ من تقوى الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – ألا يستعمل من مرافق وأجهزة وضعتها الدولة إلا فيما خصص له ، كرس حياته لنشر العلم النافع بجميع وسائله ، حتى أصبح جبلاً في العلم ، وبحراً في الفقه ، أتى إليه طلاب العلم زرافات ووحدانا من كل أصقاع الأرض ، حتى دب فيه المرض الخطير ، مرض السرطان في أحشائه – رحمه الله – فعانى منه ، وسافر إلى أمريكا للعلاج ، ولم يمنعه المرض من إلقاء المحاضرات حتى هناك ، ثم أدخل المستشفى التخصصي بالرياض قبل شهر رمضان ، فبلغ المرض منه مبلغاً عظيماً ، وأثر على جسده .

وعندما أهل شهر رمضان رحل إلى مكة واعتكف في المسجد الحرام ، ومع شدة معاناته للمرض كان ما زال يلقي الفتاوى والتوجيهات عبر مكبر الصوت ، ثم أدخل المستشفى في جدة .

كان – رحمه الله – ملازماً ذكر الله وقراءة القرآن حتى دخل في غيبوبة عند الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر يوم الأربعاء الخامس عشر من هذا الشهر ، وتوقف قلبه ونفسه في الساعة السادسة إلا عشر دقائق قبل المغرب ، وفاضت روحه الطيبة إلى بارئها ، ووقع الخبر على المسلمين وقوع الصاعقة ، فذرفت العيون ، وتقطعت الأحشاء ، حزناً وألماً لفراقه ، وصلي عليه بالمسجد الحرام ، ودفن قريباً جداً من شيخه الإمام عبد العزيز بن باز رحمهما الله ورفع درجاتهما ، وأعظم أجورهما .

حدثني من هناك من المسجد الحرام أن الذين صلوا عليه قرابة النصف مليون ، وأن الذي شيعوا جنازتة في من المسجد الحرام إلى مقبرة العدل على أرجلهم قرابة هذا العدد ، وأغلقت الطرق المؤدية إلى المقبرة لكثرة المشيعين قدس الله روحه ، ونور الله ضريحه .

سيبكيك يا شيخنا مسجدك ، ستبكيك أروقة المسجد الحرام هناك ، سيبكيك يا شيخنا طلابك قبل أهليك ، سيبكيك يا شيخنا نور على الدرب ، وسؤال على الهاتف .

الرجال والنساء والولدان يا شيخنا يبكونك ، في جنة الفردوس يا شيخنا مثواك – إن شاء الله – عشت كريماً في حياتك ، ومت شهيداً في مماتك .

وقبرت وجهك وانصرفت مودعا ... بأبي وأمك وجهك المقبور
وأرى ديارك بعد وجهك قفرة ... والقبر منك روضة وسرور
فالناسٍ كلهمُ لفقدك واحد ... في كل بيت رنة وزفير
عجباً لأربع أذرع في خمسة ... في جوفها جبل أشم كبير

يا شيخنا .. إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ، وإنا على فراقك لمحزونون ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد تصدعت قلوبنا لموت إمام أهل السنة العلامة ابن باز - رحمه الله - ولحقه به ثلة من العلماء الأخيار أمثال العلامة عطية سالم ، وخليل مناع القطان ، والمحدث الكبير محمد ناصر الدين الألباني ، والفقيه البارع مصطفى الزرقا ، ولا يزال القلب متصدعاً حتى تفطر لموت شيخ الإسلام ابن عثيمين ، وحينما نفجع برحيلهم إذ نفجع لأن العلم يقبض بموت العالم ، كما أخبر بذلك النبي ﷺ أن الله لا ينتزع العلم من صدور العلماء انتزاعاً ، وإنما يقبض العلم بموت العلماء ، فيتخذ الناس أئمة جهالاً فيضلون ويضلون .

إن أحق ما نعلم به أولادنا ونحضهم على دراسته والعناية به هو سير هؤلاء العلماء الربانيين الأفذاذ ، فدراسة سيرهم عبادة ، ودراسة علمهم ذكر وتسبيح ، ونشر علمهم جهاد ، والتأسي بهم خير زاد ، والتفقه في كتبهم قربى ورشاد ووقار وسداد .

إنه يتوجب علينا حمل لواء العلم الشرعي ، والعمل والدعوة إليه وفق ما جاء به محمد ﷺ وخلفاؤه الراشدون إذا أردنا نجاة أنفسنا وأردنا اللحاق بركب الأبرار ، فنعم الحياة هذه ، ونعم الممات على هذه علو في الحياة وعلو في الممات .

إن الأمة حينما تفقد علماءها الربانيين .. الخلف الصالح لحمل الميراث النبوي ، حينها يكثر الجهل ، فيتخذ الناس أئمة جهالاً ضلالاً فيضلون ويُضلون ، وهذا الخوف يساورنا عندما نفقد عالماً من علماء الآخرة ، ولكن

حينما ندرك أن الدين محفوظ بحفظ الله تنشرح صدورنا ، وتزداد هممنا في المسابقة لطلب العلم الذي هو علم كتاب الله وسنة نبيه وخليله محمد ابن عبد الله ﷺ حتى نحظى بشرف خدمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فكم من ضال اهتدى على أيدي العلماء ، وكم من معضلة حلها العلماء ، وكم من فتنة صدها العلماء .

فالعلماء هم ورثة الأنبياء إذا خالط العلم سويداء قلوبهم ، استعذبوا في تبليغه كل شيء حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو في السجن : ما يصنع أعدائي قتلي شهادة ، ونفيي سياحة ، وحبسي خلوة ؛ إن جنتي وبستاني في صدري أينما رحت ، فهي معي .

أمثال هؤلاء العلماء نحذو حذوهم ، ونربي أجيالنا على سيرهم ، وننهل من علمهم ، ونتأسى بأخلاقهم ، هذه هي الحياة الحقة ، حينها تحفظ الأمة من الشرور والآفات ،وتحل الرحمات والبركات .

اللهم اغفر لعلمائنا الأحياء منهم والأموات ، واجبر كسرنا بفراق شيخنا شيخ الإسلام ابن عثيمين ، وسل مصابنا ، واخلف علينا بخير وألف بين قلوب علمائنا ودعاتنا واجعلهم من الراشدين ، واكفنا وإياهم كيد الأشرار ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٠)

ابن عثيمين والمنهج التربوي

بقلم الأستاذ : علي بن عبد العزيز السعيد
* مشرف النشاط الثقافي بإدارة التعليم بمحافظة عنيزة *

لم يكن فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته - عالماً ومفتياً فقط ، بل كان معلماً صاحب منهج تربوي يعد أنموذجاً للتربية والتعليم في عصرنا الحديث ، ولم يكن - رحمه الله - يتحدث عن منهجه وأسلوبه كثيراً ، بل كان يحرص على التطبيق ، ويترك لغيره التأمل في هذا المنهج ، واستخلاص الفوائد والعبر ، ولعلي أكون آخر من يتحدث عن منهج وأسلوب فضيلته في التعليم ، فتلاميذه والملازمون له أكثر مني دراسة في ذلك ، إلا أنني أتذكر عدداً من الوقفات التي استخلصتها عن منهج وأسلوب فضيلته من مناسبة واحدة فقط ، حينما زار الشيخ - رحمه الله - معسكر التفوق الكشفي بمحافظة عنيزة أثناء إقامة مسابقة التفوق الكشفي على مستوى المملكة لعام ١٤٢٠ - ١٤٢١ هـ والتي استضافها النشاط الكشفي بتعليم عنيزة في ذلك المساء ، حيث التقى فضيلته بحوالي أربعمائة كشاف يمثلون مختلف مناطق المملكة ، وقد تلخص ذلك اللقاء الأبوي الاجتماعي فيما يلي :

أولاً : التوزيع المنهجي الدقيق للوقت الذي استغرقه اللقاء والذي لم يزد على الساعة والنصف تقريباً ، حيث خصص جزءاً منه لكلمة توجيهية والجزء الثاني للإجابة على الأسئلة ، الجزء الثالث لإلقاء أسئلة على الحاضرين وتوزيع جوائز تشجيعية من فضيلته لكل إجابة صحيحة .

وهذا التوزيع يعطي مثالاً واضحاً على فهم ووعي فضيلته – رحمه الله – بنفسية المتلقي ، وأهمية جذب اهتمامه وجعله أكثر تركيزاً من أجل فهم أكثر ، كذلك روح الدعابة واللطف التي حرص عليها خلال هذا اللقاء لمعرفته بحاجة الشباب لذلك .

ثانياً : الجانب التربوي وإصلاح الذات اللذان حرص على تحقيقهما من خلال إجاباته على أسئلة الطلاب ، فمثلاً : سأل أحد الطلاب فضيلته : يا شيخ أنا أتيت هنا للمشاركة في هذه المسابقة دون موافقة والدي ورضاه فما الحكم ، فأجابه فضيلته بأن سفره دون علم والده وموافقته خطأ ، ولا يجوز وأن عليه ألا يكررها مرة أخرى ، أما عن هذه المرة وقد حدث الخطأ واعترافك به وندمك على حدوثه فإني أتشفع لك عند والدك لكي يسامحك فإذا عدت إلى أهلك أخبر أباك بأن الشيخ محمد بن عثيمين يقرئك السلام ويطلب منك أن تسامحني .

والمثال الآخر : في أثناء عرض فضيلته لبعض الأسئلة على الحضور ، والتي كان يهدف منها معرفة مدى تحصيلهم الفقهي والشرعي رفع أحد الطلاب الحاضرين يده فأذن له الشيخ ، فقال الطالب : سؤال خاطىء يا شيخ ، فتعالت صيحات الاستنكار من بعض الحضور لتجرؤ ذلك الطالب ، إلا أن الشيخ ابتسم وطلب من الطالب الاقتراب للمايكرفون ثم طلب منه بكل تواضع العلماء أن يبدي حجته ، وحينما أبدى الطالب وجهة نظره أعاد له الشيخ السؤال ، ووضح له ما التبس عليه ، وبين له خطأه في الفهم ، ونصحه بكل أبوية ألا يتسرع في إطلاق الأحكام قبل الفهم .

هذا غيض من فيض مما كان لدى شيخنا – رحمه الله – وهذه الفوائد

كانت من لقاء واحد لفضيلته ، فماذا سيستخلص طلابه الذين تشربوا منهجه وهم يحملون مسؤولية رصد ودراسة ذلك المنهج لهذا العالم .

رحم الله محمد بن صالح بن عثيمين ذلك الإنسان والمعلم والمتعلم والعالم ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أبناءه وذويه ومحبيه صبراً على فجيعتهم به .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٠)

العالم الرباني

بقلم الأستاذ : محمد بن صالح بن سليمان الخزيم

*** مدير المعهد العلمي في البكيرية ***

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الهادي إلى الصراط المستقيم ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد .

لا يخفى على كل ذي عقل واع ، وبصيرة نافذة ، علو شأن العلم ، وعظيم منزلته ، والعلماء الصادقون هم حملة ذلك النور ، لهذا رفع الله شأنهم ،وأعلى مكانتهم ، وسما بقدرهم .

فهم قادة ، وأئمة يهتدى بهم ، قولهم فصل ، وحكمهم عدل ، مواطنهم كمواضع القطر ، يهتدي إليهم كل طالب ، ويستقي من معينهم كل عاقل ، إن غابوا أقحطت أرضهم ، وإن حلوا زانت منازلهم .

قال تعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير** ﴾ .

ونحن في بلاد الحرمين خاصة ، وعالمنا الإسلامي عامة قد أصبنا بمصائب ، وأي مصائب ، إنها فقد الأئمة الأعلام أهل السنة والكتاب ، فما أن فجعنا بإمام أهل السنة والجماعة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – إلا ويقرع أسماعنا خبر وفاة عالم السنة النبوية وناصرها الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني – رحمه الله – .

وهكذا تتوالى فجائع العالم الإسلامي بعلمائها كعقد انقطع نظمه ،

فرحمهم الله رحمة واسعة .

وهذا مصداق قوله ﷺ : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » .

وفي مساء الأربعاء الموافق ١٥ / ١٠ / ١٤٢١ يفاجأ المسلمون عامة ، وأهل هذه البلاد خاصة بفاجعة كبرى ، ورزية عظمى ، خبرها أقلق القلوب وأسال العيون ، وذلك بفقد شيخنا وعالمنا ريحانة زمانه ، وفقيه أمته وأقرانه، إنه علامة القصيم الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، تغمده الله برحمته ، وقدس روحه .

قال الدميري :

إذا ما مات ذو علم وتقوى   فقد ثلمت من الإسلام ثلمة
وموت الصالح المرضي نقص   ففي مرآه للإسلام نسمه

فكم عرفنا عن شيخنا من خلال دروسه العامرة ، ومحاضراته الشاملة ، توجيهاته الصائبة . إنه العالم الرباني الذي نذر نفسه لمناصرة العلم ، وخدمة أهله ، وبث العقيدة الصحيحة ، والدعوة إلى كل حق ، لا تعلوه شائبة ، بل كان – رحمه الله – ذا ورع وزهد ، وتواضع ورحابة صدر ، يقول كلمة الحق ولا يبالي ، كما كان – رحمه الله – ناصحاً لعامة المسلمين وخاصتهم ، فانتفع به الكثير تدريساً وفتياً وتأليفاً ، وأعتقد أنه لا يكاد يخلو بيت من هذه البلاد من كتب شيخنا أو رسائله ، أو حتى فتاواه وأقواله .

فسبحان من زرع في قلوب الناس حبه ، فجعل له القبول والمحبة ، وهذا مما لا يدركه الإنسان بالمال والجاه ، بل بالصلاح والفلاح .

﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ ، ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ .

كم مات قوم وما ماتت مكارمهم   وعاش قوم وهم في الناس أموات

وكان - رحمه الله - صابراً ومصابراً ، إذا عمل عملاً داوم عليه ، مهتدياً بفعله ﷺ : « وكان إذا صلى صلاة داوم عليها » ، وقول عائشة - رضي الله عنها - : « كان عمله ديمة » .

فدروسه اليومية ، والمحاضرات الموسمية ، واللقاءات الشهرية ، واللقاء المفتوح في منزله ضحى كل خميس ، وغيرها ، داوم عليها من غير نقص أو ملل ، بل إنه استمر على دروسه المكثفة في الإجازة الصيفية مع ظهور بوادر الداء لديه ، وهذا إن دل فإنما يدل على صدق المقصد ، وإخلاص العلم ، فرحمه الله وغفر له .

بل كان - رحمه الله - يمكث في موضع الدرس الساعة والساعتين ، بل والثلاث ، في عزيمة وهمة عالية ، لا يعتريه ملل ولا ضجر .

وله نمط معين يسلكه أثناء إلقاء الدرس ، بل انفرد به عن غيره من العلماء الذين تلقيت عنهم ؛ لأنه أكثر نفعاً ، إذ يبدأ درسه بأسئلة عامة ، ثم حفظ المتن من قبل الطلاب ، وبعده الشرح ، ثم يخصص جزءاً للأسئلة عن الدرس .

بعد ذلك يطالب أولئك التلاميذ بمراجعة هذا الدرس لمناقشتهم به في الدرس القادم ، وهكذا.. وأعتقد أن بهذه الطريقة كانت استفادة الكثيرين من الطلاب ، ولديه - رحمه الله - ملكة عجيبة لاستحضار الآيات من القرآن وقت إقامة الدليل على المسألة ، فسبحان من منّ عليه بهذا الأسلوب

الفريد ، والعرض المميز .

فبهذه الطريقة يستفيد كل من حضر دروسه ، علماً أن دروسه يحضرها الطالب والمدرس والدكتور والمهندس والطبيب ، وكثيراً ما تفد عليه مجموعات من الطلاب في الإجازة الصيفية ، حيث تكثيف الدروس ، فمنهم من يأتي من داخل المملكة وبعضهم من خارجها ، وهذه الدروس لا تخلو من الملح والطرائف والحكم ، طارداً كل ملل وسآمة عن كل مستمع لدرسه .

فعن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – : « أجمّوا هذه القلوب وابتغوا لها طرائف الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان » .

هكذا كان – رحمه الله – حافظاً محافظاً على الوقت ، مسخره لخدمة الإسلام ونشر العلم ، كما كان عليه سلف الأمة .

والشيخ في أقواله وأحكامه يبحث عن الحق ، ومتى ما اتضح له الدليل وقويت عنده الحجة التزم ذلك القول ، وعمل به ، ولو كان مخالفاً لمذهبه ، من ذلك عمله بوجوب زكاة الحلي ، وجواز المسح على الخفين وإنا كانا مخرقين ، وكذلك الجوارب ، وجواز قصر صلاة المسافر أكثر من أربعة أيام ما دام قد نوى الرجوع لبلده ، ويرى أن لمصلى العيد تحية كغيره من المساجد ، وأن خطبة العيد تبدأ بالحمد أولاً ، وغيرها من المسائل ، وكثيراً ما كان يميل إلى أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم – رحمهما الله – بل يرجحها أحياناً على غيرهما ، وذلك لما عرف عنهما من تحقيق المسائل .

وبالجملة .. كان شيخنا – رحمه الله – من كبار العلماء ، وممن يخطىء ويصيب ، ولكن خطأه مجزي بالإحسان لبذله الجهد لإدراك

الصواب ، ومما يناسب شيخنا ما قاله عمار بن الحسن في ابن المبارك :

إذا ذكر الأحبار في كل بلدة فهم أنجم فيها وأنت هلالها

فهنيئاً لك يا فقيد الأمة ، ذلك الإرث الذي خلفته لأمتك ، إنه إرث الأنبياء والعلماء ، فرحمه الله لم يترك مجالاً في الشريعة إلا كان له فيها أثر علمي ، منه المكتوب والمسموع ، عقيدة كان أم فقهاً أم حديثاً وتفسيراً ، وغير ذلك من الدروس والمحاضرات والتوجيهات ، إضافة إلى ما صنع من العقول المربية .

بل إنك قد لا تصدق بالأعداد الهائلة التي تحضر دروسه كلها خاصة دروس الفقه والحديث .

فمثل هؤلاء لا يمكن حصرهم ، فكيف وقد مضت السنين والطلاب بين غاد ورائح ، فانتشروا في بقاع الأرض ينشرون ذلك النور الرباني ، فبارك الله في جهده ، ونفع به ، وأخيراً نقول فيه ما قال ابن دريد الأزدي في الشافعي – رحمهما الله – :

لقد غيبت أقراؤه جسد ماجد جليل إذا التفت عليه المجامع
لئن فجعتنا الحادثات بشخصه لمن لما حكمن فيه فواجع
فأحكامه فينا بدور زواهر وآثاره فينا نجوم طوالع

وأنا بهذا المقال أكون قد ذكرت جزءاً من جوانب شخصيته كما عايشته من خلال دروسه ، وما سمعته من مجلسه ، وإن كان فضله أعظم ، وجهده أكبر فسير الرجال أعظم من أن تدون بصفحة أو صفحات .

وفي هذه العجالة سطرت ما قدر عليه البنان ،وخطه القلم ، وأملاه

الجنان ، في فاجعة أهل الإيمان ، فنسأله سبحانه أن يتغمده بعفوه ورضوانه ، وأن يسكنه فسيح جناته ، وأن ينزله منازل الصديقين والشهداء ، إنه جواد كريم ، ونسأله أن يحسن علينا الخلف إنه نعم المولى ونعم النصير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤١)

دروس وعبر من وفاة الإمام ابن عثيمين

بقلم الدكتور : عبد الله بن إبراهيم اللحيدان

*** عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام ***

الموت له وقع عظيم في النفوس ، ويختلف وقعه باختلاف الأشخاص والأحوال ، ووفاة عالم من العلماء في مثل هذا الزمن رزية من الرزايا ، ونحن لا نشعر بهيبة الموت وهوله كما نشعر به عند فقد العلماء الأفذاذ ، والشيخ محمد بن عثيمين عالم نشأ على حبه الصغير والكبير ، ودخل إلى كل بيت بعلمه ومواعظه ، وكان مرجعاً للأمة يفصل في كثير من مشكلاتها وفي وفاته دروس وعبر نذكر منها ما يلي :

١ – أنه سنة الله تعالى في خلقه ماضية ، فقد كتب الفناء على كل حي : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبل الخلد أفإن مت فهم الخالدون** ﴾ ، وقد قال ابن عثيمين الشاعر :

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب ... متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب
نشاهد ذا عين اليقين حقيقة ... عليه مضى طفل وكهل وأشيب

فهو الموت يذكركم وإن نسيتموه ، ويزوركم وإن كرهتموه ، وهذا النعش سرير ركبه السلف ، وسيركبه الخلف الآباء والأبناء على حد سواء ، فماذا أعددنا لما بعد الموت .

٢ – إن العالم الحق هو من يبذل كل ما لديه للناس علماً وتعليماً ودعوة وجاهاً وشفاعة وإحساناً ، وقد ضرب الشيخ رحمه الله تعالى في

ذلك بسهم وافر ، وفي جوده يضرب المثل ، ويصدق فيه قول زهير :

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وأي جود أعظم من الجود بالعلم؟ يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – : « الجود بالعلم وبذله وهو من أعلى مراتب الجود ، والجود به أفضل من الجود بالمال ؛ لأن العلم أشرف من المال ، والناس في الجود به على مراتب متفاوتة ، وقد اقتضت حكمة الله وتقديره أن لا ينفع به بخيلاً أبداً ، ومن الجود به أن تبذله لم يسألك عنه بل تطرحه له طرحاً ، ومن الجود بالعلم أن السائل إذا سألك عن مسألة استقصيت له جوابها جواباً شافياً ، لا يكون جوابك له بقدر ما تدفع به الضرورة ، كما كان بعضهم يكتب في جواب الفتيا نعم أو لا مقتصراً عليها .. إلى أن قال فمن جود الإنسان بالعلم أنه لا يقتصر على مسألة السائل بل يذكر له نظائرها ومتعلقها ومأخذها بحيث يشفيه ويكفيه » وهذا هو شأن الفقيد رحمه الله تعالى في بذله للعلم وتعليمه الناس .

٣ – أن العبرة ليست بالمظاهر ، بل بما يحمله العالم في قلبه وفكره ، لقد كان الشيخ – رحمه الله – متواضعاً في لباسه وفي شأنه كله ، وما تواضع عبد لله إلا رفعه ، ولقد رفع الله تعالى منزلة الشيخ في قلوب المسلمين ، فأحبوه وتأثرو بفقده .

٤ – إن القبول منة عظمى يمنّ بها الله على من يشاء من عباده ، وسببها محبة الله للعبد كما في الحديث المتفق عليه ، إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله تعالى يحب فلاناً فأحببه ، فيحبه جبريل ، فينادي في أهل السماء أن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له

القبول في الأرض .

٥ – إن دأب العلماء العاملين أن يبذلوا ما في وسعهم من نفع الناس وهدايتهم إلى آخر رمق في حياتهم ، وقديماً قال أحدهم عندما سئل إلى متى يطلب العلم؟ فقال من المحبرة إلى المقبرة .

والشيخ – رحمه الله – له نصيب وافر من ذلك ، فحرص على نفع الناس وهو على فراش المرض ، وهذه منة من الله تعالى على من يشاء من خلقه ، أن ينازعه الموت وهو يبذل للناس الخير ، وهي سنة الله تعالى في أنبيائه – عليهم الصلاة والسلام – وخواص خلقه ، قال تعالى عن يعقوب عليه السلام : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي..** ﴾ .

وكان آخر كلام المصطفى ﷺ وهو على فراش الموت : الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم .

وقال عمر – رضي الله عنه – وهو على فراش الموت لفتى من قريش جاء يعوده : ارفع إزارك فإنه أتقى لربك ، وأنقى لثوبك .

٦ – إن زهد العالم في حطام الدنيا سبب عظيم في قبول الناس لقوله ، وقد كان الشيخ – رحمه الله – من العلماء الزهاد ، وكان يدعو إلى الزهد منها بقوله وفعله وهيئته .

٧ – إن سلامة الصدر وبعده عن الشحناء والغل والحسد ، من سمات الفقيد ، وهي مرتبة لا يستطيعها إلا القليل من الناس ، والشحناء والحسد تعطل منافذ التفكير والفهم ، وكم من أناس أوتوا حظاً من العقل والفهم ، ولكنهم لم ينعموا بسلامة الصدر ، فقل نصيبهم من العلم ، ومن قبول

الناس لهم .

٨ – إن من كرامة الله تعالى على العبد أن يديم عمله بعد وفاته ، وفي صحيح مسلم : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» والشيخ – رحمه الله – أوتي حظاً وافراً من ذلك كله ، والسعيد من الناس من يسعى إلى ديمومة عمله قبل أن يرحل عن هذه الدنيا .

٩ – أن العلم الشرعي أشرف العلوم وأعظمها نفعاً في الدنيا والآخرة، وجدير بكل أب لديه ابن يرى عليه أمارات النبوغ والذكاء أن يصرفه إلى تعلم العلم الشرعي الذي فيه صلاح الأمم والأفراد ، وهو السبيل إلى الرفعة في الدنيا والآخرة ، وكثير من العلماء الأفذاذ في تاريخ الأمة نشؤوا على الفقر والحاجة ، وأتتهم الدنيا راغمة ، وصدق الله تعالى : ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ .

١٠ – وفي وفاة الشيخ – رحمه الله – صورة واضحة لإكرام هذه الدولة المباركة للعلم وأهله ، وتقدير العلماء الذين نذروا أنفسهم لخدمة هذا الدين .

تلك بعض الدروس والعبر على وجه الاختصار .

رحم الله تعالى الشيخ رحمة واسعة ، وبارك فيمن يخلفه من العلماء وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(جريدة الجزيرة : العدد : ١١٨٩٨)

وداعاً أيها الإمام الرمضاني الحرمي !!

بقلم الدكتور : سعود حسن مختار

الزمان ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان لعام ١٤٠٢ هـ يجلس رجل قصير على الأرض في صحن الحرم المواجهه لباب الكعبة ، ويبدأ يتكلم بتواضع وأدب ، مبيناً أنه جلس مجلسه ذلك بأمر شيخه سماحة الوالد الإمام عبد العزيز بن باز – رحمه الله – ، ثم يشرع بشرح الآيات الأخيرة من سورة الزمر ، والتأثر بادٍ عليه ، وعندما جاء إلى الآيات التي تصف حال الفائزين كان يكرر بلهجة أهل القصيم العامية : يا الله من فضلك ، وبطريقة صادقة غير متكلفة .

يستمر هذا الإمام كالبحر المتلاطم ، ثم نسأل من هذا الجهبذ ؟ ونحن شباب حزاور نفرح بمثل هذه الجلسات التي لا نكاد نجد مثلها في ثغرنا الحبيب مدينة جدة ، فيقولون ابن عثيمين .. ويؤكد لنا أحد زملائنا بفخر أنه من مدينة عنيزة ، مدينة هذا الزميل .

ولتسهيل حفظ العلاقة كان يقول عثيمين وعنيزة كلاهما يبدآن بحرف العين ، هذه الجلسة كانت المنطلق الحقيقي لهذا الإمام ، وعلى مدى قرابة عشرين عاماً لم يتركها قط في رمضان ، كما كنا نعجب لنشاط هذا الرجل ، يبدأ درساً للدعاة وطلاب العلم في تمام العاشرة صباحاً في الدور الثاني إلى الظهر ، ثم يرد على فتاوى الناس بالهاتف إلى العصر ، ثم بعد العصر يجلس للخواص في الحرم إلى المغرب ، ثم لعله إن لم يكن مدعواً

يفطر وينال قسطاً خفيفاً من الراحة ، ثم يصلي العشاء .

وفي إحدى السنوات كان يصلي إماماً ثم يجلس للدرس ، ثم يعود للقيام الأخير ، ثم يجيب الدعوات الخاصة للدعاة وطلاب العلم والأقربين ، ثم يرجع إلى درسٍ عام في الحرم إلى شروق الشمس إلى ما بعد السابعة ، كان الوقت صيفاً ، ثم يذهب للنوم ، ويعود قبل العاشرة صباحاً ، ولقد حسبنا وقت راحته في إحدى السنوات فلم نجده يتجاوز أربع ساعات أبداً .

كان الشيخ قمة في البساطة والتواضع ، وكان يجيب دعوة أي إنسان مهما كان ، وأذكر أنه مرة جاء إلى جدة ، ودعاه بعض الوجهاء ،وبعد انتهاء العشاء دعاه عشرات الوجهاء ، والدعاة للمبيت عندهم ، وليس لهؤلاء الزهاد بيوت في كل مدينة كما هو العظماء أقصد عظماء الدنيا!! والكل كان يتمنى أن يكرمه الشيخ بالموافقة فردّ الشيخ عليهم جميعاً : لقد سُبقتم فأنا مدعو عند أحد الأبناء ، ثم ذهب وتوجه إلى شاب صغير في الثانوية ، وأخذه بيده ، وقال دعاني هذا قبلكم فأجبته ، والناس كلهم في دهشة بالغة من تصرف هذا المربي .

ولقد حدث هذا معي شخصياً قبل أكثر من عشر سنوات ، فقد رأيته مرة في مكان عام بمكة ، وقلت له : يا شيخ أتمنى لو تجيب دعوتي مرة ، وتجلس إلى إخواني وأهلي ، فقال : أين عنوانك ، قلت في جدة ، فقال : إن تنتظر إلى بعد الحج آتيك ، وإن دعوتني هنا في مكة آتيك ، فدعوته في بيت صهري عدنان يماني - رحمه الله - بالعزيزية ، فقلت له : متى آتيك يا شيخ لآخذك ، قال : لا أنا آتيك !! وأخذ العنوان ، وفي الوقت المحدد تأخر الشيخ دقائق ، فقلت لعله نسيني ، وهذا هو الطبيعي من مثله لمثلي ،

وإذا به يقف أمامي ، ثم أدخلته إلى المنزل ، وذهبت لأحضر مسجلاً لأسجل كلامه فجئت بالمسجل ، ثم ذهبت لإحضار الشاهي ودعوة إخواني الموجودين من أهلي فلما رجعت رأيته قد غير مكانه إلى مكان آخر ، وجهز المسجل بعد أن أزاح بعض الأثاث بنفسه حتى لا يعوق توصيل الكهرباء ، وأنا مندهش لتواضعه ، ثم قال : لا تكلف على نفسك ، الفول زين بمكة ويكفينا للعشاء !! .

هذه المواقف كان لها فعل السحر في قلوبنا ، وكنا نتعلم التواضع من هؤلاء الأئمة الأعلام رحمهم الله .

من مواقفه التي لا أنساها أنه دعي إلى إلقاء محاضرة في إحدى المؤسسات الرسمية ، وكانت ثمة صور كبيرة معلقة في المنصة بشكل فيه تعظيم لا يليق ، فأمر الشيخ مسؤول المؤسسة أن ينزلها فأبى ، فأصرّ ورفض أن يبدأ محاضرته قبل إنزال الصور ، ولما رفض هذا المسؤول أخذ الشيخ طلابه الذين كانوا بالآلاف وانتقل بهم إلى مسجد قريب ، حيث أقام المحاضرة!! مما اضطر هذا المسؤول للحاق به والاعتذار .

في إحدى المرات ذهبت للسلام على سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - في مسجده بالروضة بمكة ، وعند دخولي وكان وقت المغرب رأيت الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - فسلمت عليه ، ثم دخل ودخلت معه فلما سلم على ابن باز كأن الشيخ لم يتبين الصوت مع الزحام، فقال من فرد عليه بلهجة عامية ممتلئة بحماسة مشوبة بالعتاب : ولد بن سعدي بالعامية!! فضحك ابن باز واعتذر إليه ، وابن سعدي هو شيخه ومربيه .

كان للشيخ ابن عثيمين أسلوب تعليمي رائع ، فهو يسأل ويناقش ويوقف الطلاب ليعلمهم الجرأة والقضاء على الخجل ، وأذكر أنه مرة تكلم في مسألة الإجهاض ، ثم لما أُذن لصلاة العشاء أبديت رأياً طبياً له في المسألة ، وبعد استئناف الدرس ، حمد الله ، وقال : إن هنا طبيباً يقول : أخطأت يا ابن عثيمين – ولم أقلها والله ، ولكن يريد أن يعلمنا الحوار وقبول النقد رحمه الله – ، ثم أحرجني – رحمه الله – فقال : قم ، وألحّ عليّ حتى قمت ، وقلت الرأي الطبي حسب فهمي له ، ثم علق عليه – رحمه الله – وكان لربما سئل في مسألة فقال : لا أعلم ، أو قال : سوف أسأل شيخنا ابن باز ، كما حدث مرة في مسألة الإبر المغذية « الجلوكوز » ثم عاد في اليوم الثاني بإجابة الشيخ ابن باز رحمهم الله جميعاً .

أصبحت العجوز الأمية تعرف ابن عثيمين لماذا؟ لأنه نزل إلى الناس ، عاش معهم ، ولهم وغشي مجالسهم ، وسافر إليهم ، وتواضع لهم باختصار قام بدور ورثة الأنبياء الذين كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق!!

أما العلماء الذين يقبعون في أبراجهم العاجية فقد يدخلون الجنة بعبادتهم وتخفيهم ، لكنهم قطعاً لن يربوا البسطاء والعوام من أمثالنا لأنهم لم ينزلوا إلينا ، فنراهم ونتأسى بهم ، هل يفقه الفقهاء هذه المسألة البسيطة التي ضرب فيها ابن باز والألباني وابن عثيمين – رحمهم الله – أنموذجاً للعلماء العاملين النبلاء؟

رحم الله علماءنا وأسكنهم فسيح جناته ، وألحقنا بهم غير خزايا ولا مفتونين ، وعوّض الأمة خيراً منهم في زمن كثرت فيه الفتن ، حيث نحتاج فيه إلى أمثال هؤلاء .. ودمتم .

(جريدة المدينة)

ابن عثيمين .. كنز ثمين

بقلم الشيخ : ناصر بن محمد العمري

*** رئيس المحكمة المستعجلة بتبوك المساعد ***

أقول لجمع من الأحبة : إن نبأ فقد العبد الصالح فضيلة الشيخ محمد صالح بن العثيمين لن يكون بالأمر الهين ، وأسأل الله أن يعيننا على تحمله ، وأن يلهمنا الصبر والسلوان ، وعند سماعي نبأ وفاته - رحمه الله - لم أملك نفسي حيث تعثرت خطاي ، وانسكبت دموعي ، وانبح صوتي ، وزاد نشيجي ، وانفتحت نافذة التذكر على قلبي ، فلم يعد الحزن يفارقني حتى ظننت أنه فالق كبدي ، ولولا وقوف المعزين بجانبي الذي كان سبباً في سلواني ، لكان الحزن أقعدني والهم أثقلني .

هذه يا إخوتي حالتي وحالة الكثير معي ، ولا أظن عاقلاً سيلومني أو يلوم غيري في هذا العالم الرباني ، الذي هو كنز ثمين من كنوز بلادي ، فبه - بعد فضل الله تعالى - يهتدي القاصي والداني ، وعلى يديه يتوب المنحرف الغاوي ، وفى فتاواه كل نفيس وغال ، وبنور حكمته يستبصر المتغالي ، وهو فى علومه كأحمد الحراني ، وبجانب زهده تضيع أخبار بشر الحافي ، وعند ذكر كرمه تطيش أخبار حاتم الطائي ، وفي سمته وتواضعه نبراس لكل متعال ، وفي أسلوب دعوته منهج لكل آمر وناه ، فهو في الحقيقة نجمنا الساري في هذا الزمن الذي نهتدي به عند احتدام ظلام الليل وسيظل ذكره أبداً بيننا ، فالذكر للإنسان عمر ثان .

«نور على الدرب» استطار فؤاده قد كان صوتك فيه كالخفقان
ستظل تبكيك المنابر والندى ما ناح قمريّ على أغصان
ويظل شوقك في الحنايا دافئاً ما اشتاق إنسان إلى إنسان
وتظل تلهج بالدعاء خواطر ما ضر قوام إلى الأذهان
يا شيخ طافتنا السنون كأنها أحلام طيف أوسباق ثواني
من ذا يعيش وفي الفؤاد توقد أمن ينام على الجوى اليقظان
يا أمة الإسلام صبراً إنما ساعات نصر المؤمنين دواني
فامضي على سنن النبوة واحفظي عهد الوفاء لكل ذي إحسان
إني لأرجو من إلهي قربة حبي لذاك العالم الرباني

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، أن يرحم الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمة واسعة ، وأن يلهم أمتنا المكلومة الصبر والسلوان على فقده ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(جريدة عكاظ : العدد : ١٢٥٦٦)

مواقف شخصية لابن عثيمين

بقلم الشيخ : عبد الله بن عبد العزيز العفيص

لقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى بنزول الشيخ محمد العثيمين – رحمه الله – ضيفاً علينا في دارنا بمكة المكرمة في الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان لعدة أعوام ، فسعدنا بصحبته ، واستفدنا كثيراً كثيراً من علمه وعمله ، ولنزوله عندنا قصة طريفة ، فقد اتصل عمي الفاضل محمد الغامدي هاتفياً على الشيخ بالقصيم وسأله عن موعد وصوله إلى مطار جدة وكان ذلك على ما أذكر في رمضان ١٤٠٩ هـ ، فعرفنا الموعد وكنا في استقباله في المطار ، وعندما وصل الشيخ إلى المطار اتضح أن هناك شخصاً آخر في استقبال الشيخ ، وكل منا أصر على استضافة الشيخ ، فما كان من الشيخ إلا أن قرع بيننا فوقعت القرعة بحمد الله لصالح عمي ، ففرحنا كثيراً وطلبنا من الشيخ أن يكرمنا بهذا الشرف كل عام فوافق جزاه الله خيراً ورحمه بعد إلحاح شديد ما لم يصطحب أهله معه .

وكما كان الشيخ عالماً جهبذاً في علمه وفقهه كان كذلك قدوة في عمله وتعبده وزهده وورعه – رحمه الله – وقد كان يحمل هم الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، ففي ذات يوم كنا عائدين إلى السكن بعد الدرس الذي كان يلقيه عقب صلاة الفجر في المسجد الحرام ، وصلنا إلى السكن حوالي الساعة السابعة والنصف تقريباً لينام الشيخ وقت الضحى ، فقد كان لا ينام في العشر الأخير من رمضان إلا في ذلك الوقت ، حيث كان يجلس في غرفة في المسجد الحرام للرد على أسئلة المستفتين من

بعد صلاة العصر إلى صلاة المغرب شفهياً لمن يقدم عليه وهاتفياً لمن يتصل به ، وبعد صلاة التراويح يجلس للدرس حتى صلاة القيام ، ثم يصلي القيام وبعدها ينام نصف ساعة فقط قبل السحور ، ثم يصلي الفجر ويجلس للدرس حتى الشروق ، فلا يجد وقتاً للنوم إلا وقت الضحى ،وهكذا بقية العشر .

أعود للقصة .. عندما وصلنا للسكن دخل الشيخ لينام وطلب مني إيقاظه الساعة التاسعة والنصف لمقابلة وفد قدم من إحدى الدول الإسلامية وبالفعل لم تقترب عقارب الساعة من التاسعة والربع حتى وصل الوفد فأخبرتهم أن الشيخ نائم وطلب مني إيقاظه الساعة التاسعة والنصف .

واقترحت عليهم لو أنهم انتظروا ساعة أخرى حتى يستريح الشيخ فوافقوني بلا تردد ، وما أن تجاوزت عقارب الساعة التاسعة والنصف بقليل حتى وجدت الشيخ قد استيقظ من تلقاء نفسه ، وسألني عن الوفد فأخبرته أنهم وصلوا وأعلمته بما قلت لهم ، فعاتبني ، وقال : سامحك الله كان علي أن أكون في استقبالهم .

وقد كان مضرب المثل في ورعه وزهده - رحمه الله - فذات مرة ونحن في الغرفة التي يجلس بها في المسجد الحرام للرد على أسئلة المستفتين ازدحمت الغرفة كثيراً بسبب وفود قدمت من الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي ، وجاء وقت الإفطار ، فأخذ يوزع التمر على الضيوف بنفسه - رحمه الله - وقام أحد الطلبة بإدخال أحد ترامس الماء التي خارج الغرفة بجوار الباب لكثرة الناس داخل الغرفة والماء الموجود في الترمس لا يكفي ، فقال الشيخ : لا تدخله فهذا لم يوضع لنا داخل الغرفة ، وإنما للمصلين الذين بالخارج .

ومن ذلك أيضاً أنه كان يقتصد في الإضاءة داخل الغرفة ، فعندما أشعل الأنوار ، وقد تكون ثلاثاً أو أربعاً يقول يكفي واحدة أو اثنتان ، ويأمرني بذلك .

وكان في أيام كثيرة يقرأ ورده من القرآن وهو يمشي داخل السكن بعد أن يصحو من نومه ، وربما غسل شيئاً من ملابسه بنفسه ، وكان يتفقد مرافقيه ويسأل عنهم ، وإذا مشينا إلى مكان وتأخر أحدنا لسبب انتظره حتى يتبعنا .

ففي مرة كان له محاضرة في كلية البنات بمكة ، وأنزلته بجوار باب الإدارة ، وكان في استقباله المسؤول ، وذهبت أبحث عن موقف للسيارة ، وبقي ينتظرني عند الباب حتى عدت ، ولم أكن أعلم أنه ينتظرني .

وكان يساعد المحتاجين ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وهو يمشي في الطريق ، وأذكر أن امرأة من المعتمرات كانت تبكي وتشتكي أنها فقدت حقيبتها وفيها نقودها وحاجاتها ، وكنا نمشي وإذا بالشيخ يقف ويخرجه من جيبه ورقة ٥٠٠ ريال ويعطيها ويمضي .

ومرة بعد أن انتهينا من السعي للعمرة خرج الشيخ ليحلق رأسه ، وإذا برجل خارج المسعى يمسك بسيجارة ، فوعظه الشيخ بكلمة طيبة ، فكأن الرجل لم يعر الشيخ اهتماماً ومضى ، فلحقت به وقلت له : أتدري من هذا الذي يعظك؟ إنه الشيخ ابن عثيمين . فقال : صحيح ابن عثيمين؟!!

فانطلق يعتذر من الشيخ ويقبل رأسه ، فقال له الشيخ : إن كنت تريدني أن أقبل اعتذارك فاترك هذا الخبيث ، فوعد خيراً .

إن للشيخ مواقف تربوية كثيرة وعظيمة تدل على مكانته وفضله

وعلمه ، فبفقده فقدت الأمة الإسلامية علماً من أعلامها ، ونجماً من النجوم الكبار التي يهتدى بها في الظلمات ، فرحمه الله رحمة واسعة ، ونسأله سبحانه أن يجبر مصيبتنا فيه .. اللهم آمين .

(جريدة المدينة ، ملحق الأربعاء ، ٢٩/١٠/١٤٢١ هـ)

ورحل جبل العلم وعَلَمَ الزهد والورع

بقلم الدكتور: محمد بن خالد الفاضل

منذ أن عرف المسلمون في هذه البلاد وفي أنحاء العالم بمرض شيخهم ووالدهم وأستاذهم وحبيبهم العلامة الزاهد التقي الورع محمد بن صالح العثيمين وهم يغالبون الحزن والأسى، ويرفعون أكف الضراعة إلى الباري عز وجل أن يلطف بهم، ويمتعهم بشيخهم وحبيبهم سليماً معافى، ليكمل معهم ما بدأه، وما عودهم عليه من التدريس والتأليف والوعظ والفتيا، والدعوة إلى الله بعلمه وسيرته التي تذكر بسيرة الصفوة من السلف الصالح.

وجاء رمضان المبارك فازداد تعلق الناس بربهم ومولاهم، واشتد تضرعهم إليه في القنوت والأسحار بأن يعافي شيخهم ويمتعهم به، وقوي الأمل بالله في هذا الشهر الكريم - وهو قوي في كل وقت بحمد الله - ولكن إرادة الله نافذة، وحكمته بالغة، فحانت الساعة التي يخشاها الجميع ويحاولون التهرب من التفكير فيها على الرغم من المقدمات الواضحة!

ونزل الخبر على الجميع نزول الصاعة، وأحس بوقع المصيبة كل بيت في كل مدينة وقرية، وصار الناس يتبادلون التعازي في المساجد والمكاتب والأسواق، وكل فرد يحس أن المصيبة مصيبته وحده، من الملك - حفظه الله - إلى أصغر فرد، وانهالت الوفود والبرقيات لتعزية الملك وولي العهد بفقيد البلاد، وفقيد المسلمين جميعاً، وارتسمت أمام العين مشاهد وصور

تبعث على التأمل والتفكر في سر هذه العظمة والمهابة والمحبة التي أسر بها القلوب - ممن يعرفه ومن لا يعرفه - .

ذلك الشيخ الزاهد الورع الذي لو رأيته لحسبته من غمار الناس وفقرائهم ، من الذي جمع القلوب على محبته؟ وجعلها تتجاوب حزناً ورثاء من الشرق إلى الغرب ، وتملأ أعمدة الصحف والمجلات في الداخل والخارج شعراً ونثراً ، يسيل حزناً وأسى ولوعةً على فراقة : هل العلم وحده ، هو الذي جمع حوله القلوب؟ .

لقد ودعنا علماء هنا وهناك في الداخل والخارج ، فلم نر لهم كلهم هذه الهالة ، وتلك المكانة ، أو هو الزهد والورع والصدق والإخلاص؟ وكلها موجودة في الشيخ - رحمه الله كما نحسبه والله حسيبه - فإذا اجتمع العلم مع الزهد والورع والصدق والإخلاص أثمر القبول عند الناس والحب ، فإن هذه الأشياء تستجلب محبة الله ، والله إذا أحب عبداً نشر له القبول في الأرض ، فشرب الناس حبه مع الماء ، واستنشقوه مع الهواء ، وقد ثبت مصداق ذلك في السنة الصحيحة .

من ذلك قول الرسول ﷺ : «إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : إني أحب فلاناً فأحببه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء ، فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض» . متفق عليه .

ومن ذلك ما رواه أبو العباس سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس ، فقال : «ازهد في الدنيا يحبك

الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» حديث حسن رواه ابن ماجة وغيره .

ومن يتأمل في سيرة الشيخ – رحمه الله – يجد عنده من مواقف الزهد والورع ما لا يحصى ، فقد جاءته الأعطيات والهبات من الحكام والأمراء ، وكان يردها أو يوجهها للمشاريع الخيرية ، وقد ذكر سمو الأمير فيصل بن بندر – أمير القصيم – طرفاً من مواقف زهد الشيخ وورعه في حديث طويل نشرته جريدة الاقتصادية ، وذكر بعض تلاميذه وخاصته أشياء غريبة من زهده وورعه لا تكاد تصدق في هذا العصر الذي فُتن الناس فيه بالدنيا .

ولا شك بأن الزهد والورع خُلقان نبيلان يرفعان صاحبهما ويبعثان على الإعجاب به ، لكنهما ثقيلان شاقان لا يطيقهما إلا ذوو الهمم العالية والنفوس الكبيرة .

وشيخنا – رحمه الله – من أولئك الكبار الأفذاذ ، ومن مناقب الشيخ وصفاته التي جمعت القلوب حوله : تواضعه وسماحته وقربه من الناس ، وبذله نفسه ووقته للناس ، مع تحملهم والصبر على أذاهم ، ومن نظر في برنامجه اليومي الذي يبدأ قبل صلاة الفجر ، ولا ينتهي إلا بالنوم ، واستمر عليه – رحمه الله – قرابة نصف قرن لا يعرف الإجازة ولا الراحة ولا الاستجمام ، عرف أنه مُعان وموفق .

بل إنك لتعجب كثيراً عندما ترى إصراره على درسه اليومي في المسجد الحرام في رمضان في آخر أيامه ، وهو تحت العلاج ومحاط بفريق طبي في أشد حالات مرضه .

ومن مناقب الشيخ وفضائله عنايته بالشباب واستقطابه لهم ، والصبر على تربيتهم وتعليمهم والاهتمام بهم ، واستضافة الغرباء منهم القادمين من أنحاء المملكة ، من بعض دول الخليج وغيرها ، وإسكانهم في الرباط الخيري المجاور لمسجد الشيخ الذي بناه الشيخ خصيصاً لهم بتبرع من الملك خالد - رحمه الله - ولذلك فإن أشد من سيفقد الشيخ - رحمه الله - هؤلاء الأبناء الذين ليسوا من صلبه ، ولكنهم يقضون مع الشيخ من الوقت أكثر مما يقضي معه أبناؤه ، ويحظون منه بعناية ورعاية وتوجيه يصعب عليهم نسيانه أو تعويضه .

ومن مزايا الشيخ العظيمة سعة علمه وتنوع علومه ومعارفه ، وتبحره في كل فن منها : فله دروس في الفقه وأصوله ، والفرائض ، والحديث ، والمصطلح ، والتفسير ، والنحو .. وغيرها ، وله شرح في النحو نفيس على متن الآجرومية يباع في عدة أشرطة ، وقد استحييت واستصغرت نفسي عندما طُلب مني درس نحوي يومي في شرح الآجرومية في إحدى الدورات العلمية التي أقيمت في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية في الرياض عندما علمت أن للشيخ - رحمه الله - شرحاً على هذا المتن ، وما وافقت إلا مكرهاً ، لأني أعرف صحة كلام القائل : ومن قصد البحر استقل السواقيا .. كل هذا مع أن الشيخ لم يفرغ نفسه للنحو ، ولم يوجه اهتمامه إليه .

فرحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه الفردوس الأعلى ، وعوّض المسلمين خيراً .

(جريدة المدينة ، ملحق الأربعاء ، ١٠٢٩ / ١٤٢١ هـ)

وفاة الشيخ ابن عثيمين

بقلم الدكتور : أحمد بن نافع المورعي الحربي

* وكيل كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى *

حدث جلل ، وخطب عظيم ، فاجعة كبرى ، ومصيبة عظمى أصابت البلاد والأمة الإسلامية والمسلمين في كل مكان ، فاجعة هزت الأمة في كيانها ، ومصيبة أصابت الأمة في مقاتلها .

يوم الأربعاء ١٥ / ١٠ / ١٤٢١ هـ ، كان يوماً مشهوداً في تاريخ المملكة العربية السعودية ، والأمتين العربية والإسلامية ، يوم فقدت فيه الأمة علماً من أعلامها ، وإماماً من أئمتها ، أئمة الهدى والصلاح ، إنه سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، عضو هيئة كبار العلماء ، وإمام وخطيب الجامع الكبير بعنيزة ، رحمه الله رحمة الأبرار .

وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا تسد ، وإن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ، ولكن بموت العلماء ، فهم مصابيح الدجى ، وأعلام الهدى ، ومدارات الأرض ، وهم من كتب الله على أيديهم إنارة الطريق ، وتوجيه الناس ، يعلمون الحق ، ويرحمون الخلق ، هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء ، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة .

العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولادرهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ، وفضل العالم على العابد كفضل

القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العالم يستغفر له من في السموات والأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وحتى النملة في جحرها ، وإن الله وملائكته ليصلون على معلمي الناس الخير .

عالم جليل ورع متواضع امتلك سرعة بديهة ، وسعة صدر ، وفصاحة في المنطق واللسان ، عرفناه مشعل علم ومعرفة بأحكام الدين ، وموجهاً للناس ، ومبصراً لهم بما أشكل عليهم .

لقد فقدت البلاد والأمة الإسلامية علماً من أبرز علمائها وصلحاء رجالها ، فقد آتاه الله من سعة العلم ، وكمال أدب العلماء ،وفضائل المربين وحسن سمتهم وعملهم .

وكان واسع المعرفة ، مشهوداً له بمواقف الخير والجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله ، والتبليغ والإرشاد ، زاهداً في الدنيا ، قانعاً باليسير ، ماضياً على سيرة السلف الصالح ، انتفع به المسلمون في شتى أنحاء العالم الإسلامي ، يتحلى بفضائل الأخلاق ، ومكارم الصفات ، متواضعاً .

فاللهم ارحم شيخنا رحمة واسعة ، ظاهرة وباطنة ، لا تغادر ذنباً ، واخلف على أمة محمد ﷺ خير خلف ، وعوض فقده مثوبة وأجراً وصبراً جميلاً .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٦)

معالم الفقه عند شيخنا الراحل ابن عثيمين

بقلم الشيخ : إبراهيم بن محمد قاسم رحيم

إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، وإن القلب ليحزن ، والعين لتدمع ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، ونسأل الله لفقيدنا وإمامنا أن يتغمده الله بواسع رحمته ، ويسكنه فسيح جنته ، ويجمعنا به في الجنات مع النبي والأحبة من الصحابة والسلف الصالح .

وإن ما حصل ويحصل من المسلمين في أقطار الأرض من أسى وحزن ووجد وبكاء على الشيخ - رحمه الله - لهو علامة خير ، ودليل على التفاف الأمة حول علمائها ، وهم أهل لذلك ، ولكن هذا لا يعد مقصداً ، ولا هدفاً ، ولا قياماً بواجب العلماء ، إذا لم يتوج بإبراز الجوانب المضيئة في حياة الشيخ ، وإظهارها لتكون مثلاً أعلى ، وقدوة حسنة ، لأن الموافقة المبنية على دراسة سيرة العلماء ، والاقتداء المبني على فهم منهجهم ، وسلوك طريقهم ، هو الدرس المهم الذي يجب أن نستفيده من هذا الحدث المهم ، ولذلك جعل الله عز وجل الاتباع في حق النبي ﷺ دليل المحبة ، فقال سبحانه : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ .

وما هذه الكوكبة المتميزة من علمائنا الربانيين الذين افتقدناهم إلا ورثة للأنبياء ، كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ ، ولذلك فهم أعلام يقتدى بهم ، ويسار على إثرهم ، وإن هذا التوجه من هذه الصحيفة المباركة « جريدة

المدينة» لإبراز تلك الجوانب ، ولا سيما الجوانب العلمية منطق سليم ، وتوظيف لهذا الحدث ، واستثمار له فيما هو أهم وأجدى وأنفع للأمة ، وتوجيه للطاقات الواعدة من الشباب الذي يطمح للمعالي إلى التأسي بهذه المثل ، والانخراط في سلك هؤلاء العلماء ، والأخذ بمنهجهم : منهج الحق .

وقد رأيت من باب حصر الموضوع ، وتوضيح المعالم المهمة والمرتكزات الأساسية لسيرة الشيخ - رحمه الله - أن يكون حديثي عن جانب تميز به الشيخ تميزاً ظاهراً ، وفاق فيه تفوقاً مشهوداً ، وأصبح سمة ظاهرة في دروس الشيخ وجلساته العامة والخاصة وفتاويه .. إنه الفقه لأحكام الشريعة الغراء ، المبني على الفهم الواضح لنصوص الوحي ، والإدراك التام لمقاصد الشريعة ، ولذلك إذا صدرت الفتوى من سماحته - رحمه الله - فحسبك بها ، يزينها الدليل ، فيها التقعيد والتأصيل ، ويصوغها في عبارة سهلة ممتنعة ، يفهمها العامي والمتعلم ، ويحتاط الشيخ - رحمه الله - في استيعاب أبعادها بالتفريع والتقسيم ، ويحرص على توثيقها بتوقيعه عليها حماية لها من التبديل .

وإن هذه الشخصية العلمية لشيخنا وفقيدنا - رحمه الله - لم تأت من فراغ ، بل كانت حصيلة الجد والاجتهاد والسهر والتعب والهمة العالية ، والحرص على بناء الذات ، واستكمال مقومات الشخصية العلمية ، فقد كان - رحمه الله - منذ بزوغ فجره العلمي مجداً مجتهداً ، يمضي الساعات الطوال في البحث والتحصيل حتى بلغه الله هذ المنزلة ، وبوأه هذه المكانة العالية .

ومن أهم ما عني به الشيخ في بداية التحصيل وهو ما يوصينا به دائماً :

حفظ المتون في الفنون المختلفة ؛ لأنه كما قيل : « من حفظ المتون حاز الفنون » ، وفقيدنا - رحمه الله - يحفظ جملة من المتون ويستظهرها ، وفي مقدمتها كتاب الله عز وجل ، وجملة من أحاديث المصطفى ﷺ ، ولاسيما أحاديث الأحكام ، ثم متون في الفقه ، والعقيدة ، والفرائض ، والنحو والبلاغة .. وغيرها .

وسوف أوجز في النقاط الآتية أبرز المعالم في شخصية الشيخ الفقهية لتكون نبراساً يقتدى به ، ومنارة في درب الهدى والعلم النافع :

- أول ما يميز الشيخ - رحمه الله - في فقهه اتباعه لمذهب إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - حيث سار شيخنا - رحمه الله - على أصوله التي يسير عليها ، والتي بنى عليها مذهبه ، ولذلك نجد في تكوينه العلمي أنه يستظهر في الفقه متن زاد المستقنع ، وقد عني به عناية فائقة ، وما شرحه الممتع الذي أمتع ناظريه ، وسر قارئيه إلا صورة من العناية بهذا المتن المبارك ، وتجسيد حي لعلم الشيخ وعنايته بمذهب إمام أهل السنة ، وكان في شرحه لمفردات الكتاب يقول : قال الأصحاب ، أو هذا ما ذكره الأصحاب ، وما أشبه ذلك من العبارات التي تؤكد ما ذكرت ، ولكن الشيخ مع التزامه بالمذهب الحنبلي ، يرجح في مسائل الخلاف وفي جانب الفتيا ما يقتضي الدليل ترجيحه ، فهو يعتمد الدليل ، ويدور معه حيث دار ومعلوم أن مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - يعتمد الدليل من الكتاب والسنة ، ولذلك ما يميز هذا المذهب أن الإمام - رحمه الله - قد يكون له في المسألة روايات متعددة بناء على اختلاف الدليل أو صحته ، فمثلاً : في صوم يوك الشك من رمضان تعددت الروايات ، حتى بلغت ست روايات أو أكثر ، وفي حكم المضمضة والاستنشاق في الوضوء عنه ست روايات ذكرها

صاحب الإنصاف وذاك نابع من ورع الإمام وتحريه الدليل ، وشيخنا - رحمه الله - يسير على منهجه ويعتمد الدليل ، ويصرح برجوعه عنه ، ومن أمثلة ذلك :

١ - كان يرى - رحمه الله - أن مس المصحف لا يشترط له الطهارة ، ثم رجع وقال بوجوب الطهارة بناء على حديث عمرو بن حزم : « وأن لا يمس القرآن إلا طاهر » .

٢ - كان يرى - رحمه الله - أن صاحب الحدث الدائم يجب عليه أن يتطهر لوقت كل صلاة ، ثم رجع ورجح أن طهارته صحيحة ويصلي بها ما شاء مالم يتجدد سبب آخر للحدث .

٣ - كان يرى أن الكدرة قبل الحيض لها حكم الحيض إذا صاحبتها آلام العادة ، ثم رجع واعتبر الحيض هو الدم ولا عبرة بالكدرة والصفرة ونحوها .

٤ - كان يرى وجوب قصر الصلاة الرباعية للمسافر ، ثم رجع وقال بالاستحباب .

وغير ذلك كثير ، وهذا يظهر لنا حرصه على المتابعة وموافقة السنة ، وبعده عن الجمود والتعصب والتقليد .

- يحرص الشيخ على التقعيد والتأصيل ، المتمثل في حفظ المتون ، وإدراك الأصول ، وكان - رحمه الله - دائماً يركز على أن الفقه لا يقوم إلا بالأصول ، وشيخنا - رحمه الله - صاحب نظم في القواعد والأصول ، مما يدل على أنها أخذت حيزاً لا يستهان به من علم الشيخ واهتماماته ، وفي تدريسه يحاول ربط الجزئيات والفروع بأصولها ، فيذكر القاعدة أو الضابط ،

ثم يذكر الأمثلة ويربطها بالقاعدة ، ومن الصور التي تدل على ذلك : عنايته وشرحه لقواعد الحافظ ابن رجب – رحمه الله – وكان يطلب من طلابه أن يحرصوا على الحفظ والبداية المؤصلة المقعدة ، حتى يكون الطالب في علمه مستفيداً من البدايات ، وفي استمراره في طلب العلم عارفاً بالقواعد والأصول .

فمثلاً من القواعد التي استفدناها من شيخنا : أن ذكر بعض أفراد العام بحكم يوافق العام لا يقتضي التخصيص ، ومن تطبيقات هذه القاعدة ، حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ : «قضى بالشفعة من كل ما لم يقسم» ، وهذا عام ، ثم قال : فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة وهذا دليل على أن الشفعة خاصة بالعقار من أراضٍ ومبانٍ لكن هذا من باب ذكر بعض أفراد العام بحكم يوافق العام ، فلا يقتضي التخصيص .

ومن القواعد التي كان يركز عليها الشيخ : أن الفضل المتعلق بذات العبادة أولى بالمراعاة من الفضل المتعلق بمكان العبادة أو زمنها ، بمعنى أنه لو دار الأمر بين تحصيل الفضل المتعلق بالمكان أو الزمان ، وبين المحافظة على ذات العبادة فالمعتبر الثاني ، لأنها هي الأصل .

ومن تطبيقات هذه القاعدة : أنه لو دار الأمر بين أن يصلي الإنسان داخل المسجد الحرام مع الزحام والمشقة وربما مزاحمة النساء ، وبين أن يصلي في مساجد مكة غير المسجد الحرام ويؤدي صلاته بخشوع وخضوع وحضور قلب ، فالصلاة في المساجد الأخرى أفضل لهذه القاعدة .

ولو دار الأمر بين أن يدنو من البيت حال الطواف ولا يرمل ، وبين أن يبتعد عن البيت ويرمل ، فإنه يطوف ولو عن بعد محافظة على ذات العبادة

وتحقيقاً لهذه السنة .

– من معالم الفقه عند شيخنا – رحمه الله – يظهر من خلال دروسه وفتاويه تأثره بشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم – رحمهما الله – واعتماد أقوالهما دون تعصب لها ، ولا يخفى منزلة هذين العالمين وما وضع الله لهما من القبول ، وما حصل من أثر ونفع بعلومهما .

لكن شيخنا – رحمه الله – متى بان له بالدليل خلاف ما ذهبا إليه اعتمده ورجحه واعتذر عنهما ، فمثلاً : كان يرى – رحمه الله – وجوب قراءة الفاتحة على المأموم حتى في الصلاة الجهرية ، وهو بذلك يخالف المشهور من المذهب ، ويخالف شيخ الإسلام – رحمه الله – .

ويرى وجوب الزكاة في الحلي مطلقاً ، وهو خلاف المشهور من المذهب وخلاف ما يرجحه شيخ الإسلام ، وهذه أمثلة وغيرها كثير .

– استفاد شيخنا – رحمه الله – من المحققين من العلماء ، وتأثر بهم ، كشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب والشيخ عبد العزيز بن باز – رحمهما الله – .

– من العلماء المحققين الذين كان لهم أثر بارز على شيخنا في هذا الجانب العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – حيث يعتبره شيخنا شيخه الأول ، ويذكره دائماً في دروسه وفتاويه ، ويسند إليه وإلى باقي علومه ، ويثني عليه ، وربما ذكر موقفاً من مواقفه عند شرح مسألة أو طرحها ، بل بلغ من تأثر شيخنا بالشيخ السعدي ومحبته له – وهو أهل لذلك كما أخبرنا بذلك – أنه كان يقلده في خطه حتى يكتب مثله ، مع أن شيخنا كان جميل الخط .

- في سرد شيخنا - رحمه الله - لمسائل الخلاف كان غالباً يذكر القول المرجوح في نظره ، ويستدل له حتى ليخيل إلى سامعه أن يرجحه ، ثم يذكر الرأي الراجح في نظره ويستدل له ، ويعود فيناقش القول الذي ساقه أولاً ، ويناقش أدلته مبيناً مواطن الضعف فيها .

وهذا الأسلوب فيه تربية الطلاب على البحث والمناظرة واحترام أقوال العلماء واستدلالاتهم ، وفيه تقرير الراجح لأنه آخر ما يرد على المذهب فيستقر ، وهو في سياقه للأقوال يتميز بالدقة والعمق في الفهم ، والشخصية المستقلة .

ومما يدل على استقلال الشخصية عند شيخنا أنه يجتهد ويورد الخلاف ويرجح ، ويندر أن يقف عند سرد الأقوال أو سياق المذهب فقط ، ولم أحفظ عنه أنه قال إنه مقلد إلا في مسألة واحدة ، وهي عورة الأمة في الصلاة ، قال : هذه المسألة لم يتبين لي فيها شيء ، وأنا فيها مقلد للأصحاب .

- هذه الشخصية المميزة لشيخنا - رحمه الله - مكنته من التعامل مع النوازل والمستجدات بالفهم العميق ، والرؤية الثاقبة ، والنظرة الفاحصة المتأنية وعدم التسرع ، والتمشي مع روح الشريعة الإسلامية المبنية على التيسير ورفع الحرج ، بل يكون - رحمه الله - حاضر البديهة حتى فيما يعرض له من فتاوى النوازل ، لأن التأسيس المؤصل أكسبه دراسة في هذا المجال .

- أما في جانب الفتيا ، فالشيخ - رحمه الله - يفتي الناس في كل وقت في مسجده وطريقه وعبر وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة ، ومما يميز

شيخنا في جانب الفتوى ، بعد نظره وعمق فهمه في معرفة مرامي السائلين والمستفتين ، فإذا كانت الفتوى من أمور الخصومات أحال فيها السائل على المحاكم الشرعية ، وإذا كانت من أمور الطلاق تأنى في المسألة ، وأشعر السائل بخطورة ما وقع فيه ، ولا يجيبه إلا بعد إحضار أطراف القضية من الولي والمرأة ، ويحتاط شيخنا بما لا يدع فرصة للنقل الخاطىء عنه .

ولم تكن فتاويه مجرد أحكام ، بل كان يستغلها لتربية الناس وتصحيح أخطائهم ، فإذا تضمن سؤال السائل مخالفة شرعية في اللفظ أو في طريقة العرض نبهه الشيخ ، فمثلاً في مجال الدرس : إذا سأله طالب من طلابه ، واستأذنه برفع يده اليسرى ، والإشارة بها نبهه إلى ذلك ، وأحياناً يقول السائل : ما حكم الإسلام في كذا ، فينبهه الشيخ إلى أن الصواب أن يقول : ما رأيكم في كذا ، أو ما قولكم في كذا ؛ لأن الإنسان لا يدري هل يوافق قوله حكم الإسلام أم لا ، وأحياناً يتضمن السؤال الحلف بالنبي ﷺ أو غير ذلك فينبهه .

وإذا كان السؤال عما لا فائدة منه أو عما لا يقع ، وجّهَ السائل إلى ما هو أنفع وأجدى ، وهكذا تكون مجالس شيخنا وفتاويه جامعة بين العلم والحكمة والتربية .

ولكي يستوثق الشيخ من فهم السائل لما يقوله كان يطلب منه إعادة الجواب ، أو يسأله عن مدى فهمه لما قال الشيخ ، وبهذا يسترعي انتباهه ، ويشده إلى أهمية الجواب الذي أجاب به .

تلك أبرز المعالم الفقهية التي تيمز بها الشيخ ، ولولا خشية الإطالة لأوردت نماذج وأمثلة لكل أمر من الأمور السابقة ، ولكن حسبي أنها

مسجلة مدونة ، وإنما أردت التمثيل فقط ، ويقيني أن كل هذا لا يمثل شيئاً من جوانب حياة فقيدنا - رحمه الله - لكنها لمسات أحببت أن أشارك بها وفاء بحق شيخنا ، وإظهاراً لجوانب التأسي فيه ، وربطاً للأمة بموروثه .

وختاماً أسأل الله جل وعلا أن يجبر مصاب الأمة به ، وأن يحسن لها الخلف ، وأن يغفر لشيخنا ، ويجعل الفردوس الأعلى من الجنة مثواه ، وأن يجمعنا به في جنات النعيم ، والله المستعان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(جريدة المدينة ، العدد : ١٣٧٩١)

مآثر وذكريات مع والدنا العلامة ابن عثيمين

بقلم الشيخ : عبد الرحمن بن علي النهابي
* إمام وخطيب جامع الصالحية وعضو الجمعية الخيرية بالصالحية *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبي الهدى ﷺ .. وبعد ..

فإن من عظم الخطب وهول الأمر أن يسمع المرء ما يسوءه ويؤثر على نفسه ويكدر على حياته ، وسماع نبأ رحيل العلامة فضيلة والدنا الشيخ محمد عن حياتنا من هول المصائب ، إلا أن عزاءنا ما أرشد إليه النبي ﷺ من أن كل مصيبة تمر على المسلم فليتذكر مصاب المسلمين في محمد ﷺ حينما رحل إلى الرفيق الأعلى .

وعزاؤنا ما خلّفه لنا فضيلة والدنا من مآثر علمية ، ومسالك تربوية ، وتوجيهات دعوية ، زخرت بها حياته ، وحبرت في الكتب والمذكرات ، وسمعت في وسائل الإعلام والاتصالات ، وقيدت في الفتاوى عبر الرسالات والتعليق على المنشورات ، ولست بصدد ذكر ذلك وإيضاحه ، فقد امتلأت الصحف خلال الأيام الماضية بمثل هذه المآثر العظيمة ، والمناهج القويمة التي كانت عليها حياة شيخنا .

ومن نافلة القول أن أزيد ما سمعته من توجيهات ، وما حظاني به من بلاسم شافيات ، وما رسمه لي عبر هذه الحياة ، وإن كنت من الطلاب الكسالى المقصرين ، ومن المتخلفين عن ركب المطايا إلا أني حظيت معه

بذكريات ، وشنفت سمعي منه مقالات ، وارشتفت منه من المعين الصافي ، ومن القول الجيد الوافي .

فقد كنت طالباً في المرحلة الثانوية في المعهد العلمي في عنيزة ، فكان مثالاً للأب الحنون ، والمعلم المتفهم غيَر المنون ، والتربوي الواعي ، تجري من جنباته ينابيع العلم ، فكان مثالاً للسلَف الصالح ، والعالم الرباني ، يتبسط مع المتعلم ولا يرهقه حتى يتألم .

كان مربياً تتمثل فيه الصفات التربوية بكامل معانيها ، أتذكر أننا اتفقنا مع طلاب الفصل في الثانية ثانوي أن نخرج برحلة برية ليوم كامل ، فطلبنا الشيخ أن يخرج معنا فوافق مبدياً تمام استعداده للخروج ، ورعاية هذه الرحلة ، فكان في هذه الرحلة العجيب والعجاب ، والأدب والآداب ، وانظر إلى هذه الرحلة والرعاية التربوية والتوجيهات الأبوية ، وانظر إلى التقسم والتنظيم الذي تم في هذه الرحلة ، والفائدة الجمة التي خرج بها الطلاب من خلال هذه النزهة .

ولعلي أتذكر أن فضيلته بعد التوجيهات والتعليم والترتيب ابتدأنا بالسبق على الأقدام ، فكان والدنا الشيخ هو الأول مع أحد الطلاب ، فكانت النتيجة أن سبق الشيخ الطالب لقوة جريه ، ثم تتابع السباق ، ثم انتقل بنا إلى برنامج آخر وهو السباحة ، وكانت منطقة المنتزه الزغيبية ، وفيها عيون جارية موضوع عليها براك على هيئة مسابح ، وفيها المياه الصافية ، فكان الشيخ يضع قطعة من النقود الحديد داخل البركة ، ويقول أيكم يأتي به ، فيتنافس الطلاب في ذلك ، فكانت مباريات ورياضات فيها الفائدة والخير حتى استمتع الطلاب بالسباحة والسباق للوصول إلى الغرض.

ثم انتقل بنا إلى برنامج آخر وهو الرماية ، وقد أخرج فضيلته بندقية « أم حبة » أتى بها ليتمرن الطلاب عليها ، ثم اصطففنا للرماية ، ووضع غرضاً لإصابته ، حتى بدأ كل طالب يتقصد الهدف ليصيبه ، فكانت النتيجة أن أصابه البعض وأخفق آخرون .

فانظر الهدف العظيم الذي وصل إليه الشيخ من خلال هذه الرحلة الطلابية من تعليم السباحة والرماية ، والمسابقة على الأقدام يتمثل في حسن اختيار الشيخ ومدى إدراكه للفائدة التي تحصل للطلاب .

لو أن كثيراً من المربين اقتدوا بمثل هذه المناقب لحصلوا خيراً ، ولأفادوا كثيراً ، كانت تجمعنا معه في الدوريات الأسبوعية الليلية التي تجمع لفيفاً من طلبة العلم والعامة ، كان يتبسط في الكلام ، ويعطي كل متكلم حقه من الكلام ، ويجيب ، ويحاور ، ويمازح ، وربما يأتي بالنكتة ،ويوصينا بالتثبت في الأخبار وعدم الاستعجال .

وكان فضيلته لا يثرّب أحداً في المجلس ، بل إن الكثير من الجلساء قد يتجاوزون في الكلام ، فيقطع عليهم ذلك بنقل الكلام إلى موضع آخر ، وكانت جلساته توجيهاً وعلماً وفتوى ويتخللها بعض الطرائف التي تعطي الجلسة السرور والطمأنينة ، ومن فوائد تلك الجلسات أننا تعلمنا دقة المواعيد والتدقيق فيها ، بل إن فضيلته – رحمه الله – لا يمكن أن يقدم وعداً على آخر لوجاهة أو نحو ذلك ، بل كل موعد يعطى حسب الأولوية ، وكان ينهي الجلسة بالموعد المحدد ، ويقول لصاحب الجلسة كم الساعة يا فلان؟ الليل قصير ، أو الليل ذهب .

وكان كل واحد من الحاضرين للجلسة يرغب أن يوصل الشيخ إلى بيته

فتنافس عليه الإثنان والثلاثة ، ويقدم صاحب الطلب الأول أو الذي اتفق معه أولاً ، أو يستأذن الأول للآخر الذي طلب الشيخ للانفراد به لحاجة ، هذا دأبه - رحمه الله - في الجلسات .

ومن الذكريات التي مرت بنا مع شيخنا الفاضل أنه حينما طلب البحث عن إمام لجامع حي الصالحين في عنيزة ، طُلبت لأكون إماماً وخطيباً فترددت في الأمر ، ثم عزمت على أن أترك ذلك ، وحينما علم الشيخ بذلك استدعاني وطلب مني أن أقوم بذلك ، فتعللت بعجزي عن ذلك ، ثم قال : استخر الله وأفدني ، ثم تراخيت في الأمر ، فأوصى أن أصلي معه الفجر ، فلما قابلته قال : إن الأمر تعين وواجب عليك ، فقلت : لا أستطيع أن أخطب ، فقال : لا تستصعب الأمر ، وتوكل على الله ، وحينها عزمت ، وبعد مدة راجعته في أمر الخطبة ، فقال : الأمر يسير فقد كنا في أول الأمر - يعني نفسه - نستعين بخطب الماضين أو كلمة شبه ذلك ، ثم أوصاني بكلمات جميلات ، وقطوف دانيات ، فقال : اخطب ، وأنكر المنكر ، ولا توغل ولا تدخل في الأمور الشائنات ، ولا في الأحوال غير المعنيات ، وألمح فيما تقصده من تصريحات .

وأذكر أنه قال في أحاديث عن موضوع الخطب أن أعواد المنابر ليست للفضائح والشتائم ، وكان يوجهنا بالالتزام بآداب الخطب والسير بها على منهج النبي ﷺ وأصحابه ، والسلف الصالح ، وقال : يسعكم ما وسعهم ، وحينما وجهني للخطابة أرسل إليّ إعانة وإفادة وتسهيلاً مع ابنه عبد الرحمن ، كتاب « اللوامع من الخطب الجوامع » وسلمه إليّ في المعهد .

وأذكر أنه كان يأمر الخطباء بالتأني وعدم الاستعجال والتثبت في

الأمور وعدم الخروج على النظام ، وعدم استشارة الناس في الخطب ، وبلبلة أفكارهم ، ومن هذا تعرف طريقته – رحمه الله – والتي وضع فيها النقاط على الحروف ، فقد استفدت أنا وغيري في أمور الخطابة والإمامة فوائد جمة وخيرات كثيرة ألخصها فيما يأتي :

١ – أن الخطيب حينما يبدأ أول مرة يعزم ويتوكل على الله ، ويستشير في الموضوعات التي يطرحها .

٢ – أن يكون توجهه نابعاً من إخلاص وصدق ، فينكر المنكر ، ولا يوغل فيه ، ويترك الأمور التي لا فائدة منها ولا تعنيه .

٣ – لا يصرح باسماء الأشخاص أو الهيئات ، بل يلمح تلميحات من مبدأ قوله ﷺ : « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا » .

٤ – أن أعواد المنابر ليست لنشر المخازي والفضائح .

٥ – أن يسير في خطبه على منهج النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح ، فقد قال فضيلته : « ليسعكم ما وسعهم » .

٦ – عدم استشارة الناس في الخطب وبلبلة أفكارهم ، هذا ما أكد عليه فضيلة والدنا الشيخ – رحمه الله – من خلال تلك العلاقة بهذا الأمر .

ومن ذكرياتي في جماعة تحفيظ القرآن الكريم في عنيزة ، فقد كنت نائباً لفضيلة الشيخ في الجماعة خلال السبع السنوات الأولى للجماعة ، أولها حينما أسسنا الجماعة ، سرنا إلى الشيخ بعد اجتماع مصغر ضم بعض من وافقوا على فكرة تأسيس الجماعة ، وأذكر منهم فضيلة الشيخ عبد الله الصابغ ، والشيخ إبراهيم الحمد الجطيلي ، والشيخ عبد الرحمن الشمسان ،

والشيخ عبد الله المحمد الحمادي .

ثم عزمنا بعد بلورة الفكرة أن يتولى القيام على هذه الجمعية المباركة فضيلة والدنا ، وتوجهنا إلى منزله بعد موعد معه ، وطرحنا الفكرة عليه ، وقال هذا شيء طيب ، وأمر لا بد أن يحظى بالاهتمام ، وقال ومع الأسف عنيزة متأخرة في ذلك ، ثم توجهنا إليه وقلنا : لكن الأهم أن يكون فضيلتكم موجه هذه الجمعية وقائماً عليها ، فرد علينا أن أكون رئيساً لا يكون ذلك ، بل اختاروا واحداً منكم ، وأشارككم ، فألححنا عليه مرة تلو الأخرى ، وقلت سنتشرف برئاستكم للجمعية وسنحظى بقيامكم عليها في كل خير ، فبعد الإلحاح الشديد وافق – رحمه الله – .

وما كان عدم قبوله – رحمه الله – إلا تواضعه وكرهه لما فيه إدارة أو رئاسة ، ثم ابتدأ بوضع أول تبرع في الجمعية لتحفيظ القرآن ومقداره خمسة وعشرون ألف ريال ، وبعد ذلك كانت الجلسات الأولى الأسبوعية في منزله لترتيب الجمعية ووضع الأسس لها ، وقامت – ولله الحمد – هذه الجمعية المباركة ببركات فضيلته ومؤازرته ، وأصبحت – ولله الحمد – في مصاف الجمعيات الكبيرة لتحفيظ القرآن الكريم .

ومن ذكرياتي حينما كنت أراجعه لشؤون الجمعية أنه كان يتملى الخطابات ويتأملها ويراجعها نحوياً ولغوياً ، ويضع في بعض الأحيان الأساليب المناسبة للحال ، وكان لا يوقع على خطاب أو قرار إلا بعد قراءته .

ومن ذكرياتي معه أنه كان لا ينفرد بقرار ، ويقول : يعرض على المجلس ويناقش فيه الرأي ، وإذا جاءه أحد حول موضوع أو ملاحظات على الجماعة أو على حلقة خاصة أو معلم أو نحوه ، يقول لمن كلمه في ذلك :

سنناقش ذلك في المجلس وراجعونا فيه .

ومن ذكرياتي معه في مجالس الجمعية أنه يضع كل منا في اختصاصه ويوجه صاحب الاختصاص ويحثه على سرعة الإنجاز ، وكان يفوضنا في بعض أمور الجماعة لترتيب عمل أو إصلاح خطأ ، أو القيام بمهمة ، أو سفر لحضور دعوة جماعة أخرى ، فلا يعنف إذا حصل خطأ ، أو يثرب إذا حصل تأخير ، بل يقول ما حصل إلا الخير ، ويحضنا على حضور الدعوات ، ويهتم بذلك ، بل يعين المفوضين بذلك بعد قبولهم ، وكان يستقبل ضيوف الجماعة ، ويحظون منه بالكرم واللطف والعطف ، وكان هذا يدل على أن فضيلته له من الميزات والتميز في الجوانب التربوية والتعاملية ما يفوق أقرانه ، وقد لاحظت ذلك ولاحظ غيري الكثير من هذه الأمور .

وكان – رحمه الله – يأنس بقراءة الصغار للقرآن الكريم ، فكان يعرض عليه في بعض اللقاءات والمناشط التعليمية من يقرؤون بين يديه ، فكان يصغي إليهم ، ويتبادل معهم الحديث ، ويدعو لهم ويبارك عليهم ، وفي بعض الأحيان يشجعهم بالجوائز المادية في نفس الاحتفال ، ويتخير الصغار للإجابة على الأسئلة التي يطرحها لتشجيعهم وحفز هممهم .

وفي مجالس الجمعية لاحظت الورع في تعامله – رحمه الله – فلا يمكن أن يدخل على الجمعية ما لا يصح أن يدخل فيها ، أو يخرج منها ما ليس فيه مصلحة ظاهرة أو منفعة تعود على الجمعية ، ومن ذلك أنه وصلنا تبرع من آل الإبراهيم وفقهم الله بمبلغ مائة ألف ريال ، وكان الشيك مذيلاً بأنه زكاة ، فعرضنا ذلك على فضيلته فقد كان أفتى بعدم صرف الزكاة لجميعات تحفيظ القرآن الكريم ، وقلنا سنضعه في الطلاب الفقراء والمعلمين

المحتاجين ، فقال ليرد عليهم المبلغ أو يراجعون في تحويره لصرفه لغرض الزكاة وكان يقول : نحن مسؤولون عن هذا المال الذي بين أيدينا فلا نستهين ولا بريال واحد ، ويحرص - رحمه الله - وينادي في كل مناسبة أن يكون للجمعيات الخيرية موارد استثمار ، حيث إن ما في أيدي الناس أو الاشتراكات لا تدوم ، وكانت هذه الفكرة تدل على ثاقب نظره ، وعلو تفكيره ، ونظره البعيد ، مما جعل الجمعية تحتل مركزاً مالياً متميزاً .

وفي مجال اهتماماته بمجتمعه كانت له المرجعية في التوثيق بعد النظر والتحقيق والتدقيق ، فإذا ما عرض خطاب لسؤال محتاج أو طلب سؤال شفاعة حسنة طلب التزكية لصاحبه من اثنين أو أكثر ليتحقق من ذلك ، ومن ذلك كتب لصاحب حاجة وكنت أحد الشارحين المزكين صاحبه ، الموقعين عليه ، فلما عرض على الشيخ اشتبه في توقيعي ، وأراد أن يتأكد ويتحقق ، فأرسل صاحبه إليّ ، وقال يريدك الشيخ ، قال : اشتبهت في التوقيع ، وأريد أن أتحقق .

وله - رحمه الله - دور ريادي ومواقف عظيمة تجاه ما يحدث من قضايا وأحداث في بلده عنيزة ، فيراعي في ذلك المصالح العامة قبل الخاصة فكانت قضايا عامة تلقى بين يديه لإيجاد مخرج لها ، أو توجيه حكيم منه، وقضايا في الديات والطلاق وغيرها تعرض عليه ، فيبادر إلى إصدار الحكم الشرعي المعضد بالدليل من الكتاب والسنة ، فيقتنع بها المستفتي والمستقصي والمستشفي .

وكان في استقباله للمسؤولين من وزراء وغيرهم خير ناصح وباذل ما يراه يناسب الحال ، وينفع الأمة والمجتمع ، وكان من دأبه أن يسدي النصح

منفرداً بالمسؤول ، وأتذكر أنه كثيراً من يزوره من المسؤولين ، ثم تنتهي الجلسة ، ثم يقوم من جمعية الوزير أو المسؤول ويبقى مع المسؤول وحده في المواضيع التي تهم عامة البلد من مشاريع تعليمية أو بلدية أو زراعية ، أو أمور فيها محاذير شرعية .

وكان فاتحاً صدره لكل من عرضت له مشكلة ، سواء في بلده أو غيرها ، فشيخنا مؤسسة خيرية اجتماعية ، ومن المواقف التي تذكر مع أهل البلد : لما عانى أهل عنيزة من نقص في المياه تدخل - رحمه الله - في ذلك وحث المسؤولين على إيجاد حل ، وكتب وخاطب وأبدى في ذلك الرأي ، ثم أخيراً لما علمت الأسباب في النقص ، وأن البلد تحتاج إلى زيادة آبار صالحة للشرب عاضد الأهالي وشجعهم على زيادة الآبار ، وإن كانت التكلفة المرصودة من قبل المصلحة لا تكفي ، فإنه سيتولى المال الكافي ، وقد تم بالفعل رصد أكثر من مليوني ريال عن طريقه ؛ لأن هذا من المنافع العامة ، وكان ذلك قبيل مرضه - رحمه الله - وكانت حسنة من حسناته على أهل بلده .

وفي مجال توجيهاته العامة والخاصة - رحمه الله - : كان يحرص على الانتظام في الأعمال ، وطاعة ولاة الأمر ، ويشدد في ذلك ، ويرى أن معصيتهم فيما تجب فيه الطاعة من كبائر الذنوب ، ويحذر من مغبة الاختلاف والتنازع ، ويعالج بالحكمة وبيان الحق ، فكان - رحمه الله - أنموذجاً من نماذج الخير ، وينبوعاً من ينابيع العلم .

هذا ما جادت به الذاكرة ، وإني لأعلم أن فضيلة شيخنا - رحمه الله - كان لا يحب الإطراء ، ولكنها عواطف جياشة ، ومشاعر فياضة ،

أبت إلا أن أبوح بها لتكون أنموذجاً يحتذى ، ومناراً يقتدى ، ثم إني قلت في شيخنا الراحل في بعض أوصافه .

لقد كان – رحمه الله – عالماً نحريراً ، ومحققاً قديراً ، وفقيهاً نبيهاً ، وبالسلف الصالح شبيهاً ، كان ذا نفسية أريحية ، وطباع كريمة سجية ، ونموذجاً لأصناف الخير ، ومعلماً في المنهج والسيرة ، يؤمه العلماء ، ويحدثه البسطاء ، ويتواضع للفقراء ، كريماً في القول والبذل والعطاء ، مهاباً عند العامة والفضلاء ، جاهد بالقلم واللسان ، وناشد باللين والبيان ، وأقنع بالحجة والبرهان ، لا تغره المناصب ، ولا تمنع دونه الحواجب .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٦)

وقفات على عتبات الحدث الجلل

بقلم الدكتورة : نجاة حافظ

نعم رغم متابعتنا كأسرة مسلمة لأخبار شيخنا الفاضل كما يتابع الابن البار خبر والده ، ورغم معرفتنا بما ابتلاه الله به من مرض – ليرفع درجته بإذن الله – رغم ذلك فقد وقع نبأ وفاته علينا وقعاً شديداً ، تألمنا كثيراً ، وحزنا حزناً عظيماً ، وكيف لا نحزن وقد ثلم جدارنا المنيع ثلمة لا تسد إلى قيام الساعة!! .

نعم حزن الجميع لموت هذا العالم الرباني الجليل ، وبكيناه ، ورفعنا الأكف إلى العلي العظيم أن يتغمده بواسع رحمته ، وأن يجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وأن يأجرنا في مصيبتنا ، ويبدلنا خيراً ، فقد كان أشد ما يكون المرء تأسياً برسول الله ﷺ ، ولا نزكي على الله أحداً .

وهنا وعلى عتبات هذا المصاب الأليم أجد في نفسي هذه الوقفات السريعة ، والتي أولها مع تلاميذ الشيخ – رحمه الله – ووفقهم الله ، فإلى أولئك الرجال الأيتام أقول : أن تمسكوا بما كان عليه عالمنا ووالدنا – رحمه الله – ورحم من أرانا من نفسه قوة في الدين واتباعاً للمصطفى الأمين .

لقد كان يجسد لنا ما نقرأه من أخلاق الرسول ﷺ فكونوا كما كان تأسياً برسول الله ﷺ ، وسيروا على خطاه ، وتذكروا نبل أخلاقه ، فليست تلك إلا أخلاق الأكرمين المكرمين من الأنبياء والمرسلين والصالحين المصلحين

أخلاق من نحن بأمس الحاجة إليهم ليسدوا ما يمكن من ثغرات وفجوات شغرت بموت علمائنا الأكارم رحمهم الله تعالى .

وثاني وقفاتي على أعتاب هذا الحادث الجلل هي مع أنفسنا جميعاً كمسلمين ، فليت شعري .. أنعزي الشيخ الذي أفضى إلى الرب الكريم الجليل الذي عرفنا أسماءه وصفاته سبحانه وتعالى من دروسه وكتبه يرحمه الله! ، أم نعزي أنفسنا على التفريط الذي أصابنا ، والهوان الذي حل بنا؟!

هنيئاً للشيخ – رحمه الله – على ما عرفناه من تقواه وورعه ومحبته لربه عز وجل ، واتباعه لرسوله ﷺ ، ولا نزكي على الله أحداً ، نحسبه أفضل مما نعرف ، وأما نحن فقد نذرف الدمعات والعبرات ، وما هي إلا سويعات حتى نخلد إلى الدنيا التي ألهتنا وأشغلتنا عما خلقنا من أجله ، ناسين المواعظ الرقائق التي كثيراً ما ارتعدت لها أجسامنا ، واهتزت كياناتنا نرتحل لسماع علمائنا ، لعل القلب يخشع ، فنعود ويحمل بعضنا الحقد لبعض ، ونعود للهونا ولعبنا ، نلهو بالدمى لتلهينا عن المعالي وغاية المنى .

انطلق الشيخ وانضم إلى ركب المنطلقين نحو الحياة الأبدية ، مروراً بالحياة البرزخية ، وانطلق معه علمه ومعرفته بربه ، لم يصحبه غير ذلك ، انطلق وهو يحمل النور المضيء ، والمشعل المؤنس له في قبره ، انطلق كالفارس الهمام المقدام ، مع يقينه بالفوز والنصر ، انطلق مقدماً غير مدبر ، ومقبلاً غير معرض . انطلق كما علمنا وهو يحسن الظن بربه ، فهنيئاً هنيئاً .. وإلى جنات الخلد بإذن الله أيها الفارس المسجى المنطلق بكل قوة ، محمولاً على أكتاف محبيه نحو ربه الذي أحب ، وما أجملها من انطلاقة حين يقدم المرء وهو على الحق رافعاً راية الحق ، وناصراً لواء التوحيد!!.

وما أعظمها من لحظات حين يطرق باب الوصول ، وما أجلها من ساعة حين يبشر من رسل ربه أن سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، وما أروعها من دقائق حين تنبض دقات قلبه برضى ربه وخالقه ، إليس هذا ما يفرح بنيله وتحصيله؟؟ أليس هذا ما يحزن على فواته؟ بل أليس الحياة مطية للآخرة؟ فعلام التقصير أيها المقصرون؟ ولم التفريط أيها المفرطون؟ .

نعم .. إنه السباق الحقيق ، والتنافس المحمود ، والفوز المقصود ، فعلام الجمود؟!!.

وهل بقي من الوقت متسع لندرس متى نبدأ السباق وننطلق؟!! .

والوقفة الأخيرة على عتبات هذا المصاب الجلل مع الرعيل الأول ، أقول أعان الله صحابة رسوله الله ﷺ كيف تحملوا نبأ وفاته ﷺ ؟ وكيف وسعتهم الأرض بعده؟ لكنها حكمة الله ، وتثبيت الله ، وإرادة الله ، ولا راد لقضاء الله ، فاللهم ثبتنا على الحق حتى نلقاك ، وحقاً كل مصيبة تهون بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فاللهم أجرنا في مصيبتنا ، وارحم شيخنا وجميع مشايخنا ، وكل من له حق علينا .

(جريدة البلاد ، العدد : ١٦٢٣٧)

لقد أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه

بقلم الشيخ : حمد بن عبد الله القاضي

عسير على الإنسان أن يتصور خلو هذه الحياة من أولئك الربانيين الذين زهدوا في الدنيا وعاشوا حياتهم لله بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، وفضيلة الشيخ الراحل محمد بن عثيمين – رحمه الله وغفر له – واحد من هؤلاء العلماء الذين عاشوا حياتهم لله ، ومن أجل الله ، ولهداية عباد الله .

من يقرأ ترجمة حياته يجد أنها لم تكن سوى طلب للعلم ، ودعوة إلى الله ، وإفتاء للناس ، ومصادقة للمنابر ، وخطوات إلى المساجد ، هذه حياته وما أطيبها من حياة ! .

صافح وجه هذه الدنيا ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وعاش حياته بين تعلم وتعليم ومسجد ومنبر ، وكم كانت هذه علامة خير ، أما وفاته فقد مات بتقدير الله وبدون وصية ، أو قصد بجوار البيت العتيق ليصلي عليه المسلمون الذي عاش لهم ومن أجلهم في بيت الله ، ويتم دفنه في خير البقاع ، تماماً كالشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – الذي كانت خاتمة الشيخ ابن عثيمين كخاتمة حياته . رحمهما الله وجمعهما في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

إنه كما تجلت طمأنينة الإيمان وسكينته في حياة الشيخ ابن عثيمين أثناء صحته فقد تجلت خلال مرضه أكثر .

لقد روى أكثر من أخ كريم أن الشيخ – رحمه الله – كان عندما يصرون عليه من أجل الذهاب إلى المستشفى كان لا يرغب في الذهاب إلا بعد الإلحاح عليه ، وكان يردد « لعلني اشتقت إلى لقاء الله » بل حتى عندما حاولوا ثنيه عن السفر إلى مكة المكرمة في رمضان وهو في وضعه الصحي الحرج ، رفض ذلك مؤمناً ومشتاقاً إلى لقاء ربه ، ونسأل الله أنه كما أحب لقاء الله ربه أن يكون الله أحب لقاءه ، مصداقاً لحديث المصطفى ﷺ .

حتى مرضه الأخير لعل الله أراد به خيراً ، فالله لا يفعل شيئاً إلا لحكمة نعلمها حيناً ونجهلها في الكثير من الأحيان .

أجل لعل الله أراد أن يمحص ذنوبه ، ويغفر سيئاته في هذه الدنيا الفانية ليلقاه طاهراً بلا ذنوب ، مصداقاً لقول رسوله ﷺ : « ما أصاب المسلم من نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلا حط الله بها خطيئته ، ورفع له بها درجة » .

يا له من حسن ختام ، عالم عابد أصابه مرض شديد في آخر حياته ، يرحل قرب الحرم ، ويصلى عليه في الحرم ، وترتفع أيدي الطائفين والركع السجود بالدعاء له ، يا لحسن الختام .

لقد قضى آخر أيامه في مكة المكرمة متعبداً داعياً مفتياً بقدر ما تسمح به ظروفه الصحية ، وكان غاية همه عندما يخف عليه الداء أن يطلب « مكبر الصوت » ليحدث ويفتي ، إن عادة الإنسان عندما يكون مريضاً أن غاية همه السعي وطلب ما يحقق له الشفاء بعيداً عن أي شيء آخر ، ولكن الشيخ – رحمه الله – نمط آخر من الناس ، استوطن الإيمان قلبه ، وعمرت السكينة جوارحه ، وسكن الزهد في الدنيا بين تضاعيف نفسه .

كل من زار الشيخ أثناء مرضه الأخير العسير لم يجده يشكو أو يتألم بل كان يردد بصوت حميم مؤمن على من يسأله من صحته « بخير والحمد لله » وكأن ما به عارض من زكام .

ما أشد فجيعتنا بفقد هؤلاء العلماء الربانيين الذين جمعوا بين العلم في دين الله ، والزهد فيما في أيدي الناس ، فأحبهم الناس ووثقوا بهم ، وصاروا لهم مواطن طمأنينة يجدون لديهم الهدى ، وأشرعة خير ينتشلونهم من الضلالة ، ومنابر فتوى يلقون عليهم بأسئلتهم فيسعدون بتلك الإجابات والفتاوى التي ترشدهم وتريحهم وتشفي ما في صدورهم من قلق وحيرة وخوف .

إنني عاجز أن أتصور أننا سوف نفقد هذا الوجه الكريم الذي يشعرك بالطمأنينة منذ أول وهلة تلاقيه فيها .

عاجز عن تخيل كيف سنفقد هذا الصوت الحبيب الحميم ، وهو يتحدث ويفتي ويجيب بإخلاص ، راداً على أسئلة المسلمين في المساجد وعبر أثير الإذاعة .

عاجزاً أن أتخيل كيف أني سآتي إلى الجامع الكبير بعنيزة ولا أصلي معه ، وأسعد بسماع صوت تكبيره وتسبيحه ، ثم بالسلام عليه وملازمته .

ما أضيق الدنيا عندما يرحل الأخيار ، ولكن رحمة الله أكبر وأوسع ، وإن في الله عوضاً من كل مصيبة ، وهذا عزاؤنا الأوحد .

وبعد .. تنهزم الكلمات ، وتتحدث الدموع فقط عند رثاء هذه المنارة العلمية الإيمانية .

وإن أبلغ كلمات ، وأوفى رد لجميل هذا الشيخ العالم العابد الورع الذي عاش من أجل ديننا يدعو إلى الله على بصيرة ، ويرشد الناس إلى الخير والهدى ، إن أبلغ بر به ورد لجميله : أن ندعو الله له :

اللهم ارحم شيخنا الجليل ، واجعل قبره روضة من رياض الجنة ، اللهم اغسله بالماء والثلج والبرد ، اللهم جازه بالإحسان إحساناً ، وبالسيئات عفواً وغفراناً .

اللهم اجزه عنا خير الجزاء ، فقد أوقف شبابه ووقته وصحته وكل حياته من أجل إرشادنا وهدايتنا وتفقيهنا في أغلى ما لدينا من أمور ديننا .

اللهم اجمعنا به في دار البقاء والخلود ، واجعلنا وإياه ممن تدخل عليهم الملائكة من كل باب قائلين لهم : ﴿**سلام عليكم بما صبرتهم فنعم عقبى الدار**﴾ .

(المجلة العربية ، العدد : ٢٨٦)

وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

بقلم الدكتور : أحمد بن سليمان العريني
* القاضي بالمحكمة الكبرى بالرياض *

لقد فجع العالم الإسلامي بأسره ، وثلمت منه ثلمة عندما فارقه العالم العلامة الحبر البحر الفهامة سماحة شيخنا محمد بن صالح العثيمين ، صاحب الأدب الرفيع ، والجناب المنيع ، والتصنيف البديع ، فقد انتهت إليه رئاسة العلم في زمانه ، ورحل إليه الطلاب من كل حدب وصوب .

كان - رحمه الله - عالماً عاملاً لا يعرف النفاق ولا المداهنة ، غيوراً على محارم الله ، رجاعاً إلى الحق ، متمسكاً بالدليل ، يستنير بنور الإيمان ويسير بالحجة والبرهان ، من الذين رفعهم الله مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ .

فاجعة وفاته داهمت كل بيت ، وآلمت كل جهة ، فهل يا ترى سيقتصر فقده على منبر عنيزة وكرسي درسه المنيف ، أو على هيئة كبار العلماء ، أو على القضاء وطلبة العلم ، أو على المملكة العربية السعودية ، إنه فقيد العالم الإسلامي حقاً ، جبل في العلم ، مدرسة في التربية والأخلاق أمة في العبادة والزهد ، فيا لها من مصيبة عظمى ، وخطب جلل .

أما نحن القضاة فوالله لقد فقدنا مرجعاً محققاً ، وعالماً مدققاً ، فكم هرعنا إليه إذا أشكلت علينا المسائل ، أو التبست علينا الدلائل ، كنا نتصل به عند كل نازلة ، ولدينا هاتفه الخاص ، ولم يكن يعتذر ، حتى إنه ليجيبنا

وهو على الطعام ، ولكن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا لفراقك يا شيخنا لمحزونون .

ونتعزى بقوله ﷺ فيما روى عنه : «إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب» فأحسن الله عزاءنا وأعظم أجرنا وغفر لشيخنا ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي هذه الأجواء الحزينة أود توجيه كلمة قد يغفل عنها بعض من يكتبون أو يقرؤون عن الشيخ – رحمه الله – ، فأقول :

إن الشيخ قد رحل ، وهو إلى خير إن شاء الله ، لكن يبقى دور طلاب العلم من بعده من طلابه وغيرهم ، فعليهم من المسؤولية ما ليس على غيرهم ، ولنتساءل بأي شيء بلغ الشيخ وأمثاله هذه المنزلة؟ كي نستفيد من سيرهم ، لا شك أنه بلغها بالعلم والعمل ، صدق في الدعوة ، وجد في العمل ، ونشاط في العبادة ، قد بارك الله في جهوده ووقته ، كان – رحمه الله – لا يهدر لحظة من الوقت .

فعندما درّسنا لمادة العقيدة في كلية الشريعة بالقصيم ، وأجرى لنا امتحان أعمال السنة ، كان الامتحان يوم الأحد ، وفي السبت الذي يليه أحضر أوراق الإجابة مصححة ، بينما أعداد الطلاب يفوق الثمانين ، فسلّم لنا الأوراق وقال : اقرؤوها ، ومن وجد أني ظلمته في شيء من الدرجات أثناء التصحيح فليراجعني ، وأذكر أن أحد الزملاء راجعه في نصف درجة فأضافها له ، الله أكبر .. إنه الجد والإنجاز ، مع العدل والإنصاف .

كان – رحمه الله – لا يرضى بالغيبة في مجلسه بأي حال من الأحوال بل ولا التلميح بها ، ففي يوم من الأيام كنا في درسه في الجامع الكبير

بعنيزة ، فقام أحد الطلاب الخليجيين يسأل الشيخ ، فذكر في سؤاله بأن أناساً في جامعة (...) في دولة (...) يفعلون كذا ، وقبل أن يكمل سؤاله قاطعه الشيخ وزجره ، وقال له : لولا أنك غريب علينا ، ولا تعرف منهجنا لأخرجناك من الدرس ، ولكن لا تعد لمثل هذا .

وكان - رحمه الله - يعمل بالعلم ويطبقه بحذافيره ، ففي يوم من أيام شوال كنا في درسه في قاعة كلية الشريعة بالقصيم ، فسأل أحد الطلاب الشيخ عن أناس اعتمروا في رمضان الماضي ، فلما دخلوا الحرم ورأوا الزحام الشديد رجعوا إلى بلدهم ولم يتموا عمرتهم ، فقال الشيخ : أتعرفهم؟ قال : إن زميلاً لي يعرفهم ، وقد أوصاني بالسؤال ، فقال الشيخ : اخرج الآن وبلغه ليأمرهم الآن بالتوجه إلى مكة ، وإتمام نسك العمرة ، فقال الطالب : حسناً سوف أخبره بعد المحاضرة ، فقال الشيخ : لا تنتظر اخرج الآن وأخبره ، فخرج الطالب من فوره .

وكان - رحمه الله - بعيداً عن التكلف وحب الظهور ، يتبسط مع الآخرين ، ولا يرى لنفسه قدراً ، ففي يوم من الأيام كنا معه في الحرم النبوي فلما أقبل على باب الحرم خارجاً سبقه أحد الحاضرين فأحضر نعل الشيخ ووضعها أمامه لينتعل ، فتغيّر وجه الشيخ ، وقال : أعدها لمكانها ، فأعادها الرجل إلى الأدراج فأخذها الشيخ بيده ولبسها!! .

وأخباره في حسن السيرة وطيب السريرة كثيرة جداً ، يعرفها القريب منه والبعيد ، ولن يقصر طلابه ومحبوه في تسطير ترجمته ومحاسنه - رحمه الله - لكن المهم في الموضوع هو الاستفادة من سيرته ومنزلته ، والإحساس بالفجوة التي تركها الشيخ بعد وفاته ، ومحاولة سد هذه الفجوة

من قبل طلابه بخاصة ، وطلاب العلم عامة .

إن السير على نهجه ونشر علمه من الوفاء بحقه ، وكل على خير ، فمن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، فكل من اهتدى ونهل من علم الشيخ - رحمه الله - كان للشيخ أجر بذلك ، ولمن أخذ عن طلابه كذلك .. وهلم جرا ، فحري بطلابه والقريبين منه الجد والاجتهاد في نشر علمه وبذله للناس ، وحريّ أيضاً بطلاب العلم الجد والاجتهاد في نشر علمه وبذله للناس ، وحريّ أيضاً بطلاب العلم الجد والاجتهاد في طلب العلم الشرعي على أصوله تحقيقاً وتدقيقاً ، وتأسيساً ، وتقعيداً ، وإخلاص النية في ذلك لله تعالى لا لشيء آخر ، ليكون العلم نافعاً فيثمر عملاً صالحاً بعيداً عن الشحناء والتباغض وتتبع عثرات الآخرين ، والإغراق في الجزئيات التي لا طائل من ورائها ، خصوصاً المسائل التي لم يبحثها علماء السلف ، والحذر الحذر من حب الظهور ، وتصدر المجالس العلمية لمن ليس لها بأهل ، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾ وإن العلم الشرعي إذا خالطه شيء من أغراض الدنيا فسرعان ما يضمحل ويبوء على صاحبه بالخسران في الدارين .

من باب الشيء بالشيء يذكر فإني ألاحظ كما يلاحظ غيري من الغيورين على الدين تقاعس بعض طلبة العلم عن الدروس والمحاضرات أمثال كثير من القضاة وأساتذة الجامعات وهم أهل لذلك ، والناس بحاجة ماسة للعلم والتفقه في الدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فلو نظرت مثلاً إلى مدينة الرياض على اتساعها لا يخلو حي من

أحيائها من عدد من طلبة العلم في الغالب ، ومع ذلك فإنك تعدّ المساجد التي تُلقى فيها الدروس بالأصابع ، فلا شك أن هذا تقصير وتقاعس ، وطلاب العلم مسؤولون عن علمهم وتبليغه للناس ، يقول الله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتو الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾ .

ويقول ﷺ : « بلغوا عني ولو آية » .

فهل من إفاقة من رقاد ، هل من تعاون على البر والتقوى ، وصمود أمام أعداء الإسلام بالتكاتف والتماسك والاعتصام بحبل الله المتين ، هل من تعويض عما فقده العالم الإسلامي خلال أشهر معدودة من العلماء والدعاة المخلصين .

وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل لمجلة الدعوة والقائمين عليها ، فأسأل الله تعالى أن يوفقهم لكل خير ، ويجزيهم خير الجزاء ، كما أسأله سبحانه أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ، ويذل فيه أهل المعصية ، ويؤمر فيه بالمعروف ، وينهى فيه عن المنكر ، وأن يعز الإسلام والمسلمين ، ويذل الشرك والمشركين ، ويحفظ علينا ديننا وأمننا وولاة أمرنا ، وأن يعزهم بالإسلام ، ويعز الإسلام بهم ، إنه ولي ذلك والقادر عيه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(مجلة الدعوة ، العدد : ١٧٧٧)

شيخنا الذي بلّغ فبلغ

بقلم الدكتورة : أفراح بنت علي الحميضي
* وكيلة الإدارة العامة للتوجيه والإرشاد بالرئاسة العامة لتعليم البنات *

كيف لي أن أدوّن مشاعر انتابتني ، ورعشة امتلكتني ، وأنيناً مكبوتاً يختلجني ويزاحم زفرات تنفسي .. كيف أستطيع أن أتمالك وقد تهاوى صمودي .. أو أن أصمد وقد بان ضعفي .

شيخنا مات .. ذلك العالم الرباني الذي علمنا بعلمه ، وأدبنا بأدبه .. شيخنا مات .. إنا لله وإنا إليه راجعون .

أعظم الله أجرك .. وأحسن الله عزاءك .. لله ما أخذ ، وله ما أبقى ، وكل شيء عنده بمقدار .. رنين الهاتف يتواصل ..

ولكأنما أفقت بعد ذهول ..

أليس الموت غاية كل حي ..

أليس الموت كأساً سيشربه الخلق .. كل الخلق ..

فلم الجزع يا نفس والله أرحم بعباده من أنفسهم ..

ولم التفجع يا نفس والله أكرم بعباده منهم ..

إن يا نفس وقد تعلقت بالدنيا لا تجزعي وقد آمنت ، فلا تفجعي وقد أيقنت ، فهل ترين الدنيا دار قرار ، لا لم تكن للأنبياء والرسل والأمة محتاجة لهم ، فكيف لمن هو دونهم؟

لقد مرّ شيخنا في الدنيا كعابر استراح تحت شجرة ، ثم راح وتركها هل رأيت مسافراً استقر في طريق سفره ..

أي طريق عبر شيخنا؟ .

مسافر وقد وصل ..

عابر وقد زهد ..

عالم وقد بلّغ ..

يا نفس رحم الله شيخنا ومربينا بعلمه .. أوَ تذكرين حين بدأت نطق أحرفي الأولى في الدعوة .. حين وضعت خطواتي الأولى في ذات الطريق .

كنا نتذاكر .. هل كتب الشيخ في ذلك شيئاً؟

انظري إلى المجموع الثمين لربما كان فيه شيء حين كنا نبحث في مسألة .

ماذا قال ابن باز .. وماذا قال ابن عثيمين في ذلك؟

ابن باز .. وابن عثيمين .. لم نكن نجرؤ أن نفرق بينهما .. توإمان نذهل من علمهما .

عالمان عظيمان .. وزاهدان ورعان .. جمعها حب السنة ، وحب نشر العلم .. فأحبهما الناس .

تعلما من ذات المصادر .. ونهلا من ذات الموارد .. علمهما واحد .. وطريقهما واحد .. فأحبهما الناس .

وحين مرضا .. وإذ ذات المرض يجمع بينهما .. ابتلاء متشابه ،

ومنهج متشابه ، وطريق متشابهة ..

أخوان .. رحلا .. وعالمان مضيا .. ومسافران وصلا .. واستغرق في ذات الأفكار حين شق صمتي رنين الهاتف .. أعظم الله أجرك و .. وأتمالك على غير ما عهدته من نفس ضعيفة مكلومة بشيخ رباها بعلمه ، لا تظهري ضعفاً ، ويشق سمعي صوتها ، لا أستطيع .

وأعود وأتمالك مرة أخرى .. نعم مات الشيخ .. بلى مات الشيخ ..

هل كنت تظنينه استثناء من قاعدة .. وتقاطعني : لكننا نحتاجه في هذه الأوقات العصيبة التي تمر بها الأمة ، لقد كثرت المحن والإحن والفتن .

وأجمع بقايا صمود ، ويخرج صوتي قوياً على غير ما عدته ، لكأنما أعزي نفسي بعد فقد ، وأربيها بعد ضياع ، وأسليها بعد ذهول :

إن الله أرحم بهذه الأمة من خلقها .. ولئن قبض عالم فهذا زمان الالتفاف حول البقية الأحياء منهم ، وهذا وقت التحلق حول علمهم وعلم من سبق منهم .

يا محدثين هذا زمان الابتلاء .. وقد ضعف الناس .. وهذا زمان الاختبار .. وقد كثرت الفتن ، وعظمت الهمجية ، فمسافرون بكوا وتفرقوا ويئسوا وقد فُقد دليلهم .. ومسافرون وعوا وتيقظوا والتفتوا حول رسوم دليلهم حتى ولوا طريقهم وولوا غيرهم ... وينتهي الحوار .

وأعود لنفسي .. أتذكرين كيف كنا نتهادى ونحن في بدء الطريق – وما زلنا – دروس الشيخ ، مكتوبة بخط اليد ، نتدارسها ، أو كنت يا نفس تذكرين كيف كنا نجتمع عليها نتدارسها فلا نحتاج لشارح ، فقد

أوضح ما غمض ، وسهل ما تعقد ، وجمع ما تفرق .

لله دره من عالم .. لكأنما كان يغرف من بحر لا ينتهي قعره ..

أي إلهام ألهمه الله له في المسائل الفقهية .. وأي اجتهاد منحه الله له في الفُتْيات حتى ارتاحت له القلوب .. وأي مكانة سامية بلغها في نفوس محبيه .. أحبه القاصي والداني .. وفقده القريب والبعيد .. هل فقده آل عثيمين فقط؟ هل فقدته عنيزة فقط؟ هل بكى القصيم لموته فقط؟ كم طالب علم غص فلم يستطع الكلام؟ وكم إمام مسجد حار لكأنما يصلي أول مرة حين بلغه النبأ؟ كم بلد اهتزت مشاعر ساكنيها حين بلغها الخبر؟ وكم لسان ارتفع يلهج بالدعاء ..

رحم الله شيخنا وعالمنا ووالدنا ومربينا .. غفر الله لنا ولوالدينا وله فقد بلغ وبلّغ ، وأوصل علمه ووصل ، اللهم آجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها .

(مجلة الدعوة ، العدد : ١٧٧٧)

اللقاء الأخير

إعداد فضيلة الشيخ : خالد بن عبد الله الراشد

الذي حضر الدرس الأخير لسماحة الشيخ محمد الصالح العثيمين في المسجد الحرام ليلة الثلاثين من شهر رمضان الماضي ، لا بد أنه أصيب بالألم والمرارة ، ليس لأنه آخر لقاء لسماحة الشيخ بالمسجد الحرام فقط ، بل إن نبرة الشيخ قد اختلفت ، وصوته المجلجل قد تراجع وضعف ؛ ولأن الشيخ - رحمه الله - قد أدرك دنو أجله .. ولكن الإيمان بالله والثقة في الله كانت هي رصيد هذا الرجل الذي ما زال قوياً متماسكاً حتى دخل غرفة الإنعاش بعد هذا اللقاء إلى أن توفاه الله .. دعونا نقرأ ماذا دار في هذا اللقاء الأخير :

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

فإن هذه الليلة هي الليلة الموافية للثلاثين من شهر رمضان المبارك عام ١٤٢١ هـ ، والله أعلم أن يكون آخر لقاء في هذا الشهر المبارك في المسجد الحرام .

أيها الإخوة الكرام : لقد منّ الله على عباده باستكمال هذا الشهر المبارك ، وبما تيسر من الأعمال الصالحة المقربة من الله تعالى ، أسأل الله أن يجعلها وديعة لنا عنده ، مغفرة للذنوب ، وتكفيراً للسيئات ، ورفعة للدرجات .

السنة الهجرية ليس فيها إلا ثلاثة أعياد فقط ، العيد الأول : عيد الفطر من رمضان ، والعيد الثاني : عيد النحر ، والعيد الثالث : عيد الأسبوع وهو يوم الجمعة ، هذه الأعياد لها مناسبات عظيمة .

فعيد الفطر مناسبته واضحة ،وهو أنه ختام لاستكمال ركن من أركان الإسلام ، وهو الصيام ، وحق للمسلمين أن يفرحوا باستكمال هذا الركن ؛ لأن الإنسان إذا استكمله ومنّ الله عليه بالقبول فإنه يغفر له ما تقدم من ذنبه – كما جاء عن نبيه ﷺ – وهو مناسبة عظيمة ، وللصائم عند فطره من رمضان بل عند فطره كل يوم فرحتان ، الفرحة الأولى فرحة بإتمام يومه أو شهره ، وهذه الفرحة فرحة بما منّ الله عليه من إتمام الشهر أو اليوم ، وبما منّ الله به عليه من الثواب الجليل على هذا اليوم .

وأما الأضحى فهو عيد عظيم ، يجتمع فيه المسلمون من كل وجه على صعيد واحد على عرفة ، ويرتدون لباساً واحداً لا يمتاز به أحد عن الآخر ، ويدعون الله بما ييسر لهم من الدعاء ، فهو يوم عظيم ، يجتمع فيه المسلمون على عبادة واحدة يدعون ربهم ، فحق لهم أن يضعوا لهذه المناسبة عيداً يفرحون به .

وأما يوم الجمعة فهو عيد الأسبوع ، وحق له أن يكون عيداً ؛ لأن فيه صلاة الجمعة التي ميّزها الله عز وجل بميزات عظيمة لا تقوم لغيرها ، فمنها وجوب الغسل لها كما قال النبي ﷺ : «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» ، أي على كل بالغ ، ومنها أنها صلاة منفردة لا يشاركها غيرها ، فلا يجوز جمع صلاة العصر إليها ؛ لأن الجمع إنما ورد بين الظهر والعصر لا بين الجمعة والعصر ، وعلى هذا لو كنت تصلي في مكة صلاة الجمعة وتريد

أن تسافر بعد الصلاة فلا تصلي العصر جمعاً إلى الجمعة ؛ لأن الجمعة صلاة منفردة لا يجمع إليها غيرها ، بل سافر ، وإذا جاء وقت صلاة العصر فصل العصر ، هذا هو الواجب .

اللهم اختم لنا شهر رمضان بغفرانك ، وجد علنا بفضلك وامتنانك ، واجعل مآلنا إلى جنانك ، وأعد علينا شهر رمضان والأمة الإسلامية ترفل بالعز والكرامة والسلامة ، إنك على كل شيء قدير .. وإلى الأسئلة ، أسأل الله أن يوفقني لصواب الجواب :

ثم أجاب سماحة الشيخ - رحمه الله - على أسئلة الحضور ، وفيما يلي نصها :

● فضيلة الشيخ ما المشروع للمسلم فعله في يوم العيد ؟

المشروع فعله يوم العيد أن يخرج لصلاة العيد متجملاً متنظفاً ذاكراً لله عز وجل ، قال تعالى : ﴿**ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على هداكم ولعلكم تشكرون**﴾ ، ومن ذلك أيضاً أنه يشرع فيه الفرح والسرور ، لكن على وج مشروع لا زيادة فيه ولا غلو ، ولقد كان بعض الناس يبالغ في هذه المسألة ، فتجد بعض النساء والعياذ بالله يخرجن متجملات متبرجات فاتنات ، وهذا حرام عليهن ، وقد ثبت في صحيح مسلم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من ميسرة كذا وكذا » .

لكن الفرح المقيد بالشريعة أمر مطلوب ؛ لأنه يوم فرح ، ومن ذلك أيضاً أن يذهب للمسجد من طريق ويرجع من طريق آخر إظهاراً لهذه

الشعيرة العظيمة .

● فضيلة الشيخ نحن قوم قدمنا للعمرة في رمضان ، وسوف نقضي يوم العيد في مكة ، وفي بلادنا صمنا قبل المملكة العربية السعودية بيوم واحد ، فهل نصوم غداً أم نفطر؟ .

صوموا ، يجب عليكم أن تصوموا ؛ لأنكم في بلد لم يدخل فيه شوال ، فعليكم أن تصوموا تبعاً له ، وأنتم إن شاء الله مأجورون على هذا اليوم ومثابون عليه لأنكم تصومونه في نية رمضان .

● هل يجوز صرف الزكاة لحلقات تحفيظ القرآن الكريم؟ .

لا يحل صرف الزكاة لحلقات جمعيات القرآن الكريم إلا إذا صرفت للفقراء من الطلبة وأعطوا هذا لفقرهم لا لدراستهم ، فلا حرج في هذا .

● سائلة تقول : أتيت لأداء العمرة ، وقبل سفري أتت الدورة الشهرية وأحرمت من الميقات ، وفي اليوم الخامس اعتقدت أنني طهرت لما انقطع الدم فاغتسلت وأديت العمرة ، وبعد عودتي للبيت وجدت كدرة في ثيابي ، فماذا عليّ وهل عمرتي صحيحة؟ .

ليس عليك شيء ، وعمرتك صحيحة ؛ لأن الصفرة والكدرة بعد الطهر لا تعد شيئاً .

● ما حكم صلاة العيد بالنسبة للنساء ، وما الواجب على المرأة إذا حضرت صلاة العيد؟ .

صلاة العيد للرجال فرض عين على القول الراجح ، والنساء مستحب ، وإذا حضرت فلا يجوز أن تحضر بثياب جميلة يفتن الناس وتفتتن هي أيضاً ،

بل تخرج عادية بدون تجمل .

● فضيلة الشيخ .. إني أحبك في الله ، هل يجب عليّ الطواف كلما دخلت المسجد الحرام أو تكفي تحية المسجد؟ .

لا يجب على الإنسان أن يطوف كلما دخل المسجد الحرام ، والطواف عند دخول المسجد الحرام إن كان الإنسان قد جاء للمسجد الحرام ليطوف ، فإن طوافه يغنيه عن التحية ، وإن كان دخل ليستمع القرآن أو يحضر حلقة أو ما أشبه ذلك فإنه لا يطوف ، بل يكون كأي المساجد أن يصلي ركعتين ، ثم يجلس في الدرس ، وأما قول من قال إن تحية المسجد الحرام هي الطواف ففيه نظر على إطلاقه ، وقال من دخل المسجد الحرام ليطوف أغناه عن تحية المسجد ومن دخل ليحضر درساً أو يصلي فإنه يبتدىء دخول المسجد الحرام بالتحية كغيره من المساجد .

● سائل يقول : هل يشترط في صيام الست من شوال التتابع ، أو يجوز التفريق؟

لا يشترط في صوم ستة أيام من شوال التتابع ؛ لأن النبي ﷺ لم يشترط ذلك ، بل قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر » ، ولكن لا يصومها حتى يقضي ما عليه من رمضان إن كان عليه قضاء ؛ لأن النبي ﷺ قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال » ومن كان عليه قضاء وصام الست قبل هذا القضاء لم يكن صام رمضان .

● والدي توفي وفي ذمته نذر لا أستطيع الوفاء به ، فهل يلزمني شيء؟.

لا بد أن أعرف التصيل في هذا كيف كان النذر ، وكيف كان العجز عن قضائه .

● متى يجوز للمعتكفين الخروج من المسجد؟ .

يجوز للمعتكف الخروج من المسجد للأشياء التي لا بد منها ، مثل أن يلزمه غسل الجنابة فإنه يخرج ، كذلك أيضاً لو خرج يغتسل للجمعة فإنه يجوز ؛ لأن غسل الجمعة واجب على القول الراجح ، وأما الشيء الذي لا يحتاج إليه فلا يخرج إليه .

● متى ينتهي وقت الاعتكاف ، هل ينتهي بمغيب شمس يوم الثلاثين من رمضان ، أم لا بد من صلاة العيد؟ .

ينتهي زمن الاعتكاف إذا غابت الشمس ليلة العيد ، وعلى هذا فإذا غابت الشمس ليلة العيد كان للمعتكف أن يخرج إلى بيته ، وأن يبقى تلك الليلة مع أهله ، وإذا صار الصباح خرج إلى صلاة العيد .

● فضيلة الشيخ من كان عليه صيام قضاء رمضان سابق ، فهل يجوز أن يصوم الست قبل الفراغ من قضاء رمضان الماضي؟ .

تكلمنا على هذا وبيّنا أن صيام الست من شوال لا يجزىء حتى يتم ما عليه من قضاء رمضان .

● ما هو أصح ما جاء في صفة التكبير ليلة العيد ويومه؟ .

الأمر في هذا واسع ؛ لأن الصحابة روي عنهم في ذلك أنواع : فإذا قال الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد فصحيح ، وإذا قال : الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله وحده لا شريك لك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الله أكبر الله أكبر ولله الحمد فلا بأس ، وإذا قال : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله وحده لا شريك له

له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الله أكبر الله أكبر ولله الحمد فلا بأس :

● لي أقارب لديهم من المعاصي الشيء الكثير ، وقد قمت بنصحهم فلم يستجيبوا لي ، فهل لي الحق في مقاطعتهم أم يجب عليّ صلتهم؟ .

يجب عليك أن تصلهم وتنصحهم وتكرر لهم ، وأن تبين لهم فضل طاعة الله ورسوله ﷺ وتحذرهم من مخالفة الله ورسوله ، ولا تيأس ربما لا يستجيبون في أول مرة ، ويستجيبون لك في المرة الأخرى .

● هل يجوز تقديم طواف الوداع على صلاة العشاء ثم السفر بعد انقضاء الصلاة؟ .

إذا كان حين طاف الوداع أقيمت الصلاة وصلى ودفع فلا بأس ، وأما إذا طاف بعد المغرب وقال سأنتظر صلاة العشاء فنقول له إذا صليت العشاء فأعد طواف الوداع .

● من أحرم بالعمرة في آخر يوم من رمضان ولم يفعل أعمال العمرة إلا بعد غروب الشمس أي في ليلة العيد ، فهل تعد عمرته في رمضان؟ .

لا تعد عمرته في رمضان ؛ لأن النبي ﷺ قال : «عمرة في رمضان» وهذا إنما كان في رمضان أول العمرة ، وآخرها في شوال .

● ما حكم سفر المرأة للتدريس بدون محرم ، وهل يشترط لجواز السفر بقاء المحرم معها؟ .

لا يجوز للمرأة أن تسافر بلا محرم لا للتدريس ولا للحج ولا للعمرة لقول النبي ﷺ وهو يخطب للناس : «لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم»

فقام رجل فقال : يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة ، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا ، فقال له النبي ﷺ : « انطلق فحج مع امرأتك » .

وإلى هنا ينتهي هذا اللقاء المبارك ، أسأل الله أن يعينني وإياكم على الخير ، وأن يتوفانا على الإسلام ، وأن يجعلنا من دعاة الخير وأنصار الحق ، إنه على كل شيء قدير » .

كان هذا هو آخر لقاء لسماحة الشيخ صالح بن محمد العثيمين في المسجد الحرام ، وبعدها نقل سماحته للمستشفى على الفور حتى لاقى وجه ربه ، نسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه ،،،

(مجلة الدعوة ، العدد : ١٧٧٧)

وداعاً .. فقيد الأمة

للشاعر الدكتور : خالد بن سعود الحليبي

حق للقلوب المؤمنة أن تنزف ألماً ، وتذرف دماً ، وتذوب حزناً عليك يا شيخنا ، فأي مصيبة أعظم من أن يثلم الدين بمثلك ، وأن تنتقص الأرض بقبضك .

أيها الراحل عن دنيا الآهات والحاجات ..

من لمن كنت - بعد الله - لهم ؟!!

وراء سترة السكون !!

بعيداً بعيداً عن نظرة الهوان أو فضول العيون !!

يا جبل العلم الأشم ..

تيبست أرف المستفتين على حلقة بوابتك ..

وانكسرت قلوب المتحلقين حول معين محرابك ..

وانفضت الجموع بعد أن غار وردك ..

في مسجدك .. في منزلك ..

يا وحشة الصباح ..

يا فجعة المساء ..

يا لحظة العطاء دائماً ترافقك .. في مجلسك .. في مشيتك .. في مضجعك ..

تجمرت .. تلهبت .. ترمدت ..

وارتد طرفها الحزين .. دون أن تضمها بمبسمك ..

لكأني أستمع إلى بكاء أسود الله في ساحات الوغى ..

ينعون صوتاً .. ويداً .. ولساناً .. وسناناً ..

أي عزاء أسوقه إليكم يا تلاميذه الأوفياء؟ .

إنه اليتم .. الذي لا ينتهي بعمر .. ولا يسد بمال! .

يا منبره الحزين ..

ترى من سيُسكّنُ روعك .. ويضم جذعك؟!

فلتصنع من أنينك لوحة ليلية تقبر الشهب والأفلاك ..

فلقد مات .. مات من كنت تهتز تحت قبضته الرقيقة .. وقلبه الخفوق بحبك ..

فلتفرح عن كل دمعة كان ورع شيخك يحبسها ..

وعن كل آهة كانت حكمته تكبح ضرامها ..

وعن كل كلمة كانت حرقته تبدعها ..

ولتجمع منها كلها نهراً من الدمع ينهل من كل قلب أحبه .. وأحبه .. وأحبه ..

حتى إذا ارتحت وأرحت .. فافتح لنا من نافذة الصبر والاحتساب ما نلقى الله بمثله ، فلعلنا نتأسى بصبره فنتصبر عنه ، ونرى احتسابه فنحتسب الأجر فيه ..

ولا نقول إلا ما يرضي ربنا .. إنا لله وإنا إليه راجعون ..

جهود الشيخ ابن عثيمين في بيان العقيدة ومنهجه في تقريرها

بقلم الدكتور: أحمد بن عبد الرحمن القاضي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله تعالى بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى بمنه وفضله نزّل الذكر على عبده ، وتكفل بحفظه ، فهو ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** ﴾ ، وطمأن عباده المؤمنين فقال : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ ، وكان من مظاهر حفظ الدين وأسبابه أن قيّض الله من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وهم بقايا أهل العلم والإيمان ، ورثة محمد ﷺ ، وخلفاؤه في أمته بالعلم النافع والعمل الصالح .

فلم يزل الله سبحانه وتعالى يصنع لهذه الأمة ، ويجدد لها ما اندرس من أمر دينها ، وما اندثر من سنة نبيها ﷺ إلى يومنا هذا ، كما بشر بذلك ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – : « إن الله يبعث

لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » ، وهؤلاء المجددون يستعملهم الله في إقامة الدين ؛ أصوله وفروعه ، وردِّ الناس على الجادة الصحيحة ، والمهيع الرشيد ، حين ينحرفون عنه أو يهجرونه ، وربما انتدب الله لهذا الأمر جماعة من المجددين على رأس كلِ قرن ، بل هو الواقع ، فلا تقتضي دلالة الحديث السابق أن يكون المجدد فرداً ، قال ابن الأثير - رحمه الله - : « والأولى أن يحمل الحديث على العموم .. ولا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلاً واحداً ، وإنما قد يكون واحداً ، وقد يكون أكثر منه ؛ فإن لفظه « من » تقع على الواحد والجمع » .

كما ذكر العلماء أن من صفة هذا المجدد وشرطه أن يأتي عليه رأس القرن - وهو أوله - وهو حي عالم مشهور بنصر السنة وقمع البدعة .

وأحسب أن شيخنا الإمام الفقيه المفسر الأصولي الداعي إلى الله على بصيرة محمد بن صالح العثيمين - قدّس الله روحه ، ونوّر ضريحه - ممن ينطبق عليه هذا الشرط ، وذلك الوصف ، في طائفة من أهل العلم والإيمان على رأس القرن الخامس عشر الهجري .

ولا ريب أن أعظم أركان التجديد ، تجديد أمر الإيمان وتجليته ، وشد معاقد الاعتقاد وتقويته ، وكشف شبه الابتداع وتنحيته ، وقد كان له - رحمه الله - في هذا المضمار قصب السبق في تقريره وتقريبه ، ومواجهة نوازله ، والتصدي لخصومه ، وسوف نتناول في هذه المقالة أمرين :

أحدهما : جهوده - رحمه الله - في بيان العقيدة .

ثانيهما : منهجه في تقريرها .

وذلك بالتتبع والاستقراء لسيرته وأعماله وآثاره مما هو مسطور في كتبه

أو عَلِمه الكاتب من مخالطته .

أولاً : جهوده في بيان العقيدة :

لما كان صلاح الباطن أصل صلاح الظاهر اتجهت همته - رحمه الله - إلى إصلاح القلوب وتنقيتها من شوائب البدع العقدية والظنون الفاسدة ، وعمارتها بما خلقت له من العبودية التامة ، والاعتقادات الصحيحة . وقد تنوعت جهوده في هذا السبيل ، وتوسل بجميع الوسائل الشرعية لبلوغ هذا الهدف النبيل ، فمن ذلك :

١ - التأليف في مسائل الاعتقاد الإجمالية والتفصيلية : وقد جاء في صورٍ متعددة :

أ - التلخيص والتقريب : فقد عمد الشيخ - رحمه الله - إلى بعض مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - التي تأثر بها ، وانتفع بقراءتها في مستهل شبابه ، فأعاد ترتيبها وتبويبها ، وهذبها ، وقرب معانيها للقراء ، وصنع لها العناوين الدالة ، والتراجم المعبرة ، والتعريفات الجامعة المانعة لما ورد فيها من مصطلحات عقدية ، وهي :

* فتح رب البرية بتلخيص الحموية : وهو أول كتاب صنّفه في حياته ، وقد طبع أول مرة سنة ١٣٨٠ هـ وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة ، لخّص فيه «الفتوى الحموية» لشيخ الإسلام ابنِ تيمية - رحمه الله - وهي من أعظم فتاواه أثراً ، وأبلغها حجة ونظراً ؛ فلا غرو أن تجتذب همة شيخنا وعنايته في مقتبل عمره ، لما تضمنته تلك الفتوى العظيمة من الأدلة القاطعة ، والتقولات الواضحة عن أئمة السلف المتقدمين أن مذهبهم في باب الصفات هو الإثبات ، لا التحريف ولا التعطيل ولا التمثيل ولا

التفويض ، قال شيخنا - رحمه الله - : « ولما كان فهم هذا الجواب والإحاطة به مما يشق على كثير من قرائه أحببت أن ألخص المهم منه ، مع زيادات تدعو الحاجة إليها » .

* مذكرة على العقيدة الواسطية : وهي أيضاً من تالد آثار الشيخ - رحمه الله - ألّفها « مذكرة للمهم من مقرر السنة الثانية الثانوية في المعاهد العلمية في التوحيد على العقيدة الواسطية » ، وقد سلك فيها مسلك التلخيص والتقريب ، بوضع التقسيمات النافعة ، والتعريفات المركزة ، مع المحافظة على مضمون الأصل ، وإضافة ما تدعو الحاجة إليه ، ومن المعلوم أن شيخ الإسلام - رحمه الله - كان يحتفي بها ، ويحيل عليها ، ويتحدى الخصوم أن يأتوا بحرفٍ واحد عن أحد من السلف يخالف ما جاء فيها .

وقد كانت هذه العقيدة المباركة أول متن يتعلمه شيخنا في صباه على يد أحد المعيدين من كبار تلاميذ شيخه عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - فظل يعتني بها تلخيصاً وشرحاً وتدريساً كما سيأتي :

* تقريب التدمرية : وقد قرب فيها الشيخ رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية ، الموسومة بـ « تحقيق الإثبات للأسماء والصفات ، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع » ، المشهورة اختصاراً بـ « التدمرية » قبل وفاته بإحدى عشرة سنة تقريبا ؛ لما رأى من صعوبتها على طلبة جامعة الإمام ، أثناء تدريسهم إياها - كما أخبرني - مع عظم قدرها ، وقوة إحكامها ، قال في مقدمتها : « هذه الرسالة من أحسن وأجمع ما كتب في موضوعها ، على اختصارها ، ومن أجل ذلك فإني أستعين الله - عز وجل - في لمّ شعثها

وجمع شملها وتقريب معانيها لقارئها ، مع زيادة ما تدعو الحاجة إليه ، وحذف ما يمكن الاستغناء عنه على وجه لا يخل بالمقصود » .

وهذا اللون من التصنيف خدم هذه المتون العقدية خدمة جمّة ، ويسرها لطالبيها ، فانتفع بها المبتدئ ، واستفاد منها المنتهي ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ب – الشرح والتعليق : سلك الشيخ – رحمه الله – هذا المسلك تجاه بعض المتون المهمة التي تحتاج إلى مزيد بسط لبيان مجملها ، وتحليل عباراتها ، وكشف مشكلها ، وهي :

* شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد : شرح فيه الشيخ – رحمه الله – « لمعة » الموفق أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي – رحمه الله – ، وفرغ منه من مطلع سنة ١٣٩٢ هـ ، وكان مقرراً على طلاب المعاهد العلمية فترة من الزمن ، وقد وصف عمله فيه بأنه : « كلمات يسيرة تكشف غوامضه ، وتبين موارده ، وتبرز فوائده » .

* شرح العقيدة الواسطية : وهو من الأصل مستنسخ من التسجيل الصوتي لشرح فضيلته وتقريره على الطلبة في الجامع الكبير بعنيزة ، على العقيدة الواسطية ، فطبع لأول مرة على تلك الصفة ، ثم راجعه – رحمه الله – وصححه ، وقال في طبعته الثانية : « لما كان الشرح المتلقى من التقرير ليس كالشرح المكتوب من التحرير ، رأيت من المهم أن أقرأ الشرح بتمهل ، من أجل إخراج الشرح على الوجه المرضي ، ففعلت ذلك ولله الحمد ، وحذفت ما لا يحتاج إليه ، وزدت ما يحتاج إليه » ، وكان فراغه من تنقيحه سنة ١٤١٥ هـ ، فوقع من مجلدين .

* القول المفيد على كتاب التوحيد : وهو شرح قيم جليل على متن « كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد » لشيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – ، وقد تضمن تقريرات نافعة ، وبحوثاً مفيدة دقيقة في مسائل التوحيد العلمي والعملي ، وهو كسابقه مستنسخ من الأشرطة ، لكن جرت قراءته عليه في درس الجامع الكبير عدة ليالٍ حتى أتمه ، سنة ١٤١٤ هـ ، ووقع في ثلاثة مجلدات

* شرح الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – .

* تفسير آية الكرسي : تضمن الكلام على أصول عقدية هامة في الأسماء والصفات .

* شروح أحاديث الاعتقاد : وهي رسائل مفردة في بعض الأحاديث النبوية في باب الاعتقاد ، مثل حديث جبريل في الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وعلاماتها ، وحديث ابن مسعود في القدر ، وحديث عائشة في الاتباع ورد الابتداع .

ج – التأليف ابتداءً في مجمل الاعتقاد ومفصله ، فمن ذلك :

* نبذة في العقيدة الإسلامية : وهي رسالة واضحة مختصرة ألّفها – رحمه الله – لطلاب السنة الثالثة الثانوية في المعاهد العلمية سنة ١٤٠٢ هـ ، عرّف فيها دين الإسلام وأركانه تعريفاً إجمالياً ، ثم أفاض في بيان أسس العقيدة الإسلامية ، أركان الإيمان الستة ، بأسلوب بيّن منظم ، يذكر ما يتضمنه كل ركن من أركان الإيمان بالأدلة النقلية والعقلية ، منبهاً على من ضل في كل باب ، ويختم ببيان ثمرات الإيمان بكل ركن على حدة ،

وينهي الرسالة بتعداد أهداف العقيدة الإسلامية ، وهذه النبذة حرية أن يُبتدأ بها في دراسة العقيدة ، وأن تقدم لكل راغب في معرفة الإسلام لوضوحها وإحاطتها واختصارها .

* عقيدة أهل السنة والجماعة : وهي عقيدة مركزة مختصرة في مجمل الاعتقاد ، قرر فيها – رحمه الله – مسائل الاعتقاد على طريقة السلف المتقدمين في سرد عقيدتهم ، وقد قدم لها شيخه الإمام عبد العزيز بن باز – رحمه الله – وأثنى عليها ، ثم قال : « وقد ضم إلى ذلك فوائد جمة تتعلق بالعقيدة ، قد لا توجد في كثير من الكتب المؤلفة في العقائد » .

* القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى : قعّد فيها – رحمه الله – قواعد محكمة رصينة في أسماء الله تعالى ، وفي صفاته ، وفي أدلة الأسماء والصفات ، وحررها تحريراً بالغاً ، وطعمها بالأمثلة والتطبيقات الكاشفة ، والحجج القوية الباهرة ، ثم انعطف على أهل التأويل الفاسد مفنداً شبهاتهم ، مبيناً اطراد طريقة أهل السنة والجماعة في نصوص الصفات من خلال خمسة عشر مثالاً ، يلوّح بها أهل التحريف على ضرورة التأويل الفاسد ، فنزّلها – رحمه الله – منازلها ، وحملها على مراد الله ورسوله ﷺ ، وقطع شبه الجاهلين والمجادلين ، ثم عقد فصلاً في الكلام على أبي الحسن الأشعري – رحمه الله – وأصحابه على قواعد العدل والإنصاف ، وقدّم له أيضاً سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز – رحمه الله – وأثنى عليه وعلى كتابه .

وقد ألّف شيخنا – رحمه الله – هذين الكتابين : العقيدة ، والقواعد سنة ١٤٠٤ هـ ، بعد أن شغب عليه بعض السفهاء ، وطعن في عقيدته

بسبب سوء فهمهم لكلام صدر منه في صفة المعية - كما سيأتي - فألّف هذين الكتابين العظيمين ، وكما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طُويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيب عرف العود

٢ - **الخطابة** : اعتلى شيخنا - رحمه الله - منبر الجامع الكبير في عنيزة ثاني جمعة بعد وفاة شيخه عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - الذي توفي يوم الخميس الموافق للثالث والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ هـ ، وبين أول جمعة خطب فيها في غرة رجب ١٣٧٦ هـ ، وآخر خطبة جمعة ألقاها في ١٤٢١/٧/٣٠ هـ أكثر من خمس وأربعين سنة ، ضمت نحو ألفين ومائتين وخمسين خطبة منبرية ، سوى ما تخلل ذلك من خطب العيدين ، والاستسقاء ، والكسوف ، مما لا يحصيه إلا الله ، فكان مثالاً يحتذى في إخلاص النية ، وإصلاح العمل ، وتوجيه الناس إلى الخير ، بقدر ما يستطيع بأسلوب بيّن واضح للعام والخاص ، وكان لبيان أمور الاعتقاد ومسائل الإيمان منها النصيب الأوفر ، كما يتضح ذلك في مسرد خطبه التي انتقاها ، وألف منها ديوان خطبه الحافل : « الضياء اللامع من الخطب الجوامع » ، فكان يفرد خطباً بأكملها في شرح أسماء الله الحسنى ، وبيان آثارها ، وخطباً في ذكر آيات الله الكونية ، ومظاهر الربوبية المستلزمة لتوحيد العبادة ، وخطباً في النبوة ودلائلها ، وفي الإيمان بالقدر ، وفي الساعة وأشراطها ، وأحوال القيامة ، وصفة الجنة والنار ، وغير ذلك ، بل إن خُطب الأخلاق والأحكام كان يسوقها - رحمه الله - في إطار الإيمان كطريقة القرآن .

ومما تضمنته خطبه التحذير من البدع العقدية الطارئة ، كبدعة المولد وبدعة الدعوة إلى تقارب الأديان ، والذهاب إلى السحرة والمشعوذين ، والتحذير من الخرافات المتداولة بين الناس ، كخرافة سادن الحجرة النبوية ، وقصة السيدة زينب المزعومة ، وقد رأيته بنفسي يقوم بتمزيق هذه الأوراق المتداولة ، وهي على المنبر ، ليكون أبلغ في التحذير ، وأعظم في التأثير .

٣ - **الدروس العلمية** : لم تخل دروس الشيخ المسائية والصباحية في الإجازات الصيفية من شرح متن من متون الاعتقاد ، أو قراءة كتاب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة ، ومن أهم المتنون العقدية التي كان يقررها - رحمه الله - :

- العقيدة الواسطية .
- الفتوى الحموية .
- منظومة السفاريني .
- لمعة الاعتقاد .
- كتاب التوحيد .
- القواعد المثلى .
- الرسالة التدمرية
- عقيدة أهل السنة والجماعة .

كما قرأت عليه النونية والميمية لابن القيم ، واقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية .

وفي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم درّس أجيالاً من الطلبة الرسالة التدمرية ، والعقيدة الطحاوية ، كما كانت دروسه في المسجد الحرام في شهر رمضان جسراً لنقل العيدة السلفية إلى سائر بلدان المسلمين .

٤ - **المحاضرات العامة** : كان للشيخ - رحمه الله - حضور دائم في

المنتديات العامة في العديد من مدن المملكة ، يستجيب للدعوات ، ويلقي المحاضرات حيثما حل ، كما كان يلقي العديد من المحاضرات الهاتفية في السنوات الأخيرة للأقليات المسلمة في أوروبا وأمريكا ، وكان ينشر من خلالها طريقة أهل السنة والجماعة في الاعتقاد والعمل ويرد على المخالفين ، ومن نماذج هذه المحاضرات المحفوظة :

- أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها .
- منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل .
- القضاء والقدر .
- الإبداع في بيان كمال الشرع وخطر الابتداع .
- التوسل .
- مفاتح الغيب .
- آيات الأنبياء وأثرها في المجتمع .

هذا وقد جعل الله لشيخنا القبول والإقناع في سائر المحاضرات العامة ، لما تميز به من القوة العلمية والبيان ، وحسن العرض ، والموضوعية في الطرح وقد بلغني هذا كثيراً عمن يستمعون إليه في أوروبا وأمريكا من المسلمين .

٥ - **الفتاوى** : بلغ مجموع الفتاوى العقدية المثبتة في مجموع فتاواه أكثر من خمسمائة فتوى في العديد من المسائل الإيمانية ، والنوازل المعاصرة تميزت بالدقة والإحكام والمتانة العلمية ، وكان - رحمه الله - يفتي الناس في الجامع والطريق ، وعبر الهاتف ، وخلف المذياع في برنامج نور على الدرب ، وفي المسجد الحرام ، ويحرر بعض الفتاوى للصحف

والمجلات والتلفاز ، ولسائر المسلمين في داخل المملكة وخارجها ، مما لا يحصيه إلا الله ؛ ولا ريب أنها أثرت تأثيراً بالغاً في تصحيح عقائد الناس ، وتحذيرهم من المخالفات العقدية .

٦ - **الرسائل الشخصية** : من الجهود الخفية والمساعي الحميدة النقية التي تنم عن إخلاصه - رحمه الله - وحرصه على صلاح الأمة ما كان يحرره من المكاتبات لذوي الهيئات والمقامات العلمية ، والمنسوبين إلى العلم والدعوة إذا بدر منهم ما يخالف الحق ، لا سيما في باب الاعتقاد فهو لا ينصب لهم المناظرات على صفحات الجرائد والمجلات ، بل يكاتبهم سراً ، ويمحضهم النصيحة ، ويجتهد في بيان الحق لهم ، ويرغبهم في قبوله وإعلان الرجوع إليه ، بل حين اقتضى الأمر نشر بعض تلك المراسلات الخاصة ، لما فيها من العلم والحجة ، رفع ذكر الأسماء ، وما يدل على الذوات ، واكتفى بالمضمون .

ثانياً : منهجه في تقرير العقيدة :

إن المتأمل في جهود الشيخ - رحمه الله - المتنوعة في بيان العقيدة وتوضيحها ليستخلص جملة من السمات المنهجية المطردة التزمها الشيخ وسار عليها في جميع تقريراته ، وهي سمات سلفية لا يختص بها - رحمه الله - بل هو متبع لطريقة السلف المتقدمين ، ولكن اجتمع عنده ما تفرق في غيره ، فمنها :

١ - **تعظيم شأن التوحيد** : فهو يلهج دوماً في تقريراته المسموعة والمكتوبة بأهمية تحرير أمر الاعتقاد ، والبداءة به ، وتعظيمه وتفخيمه ؛ إذ هو الأساس والأصل ، والأعمال بناء وفرع ، ومن شواهد ذلك قوله : «إن

علم التوحيد أشرف العلوم وأجلها قدراً ، وأوجبها مطلباً ؛ لأنه العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وحقوقه على عباده ، ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى ، وأساس شرائعه ، ولذا أجمعت الرسل على الدعوة إليه قال الله تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ ، وقد شهد لنفسه تعالى بالوحدانية ، وشهد له بها ملائكته ، وأهل العلم ، قال الله تعالى : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم** ﴾ .

ولما كان هذا شأن التوحيد كان لزاماً على كل مسلم أن يعتني به تعلماً ، وتدبراً ، واعتقاداً ، ليبني دينه على أساس سليم ، واطمئنان وتسليم ، يسعد بثمراته ونتائجه » .

ولهذا كان ينعى على « أهل التفويض » طريقتهم الفاسدة ، ويسميهم « أهل التجهيل » لما يفضي إليه مذهبهم من الجهل بأعظم ما أدركته العقول ، والحرمان من أشرف ما اكتسبته القلوب ، وهو العلم بالله بمقتضى ما دلت عليه نصوص الوحيين من معاني الأسماء والصفات . يقول – رحمه الله – « من المحال أن يُنزل الله تعالى كتاباً ، أو يتكلم رسوله ﷺ بكلام ، يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق ، ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعنى ، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء ؛ لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى ، وقد قال تعالى : ﴿ **آلر * كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾ ، وبهذا علم بطلان « مذهب المفوضة » الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات ، ويدّعون أن هذا مذهب السلف ، والسلف بريئون من هذا المذهب ، وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحياناً ، وتفصيلاً

أحياناً ، وتفويضهم الكيفية إلى علم الله عز وجل» ولا ريب أن مذهب المفوضة يؤدي إلى توهين شأن التوحيد .

٢ - **إبراز آثار العقيدة وثمراتها على الفرد والأمة** : وهذه خاصية عظيمة اعتنى الشيخ - رحمه الله - بها ؛ فالعقيدة في نظره ليست متناً يحفظ أو يشرح فحسب ، ثم تبقى معرفة ذهنية لا أثر لها في حياة الفرد والأمة! كلا ، فهو يحرص - رحمه الله - أن لا يذكر مسألة من مسائل الاعتقاد إلا ويتبعها بذكر ثمارها ، كما فعل في أركان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، من تعداد الثمرات لكل ركن على حدة ، ثم ختم ببيان أهداف العقيدة الإسلامية على وجه العموم بما يكشف عن الفهم الثاقب لآثار هذه العقيدة على الفرد والأمة ، وهي على سبيل الاختصار :

أولاً : إخلاص النية والعبادة لله تعالى وحده .

ثانياً : تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي الناشئ عن خلو القلب من هذه العقيدة .

ثالثاً : الراحة النفسية والفكرية .

رابعاً : سلامة القصد والعمل من الانحراف في عبادة الله تعالى أو معاملة المخلوقين .

خامساً : الحزم والجد في الأمور .

سادساً : تكوين أمة قوية تبذل كل غالٍ ورخيص في تثبيت دينها ، وتوطيد دعائمه .

سابعاً : الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات ، ونيل الثواب والمكرمات .

فيا لها من أهداف سامية نبيلة لو أن معلمي العقيدة وضعوها نصب أعينهم وهم يشرحون متونها ، ويربطون ذلك بالواقع المعاش للفرد والأمة ؛ إذاً لحصل بذلك خير عميم ، وتأثير بالغ ، كما كان - رحمه الله - حين يقرر أسماء الله وصفاته في شرحه للعقيدة الواسطية يتبع كل صفة ببيان الفائدة المسلكية للإيمان بها ، ومن شواهد ذلك :

- « والفائدة المسلكية في الإيمان بصفة القوة والرزق أن لا نطلب القوة والرزق إلا من الله تعالى ، وأن نؤمن بأن كل قوة مهما عظمت فلن تقابل قوة الله تعالى » .

- « ما نستفيده من الناحية المسلكية في الإيمان بصفتي السمع والرؤية : أما الرؤية فنستفيد من الإيمان بها الخوف والرجاء ؛ الخوف عند المعصية ؛ لأن الله يرانا ، والرجاء عند الطاعة ؛ لأن الله يرانا ، ولا شك أنه سيثيبنا على هذا ، فتتقوى عزائمنا بطاعة الله ، وتضعف إرادتنا لمعصيته ، وأما السمع فالأمر فيه ظاهر ؛ لأن الإنسان إذا آمن بسمع الله استلزم إيمانه مراقبة الله تعالى فيما يقول خوفاً ورجاءً . خوفاً : فلا يقول ما يسمع الله تعالى منه من السوء ، ورجاءً : فيقول الكلام الذي يرضي الله عز وجل » وهكذ صنع في سائر الصفات .

ولا شك أن هذا منهج تربوي ينبغي أن يعتمده المعلمون والمربون ليحصل الانتفاع بالقرآن العظيم .

٣ - **الاعتصام بالكتاب والسنة** : لما كان الكلام في الله ، والقول عليه من

أخطر المقامات تعيّن لزوم ما جاء في نصوص الوحيين : الكتاب والسنة ، والحذر من التقدم بين يدي الله ورسوله مهما كانت المسوغات ، وسلوك سبيل السلام والأدب ؛ ولهذا حذر - رحمه الله - من طريقة أهل التحريف الذين يسمون أنفسهم : «أهل التأويل» لما فيها من الافتيات على النصوص ، والقول على الله بغير علم . قال - رحمه الله - : «وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن ما سمى الله به نفسه ، وما وصف الله به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ فهو حق على حقيقته ، وعلى ظاهره ، ولا يحتاج إلى تحريف المحرفين ، بل هو أبعد ما يكون عن ذلك ، وهو أيضاً لا يمكن أن يفهم منه ما لا يليق بالله عز وجل من صفات النقص أو المماثلة بالمخلوقين ، وبهذه الطريقة المثلى يسلمون من الزيغ والإلحاد في أسماء الله وصفاته ، فلا يثبتون لله إلا ما أثبته لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ ، غير زائدين في ذلك ولا ناقصين عنه ، ولهذا كانت طريقتهم أن أسماء الله وصفاته توقيفية لا يمكن لأحد أن يسمي الله بما لم يسم به نفسه ، أو يصف الله بما لم يصف به نفسه ، فإن أي إنسان يقول : إن من أسماء الله كذا ، أو ليس من أسماء الله ، أو من صفات الله كذا ، أو ليس من صفات الله بلا دليل ؛ لأنه - لا شك - قول على الله بلا علم ، وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾ .

وقال تعالى : ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾» .

ومن تتبع آثاره المكتوبة والمسموعة - رحمه الله - علم مبلغ تعظيمه للنصوص ، ودقة لزومه لدلالتها .

٤ - **الاستدلال بالعقل مع النقل** ، واستعمال الأقيسة الصحيحة ما أمكن :

كان - رحمه الله - يرتب الأدلة في إثبات المسائل العقدية مبتدئاً بالكتاب ، مثنياً بالسنة الصحيحة ، مثلثاً بالعقل فيما كان للعقل فيه مساغ ، ليكون أبلغ في طمأنينة القلب توافر الأدلة ، وموافقة المعقول للمنقول .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول ، وإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح ، ولكن كثيراً من الناس يغلطون إما في هذا وإما في هذا ؛ فمن عرف قول الرسول ﷺ ومراده كان عارفاً بالأدلة الشرعية ، وليس من المعقول ما يخالف المنقول ، وكذلك « العقليات الصريحة » إذا كان مقدماتها وترتيبها صحيحاً لم تكن إلا حقاً ، لا تناقض شيئاً مما قاله الرسول ﷺ » .

وقد استدل شيخنا - رحمه الله - بالعقل في العديد من المسائل العقدية كإثبات وجود الله ، وإبطال الشرك ، وإثبات البعث ، والرد على من احتج بالقدر على ترك الطاعات وفعل المحرمات ، وإثبات اتصاف الله بصفات الكمال من حيث الجملة ، وسائر الصفات سوى الخبرية المحضة ، كالعلم والقدرة والإرادة والعلو ونحوها ، تبعاً للنقل لا استقلالاً ، كما استعمل الأقيسة العقلية الصحيحة التي استعملها السلف المتقدمون ، كعثمان بن سعيد الدارمي - رحمه الله - وغيره مثل : « قياس الأولى » ، « نفي الصفة إثبات لنقيضها » وإلزام المخالفين باللوازم الباطلة ، وكل ذلك

مبثوث في كتبه لا يخلو منه مقام .

وأما ما ليس للعقل فيه مدخل كالاستقلال بإثبات الأسماء والصفات ، وحكاية الغيبيات ، وكيفيات الصفات ، فإنه – رحمه الله – يلجم فيه عنان العقل والفكر ، كما ذكر في القاعدة الخامسة من قواعد الأسماء : «أسماء الله تعالى توقيفية ، لا مجال للعقل فيها ؛ وعلى هذا : فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة ، فلا يزاد فيها ولا ينقص ؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء ؛ فوجب الوقوف في ذلك على النص ، ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك ، والاقتصار على ما جاء به النص» وقال مثل ذلك في القاعدة السابعة من قواعد الصفات .

وكان – رحمه الله – يزجر عن الأسئلة الفاسدة المبنية على لوثة التكييف العقلي ، كمن يستشكل إثبات النزول الإلهي إلى سماء الدنيا ثلث الليل الآخر مع دوام دوران الليل على الكرة الأرضية؟ فيقول في معرض إجابته : «وهذا وإن كان الذهن قد لا يتصوره بالنسبة إلى نزول المخلوق ، لكن نزول الله تعالى ليس كنزول خلقه حتى يقاس به ، ويجعل ما كان مستحيلاً بالنسبة إلى المخلوق مستحيلاً بالنسبة إلى الخالق» وقال أيضاً : «يجب على الإنسان أن يمنع نفسه عن السؤال بـ«لم؟» و «كيف؟» فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته ، وكذا يمنع نفسه من التفكير من الكيفية» .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «إن الرسول لا يجوز عليه أن يخالف شيئاً من الحق ، ولا يخبر بما تحيله العقول وتنفيه ، لكن يخبر بما تعجز العقول عن معرفته ، فيخبر بمحارات العقول ، لا بمحالات

العقول » ، وقال أيضاً : « الرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه ، ولم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه » .

٥ - **تقريب المعاني ، واجتناب ما يؤدي إلى اللبس** : قد تقدم في بيان جهوده - رحمه الله - في بيان العقيدة اعتماده طريقة التلخيص والتقريب لطائفة من المتون العقدية الصعبة ، ليسهل تصورها وإدراك معانيها ، وقد وُفّق - رحمه الله - في ذلك توفيقاً عظيماً ، وليس مراده بالتلخيص كما يظن بعض الناس مجرد الاختصار ، وإنما إعادة عرض الموضوع بما يحصل به البيان وإن استدعى الشرح والإضافة أحياناً وهذا ما فعله - رحمه الله - حين صنع لتلك الكتب من التراجم والعنوانات والتعريفات والتقسيمات والإضافات ما جعلها كالعروس المجلاة ، فهو مثلاً يدرج في تلخيص الحموية قاعدة نافعة استفادها من كتاب « العقل والنقل » وذكر خلاصتها .

أما ما ألفه ابتداءً ، أو قرره مشافهة ، ففي غاية السهولة والبيان في ألفاظه وتراكيبه ، وكثرة أمثلته ووضوحها ، ولعله لهذا السبب وغيره لم يكن يحتفي بتدريس المنطق إلا أن ترد بعض المصطلحات المنطقية عرضاً ، أو تبعاً لبعض المتون التي يشرحها ، كخاتمة منظومة السفاريني ، وطالما ردد - رحمه الله - مقولة شيخ الإسلام ابن تيمية : « إني كنت دائماً أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ، ولا ينتفع به البليد » .

وحين قرر ذات مرة في مسألة « صفة المعية » لله تعالى ، فقال : « إن عقيدتنا أن لله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به ، وتقتضي إحاطته بكل شيء علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً » استشكل بعض أهل

العلم التعبير بـ« ذاتية » ، وتجرأ بعض السفهاء فنسبوه إلى مقالة حلولية الجهمية - حاشاه وكلا! - مع أنه أراد بذلك توكيد حقيقة معيّته - تبارك وتعالى - وكلامه كله صريح وفير في النكير على أهل الحلول والظنون الفاسدة ، لا يجد غضاضة أن يهجر هذا التعبير دفعاً للتوهم ، ونشر ذلك في مجلة الدعوة ، في غرة محرم سنة ١٤٠٤ هـ ، وقال : « رأيت من الواجب استبعاد كلمة « ذاتية » ، واعلم أن كل كلمة تستلزم كون الله تعالى في الأرض ، أو اختلاطه بمخلوقاته ، أو نفي علوّه ، أو نفي استوائه على عرشه ، أو غير ذلك مما لا يليق به تعالى فإنها كلمة باطلة يجب إنكارها على قائلها، كائناً من كان ، وبأي لفظ كانت ، وكل كلام يوهم - ولو عند بعض الناس - ما لا يليق بالله تعالى فإن الواجب تجنبه لئلا يظن بالله تعالى ظن السوء ، لكن ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ فالواجب إثباته وبيان بطلان وهم من توهم فيه ما لا يليق بالله عز وجل» فلله دره! « وما تواضع أحد لله إلا رفعه » .

وما يلتحق بهذه السمة المنهجية في تقريره - رحمه الله - للعقيدة مراعاة حال العامة ، وعدم مبادأتهم بالمسائل المشكلة ، والخلافات العقدية المعضلة التي لا تبلغها عقولهم ، ويتشوشون من سماعها ، بل كان منهجه - رحمه الله - في الخطاب العام لجمهور الناس التعبير بالجمل القرآنية والنبوية الواضحة ، وعدم الخوض في مقالات أهل البدع من غير ضرورة ، لغناهم وعافيتهم من ذلك ، وهذا المنهج هو الموافق لفقه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حين قال : « حدثوا الناس بما يعرفون! أتريدون أن يُكذّب الله ورسوله » وقول ابن مسعود - رضي الله عنه - : « إنك لن تحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » ؛ فلهذا قال

– رحمه الله – : «من الحكمة في الدعوة ألا تباغت الناس بما لا يمكنهم إدراكه ، بل تدعوهم رويداً رويداً حتى تستقر عقولهم ؛ فإن قيل : أندع الحديث بما لا تبلغه عقول الناس؟ أجيب : لا ندعه ولكن نحدثهم عن طريق تبلغه عقولهم ، وذلك بأن ننقلهم رويداً رويداً حتى يتقبلوا هذا الحديث ويطمئنوا إليه ، ولا ندع ما لا تبلغه عقولهم ، ونقول هذا شيء مستنكر لا يتكلم به ، ويستفاد من هذا الأثر : أهمية الحكمة في الدعوة إلى الله – عز وجل – وأنه يجب على الداعية أن ينظر في عقول المدعوين ، وينزل كل إنسان منزلته» .

٦ – **مواجهة النوازل العقدية** : اتسمت العصور الأخيرة من حياة المسلمين بكثرة الشبهات ، وطروء البدع العقدية بسبب انحسار ظل الإسلام ، وغلبة المشركين وأهل الكتاب ، وانفتاح أمم الأرض بعضها على بعض ، وسريان العقائد والأفكار والعادات والأوضاع عبر وسائل الإعلام المختلفة فدهم المسلمين من النوازل العقدية ما اشتدت الضرورة فيه إلى علماء ربانيين ، يُثبتون الناس ، ويُمسكون بالكتاب ، ويُنزلون الأوضاع الطارئة على الأصول الثابتة ، وكان شيخنا – رحمه الله – في طليعة هؤلاء الموفقين ؛ فلم يكتف بالتقعيد النظري لمسائل الاعتقاد أو حتى منازلة الفرق العتيقة من أهل القبلة وغيرهم ، بل ضم إلى ذلك مواجهة ما استجد من فرق الضلال وكشف زيفها ، وما شاع من أفكار منحرفة ودعوات باطلة ، وأعمال وألفاظ منافية للعقيدة الصحيحة .

فحذر من الإلحاد المتمثل في زمنه بـ«الشيوعية» و «المادية» و «الطبيعية» .

- وفصّل القول في الحكم بغير ما أنزل الله .

- وبيّن خطر التسرع في التكفير .

- وكفّر اليهود والنصارى ، وأفتى في مسائل معاملتهم ومخالطتهم وتهنئتهم بأعيادهم .

- وأنكر الدعوة إلى التقريب بين الأديان .

- ونبه على خطأ بعض الألفاظ الشائعة ، والمصطلحات الحادثة .

وكل ذلك مبثوث في خطبه المنبرية ، ودروسه العلمية ، وفتاواه السيارة ، مما يطول المقام بسرده .

ونكتفي بمثالين دالين على معاصرته لقضايا عصره ونوازله .

أحدهما : لما التبس على بعض مواطنيه قبل أكثر من ثلاثين سنة أمر الوصول إلى القمر ، وهل تصديق ذلك حرام مخالف للقرآن ، أم أن القرآن يؤيده ويدل عليه؟ ودار في تلك الأيام جدال وخصومة بين فريقين من الناس فكتب في حينها رسالة مختصرة بعنوان : « رسالة في الوصول إلى القمر » قال فيها : « وإذا صح ما تواترت به الأخبار من إنزال مركبة فضائية على سطح القمر فإن الذي يظهر لي أن القرآن لا يكذبه ولا يصدقه ، فليس في صريح القرآن ما يخالفه ، كما أنه ليس في القرآن ما يدل عليه ويؤيده » ، ثم شرع في تفنيد ما ادعاه كل من الفريقين دليلاً من القرآن على دعواه ، وخلص إلى القول : « وبعد : فإن هذا البحث في هذا الموضوع قد يكون من فضول العلم ، لولا ما دار حوله من البحث والمناقشات ، حتى بالغ بعض الناس في رده وإنكاره ، وغلا بعضهم في قبوله وإثباته ، فالأولون جعلوه

مخالفاً للقرآن ، والآخرون جعلوه مطابقاً للقرآن ، فأحببت أن أكتب ما حررته هنا ، على حسب ما فهمته بفهمي القاصر ، وعلمي المحدود » .

وبصرف النظر عما أتيح لنا من معطيات قطعية الآن تجعلنا نستغرب اختلاف الناس فيه حين سمعوه لأول مرة ؛ فالمقصود إبراز مبادرته في إزالة اللبس ، وتحرير الأمر في وقت دعت الحاجة إليه .

الثاني : موقفه – رحمه الله – من نازلة الدعوة إلى التقريب بين الأديان التي نشطت في العقود الأخيرة ، واستهوت بعض ضعاف العلم والإيمان ، ورقاق الدين والعقيدة ، فداهنوا اليهود والنصارى والذين لا يعلمون ؛ فاشتد نكيره – رحمه الله – على هذه البدعة الكفرية ودعاتها في خطبه ودروسه ، فقال – رحمه الله – : « أيها الإخوة : إنه قد يسمع ما بين حين وآخر كلمة (الأديان الثلاثة) حتى يظن السامع أنه لا فرق بين هذه الأديان الثلاثة ، كما أنه لا فرق بين المذاهب الأربعة ، ولكن هذا خطأ عظيم إنه لا يمكن أن يحاول التقارب بين اليهود والنصارى والمسلمين إلا كمن يحاول أن يجمع بين الماء والنار ، إن دين اليهود ليس بشيء ، ولا ينفعهم ، بل هو مصيرهم إلى النار إن تمسكوا به ، وإن دين النصارى ليس بشيء ، ولن ينفعهم ، وإنما يقودهم إلى النار إن تمسكوا به ؛ لأن الواجب على الجميع أن يؤمنوا بالنبي ﷺ ، وقد أقسم ﷺ وهو البار الصادق بدون قسم فقال : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة : يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بما جئت به إلا كان من أصحاب النار » .

وبعد .. فهذا قليل من كثير من جهود شيخنا محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – في بيان العقيدة ونشرها ، ومن سمات منهجه في

تقريرها وإرسائها ، أبقى الله له غُنمه وبره ، وجزاه عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء ، وأحله دار المقامة من فضله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

(مجلة البيان ، العدد : ١٦٠)

منهج الشيخ ابن عثيمين في التفسير

بقلم الأستاذ : عبد الرحمن الصالح الدهش

*** محاضر في قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام ***

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين ، أما بعد ..

فإن الحديث عن منهج إمام من أئمة الدين في علم كان من اهتماماته ، وأمضى فيه جزءاً من عمره ، وخصّه بنصيب وافر من دروسه ، وكثيراً ما وجّه طلابه للعناية به ، بل والبداءة به ، حديث لا يمكن أن تستوعبه مقالة كهذه ، ولذا سيكون الحديث فيها منصباً على بعض منهجه في تفسيره ، وقبل الحديث عن منهجه أشير إلى موضوعين متعلقين بتفسيره :

الأول : دروسه في التفسير ، حيث كان تفسيره القرآن لطلابه على ثلاثة طرق :

١ - الطريق الأول : التفسير العام ؛ حيث لم يرتبط الشيخ بكتاب تفسير ينطلق منه ، وهذا يشمل الدرس الخاص بالطلبة ، وابتدأ الشيخ التفسير فيه من أول القرآن ، وانتهى فيه إلى سورة الأنعام ، ولم يتمها ويشمل تفسيره في اللقاءات العامة ، حيث فسّر الشيخ خلالها كثيراً من المفصل ، ومواضع متفرقة من القرآن .

٢ - الطريق الثاني : التفسير الذي ارتبط فيه الشيخ بتفسير الجلالين ، فكان منطلقاً له ولم يقتصر عليه ، وبلغ فيه سورة الزخرف ولم يتمها أيضاً .

٣ – الطريق الثالث : التفسير المفرّق ، ويتمثل في تفسير الشيخ للآيات التي تمر في أثناء شرحه لكتاب ما ، وهي كثيرة ، وربما أسهب الشيخ في تعليقه عليها ، ورجّح فيها .

ومع تعدد الطرق التي تناول الشيخ التفسير من خلالها إلا أن منهجه فيها متقارب ، حيث اتفقت في كثير من المعالم .

الثاني : مصادره في تفسيره :

الغالب في طريقة الشيخ – رحمه الله – ألا يذكر مصادره التي نقل منها ، ولا أسماء العلماء الذين يذكر أقوالهم ، بل تراه يبهم أسماءهم ، ويذكر الأقوال منسوبة إلى بعض أهل العلم ، أو بعض المفسرين دون تحديدهم ، إلا أنه قد ينص في بعض الأحيان على بعضهم .

المنهج العام للشيخ في التفسير :

لقد كان الشيخ – رحمه الله – موسوعي المعرفة ، درس علوم الشريعة وتفقه فيها ، وكان لها الأثر الواضح في تفسيره .

وقد عمد الشيخ إلى تقريب التفسير لعامة الناس فضلاً عن طلابه والمستفيدين منه ؛ فالسهولة في العبارة والبعد عن غامض التراكيب واضح في العرض ، ولذا خلا تفسير الشيخ من الأقوال الكثيرة ، والتفريعات البعيدة التي قد تجدها في بعض التفاسير ، وكذا التعقيدات البلاغية ، أو الأعاريب المطولة .

ومع هذا تجد في تفسير الشيخ ما تجده عند غيره من الاعتماد على بيان القرآن بالقرآن ، وجمع نظائر الآية ، وبيان القرآن بالسنة ، وذكر

للقراءات ، وتوجيهها معنى أو إعراباً ، وبيان المشكل ، وأسباب النزول تحت المنهج العام للشيخ ، وكذا الشعر ، وهو قليل نسبياً ، وفي غالبه شاهد لغوي ، أو ضابط نحوي ، أو غير ذلك .

ويجد القارئ والسامع في أثناء ذلك الترجيح المبني على قاعدة ، أو التنبيه على خطأ في فهم آية .

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ **وتُخرج الحي من الميت** ﴾ يرجح الشيخ أن الآية عامة في الحياة الحسية ، كإخراج الإنسان من النطفة ، والمعنوية كإخراج الكافر من المؤمن .

ويعلل الشيخ لهذا الترجيح بقوله : « إذا صلح اللفظ للمعنيين بدون تنافٍ بينهما فالواجب حمله عليهما » .

وعند قوله تعالى في وصف يحيى - عليه السلام - : ﴿ **وسيداً حصوراً** ﴾ ، قال الشيخ : « أي : حاصراً نفسه عن أراذل الأخلاق ، وأما من قال من المفسرين إن الحصور الممنوع من إتيان النساء ، فإن في هذا نظراً واضحاً ؛ لأن عدم قدرة الإنسان على النساء ليس كمالاً ، ولكنه عيب ، وفيها قول آخر أنه لا يأتي من النساء من لا تحل له فيكون وصفاً له بكمال العفة ، لكن ما قلناه أشمل من هذا القوم ، فهو مقدم على المعنى الأقل » .

وعند قوله تعالى : ﴿ **كلما دخل عليها زكريا المحراب** ﴾ ينبه الشيخ على خطأ من كتب الآية على طاق القبلة ، يظن أنه هو المحراب المراد بالآية ، وإنما هو مكان العبادة .

والشيخ حريص كل الحرص على عدم الوقوع فيما وقع فيه كثير من المفسرين من حشد الإسرائيليات والاعتماد عليها ؛ فعند قوله تعالى : ﴿ **إن**

الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ قال الشيخ : « وقد ذكر المفسرون هنا إسرائيليات كثيرة حول هذا الموضوع ، ولكن لا يعنينا أن نُعيّن من هذا القاتل؟ ومن هذا المقتول؟ وإنما المقصود أنه قتلت نفس فادارؤوا فيها ، أي : تخاصموا » .

ثم هو يشكك فيما قيل عن مريم عند قوله تعالى : **﴿وأنبتها نباتاً حسناً﴾** إنها تنمو في العام ما ينمو غيرها في عامين . قال الشيخ : « ولعلها من الإسرائيليات . . فالله أعلم » .

وعند قوله تعالى : **﴿وجد عندها رزقاً﴾** قال الشيخ : « قال بعض المفسرين – وهو من الإسرائيليات – يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء » .

وبعد هذه المعالم العامة نجدنا مضطرين إلى إبراز معالم أساسية في منهج الشيخ في تفسيره ، وهي :

أولاً : التفصيل في أحكام القرآن ، وبيان الراجح منها بدليله ، دون تعصب لمذهب معين :

وهذا أشهر من أن يذكر فيه مثال ؛ لأن الشيخ – رحمه الله – كان فقيهاً مجتهداً ، وكان لا يمر بآية من آيات الأحكام إلا فصّل في ذلك الحكم وبينه .

ثانياً : ذكر القضايا الفقهية المعاصرة المرتبطة بالآية ، وبيان الحكم فيها :

ومن ذلك ما قاله في تفسير قوله تعالى : **﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾** ، قال : « فلو تقامرا على شيء من المال بأي صفة من الصفات ؛ فإن ذلك يعتبر ميسراً ، ومن ذلك ما يسمى بالحظ والنصيب ، فإنه ميسر ،

ومن ذلك التأمين على الأموال أو على السيارات أو على البيت أو على النفوس أو ما أشبه ذلك» .

ثالثاً : تنزيل الآيات على الواقع المعاصر، وربطها به :

ففي قوله تعالى : ﴿**ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن**﴾ ، قال : «إن في الآية رداً واضحاً على الذين أطلقوا أن دين الإسلام دين مساواة ؛ لأن التفضيل ينفي المساواة .

والعجيب أنه لم يأت في الكتاب ولا في السنة لفظ المساواة أبداً ؛ لأن الله ما أمر بها ، ولا رغب فيها ؛ لأنها ليست صحيحة ، فإذا قلت بالمساواة دخل الفاسق والكافر والمؤمن والذكر والأنثى ، وهذا هو الذي يريده أعداء الإسلام من المسلمين ، لكن جاء الإسلام بكلمة هي خير من تلك الكلمة ، وليس فيها احتمال أبداً ، وهي : ﴿**إن الله يأمر بالعدل**﴾ ، فكلمة العدل تقتضي أن نسوّي بين الاثنين حيث اتفقا في الصفات المقتضية للتسوية ، وأن نفرّق بينهما حيث اختلفا في الصفات المقتضية للتفريق» .

وانظر أيضاً حديثه في هذه الآية عن التنبيه على الدعوة التنصيرية التي يقوم بها النصارى في هذا العصر .

وانظر ذكره فائدة في قوله تعالى : ﴿**نساؤكم حرث لكم**﴾ ، فقد ذكر الدعوة إلى تحديد النسل ، ورد عليها ، وغيرها كثير من القضايا المعاصرة التي تطرّق إليها الشيخ أثناء تفسيره .

رابعاً : الاهتمام بالجانب التربوي الذي تشير إليه الآيات :

ويظهر ذلك في جانبين :

الأول : الجانب الوعظي :

ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿**واعلموا أنكم ملاقوه**﴾ ، قال : « والله لو كانت قلوبنا حية لكان لهذه الكلمة وقع في نفوسنا ؛ لأنها من كلام الله عز وجل مصدّرة بـ ﴿**اعلموا**﴾ لكن والله القلوب ميتة ، والشكوى إلى الله عز وجل » .

الثاني : جانب الإرشادات والتوجيهات لطالب العلم :

ومن ذلك تعليقه على قوله تعالى : ﴿**ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون**﴾ ، قال : « وأنت إذا آمنت بهذه الجملة ، وهي قوله : ﴿**ويبين آياته للناس**﴾ فإنه قد يعرض لك مسألة لا تجدها في كلام الفقهاء ، ولا في كلام المحدثين ، وعندما تتأمل القرآن تجدها واضحة صريحة ، أو عندما تتأمل السنة تجدها واضحة مبينة فيها ، وهذا شيء معلوم .

ولهذا أحثكم أنتم طلبة العلم على أن يكون دأبكم في الوصول إلى غائص المسائل الرجوع إلى الكتاب والسنة ، ولا حرج أن نستعين بكلام أهل العلم ؛ لأن اعتماد الإنسان على نفسه في فهم الكتاب والسنة قد يحصل فيه خلل كثير ؛ فلا بد أن يعرف القواعد التي قعدها السلف من الصحابة والتابعين ، مستنبطين لها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ » .

وعند قوله تعالى : ﴿**والراسخون في العلم يقولون آمنا به**﴾ ، قال الشيخ : « ينبغي للإنسان أن يحرص على أن يكون راسخاً في العلم لا جامعاً كثيراً منه ؛ لأن العبرة بالرسوخ في العلم ؛ فإن الإنسان إذا كان عنده رسوخ في العلم صار عنده ملكة يستطيع أن يُقرّب العلم بعضه من بعض ، ويقيس ما لم يُنصّ عليه على ما نُصّ عليه ، ويكون لديه كالطبيعة الراسخة » .

خامساً : النواحي اللغوية :

كان الشيخ – رحمه الله – يولي عناية واضحة بالنواحي اللغوية ، فيبرز معنى الآية من خلال وقفات إعرابية ، أو صرفية ، أو بلاغية ، والشيخ – رحمه الله – من خلال وقفاته تلك يهدف فيما يهدف إلى الناحية التطبيقية لطلابه ، ولا أدل على ذلك من إعرابه بعض الآيات واضحة الإعراب إعراباً تفصيلياً .

ومثله استطراداته الكثيرة في قضايا نحوية بحتة ، فعند قوله تعالى : ﴿ **ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب** ﴾ ، استطرد الشيخ في بيان سبب ارتباط جملة جواب الشرط بالفاء ، بطريقته الحوارية في الدرس مع الطلبة ، وذكر ما ذكره النحاة في ضابط ذلك .

وقريب منه استطراده حول الاسم الممنوع من الصرف عند كلامه على قوله تعالى : ﴿ **أن الله يبشرك بيحيى** ﴾ ، حيث أشار إلى الخلاف في عربية اسم (يحيى) واستطرد من خلاله إلى موانع الاسم من الصرف بطريقته السابقة .

وأما وقفات الشيخ الصرفية فهي قريبة من منهجها من وقفاته النحوية ، فيذكر وزن بعض الكلمات واشتقاق بعضها ليصل إلى معنى الكلمة القرآنية .

فعند قوله تعالى : ﴿ **نزل عليك الكتاب** ﴾ ، قال الشيخ : « هو هذا القرآن ، وهو (فعال) بمعنى (مفعول) ؛ لأنه مكتوب فهو كتاب مكتوب في اللوح المحفوظ ، كما قال تعالى : ﴿ **إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون** ﴾ .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ **ذرية بعضها من بعض** ﴾ قال الشيخ :

« والذرية مأخوذة من ذرأ بمعنى خلق ؛ لقوله تعالى : ﴿ **يذرؤكم فيه** ﴾ ، يذرؤكم فيه : أي : يخلقكم .

وقيل : من وذر ، بمعنى ترك ، فعلى الأول تكون الذرية شاملة للأصول والفروع ؛ لأن الأصول مخلوقون ، والفروع كذلك مخلوقون ، أما إذا جعلناها من وذر بمعنى ترك ، فهي للفروع فقط ، وهذا هو المعروف عند عامة الناس أن الذرية هم الفروع .

ثم يتساءل الشيخ – رحمه الله – : هل في القرآن ما يدل على أن الذرية تطلق على الأصول؟ .

فيجيب بقوله تعالى : ﴿ **وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون** ﴾ فإن الذين حُملوا من الذرية هم الذين آمنوا مع نوح وهم سابقون أي أصول » .

والشيخ – رحمه الله – بإيجازه هذا غير المخل ، وتساؤله الذي جاء عرضاً قد أجاب عن إشكال استوقف كثيراً من المفسرين ، ومن آخرهم شيخه عبد الرحمن السعدي ؛ حيث قال في تفسيره عند هذه الآية :« وهذه الآية من أشكل المواضع عليّ في التفسير » .

وأما اللفتات البلاغية فلم يخل تفسير الشيخ – رحمه الله – من وقفات عندها ، ومن ذلك عند تفسيره قول الله تعالى : ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين** ﴾ أشار الشيخ إلى قوة التعبير القرآني ؛ حيث سلط الحب على الشهوات لا على هذه الأشياء ؛ « لأن هذه الأشياء حبها قد يكون محموداً » إذا لم يكن سبباً لصده عن دين الله .

وفي قوله تعالى : ﴿ **وأزواج مطهرة** ﴾ ، يشير الشيخ إلى نكتة العموم

في إطلاق (مطهرة) لتشمل التطهير الحسي والمعنوي معتمداً على قاعدة : أن حذف المعمول يؤذن بعموم العامل ، قال الشيخ : « ولهذا أمثلة كثيرة – مثلاً – قوله تعالى : ﴿ **ألم يجدك يتيماً فآوى * ووجدك ضالاً فهدى * ووجدك عائلاً فأغنى** ﴾ فالرسول ﷺ وجده ربه يتيماً فآواه ، وآوى به حتى جعله فئة لكل مؤمن ، ضالاً فهداه وهدى به ، عائلاً فأغناه وأغنى به » .

سادساً : استنباط الفوائد :

تُشكّل الفوائد في درس التفسير جزءاً لا يغفل في منهج الشيخ ، وتأتي أهمية الفوائد من حيث إفرادها في الكلام بمبحث الفوائد عقب آية أو آيات يتم الشيخ تفسيرها والكلام عليها ، ومن ناحية أخرى توسع الشيخ فيما يذكره تحت هذا المبحث ؛ فهو لا يقتصر على الفوائد المباشرة في الآية إذ يذكر الفائدة ثم يتبعها بما قد يتفرع أو يُشكل عليها ويجيب عنه .

فعند قوله تعالى : ﴿ **وترزق من تشاء بغير حساب** ﴾ ، يقول الشيخ – رحمه الله – : « ومن فوائد الآية الكريمة أن الرزق بيد الله تعالى لقوله : ﴿ **وترزق من تشاء** ﴾ ويترتب على هذا أنه ينبغي للعاقل فضلاً عن المؤمن أن لا يطلب الرزق من أيدي الناس ، وإنما يطلبه من الله عز وجل ، ولهذا جاءت النصوص بفضيلة العفة » .

وعند قوله تعالى عن امرأة عمران : ﴿ **وإني سميتها مريم** ﴾ ، يذكر الشيخ – رحمه الله – من فوائد الآية تسمية المولود حين يولد ، ثم يقول : « وهذا هو السنة : أن يسمى الإنسان حين يولد إلا إذا لم يتهيأ الاسم فإنه يسمى في اليوم السابع ، وبهذا تجتمع الأدلة ؛ فإن النبي ﷺ لما ولد إبراهيم قال : « ولد لي الليلة غلام ، فسميته باسم أبي إبراهيم » ، وفي حديث

العقيقة قال : « تذبح يوم سابعه ، ويحلق ويسمى .. » .

والفوائد مجال رحب عند الشيخ – رحمه الله – لتقرير العقيدة السلفية ، وتصحيح الأخطاء العقدية بشيء من الاستطراد والبسط ؛ فعند قوله تعالى : ﴿ **قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات** ﴾ ، يقول الشيخ – رحمه الله – : « ومن فوائد هذه الآية الكريمة أن هؤلاء يؤمنون بالبعث ؛ لقولهم : ﴿ **لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات** ﴾ ويتفرع على هذا أنه لا يكفي في الإيمان أن يؤمن الإنسان بالله وباليوم الآخر دون أن يستلزم هذا الإيمان قبولاً وإذعاناً ؛ فإن مجرد التصديق لا يعتبر إيماناً ؛ إذ لا بد من القبول والإذعان ، ولهذا أدلة » .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ **والله سميع عليم** ﴾ ، يقول الشيخ – رحمه الله – : « ومن فوائد الآية الكريمة إثبات اسمين من أسماء الله ، وهما السميع والعليم ، فالسميع يتعلق بالأصوات ، والعليم يتعلق بكل شيء بالأصوات ، والأحوال والأعيان » .

ثم يستطرد الشيخ في تقسيم أسماء الله إلى متعدية ولازمة ، وما يتضمنه كل نوع من الدلالة ، ثم يستطرد مرة ثانية إلى الفرق بين دلالة التضمن والاستلزام ، وتطبيق ذلك على اسم الخالق والرحمن والحي .

وفي مجال تصحيح الأخطاء العقدية يذكر الشيخ – رحمه الله – عند كلامه على آيات عموم القدرة في أكثر من موضع ، يذكر مقالة السيوطي – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : ﴿ **لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير** ﴾ ، حين قال : « وخص العقل ذاته ، فليس عليها بقادر » ، ثم يتعقبها ففي تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قل إن تخفوا ما في**

صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير﴾ ، يقول الشيخ – رحمه الله – بعد ذكره مقالة السيوطي السابقة : « فإن هذه كلمة باطلة ، هو أراد معنى – والله أعلم – لكن التعبير بهذا خطأ ، نقول : إن الله تعالى قادر على كل شيء يتعلق بفعله ، أو بفعل عباده ، كل شيء يفعله الله فهو بقدرته سبحانه وتعالى ، كل شيء يفعله العباد فهو بقدرته ، وهذا الاستثناء أو هذا التخصيص غير صحيح ، بل العقل يشهد لله تعالى بكمال أو بعموم القدرة ، وأنه على كل شيء قدير » .

وفي مسألة التفاضل بين الملائكة وصالحي البشر ، وهي مسألة أطال فيها بعض العلماء النَّفَسَ ، وحُشدت لأجلها الأدلة يوردها الشيخ – رحمه الله – من فوائد قوله تعالى : **﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾** ، يوردها بقوله : « من فوائد الآية الكريمة ما ذكره بعض أهل العلم من أن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة ، ثم يقول : وعندي أن البحث في هذه المسألة من فضول العلم ؛ لأنه أي فائدة لنا إذا قلنا : إن فلاناً أفضل من جبريل ، أو جبريل أفضل من فلان؟ » وبعد إشارته لشيء من أدلة الفريقين ، يقول : « وجمع شيخ الإسلام – رحمه الله – بين هذين القولين ، فقال : إن الملائكة أفضل باعتبار البداية ، وصالحي البشر أفضل باعتبار النهاية » .

ثم ينهي الشيخ – رحمه الله عرضه للمسألة بقوله : « ومع ذلك فإني أرى أن الإمساك عن هذا أولى .. وأما أيهم أفضل فهذا أمر لم نكلف به » .

والحق أن الجانب العقدي في تفسير الشيخ سواء ما يتعلق منه بتوحيد الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات ، أو غيرها من مباحث العقيدة

يستحق أن يفرد بدراسة استقرائية وافية يبرز من خلالها منهج الشيخ في ذلك .

سابعاً : كثرة القواعد العلمية التي يذكرها ويذكر تطبيقها في الآية وهي قواعد متنوعة من لغوية ونحوية وأصولية وغيرها . ومنها :

- الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً .
- الأصل أن الوصف متحقق في الموصوف حتى يتبين خروجه عن ذلك .
- من تأمل الشريعة وجد أنها تعتني بالمعنى أكثر من الاعتناء باللفظ .
- لا ينبغي الإطلاق في موضع يخشى فيه من التعميم .
- العبرة بعموم اللفظ لا لخصوص السبب .
- عند التنازع نرد المسألة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .
- العام لا يدل على جميع أفراده دلالة قطعية ، بل دلالة ظنية .

ولو جُمعت هذه القواعد العلمية العامة مع تطبيقاتها لشكلت كتاباً نافعاً لطلبة العلم .

وبعد ، فما ذُكر في هذه المقالة غيضٌ من فيض ، وقليل من كثير ، وعسى الله أن يُقيض من يقوم بدراسة منهج الشيخ في عموم العلوم التي برع فيها ، فيُبرز فيها ما يفيد طلبة العلم من تراث الشيخ المبارك ، ولا نملك في الختام إلا أن ندعو له بالمغفرة والرحمة ، ونسأل الله أن يبلغه الفردوس الأعلى جزاء ما قدم ، إنه سميع قدير ، وبالإجابة جدير .

(مجلة البيان ، العدد : ١٦٠)

المنهج الفقهي للشيخ محمد بن صالح العثيمين

بقلم الدكتور: خالد بن علي المشيقح
* أستاذ بكلية الشريعة بالقصيم *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. وبعد:

فإن الله بعث رسله مبشرين ومنذرين، وكلفهم بالبلاغ، وأوجب عليهم دعوة الناس إلى صراطه المستقيم، فقام رسل الله وأنبياؤه بهذه الوظيفة على أكمل وجه.

ثم خلفهم العلماء الربانيون الذين سخّروا ما وهبهم الله من علم للدعوة إليه، وبث الخير في نفوس الناس، وتعليمهم ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، والسعي في حوائجهم وحل مشكلاتهم.

ولعل شيخنا محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى - من هؤلاء العلماء؛ فقد كانت حياته جهاداً متواصلاً بالعلم والتعليم والدعوة والإفتاء وقضاء حوائج الناس؛ فقد عكف رجليه في المسجد أكثر من أربعين عاماً في تعليم العلم ونشره.

ومع براعة الشيخ - رحمه الله - في التفسير والعقيدة، وله فيهما باع لا يكاد يجارى غير أن شهرته ومعرفة عامة الناس به كانت في الجانب الفقهي أكثر من غيره.

وفي هذه العجالة سألقي نظرة على هذا الجانب في حياة الشيخ، وقبل أن أذكر شيئاً من مميزات فقهه سأمهد بذكر شيء من فقه شيخه عبد

الرحمن السعدي ؛ إذ هو شيخه الأول الذي تأثر به وأفاد منه .

والعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – من جهابذة الفقهاء ، فقد كان – رحمه الله – ذا معرفة تامة بالفقه أصوله وفروعه ، وفي أول أمره كان متمسكاً بمذهب الإمام أحمد – رحمه الله – وله اطلاع واسع على مؤلفات الحنابلة ، وكان ذا إدراك باهر واطلاع واسع على كتب الخلاف في المذهب ، ومن ذلك أنه حفظ بعض المتون فيه ، وله مؤلف على طريق النظم للمسائل يتكون من أربعمائة بيت .

ثم أقبل الشيخ عبد الرحمن على مؤلفات الشيخين الجليلين شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن قيم الجوزية إقبالاً منقطع النظير ، فاستوعب ما حوته كتبهما من التحقيق العظيم في علوم السلف ، وحسن التوجيه والإرشاد ؛ فحصل له بذلك سعة علم خاصة في علم الفقه ، وقد أكد ذلك معظم من ترجم للشيخ ، وخصوصاً طلابه الذين تعلموا على يديه ، ونهلوا من علمه .

يقول عنه تلميذه الشيخ عبد الله البسام في كتابه (علماء نجد) : « وما أن تقدمت به الدراسة شوطاً حتى تفتحت أمامه آفاق العلم ، فخرج عن مألوف بلده من الاهتمام بالفقه الحنبلي فقط إلى الاطلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد ، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم التي فتقت ذهنه ووسعت مداركه ، فخرج عن طور التقليد إلى طور الاجتهاد المفيد ، فصار يرجح من الأقوال ما رجحه الدليل وصدّقه التعليل » .

وقال تلميذه محمد القاضي في كتابه : (روضة الناظرين) : « ولقد أكب على المطالعة في كتب الفقه والحديث طيلة حياته ، خصوصاً على

كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم ، فقد كانت له صبوحاً وغبوقاً » .

وقال ابنه عبد الله : « وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم » .

كما أن الشيخ عبد الرحمن أثنى كثيراً على الشيخين في ثنايا كتبه ، ونوه بما لهما من باع طويل في التحقيق والتدقيق للمسائل العلمية ؛ وذلك كما في كتابه : (طريق الوصول) ، وفي رسالته : (الأدلة القواطع في إبطال أصول الملحدين) وغيرها .

وقد خلّف الشيخ عبد الرحمن ثروة عظيمة من كتب الفقه ، وبهذا يُعلم إثراء الشيخ عبد الرحمن للفقه المبني على الدليل المؤيد بالتعليل ، ومن أبرز كتبه : « المختارات الجلية من المسائل الفقهية » وهي مختارات من المسائل رجحها الشيخ لقوة دليلها ، ولو كانت مخالفة لمذهب الإمام أحمد ومنها : « المناظرات الفقهية » على طريقة المناظرة ، ومنها : « الإرشاد » على طريق السؤال والجواب ، ومنها « الفتاوى السعدية » ، ومنها « منهج السالكين » ، ومنها : « حاشية على الفقه » استدراكات على كتب الأصحاب ، ومنها : « منظومة في أحكام الفقه » وغيرها .

وهذا الفقه العظيم للشيخ عبد الرحمن قد ارتبط بالتقعيد والتأصيل ؛ فله باع في أصول الفقه والقواعد الفقهية ، فامتزج عنده الفقه بالفروع ، وربط الفروع بالقواعد ، ويدل على تمكن الشيخ من هذين العلمين :

أ - اختصاره لقواعد ابن رجب ، وهو في صغره سنة ١٣٣٦ هـ في كتاب أسماه : « تحفة أهل الطلب بتجريد قواعد ابن رجب » وقد وفقني الله للعناية بإخراج هذا الكتاب ، وقد طبع هذا العام ١٤٢١ هـ .

ب – ومن مؤلفاته في هذين العلمين ، رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه هي : « الأصول الجامعة » ، ومن ذلك أيضاً : « طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول » .

وقد عني الشيخ عبد الرحمن – رحمه الله – أيضاً بالفروق والتقاسيم الفقهية ، وله كتاب في ذلك هو : « الأصول والقواعد الجامعة والفروق والتقاسيم النافعة » ، وقد وفقني الله عز وجل لطباعته على نسخة خطية للشيخ ، ومما قاله في مقدمته : « أما بعد : فإن معرفة جوامع الأحكام وفوارقها من أهم العلوم وأكثرها فائدة وأعظمها نفعاً ؛ لهذا جمعت في رسالتي هذه ما تيسر من جوامع الأحكام وأصولها ، ومما تفترق فيه الأحكام لافتراق حكمها وعللها ، وقسمتها قسمين .. والقسم الثاني اتبعت ذلك بذكر الفوارق بين المسائل المتشابهات والأحكام المتقاربات والتقاسيم الصحيحة » ، وقد ذكر – رحمه الله – في رسالته كثيراً من الفروق والتقاسيم كالفرق بين الفرض والنفل ، والفرق بين ترك المأمور وفعل المحظور ، والفرق بين شرط الموقف والموصي وغيرهما ، وغير ذلك ، ومن التقاسيم : أقسام أجزاء الحيوان ، وأقسام الحركة في الصلاة ، وأقسام اللباس ، وغير ذلك .

وقد انطبع هذا المنهج للشيخ عبد الرحمن ، وانتقل إلى تلميذه الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – فقد أوضح – رحمه الله – منهجه وصرح به مرات عديدة أنه يسير على الطريقة التي انتهجها شيخه عبد الرحمن السعدي ، قال شيخنا : « لقد تأثرت كثيراً بشيخي عبد الرحمن السعدي في طريقة التدريس وعرض العلم ، وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني » .

مميزات المنهج الفقهي للشيخ ابن عثيمين :

أولاً : تبنّي الشيخ - رحمه الله - لآراء الشيخين : شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم (انظر الشرح الممتع) وعنايته بكتبهما ؛ فللشيخ تعليق على اختيارات شيخ الإسلام للبعلي ، ومراجعة دائمة لمجموع الفتاوى والكتب التي تعنى باختيارات شيخ الإسلام ككتابي الفروع لابن مفلح ، والإنصاف للمرداوي ، وقرأ للطلبة في دروسه السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ، وعلق عليه ، وله مختارات من إعلام الموقعين ، وزاد المعاد ، والطرق الحكمية وثلاثتها لابن القيم .

وفي غير الجانب الفقهي : شرح للطلبة الواسطية ، والحموية ، والتدمرية ، ومقدمة التفسير لشيخ الإسلام والنونية لابن القيم ، وغير ذلك فأثر ذلك في علم الشيخ في دروسه وفتاويه وكتبه ، من حيث الاعتناء بالدليل ، ومعرفة رأي المخالف ، ومناقشة دليله ، والرد عليه ، والاهتمام بمقاصد الشريعة ، وضبط أصولها وكلياتها .

ولم يكن تبني الشيخ لآراء الشيخين نابعاً من تقليد أعمى ، بل كان متجرداً للحق ؛ فحيثما وجد الحق فهو ضالته ومطلبه ، فخالف شيخ الإسلام في بعض المسائل أكثر من مخالفة شيخه السعدي لشيخ الإسلام ، ومن الأمثلة على ذلك :

- أن شيخ الإسلام يرى أن المتمتع يكفيه سعي واحد لحجه وعمرته ، وشيخنا يرى أن المتمتع لا بد له من سعيين .
- شيخ الإسلام يرى جواز الجمع بين الأختين من الرضاع ، ويرى شيخنا التحريم .

- شيخ الإسلام يرى جواز تعفير الوجه بالتراب تذللاً لله تعالى ، ولم ير شيخنا هذا .
- شيخ الإسلام يرى أن للأم الثلث مع الإخوة المحجوبين بالأب ، ويرى شيخنا أن لها السدس .
- شيخ الإسلام يرى أن المأموم تكفيه قراءة إمامه في الصلاة الجهرية ، وشيخنا يأخذ بمذهب الشافعي وهو وجوب القراءة مطلقاً .
- شيخ الإسلام لا يرى تحديد مدة النفاس بأربعين يوماً ، وشيخنا يرى تحديده بأربعين يوماً .
- شيخ الإسلام يرى جواز الزيادة بين الربويين من جنس واحد في مقابلة الصنعة ، ويرى شيخنا عدم الجواز .

ثانياً : الفقه المبني على الدليل ، المقرون بالتعليل غالباً ، وبيان الحكمة وأسرار الشريعة أحياناً .

فالشيخ يوجب العمل بالدليل ، ويحرم مخالفته ، ودروسه وفتاواه مشحونة بتقرير ذلك ، وكثيراً ما يستدل بقوله تعالى : ﴿**ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين**﴾ ، ومن ذلك قوله : «العبادات لا تتم إلا بالإخلاص لله عز وجل ، ومتابعة النبي ﷺ والمتابعة لا تتحقق إلا إذا كانت موافقة للشرع في ستة أمور : السبب ، والجنس ، والقدر ، والكيفية ، والزمان ، والمكان» ولهذا خالف المذهب في كثير من المسائل : كمسألة تقسيم الماء ، ونقض الوضوء بمس المرأة لشهوة ، والطلاق بالثلاث ، وغير ذلك . (انظر الشرح الممتع بمجلداته الثمانية ، ورسالة الدماء الطبيعية ،

ورسالة الأضحية ، وغير ذلك) .

وله عناية بمصادر الشريعة ، فشرع في دروسه في تفسير القرآن العظيم (تحت الطبع منه ثلاثة مجلدات) وشرح كثيراً من تفسير الجلالين ، وشرح صحيح البخاري كاملاً ، وبدأ بإعادة شرحه مرة أخرى ، وشرح جزءاً من صحيح مسلم ، وشرح أيضاً بلوغ المرام لابن حجر كاملاً ، وبدأ بإعادة شرحه مرة أخرى ، وشرح القسم الأول من عمدة الأحكام ، وشرح كثيراً من المنتقى للمجد .

كما أنه إذا رجّح قولاً ، أو أفتى بمسألة ثم ظهر له خلاف ذلك لدليل ترجّح عنده ، رجع عن قوله الأول ، وأذكر لذلك أمثلة منها :

- كان يرى أن دم النفاس لا حد لأكثره ، ثم ترجح له أن حده أربعون يوماً .
- استحباب جلسة الاستراحة مطلقاً ، ثم ترجّح له ترجحاً يسيراً مشروعتها عند الحاجة .
- أن رطوبة فرج المرأة ناقضة للوضوء ، ثم تبين له عدم النقض .
- أن الكدرة مع أوجاع العادة قبل العادة منها ، ثم ترجح له عدم اعتبارها ، وغير ذلك .

ثالثاً : عنايته بعلم أصول الفقه ، والقواعد الفقهية ، وعلم النحو ورّثه ملكة فقهية تقوم على تخريج الفروع على الأصول ، ورد الجزئيات إلى الكليات ، والمقدرة على الاستنباط ؛ فقد قرأ الشيخ في دروسه كتاب قواعد ابن رجب وعلق عليه ، وألّف قديماً : الأصول من علم الأصول ، وشرحه في المسجد ، وشرح نظم الورقات للعمريطي ، ومختصر التحرير ، وله أيضاً

منظومة في الأصول والقواعد ، وشرحها في المسجد ، وشرح أيضاً : ألفية ابن مالك ، والآجرومية ، وغير ذلك ، وقد كثر في فقه الشيخ استعمال القواعد الفقهية والأصولية ، ورد جزئيات المسائل إليها ، لما فيها من سهولة العلم ، والإحاطة بأحكام الفروع والإلمام بمدلولاتها ، ولما يترتب عليها من انتظام الكليات للجزئيات ، ولولا ذلك لكانت الأحكام الفقهية فروعاً متناثرة تتناقض في ظواهرها ، وإن اتفقت في مدلول بواطنها ، ولا يصل الفقيه لمرتبة الاجتهاد إلا بإدراكها وضبطها ، ومن أمثلة القواعد التي خرّج عليها فرعيات المسائل :

- العبرة في الأمور بمعانيها لا بصورها .
- ما كان معفواً عنه شرعاً زال ضرره قدراً .
- يثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً .
- المشقة تجلب التيسير .
- ما كان تحريمه تحريم وسائل أباحته الحاجة .
- الاستثناء معيار العموم .
- إذا قيد العام بما يوافق العام فليس بقيد .
- الحقائق تحمل على عرف الناطق بها ، وغير ذلك .

رابعاً : العناية بالفروق والتقاسيم الفقهية : فقد اعتنى كثير من علماء المسلمين بعلم الفروق بين المسائل والأحكام ، وأفردوه بالتأليف لما له من أهمية بالغة في إيضاح الفروق الدقيقة بين كثير من المسائل التي تتشابه صورها وتختلف أسبابها وأحكامها وعللها ، وأيضاً : الفروق كالقواعد في

تقريب العلم وتسهيله والإلمام به وحفظه ، وشيخنا – رحمه الله – له نصيب من ذلك ؛ فقد شرح في دروسه كتاب شيخه : (الأصول والقواعد الجامعة ، والفروق والتقاسيم النافعة) .

ومن الأمثلة على عنايته بالفروق والتقاسيم :

– الفرق بين القضاء والأداء .

– الفرق بين فرض العين وفرض الكفاية .

– الفرق بين الركن والشرط .

– الفرق بين شرط العقد والشروط فيه .

– الفرق بين الفجر الأول والفجر الثاني .

– تقسيم إزالة الشعور إلى ثلاثة أقسام .

– النجاسة ثلاثة أقسام .

– الحركة في الصلاة خمسة أقسام .

– للمأموم مع إمامه أربعة أقسام .

خامساً : سلوك طريقة القرآن الكريم فيما يتعلق بفقه الفرائض شرحاً وتأليفاً : وهذه الطريقة أفيد من غيرها في تقريب هذا العلم وتسهيله وحفظه وجمعه ؛ وبيانها كما في القرآن : أنه يبين حالات كل صاحب فرض في موضع واحد ؛ فالزوج مثلاً يأخذ النصف بشرط كذا ، أو الربع بشرط كذا ، والزوجة تأخذ الربع بشرط كذا أو الثمن ، والأم تأخذ الثلث بشرط كذا ، وتأخذ السدس بشرط كذا ، وتارة ثلث الفرض وهكذا ، وللشيخ في

هذا كتاب : « تسهيل الفرائض » وشرحه في دروس البرهانية كثيراً .

بخلاف الطريقة الأخرى التي سلكها كثير من الفرضيين ؛ فإنهم يُبينون أولاً الفروض المقدرة ، ثم يذكرون أصحاب كل فرض ، ثم شروط إرثه لهذا الفرض ، ويؤخذ على هذه الطريقة التطويل والتكرار وتشتيت هذا العلم .

اللهم اغفر لشيخنا ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، وافسح له في قبره ، ونوّر له فيه .

وصلى الله على نبينا محمد وآله صحبه .

(مجلة البيان ، العدد : ١٦٠)

منهج الشيخ ابن عثيمين في تعليمه للعلم

بقلم الأستاذ : علي بن عبد الله السلطان

**** أستاذ في معهد عنيزة العلمي ****

الحديث عن منهج شيخنا - رحمه الله - في تعليمه للعلم حديث عن وقت من أنفس ساعات حياته ؛ حيث إن المتتبع لبرنامجه اليومي يرى أنه أوقف حياته - رحمه الله - على ذلك ؛ فقد كان التعليم ونشر هذا الدين هو شغله الشاغل وهمه الذي لا يكاد ينفك عنه .

فبعد أن أمضى - رحمه الله - أول حياته في تحصيل العلم النافع وتمكن فيه امتثل أمر الله سبحانه وأمر رسوله ﷺ بنشر هذا العلم وتبليغه وإعطائه للناس عبودية لله وشكراً له ، ولئلا يكون مثل ﴿ **الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله** ﴾ وممتثلاً لقوله ﷺ : « بلغوا عني ولو آية » .

وكان أول جلوسه للطلاب سنة ١٣٧١ هـ في حياة شيخه عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - حتى آخر ليلة من رمضان سنة ١٤٢١ هـ فقد أمضى - رحمه الله - قرابة خمسين سنة « نصف قرن » في نشر هذا العلم .

والحديث عن نشره للعلم ليس في الجامع الكبير في عنيزة فقط ، ولا في عنيزة أو في القصيم أو في بقية مدن المملكة التي يصل إليها بنفسه ، بل حتى التي لا يصل إليها بنفسه من مدن المملكة العربية السعودية أو خارج المملكة عبر وسائل الاتصال كما سيظهر ذلك إن شاء الله في ثنايا هذا الحديث .

هذا وسيكون الحديث عبر المحاور الآتية :

المحور الأول : المراحل الزمنية .

المحور الثاني : طريقته في التعليم .

المحور الثالث : المجالات التي من خلالها بذل علمه .

المحور الأول : المراحل الزمنية :

مرت حياته – رحمه الله – في نشر العلم عبر ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : من سنة ١٣٧١ حتى منتصف سنة ١٣٧٦ هـ .

المرحلة الثانية : من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ حتى سنة ١٤٠٠ هـ .

المرحلة الثالثة : من سنة ١٤٠١ حتى نهاية شهر رمضان ١٤٢١ هـ ، وإليك تفصيل ذلك .

المرحلة الأولى : من سنة ١٣٧١ هـ حتى منتصف سنة ١٣٧٦ هـ .

هذه المرحلة تمثل أولى بدايات جلوسه – رحمه الله – للتعليم ، وذلك بإذن من شيخه الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – وإن كانت هذه المرحلة غير منتظمة ، حيث سافر خلالها للدراسة في الرياض وعاد ، وكان يقوم بتدريس فئة من الطلاب بحسب ما ذكره من ترجمة للشيخ في حياته – رحمه الله – .

المرحلة الثانية : من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ حتى سنة ١٤٠٠ هـ:

وهذه المرحلة تمثل جلوسه للتدريس بعد وفاة شيخه في جمادى سنة ١٣٧٦ هـ لطلاب العلم ، وقد كان جلّهم في أوائل تلك الفترة من زملائه

في الطلب وشاركهم غيرهم ، وقد مرت هذه المرحلة والطلبة بين مد وجزر من حيث العدد ، تؤثر فيهم صوارف الحياة بين إقبال وإدبار ، وقد أدركناهم وعددهم لا يتجاوز العشرة ، ومن بينهم بقية من طلاب الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - وفي آخر هذه الفترة التحق بدرسه مجموعة من الطلاب لازمه بعضهم إلى آخر حياته - رحمه الله - .

وحسبي من هذا الإيراد وقفة مهمة ينبغي التفطن لها ، وأن تكون لطالب العلم على بال ، وأن يقف عندها كل من سلك هذا الطريق ؛ وهي أن تتصور مدى صبر الشيخ - رحمه الله - وتحمله للفترات التي تمر على الطلبة من حيث الإقبال والإدبار والمد والجزر ؛ حتى إنه خلال ما يقرب من عشرين سنة من ١٣٧٦ هـ حتى ١٣٩٦ هـ كان العدد الذي بقي معه لا يزيدون على العشرة ، بل ربما لا يتجاوزون الإثنين أو الثلاثة أحياناً ؛ فلله در شيخنا من صاحب همة عالية تتساقط دونها كثير من الهمم ؛ فلم تلن له قناة ، ولم ينثن له عزم ، بل صبر وصابر على انصراف الناس وعزوفهم وزهدهم في العلم .

وهذا يصور لنا جانباً من صفحات صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل والنشر ، عشرون سنة حصيلتها عشرة طلاب يزيدون أو ينقصون قليلاً ! لقد كان - رحمه الله - أستاذاً فريداً في الصبر والنظر إلى المستقبل ولعله يترجم هنا حديث رسول الله ﷺ : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم » نحسبه كذلك .

المرحلة الثالثة : من سنة ١٤٠١ حتى نهاية شهر رمضان ١٤٢١ هـ :

انطلقت هذه المرحلة بنحو من ذلك العدد أو يزيد قليلاً عما كان عليه

في المرحلة السابقة يزيدون يوماً فيوماً ؛ فإذا بالصف في الحلقة يصبح صفين وثلاثة ، وهكذا في نمو متتابع .

ثم إذا بالحال غير الحال ؛ حيث انتقل طلاب في دراساتهم وآخرون في أعمالهم إلى عنيزة وما حولها رغبة في لزوم الشيخ وثني الركب عنده ، بل هناك فئة أخرى قدمت إلى عنيزة واقفة نفسها على طلب العلم مكتفية من متاع الدنيا بما يهيئه الشيخ من أمور على قدر الحاجة التي تخفف عنهم أعباء الانقطاع لطلب العلم والغربة ، حتى صارت مجالس دروسه مهوى أفئدة كثير من طلاب العلم ، وصار طلابه في غالب مدن المملكة ، بل من الدول الأخرى ، حتى إنه بلغ عدد جنسيات الطلاب الذين ارتادوا دروسه ومجالسه العلمية ما يقرب من ثلاثين جنسية .

وبلغ عدد طلابه في بعض الدروس قرابة الخمسمائة ؛ فالحمد لله الذي أقر عين شيخنا بذلك بعد مكابدة تلك السنين ، وجعل ذلك في ميزان حسناته .

المحور الثاني : طريقته في التعليم :

طريقة شيخنا – رحمه الله – في التعليم تتبلور فيما يلي :

أولاً : تأثره بشيخه الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي.

ثانياً : موقفه من التعصب المذهبي .

ثالثاً : عرضه لمسائل الخلاف .

رابعاً : أسلوبه في إلقاء الدرس .

خامساً : حرصه على حفظ المتون ، وإليك بيان ذلك .

أولاً : تأثره بشيخه الشيخ عبد الرحمن السعدي :

يقول شيخنا – رحمه الله – عن نفسه : « لقد تأثرت كثيراً بشيخي عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – في طريقة التدريس وعرض العلم وتقريبه للطلاب بالأمثلة والمعاني .

والمنهج الذي سلكه الشيخ عبد الرحمن – رحمه الله – هو منهج خرج به عن المنهج الذي يسير عليه علماء نجد في زمانه في غالبيتهم ؛ حيث اعتماد المذهب الحنبلي في الفروع من مسائل الأحكام الفقهية ، بل كان كثيراً ما يتبنى آراء شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ويرجحها على المذهب ، فلم يكن عنده الجمود تجاه مذهب معين ، بل كان متجرداً للحق » .

هذا وقد انطبعت هذه الصفة وانتقلت إلى تلميذه شيخنا محمد – رحمه الله – فلم يكن تبنيه – رحمه الله – لآراء شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم نابعاً عن هوى أو تقليد ، بل كان متجرداً للحق حيثما وجد ؛ فهو ضالته ومطلبه ، بل إنه – رحمه الله – خالف شيخ الإسلام ابن تيمية في عشرات المسائل أكثر من مخالفة شيخه السعدي لشيخ الإسلام ، وكان رائد الجميع – رحمهم الله – البحث عن الحق أنى وجد .

وأخيراً يقول الشيخ عن نفسه : « والحقيقة أن انتقال والدي – رحمه الله – إلى الرياض كشف لي مدى الحب الذي يكنه لي الشيخ السعدي – رحمه الله – إذ أصر في طلب بقائي بجواره في عنيزة للاستزادة من العلم وكاتب والدي فوافق ، فبقيت بجوار شيخنا السعدي ، وأجدني اليوم متأثراً به كثيراً » .

ثانياً : موقفه من التعصب المذهبي :

لم يكن – رحمه الله – في طرحه العلمي مركّزاً على المذهب الحنبلي الذي كان يدرّس متونه ، بل كان يحث طلابه بعلمه وعمله على توخي القول الصحيح ، وإن خالف المذهب ، مع لزوم الأدب مع العلماء والاعتراف بفضلهم ، وما بذلوه من جهد في هذا المضمار ؛ فالمرجع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعلى هذا سار في تعليمه وفتواه ، بل تأثر به بعض علماء عصره حتى ممن يكبره سناً .

وكان معظماً للأمر الذي عليه دليلٌ من الكتاب أو السنة ، ومقدماً لهما على كل قول حتى إنه يقول منكراً على من يخالفه : «لو قال لكم أحد : إن هذا القول قول العالم الفلاني لأكبرتموه ، واشرأبت إليه أعناقكم ، كيف وهذا قول رسول الله ﷺ !» .

ويرى – رحمه الله – أن المتعصب لمذهب أو شخص مع أن الدليل خلافه مقدم على خطر عظيم ؛ وذلك أنه – أي بتعصبه – يستلزم تقديم قول غير الله تعالى ورسوله ﷺ ، وهذا خطير جداً .

صحيح أن الإنسان يتأثر إذا تفقه على يد عالم أو على مذهب معين يتأثر بهذا العالم أو بهذا المذهب ؛ وهذا لا يستلزم أن يكون الإنسان متعصباً لهذا المذهب أو لذلك الرجل ، وهذه مسألة يجب التفطن لها ، وهي أن طالب العلم إذا تبين له الدليل فعليه أن يتبعه حيثما كان ؛ لأن الله سبحانه يقول : ﴿**وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**﴾ ، ويقول : ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير**

وأحسن تأويلا ﴾ .

ويقول سبحانه : ﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾ .

ثالثاً : عرضه لمسائل الخلاف :

أما عرضه لمسائل الخلاف أثناء الدرس فكان – رحمه الله – يعرضها بكل تجرد ؛ حيث إنه يبدأ بتقرير المذهب ، وكم من مسألة خالف فيها المذهب وأخذ بالقول الراجح فيها ، وكم من مسألة أخرى بين – رحمه الله – أن الحجاوي ذهب إلى غير القول الراجح في المذهب ، ثم يعرض لأحد الأقوال في المسألة ، ويسرد أدلته وحججه ويبينها أيما بيان حتى تظن من عرضه وبيانه لها أنه لا يمكن ردها ؛ بل كأنه بهذا العرض ينتصر لها وأنه القول الراجح ، ثم ما إن يعرض للقول الآخر ، وأدلته وحججه ويبينها حتى يبدأ برد أدلة القول السابق أو توجيهها وترجيح القول المختار مما يظهر غزارة علمه وعدم تعصبه لقول إلا بدليله .

وهو مع هذا منصف لمخالفيه ، ملتزم بأدب الخلاف .

وكان لا يقبل من أحد أن يذكر له شخصاً بعينه من العلماء المعاصرين وإنما يقال : قال بعض أهل العلم : .... ؛ حتى يمكن مناقشة قوله بكل تجريد .

هذا وله قدرة على الاستنباط من الأدلة الشرعية ، وكان – رحمه الله – أحياناً يكلف أحد طلابه ببحث بعض المسائل لتمرينهم على البحث العلمي ، ثم يطلب منه في وقت الدرس قراءة البحث على الطلاب ، ويقوم الشيخ بالتعليق عليه .

رابعاً : أسلوبه في إلقاء المادة العلمية :

كان – رحمه الله – يلقي دروسه بأسلوب عجيب يتجه إلى القلب ، وكان يكره من سامعيه عدم التركيز أو الانشغال بأمور أخرى غير الدرس ، وذلك بمفاجأتهم بقوله : « ما قلنا؟ » أو سؤالهم عن معلومة كان يشرحها ، وأحياناً يوقف الكلام لا لإرادة الوقوف ، وإنما ليكمل الطلاب الجملة ليعرف مدى اتصالهم بالدرس ، وأحياناً يحرك الحضور من خلال الأسئلة ، ولا ينتقل من نقطة إلى أخرى حتى يشعر أنها قد فهمت ، ولربما أعاد وكرر ؛ وكل ذلك حرص منه على فهم المتلقي عنه .

هذا وكان له اهتمام بسلامة اللغة ؛ حيث تميز – رحمه الله – بلغته العربية وفهمه لها وعدم تكلفه في إلقائها والتكلم بها ، مما أعطاه فهماً للنصوص ، وانطبع ذلك على اهتمامه بسلامة لغة طلابه وحرصه عليها مع ما يجده من معاناة من الطلاب في ذلك .

كما أنه قد خصص ليلة الجمعة من كل أسبوع لإلقاء كلمة من أحد الطلاب قبل الدرس ، والشيخ في مجلسه في الدرس يستمع ، ثم يعلق الشيخ – رحمه الله – على الكلمة ؛ وكم في هذه الطريقة من تعويد للطلاب على الإلقاء! .

خامساً : حفظ المتون :

كان – رحمه الله – يولي هذا الموضوع أهمية خاصة ؛ حيث كان يسمّع بنفسه للطلاب ولا يكتفي بواحد أو اثنين بل ربما ذهب جزء كبير من الدرس للحفظ ، وكان يقول : « لم يبق معنا شيء إلا ما حفظناه في الصغر » .

المحور الثالث : المجالات التي بذل علمه من خلالها :

ولعل هذا الباب هو صلب دراستنا عن شيخنا – رحمه الله – وعليه فإن المجالات التي من خلالها بذل علمه تتلخص فيما يلي :

أولاً : الدروس العلمية .

ثانيـاً : الدروس العامة والمحاضرات .

ثالثـاً : اللقاءات .

رابعـاً : الفتاوى .

خامساً : ذهابه وإيابه من المسجد .

سادساً : منبر الجمعة .

سابعـاً : التعليم النظامي .

ثامنـاً : عبر الإذاعة .

تاسعـاً : عبر بعض الصحف والمجلات .

عاشراً : عبر الشريط .

الحادي عشر : الإنترنت .

ودونك تفصيل ما سبق :

أولاً : الدروس العلمية :

وهذه أساس عطائه ، وقد كانت على فترتين :

الأولى : دروس ما بعد صلاة المغرب حتى الإقامة لصلاة العشاء ، وهي

في جميع أيام الأسبوع وطيلة العام ما عدا شهر رمضان ما دام الشيخ في عنيزة حتى في أيام الامتحانات ، إلا أن الدراسة في هذه الفترة - أعني فترة الامتحانات - تقتصر في الغالب في جميع الليالي على قراءة صحيح البخاري ومسلم ، أو تصحيح كتاب في الفترتين .

وما أذكر أن الشيخ تخلف عن درس المغرب إلا لعارض ، مع أنه قد يأتي ولو في آخر الوقت إذا عرض له عارض حرصاً منه على الاستمرار وعدم الانقطاع ، مستحضراً ما ورد عن النبي ﷺ أن : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » ، وهذه الفترة كانت بعد صلاة المغرب حتى أذان العشاء فقط ، ثم ينتقل الشيخ بعد أذان العشاء لدرس لعموم الناس حتى الإقامة ، وذلك في مشكاة المصابيح أو بلوغ المرام ، وهذه الطريقة كانت حتى عام ١٤٠٠ هـ تقريباً .

وحينما زاد عدد الطلاب غلّب الشيخ حاجتهم إلى هذا الوقت ، فجعل الوقت كله من بعد صلاة المغرب إلى إقامة صلاة العشاء للدروس العلمية للطلاب .

وكانت على ما يلي :

أولاً : من بعد صلاة المغرب حتى أذان العشاء ، وكان على النحو الآتي :

ليلة السبت : حديث « بلوغ المرام » .

ليلة الأحد : فقه « زاد المستقنع » .

ليلة الإثنين : حديث « بلوغ المرام » .

ليلة الثلاثاء : فقه « زاد المستقنع » .

ليلة الأربعاء : تفسير ، من أول القرآن ، ولم يكن هناك كتاب بين يدي الطلاب ، بل كان الشيخ يشرح من المصحف مباشرة .

ليلة الخميس : صحيح البخاري ، وصحيح مسلم .

ليلة الجمعة : تفسير .

مع تقديم وتأخير أحياناً ، وبشكل نادر مراعاة لأحوال الطلبة .

ثانياً : ما بعد أذان العشاء الآخرة حتى الإقامة :

كانت هذه الفترة تدرس بها مختلف الفنون على فترات ، وذلك مثل العقيدة : كتاب التوحيد ، العقيدة الواسطية ، والفرائض : الكافي في الفقه والسيرة النبوية : نور اليقين ، واللغة : ألفية ابن مالك ، قطر الندى ، وغيرها مما يكون عارضاً .

وبهذه المناسبة فإنه - رحمه الله - لم يكن ينظر متى ينتهي من الكتاب ، أو أن طول السنين ستوهن من عزيمته ، بل هو سائر على طريقته دون تغيير لمنهجه في الطرح العلمي ، وإشباعه المسألة بحثاً .

حتى إنه قيل له مرة حينما بدأنا ببلوغ المرام على هذه الطريقة : يا شيخ! قد نحتاج إلى عشرين سنة لإنهائه! فما كان منه إلا أن استمر في طريقته حتى أنهي الكتاب والحمد لله، وقد بُدئ بالكتاب حوالي سنة ١٤٠٠ هـ ، وأنهاه سنة ١٤١٧ هـ ، وذلك بعد قرابة ثماني عشرة سنة .

هذا وقد كانت بعض دروس هذه الفترة في الآونة الأخيرة تنقل عبر الهاتف إلى بعض مدن المملكة بل وإلى البحرين ، حتى إن الشيخ - رحمه

الله – كان يقسم الأسئلة بعد نهاية الدرس بين طلابه الحاضرين والذين في البحرين في وقت واحد .

الثانية : الدراسة الصباحية :

وهذه في الجامع الكبير في عنيزة ، وكانت إلى ما قبل عام ١٤٠٠ هـ داخل مكتبة الجامع «المكتبة الوطنية» وهي مكتبة ملحقة ببناء الجامع يوم كان بناؤه من اللبن والطين ، ثم لما كثر الطلاب بعد ذلك خرج منها إلى أروقة الجامع .

والدراسة من حيث الزمان في صيف كل عام ؛ حيث إن الشيخ يقف في نهاية الإجازة ، ثم يكمل في العام التالي .

أما مدة الدراسة فهي طيلة أيام الأسبوع ما عدا يومي الثلاثاء والجمعة على طريقة شيخه الشيخ عبد الرحمن السعدي ، ثم لما كثر الطلاب رأى حاجتهم تقتضي الاستمرار طوال الأسبوع ما عدا الجمعة .

ولضبط الوقت وحتى لا يطغى وقت درس على آخر جعل – رحمه الله – منبهاً قبل خمس دقائق من نهاية كل درس ليكون للأسئلة ، ثم الانتقال إلى الدرس الذي بعده ، دون فاصل بين الدروس ، وهو مستمر في جلسته ، أما الوقت الزمني فيبدأ من الساعة الثامنة حتى العاشرة والنصف أو الحادية عشرة أحياناً .

أما المنهج العلمي فهو كما يلي :

١ – التفسير ، وقد اعتمد في شرحه متناً بين يدي الطلاب ، وهو تفسير الجلالين ، إلا أن التسجيل الصوتي لهذه الدروس بدأ متأخراً .

٢ - الحديث ، وقد اعتمد في شرحه «المنتقى من أحاديث الأحكام» ، وكان له أحياناً اختيارات لبعض الأحاديث يمليها على أحد طلابه .

٣ - الفقه ، وقد اعتمد متن «زاد المستقنع» ، وهذه دراسة مستقلة عن دراسة المساء .

٤ - العقيدة ، وقد تعددت كتبها ، فمنها السفارينية ، وكتاب التوحيد ، والواسطية ، والقواعد المثلى .

وهذه الدروس الأربعة ثابتة كل يوم في الغالب ، ويزاد أحياناً درس خامس لبعض الفنون ، ومنها :

- الفرائض : البرهانية .

- النحو : ألفية ابن مالك .

- القواعد الفقهية : قواعد ابن رجب ، ومختصر التحرير .

- مصطلح الحديث : الوصول من علم الأصول .

هذا ومع ما نرى من كثرة الكتب المقررة في الفترة المسائية والصباحية ؛ إلا أنه - رحمه الله - غالباً ما يكون اختياره الكتاب من حيث المتن والوقت شورى بينه وبين طلابه .

وإن المتأمل في حاله - رحمه الله - يراه جامعة مستقلة ؛ فتدريسه طوال العام ، وفي الإجازة الصيفية في مختلف الفنون ، مع ما نرى حال استعداد كثير من المدن بالدروس والدورات العلمية الصيفية التي يجندون لها الأعداد الكثيرة من العلماء وطلبة العلم لتدريس سائر الفنون ، ربما يجد المنظمون لهذه الدروس والدورات الحرج في تأمين من يقوم بها ، بينما نجد

مجلس شيخنا أبي عبد الله في دروة علمية متكاملة لا في الصيف وحده ، بل في سائر العام ، وفي فترة واحدة ، وجلسة واحدة ، متنقلاً من فن إلى فن .

ثانياً : الدروس العامة والمحاضرات :

أ - الدروس العامة ، وهي على ما يلي :

١ - دروس ما بعد صلاة العصر : وكان يقرأ عليه خلال هذا الوقت في كل من رياض الصالحين ، أو بلوغ المرام ، أو مشكاة المصابيح ، ويعلق على ذلك بما يفتح الله عليه ، وكان هذا طيلة أيام الأسبوع في المسجد الكبير ما عدا يوم الجمعة ، وإذا سافر إلى الرياض أو الطائف فغالباً ما يستغل هذا الوقت .

٢ - درس ما بعد أذان العشاء حتى الإقامة ، وهذا كان إلى حوالي عام ١٤٠٠ هـ ، وكان مما يدرس فيه مشكاة المصابيح ، أو بلوغ المرام ، ثم انقطع هذا الدرس ، وخصص هذا الوقت بدرس للطلاب على ما سبق تفصيله في الدروس العلمية .

ب - دروس المسجد الحرام :

١ - درس ما بعد صلاة الفجر في الحرم المكي في رمضان ، وكان في عمدة الأحكام .

٢ - درس ما بعد صلاة التراويح في الحرم المكي ، وغالباً ما يكون تعليقاً على بعض الآيات التي تليت تلك الليلة أو كلمة مناسبة لتلك الليلة ، ثم الإجابة على الأسئلة الواردة ، ووقت هذا اللقاء من بعد صلاة

التراويح ، ويستمر قرابة ساعة ونصف في العشرين الأولين من رمضان ، وبعد دخول العشر الأواخر يكون الدرس ما بين التراويح والقيام في الغالب .

جـ - المحاضرات :

وهذه كان له فيها نصيب أوفى في أماكن كثيرة ؛ فحيثما دعي لبّى النداء - رحمه الله - حسبما يسمح له وقته ، وهي على نوعين :

النوع الأول : محاضرات مباشرة ، ومن أبرزها تنظيمة لمحاضرة في الجامع الكبير ، وهو اللقاء الشهري بعد العشاء من أول ليلة أحد من كل شهر ، وغيرها من المحاضرات الدورية في الجامعات والمجمعات .

النوع الثاني : محاضرات عبر الهاتف ، وكانت في داخل المملكة العربية السعودية وخارجها لبعض المراكز الإسلامية من بيته ، وقد خصص - رحمه الله - رقماً هاتفياً لإلقاء هذه المحاضرات غير هاتف الفتوى والهاتف الخاص ، وقد رتب بعض الإخوة في الآونة الأخيرة له محاضرة شهرية لمسجد التوحيد في مدينة « ديترويت » في أمريكا ، ويرتبط مع هذا المسجد - أحياناً - قرابة مائة مسجد أو مركز أو تجمع ، وذلك من أمريكا وكندا وأوربا في وقت واحد .

ثالثاً : اللقاءت :

وهي خاصة (اللقاء الأسبوعي) ، وعامة (اللقاء الشهري) :

أ - الخاصة :

١ - درس عقده لخاصة طلابه ليلة السبت من كل أسبوع بعد صلاة العشاء

في منزل أحد الطلاب بالتناوب ، وكان القراءة في كتاب الكافي .

٢ - درس للقضاة ليلة الأربعاء من كل أسبوع بعد صلاة العشاء في منزله ، وكان يقرأ فيها ما له علاقة بالقضاء كالطرق الحكمية ، وإعلام الموقعين لابن القيم .

ب - العامة :

١ - لقاؤه مع قسم العقيدة في فرع جامع الإمام في القصيم ليلة الأحد مرة في الشهر .

٢ - لقاؤه بالخطباء ليلة الثلاثاء مرة في الشهر .

٣ - لقاؤه بطلاب السكن ليلة الأحد مرة في الشهر .

٤ - لقاؤه بأعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليلة الأحد مرة في الشهر .

٥ - لقاؤه بطلاب المعهد العلمي في عنيزة أول اثنين من كل شهر .

٦ - لقاؤه بأعضاء جمعية تحفيظ القرآن ليلة الإثنين مرتين في الشهر ، وكان رئيساً لمجلسها طيلة حياته - رحمه الله - .

٧ - لقاؤه ببعض طلاب العلم من خارج عنيزة ليلة الخميس مرة في الشهر .

رابعاً : الفتوى :

ومع أن الشيخ - رحمه الله - قد خصص للفتوى وقتاً معيناً إلا أن المتتبع للأمر لا يكاد يحصرها بوقت معين ؛ فقد كانت في المسجد أو في طريقه إلى المنزل أو في سفره وتنقلاته ، وحتى في حضوره المناسبات ،

وبعد دروس المسجد الحرام ؛ مع أنه قد خصص وقتاً للفتوى عبر الهاتف من بعد صلاة الظهر حتى إذا جاء وقت غدائه قرّب الهاتف عنده ؛ فهو وإن كان يغذي جسمه بما يحتاجه لما يقيمه إلا أنه في الوقت نفسه يغذي بل يشفي غليل سائليه بما أشكل عليهم ، وكان بعض النساء يأتين إلى الجامع ليسألن الشيخ عن بعض أمورهن ، فيخرج لهن عند باب المسجد ؛ وربما أخر الدرس أحياناً حتى تقضي المرأة مسألتها ، وإذا سافر من عنيزة سجل هاتف الرقم الذي سيكون عليه في البلد الآخر حتى يسهل الاتصال به .

خامساً : ذهابه وإيابه من المسجد :

اعتماد الشيخ أن يذهب إلى المسجد ويعود منه على قدميه – مع بُعد المسجد عن بيته – وإن كان هذا الوقت من الزمن قد لا يأبه به كثير من الناس ، إلا أن شيخنا – رحمه الله – قد رأى لهذا الوقت قيمته ؛ ففي ذهابه خصصه لنفسه ، وفي إيابه جعله للناس ؛ فكم من كتاب قد صُحح عليه وقرئ عليه ، ناهيك عن أصحاب الحاجات والفتاوى الذين يرافقونه حتى يصل إلى بيته ، بل قد يقف عند الباب أحياناً حتى ينهي حاجة سائليه .

سادساً : منبر الجمعة :

الحديث عن منبر الجمعة لا تفي بحقه هذه الأسطر ؛ فالشيخ خلال ما يزيد على خمس وأربعين سنة ظل خطيباً للجمعة وخطبتي العيدين ، والاستسقاء ، وقد وظف الشيخ هذا المنبر لتعليم الناس أمور دينهم ، فكانت خطبته تشتمل على معارف وفوائد علمية قل أن تجدها عند غيره ، ناهيك عن الموعظة وتذكير الناس ، وقد عرف عنه أنه إذا كان مسافراً

للرياض أو الطائف أو غيرها أنه يعود إلى عنيزة أحياناً ليلقي خطبته ثم يعود دون أن يظهر تبرماً أو مشقة .

سابعاً : التعليم النظامي :

وذلك أنه – رحمه الله – درّس في كل من معهد عنيزة العلمي ، وفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم ، فكان محط أنظار الجميع وقد استفادت منه أجيال متتابعة .

وأصعب ما واجه الشيخ في هذه الفترة هو تصحيح الإجابات حتى إنه اشتهر عنه ذلك سواء كانت أعمال السنة أو في الاختبارات الفصيلة ؛ لأن منها إجابات يصعب تقويمها لوجود خللٍ فيها يحير الإنسان : ماذا يحسم عليها من الدرجات ، فيقف متحيراً بين الأخذ بالحزم والأمانة ، وبين الاحتمالات التي يحتملها الجواب المقدم إليه .

ثامناً : عبر الإذاعة :

كان للشيخ – رحمه الله – وجود في هذا الميدان ، وقد ساهم في بعضها ، واستقل بشيء منها ، ومن ذلك : « نور على الدرب » ، « سؤال على الهاتف » ، و « من أحكام القرآن » ، و « برامج موسمية عن الحج والصوم » ونحوها .

تاسعاً : عبر بعض الصحف والمجلات :

كان له – رحمه الله – ركن للإفتاء في بعض الصحف والمجلات .

عاشراً : عبر الشريط :

ولما للشريط من سهولة في التداول والاستماع فقد أولى – رحمه

الله - الشريط عناية خاصة ؛ حيث إن جميع دروسه وفتاواه السابق ذكرها قد سجلت إلا ما ندر ، حتى إنه خص إحدى دور التسجيل بإخراج دروسه وفتاواه لتتوحد العناية بها ، وهي مؤسسة الاستقامة الإسلامية بعنيزة .

الحادي عشر : الإنترنت :

وهذا المجال وإن كان لم ينسق مع الشيخ فيه إلا متأخراً ، إلا أنه - رحمه الله - قد أولى العناية بذلك في كل ما يتعلق بالإنترنت إلى لجنة خاصة تعنى بشؤونه .

وأخيراً : فإن ما كتبته عن شيخنا - رحمه الله - في هذا الموضوع لا أدعي فيه الكمال لا من حيث التقييم ولا الحصر ولا الوصف ، فقد فاتني منه ما هو من عادة البشر ، والكمال لله سبحانه ، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه ، والحمد لله رب العالمين .

(مجلة البيان ، العدد : ١٦٠)

الجهاد الشيشاني في حياة الشيخ ابن عثيمين

بقلم الشيخ : محمد بن عبد الله السيف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله ، وبعد :

فلقد رحل شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين بعد أن ترك آثاراً إصلاحية وعلمية كبيرة ، ينهل من معينها الصافي المصلحون ، ويجدّ في تحصيلها والغوص إلى دررها ومعانيها العالمون ، وسيبقى أجرها جارياً لمن ورّثها بإذن الله تعالى ، وقد قال تعالى : ﴿**إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم**﴾ ، أي ما قدموا من الأعمال والآثار التي أثاروها وخلفوها من بعدهم ، من علم وقدوة ودلالة على خير ، ونحوه .

قال رسول الله ﷺ : «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» .

وقال ﷺ : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» .

ومع ما حبا الله تعالى به شيخنا من وفرة العلم ، وتبحره في فنونه ، وانشغال دائم في نشره وتعليمه والدعوة إليه ، وإجابة من يستفتي عن مسائله ، والسعي في مصالح الناس ، وإيصال المعروف والإحسان إليهم ؛ فقد كان شيخنا رحمه الله تعالى متابعاً لقضايا المسلمين ، كثير السؤال عن أحوالهم وأخبارهم ، ومن ذلك دوره البارز في الجهاد الشيشاني ، وهذا

الجانب من شخصية شيخنا العلامة – رحمه الله – لا يعرفه كثير من الناس ؛ فقد كان – رحمه الله – متأثراً بالغ التأثر بما أصاب المسلمين هناك ، محرضاً ومقوياً للمجاهدين في الشيشان ؛ فقد حزن حزناً شديداً عندما استمع إلى تقارير تفصيلية عن القضية الشيشانية ، ولا سيما عندما شاهد صوراً لجرائم القوات الروسية في حق النساء والرجال والأطفال في الشيشان ، فكان يتابع أخبار المجاهدين وأحوالهم أولاً بأول ، ويكثر من الاتصال بهم بنفسه ، ويسأل أسئلة تفصيلية تدل على حرص واهتمام ، ولا أعلم أحداً من العلماء المعاصرين سبقه في ذلك ؛ فقد بدأ اهتمامه – رحمه الله – بقضية الجهاد في الشيشان من الحرب الأولى ، فكان نعم المعين والمشير ، ولما انتهت الحرب وهدأت الأمور ، وقامت المحاكم الشرعية كان الشيخ هو مرجعنا فيما يشكل علينا من المسائل والمواقف ، وكنا نلقى منه كل تجاوب وتفاعل وصبر فقد كان يستقبل أسئلتنا في كل الأوقات بكل ترحيب وبشاشة وسعة صدر بل أعطانا رقم هاتفه الخاص ليتيسر لنا الحديث معه في أي وقت .

ولما بدأت الحرب الشيشانية الثانية كان تفاعله أشد ، ومتابعته أكثر ، وأحسب أن له نصيباً وافراً من قول الله تعالى : ﴿ **وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر** ﴾ ، ونصيباً وافراً من قول النبي ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله » ، وكنا نتعاهده بآخر الأخبار ، ونشرح له تفاصيل الواقع العسكري ، وكان يسأل عن قتلى العدو ، وعن السلاح المستخدم ، وعن الغنائم ، وعن حال المجاهدين وأسرهم ومعاناتهم ، فإذا تأخرنا عنه اتصل بنا يسأل ويتابع ، وقد يتصل أحياناً في ساعة متأخرة بعد الثانية عشرة ليلاً ، وإذا تحدث معنا فإنك تشعر في كلامه بصدق التفاعل وبالحرقة والحزن والألم كان يألم لألمنا ، ويفرح لفرحنا ، ويبشرنا بفضل الله تعالى وكرمه ، وكان

يتأسف كثيراً من تقصير الأمة بكافة فئاتها في نصرة إخوانهم .

ومن أعظم وصاياه لنا : تذكيرنا بتقوى الله تعالى ، وإخلاص العمل لوجهه عز وجل ، وكان يوصينا بالثبات والصبر ، ويذكرنا بفضل الجهاد في سبيل الله تعالى ، وبفضل الشهداء ، والمرابطين ، وكان يحثنا على التآلف والتعاون على البر والتقوى ، ويحذرنا من الفرقة والاختلاف .

ومن جهة أخرى كان شيخنا – رحمه الله – يحث الناس على التبرع للمجاهدين في الشيشان ، ويدفع زكاة ماله للمجاهدين ، وقد حدثنا من نثق به من خاصة طلابه أنه كان يقرأ عليهم أخبار المجاهدين ، ويطلعهم على أحوالهم ، ويحثهم على نصرتهم والتعاون معهم .

لقد كان لهذه النصرة والوقفة القوية مع الشعب الشيشاني في محنته أبلغ الأثر في نفوس المجاهدين الذين تتقوى قلوبهم وعزائمهم على مواصلة الطريق ، وتحمل ما فيه من الشدائد والصعاب بمثل هذه المواقف والأعمال العظيمة .

إن كلمات العلماء الصادقة المطمئنة المحرّضة على البذل في سبيل الله تعالى ، والثبات على الحق ، هي النور الذي يضيء لهم الطريق بإذن الله تعالى ، وهي النبراس الذي يبين لهم سبيل الصواب فيسلكونها ، ومواقع الخطأ والانحراف فيتجنبونها .

إن العلماء هم حراس الأمة وحماتها ، يستهدي بهم الناس في ظلمات الطريق ، ويسترشدون بهم في مسيرهم إلى الله تعالى ، ويلوذون بهم بعد الله تعالى في الذب عن حياضها الكريمة ، وتتجلى قيمة العلماء الربانيين في مثل هذه المواقف الجليلة التي يُمتحن فيها العباد ، وما أجمل قول الإمام

ابن القيم لما ذكر مراتب جهاد النفس : « فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين ؛ فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق ، ويعمل به ، ويُعلّمه ؛ فمن علم وعمل وعلّم فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات » .

أسأل الله تعالى أن يتغمد شيخنا بواسع رحمته ومغفرته ، وأن يرفع درجته في جنات النعيم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(مجلة البيان ، العدد : ١٦٠)

العقد الثمين

في الثناء على ابن عثيمين

«ثانياً : الشعر»

لقد رُتِّبت القصائد على الحروف الأبجدية لأسماء الشعراء ، ولا شك أن بينها تفاوتاً كبيراً من حيث الجودة ، وبما أنني عنيت برصد هذا الحدث العظيم بكل ما قيل فيه فإنني لم أستبعد من القصائد إلا ما ندر ، وإن كثيراً منها لا يرقى إلى أن يكون شعراً ، ولكن الجامع بينها جميعاً هو صدق العاطفة ، ولعل بعضها يحمل بعضاً ، وأغلب هذه القصائد نشرت في الصحف المحلية والعربية ، من بعد وفاة الشيخ في يوم الأربعاء ١٥ / ١٠ / ١٤٢١ إلى يوم الأربعاء ٢٩ / ١٠ / ١٤٢١ هـ.

أما بعض القصائد فقد تكرم أصحابها بإرسالها لنا مباشرة ، ونأمل من كل أخ لديه مشاركة يرى أنها جديرة بالنشر أن يبعثها إلينا لاعتماد طبعها في الطبعات القادمة - إن شاء الله - ولا فُضَّت أفواههم ،،،

المؤلف

في رثاء الشيخ رحمه الله

شعر الأستاذ : إبراهيم الكلثم

يا عين فيضي بدمع الحزن تسكابا ... وابكي كريماً عزيز النفس توابا
سحي بدمعك في الخدين أودية ... تجري بنهر فإن البدر قد غابا
أما ترين سواداً في مرابعنا ... فذلك الليل جر الهم أثوابا
حزناً على الشيخ نبكي في مصيبتنا ... فنبصر الدمع في الوجدان منسابا
والأرض تمسح بالأطراف دمعتها ... إذ فارقت بفراق الشيخ محرابا
يا بن العثيمين من للعلم بعدكمُ ... وأنت من علم الطلاب آدابا
من للعلوم وللأخلاق أن درست ... من للقواعد تبياناً وإعرابا
من للفوائد يجنيها ويقطفها ... فأنت تقطف مما لذ أو طابا
من للمجالس بالفتوى يعطرها ... وكنت تملؤها مسكاً وأطيابا
مات الحبيب وما ماتت مآثره ... إن العلوم تزيد العمر أحقابا
مات الذي كسب الميراث من سلف ... وورث العلم أجيالاً وطلابا
فودعي يا رياض العلم ذا أدب ... سمحاً بشوشاً حليم القلب أوابا
وودعي من دعا لله مجتهداً ... شيخاً كبيراً على التعليم قد شابا
لمثل هذا تسيل العين في حزن ... وتذرف الدمع آلاماً وأوصابا

(جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧)

في ذمة التاريخ حبر

شعر الشيخ : إبراهيم بن صالح الوابل

خطب ألم القلب أشجى المنبرا ... ونفى عن العين الرقاد وأسهرا
خطب إذا ما الصبح أرسل ضوءه ... كتم الدجى أنفاسه وتبعثرا
جلل له تبكي القصيم وأرضها ... وتبيت تنعاه المدائن والقرى
في ذمة التاريخ حبر قد هوت ... أفلاكه وتناثرت خلف الثرى
شيخ القصيم محمد إبن الندى ... إبن السماحة والكرامة والذرا
العلم صافحه وصافح فضله ... وأسال دمعاً كالآلىء قد جرى
جفت صحائفنا وغاض يراعنا ... وقد انزوت حيرى تكذّب ما ترى
من للفتاوى بعده حتى إذا ... جاء المُسائل بيننا متحيرا
إن كان قد غابت نسائم روحه ... فلنا به علم أضاء وأبهرا
بحر تفيض به الجواهر حكمة ... كم طالب في بحره أدلى القرى
يا نجمة برزت وكان ضياؤها ... بدراً أنار مع الدجى درب الورى
تسعى وتمشي خلفه أمم تظن ... وراءه موجاً يموج تبخترا
يا درة الإسلام فقدك ظلمة ... كالكهف تاه بقلبه من قد سرى
يا درة بخل الزمان بمثله ... لله درك عالماً متبحراً
هذي الحياة وإن صفت أيامها ... عادت شراباً بالعناء مكدرا
غفر الإله له وخلد ذكره ... وسقاه من نهر الجنان الكوثرا

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٨)

بفقدهم تفقد الدنيا رواسيها

شعر الشيخ : إبراهيم بن عبد الرحمن المبارك

* إمام وخطيب جامع القويع بمحافظة حوطة بني تميم *

أحوال أمتنا زادت مآسيها ... تفاقم الخطب واندكت رواسيها
محمد الصالح الميمون قد فجعت ... بموته أمتي فالهم يضنيها
أهكذا شمسنا شمس العلوم غدت ... مكسوفة الضوء غابت في مرائيها
أهكذا بدرنا بدر تألق في ... سمائنا برحاب الأرض ثاويها
أهكذا الروض بالأزهار مفعمة ... عبيرها عبق قد بات ذاويها
مات الإمام إمام العصر فاندلعت ... بالنفس ثورة أحزان أعانيها
تهاطل الدمع من عينيّ في لهف ... هو الشواظ لنار شب موريها
تسعرت نار آلامي بلوعتها ... وظل جرح الأسى بالنفس يدميها
مات العثيمين بحر العلم وا أسفي ... على بحور له طابت شواطيها
مات العثيمين مفتي الناس وا أسفي ... على فقيه بنص الوحي يفتيها
مات العثيمين شيخ الزهد في زمن ... تبرجت فيه دنيانا لباغيها
مات العثيمين ليث الحزم في رشد ... بنات حكمته يفري أعاديها
إن العثيمين مني حل منزلة ... من الفؤاد فدمع العين يُبديها
هذي جموع الورى جاءت مفزعة ... تكفكف الدمع ثراً في مآقيها
باتت مفجعة للحال راثية ... سماؤها أعتمت سوداً لياليها

لكنها ترتجي من ربها خلفاً … يعيد عزتها بالعلم يهديها
يا أمة فقدت في العلم قائدها … في الرشد رائدها بالدين يوصيها
هذي مآثره كالطود شامخة … ستحتفي كتب التاريخ ترويها
علومه جمة في الناس باقية … من بعده درراً جلت مراميها
هذي كتاباته ظلت مخلدة … هذي شرائطه بالصوت يلقيها
هذي جموع من الطلاب تخلفه … شعارها العلم قد جلّت مساعيها
هذا هو العز لا جمع الحطام ولا … تشييد أبنية تعلو مبانيها
يا خاطب المجد يا من يبتغي سبباً … نحو المعالي فيرقى في مراقيها
هيا إلى العلم والإخلاص في دأب … مع القيام بآداب تراعيها
حتى تنال الذي دوماً تؤمله … من المعالي ورب العرش موليها
ثم الصلاة على من في تذكرنا … لموته جابر للنفس يسليها
والحمد لله محيينا وقابضنا … تعود أرواحنا حتماً لباريها
يا رب فاغفر لشيخ العلم زلته … واجعله من جنة المأوى بعاليها
واخلف على أمتي من بعده خلفاً … يسير سيرته دوماً يحاذيها
جبالنا هم رجال العلم في شمم … بفقدهم تفقد الدنيا رواسيها

(جريدة الجزيرة، العدد: ١٠٣٤٥)

العملاق الراحل

شعر الشيخ : إبراهيم بن عبد العزيز الفوزان

هل بانطلاق قصيدة بلساني — سكن يخفف هائج الأحزان؟
ولقد تشعبت اللغات بأبحري — ولما دهانا هل يفك حصاني؟
أمر تمنّعت الحروف لهوله — وتناوش الأبيات قد أعياني
ورصاصة النبأ العظيم بمقتل — كادت تجندل راسخ الأذهان
قدر الإله بحكمة موزونة — وبكاؤنا بمصابنا لحنان
ورحيل شيخ المسلمين محقق — أنَّى لسخطٍ من بني الإيمان؟
رحل الذي بنفوسنا حب له — متجذر مخضوضر الأغصان
الراحل العملاق فخر بلادنا — مهدي الرؤوس أكارم التيجان
ابن العثيمين الذي بوداده — أرواحنا جبلت مدى الأزمان
وفراق عالم أمتي وضيائها — ألم يكابد وقعه الثقلان
ورحيل شيخي قد تشظى في دمي — كسفاً تفجر كامن الأشجان
ورحيل شيخي لوحة ورموزها — مبثوثة ألوانها بكياني
يا للخميس وشيخنا متوشح — حلل العواطف في أعز مكان
خفق الدعاء على الأثير لشيخنا — همس الجموع بمسمع الأكوان
همس القلوب على الشفاه يريحه — روح الخشوع بأقدس الأوطان
يا للخميس وشيخنا في موكب — وعليه من ظلل الوقار معان

تتسابق النظرات نحو فقيهنا ... لله ما أسماه من ميدان
أشواق توديع ترف لعلها ... تحظى بلمسة قمة الإنسان
القمة الزهراء كل قد سعى ... لوداعه بروائع البرهان
زفّوه والآلاف تلهج بالرجا ... كيما يفوز بجنة الرحمن
كنز الفضائل بالفعال فقيدنا ... يعطي البقاع مفاتح الإحسان
يا دوحة العلم التي بستانها ... برياض شيخي مبتغي الركبان
لا تجزعي لفراقه فغيوثه ... بلواقح من هاتن المنان
يا نجد يا فيحاء يا كل الدنا ... جزل الثواب لصابر الأحزان
تلك المصيبة حطمت أعماقنا ... لن نستجيب لدعوة الشيطان
ورسولنا أعتى المصائب ذاقها ... وبه تأسى ناشدو السلوان
صبر جميل نسمة أنداؤها ... متروّحات رائح القرآن
وخريطة التفكير عند فقيدنا ... للمسلمين تواضع بتفان
تلك الشمائل لا بريق مخادع ... أو معجب متغلف الأبدان
الله أكبر يا بواسق شيخنا ... من يخرف الثمرات في البستان؟
لغة التصبر والبكاء بأمتي ... إن العزاء بشائر الرحمن
يرنو الدعاء لشيخنا بمنازل ... يا رب هبه منابراً بجنان
ويظل أعذب جملة بلساننا ... أزكى الصلاة لقدوة الإنسان

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤١)

في ذمة الله

شعر الشيخ : إبراهيم بن محمد الحميدان

* القاضي بالمحكمة المستعجلة بالأحساء *

في ذمة الله ودعنا أحبتنا — لا سيما شيخنا إبن العثيمينِ
فنسأل الله جبراً في مصيبتنا — ففقده ليس فقداً للملايينِ
بل فقد شيخ له في القلب منزلة — يجري له الحب في عمق الشرايينِ
ابن العثيمين كم أحيا له حلقاً — علم شريف بتوضيح وتلقينِ
إرث النبوة لا فن وفلسفة — مرده الوحي في كل الأحايينِ
قال النبي وقال الصحب والسلف — ميزانه الشرع أنعم من موازين
جوابه حاضر في كل مسألة — حتى حوى العلم في الدنيا وفي الدين
حباه مولاه صدقاً في تعامله — مع خلقه فارتضى حب المساكين
فنسأل الله أن يصلح خليفته — ويسكن الشيخ في جنات تطمين
إن الحياة وإن طالت فإن لها — حداً هو الموت يأتينا على حين
فالموت حق وكل الناس مدركه — كيف الخلاص لنا عند الموازين
نرجو من الله غفراناً ومرحمة — فهو المعين لنا في العسر واللين

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٥)

رحماك

شعر الشيخ : إبراهيم بن محمد الدامغ

رحماك يا رب البرية حيثما ... ناديت باسمك زاهداً متورعا
يا من إليك كما عهدت تعرفت ... كل الأنام مهابة وتطلعا
إن كنت للعلم المؤزر قد جرى ... قدر اللقاء لديك حيث توقعا
فلك العلى وإليك منا ما ترى ... من منة تدنو إليك ترفعا
يا عالم الإسرار وهي خفية ... أنت الكريم وفيك يسمع من دعا
بقضائك المحتوم أبحر وانتهى ... علم لنا يروي المحبة منزعا
فيه لنا مالا يُنال بغيره ... مذ كان غضاً يافعاً متطوعا
كان المعلم والخبير بعلمه ... والملهم المتمكن المتفرعا
تعنو إليه من الموارد كلها ... منن من الفكر الأثير توسعا
فلكل وارد حكمة ومحجة ... سنن يروم به الهداة تورعا
يا من إليه الملهمون بعزهم ... يتسابقون إلى الفضيلة مطلعا
من كل فج يعمرون رحابه ... زمراً يرون به الحياة تمنعا
ولهم به أمل يسير لنوره ... شرف السلام تألقاً وتتبعاً
فالنور يشرق باسمه متبسماً ... رحب السريرة وارفاً متطلعا
يتمتع الغرباء في نفثاته ... ويسبح المتوطنون بها معا
حتى الصغار مع الكبار لهم به ... ما يبلغ المتعطشون تشيعا
يا من له في كل سارية يد ... للخير تورد همة وتطوعا

إن كان عرفك للخلود معطراً ... فإليك ينتسب النعيم ممتعا
أسرت بك الآلام روعك وابتلى ... نفحاتك الغراء سقماً مجزعا
فصبرت حتى سامك الألم الذي ... عانيت منه توتراً وتصدعا
ألم له في كل قلب لوعة ... لولا الرجاء لكان فينا مفزعا
يا سارياً بيد الإله زمامه ... نحو الخلود مرفها ومشيعاً
لله درك إذ رحلت معلماً ... بالمكرمات وأنت أكرم من وعى
غادرت أهلك والحياة ثمينة ... وجلال نورك في الخليقة قد سعى
فربحت في كنف الإله قرارةً ... يطري لها وجه الزمان مشرعاً
كنف له فيما تروم شفاعة ... يتمتع الهادي بها متدرعاً
يا خير من وسم الإله جبينه ... بالنور طاب بك الرضا وتمتعا
نجواك في الرمس المهيب أثيرة ... نهفو إليها دون فقدك موضعا
فلك المحبة والأمان من الذي ... روّاك في جناته متضلعا
كنا نراك مدى الحياة مسلياً ... أرواحنا واليوم غبت مودعا
يا درة شرف الزمان بمثلها ... لولاك ما عرف المهذب مبدعا
إن كنت غبت عن الوجود فإننا ... من بعد فقدك قد رشفنا الأدمعا
نبكي بكاء الثاكلات تأيُّماً ... ونجور في الليل البهيم توجعا
يا من تركت لنا العزاء توتراً ... إنا إليك سنحتفي بك خشعاً
فلقد فقدنا بعد نورك منبراً ... كنت الأمين به وكنت المرجعا

(جريدة الجزيرة، العدد: ١٠٣٣٦)

مشاعر العزاء في عزاء المشاعر

شعر الأستاذ: إبراهيم بن محمد المشاري

أَبَكاك درس أم بكتك خُطاكا ... للجامع السعدي منذ صباكا؟
أم منزلٌ شَهِد الكفاح وزانه ... نسل كريم قد رعته يداكا؟
أم طالب للعلم فارق أهله ... هجر الأحبة في سبيل لقاكا؟
أم بهجة للعيد تعقب خطبة ... لك هل لعيد بهجة بسواكا؟
أم رحلة للحج يرقبها الذي ... عزم اللقاء وعيّن الأنساكا؟
أم نور درب شعّ كل فضيلة ... منه بنورك واهتدى بضياكا؟
أم هاتف الفتوى عبير إذاعة ... ملأ الفضاء فما لها إلاكا؟
يا ملهم الشعراء موتك لوعةٌ ... قد أشعلت في الخافقين لظاكا
أغريت بالشعر المعنّى صولة ... حتى امتطى صهواته فرثاكا
الشعر مغرور ويعلم أنني ... ثمل به من أجل ذاك جفاكا
سأهيم في شعري وإطرائي لمن ... رفض الثناء وبات في مثواكا
يا حامل القبس الذي يسري بنا ... صرنا إلى الظلماء أين ضياكا؟
هل للعباءة هيبة من بعد ما ... لبس اللفافة بعدها كتفاكا؟
أم نظرة كالسيف أغمد متنها ... من بعد ما حوت الثرى عيناكا
أبكيك لا خوف عليك وإنما ... لدنو نجم عن بلوغ سماكا
الشارع المهجور بدد ظلمة ... بالنور حين خطت به قدماكا

واليوم بدّل نوره ونهاره ... ليلاً عبوساً فاقداً مسراكا
الجامع المكلوم ينزف لوعة ... لو كان مثلي شاعراً لرثاكا
قد زينوه كما تُزين زوجة ... فإذا بها ثكلى لما أرداكا
كست المنابر وحشة لفراقكم ... وتوشّح المحراب صوت صداكا
كالحلم موتك لم نُفق من هوله ... فلقد غشانا منه ما غشّاكا
خلت الديار وأقفرت برحيلكم ... عجباً لكأس الموت كيف سقاكا؟
ما زلت أشعر كل خطبة جمعة ... أنّي إذا رُفع الأذان أراكا
ويكاد يرديني ويقتلني الأسى ... إن رُمت ثم يئست من لقياكا
وتكاد تخنقني دموعي عبرة ... فتئزُّ أنفاسي على ذكراكا
وتكاد تأسرني الندامة كلما ... نُدبت دروس للإمام هناكا
فعزمت أن أرد المشارب أرتوي ... من منهل عذب طوته يداكا
لو كان يُجدي بالفراق نياحة ... جرت المدامع لو تجف فداكا
لو كان يُرجى كي تعود بكاؤنا ... بكت السماء وزجّت الأفلاكا
النيّران سراهما لك معتم ... وكسوف بدر كالإمام عماكا
تصغير عثمان المحرّف شهرة ... ما كان يُعرف في الملا لولاكا
قد شاب منك العارضان على التقى ... وحفت على درب الهدى قدماكا
أفنيت دهرك عالماً ومعلماً ... تالله ما فنيت بذاك خطاكا
لم تُغلق الأبواب دون مسائل ... ولكل ذي شكوى صغتْ أذناكا
أقبلت للأخرى بكل عزيمة ... وأدرت للدنيا الغرور قفاكا
السنّة الغرّاء أنت إمامها ... رفعت لراية عزّها يمناكا

مـــا أنت إلا أمـــة في أمـــة ... جـسـد وروح هل نطيق فكاكـا؟
قـد خـصّك المولى بفـيض محـبـة ... وطلاقـة ومـهـابة لتـقـاكـا
أدركت فـيك من الصحابة صورة ... بإمـامـة وعـمـامـة ورداكـا
بيني وبينك مـوقف أسلو به ... حـتى أزاحم عند حوض فـاكـا
قــد أعظم المولى لنورك أجـره ... وكـذاك أحسن في العبـاد عزاكـا
وعــزاؤنا فـيك النبي مـحـمـد ... بالحق وافـاه الذي وافـاكـا
صلى عليك الله يا علم الهـدى ... مـا ظل لحـد في الحجـاز حـواكـا
وعلى نزيل العدل مزنة رحـمـة ... تسـقي ثراه بما سـقـتـه ثراكـا

في موكب الوداع

شعر الأستاذ : أحمد بن حسن الصابطي

مهلاً فديتك فالقلوب تنادي ... وعلى ثراك يئن صوت الحادي
مهلاً فديتك فالنفوس جريحة ... قد مزقتها حرقة الأكباد
ما زال جرح الباز فينا راعفاً ... منذ التقى سهم الخميس فؤادي
يسري اللظى بين العروق يزيده ... ألماً سهام بقية الرواد
سهم وآخر والجروح كثيرة ... والصبر فيها عدّتي وعتادي
يا بن العثيمين الذي خفقت له ... حباً قلوب حواضر وبوادي
أنت المفسر والفقيه وشامة ... في العلم والتعليم والإرشاد
والزهد ألقى في فنائك رحله ... وبقيت مقياساً لكل جواد
مهلاً فديتك إن في آرائكم ... سيفاً صقيلاً يُنتتضى لجهاد
فالحرب تغلي قدرها يا شيخنا ... حمي الوطيس وغُص بطن الوادي
حرب ضرورس لم تضع أوزارها ... بين الأباة وطغمة الأوغاد
من كل صوب أجلبوا وتحزبوا ... وتلفعوا بالشر والأحقاد
والمرجفون دبيبهم متواصل ... يستبشرون بفكرة استعباد
وطغاة أصحاب الكتابين التقوا ... بعبيدهم في موطن الميعاد
وبواسل الشيشان قل نصيرهم ... وجراحنا تربو على التعداد
مهلاً فديتك فالخدود قد ارتوت ... من دمعنا لوداع شيخ النادي

يوم الوداع تفطرت أكبادنا والعين فيه تكحلت بسهاد
لما رأيت سريره ناديته بقلوبنا : يا قمة الأطواد
أين المسير وقد أخذت قلوبنا وتركت فينا نظرة الحساد؟
يا حاملي نعش الحبيب تمهلوا فلقد حملتم سيد الزهاد
لا بل بل حملتم بدرنا وضياءنا وسحابة العلم المغيث بلادي
فإذا أردتم دفنه وغيابه فلتدفنوه بمقلتي وفؤادي
مهلاً ولكن القضاء مقدر فالحمد لله العظيم الهادي
صبراً فؤادي فالطريق طريقنا والناس فيه روائح وغوادي
والله يرحمنا ويرحم شيخنا فالموت للأحياء بالمرصاد
والله يُخلف غيره في أمتي فهو العليم بدعوتي ومرادي

(مجلة البيان ، العدد : ١٦٠)

الناصح

شعر الشيخ: أحمد صالح الصالح

بآية الحب فض الحزن أفئدة فأوجع القلب والأكباد والحدقا
ومر بالمسجد الباكي إمامته ففزع المنبر المشتاق والحلقا
وأجهشت أعين الفيحاء باكية إمامها وحبيباً عالماً صدقا
تحاملت فوق هذا الحزن تخزنه بين الضلوع وأصلاها النوى حرقا
قد أوحش الدور فالأحياء مطرقة بأي حادثة هذا المسا طرقا
وأيما خبر غص الأثير به فأثكل الناس والدارات والطرقا
في كل عين حكايات تخبئها وفي الشفاه حديث بالأسى شرقا
بين الضلوع يكاد القلب من جزع أن يهجر النبض أو أن ينتهي مزقا
إمام هذا الهدى الأحباب ما برحوا في موكب الحب سدوا باللقا الأفقا
كأنهم في انتظار الدرس قد وقفوا وأن شيخهمُ في إثرهم طفقا
وأن كرسيه لا زال مزدهراً بعلمه ما شكا عيّاً ولا رهقا
وأنه سوف يأتي كالندى سحراً يباشر الصبح للمحراب معتنقا
يلقي بيان الهدى في الناس محتسباً كأنما ينفح الأطياب والعبقا
دروسه بينات يستضاء بها في كل معضلة ما لان أو فرقا
إليه جاءت ركاب الناس مشفقة لتستقي من معين للهداة سقى

كم علهم بصبوح العلم طيبه … وأنهل العلم من وافاه مغتبقا
حبيبنا هذه الأحباب قد عرفت … فيك الأمين النقي الزاهد الحذقا
إمامهم وحبيباً لامست يده … وقلبه ولسان بالهدى انطلقا
جرحاً تبزل مسته بصيرته … لأمة لم تزل في أمرها فرقا
حبيبنا أمة الإسلام يتمها … رحيل أعلامها من للهدى استبقا
عامان غابت نجوم جدٌّ مزهرة … لله من رحلوا طوبى لهم رفقا
حبيبنا أمة الإسلام مثخنة … وكلما التام جرح آخر انفتقا
ألقى اليهود إليها كل حقدهمُ … والغرب سن لها من كيده طرقا
واثاقلت عن جهاد النفس واتخذت … درب الهوى مسلكاً والغي مرتفقا
ترجلت عن ظهور الخيل من زمن … فجئت في ليلها تستدرك الرمقا
أيقظت في ثقة فيها حميتها … محصت إيمانها أخزيت من نعقا
تقيلها بحنان المشفقين بها … وتمحض النصح أدناها ومن أبقا
حتى إذا ما اجتلوا درب الهدى رغباً … واستشرفوا طالعاً بالحق مؤتلقا
ودعتهم يا حبيباً كان يؤنسهم … وكان براً حفياً صيباً غدقا
فأجفلوا كاليتامى حين ودعهم … من طاب سيرته واستكمل الخلقا
حبيبنا طبت في أم القرى جدثا … وطاب ذكرك في كل الدنا عبقا
وطبت غيثاً به الفيحاء مخصبة … أحيا موات النُّهى واستنبت الورقا
إليك من حبها ما أنت تعرفه … ومن تضرعها أن لا تذوق شقا

(جريدة الجزيرة، العدد: ١٠٣٣٨)

الصدع والأنين في رثاء العلامة العثيمين

شعر الأستاذ : أيمن إبراهيم شحاته

قف في سكون على الأطلال معتبراً ... واخفض من الطرق واخشع واسمع الخبرا
كم من فقيد غدا للموت مغتبطاً ... بالخلد في جنة الرحمن مفتخرا
رباه فاجعل سبيل الشيخ تكرمةً ... يجني جنى الجنتين الحلو معتصرا
يا صالح النهج يا شيخ الورى حزنت ... تلك الدنا واستحال القلب منكسرا
قالوا لقد مات فاستحسرت وانتفضت ... أبيات شعري وراحت تسطر العبرا
تلك السماء التي قد رُصّعت درراً ... باتت تذوق الأسى إذ ودّعت قمرا
نبع الصفاء الذي منه ارتوت أمم ... قد أصبح اليوم يبكي ذلك النهرا
والروض قد بات محزوناً ومكتئباً ... فالعندليب الذي فيه ارتقى قُبِرا
للشيخ في قلبنا ذكرى ومنزلة ... لم يلقها بيننا زوراً ولا بطرا
لابن العثيمين في جمع الورى كتب ... سارت ركاب بها واحتلت الغمرا
أكرم بشرح بديع منه قد نهلت ... تلك البرايا وراحت تصطفي الدررا
فالشعر من كمد يبكي وتندبه ... تلك البحور التي باهت به البحرا
ما زال يحمل هم الدين في جلد ... حتي قضى فاستحق الشكر إذ صبرا
أدعو الإله الذي يبلو سرائرنا ... أن يسقي القبر غيثاً طيباً عطرا

(مجلة البيان ، العدد ١٦٠)

يهنك العلو يا حفيد الصحابة

شعر الأستاذ : بلال بن إبراهيم الفارس

أورث الخطب في القلوب الكآبة ... ودموع الأسى غدت منسابه
وفراق الإمام خطب جسيم ... كل من في الورى أحس مصابه
ليت شعري لمن نبث عزاءً ... وجميع العلوم تشكو غيابه
كتب العلم كان ينهل منها ... دون ري ليستقي آدابه
ثم يعطي زكاة من قد تلقى ... قبل أن يبلغ المزكَّى نصابه
عالم مخلص حبيبٌ مُحبٌّ ... طلب العلم بَذْلُهُ فأجابه
أُمَّة مؤمن أمين أمان ... مثله في العطا كمثل السحابه
حازم صادق .. محمد خير ... يهنك العلم يا حفيد الصحابة
قد بكت فقده مجالس ذكر ... منبر كان يستلذ خطابه
ومصلاه مظلم والزوايا ... تشتكي فقد صوته والدعابة
وربوع القصيم تبكي أباها ... والرياض الحزين يبدي انتحابه
وديار الحجاز ضمته ضيفاً ... قرب بيت الإله نعم القرابه
سكن العدل وافق الإسم وصفاً ... لفقيد الورى ورمز النجابه
يرحم الله والداً قد رعانا ... يا إلهي فيسرن حسابه
واجزه خير ما جزيت إماماً ... عن محبيه أنت أهل الإجابه

أمـــة الحق دوركم قـــد تنامى جـــددوا العـــزم تؤجـــروا بالإثابه
واصلوا السيـر نحـو سيـر أبيكم واجـهـوا الشـر أعلنوا : لا مـهـابه
وانشـروا علم شيـخكم لتنالوا شـــرف العلـم والتـــقى والإنابه
ثم صلوا على الرسـول كـثيـراً وعلى الآل والهـــداة الصـحـــابه

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٥)

فقيد العلم والدين

شعر الأستاذ : جمال الحوشبي

ذبول في العراجين ... لهم كاد يبريني
تُردد رجعه نجد ... على فقد العثيمين
وتُروى اليوم سيرته ... من البلقان للصين
ألا يا ليت ما شعري ... وما وصفي وتبييني
أحقاً مات عالمنا ... فقيد العلم والدين؟
أمات الصالح المحبو ... ب في قلب الملايين
وفاضت عبرة مني ... فكاد الدمع يبكيني
دعتك مفاتن الدنيا ... بأصناف القرابين
فما كنت الذي في زهـ ... ـرة الدنيا بمفتون
لئن قالوا : فقدناه ... فذكرك في الدواوين
علوم كنت تشرحها ... بنهج منك مسنون
لئن قالوا : تغيّب في ... حُنيَّا الترب والطين
فعلمك بيننا أبداً ... زكيٌّ الصاد والسين
ألا تبكون من في فقـ ... ـده النقصان في الدين
لك الرحمن يا أسداً ... هصوراً في الميادين
إذا ما قلت : قال اللـ ... ـه في حزم وتمكين

وصُغت السنّة الغـ ـراء إحكاماً بتبيين
تهابك في معاقلها أشمّاء العرانين
لئن غودرت يا علماً بجوف الترب والطين
فأسأل من حباك الفضـ ـل في عزٍّ وتمكين
بأن يوليك مكرمة بدار الخلد والعين

(مجلة البيان، العدد: ١٦٠)

وغاب فقيه الأمة

شعر الدكتور: حبيب بن معلا المطيري

* أستاذ النقد الأدبي المساعد بجامعة الإمام *

عبرات حزنك يا أخي عبراتي وأنين صدرك في الدجى أناتي
أسبلت دمعتك السخية فاعتلت للخطب في لجج الأسى زفراتي
أقبلت بالخبر المروع ذاهلاً قد ضاقت الأفواه بالكلمات
هيجت بالبوح الممض مشاعراً جفلت لفقد الأوجه العطرات
فشرقت بالدمع الذي بحبيبه أقبلت تسكب صادق الدمعات
فنشيجك المحموم لوعة ثاكل قد غص بالكلمات والآهات
ونحول جسمك إذ دهته كروبه يروي احتراق القلب بالنكبات
غاب الإمام الحبر بحر علومنا زين المنابر مشرق القسمات
غاب العثيمين الإمام مودعاً تهفو إليه منابر الحلقات
غاب الفقيه الفذ شيخ شيوخنا ذو الفضل والإحسان والخيرات
فلتبكه كل القلوب بحرقة وليُرث بالدمعات والدعوات
إني لأذكر درسه وجهاده وشموخه في عزمة وثبات
إذ كان يدعو دعوة سلفية محمودة الحركات والسكنات
إن أنس لا أنسى الدروس بمكة أيام عشر الخير والنفحات
أو أنس لا أنسى الفتاوى إنها شهدت بفقه واسع الملكات

«نور على الدرب» استنار بعلمه فأضاء يكتب أنصع الصفحات
أواه يا شيخاه يا علم الهدى يا طاهر الأهواء والنزعات
لما فقدنا الباز كنت عزاءنا وملاذنا في حالك الظلمات
والآن غبت فمن تراه يدلنا في مهمه قد تاه بالأشتات
كنا نقول إذا ادلهم طريقنا واحتاجت الأحداث للإثبات
هذا العثيمين الإمام دليلنا بعد ابن باز يبلغ الغايات
لكننا والحزن يكسو أفقنا والهم يوقد أوجع الحسرات
نرجو لك الجنات طاب نعيمها لتنال فيها أرفع الدرجات
فإلى جنان الخلد يا شيخ التقى يا عامر الأوقات بالصلوات
اليوم قلنا إذ شهدنا دفنكم يوم الجنازة أبلغ الكلمات

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٦)

نكىء الجرح

شعر الدكتور: حبيب بن معلا المطيري

** أستاذ النقد الأدبي المساعد بجامعة الإمام **

جاس في خاطر الشجيِّ ضرامُهْ … وتناهت من الأسى آلامُهْ
نكىء الجرح وهو بعد طري … وسرت في عروقه أسقامه
خفقت بالأسى المشاعر لما … ناح في المسجد الحرام حمامه
وبكى الركن والحطيم وضجت … رحبة البيت واستهل مقامه
أي رزء دهى فأظلم وجه الـ … أرض حزناً وصوحت آكامه
الملايين روعوا وتداعوا … إذ تهاوت من الهدى أعلامه
جُرْحنا بابن بازٍ الآن أنكى … أشعل الحزن في القلوب ضرامه
فالعثيمين شيخنا قد توارى … في سكون الثرى تضوع عظامه
العثيمين؟ يا لجسم نحيل … تعبت في مراده أقدامه
ودع الشيخ واسبطر مشيحاً … للسماوات وجهه وأمامه
ودع الشيخ بعد أن عاش عمراً … شهدت عزمةَ التقى أيامه
ودع الشيخ فاستفاضت عيون … شفها الشوق فاستطار جهامه
أيها الشيخ يا حبيب المنيبيـ … ـن ويا من إلى التُّقى إقدامه
كوة العلم أنت فيها سراج … وسبيل الهداة أنت إمامه
يا فقيه الإسلام مذ غبت غابت … عن حمانا سحابه وسجامه

شمسنا أنت من تراه مضيئاً هل سيجلى عن المدار قتامه
حق فيك البكاء يا صادق الزهـ ـد وبالحق للهدى ضرغامه
حق فيك البكاء ما اشتمل الليـ ـل أساه أو شاقه قوامه
حق فيك البكاء ما احتاجت الفتـ ـيا إماماً تكاملت أحلامه
إن عيناً بالدمع جف عطاها لهي صخر أقام فيه سخامه
فعلى الشيخ رحمة وصلاة وعليه من الرحيم سلامه

(جريدة الوطن ، العدد : ١١٩)

في ضمير الأسى

شعر الشيخ : حمد بن محمد الهزاع

تلثمت زفرتي في خاطري حينا … ولم أبن من بنات الشعر تلحينا
لأنني لست أرضى الشعر تكلفة … ولست ناهل واد غير وادينا
لكنه الحزن قد أملى أوامره … على فؤادي وابتز الشرايينا
فإذ بها تستحث الخطو ناعيه … قصيدة ليتها إحدى نواعينا
حزينة كيف لا والدمع يخضبها … ومن فؤادي تقتات المضامينا
إني أراها وقد ألقت بحلتها … وأنشدتنا بصوت عاد يشجينا
وأقحمتنا عباب النوح ثانية … وفي ضمير الأسى تاهت مراسينا
وذكرتنا بذاك السور حين هوى … وكيف كان عن الأهواء يقصينا
لم يبرح الموت بالأفذاذ يطلبهم … يسل أخيارنا منا ويسبينا
يا بن العثيمين يا شمساً غربت وقد … كنا بنورك تحدونا أمانينا
يا بن العثيمين يا من كنت حاضرنا … يا كيف أصبحت عنواناً لماضينا
يا سيف عدل ويا سهماً نُغير به … ويا دليلاً إلى الترجيح موزونا
ويا شجاعاً أتى في صولة فرمى … قوساً أذاق بني الإلحاد غسلينا
يا كم دحرت بهذا العصر من فتن … ولو أتيح لهن اليوم عرّينا
كنا نقول إذا ما رامنا أحد … بالسوء إنا لنا صرحاً سيؤوينا
رحلت يا شيخ والأعداء تطلبنا … وأمتي ضعفها يغري الثعابينا

رحلت يا شيخنا ماذا سينفعنا ولو بكينا ولو طالت مراثينا
لكنما ذاك شيء من محبتكم ولن نوفيْ ولوصغنا الدواوينا
فداك يا شيخ لاهٍ من تمرده أضحى يقرب للأعدا القرابينا
فداك من لم يذد عن قدسه فأتى قرد يُقَتِّل أبناء المصلينا
فداك روحي وما كانت تؤمله فليس في العمر شيء ظل يغرينا
أضنيت روحك في مرضاة خالقها حتى فنيت ونحن الجهل يفنينا
فاهنأ لجنة رب كنت تنصره هناك تلقى بها غراً ميامينا
يا رب أكرمه بالفردوس مأمله ويرحم الله عبداً قال : آمينا

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٧)

من القوم لا يشقى بحال جليس

شعر الأستاذ: حسين بن مبارك الفائز

*** مركز صالح بن صالح الثقافي ***

هو الموت لا يبقي صفياً ولا خلا ... وما من شفيع عنده حيثما حلا
نضيق به ذرعاً ونرضى حلوله ... ونحمد من أفضى له في الدنا الفعلا
ويذكره الأخيار في كل لحظة ... ويشقى به الأشرار ما غاب أو هلا
أصابت سهام الموت حبراً وعالماً ... له العلم في محرابه دائماً خلا
من القوم لا يشقى بحال جليسه ... فما هاب في تبليغه الحق أو كلا
تُنقَّص من أطرافها الأرض عنوة ... فقد نقصت في موته أرضنا فعلا
لقد غاب من شمس الحقيقة عالم ... يجاهد في إيمانه الشك والجهلا
فمن ذا نعزي فيك يا شيخ إننا ... نعزي بك الدنيا بآفاقها الجلى
لئن كان في نظم القوافي ونسجها ... سلوّاً ففقد الشيخ يُجْرِعنا العلا
سنبكيك تحناناً ونبكيك حسرة ... ونعلم أن الصبر في رأيكم أولى
ولكنها الأحزان تملي على الفتى ... هواجس في كسر الجديدين لا تبلى
فقد عم فيك الحزن لم ينج سالماً ... سوى من له الشيطان قد ضمه نصلا
وقعت شهيد العلم والدرس مفنياً ... شباباً بتقوى الله حبرته كهلا
سيبكيك محراب ويبكيك منبر ... وعز لمن يبكيك يا شيخ أن يسلا
ويبكيك أجيال بسطت لهم يداً ... من العلم قد خلوا لك الصحب والأهلا

أتوا من بقاع الأرض شوقاً ورغبة ... فما ضقت فيهم حيثما يمموا عدلاً
قضيت وقد وفيت ما أنت قاصد ... فنم قد كفيت السقم والهم والويلا
فكم من كليم قد تلقيت سؤله ... أنرت له درب الهداية إذ ضلا
فقيه إذا ما الفقه ضاق بأهله ... تراه وقد دانوا له العقد والحلا
عليك سلام الله من كل طالب ... جعلت لديه الصعب في حكمة سهلا
ومن كل مكروب تحملت كربه ... تهادى إليه البشر من بعد ما ولى

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٩)

فقد الإمام مصيبةٌ لا تجبر

شعر الأستاذ : خالد الحمد

مـــاذا أقـــول ونار قلبي تـسـعــر ... مـــاذا أقـــول وكلنا نتـحـسـر
السـهـد أرّقني وأحـرق مـهـجـتي ... والعين تغـرقـهـا الدمـوع وتسـهـر
ما عـاد طير الروض يطرب سامعاً ... مــا عــاد يشـدو بالغناء ويجـهـر
ما عـاد في الصبح البـهيج مغرداً ... مــا عــاد في لحن شـجيّ يظهـر
مـاذا عسى شعري يقول وينبري ... والقلب من هول الفجيعة يُعصر
هلا بنات الفكر تحكم نظمـهـا ... وتبـوح في حـال الفـؤاد وتشعـر
خطب دهانا أي خطب مـفـزع ... خـطـب دهـانـا أي خـطـب يُـنـذر
فـزعت جـمـوع المسلمين بما جرى ... فـقـد الإمـام مـصـيـبـة لا تُجبـر
ضـاق الفـضـاء بقومنا فـتسربلوا ... حـزناً يـهـيم بأرضنا ويقـهـقـر
حـبـر وبحـر بالعلوم وجـهـبـذ ... نور وبدر بالليـالي مـقـمـر
فـقـه وتفـسير وعلم عـقـيـدة ... لغـة وفي علم الحـديث يخـبّـر
هو نخلة طاب المقـام بظلهـا ... هو دوحـة والروض فـيـهـا مـزهر
هو سـيـف حق باترٌ ومـهـند ... في وجـه كل ضـلالة يتـمـعـر
هو مـشـعل للناس شع سناؤه ... هـو بلسم ودواء جـرح يقـطر
هو مـقـصـدٌ والكل يقـصـد بابه ... هو عـزنا هو مـجـدنا يا مـعـشر

يبكيك جامعك الكبير وروضة ... وكذاك محرابٌ بكى والمنبر
وحمام بيت الله ناح وكعبة ... تبكي ويبكي من بكاها المشعر
يبكيك يا شيخ الفضيلة طالب ... يهفو إلى علم مفيد يسفر
إن حل في القوم الكرام نوازل ... فعزاؤنا فقد الرسول فنصبر
كل إلى الدار الأخيرة راحل ... إما جنان أو لنار تسعر
حكم المنية في البرية نافذ ... يبقى الإله الواحد المتكبر
يا غيمة تكسو السماء بأفقنا ... جودي ثراه في مزون تمطر
رباه أنت ملاذنا ونجاتنا ... أنت العفو وكل ذنب تغفر
اجعل جنان الخلد منزل شيخنا ... فيها الفواكه والنخيل المثمر

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٥)

دموعي ...

شعر الأستاذ: خالد الوقيت

دمـــوعي بعــــدكم تـكـف	وقـــلـبـي ذاهـــل يـــجـف
وبي من حــــرقـــة التــوديـ	ـع شيء فــوق مـــا أصف
بعـــــثت طيــــوف آهاتي	على مـــشــواك تخـتــلف
تــرتـــل آيـــة الـــشـــكـــوى	فـــتـــبـكي كل من يقف
ومـــا أنا وحـــديَ الملهـــو	ف كل الناس قـــد لهـــفـــوا
وكل الناس بعـــد الشـــيـ	ـخ فـــيض دمــوعـــهم ذرفـــوا
ولكن مـــرهف الإحـــســـا	س مـــثـلي قلبـــه كـلـف
ســتــبـكي فــقــدك الدنيـا	ومن حــزن ســتلتــحـف
ســيــذوي فــقــدك الفــتــوى	ســيــذوي روضـــهـــا الأنف
ســتــبـكي عنيــزةٌ جــزعـــاً	ســيــعلو وجــهـــهـــا الأسف
ســتــصــحــو بعــد رقـدتهـا	وإذ بالـشــيـخ مــخــتــطف
وإذ بـالـلـيـل مـنـســــدل	وإذ بـالـبـــــدر منكـسف
ســيــبـكي جـــامع كـــانت	بـــه الأنـــوار تـــأتـــلـــف
ســيــبـكي حــيث لا ورع	ولا عــلـم ولا شـــــرف
أصـــابت شـــمـــســـه الأيا	م وانــداحـت بـه الـعـــصـف

سـتـبكي دروسُك الغـرا ء والتـذكـيـر والـطرف
مـجـالس خـشـيـة طويت عليـهـا القـلب يلتـهف
سـيـبكي الزاد والتـحـرير والإعـلام والتـحـف
وأقـوال مـرجـحـة كـأن حـروفـهـا الشُّنُف
سـيـبكيك الألى قـدمـوا لنيل العلم فـاغـتـرفـوا
أتـوا مـن كـل نـازحـة إليك يسـوقـهـم شـغـف
إلى حـيـث الـهـدى أمّ وغـرس العلم مـقـتـطف
إلـى عِـلْـم إلـى عَـلَـمٍ إلى مـا قـالـت السـلف
فـهـاهم بعـد فـقـد الشـيـخ حـيـرى دمـعـهـم يكف
هـوت آمـالـهـم أرضـاً وضـاعـت منهم الصـحـف
كـأني بهـم وقـد تركـوا ديار الشـيـخ حين جـفـوا
تفـرق جـمـعـهـم شـذراً إلى الأوطان وانصـرفـوا
عـلام يقـيـم واحـدهـم ولـيس لمـكـثـه هـدف
أيمـكـث يـنـدب الأطـلا ل لـو فـي نـدبـهـا خـلـف
سـتـورثه مـغـاني الشـيـخ حـزنـاً مـا لـه طرف
مـضى والقـلب ملتـفـت إلى الماضي وملتـهـف
فـيـا رزءاً له الأجـرا م تـهـوي ثـم تـنـقـصف
ويا جـرجـاً أصـاخ لـه جـراحٌ فيّ تـنـتـزف
ويـا لـلـه مـا دفـنـوا من التـقـوى ومـا لحـفـوا
ويـا لـلـه أجـبـالٌ من العـرفـان تـنـتـسف

لقد أمسى بجوف القبـ ـر دراً ضمه الصدف
أما والله ما في العيـ ـش بعد الشيخ مطّرف
ولا في غير منهجه مفاز عند من عرفوا
سلام شيخنا المحبو ب ما أودى بنا الأسف
سلام حيث لا لقيا بذي الدنيا ولا صُدف
وأنى بعدما رحلت بجسمك نيةٌ قُذُف
لتهنك جنة الفردو س والأفراح واللطف
لتهنك جيرة الرحمـ ـن مع من ضمت الغرف
عبرت لأجلها الدنيا فلم تعكف كمن عكفوا
ولم تجمع كمن جمعوا ولم تألف كمن ألفوا
تركت جمالها الموهو م ترعى نبته الجيف
وسرت بعزمك الماضي على آثار من سلفوا
على آثار من نهلوا من القرآن وارتشفوا
ثبتّ علالة السبعيـ ـن لا ميل ولا جنف
فمتَّ مطهر الأردا ن لم تلصق بك الزيف

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٦)

الدمع السخين على فراق الشيخ العثيمين

شعر الأستاذ : خالد بن علي الدويغري

خبر وربي للفؤاد يقطع ... دمعت له عيني وعز المضجع
خبر وربي هدّ كل عزيمة ... يندى له الرجل الحليم ويفزع
خبر وربي لا يزال مدوياً ... من هوله صم الجبال تصدع
خبر أتى من حول مكة ناعياً ... الشيخ مات وكل أذن تسمع
خبر أتى ينعى العثيمين الذي ... كل القلوب له تجل وترفع
ينعى الإمام الفذ عالم عصرنا ... شيخ جليل زاهد متورّع
عز القصيد وأطرقت كلماته ... ماذا يقول الشعر؟ ماذا يبدع؟
تلك المصيبة إنها لكبيرة ... صبراً فلله العظيم المرجع
ولقد فجعنا بابن باز قبله ... إن المصائب خرقها لا يرقع
سنة وتسعة أشهر معدودة ... طنبان من أطنابها تتقلع
فالأرض تبكي والسماء حزينة ... والله يفعل ما يشاء ويصنع
والفقه يرثي والصحاح عليلة ... والروض يبكي والضياء اللامع
والفتح أغلق دفتيه بحيرة ... وكذا الفرائض بل علوم أجمع
ترثي إمام الحق حامي نهجها ... الشيخ حارسها يذبُّ ويردع
يا كعبة الله التي شهدت له ... فتحدثي عنه ونحن سنسمع

قالت لنا والدمع زاد نشيجها ... تالله ما أزكاه حولي يركع
وكذا المشاعر أرتجت لفراقه ... والأرض غشّاها بوار بلقع
لك يا عقيدة قد أتيت معزياً ... فبمثله يعلو العزاء ويرفع
لك يا عقيدة قد أتيت معزياً ... لمن العزاء وكلنا نتقطع
يوم الخميس ويا لها من لحظة ... إذ كفنوا الشيخ الجليل وأسرعوا
في مكة قد قال مقلة عينها ... إذ قدموه عليه كُبّر أربع
حملوه نحو العدل كان مسيرهم ... حضر الجميع وشاهدوه وودعوا
يا لحد مهلاً فيك شمس زماننا ... قد غُيّبت والنور باق يسطع
عادوا جميعاً ليس فيهم شيخهم ... وقلوبهم من حرقة تتقطع
بحر يسيل من الدموع بلوعة ... من ضن دمعاً خلته لا يدمع
ستظل يا علم المشايخ شامخاً ... ويظل علمك في البرايا يُطبع
صلى الإله على النبي وصحبه ... عدد الحصى والساكنات الهجع

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٣٧)

شمس العلم

شعر الأستاذ : خالد بن محمد القحطاني

* جامعة الملك خالد *

أشمس العلم قد سار المسجى وصار اليوم مدفوناً برمس
عثيمين العلوم حواه قبر حواه بعنبر وبطيب ورس
بمكة قد بكاه الناس طراً وطيبة والحجاز ومن بقدس
عنيزة قد بكت وبلاد نجد وأهل بريدة مع أهل رس
ومنبره بكى وبكت زوايا ومحراب بكى ومكان درس
شهاب ثاقب الأضواء مريدَ الدين في يوم برجس
هدى السارين في ظلمات دنيا وكان لأهل ملتنا كرأس
وزينة أرضنا ومنار علم وعلم الشيخ نهج للتأسي
إلى جنات عدن يا إمامي وحور العين قد زفت لعرس
ولو خيّرت قبل الفقد شيئاً لكان بأنها تفديه نفسي
وآخر دعوتي حمداً لربي بها أصبحت ثم بها سأمسي

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٣)

ماذا أقول وبوح الحزن يغمرني

شعر الشيخ : رافع بن علي الشهري
* عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية *

مـاذا أقـول ودمع العين يشـرق بي ... ولوعـة الوجـد أذكت لفحـة اللهب
مـاذ أقـول وبوح الحـزن يغـمـرني ... على فـقـيـد التـقى والعلم والأدب
على الذي كـانت الركـبـان تنشـده ... من كل أرض ومن صقع ومن حدب
على فـقـيـه لأهل الأرض قـاطبـة ... ابن العثيمين ذوالتقوى وذو الحسب
قد شفني الحزن حتى طال بي سهدي ... وضقت من كربتي وازداد بي نصبي
بكيت حـتى رأيت الناس تـندبه ... فـقلت إن الذي أبكيـه لـم يغب
لأنه في قـلوب الـناس مـتكـىء ... فـحـسـبـه أنه فـذ من النجب
وأنه عـالم الدنيـا ومـرشـدها ... وأنه نجـمـهـا الزاهي على الشـهب
بعلمـه أرضنا تزهو مـفـاخـرة ... ويفـخـر الناس من عجم ومن عـرب
قد كـان بين الورى شيخاً يعلمـهم ... مـا قـالـه الله بالآيات في الكـتب
ومـا أتى عن رسـول الله بينه ... علم من الفقـه والتـوحـيد في دأب
قـد كـان بحـراً لأهل العلم تشرعـه ... إذا بغت حليـة اليـاقـوت والذهـب
قـد كـان للناس نهـراً في عـذوبتـه ... وظل بحـراً لهم في العـمق والرحب
كم من علوم لأهل العلم أتقنهـا ... وصـار فـيـهـا إمـام الحق ذا الأرب
في كل فن تراه عـالماً حـذقـاً ... ينال منهـا بجـد أرفع الرتـب

يمشي على الأرض قرآناً نشاهده ... فالآي فوق الثرى تمشي على خبب
فقد حوى صدره القرآن أجمعه ... ولم يزل في ربيع العمر لم يشب
مذ كان طفلاً وعين الله تكلؤه ... حتى مضى العمر بالأيام والحقب
قضى الليالي مع الأيام منهمكاً ... في دعوة الله لا يشكو من التعب
كم منبر قد علاه كي يحدثنا ... وكم تلا من أحاديث ومن خطب
دعا إلى الله في صبر بلا كلل ... فلم يكن عاجزاً يوماً ولم يهب
كم صد بالحق أقوالاً مكفرة ... كم انبرى ضد أهل الشك والريب
قد كان لم يخش في الرحمن لائمة ... وإن أتى اللوم في شتم وفي عتب
إذا ألمت بأهل الأرض فاجعة ... بدا كبدر تجلى من علا السحب
يضفي على الناس في أقواله أملاً ... ويبعث البلسم الشافي من النوب
تا الله ما كان يرجو غير مغفرة ... ولم يكن يرتجي شيئاً من النشب
وكم أتت هذه الدنيا لتتبعه ... لكنها لم تنل شيئاً من الأرب
أتته منقادة تبغي مودته ... فصد عنها بوجه عابس غضب
فكان حقاً تقياً زاهداً ورعاً ... وقد رأيناه فينا خير محتسب
فأعطه يا إله الكون مطلبه ... وجنة الخلد أسمى غاية الطلب

(جريدة الجزيرة، العدد : ١٠٣٣٨)

وفي الليلة الظلماء ..

شعر الأستاذ : زكي بن صالح الحريول

ما أعذب الشعر إن جادت به المقل ... والجفن أفصح من يلقي ويرتجل
تغدو الحروف رماحاً في خواصرنا ... فتنزع الآه من أحشائنا الجُمَل
عدل أيا قلب أن الوجد يحرقني ... ومن رماديَ عين الشعر تكتحل؟
عهدي بأن فؤادي كله جلد ... ما باليَ اليوم يجري في دمي الوهل
تهزني نكبات القوم إن عصفت ... وكم يشلُّ خطاي الحادث الجلل
وأصعب الخطب ما يأتي مباغتة ... كالسهم يمرق لا ينبو به العجل
يا أمة فجعت في موت عالمها ... مصابك اليوم جرح ليس يندمل
مات المبجل واسترخت فواصله ... وكل نفس لها حل ومرتحل
تقاذفته رحى الأسقام تطحنه ... وبات تنخر في أحشائه العلل
حتى أتاه غروب ليس يمهله ... والشمس ترحل إن سارت بها الأصل
لا لست شمساً فإن الشمس عائدة ... وأنت تبعد لا يدنو بك الأجل
مات الثمين الذي تغليه أفئدة ... لأجله ترخص الأولاد والخول
حُرٌّ أبيٌّ أخو عدل أخو ثقة ... إذا تحدث أصغى القلب يمتثل
مجرب يملأ الدنيا بحكمته ... وأكثر الناس إن جربتهم همل
طود أشم وكل الناس تقصده ... بالله كيف يوارى ذلك الجبل؟
سمت يداه عن الدنيا وصاح لها ... ما كل صيد بحبل المكر يحتبل

إذا علت راية للبغي فزّ لها ... إذا براية أهل البغي تستفل
وإن تضاربت الأهواء والتبست ... فعنده منطق يُنهى به الجدل
مناقب لو أتاها الشعر يجمعها ... أصابه العي أو أزرى به الشلل
بالله يا مكة الغراء ماذا جرى ... يوم الوداع أذابت حولك المقل؟
وساحة الدرس بحر في خوافقنا ... يحدو بها الشوق لا يحدو بها الأمل
حب العثيمين بحر في خوافقنا ... مهما انطلقت إلى مرساه لا تصل
رباه أنزل من الخيرات أجزلها ... على الذي بعلاه يضرب المثل
يا لائمي في دموع الحزن أذرفها ... من لج في الحب لا يجدي به العَذَل
دعني .. فنفسي بحكم الله راضية ... لكنما العين بالتذكار تنخذل
دعني .. أبوح بما أصلاه من كمد ... فالصمت للواجم المحزون معتقل
لولا القضاء لبتنا الدهر أجمعه ... نبكي ونبكي ونبكي ثم نبتهل

(جريدة اليوم ، العدد : ١٠٠٨٠)

ماذا نقول بعد الخطب؟

شعر الكاتبة الأستاذة : زينب بنت عبد الله

م : مــاذا أقــول وقــد لفــتك أكــفــان ولــفّ قــلــبــي مــن الآلام ألــوان
ح : حقيقة لست ألقى الشعر يسعفني فــالنفس في حــرقــة والقلب حــيــران
م : مــاذا تقــول القــصــيم اليوم يا أبتي ثكلى وفي دمــعــهــا بؤس وحــرمــان
د : دوّت فــجــيــعــتنا في كل ناحــيــة طاش اللبــيب فــمــا للحــزن كــتــمــان
ا : أســتــغــفــر الله لم تجزع جــوارحنا لكــنه القــلــب قــــد هدّته أحــــزان
ل : لحــقت بالركب وابن الباز قــبلكم وأنــتــم لــلــهــــــدى والــزهــد عــنوان
ص : صلت عليكم جموع الناس وازدحمت في العــدل في مكة عــجــم وعــربان
ا : أنتم لهم مــرجع في العلم يا أبتي ونــوركــم في قــلــوب الــنــاس قـــرآن
ل : لو يعلم الناس ما في الغيب ما سعدوا يومــاً ومــا كــانــت الأفــراح تزدان
ح : حان المسير شباب العلم فاجتهدوا من الــكــتـــــاب لــكـــم نــور وبــرهــان
ا : الجــهــل يقــبــض حــول العــالمين يداً والعــلــم يقـــبــض والأحـــداث طوفـــان
ل : لحقت بالركب هل أنساك يا أبتي؟ تركــت مــركــبنا مـــا فـــيـــه ربان ربان
ع : علم وفــتــيــا ونور في مــجــالسكم في فـــقـــدكم يا أبي للدين خـــســران
ث : ثارت بموتكمُ أشــجـــان أمــتنا وأســهــدت من بعــدكم للعين أجــفــان
ي : يا دار شــيــخي ويا طلاب حلقــتــه يا منبــــرٌ يا أخــبـــــاءٌ وإخـــوان
م : مــات الحــبــيب فلن تحظوا بطلعــتــه مــات العــثــيــمين هل للحــزن نســيــان
ي : يبكي على الشيخ أطفال وجارية يبــكي عليـــه أسى شـــيـب وشـــبـــان
ن : نعــاه قلبي وبات الحــزن مــتكئــاً على القـــوافي وفي الأحـــشـــاء نيــران

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٨)

وناء الكوكب !!!

شعر الأستاذ : سامي بن خالد الحمود

ألا أيها الباكي على نوء كوكب تعزّ ، فكم في ليلينا ناء كوكب
سهام المنايا سنة الله في الورى فليس لمخلوق من الموت مهرب
وموت العوالي ثلمة أي ثلمة كما الأرض أن تعرى من الماء تجدب
هم الأنجم الزهر التي يهتدى بها إذا ما ألمت بالعباد النوائب
سقى الله بازاً في ثرى مكة ارتمى ونوّر قبراً للعثيمين ينسب
وأورث أهل الفضل من كل عالم وداعية أرضا بها العيش أطيب
بكيتك يا شيخي وحق ليَ البكا وفي الدين صدع هائلٌ ليس يرأب
محياك في قلبي وصوتك مسمعي فيا حزن قلبي اليوم إذ بات يلهب
ويا بؤس عين لن تُسر بنظرة إليك فواها للبكا حين أنحب
لدين الهدى سبعون عاماً نذرتها وأربعة أخرى بها الروح تسكب
فلم يك وهن العظم يثني عزيمة تقوم بها لله تفتي وتكتب
ولم يك وصب الجسم يُدنيك للمنى فأنت حبيب للبرايا محبب
تسود فلا تزداد إلا تواضعاً وتزهد في الفاني ودنياك تطلب
وأبيض يهدي الحق كالبدر في الدجى ففيه شفاء العي إن حل مطلب
فكم سارت الفتوى إلى الصين مشرقاً وكم سابقت شمس الضحى حين تغرب

غـذتنا علوم منك لاحت بروقـهـا ... فـلـلـه شـــرح ممتع حين تـطـنـب
أصـول ونحـو ثم تـوحـيـد خـالق ... وأحـكام قـرآن وفـقـه مـهـذب
كـأنا نرى نوراً على الدرب سـائلاً ... وقـد حـار مـحـزوناً إلى أين أذهب؟
عليك سـلام الله إن كنت مـفـزعـاً ... وفي لجـة الطوفـان فـتـواك مـركـب
ويا خـيـر شـيـخٍ لا نزكـيك إنما ... شـهـادتنا فـيـمـا نرجي ونحـسـب

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٣٧)

رمز العلوم هوى

شعر الشيخ : سامي بن محمد البكر

والهفتي من هذه الآناء ... فشعارهن تساقط الأنواء

كنا بعام الحزن نندب حظّنا ... ونقول : هذا العام عام بلاء

فإذا بعام قد أتانا وانتقى ... بدراً ورمز العلم والعلماء

ابن العثيمين الإمام محمداً ... ماحي الظلام وشعلة الأضواء

فترقرقت عين الدنا من لوعة ... أما عنيزة أجهشت ببكاء

بل والقصيم بأسرها وبأهلها ... والمكّتان وسائر الأنحاء

فارتجت الدنيا بذاك وإنه ... حدث يلعثم ألسن البلغاء

سرت الهموم على القلوب فأصبحت ... حمماً تذيب قرائح الشعراء

فأخط أبياتي وحبري دمعتي ... ويراعتي من جملة الشهداء

أواه ما قولي وما هي حيلتي ... علَّ القريض يبث بعض عناء

لا تعذلوني في البكاء فقد بكى ... خير البرية سيد الرحماء

صبراً عنيزة إن جامعك الذي ... من نصف قرن شامخ الأرجاء

أضحى يكفكف دمعه من حسرة ... وأسىً على التوديع والبأساء

من مثل شيخ المسلمين محمد ... في العلم والتأديب والإرواء

أضحت عنيزة مربعاً في عصره ... وغدت به كالروضة الغناء

عين معين ثرة متدفق ... من كل علم مترعاً بسخاء

فالعلم بالأصلين أحكم سره ... بضروبه والسنة الغراء
ويجول في القرآن يكشف دره ... بتبصر وتدبر الحكماء
والفقه أما الفقه فيه سجية ... حتى غدا أنشودة الفقهاء
كل العلوم تدور حول إمامنا ... فكأنه فوج من العلماء
مع كل ذا متواضع متورع ... متوشحٌ بالزهد خير رداء
لم يبتغ الدنيا ولم يسعى لها ... لكن أتته بذلة ورجاء
متفنن في العلم عذب قوله ... ببراعة وبلاغة الفصحاء
كم طالب كم باحث كم سائل ... يلقاه كل صبيحة ومساء
كان الإمام أبا الجميع وشيخهم ... فقراره يقضي على الآراء
بطرائق التعليم لم تر مقلتي ... كإمامنا في هذه الغبراء
متوقد متبصر متأمل ... بدقيق فكر ثاقب الإمضاء
فله حجاج قاطع وأدلة ... كالبرق ساطعة بغير عداء
فالشيخ لم يك في الجدال مشاركاً ... أو في الخصام ومرتع الأهواء
لكنه بالعلم مشتغل وذا ... خير السبيل ومسلك الشرفاء
فشعاره إبلاغ دين الله في ... كل الديار وسائر الأرجاء
تغشاه غرغرة الحِمَام ولم يزل ... بالعلم يصدع بعد كل عناء
متمسكاً بالله ينشر هديه ... حتى أتاه مفرق الأملاء
فأتى المنية طاهراً ومطهّراً ... مما طوى من شدة اللأواء
فتمنت الدنيا بأن تك أقبراً ... رداً لبعض أياده البيضاء
لكن حظت أم القرى برفاته ... فكأنه في سائر الأنحاء

ربـاه يـا ربـاه إن قـلـوبـنـا تـشكو إليك تـصـرم العلمـاء

فـاغـفـر لشيخ المسلمين محـمـد واجـعله في بحـبـوحـة وسناء

في جنـة المأوى هنـاك مكرمـاً عند النبي وخـيـرة الشـهـداء

هذا بأمـر الله لا تك جـازعـاً فـالصـبـر يطفـىء جـمـرة البلواء

فـالزم سـبـيلهمُ وكن مـتـمـسكاً بالحق تلك طرائق النجـبـاء

مات الهمام الفذ جهبذنا

شعر الشيخ: سعد بن حمد أبو حمد

آمنت بالله أرضى منه بالقدر ... يغني فؤاديَ عن سخط وعن ضجر
كل الرزايا إذا حلت فليس لها ... إلا التصبر بالإيمان والسور
لكن في القلب حزناً لا أقاومه ... إخاله جبلاً صلداً من الحجر
لما تحدث بين القوم قائلهم ... مات العثيمين ما أقساه من خبر
مات العثيمين (يا رباه) عالمنا ... مات الإمام رفيع الهامة العطر
مات الإمام الهمام الفذ جهبذنا ... العالم العابد الأزكى من المطر
كأنما طعنة في القلب نافذة ... من خلف ظهري فهزت أعظم الفقر
ومقلة أرقت في الليل شاخصة ... كأنها جُبلت حيناً على السهر
قد أسبلت دمعة حرى وحق لها ... إذ المصاب عظيم بالغ الأثر
تبكي عنيزة ؛ بل يبكيه منبرها ... فهو الخطيب لها كالشمس والقمر
تبكي القصيم بلاد العلم عالمها ... يبكي الحجاز ويبكي كل معتمر
تبكي الجزيرة قلباً نابضاً كرماً ... سح اليدين لمحتاجٍ وذي عسر
يبكيه في عالم الإسلام قاطبة ... من بات يسجد للديان في السحر
هو الإمام إذا ما جئت تسأله ... بحراً من العلم كم يحوي من الدرر
هو التقي تقي كله ورع ... عذب الكلام حميد الفعل والسير
أبو المكارم والأخلاق شيمته ... كف ندي وكف عد للنذر

حــربًا على كـل بدعي وناعــقــة ... ســلاحـه صـاغـه من صـادق الخـبـر
فــالمرجــفــون وإن رزوا أنوفــهــمُ ... يـجــثـون خنعـاً له من حــدة النظر
يجـود بالنفس رغم العـجـز يـكهله ... بالبـذل في الله لا يخشى من الضـرر
كـــأنني أســمع الأنفــاس قــائلة ... مـا من خلود بهـا فـالقـوم في سـفـر
رباه لا جــزعـــاً لكن حـــاجـــتنا ... لمثـلـه في زمـــــان عج بـالـكـدر
يا أمـــة غـــاب عن آفــاقــهـــا علم ... في حـــاله أمــة في الســر والجــهــر
مـــا غـــاب عن قلبـــه آلام أمـــتـــه ... ولا ضــحــايا مــلايين من البــشــر
يعـيــشــهـا ، وصنوف الداء تنهكه ... للـه درك من داع ومـــــصــطـبــــر

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٣٧)

بقية من السلف

شعر الدكتور : سعد بن عطية الغامدي

* النائب التنفيذي لرئيس مجموعة شركات عبد اللطيف جميل *

نفــرٌّ إلى المولى ونأوي ونفــزع ... ونلجــأ عند النائبــات ونرجع
ونرجــوه لا نرجــو ســواه ومن لنا ... إذا هال خطب أو تعــاظم مــوجع
فــأنت إله الخلق بالحــال عــالم ... وأنت ترى مـا نحن فيـه وتسـمع
تخـرّم داعي الموت من كـان بيننا ... إمـامـاً يبث الخـيـر فـينا ويفــرع
فــبــتنا كــأيتــام ترحّل عنهمُ ... أب كــان عن ســقم يرد ويدفع
ومـا السـقم إلا في الضـلالة إنهـا ... إذا فتكت لم يغن في الفتك مِبْضع
فـقـد كـان ذا علم ورأي وحكمـة ... وقـد كـان ذا فـقـه يضيء ويسطع
يفــســر آيات الكتــاب فــتنجلي ... فـهـوم ، ويجـفـو عن سبـيل تنطع
وكــان عطوفــاً في المواقف ليّناً ... يحبب خلق الله في الدين إن دعوا
وكـان لطيـفـاً لا يعنّف ، صـابراً ... وكم صـد عن دين غليظ مـشنِّع
وكـان ندياً ، في سـمـاحة وجـهـه ... وفي كـفـه هدي لمن كـان يفـزع
وكـان كـريماً شـامـخـاً في تواضع ... نصـوحـاً وكم راج النصـوح المخدِّع
وكــان دؤوباً في اتبــاع مــبـادىء ... من العــدل لا يغلو ولا يتــســرع
ويسـعى إلى بذل وخيـر ورحـمـة ... وكم أفسد الساعين في الأرض مطمع
له في رســول الله أســوة قــائم ... على أمـة ، إن ضُـيّع الحق ضُـيّعـوا

ولم تثنه دنيا عن السعي ، أو تكن له غاية ، إذ رامها متمتع
ومن عرف الدنيا وأدرك أمرها يبادر للأخرى ويطوي ويسرع
ويزهد في هذا التراب وإن زها وأجلب يغري الخانعين ويخدع
وما الزهد في الدنيا بضاعة مملق تجافته حتى لا يُرى أين يهجع
ولكنه شأن الذي أقبلت له تزيّن ألواناً وتدنو وتخضع
فأسقطها من كفه وابتغى التي هي المنزل الأبقى ، هي الخير أجمع
يجاهد حتى لا يمل نهاره ويمسي إذا أمسى يناجي ويضرع
ولم يأل جهداً في الهداية قائماً يكابد فيها كل هم وينزع
يجيب على سؤل ، فيرشد حائرٌ ويسكن مكروب ، وينفق موسع
ويسأل عن حال الضعاف ، ويبتغي مسرة مكلوم مضى يتوجع
ويدني اليتامى والأرامل كلما تحاشاهمُ ذو شِرَّة ليس يشبع
ويترك للأجيال سيرة عالم يسير على نهج الرسول ويتبع
يقدم أمر الله دون مراده فلا العمر موصول ، ولا المال ينفع
وما الزاد إلا خشية الواحد الذي إذا قيل من يغني ، ومن ثم يشفع
وما النقص في أرض بقبض مهادها ولكنه علم الرسالة يرفع
إذا مات من أهل الوراثة عالم بكته قلوب بالهداية تمرع
وإن مات من أهل العبادة ساجد بكى موضع أعلى، وفي الأرض موضع
وللناس أحوال خفي بيانها وحال ذوي الطاعات كالشمس تطلع
وهل يستوي من همه هم أمة ومن همه دنيا لها يتطلع
وهل يستوي حر عزيز مراده وعبدُ هوىً خلف الغواية يرتع

وصاحب رأي يُتبع الحقَّ رأيَه وآخر ما بين المجالس إمّع
ومن عاش للدنيا تشتت دونها وضيعها وهو الجهول المضيِّع
ومن عاش للرحمن يجمع شمله عليه ، فلا يشكو ولا هو يجزع
مضى شيخنا يستسهل الصعب للعلا ويبذر للإصلاح جيلاً ويزرع
ويبني حصوناً للعلوم منيعة ليقطنها قوم سجود وركع
يقومون للعلم المبين وللتقى ويدنيهمُ في الله حب ويجمع
ولم يحتجب عنهم ولا عن سواهمُ وما كان عن أدناهمُ يترفع
سجيةَ من يتلو الكتاب ويقتفي محجته ، والبرُّ أبقى وأنفع
تهامس أحباب وخلان منهج عن الداء يستشري ولا يتورع
فأقبل فيهم شاكراً ومطمئناً يفيض عليهم نصحه ويوزع
وطار للاستشفاء في الغرب وانبرى يذكر بالهدي القويم ويسمع
وعاد إلى أهل وقوم وموطن فزار وزاروا واستزاروا وودعوا
وتاق إلى خير الجوار وعادة إذا هلّ من عشرٍ ضياءٌ مشعشع
جوارِ أحب الأرض لله إنه جوار إذا عز المناصر يمنع
وألقى دروساً عامرات زكية وأفتى ونور الحق كالبدر يلمع
يقاوم آلاماً ويكبت زفرة ويبذل في صبر ، ولا يتضعضع
ويمشي وجيش من أطباء حوله ليبصر قوم ما يقول ويسمعوا
ويسعد إذ يدنو لمكة منزلاً وما الشوق إلا حيث قلبك ينزع
وتأتيه في أرض الجوار منية فأكرم بضيف جاء لله يخشع
وجاور شيخاً كان بالأمس شيخه فطوبى - بإذن الله - زلفى ومهجع

جوار مقام ليس ينفع عنده سوى رحمة نرجو نداها ونطمع
فقد بذلا نفسيهما في تقرب وكانا مثالاً للذين تورعوا
وقاما على أمر من الحق بيّن لربهما والله يعلي ويرفع
وقد غادرا فالله يخلف قادراً بخير ، ويجزي بالثواب ويوسع

يا ناصر الدين الحنيف

شعر الأستاذ : سعود بن سليمان اليوسف

أموتٌ يلي موتاً؟ حنانيك يا دهر | فما جف في أوراقنا الأُوَل الحِبْرُ
كأن خسوف البدر ليلتها لنا | نذيرٌ! وهل يجدي لَنا بعدكَ الصَبر
لئن قلت : هذا اليوم حين رحيله | فقد زدتنا حزناً فما ذلكم عذر
فما زادت العبْرات إلا شحوبنا | وهل يسمع الصحراء ما قاله القطر؟
كما رمضان الخير نحن وأنتمُ | مشايخنا عشر ، وذا العالم القدر
فيا ناصر الدين الحنيف وأهله | أواراك يا شمساً من الشرف القبر؟
إذا بتّ من بعد الأحبة واحداً | فمؤنسك الدعْوات والوتر والذكر
أموتاً وأنت الحلم يمشي تواضعاً؟ | وأنت السنا والفضل والبذل والحبر؟
أتدفن يا بحراً من العلم زاخراً | وأمواجه الأخلاق هل يدفن البحر؟
نهارك علم والليالي عبادة | وذكر وقرآن إذا ضمّك الفجر
فلله ذاك العمر تفنيه مفتياً | وتفنيك أسقام وما فني الأجر
إذا طاح من أغصانه الطير وارتمى | فسيان مخضر بهن ومصفر
وسيان وجه قد بدا بعض حزنه | ووجه يواري الوجد قنعه البشر
فلن ننظم الأشعار نرثيك حينما | تكون شعوراً مات هل يقبل الشعر
فلو لم يمت من قبلك المصطفى لما | تغلغل في الأذهان أن يقبض البدر
فروحاً وريحاناً وجنة خالق | فإنك مجد محتد شرف خير

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٢)

تبكي لموتك أمة الإسلام

شعر الشيخ : سعود حامد الصاعدي

لست المخلد لو غمدت حسامي ... فلسوف يدنو إن نأيت حِمامي
إن شاء ربي ذقته في شربة ... أو ذقت موتي في شهي طعامي
مات الصغير ومات كل معمر ... لن يبقى إلا الواحد العلام
أتعبْتُ خيلي في الطريق ، زمامها ... عندي ، وموتي في يديه زمامي
أرجو الورود إلى النعيم وربما ... قبل الورود عثرت بالأقدام
يا من رحلت وفي الصدور خوافق ... تهفو إليك بحبها المتنامي
يا شيخنا إن كنت وسدت الثرى ... فلأنت حي في صميم عظامي
وطويت صدري كي أدسك نبضة ... في خافقي تخفى عن الأسقام
وسقيت حبك بالدعاء وإنني ... أهدي إليك مع الدعاء سلامي
أرثيك كلا! إنما أرثى الألى ... فقدوك في هذا الزمان الدامي
قُتل وتشريد وقذف مدافع ... وكتائب تدعو إلى الأصنام
وصحائف دست سموماً تتقي ... بقناع نشر ثقافة الأقلام
يا من رحلت وفي الحناجر غصة ... ما بين شيخ مقعد وغلام
وشبيبة لما رحلت تقرحت ... أكبادهم يبكون كالأيتام
فقدوك نوراً كان يغمر ليلهم ... فتفر منه جحافل الإظلام
فقدوك طوداً في الزمان إذا عتا ... سيل من الأهواء والأوهام

أرثيك كلا! ضم جسمك لحده ... وبقيت نوراً في الطريق أمامي

وسناك باق في الزمان على المدى ... لا تمحُوَنْه قوافل الأيام

وبنات فكرك ليس يطويها الردى ... ولقد طوى من قبل كل عصامي

أبقيت علمك للأنام مخلداً ... يروي نداه صوادي الأفهام

أظهرت من درر الكلام كنوزه ... فنظمتها في العلم خير نظام

ما مت كلا إنما حبس البلى ... ما ترتدي في حفرة الأجسام

لو أبصرت عيناك أفواجاً أتت ... تدعو وترجو رحمة العلام

لعلمت أنك في القلوب موسد ... فكأنهم لك هم أولو الأرحام

أبكيك كلا لست أبكي مفرداً ... تبكي لموتك أمة الإسلام

(جريدة المدينة، ملحق الأربعاء، ٢٩/١٠/١٤٢١ هـ)

طفح الأنين في رثاء الشيخ ابن عثيمين

شعر الأستاذ : سعيد بن رداد المالكي

كذا طبعها الدنيا الأسى والفجائع ... وكل الذي يقضي به الله واقع
تمر بنا الأيام تترى حثيثة ... ونسبح في الآمال والموت قاطع
فرب ليال قد رجا المرء برها ... تمر به والحزن فيهن قابع
ورب طعام كان للمرء حتفه ... ورب شراب شابه السم ناقع
تسر وتسبي من رآها وإنما ... حقيقة دنيانا سراب مخادع
خلقنا بها لا للبقاء وإنما ... رحيل وكل للمهيمن راجع
سلوا شاهق البنيان من أسس البنا ... ومن رفع البنيان إن ثم سامع
تُجبْكمْ قبور القوم وهي شواهد ... بأن النجا في الصدق جدوا وسارعوا
تفجرت الأحزان فينا كأنما ... أتت للدنا من أجلنا فهي طابع
فلا مقلة إلا وقد لفها الأسى ... ولا كبد إلا لها الحزن صادع
ولا أيكة إلا تثنت غصونها ... ولا صخرة إلا بها الحزن نابع
وحتى حمام الدوح ناح كأنه ... على الحزن مجبول ولا ثَمَّ ساجع
رزئنا بخطب هز أمة أحمد ... وشاب له رأس الفتى فهو ناصع
وأي أسى يربو على فقد عالم ... يموت به قوم ويقرع قاطع
فقدنا فقيه المسلمين بعصره ... فرجت له نفس وصكت مسامع
وأدرك ركب الصالحين كأنما ... على الموت في هذا الزمان تبايعوا

فكانوا كـعـقـد فك منه نظامـه   تقـارب فـيـهم يومـهم وتتـابعـوا

تذوب حشاشات القلوب توجعاً   ويبكي له طرف ويدهش سـامع

وتبكي ربى نجد وطيبة تشتكي   أساها وتبكي في القصيم المرابع

ويبكيه درس في العتيق ومنبر   ويبكيه محراب ويبكيه جامع

ويبكيه مستفت ويبكيه طالب   ويبكيه محتاج ويبكيه جائع

وتبكيه شمس كلما ذر شارق   وتبكيه في الليل النجوم الطوالع

فديناك لو أن الفداء مقرر   لهب له قـوم وهبت طلائع

ولكنه تقدير ربي وخالقي   فترضى به نفس الفتى وهو طائع

سلام على قبر بأم القرى به   إمام التقى والزهد والفقه هاجع

سلام يدوم الدهر ما دامت الدنا   وما سُبح المولى وما لاح لامع

(جريدة المدينة ، ملحق الأربعاء ، ٢٩/١٠/١٤٢١ هـ)

لحظة لا تغيب

شعر الأستاذ : سلمان بن زيد الجربوع

لحظةً لا تغب .. وجوه الليالي ... كاسفات تفيض حزناً وثكلا

وحناياك روضة من رياض الـ ... ـذكر أشهى من أن تمل وأحلى

وفتاواك في شفاه المريـ ... ـدين اشتياق على المشوقين يملى

ومصلاك ضارع يتلوى ... هل تناهى إليك شوق المصلى؟

لو رأيت القصيم في حلة العر ... س كئيباً يصيح بالنعش : مهلا

وحواليه من بنيه جموعٌ ... تزرع الأفق ياسميناً وفلا

كان يزدان للقاء بيوتاً ... وحقولاً طفلاً غريراً وكهلا

وتغنت بك البطاح ربيعاً ... أنت أشهى منه مراحاً وظلا

كلهم كان في انتظارك عيناً ... تتملى وخاطراً يتسلى

يتنادى بك المدى فننادي ... طائرات القدوم أهلاً وسهلا

القصيم الذي عهدت حنين ... يغتلي حرقة ويلتاع وبلا

كلنا كان بين مد وجزر ... وحبال القضاء تفتل فتلا

ها هنا اصطفت القلوب تناغي ... أملاً من كُوى الغيوب أطلا

لفنا باليقين برداً ونوراً ... ونمانا لسدرة الحب أصلا

ودعانا لعالم من مجالي الـ ... ـخلد أغلى من أن ينال وأعلى

عالم مبهر فلم ترعين ... قبله مثله دياراً وأهلا

وتراءى لنا على البعد طيف ... أي حسن بدا ونور تجلى

إنه حسنه المهيب ووجه ... يستثير الرؤى جلالاً ونبلا
أهنا يرقد الحبيب ملماً ... بشتات من العلوم مدلا؟
أهنا يرقد الحبيب أفيقي ... يا يد الحلم فالجمال تدلى
أهنا يرقد الحبيب فهلا ... طفت شعراً على مغانيه هلا
قال قد رمت وصفه قلت من لي ... قال وفيت حقه قلت كلا
واستفقنا فم الزمان رثاء ... يُهجر الأنسُ في ذراه ويقلى
والعثيمين رحلة ما توانت ... تملأ الخافقين علماً وبذلا
والعثيمين صفحة من كتاب ... في يد الموت قد طواها وولى
والدنا دمعة تعزّي زماناً ... كنت فيه السفر العظيم الأجلا
شفك السقم يا طهور السجايا ... واحتوتك الدروب وعراً وسهلا
وتساميت راضياً مطمئناً ... يُنبت البؤسُ في شفاهك فألا
ثابت القلب في يمينك سيف ... من يقين يفل سقمك فلا
يا خدين العلوم لحت رياضاً ... تتمشى نهراً وتختال نخلا
كنت تتلو الصباح غضاً ندياً ... ما عرفت الصباح قبلك يُتلى
والليالي تنام في صدرك الرحب ... فليست تحس حقداً وغلاً
ضمك الليل عالماً من خشوع ... يُغسل القلبُ في مجاليه غسلا
أين لا أين دمعة منك تروي ... عطش القلب كم شكا القلب محلا
أين لا أين حلقة منك تشفي ... علة العقل كم شكا العقل جهلا
قد فقدناك والأماني انتظار ... فالمساءات بالمسرات حُبلى

(جريدة الرياض، العدد : ١١٨٩٤)

الفقد المر

شعر الدكتور : سليمان العبيد

الفقد والله من يبكي يجاريني ... فقد الهدى ، والقوافي قد تسليني
الفقد والله ما أمسى به وطني ... من فقد أهل التقى والعلم والدين
الفقد فقد رجال العلم حين مضوا ... بدا تخرمهم من قبل عامين
الفقد والله ما أمست عنيزة من ... جرائه تكتوي فقد العثيمين
محمد الصالح المحمود منهجه ... المرتضى ذبّه عن حوزة الدين
ما أوحش الليل حين البدرُ مفتقدٌ ... ما أمحل الروض من دون الرياحين
ما أحزن الطير لا تغريد يطربها ... أضحت تناجي بتأويب وتأبين
وأحزن الروح ما عادت لتسرح في ... تلك الزهور وفي تلك البساتين
هل يرسل النور طراً غير مصدره ... هل في الأجادب من تين وزيتون
مثل التقي الذي ما انفك مجتهداً ... ما بين فتوى وتعليم وتلقين
أو بسط مختصر أو شرح مغتمض ... من المسائل أو بحث وتدوين
ودعوة واجتهاد واحتساب عنى ... من شأنه دحر أتباع الشياطين
من كل مبتدع يهوى الخرافة في ... أعماله عدها من جملة الدين
وهي السراب الذي لم يَروِ من ظمأ ... كأنما هي أحلام المجانين
حتى إذا ما أتى يبغي فوائدها ... لم ينج وانزلقت رجلاه بالطين
روح تروح إلى العلياء صاعدة ... في يوم عرض وأخرى وسط سجين

إني بحب الألى للدين قد بذلوا نفوسهم مولع والحب يبريني
يا عين فابكي بدمع منك منهمر ولا تملي لعل الله ينجيني
على العثيمين فابكي كل آونة أبكي لعل دموع العين تشفيني
إني بحب الألى لله قد منحوا أعمارهم دنف فلا تلوميني
إني إلى الله أبغي القرب محتسباً بحبهم فعسى الرحمن يدنيني
لله درهمُ نمنا وأسهرهم حل القضايا بتوضيح وتبيين
نمنا وأسهرهم نجوى رسائلهم موجهات إلى الإصلاح بالدين
من حكمة مزجت منها محابرهم إلى القلوب سرت بالرفق واللين
من حكمة أترعت منها قلوبهمُ فاض اليراع بها واللطف يغريني
قد يدرك المتأني بعض حاجته ويبلغ الهدف المنشود بالهون
بلَّغْتَنا من كلام المصطفى درراً ترجو النضارة يوم العرض والدين
قد أسندوا قولهم بالصدق حين رووا مستمسكين بحرف العين والنون
على العثيمين تبكي كل مؤمنة من النفوس سوى بعض المساكين
على العثيمين تبكي مقلة نظرت في ممتع مشبهٍ جني البساتين
صلى على المصطفى الرحمن ما كتبت أيدي ذوي العلم في فتح وتسكين

(جريدة الرياض، العدد: ١١٨٩٣)

فقيدنا الغالي

شعر الأستاذ : صالح بن حمد المالك

لا غـرو أن تلقى القـصـيم حـزينا وتـرى وتـســمـع في الرياض أنينا
وتـرى بمـكـة والمدينة باكـــيــاً وتـرى بأبـهـــا إخـــوة بـاكـــينا
وإذا رأيت الناس يجـري دمـعـهـم سـحّـاً على بيض الوجـوه سخـينا
ورأيت شـرق بلادنا وشــمــالهـا نـدبـا الـذي تـرحـــالـه يـبـكـينا
فـاعلم بأن الخطب خطب فـادح مـن أجـل ذلـك كـلـهـم يـبـكـونا
يبكون من زرع المحـبــة والتـقى والبـــر فـــيـــهـم لا نـراه ضنينا
يبكون شـيـخـاً مـسـتـقـيـمـاً نهجه عـــدلاً بحب المسلمين قـمـــينا
يبكون من جمع الصفات حـميدة وســعى يناصح قــومــه مــأمــونا
يهـديهمُ سـبل الرشـاد مـحـبـة ولـهـم يـبين دربـهـــا تـبـــيـــينا
وحـــيـــاته فــينا عطاء كلهــا أكـــــرم بمـن أعـطى أبـاً وبـنـينا
أكــــرم بـه بـرّاً وفــــيّـــاً زاهـداً ورعــاً تـقــيّــاً صــادقــاً وأمـــينا
يقـضي سـويعـات النهـار مـدرسـاً أو مـفـتـيـاً فـيـمـا يقـول مكينا
والليل يقـضـيـه صـلاة تهـجـد يـدعـــو الإله لـعـلـه يـهــــدينا
لا شـيء يعـنيــه ســوى إيمانه بالله ربـاً بالعــقـــيـــدة دينا
بمـحـمـد خـيـر البـرية مـرسـلاً للعـــالمين مـــبـشـــراً ومـــبـينا
أمــا الدنا فــحـــقــيـــرة في رأيه لا تـســتــحق تـشــوقــاً وحـنينا

أمحمد ودّعتنا وقلوبنا بلهيب شوق عارم يصلينا
مشتاقة للقاء وجهك باسماً ولنصحك المحبوب عبر سنينا
وفراق مثلك يا إمام مصيبة كبرى وفقد ذوي الهدى يضنينا
من للمنابر والمساجد بعدما رحل الأئمة جلهم موديناً
تركوا أحبتهم تذوب قلوبهم حزناً فمن ذا يرحم المحزونا
من ذا يوضح مشكلاً ويزيله ومن الخلاف وشرّه ينجينا
من ذا نراه مثال زهد صادق عن كل مشكوك به يقصينا
من ذا إذا لاحت بوارق مطمع عنه بصائب رأيه يثنينا
إلا أئمتنا التقاة جزاهم خير الجزاء إلهنا آمينا
يا ربنا اغفر للإمام محمد من كان دوماً للهدى يدعونا
ولمن همُ سبقوا إلى أُخراهمُ فجميعهم لشعوبهم يهدونا
يا رب وارحمهم جميعاً إنهم أعطوا عطاء نافعاً وثمينا
وختامها صلى الإله على الذي نصر الفقير وآزر المسكينا
ودعا إلى الإسلام خير شريعة ورعى الأمانة صادقاً وأمينا

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٦)

قل للمنارة في الفيحاء وَا أسفي

شعر الشيخ : صالح بن عطا الله الخزيم

* المدرس بتحفيظ القرآن في البكيرية *

تصدع القلب واهتز الفؤاد أسى ... وخيم الحزن في الدنيا عليك أبي
قالوا مضى الشيخ وَا لَهْفاه وانطفأت ... شمس العلوم كذاك المرء كالشهب
أمسى فؤادي عليلاً لا يخفف من ... مصابه قول من عزوا من العتب
قد كان فينا نشيطاً حازماً علماً ... الكل يصدر عن آرائه النجب
مصابنا اليوم في شيخ الشريعة من ... ربت مجالسه الأجيال في أدب
قوّى عزائمهم رسّى عقائدهم ... أجلى الغياهب كم تنزاح من حجب
أراهم الصدق في قول وفي عمل ... قد اقتفى أثر الأخيار في دأب
وسار نهجاً قويماً لا تزعزعه ... أمواج عالمنا فالناس في صخب
فصار فذاً وحيداً صادعاً أبداً ... بالحق ينشره حتى مع النصب
فكم جلسنا أمام الشيخ نرقب ما ... يلقيه من باهر الأقوال في عجب
قل للمنارة في الفيحاء وا أسفي ... على فراق ليالي العلم والطلب
وعز كرسي شيخي إنه شجن ... وقل له إن شيخي غير منقلب
فلتصبرن على فقد البشاشة في ... حسن الحديث بلا مين ولا كذب
ولتصبرن على فقد العلوم كذا ... فقد الرزانة والمعروف والقرب
وجز على منبر قد كان يصعده ... وعزّ فيه أصيحابي مع الكتب

وقل سـلام عليكم يا أحـبـتنا ... وأعظم الأجـر يا ربي لمحـتـسب
قـد كـان صـوتك يعلو في منابرنا ... ومن عليهـا فكم ألقـيت من خطب
وابعث لجـامـعـة الإسـلام تعـزية ... من طالب من مصاب الشيخ مكتئب
كـذا الإذاعـة في أزكى برامـجـهـا ... تـبث فـي كـل إقـلـيـم وفـي قـطـب
حتى مع الخطب لم يحجبْك عن عمل ... ببـيـت ربك تـرجـوه مع الرهب
يا رب أسـكنـه فـردوس الجنان إذا ... واروه في تـربة واجـعـله في رُحب

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٥)

منارة جامع عنيزة

شعر الأستاذ : صالح بن علي السبيل

أنا المئذنة
الطينية . .
وكان هو
المنارة . .
أساسه
علم وتقوى
وأساسي أنا
حجارة . .
عنوانا
وسط عنيزة
في جامع
لا تسأل الآن عنه
ولا عن جارته
العمارة . .
قرب قاعدتي
الصخرية
نبع علم تفجر . .

وشلال فقه
تدفق ..
وعطشى يغترفون ..
وظل يؤدي إليه
أهل حاجة وشفاعه
بيني وبينه
تاريخ وألفة
وحوارنا
تعطلت فيه
العباره ..
أرنو إلهي وحيداً
مقبلاً في حينه ..
وتحجبه عني
حين يعود
من طالبي الفتوى
غمامه ..
المآذن الحديثة حولي
تزينت ..
قد اشتاقت
لصوته ودرسه

ولقائه ..
لا .. لن يعود لدرسه
قد كان كتاباً
لا بد من إمضائه
إن غاب عنا
فعزاؤنا
أن يجعل الله الفردوس
دار مقامه
عنيزة
جودي عليّ بمثله
يمضي معي
ونكمل مشواره ...

(جريدة الرياض، العدد : ١١٨٩٥)

وجاورت قبر الباز حباً وصحبة

شعر الأستاذ : صالح بن علي العمري

تبـــاركت ربي حين تعطي وتمنع   تبـــاركت ربي حين تدني وترفع
تبـــاركت ربي عـــزة وجـــلالة   إليك إذا ما احلولك الخطب نفزع
لك الخلق تقضي حكمة وتلطفا   وكل إلى الله المهـــيـــمن يرجع
تباركت علماً أنت نوري وملجئي   ويا دافع الأمـــر الذي ليس يُدفع
لك الحكم إن ضاقت علينا وإن بغت   فـفـضلك يا منان أرضى وأوسع
لك الأمر إن لاحت خطوب جسيمة   فحفظك يا رحمن أقوى وأمنع
تباركت ثبت مهجة قد تفطرت   وقلبـــاً على وقع الرزايا يفـــزع
أتاك لظى دمعي وهمي وغـربتي   وآهات روحي والفـــؤاد المفـــجع
أعالج جمراً في الحشا وصبابة   وتصلى على نار المصيـبـة أضلع
وأبكي فاستعزي بذكرى حبيبنا   فـأسلو ومـا يجـديك أنك تجـزع
لعمري وإن كانت حياة طويلة   فكل له في صولة الدهر مصـرع
غـرور وأحـلام وهم وحـســرة   وظل تولى والجـــديد يرقع
أأبكيك شيخ الزهد والعلم والتقى   وقـد حق أن أبكي فـؤاداً يصـدّع
أيرثيك شعري والمصيبة هيمنت   يحار الفتى في أمره كيف يصنع
ذهبت إلى عـز ومـجـد ورفـعـة   فجزت .. وما زلنا نصالي ونصرع

وتسلمنا الدنيا لبلوى ومحنة ... وللشر أنياب بها السم يلمع
وما مات من أسدى إلى الحق عمره ... وقلبك بالأخرى شغوف مولع
يهل كهل القطر من حسن قوله ... فتثمر أغصان ويزهر بلقع
ركبت مطايا العزم تقوى وهمة ... وأنت لفعل الخير أدنى وأسرع
وأسديت ثوب الزهد ثوباً مسربلاً ... وذلك ثوب ليس والله يخلع
ومن ذاق طعم الأنس بالله حقبة ... فليس له في عيشة الزيف مطمع
وغيرك يستعلي عروشاً كسيحة ... وأنت على عرش القلوب تربع
تفكرت في دنياك والأمن سابغ ... لمن كان لله المهيمن يخشع
صلاة وقرآن وذكر ومسجد ... وحولك أجيال وعان وموجع
فأنّى لظلم النفس حظ وإنما ... شغلت بفعل الخير والدرب مهيع
وكم قمت في عين الملمات فانثنت ... وأنت لحصن الدين باب ممنع
تبديت كالشم الرواسي تجذرت ... تقر بها الدنيا ولا تتزعزع
وكنت بشهر الصوم طوداً على الضنى ... تبش فلا تشكو ولا تتوجع
بلاء لو استعلى على رأس شاهق ... لخرّ من البلوى طريحاً يصدع
بُليتَ وفي البلوى طهور ورفعة ... وفي غمرة السكْرات تفتي وتنفع
ومن حولك الأجيال من كل بقعة ... وأرواحهم تشتاق والدهر يسمع
فأنساهمُ خوفاً عليك من الردى ... فوائد حبر عن قريب تشيع
تركتهمُ جمعاً أقاموا على الأسى ... أعيذهمُ بالله من أن يُضيعوا

ستخلد يا ذكر العثيمين معلماً على هامة الأيام تاج مرصع
فو الله لا تنفك تفديك أمتي ويأسى على ذكراك قلب ومدمع
فتاواك أنوار وصوتك رحمة ونصحك مثل الغيث والشرح ممتع
ونعشك أجفاني وقبرك مهجتي وذكرك للصحب المحبين منبع
لئن أودعوك اليوم في طيب الثرى فقد علموا من في ثرى الطيب ودّعوا
وجاورت قبر الباز حباً وصحبة عسى لكما في جنة الخلد مجمع
تخلد أعمال الدعاة وتزدهي وفاء إذا ما زال كسرى وتُبَّع
عليك سلام الله ما هل هاطل وما هب نسم والحنى متضرع

بقايا الذكريات

شعر الأستاذ : طالب بن عبد الله آل طالب

انظر بحث قصيدة باكية

في زمان الصبر ما أحلى الثباتْ   والليالي بالرزايا مثقلاتْ
ما لأهل العلم ملوا عيشنا   ورأوا في الموت أغلى الأمنيات
عالِمٌ يمضي ويبكي عالَمٌ   والعلا تبكي وتبكي المكرمات
أيها السائل عنا حالنا   تشتكي طول الليالي والشتات
أو لم تسمع تراتيل الأسى   حينما قالوا فقيه الأرض مات
أو لم تبصر جموع الناس في   ساحة المسعى وعند الجمرات
أيها السائل أمهل في الخطى   إن ما ترجو من الأيام فات
قالت الأحزان ما يحلو لها   ورأت منا دموعاً طيعات
ومضى الشيخ العثيمين وقد   كان رأس العلم فينا والثبات
زاهد والحلم من أوصافه   وذكي حين تقسو المشكلات
ساجل العلياء حتى نالها   واعتلى بالعلم صرح المكرمات
ترك الدنيا لمن يسعى لها   وحمى كفيه عن نيل الصلات
شيخنا والموت يطوي صفحة   من حكاياكم وتبقى الذكريات
كيف أنسى صوتك الحاني وقد   حمل الفتوى إلينا والعظات
كيف أنسى الدرس إذ تبدو به   طيباً والناس تجني الطيبات
كيف أنسى آخر الأيام هل   يسعف النسيان سيل العبرات

سوف يبكي بعدك الطلاب يا شيخنا الغالي وتبكي الحلقات
وسواري البيت لن تنسى إذا هبت الريح زكي النسمات
يا سواد العين هذي أحرفي تشتكي والله جدب الكلمات
ألجم الخطب هتافات الرثا ورمانا بتمام الفاجعات
وعلى قبرك أمسى شاعر يذرف الدمع ويلقي النظرات
زاحم الناس فما انقادوا له فمضى وهو يديم الإلتفات
قائلاً يا رب نور قبره واجزه عنا رفيع الدرجات

(جريدة الجزيرة، العدد: ١٠٣٤٥)

من أفضل الناس يوم الحشر منقلباً

شعر: الدكتور ظافر بن علي القرني

* جامعة الملك سعود *

لا تأمن الأمر إن ما خيره وقبا ... أو تكره الأمر إن ما شان وانقلبا
فهذه الدار دار لا قرار بها ... لو قالت الناس أعطى الدهر قل سلبا
أمران ما دبت النكباء بينهما ... فراقب الله يا من جد أو طلبا
يا بن العثيمين لم أبصرك من كثب ... لكن لقيتك من بعد فكنت أبا
قبل الوفاة بيوم كنت تخبرنا ... معنى «استوى» وتدنّى من غلا ونبا
الوقت عندك إخلاص وموعظة ... أو ساعة تشرح الفرقان والكتبا
أشغلت وقتك بالزاكي فكنت لنا ... مثالَ صدقٍ وكنت العالمَ الأربا
تبكي عنيزة من أحيا منابرها ... حتى بدا الركب ممن حولها سربا
يأتون والمال حب يحتفون به ... ويشترون الهدى والعلم والأدبا
واليوم أضحت دروب الركب خالية ... يا أيها الدرب إن الركب قد نُكبا
لا تسأل الناس عن خطب ألم بها ... واسأل هضابك والوديان والشعبا
إن يذهب العلم في قوم وإن كثروا ... فاعلم بأن عتاد القوم قد ذهبا
يا بن العثيمين ما مات الذي بقيت ... أفعاله تنزع الأسقام والوصبا
أرثيك لا، إنما أرثي ثقافتنا ... ثقافة رغم مجد نجمها غربا
ثقافة كانت العلياء ديدنها ... وأصبحت تشرب الأوهام والطربا

أرثيك لا ، إنما أرثي مكانتنا ... في عالم خاتل الأقمار والشهبا
أبكيك لا ، إنما أبكي سلامتنا ... من غاشم في ربانا يزرع العطبا
تموت في أحلك الأوقات يا علماً ... لم يعرف الوهن بل نحو العلا وثبا
والأرض تشكو من الوعثاء ما فتئت ... والكون نبصره بالجور ملتهبا
تموت والقهر يسري في هياكلنا ... وأحقر الناس شأناً ينهر العربا
تموت والحيف لا يبقي على أحد ... منا وأطرافنا لا تعرف الغضبا
كيف السبيل إلى مدح سُقيت به ... وكيف أزهو بمن يزهو إذا غُلبا
ويبتغي العز ممن حال محنته ... ويحسب النصر كل النصر إن شجبا
يا أيها الشيخ هذي الأرض عشت بها ... مجاهداً ما شكوت الهم والنصبا
علّمت أفتيت لم تبخل على أحد ... مما عرفت فكنت الحاذق الذربا
مهما يكن لمقام المرء من ألق ... فالعلم أشرف ما نزهو به رتبا
يا رب فاغفر لشيخ مات محتسباً ... ثوابه عند من لا يغفل التعبا
واجعله يا ربنا يا من علمت به ... من أفضل الناس يوم الحشر منقلبا

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٦)

ورحلت يا زين الشيوخ

شعر الشيخ : عادل بن أحمد باناعمه

** عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى **

ورحلت يا زين الشيوخ ..
رحلت والأيام يسكنها الحزن
وقلوب من يهواك غلفها الشجن
بكت المحاريب التي شهدت سناك
وبكاك حتى عود منبرك الذي يهوى صداك
وبكتك أرض كان يطربها حفيف من خطاك
ورحلت يا زين الشيوخ
رحلت مثل الطيف سلم ثم آذن بالرحيل
كالشمس تشرق ثم يبكي نورها شفق الأصيل
كالبدر بعد التم يأكله الأفول
كالزهرة الفيحاء أرهقها الذبول
وتركتنا في لجة الإعصار في رجف الزلازل
وتركتنا في وحشة كبرى .
هي وحشة الروض الندي تغربت عنه البلابل
هي وحشة الأغصان غادرها الحيا فالغصن ذابل

هي وحشة النهر الذي جفت مشاربه فأقفرت المنازل
هي وحشة الأيتام ضاعوا في الفلا والليل لائل
ورحلت يا زين الشيوخ ..
ها إننا يا شيخ في حلقات درسك قاعدون
ما بال صوتك لا يجيء؟
ما بال طلعتك البهية لا تضيء؟
ما بال مجلسك المهيب العذب يغشاه السكون
يا شيخ إنا هاهنا ..
يا شيخ إنا هاهنا في طهر مكة في عنيزة جالسون
فعلام لا تأتي إلينا؟
أين ابتسامتك الرضية أين ذاك الشرح أينا؟
يا شيخ قد بحت حناجرنا
فلا تبخل علينا
مهلاً ..
لقد مات الذي تدعون
فانصرفوا جميعاً
لن تبصروا من بعد هذا اليوم صبحه
لن تسمعوا يا قوم شرحه
عودوا فليس سوى الصدى
والذكريات

وصراخ محزون يقول:
الشيخ مات
ونداء مكلوم يقول :
الشيخ مات
وبكاء مجروح يقول :
الشيخ مات
أحقاً يا تلاميذ ابن عثيمين ومحبيه لن تروه بعد اليوم يحيي المجالس بذكر الله ويؤنس الجلاس بوجهه المتهلل ، ويدير على الطلاب كأساً من العلم روية؟
أحقاً يا تلاميذ ابن عثيمين ومحبيه لن تسمعوه بعد اليوم يؤصل المسائل ، ويبني الفروع على الأصول ، ويرجع كل مسألة إلى دليلها كل قضية إلى بابها؟
أحقاً عباد الله سكت البلبل وتحطم البناء ، وتقوض المجلس ، وانفض السامر وتفرق الشمل ، وأقفر الربع ، وأصبح العلامة ابن عثيمين خبراً وأثراً وذكرى؟
كيف وسع قبر هذا العلم كله ، وهذا المجد كله؟
رباه .. هل مات الذي تحيا برؤيته القلوب؟
رباه هل مات الطبيب؟
لا يابن العثيمين .. أنت لم ترحل ..
أنت باق في كلمة هدى خطتها يمناك ..

باق في كل موقف صدق تجلى فيه إيمانك وتقاك ..

باق أنت يا بن العثيمين في سويداء القلوب ..

وفي حدقات الأعين ..

باق أنت يا بن العثيمين .. وهل يموت العالم الداعية؟

صبراً فؤادي فموت الحر مدرسة   فيها يُلقَّى دروس البذل أحرار

ما مات من ذكره باق وسيرته   في كل قلب لها فيض وأنوار

حسب الدعاة فخاراً أن عيشهمُ   بذل وموتهمُ خصب وأثمار

يبقى العظيم عظيماً لو تضمنه   لحد وهال عليه الترب حفار

(جريدة البلاد، العدد: ١٦٢٣٠)

رزئنا..!

شعر الشيخ: عباس بن شعيب بن حسن

* مشروع الأمير سلمان للإسكان الخيري *

حروف الشعر أدمعها توالى ... وماء الحزن ما سكن انهمالا
بليل الأربعاء دهت ربانا ... مصائب زعزعت فينا الثقالا
يقول أربنا أحسن عزاءً ... فقلت بمن؟ فسال الدمع سالا
أما تدري بأن الشيخ ولّى ... وقد قاسى من المرض الطوالا
فقلت أراك تلقيها جزافا ... تثبت لا تقل فينا الخيالا
فقال ألا تسلم؟ ذا قضاء ... قضاه لنا بحكمته تعالى
نعم شاء الإله له ارتحالاً ... ونبقى نحن نرتقب ارتحالا
مضى الجبلان، قد سبق ابن باز ... وقد لحق العثيمين الرجالا
قوافل عزة تركت ثرانا ... ومن أرباعنا طوت الرحالا
رزئنا كيف لم ترزأ وهذي ... فواجع في مصائبها توالى
لموت العالم النحرير خطب ... عظيم من حنايانا فنالا
رزئنا والدنا ضجت بكاء ... وليت بكاءنا يحيي الذبالا
سنبكي والدموع تسح حزناً ... ونسكب من مآقينا السجالا
لعل الجرح يسكن أو يحابي ... ولست أرى لمنشئه اندمالا
لقد رحل الزهيد بكل شيء ... من الدنيا فقد هجر الريالا
أراد كفافها قوتاً يسيرا ... يُبَلِّغه وما رغب النوالا
أقام بها يعلم في اصطبار ... على الجهال ينشئهم رجالا

فكم من تائه قد ضل درباً ... هداه إلى حقيق ليس آلا
وكم من شائك روّاه فهماً ... فأرخي حينما ورف الظلالا
تصدى للعلوم فنال كماً ... جليلاً لا تطيق له اكتيالا
أتسأل عن غوامض هاك فتحاً ... لديه جوابها فاطرح سؤالا
إذا انفتقت مسائل غامضات ... يرتقها فيكسوها جمالا
وإن مالت لدرب غير حق ... يوجهها فتعتدل اعتدالا
كأني بالقصيم تذوب شجواً ... وقد عزت ميامنها الشمالا
وكل الكون ضج بموت فذ ... سقانا من مآثره الزلالا
فذا شرح وذا تحقيق قول ... وذاك الرأي لا يرضى الجدالا
بجامعه الكبير نمت عقول ... وقد شربت بمنبعه القلالا
فيا للعمر في علم تقضى ... ويا للشيخ في سمت تلالا
له قول رصين ذو اتساق ... يدعمه الدليل فخذ خلالا
فتاواه الجليلة مثل عقد ... بهي النظم قد وشيت كمالا
تزين الشيخ أخلاق حسان ... وآداب فقد جمع الخصالا
لقد رحل الإمام إلى حياة ... تدوم ويرتجي فيها النوالا
لنبقى نحن في دار ممر ... ونبقى نحن ننتظر الزوالا
نذير الموت يطرقنا ونحيا ... على لهو وقد ننسى المآلا
لقد مات الألى بلغوا المعالي ... ولم يرضوا لغايتهم سفالا
حروف الشعر أدمعها سجام ... ودمع القلب ما وقف انهمالا
سنبكيهم وفي الأحشاء نار ... من الأحزان تشتعل اشتعالا
لعل الله أن يجلي أسانا ... ويخلفنا بهم خيراً تعالى

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٨)

يا ابن العثيمين الذي فارقتنا

شعر الشيخ : عبد الحميد خالد أبو الريش

* الباحث اللغوي بجمعية إحياء التراث الإسلامي *

الموت حق والعيون دوامع ... والقلب يحزن للفقيد ويفجع
والأمر إمرٌ للفقيد محمد ... يا صالح العلماء كم نتوجع
يا بن العثيمين الذي فارقتنا ... رحل الإمام وللعلوم المرجع
كم كان ينفعنا بطيب بيانه ... في الفقه والتوحيد لا يتتعتع
ولسانه العربي أحكم نحوه ... وشروحه فيه تجل وتتبع
قد كان يأخذ علمه عن عالم ... علاّمة بحاثة يتضلع
أستاذه السعدي كان مفاخراً ... بمحمد يحنو عليه ويدفع
كم كان ينهل من موارد علمه ... فالشيخ في بذل المعارف مولع
تفسيره القرآن أحكم سبكه ... بعقائد الأسلاف دوماً يشرع
وفقيدنا أثنى عليه مقدماً ... شيخ الفقيد بكل حق يصدع
أعماله طراً تفسر علمه ... أخلاقه عليا أجل وأرفع
وكذا كمو كان ابن باز شيخه ... علم ابن باز مسكه يتضوع
في الفقه والتحديث نال مراتباً ... تسمو على كل النجوم وتسطع
ورسائل الشيخ الجليل مشاعة ... للطالبين لدى الدروس وتطبع
عمت فوائدها وفاح عبيرها ... في كل صقع تقتنى وتوزع

نال الفقيد من العلوم مراتعاً   وشيوخها كثر تفيد وتنفع
حفظ الكتاب على رعاية جده   حفظ الكتاب لدى القيامة يرفع
قد كان يختصر الزمان لدرسه   سنتاه في عرف الدراسة أربع
في كل علم باعه متقدم   نشر العلوم وشرحه يتفرع
ولدى الحساب موفق ومدقق   عرف الفرائض لا يحيف ويقنع
في النحو والتصريف كان ميمماً   وكذاك في التفسير بحر مترع
والواسطية في العقيدة أشبعت   درساً لديه ، وفي الحديث مشبع
إن الفقيد من الذين يجلهم   كل الأناس وفي الخلاف المفزع
قد كان يحكم قوله بدليله   والكل يقبل قيله لا ينزع
كم فتنة عند الفقيد علاجها   عاد الوئام وفتنة تتقشع
جعل الإله له القبول فحبه   في الله عند جميعنا لا يصدع
ما كان مقصده حيازة ثروة   بالعلم لكن قصده يترفع
يبغي من التعليم بث هداية   في الناس تسمو بالنفوس ترعرع
بعنيزة الغرّاء مجلس درسهم   كم جاد بالإرشاد ذاك الموضع
يدعو إلى الله العزيز بهمة   يبغي رضاه وليس عن ذا يرجع
في الجامعات وفي الإذاعة بثه   للعلم والفتوى فما يتمنع
ومصنفات الشيخ زاد عديدها   تربو على الخمسين ، خير ممرع
ما زال هذا شأنه ومساره   يمشي الحفاء وبيته يترقع
والله ندعو أن يبوئ شيخنا   غرف الجنان بها يسر ويرتع

(جريدة الفرقان ، العدد : ١٣١)

لوعة الأسف

شعر الشيخ : عبد الرحمن إبراهيم الطقي

أسى بقلب طليح الهم محزون ... يعتاده الكرب من حين إلى حين
قد رق حتى غدا من فرط رقته ... يكاد يوقفه نبض الشرايين
وأسعفته دموع سح ساجمها ... كأنه الغيث يهمي في البساتين
تقرحت مقلتي من حزنها أسفاً ... لفاجع ظل بالدهياء يرميني
فأسكب الشعر دمعاً ساخناً ودماً ... لعله من أسى مر يسليني
وليس يغني من العزّاء ملحمة ... من حر شعر بديع النظم موزون
أضحى بياني عريّاً من فصاحته ... حتى غدا عاطلاً من وصف تبيين
غداة قيل طوت أيدي المنون لنا ... ثوب الحياة عن الشيخ العثيمين
فأصبحت أمة الإسلام واجمة ... من الحجاز إلى القوقاز والصين
كأنما أمتي من هوله ركبت ... في فلك خطب من الأحزان مشحون
معالم الدين قد دكت جوانبها ... لعالم مات بالأسقام مطعون
محمد الصالح المحمود شيمته ... بقية السلف الزهر الميامين
وثالث القمرين الفذ منهجهم ... بعلمه ازدان نهج أي تزيين
هوت كواكب كثر قبله ومضت ... تضيء أفقاً بعلم غير ممنون
قضى ابن باز ولَهْوَ الشمس قد كُسفت ... ومثله قمر في العلم والدين
ولم يقم بعدهم في الناس من خلف ... سوى الشهاب المنير ابن العثيمين

حتى مضت روحه لله طاهرة ... مغيباً شخصه في الترب والطين
إني لأحسبه والموت يطلبه ... لينعم اليوم في الجنات والعين
لكنما علمه حي ليبعثه ... بين الأنام ليبقى غير مدفون
إن أبكه اليوم أبك الدهر من أسف ... فإن سيرته الحسناء تسبيني
أبكي العلوم غزيرات يلقنها ... للطالبين بتوضيح وتحسين
أبكي الفتاوى جريئات يفصلها ... بمنطق زانه فصل البراهين
تبكي القصيم وطلاب وجامعة ... ومسجد في عنيزةَ جِدُّ محزون
تبكي المنابر والقاعات من حزن ... وسوف تندبه شتى الميادين
وكُتْبه سوف تبقى الدهر شاهدة ... على براعته غرّ العناوين
قول مفيد على التوحيد قيده ... أو زاد مستقنع في الفقه والدين
عقد ثمين يزيد الجيد رونقه ... تلقفته أيادينا بتثمين
وسوف تفقده للعلم أربطة ... وسوف تذكره دور المساكين
وساحة الأمر بالمعروف باكية ... والنهي عن منكر بالرفق واللين
يذب عن دعوة التوحيد يحرسها ... عن كل منتحل في الدين مفتون
ويحمل المنهج الأصفى موارده ... ما شابه من دخيل الفكر مأفون
لا يترك السنة الغراء ملتفتاً ... لمنهج باطل بالصبغ مدهون
ويبذل النصح صرفاً لا يضن به ... ويسمع الحق جهراً دون تلوين
يتابع النص في الفتوى يقول به ... وليس يغفل عن لحظ المضامين
أحيا الشعائر بيضاً حين أظهرها ... من كل مفترض أو كل مسنون
إن مات أمس فقد باتت جلائله ... تحكي المناقب عن خمس وسبعين

خمس وسبعون تمضي وهو يعمرها ... مـجـاهداً بين لوح العلم والنون
قد عاش من غير كبر شامخاً جبلاً ... فالشيخ من معشر شم العرانين
فما تعرض للأعراض يخطبها ... ولم يقف عند أبواب السلاطين
عاف المناصب والألقاب من ورع ... وظل يركلها من غيرما هون
واهاً لشيخ جليل كان منتظراً ... لفتنة قد رواها كل مغبون
قد كان سداً منيعاً دون مبتدع ... ودون منتفع بالرأي موهون
كم ملحد ودعيّ ظل يلقمه ... بكل فهر من السجيل مسنون
قد أصبح الناس أشياعاً ممزقة ... ما بين رام ومرمي ومزبون
وقوله كان فصلاً عند محتكم ... وعلمه فاض في كل المواعين
إن غيب الموت عنا شيخنا فلنا ... إن شاء ربي لقاء غير مظنون
والله نسأله للشيخ مغفرة ... ورحمة يوم نشر للدواوين

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٩)

التوديع

شعر الأستاذ : عبد الرحمن التميمي

دمعة في الجفون ترفأ دمعة ... واعتلال بالفقد من بعد فجعه
وركام من المآسي وهم ... ينحت الحزن والتلوّم جذعه
ثم ها نحن كم تجود المآقي ... قبل أن نهجس المآقي برجعه
قبل أن نستفز أطيار حلم ... أو نمني بلابل القلب نجعه
فارث للقلب من عواد عظام ... وخطوب تداهم القلب دفعه
تقلب الصبح أطلس اللون بدءاً ... ثم تطفي في فحمة الليل شمعه
أيها الأنفس الشحيحة أدنى ... قطعة للذبول في إثر قطعه
ها هو الشيخ بعد أن كان فرداً ... في مجرّ النجوم علق فرعه
يدّني للتراب شيئاً فشيئاً ... ثم يركي في جانب اللحد ضلعه
موقناً أن ضجعة القبر تبقى ... عند راجي الإله أهنأ ضجعة
إن جسماً على المآثر وقفاً ... وسد اليوم أشرف الأرض بقعه
جسد لف في العبادة لفاً ... وعليه من التسابيح خلعه
في ذهول يفارق الناس حتى ... ظن من ظن أن في الأمر خدعه
شدّ ما حز في النفوس عناء ... شد ما قرّ في الدخائل لوعه
من قريب حواه كرسي علم ... وازدهى من هداه منبر جمعه

والتقى حوله التلاميذ حتى كان يحكي بين التلاميذ قلعه
يا فقيداً على ثرى العدل ثاو نضّر الله في ثرى الخلد طلعه
بلغ العذر من دعا الناس عمراً باذلاً في نصيحة الناس وسعه

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٠)

خسوف الكواكب

شعر الشيخ : عبد الرحمن بن جزاع الراشد

سئمت تكاليف الحياة ولم أزل على سأمي منها قليل التجارب
فياليت شعري إن بحراً نخوضه عميقاً وإعصاراً نلاقي بقارب
تروح بنا الأمواج إن هب شارق وإن سكنت فزنا بخير المطالب
فإن تلتمس في هذه الأرض لذةً تجد أمرها دوماً سريع الأجادب
فبالأمس شيعنا ابن باز على التقى وذا اليوم أبكانا عظيم المناقب
قرين علوم الدين والزهد والهدى شديد على الضُّلال شأن المحارب
هو ابن عثيمين الذي ارتوت به نفوس كريّ الأرض قطر السحائب
هو ابن عثيمين الذي أزهرت به علوم بتفصيل وطمس المثالب
ولكن أمر الله في الخلق سنة فلا بد يوماً من حلول المصائب
ولا بد يوماً أن تغيب شموسهم كما خسفت بالأمس بعض الكواكب

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٣٧)

شموخ الصابرين

شعر: الدكتور عبد الرحمن بن صالح العشماوي

لحق الشيخ بركب الصالحين فلماذا يا جراحي تنزفين؟
ولماذا يا فؤادي تشتكي ولماذا يا دموعي تذرفين؟
رحل الشيخ عن الدنيا التي كل ما فيها - سوى الذِّكر - لعين
فارق الدنيا، وما الدنيا سوى خيمة منصوبة للعابرين
فارق الدنيا التي تفنى إلى منزل رحب وجنات وعين
ذاك ما نرجو وهذا ظننا بالذي يغفر للمستغفرين
رحل الشيخ على مثل الضحى من صلاح وثبات ويقين
فلماذا أيها القلب أرى هذه اللوعة تسري في الوتين؟
ولماذا يا حروف الشعر عن سر آلام فؤادي تكشفين
أُتركي الحسرة في موقعها تتغذى من أسى قلبي الحزين
وارحلي بي رحلة موغلة في حياة العلماء الأكرمين
واسلكي بي ذلك الدرب الذي ظله يحمي وجوه السالكين
يا حروف الشعر لا تصطحبي لغة الشعر إلى جرحي الدفين
ربما أحرقها الجرح فما صار للشعر فم يروي الحنين
واتركي لوعة قلبي إنها تارة تقسو وتارات تلين
وادخلي بي واحة العلم التي فتحت أبوابها للوافدين

عندها سوف نرى النبع الذي   لم يزل يشفي غليل الظامئين
شيخنا ما كان إلا علماً   يتسامى بخشوع العابدين
عالم السنة والفقه الذي   هزم الله به المبتدعين
لا نزكيه ولكنا نرى   صوراً تلحقه بالصادقين
في خيوط الشمس ما يغني وإن   أنكرتها نظرات الغافلين
راحل ما غاب إلا جسمه   ولنا من علمه كنز ثمين
ما لقيناه على درب الهوى   بل على درب الهداة المهتدين
لكأني أبصر الدنيا التي   بذلت إغراءها للناظرين
أقبلت تعرض من فتنتها   صوراً تسبي عقول الغافلين
رقصت من حوله لكنها   لم تجد إلا سموّ الزاهدين
أرسل الشيخ إليها نظرة   من عزوف الراكعين الساجدين
فمضت خائبة خاسرة   تتحاشى نظرات الشامتين
أخرج الدنيا من القلب وفي   كفه منها بلاغ الراحلين
لم يكن في عزلة عنها ولم   يغلق الباب عن المسترشدين
غير أن القلب لم يشغل بها   كان مشغولاً برب العالمين
أو ما أعرض عنها قبله   سيد الخلق إمام المرسلين
أيها الشيخ لقد علمتنا   كيف نرعى حرمة المستضعفين
كيف نستشعر من أمتنا   صرخة الثكلى ودمع اللاجئين
كيف نبني همة الجيل على   منهج التقوى ، ووعي الراشدين
كنت يا شيخ على علم بما   نالنا من غفلة المنهزمين

قومنا ساروا على درب الردى ... فغدوا ألعوبة المستعمرين
شرقوا حيناً وحيناً غرّبوا ... واستبيحت أرضهم للغاصبين
هجروا الصالح من أفكارهم ... فتلقتهم يد المستشرقين
وارتموا في حضن أرباب الهوى ... من ذيول الغاصب المستعربين
ضيّعوا الأقصى وظنوا أنهم ... سوف يحظون بسلم المعتدين
فإذا بالفارس الطفل على ... هامة المجد ينادي الواهمين
صاغها ملحمة قدسية ... ذكرتنا بشموخ الفاتحين
قالها الطفل وقلنا معه ... إن بيع القدس بيع الخاسرين
أيها الشيخ الذي أهدى لنا ... صوراً بيضاء من علم ودين
لم تكن تغفل عن أمتنا ... وضلالات بنيها العابثين
كنت تدعوها إلى درب الهدى ... وتناديها نداء المصلحين
قلت للأمة والبؤس على ... وجهها الباكي غبار للأنين
إنما تغسل هذا البؤس عن ... وجهك الباكي دموع التائبين
أيها الشيخ الذي ودعنا ... عالي الهمة وضاح الجبين
نحن نلقاك وإن فارقتنا ... في علوم بقيت للراغبين
أنت كالشمس إذا ما غربت ... أهدت البدر ضياء المدلجين
أنت ما ودعتنا إلا إلى ... حيث تؤويك قلوب المسلمين
إن بكيناك فإنا لم نزل ... بقضاء الله فينا موقنين
في وفاة المصطفى سلوى لنا ... وعزاء عن وفاة الصالحين
ذلك الرزء الذي اهتز له ... عمر الفاروق و العقل الرزين

مـات خـيـر الناس هذا خـبـر ... ترك الناس حـيـارى تائهين
طاشت الألبـاب حتى سـمـعـوا ... مـا تلا الصـديق من قـول مـبين
لا يعـزينا عن الأحـبـاب في ... شـدة الهـول سـوى مـوت الأمين
إنهـا الروح التي تـسـمـو بنا ... ويظل الجـسم من مـاء وطين
يحـزن القلب ولكنا على ... حـزنه نبني شـمـوخ الصابرين
كلنا نفنى ويبـقى ربنا ... خـالق الكون مـلاذ الخائفين

(جريدة الجزيرة، العدد : ١٠٣٣٥)

جيل يعلم جيلاً

شعر الشيخ: عبد الرحمن بن عبد الله أبو دجين

* المعهد العلمي بالأفلاج *

ضجت بلاد المسلمين عويلا ... وتوجهت شمس الأصيل أفولا
وتأججت نار الفراق حثيثة ... عمت جميعاً فتية وكهولا
الله أكبر إن فقد محمد ... كالسهم أودى بالمصاب قتيلا
بالأمس نرثي جهبذاً ومعلماً ... درس العلوم وعلم التنزيلا
واليوم نرثي رائداً ومناضلاً ... ومربياً جعل الكتاب دليلا
سبعون عاماً قد مضت من عمره ... أفتى وأرشد تائهاً وجهولا
هو قدوة هو أمة في ذاته ... هو بحر علم يقتفي التأصيلا
شيخ تقي لا يمل حديثه ... أبداً فعلّم بكرة وأصيلا
فتخاله بين الأنام كأنه ... غيث ترقرق في الشعاب مسيلا
فإذا رأيت صنيعه وفعاله ... أيقنت أنك قد رأيت نبيلا
فالعلم يرفع أمة عملت به ... والجهل يهدم أنفساً وعقولا
«نور على الدرب» اكتسى من فقهه ... فكأنه جيل يعلم جيلا
آه على شيخ نودع مثله ... ونراه في وسط القبور نزيلا
يا أمة الإسلام شيخك قد بنى ... صرحاً عظيماً في القلوب جميلا
يفتي وينصح أمة ملهوفة ... ويريهم الحق المبين سبيلا

يا أمة الإسلام خطبك فادح ومروع ترك الفؤاد عليلا
وثقي بنصر الله ينصر جنده فهو الذي يعطي الجنان بديلا
وصلاة ربي للنبي محمد أمضى الحياة معلماً ورسولا

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٩)

لم يمت بعد

شعر الأستاذ : عبد الرحمن بن عبد الله الحميد

ألمحت لي من قريب وبدت تطرق بابي
عاتبتْني أن رأت صخرا وهل يجدي عتابي
قلت يا حسناء كفي واتركيني في عذابي
أنت يا ساكنة القلب تراب للتراب
أنا يا حسناء خلقٌ جيئتي مثل ذهابي
قد عذرت لو فرضنا بك يا حسناء ما بي
لك يا دنياي أظفار كأظفار العقاب
لم نذق حلواً لديك غير فتك واستلاب
كلما خف مصابٌ أوقعتنا في مصاب
إن تمزقها نقاباً لبست ألف نقاب
حين مات الشيخ لم أنبس سوى طال اغترابي
لم أُرَ إلا أَسِيفاً لابساً ثوب اكتئاب
لم أزل ألمح طيف الشيخ من باب لباب
يتهادى ماشياً في موكب بين الصحاب
يقطع الدرب مهاباً تاركاً كل الركاب
هو بحر هل رأيت البحر من غير ارتهاب

هل يضر البحر ما أعطاه لسع من ذباب
قيل ما قيل ويبقى زاخراً بين العباب
في سبيل العلم ضحى فانثنت كل الصعاب
ولسان الحال يحكي حتى لو بعت ثيابي
هو نجم غاب عنا وتوارى في الحجاب
لم يمت بعد فروح الشيخ في كل كتاب
وهي أزهار لقطف ورحيق لانسكاب
قلت ما قلت ولما يفرغن ما في وطابي
فبنفسي من معاني الحب آلاف رغاب
أسأل المولى لشيخ زاهد حسن الثواب

(جريدة الجزيرة، العدد: ١٠٣٣٤)

الخطب أفدح

شعر الشيخ : عبد الرحمن بن محمد الغنام

الخلق تشرب والكؤوس تدار ... في وسط داج أو بنور نهار
بينا ترى المخلوق يكدح جاهدا ... حتى يرى خبراً من الأخبار
زمر تساق إلى القبور عشية ... أو في ضحى ذي حكمة الجبار
من عهد قابيل وهابيل مضت ... لبت نداء إلهها القهار
والموت ليس براحم أحداً ولا ... يبقى صغيراً أو من الأخيار
ساق الكبار مع الصغار إلى الفنا ... وتقوضت دول بكل شعار
مات النبي وصحبه ورعيله ... والطيبون مضوا مع الأبرار
الصالحون القانتون ترحلوا ... لم يبق إلا حامل الأوزار
إلا من امتن الإله عليه في ... صون الشريعة في رضا وفخار
لطفاً إلهي إن دهتنا نكبة ... في شيخنا السباق بالأنوار
فلقد فجعنا في عزيز قبله ... عبد العزيز مخلد الأسفار
فقد الكبار إذا تتابع نكبة ... للمسلمين فما بقي لصغار
إلا الإله يغيثنا في صفوة ... تبدو من العلماء والأطهار
يا شيخ إن فقد الرجال فكلهم ... من آدم ماضون للأخطار
لكنَّ فقدك فقد جيل نيّر ... مشكاته القرآن في الأزبار
يا جهبذاً عم البرية نفعه ... بالعلم بالتدريس في الأقطار

في كل بيت من عبيرك زهرة — في كل ناد نفحة لفخار
حلق التلاوة أخرست أفواهها — من ذا يقوّم عثرة للقاري
يبكيك جامعها ومحراب به — ومنابر التدريس للأخبار
هذي هي الدنيا زوال كلها — لم يبق إلا الله في الأذكار
لو كان يُفدى في الحياة مبجل — لفداك كل مكلل بالغار
وعزاؤنا أن البدور إذا انتهت — بدت الحياة بساطع الأنوار
يا شيخ فقدك فقد أم مع أب — لطماء بعدك ندثر بدثار
ما عاد يسعفني القريض لأنتقي — ما طاب ما خيرت من أشعاري
فالخطب أفدح من هذاء قصائدي — والموت أصلب من صدى أوتاري
يسقي ضريحك مرزم رعاده — وتفوز بالحسنى مع الأبرار

(جريدة عكاظ ، العدد : ١٠٣٣٤)

لقد كان شمساً يستضاء بنوره

شعر الأستاذ : عبد الرحمن محمد الفنيسان

فجع الأنام وحق لي أن أفجع ... فالخطب جم والمصائب روّع
بكت الأنام على فراق إمامها ... وترى القلوب على الإمام توجّع
يا عين جودي بالبكاء وأسبلي ... دمعاً غزيراً فالفؤاد يَصَدَّع
قد كان شمساً يستضاء بنوره ... في الليلة الظلماء بدر يسطع
ولقد بكى الشيخ الجليل أرامل ... وكذا بكى شيخ الجزيرة رضّع
ولكم يتيمٌ قد بكى لفراقه ... ولكم فقيرٌ للفراق سيجزع
يا رب ادخله الجنان مخلداً ... وامنحه تاجاً باللألىء يلمع
يا رب أنزله جوار محمد ... هبه الأمان إذ الخلائق تفزع
ثم الصلاة على النبي محمد ... هو خير هادٍ للبرية يشفع

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٣٧)

إلى رحمة الله يا أبا عبد الله

شعر الشيخ: عبد الرحمن المنير المساعد

بكيت بالشعر من أعلى منابره ... بكاء من مسه ضر على كبر
كرّ الجديدين أدناه وأسلمه ... إلى خفيرين من داء ومن ضجر
لا يُطفىء الماء جمراً من تألمه ... ولا يزوغ الأسى من وحشة السّهر
آهاته بعض آهات تعاتبني ... أرح ركابك ما صفو بلا كدر
ولا تسل عصرك الأزهى وصحبته ... إذ ينظمون عقود المجد من درر
ما كنت طالبَهُ جفّت جداوله ... ومنجل الخطب لم يُبق ولم يذر
كم بلّغت بّثها للناس شاكيةٌ ... إن المقيم – وإن أغفى – على سفر
العفو يا من شكا دوحاً يظلله ... واليوم أضحى بظل فيه منحسر
بي ضعف ما بك يا ورقاء لا تضعي ... جمر النواح على ما بي فتنصهري
دكّ النعي قلاع الصبر وانتشرت ... حدائد العزم أشلاءً على الحجر
لفقد من أقبلت دنياه باسمة ... فصدّ عنها وأنهاها على حذر
الواهب العروةَ الوثقى مشاعرَه ... وثاقها بالحديث الصدق والسور
يا شيخ قدرك فوق السحب متكىءٌ ... وكلما رمته استحييت من صغري
أجرى الإله على كفّيك رحمته ... تؤوي الضعاف وتحميهم من الخطر
وإن نأى مورد عن عين طالبه ... كنت الدليل وعين الشمس والقمر
وجزت بالنفس أطباقاً إلى ملأٍ ... في عالم الطهر لا في عالم الوضر

لولا مقامك ما طهّرت قافيتي ... ولا عصيت الهوى في المنحنى النضر
لكنه الفضل لو أني جزيت به ... وهبت عمرك ما استقبلت من عمري
لكل نجم من الأبراج مطلعه ... وطالع اليمن من أفعالك الغرر
جل الذي كوّر الدنيا وأسعدها ... بكل حب على قلب من البشر
إذا حبوك ثناءً فالثناء صدىً ... لما حبوتهمُ يا طيّب السير
وإن نُعيت فما تُنعى سوى كبدي ... جرّ القضاء على قلب من البشر
لو يُفرش الورد تحتي ما حفلت به ... غشاوة الحزن أسدافٌ على بصري
أنسى سواك ولا أنساك ما بقيت ... بي مضغة لم توار بعد في الحفر

من يبكيه !

شعر الدكتور: عبد الرزاق الحمد

عظم البلاء على البلاءِ فالصمت أبلغ في الرثاءِ
ولقد يجيش القلب يغلي مزبداً وبلا بكاء
ومن اللهيب تطاير الكلمات من فرط الهذاء
فلعل مغموماً تلظى وهو يضحك في العناء
والضرب أنكى في الطعون فكيف في سرد الدماء
وإذا المصائب فقد أهل العلم يا نذر الشقاء
وإذا الجهابذة الأئمة ودعوا فبمن عزائي
أتراهمُ سئموا على فتن الحياة من البقاء
واستوحشوا ما بين أدراك الدنا معنى النقاء
واستثقلوا عبء الأمانة بين أوحال الرياء
قمم تتابع فقدها فلتبكها قمم العلاء
واهاً لفقد محمد أفقاً يسد مدى القضاء
وبقية من ثلة تحدوه شمس الأنبياء
مستعصماً بدليله سيف الهداية في مضاء
كلا ولا متعصباً أبداً لرأي أو لراء
كلف بحب نبيه ولآله والأصفياء

نسي الدنايا والدنا وهوى على وحي السماء
لم يخش لوماً أن يقول الحق في فتن العماء
أو أنه لم يستبن رأي له وبلا مراء
يا فخره من عالم بين التواضع والسناء
بين المنابر والمحابر والتهجد والدعاء
بين العزائم والمكارم والمخافة والرجاء
بين الدماثة والمهابة والبراءة والولاء
بين التعفف والتلطف والسماحة والوفاء
عَدَّدْتُ ألهج بالثناء فقلت بل حسب الثناء
فهو المثال من المعالي يحتذى للأنقياء
والله يكرمه برضوان ورحب في العطاء
ولنا العزاء بفقده فالله أحكم في القضاء

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٧)

رحلت يا شيخنا والأرض مجدبة

شعر الشيخ : عبد العزيز بن إبراهيم السراء

جار الفؤاد وسح الدمع مدرارا ... وأجج الحزن في أحشائنا نارا
وأظلمت في عيوني كل ناحية ... ورحت أشحذ كالمسكين أنوارا
يا رحمة الله في البلواء تسعفنا ... ألقيت رحليَ إذ لا قيت أقدارا
إني لأؤمن بالأقدار إن بسمت ... أو أشهرت سيفها كاليوم إشهارا
أستغفر الله.. لا ندري فكم منحت ... منابت الشوك بعد الجرح أزهارا
لكننا مذ رحلت اليوم يا علماً ... صرنا كما الطود لكن بات منهارا
رحلت يا شيخنا والكف عاجزة ... بأن تُلَوِّح توديعاً لمن سارا
الكف مشلولة لا تستطيع بأن ... تكفكف الدمع لما أشبه النارا
رحلت يا شيخنا والكون عاصفة ... وكنت من قبل وقت الشدة الغارا
رحلت يا شيخنا والأرض مجدبة ... وكنت بالعلم إبراقاً وأمطارا
ما زال يذكركم بالخير كل فتى ... وكل من تاه بالأهواء أو حارا
ألم تكن في دروب البيد سارية ... وكالفنار لمن راموك إبحارا
ما زال بالخير كل الناس تذكركم ... طوبى لمن حاز هذا الخير تذكارا
يا بن العثيمين يا بن الصالح انتفضت ... لموتكم أمة لم تحص مقدارا
محمد أنت في المنهاج متبعٌ ... محمداً لم تحد إذ قل من سارا
وقفت تدعو لدين الله مجتهداً ... ما همكم إذ تلاقي الشر غدارا

ولم تكبلك دنيا طالما عقلت بزيفها غيركم حسراً ومختارا
هبت عليكم رياح كلها فتن فلم تزعزعك ، بل زادتك إصرارا
وصرت تنشدها لما غدت بدداً إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصارا
ثبت لما أتتك اليوم طارقة كطارق زاد في التثبيت مسمارا
لما أتتك من الأمراض أوجعها لم تلتفت ووفيت العهد إكبارا
أبرمت عهداً ولم تنقض مواثقه بأن تبيع لباب النفس غفارا
من ذا سينسى ببيت الله درسكمُ والداء يغرز في جنبيك أظفارا
ولا تبالي بنصح للطبيب ، فقد رحلت تطلب جنات وأنهارا
يا رب ، يا رب لا تخلف له أملاً يرجو الجنان ، ويخشى الويل والنارا
واخلف لنا ربنا خيراًيعوضنا ومن عساه فجد بالخير مدرارا

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٠)

هو حجة في الفقه

شعر الأستاذ : عبد العزيز بن صالح العسكر

جل المصاب فأين منه بياني | من بعد ما قيل الحبيب يعاني
كان المقدم والإمام بساحنا | يفتي على نور من القرآن
سبعون عاماً قد قضاها في الذي | هو إرثنا من منقذ الإنسان
هو حجة في الفقه رغم مكابر | هو روضة للخير والإيمان
هو رحمة للسائلين بساحنا | يعطي الفقير وكل شيخ عاني
هو رائد في العلم ما شطّت به | دنيا يتوق لها ذوو التيجان
العلم وقف زينت أخباره | يرجو رضاء الواحد الديان
إن تأته تلق التواضع نهجه | أو تدعه ليّن بلا إمنان
من للفرائض إن تعقد حلها | من مرشد للشيب والشبان
من في عنيزة إن توارى حبرها | قد زانها في سابق الأزمان
يا شيخنا إن الحوادث جمّة | إنا نخاف حبائل الشيطان
نشكو إلى الرحمن شراً قادماً | يدعو إلى الإجرام والعصيان
لا يأس عندي من هدى في ديننا | قرآننا يهدي إلى الفرقان
يا قادة ورثوا الهدى في أرضنا | لا تنثنوا عن دعوة وبيان
فالحق يعلو إن أبين سبيله | والغي صاحبه إلى خسران
يا رب فارحم فارساً نشر التقى | وأفض عليه سحائب الغفران
واجعل جنان الخلد مسكن روحه | هي خير دار مالها من ثاني

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٣)

يا قبر قد حل فيك اليوم عالمنا

شعر الشيخ : عبد العزيز بن عبد الرحمن اليحيى

* عضو الدعوة والإرشاد - فرع الوزارة بالقصيم *

دهى الجزيرة خطب فادح عمم   ضجت لوقعته الأوطان والأمم
تساءل الناس ماذا حل؟ قيل لهم   لقد توفي في أرجائها العلم
ابن العثيمين من سارت بسيرته   قوافل السبق واختالت به الهمم
شهمٌ بروضة علم زانها عمل   وهذه ميزة الأعلام بينهم
فشيخه جهبذ تكفيه شهرته   أعني ابن سعديَ من سامت به القيم
تلميذ أهل التقى والعلم قدوتنا   من الألى نصحوا لله جهدهم
آل السليم شموس العلم ألوية   حماة دين الهدى يكفيك ذكرهم
كذا ابن فدًا إمام زاهد ورع   شيخ المشايخ والإخلاص نهجهم
صانوا الشريعة والتوحيد ديدنهم   حصونها يا فتى لله درهم
تبكي الحنيفية الغراء من كمد   إذ قد نعاه لها العربان والعجم
ومنهج السلف المأمون ودعه   بكل حزن عميق حقه الوجم
من للعقيدة بعد الشيخ يحرسها   يذود عنها إذا أعداؤها هجموا
من للحديث وإسناد الرجال إذا   رواته في حقيق النص قد وهموا
من للأصول يجلي عن غوامضها   من للخلاف إذا طلابه احتكموا
من للحيارى يهدِّيهم ويرشدهم   لساحل الحق والأمواج تلتطم

لهفي عليه ولهف المسلمين معي ... لو كان ينفع فيه الحزن والندم
لو كان يفدى لساق الناس فديته ... وقدموا المال والأرواح واستهموا
لكنه الموت يا بن الموت كن حذقاً ... يبقى الإله ويفنى الخلق كلهم
مصابنا برسول الله سلوتنا ... عند المصائب والأهوال تحتدم
يا قبر قد حل فيك اليوم عالمنا ... والفضل والبر والإحسان والشيم
فرحمة الله يا شيخاً مضى ورعاً ... فيه الوقار وبين الناس يحترم
عام ونصف طوى أعلامنا تبعاً ... وخلف الحزن في الأحشاء بعدهم
منظومة للهدى والباز نيرها ... وناصر الدين فيها إنهم قمم
رحيل أهل التقى نقص يهددنا ... بموتهم قلعة الإسلام تنثلم
فالله يجبر كسر المسلمين بهم ... وأن يبارك في الباقين إنهمُ
أعلامنا من بهم تحمى شريعتنا ... فهم أماجدها والشرع مجدهم
لألف عام مضى تتلوه أربعة ... من القرون وعقد العمر ينفصم
لعام إحدى وعشرين مضين لنا ... في نصف شوال والأيام تنصرم
ثم الصلاة على المختار من مضر ... ما هل وبل على بيدائها ديم
والآل والصحب ما قد قال قائلها ... دهى الجزيرة خطب فادح عمم

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٩)

لك في رحاب الله حسن جزاء

شعر الأستاذ : عبد العزيز بن محمد النقيدان

اليوم يجدر أن أقول رثائي ... يا صاحب الفضلى من العلماء
عشنا سنين وأنت فينا رائد ... ومعلم في منهج الفضلاء
عشت التواضع والسماحة والندى ... متسامحاً حتى مع الجهلاء
ذهل الصغار على الشفاه تساؤل ... جاد الكبار بمدمع وبكاء
ومواكب تترى تزف عزاءها ... جاءت معبرة بكل وفاء
فمن القلوب تضرع وتودد ... وتفيض ألسنة بخير دعاء
يا راحلاً عنا فدتك قلوبنا ... كيف السلو عن القريب النائي؟
قد شيعتك إلى المقابر صفوة ... ممن سما في صحبة وإخاء
أحببتهم في الله والكل انبرى ... قد ودعوك بدمعة وعزاء
لو كان في الشعر الفداء لعانقت ... درر القوافي أصل كل سماء
أمضيت عمرك داعياً ومعلماً ... وبنيت جيلاً نابه الآراء
إن المعارف وهي أعظم منة ... خلعت عليك ملابس السعداء
وشكرت رباً كم تلوذ بركنه ... وصبرت محتسباً لكل بلاء
إن الذي جعل العقيدة نوره ... قد سار في طهر مع الحنفاء
ماذا تقول إذا تقدم راحل ... إن الرحيل نهاية الأحياء
في ذمة الله الذي برأ الورى ... إن المنايا قدرت بقضاء
فإلى جنان الخلد يا علماً هوى ... لك في رحاب الله حسن جزاء

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٥)

يا موت أفجعتنا في أخذ عالمنا

شعر الشيخ: عبد اللطيف بن فهد بن مشيقح

إن تختف الشمس بات الليل يسترنا … وظلمة الجهل تبدو في أعالينا
شمس لقد غربت بالحق قد نطقت … وأنبتت لقصيم الخير يسمينا
بحر العلوم زلال طاب منبعه … وبالعقيدة يسقينا فيروينا
بكته عيني وشعري ثم وا أسفي … على العلوم ونور مطفأ فينا
مصابنا جلل والله أسأله … إمام خير لنا كابن العثيمينا
قد أخبر الصادق المصدوق أن لنا … في آخر الدهر فقداً للمحبينا
تراه في درسه كالغيث منهمراً … يسقي منابعنا فاخضر عالينا
تراه في نور درب ضاء أفئدة … تفصيل قول لمن يرجو هدى فينا
يا موت أفجعتنا في أخذ عالمنا … وسنة الله إيماناً بها دينا
قد مات بعد وفاة الشيخ منبره … ومسجد لا ترى إلا المصلينا
نجل الإمام الهمام ثم إخوته … مصابكم عمنا فالحزن ساقينا
يا أمة رزئت في فقد عالمها … وودعت شيخهاالشهم العثيمينا
بنشر علم له تزكو مجالسه … قولاً مفيداً كذا إمتاع قارينا
أو ما قرأت له شرحاً لواسطة … تشفي وتكفي بها نقلاً وتبيينا
دمرت يا شيخنا بالتدمرية ما … حاك الغواة فكانوا في الأذلينا
وبعد هذا فتبقى شيخنا أبداً … شيخاً لحاضرنا أو من بدا فينا

وفي مواسم خير شاع مجلسه … طابت معارفه والوقت يضنينا
قد عاش يذكر قولاً قال سيدنا … قال الإله فنور الوحي يحمينا
تراه يقسو على الطلاب في أدب … زاك وينسيهمُ أغلى المحبينا
ينبيك عن صدقه رفض لبهرجه … فلا ترى موكباً قد عاش مسكينا
فالله أسأله غفران زلته … والله أسأله صبراً يسلينا
صلاتنا لنبي الأرض قاطبة … ما ذر رمل الغضا أو فاح يسمينا

(جريدة الجزيرة، العدد : ١٠٣٣٨)

علم من الأعلام

شعر الأستاذ : عبد الله بن جابر الحمود

نبأ سرى بين البرية مفزع ... فانقض من هول لذلك مضجع
والتجّت الآذان عند سماعه ... وانهال من عظم المصيبة مدمع
اهتز قلب بالمحبة مفعم ... وغشى النفوس تكدر وتوجع
مات العثيمين العظيم بنفعه ... علماً من الأعلام دوماً يصدع
دنت المنية واستتم نصابها ... والكأس من حوض المنية مترع
الموت حق في الخليقة نافذ ... لكن موت المصلحين مروّع
شتان بين غوينا وتقينا ... فالله يخفض من يشاء ويرفع
الناس تبني والفناء مصيره ... خاب الذي يبني الفناء ويجمع
مت أيها الشيخ التقي قريرة ... عيناك مما كنت دوماً تصنع
إن مات شخصك حية أعمالُه ... تبقى بها حياً وذكرك يُرفع
خلّفت ميراث النبوة بعدما ... أفنيت عمرك في علومك تولع
يمضي نهارك في العلوم وكسبها ... وتظل في الليل البهيم تضرّع
والزهد كل الزهد فيك سجية ... وبها ارتفعت وفوق ذاك تواضع
ومن الأناة جعلت نهجٍ تعامل ... والحلم تاج في جبينك يسطع
ونصيحة في الله دوماً قصدها ... أسديتها من جاء نحوك يطمع
وملكت في حب الإله محبة ... من خلقه والكل حباً يسمع
الله عدل لا ظليمة عنده ... اعمل تجد خير المهيمن يوسع

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٣)

شيخاه

شعر الشيخ: عبد الله بن جلال بن صلاح الدين

هل يستطيع الشعر بث شكاتي ... أم هل يفيد ترقرق العبرات
يا رب يا رحمن قلبي قد تقطع آسياً ... وتلعثمت كلماتي
قدماي قد سقطت ولا تقوى على ... حملي وهاج الصدر بالزفرات
قلمي ترنح من يديَّ وأظلمت ... في وجهيَ الدنيا فواحسراتي
هل ما يقول الناس حقاً إن شيـ ... ـخي قد مضى في سيرة الأموات
وافجعتاه عليك يا شيخاه لن ... يسلو فؤادي من لظى الآهات
واكربتاه عليك يا شيخاه ما ... ذا قد أقول ومن يعيل ثباتي
شيخاه يا شيخاه كم ناديته ... وترى الفؤاد يثور باللهفات
شيخاه يا حب القلوب وطبها ... وضياءها في حالك الظلمات
شيخاه يا علماً يسيل على الورى ... ولواء حق في زمان عات
فلكم قلوب بالضيا أحييتها ... وهديتها يا ثابت العزمات
كم صرح دين للإله أقمته ... بالسنة الغرا وبالآيات
ونهضت بالإسلام أكرم نهضة ... وجمعتنا يا شيخ بعد شتات
يا شيخ لن أنساك إلا عندما ... أرمى بسهم الموت بعد حياتي
سأراك في قلبي وعيني دائماً ... تُلقي المواعظ تنشر الخيرات
تُجري علينا نهر علمك زاخراً ... والقلب في صدق وفي إخبات

والوجـــه في نور يُرى مــتـــألقـــاً ... وترى القلوب إليك منصـــرفـــات
بالأمس كنت لنا إمـــامـــاً هادياً ... واليـــوم تســـرح في ربا الجنات
رباه شـــيـــخي قـــد أتاك ملبـــيـــاً ... فـــأغـــثـــه يا رباه بالرحـــمـــات
واقبله بالصـــفح الجـــميل وجـازه ... من بعـــد عـــمـــر زان بالطاعـــات
وإلى لقـــاء يا حـــبـــيـــبـــاً طالما ... هفت القلوب إليـــه مـــســـتـــبـــقـــات
في جنة الرحـــمن تســـرح دائمـــاً ... في الروح والريحـــان والبـــركـــات
لا هم فـــيـــهـــا لا عـــذاب ولا عنا ... في ظل طوبى تجـــتـــني الثـــمـــرات
مع صـفـــوة الرحـــمن أفـضل خلقـه ... في وجـــهـنا إشـــراقـــة البـــســـمـــات
فـــهناك حـــقـــاً ســـوف يسلو حـــزننا ... وهناك يحـــيـــا القـلب بعـــد ممات

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٨)

بدر أضاء

شعر الأستاذ : عبد الله بن سعد الغانم

رزء وربك في القلوب يزمجر ... ومصيبة تبكي العيون وتنذر
ومراكب الأحزان تعلو شطنا ... وتذيقنا مر الفراق وتمخر
علم قضى يا قوم صبراً إنه ... حبر زها في عصرنا متنور
شيخ جليل شامخ في قدره ... حاز المحبة والفضائل تظهر
ركب الزهادة عالياً صهواتها ... عشق التقى يرجو الجنان ويصبر
بحر غزير يرتوي من فضله ... كل العطاش وخيره لا يحصر
ملك البيان فصاحة وبلاغة ... يشفي الصدور وقوله متعطر
بدر أضاء دروبنا وغدا لنا ... من علمه أنوار خير تزهر
لم تغره دنيا تفاخر أهلها ... وسما إلى العلياء لا يتأخر
نفس شكت من صبره في شدة ... لم يستطعها الأقوياء الصبر
وغدا يجود بعلمه متحملاً ... كل الشدائد والملائك تفخر
هيهات أحصي في القصيد مناقباً ... لإمام عدل شأنه لا يسبر
جمع غفير ودعوه مجللاً ... وتنافسوا في حمله وتصبروا
تعلو وجوههم الكآبة إنهم ... حزنوا لفقد الشيخ بل وتكدروا
قد حاولوا كتم الأسى لكنه اخـ ... ـترق الضلوع وصار رغماً يظهر
كم أسبلوا دمعاً غزيراً حسبهم ... إن البكاء على الجليل مقدر

يوم مهيب محزن يحوي الأسى سحب من الأحزان لا تستمطر
صبراً جميلاً أمتي فإلهنا بر رحيم جوده مخضوضر
ثم العزاء لكم أيا نور الدجى فالله يخلفنا بكم ما يجبر
نوّر عليه إلهنا في قبره واجعله يهنأ بالنعيم ويفخر

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٨)

في رثاء الشيخ العثيمين

شعر الأستاذ : عبد الله بن سعاف

أرقت بذات البين والبين قاطع ... وليس لما أوهى يد الصرم راقع
عشية أن نودي محمد قد مضى ... كذلك تمضي الهاديات الطوالع
مضيت وقد كانت لدى الناس فاقة ... إليك ولكن أبعدتك المصارع
فلا يُبْعِدَنْك الله قد كنت واصلاً ... ولا زال من غيث عليك رواجع
لقد كنت أرجو أن نمتع في الدجى ... بنور سناه من محياك ساطع
حبست سواد الشعر في طلب الهدى ... وخليت عنه بعد والفجر طالع
أشحت عن الدنيا ولو شئت أقبلت ... إليك من الدنيا القرى والقطائع
وقائلة أزرى بك الفقد بعده ... بلى .. قعدت بالأكرمين الفجائع
تتابع أحداث وفقد أحبة ... وقبض بقايا العلم والجهل شارع
إذا غاب نور العلم في زمن الأسى ... فلا سكتت في العالمين المدامع
وإن فرق الدهر الكرام فإنه ... ستجمعهم بالأطيبين المجامع
على مثلهم تبكي القفار ووحشها ... وتبكي عليهم بالديار المصانع

(جريدة المدينة ، العدد : ١٣٧٩٧)

يا فارساً بالعلم أسرج مهره

شعر الدكتور: عبد الله سلمان

* جامعة الملك سعود - فرع القصيم *

مال الديار كئيبة العرصات | طافت بهن كوامن الآهات
فاض انسجام الحزن يملأ سوحها | فكأنما سقيت من العبرات
وَجَفَتْ قلوب حين لامسها الأسى | فإذا العيون هواتن الدمعات
ملأ الحلوق مرارة فَقْدُ الذي | كان السراج لحالك الظلمات
مات الإمام وودعته عنيزة | أقصاه عنها هادم اللذات
فتضورت كل القصيم لفقده | بل سائر البلدان يوم وفاة
ماج الحجاز وقد تسربل بالأسى | والحزن صافح قمة السروات
وبكى بمكة مجلس كرسيّه | كم باركته محاسن الجلسات
بكت المنابر والمساجد شيخها | فيها النشيج يخالط الدعوات
ومعاهد العلم الوضيئة أظلمت | أسفاً على علم من السادات
وتيتم الطلاب بعد رحيل من | غذاهمُ بمطايب الآيات
شيخ هنا جمع المحامد شخصه | فالعلم منه يشع في الكلمات
والزهد والإخبات والسمت الذي | غرس التواضع في شغاف الذات

والفضل في ثوب السماحة والندى ... كف يجود ليحصد الحسنات
يا فارساً بالعلم أسرج مهره ... متصدراً بالفقه ركب هداة
يا عالماً بالحلم ألجم صافناً ... قد عاف كل دنية وفتات
يا إبن صالح يا صلاحاً نبهت ... نفحاته من بات في الغفلات
كم كنت بالآي الكريم موجهاً ... فانصاع ركب تاه في الفلوات
لله عشت مصاحباً سنن الهدى ... فغدوت نبراساً لكل حُداة
لله عشت تواضعاً وتذللاً ... فعلوت فوق سوامق الهامات
ما كان همك في الحياة تنعم ... بل كنت تطلب آجل الخيرات
لله بعت النفس تدأب جاهداً ... في ساحة الإحسان والقربات
لله كم فرجت كربة مجهد ... ولكم سترت معايب العورات
عشت الحياة مُذكراً أو ذاكراً ... أو تالياً في أعظم الحلقات
تحكي بقول الحق تدفع باطلاً ... بصحيح نقل عن عدول رواة
كم منك أسرج ذو ضلال قلبه ... من فيض نور مشرق المشكاة
يا ألمعياً قاد ناصية الحجى ... فتداعت الأفكار بالخطرات
كم مشكلات يا محمد أعضلت ... وطأتهن بثاقب النظرات
قد كنت سلطان العلوم متوجاً ... بالعلم والإكرام والبركات
فيك السكينة والمهابة أطلقت ... ليثاً هصوراً واثق الخطوات

للعلم والتعليم قد يُسّرت لا — لمباذل الفاني وكسب حياة
من للمجالس يا إمام بعيدكم — يضفي عليها حالي اللهجات
من للمعاهد يا معلم بعدكم — تنداح منه جوامع الأشتات
من للعلوم وللفتاوى بعدكم — من للمواعظ فيها نفع عصاة
من بالضياء يعود بعد رحيلكم — إذ غاب بدر مشرق القسمات
إن الرزية فيك أكبر أن ترى — محصورة بشوارد الأبيات
لكن أمر الله فينا نافذ — والكل يدرج في طريق ممات
إن كان ربك قد قضى أمراً جرى — فعزاؤنا في جاري الصدقات
هذي الكنوز كنوز علم نافع — فيها الخرائد نفعها للآتي
وهناك من نهلوا معينك صافياً — إخوان صدق من كرام ثقات
طلاب علم قد ملأت وفاضهم — نشراً يعطر سائر الأوقات
قبس توهج من ضيائك غامراً — بالنور كل مجامع الصلوات
وبهم ستبقى يا في الضمائر ماثلاً — حياً يفيض ببارق الومضات
والله نسأل أن يكون مقامكم — دار المقامة داخل الغرفات
بين النبيين الكرام وصحبهم — في الخير ترفل في ذرى الجنات

رحل الإمام

شعر الشيخ : عبد الله بن سليمان المزروع

* القاضي بديوان المظالم بالرياض *

ما للحمامة لا تردّ هديلا والخيل أطرق لا يجيد صهيلا
ما للفيافي قد تساقط زهرها والبحر يرقد ساجياً وثقيلا
ما للنجوم تضاءلت أنوارها والسعد أمسى في العراء قتيلا
الصبح يسأل والدموع بعينه أحقيقة يا ليل ما قد قيلا؟
يا ليل أين الشيخ؟ قل لي أين هوْ؟ هل قام في محرابه ترتيلا
أم أنه بين المتون مسافر فأبيت أرقب للإمام وصولا
أم قد تحلّق حوله طلابه والشيخ يجلس بينهم قنديلا
يا ليل قل لي أين هَوْ فالصمت قد ترك الفؤاد ممزقاً وعليلا
يا صبح بل رجع الإمام لربه والموت لن تلقى به تأجيلا
رحل الذي شغف الأنام بحبه حتى توسط في القلوب نزيلا
رحل الذي ضاق الفضاء بعلمه كالشمس تشرق بكرة وأصيلا
أبقى لنا نبع العقيدة صافياً وأساله فينا فطاب مسيلا
وهدى النفوس العاطشات لنبعها فروى بذلك في القلوب غليلا
ومضى يبارز من أراد بمائها كدراً فيغلب حجة ودليلا

ورأي البــرية حــوله في ظلمــة فــأضــاء فــيـهــا للنجــاة ســبـيــلا
رحل الإمــام وغــاب عن أنظارنا أحْــزِنْ بذلك غــيــبــة ورحــيــلا
رحل الإمام فليت شعري هل لنا من في إمــامــتــه يحل بديلا
فـالعلم قـد أمـسى يتـيـمـاً بعـده يا رب قــيّض لليــتــيم كــفــيــلا
سيهل دمعك يا صحاح إلى متى؟ يا تدمــرية هل كــفــاك عــويلا؟
فــالدمع لا يجــدي الحــزين وإنما صــبــراً على ألم الفــراق جــمــيــلا

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٣٧)

وترجل الفارس الفقيه

شعر الشيخ : عبد الله بن صالح الخضيري

سقط الحمام وقيل : غاب الفارس ... وكأن وجه القوم ليل دامس
وكأنما الأخبار ريح عاصف ... سار الفؤاد لها وقام البائس
وكأنما سوط الفجيعة ملهب ... فأذاب حزناً واحتواه القارس
قالوا : العثيمين الذي قد جاءه ... سهم المنون قضى ، فمات الفارس
فتتابعت زمر البلاد إلى الذي ... أحيا القصيم فكان ثَمَّ الدارس
وغزارة الدمع الكثيف بأرضنا ... تبقى مع الأيام هن مجالس
لما ارتوت أرض القصيم بأدمع ... حنّت إلى البيت العتيق تؤانس
وقلوب قومي أدمع ، وديارهم ... قد أجدبت خضراؤها واليابس
عجزت عن النطق الحزين قلوبنا ... فتملك الأعضاء صمت حابس
وتقشعت سحب السماء وماؤها ... فجرى لنا الدمع العذوب القارس
لا تعذلوا المكلوم عند بكائه ... فالوالهُ المحزون دوماً بائس
يهذي ولا يدري حقيقة قوله ... مات الفقيه ، وما وعاه الحادس
سارت به الركبان تعني شيخها ... أومن يخفف نعيها ويلامس
يبكونه شيخاً ومرجع أمة ... يبكونه علماً طواه الرامس
أفتى وعلم ثم قام مجاهداً ... لا يستوي علم ومن هو جالس

تبــاً لعين مــا تقــاطر دمــعــهــا وإلــى الــلــذائــذ أدمـع وتــنــافـس
وجــمــيـعنا يشــقى بلوعــة فـقـده بـل أمــتي تنعــيــه وهو الحــارس
والآن بَعْــدُ قــصــيــمُنا في مــأتم لـو قــام فــيــه شــيــوخــه وتدارســوا
أين الدروس وأين علم مــحــقق؟ أو مــا لنا من شــيــخنا من جــالســوا
أدعـــوك يا ربي بأرجى دعـــوة يـدعـــو بـهـــا المضطر ثم البـــائس
رباه فــابعث من عــبــادك ناصــراً بالدين قــام وللشــجــاعــة لابس
في أمـتي إن غـاب بعض نجـومـهـا أو غـــادروا الأوطان جــاء فـــوارس
هذي بحــمــد الله أكــرم نعــمــة إن طال ليـل قطعــتــه مــقـــابس

(جريدة الجزيرة، العدد : ١٠٣٣٦)

مع القرآن بالقرآن يهدي

شعر الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن العرفج

نعـينا الشـيخ فـينا وهو حيٌّ نحـاوره مع الأحـيـاء فـينا
نحـاوره مع الأحـيـاء حـيـاً يبـاركـه الهـدى دنيـا ودينا
مع الإخـوان للإخـوان حـبـر وأسـتـاذ مع المتـعـلمـينا
مع القـرآن بالقـرآن يهـدي ويسـتـهـدي سـبـيل الراشـدينا
وللتـوحـيد بالتـوحـيد يدعـو ولا يثنيـه لوم اللائمـينا
رنا للسنة الغـراء طفـلاً ولازم شيـخه السعـديّ حينا
فكان صبـاه في سـعي وجـد وصـار فـتى يفـوق العـارفـينا
وأصـبح في كـهـولتـه إمـامـاً يشـار إليـه بين العـالمينا
ولما شـاخ حـاز الفـقـه سـبْـقـاً وأدرك فـيـه شأو السـابقـينا
وأحـيـا للأئمـة عـهـد علم بمسـجده الكبـير مـدى سنينا
وقـسم وقـتـه صبـحـاً وظهـراً وعـصـراً والعـشـاء مع الذينا
إليـه إلى معـارفـه أصـاخـوا إليـه إلى عنيـزة وافـدينا
إليـه حـيث مـوطنه بنجـد عنيـزة كم غـذت من فـاضلينا
أتو لابن العـثـيمين المفـدى يبث لجـمـعـهم علمـاً ثمـينا
أتوا للبـحـر وُرّادا عطاشـاً فكان المنهل الصـافي المعـينا
وكـان لهم كـوالدهم حنانـاً وكـل منهمُ أمـسـى مكـينا

فيا لله من ميْتٍ وحيّ بمثواه وذكرى الصالحينا
لقد عاف البهارج من دناه وكان بدينه أبداً ضنينا
فلم يقبل بناء مشمخراً وآثر بيت رب العالمينا
وكم نادى بمعروف جهاراً وأنكر بدعة للآثمينا
ألا من للألى من كل فج بمسجده بأعداد المئينا
لهم جنبات جامعنا مغان رياض يرتعون بها قطينا
رياض حافلات بالأقاحي وأزهار نديات روينا
فللقرآن تفسير وحفظ وبالآداب تهذيب البنينا
وبالتوحيد تسبيح وحمد على نهج الهداة المهتدينا
وأسند بالحديث على رجال لدى أهل الحديث موثقينا
وبين من به جرح وشك وذا وَضْعٌ له والواضعينا
وقابل بين تاريخ ونص وأهل السبق والمتأخرينا
جزاه الله عنا كل خير كما يجزي هداة المسلمينا
وأيدكم كما أيدتموه ولاة الأمر تأييداً مبينا

(جريدة الجزيرة، العدد : ١٠٣٤٤)

صعق الفؤاد

شعر الأستاذ : عبد الله بن عبد العزيز المحسن

صعق الفؤاد وتاهت الأسماع ... وتكاثرت في خاطري الأوجاعُ
لما تراءت للعيان رزية ... إذ غاب نجم في الدجى لماعُ
وهل النجوم تلاحقت سقطاتها ... أو لاح في الأفق البعيد ضياع
فأجابني القلب الحزين بلوعة ... إن اليقين لربه ينصاع
في كل عام تبتلينا نقمة ... ويغيب شيخ في العلا ضعضاعُ
من بعد ما فاق الهوى من حزنه ... عاد النحيب بقلبه يرتاع
عاد النحيب وقد تعاظم صوته ... وتهافتت من أجله الأسماع
لوفاة عالمنا الجليل وحسبه ... أن الجميع لفقده قد راعوا
ابن العثيمين الذي أصل المنى ... في العلم حتى دونته رقاع
رحماك يا ربي على شيخ مضى ... شهدت لحسن كلامه الأصقاع

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٢)

وداعاً فقيه العصر

شعر الشيخ : عبد الله بن غالب الحميري

* معهد الإمام البيحاني للعلوم الشرعية باليمن *

بأي لسان بعدكم يعذب النثر؟ وأي بحور الشعر يرثى بها البحر؟
مقامك في الإسلام أعلى مكانة وأعظم من أن يستبين به الشعر
ولكنه حق على كل ناظم رثاء فقيه عز عن مثله العصر
أصاب بني الإسلام في موتك الذي أصيب به من قبل ليلتك البدر
وما كان خسف الشمس يوماً وبدرها لموت عظيم أو حياة لها ذكر
ولكنه جاء اتفاقاً لحكمة وبينكما في النفع بين الورى قدر[1]
يجل مصاب العلم حقاً لفقده ويندر أن يأتي بأمثاله الدهر
توالت على الإسلام أعوام محنة وأعصبها موت الدعاة وهم كثر
كأنهم عقد تناثر نظمه وما كان يغني الماس عنهم ولا التبر
وجاء لعمر الله موت «ابن صالح» على إثر ذاك الجمع فانقصم الظهر
أعزي به الإسلام والعلم والتقى وينعاه موتوراً به البدو والحضر
وأهدي إلى أبنائه الصيد خالص الـ ـعزاء ومنهم يجمل الحزن والصبر

(١) حدث كسوف كلي للقمر ليلة الخامس عشر من شهر شوال ، الليلة السابقة لوفاة الشيخ رحمه الله ، والمراد هنا تشبيه الحال التي كان عليها بنو الإسلام حين سماع وفاته ، بحال القمر حين حصول كسوفه ، لا أن هناك علاقة بين موت الشيخ وكسوف القمر ، كما هو واضح من الاستدراك الذي تضمنه البيتان التاليان .

وأسرته «آل العثيمين» كلهم ... و«آل تميم» في الدنا ما لهم حصر
أواسيهم والقلب بالحزن مدنف ... وإني إلى حسن العزاء لمضطر
ولست بناسٍ ما حييت مجالساً ... لهـا في طلاب العلم أيامي الغر
تنازعني فيها القصيم ومكة ... وفارقتها والبعد بعد اللقا مر
قضيت بها شهراً ونصفاً ونيّفاً ... ويا ليت عمري كله ذلك الشهر
وما زلت تلميذاً شغوفاً بكتبه ... أدارسها حتى حوى بعضها الصدر
ففي الروض والقول المفيد فوائد ... تقاصر عن تحريرها قبل ذا سفر
وفي العقد لا بل في القواعد أو هما ... علوم لها في كل مدرسة نشر
وفي رشح ألفاظ العقيدة غاية ... لأرباب هذا الفن من دونها البحر
وفي الفقه والتفسير والنحو آية ... تدل بحق أنه الراسخ الحبر
ومن عجب أن يملأ الأرض علمه ... فكيف حواه الصدر أم وسع القبر؟
كأني بأهل العلم والفضل بعده ... نجوم سماء خرّ من بينها البدر
يودون لو ماتوا فداء لشيخهم ... وأن فقيد العلم طال به العمر
ولو كان مما يدفع الموت فدية ... لما مات زيد قبل ذاك ولا عمرو
ولو كانت الأعمار بالفضل لم يمت ... نبي ولم يطمع بها من به فجر
وكان أحق الناس بالخلد أحمد ... وأتباعه الأبرار ما بقي الدهر
ولكنها الآجال تنتاب بغتة ... ولا تنفع الآهات إن نزل الأمر
يسير كرام الناس طُراً وسقطهم ... إلى غاية من أجلها جعل الحشر
ليجزي رب الخلق كلاً بسعيه ... ولا يستوي في حكمه الشكر والكفر

ولا تنمحي هذي الشريعة فجأة … من الأرض حتى يقبض العلم والذكر
وما ذاك إلا حين يقبض أهلها … ويخلف قوم ليس يردعهم زبر
مصاب الدنا في الشيخ يا قومِ فادح … فيا أسفا إن جفّ من بعده النهر
تجدد فيك الحزن فالجرح نازف … على من مضى من قبل أن يُسدل الستر
كأنك عفت العيش من بعد موتهم … فدبّ إليك الداء واستفحل الضر
فمحصت تمحيصاً عظيماً لأنه … على قدر أهل الضر يستعظم الأجر
وسارعت في آثار صحب وزمرة … إذا ذكروا من بعدهم ذُكر الطهر
وقد كنت عمن فات ذخراً وغُنية … وها قد قضيت النحب وانثغر الثغر
فمن سيسد اليوم في الدين ثلمة … ليبقى لنا مما حملت ولو عُشْر؟
كأني بحجاج الأقاليم أقبلوا … إلى درسه من كل حبر له قدر
فلم يجدوا من كان ينساب قوله … إلى القلب والألفاظ من حسنها در
وفتواه في الآفاق قد ذاع صيتها … وقد نفعت في الأرض ما نفع القطر
ومن كان ذا جود يباري بجوده … ولم يحتجب عن سائل هدّه الفقر
ومن كان يعطي دون سؤل ويبتدي … فيبدو على مرآه من جوده البشر
وذا خلق سهل كريم مهذّب … ومن نهجه التيسير واليسر لا العسر
ولم يجدوا من كان في العدل حجة … إذا ما بغى أهل الخصام وهم نُكر
وشنوا على الأعلام حرباً ضروسة … ولم يُلتمس منهم لداعية عذر
وما بلغوا معشار ما نال غيرهم … من الفضل والتحصيل بل علمهم شبر
وكم كان نهج الشيخ دوماً مسدداً … فلم يتعارض عنده السر والجهر
سرى حبه في كل قلب كما سرى … نسيم الصبا في الروض أو ما سرى العطر

وطلابه في كل شـرق ومـغـرب ... كـواكب تسـري أو هم الأنجم الزهر
عليـهم وقـار العلم والحلم والتـقى ... ومـا شـانهم يومـاً غـرور ولا كـبـر
تقـر بهم عين الصـديق وتكتـوي ... قلوب العدا بالجـمـر أو إنهـا الجـمـر
ولا عيب فيـهم غـيـر أن ائتلافـهم ... عـزيز على أهل الخـلاف وهـم نفـر
تنم طبـاع المرء عن طبع شيـخـه ... كـمـا قـيـل أن الورد أولى به الزهر
على ذلك القـبـر الزكي بمكة ... سـحـائب مُـزن لا يكف لهـا قطر
ورحمة ذي الإنعام والفضل تنتهي ... إلى جـسـد أكـفـانه النبل والطـهـر
ومـغـفـرة تغـشـاه مـا بُثَّ في الورى ... علوم كـتـاب الله أو تُلي الذكـر
ومـا لهج الداعـون بالحـمـد والثنا ... على من له في حكمه الحمد والشكر

(مجلة المنتدى – اليمن ، العدد : ٦٤)

ذاك الضياء الذي نرثيه مفخرة

شعر الدكتور: عبد الله بن محمد الحميد

* خطيب جامع الملك فهد بأبها وعضو هيئة التدريس بجامعة الملك خالد *

يا راثي الشيخ قد سالت مآقينا ... بساخن الدمع فانداحت تعازينا
وخيّم الحزن فالأقطار مظلمة ... ولم نعد نبصر الشيخ العثيمينا
لو كان يغني لسان الدمع أودية ... كنا افتدينا إماماً بات يهدينا
لكنه أجل ما دونه هرب ... كل يموت ويبكيه المحبونا
ذاك الضياء الذي نرثيه مفخرة ... لطالما هل منه الغيث يسقينا
لوافر العلم يستقصي فتاويه ... من هدي خير ختام للنبيينا
نجم تألق في الدنيا يعلمنا ... أن الثبات على الإسلام يعلينا
دعا إلى الحق والإيمان محتسباً ... ويرشد الناس بالحسنى لبارينا
فالله يجزيه بالجنات مكرمة ... مع النبيين في الفردوس آمينا

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٣٧)

يا فارس العلماء

شعر فضيلة الشيخ الدكتور: عبد الله بن محمد الطيار

يا فارس العلماء عذراً إنني ... قد بحت بالمكنون من عبراتي
يا سابق القراء كم لك من يد ... مملوءة بالخير والبركات
كم كنت عفاً في الحديث ومعرضاً ... عن كل سفساف من الكلمات
كم كنت براً للشباب تحثهم ... للخير تدعو للعلا بثبات
كم كنت فحلاً في المسائل عالماً ... تفري العويص وتذكر الآيات
يا صاحب العزمات من يبني لنا ... مجد العلوم بصادق النيات
كم قد سموت عن الحياة تنزها ... فكسبت طيب العيش بعد ممات
من للعلوم يحل كل صعوبة ... ويبين أسراراً لها وعظات
كم قد قطعت العمر في طلب لها ... وكسبت منها خالص الدعوات
كم كنت ترنو للدليل تجله ... وتبثه عبر الدنا بجهات
كم كنت أمّاراً تدك معاقلاً ... للشر تهشم رأسه بثبات
كم كنت تأمر ناصحاً وموجهاً ... وتعين طلاباً وخير دعاة
يفديك آلاف الذين تكاثروا ... لاهم إلا الشر في الخلوات
يفديك كل مضيع أوقاته ... بالقيل والأقوال في الطرقات
يفديك قَزْم نال من علمائنا ... ومنافق يحصي لهم عثرات
يفديك فدم حاقد متطاول ... يسعى لكي يتتبع العورات

أحــيــيت أمــواتاً وعــشت مكرمــاً ... وتبــوء بالخـــيــرات والدرجـــات
إني أعـــزي فـــيك كل مـــجـــاهد ... حـــمل السـلاح يجـاهد السـوءات
إني أعـــزي فـــيك كل مكافح ... حـــمل العلوم يســابق الخــيــرات
إني أعـزي فـيك فـرعـاً شـامـخـاً ... وجّـــهـــتـــه دهراً من الـسنوات
إني أعـــزي فـــيك منبــرك الذي ... يبكي الحـديث وصـادق الدعـوات
غـــابت لقـــاءات لهـــا أثر على ... نشء يتــابع مــوعـد الجلســات
في كل أســـبـــوع لقـــاء ثابت ... البـــاب مــفــتـــوح بكل أناة
والشـهــر فــيــه لقـاؤه مـتـحـقق ... والنـاس تأتـي للـقـــا وصـــلاة
وإذاعـــة القـــرآن تروي قـــصـــة ... فـــيـهـا عظات من صـمـيم حـيـاة
أين البــرامج حــيــة نحــيــا بهــا ... ونفـــيـــد من أخـــبـــارها وعظات
الكل غــاب مع التـقي مــحــمــد ... بحـــر العلوم وســـابق الأوقـــات
يا شـــيـــخنا يبكيك كل مـتــابع ... أقـــوالكم مـــتـــرسم الخطوات
يبكيك جــامــعك الذي أمطرته ... علمــاً وفـضــلاً من كــريم هبــات
يـبـكـيك طلاب أتوا وتحلقـــوا ... في جــامع الخـيــرات والبــركــات
ووصـــيـــتي للســالكين طريقــه ... بالجــد والتــحــصــيل للخــيــرات
والســيــر وفق طريقــه بتــعــقل ... فـــهـــو الطريق لمبــتــغي الجنات

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٠)

درس الوداع

شعر الشيخ : عبد الله بن محمد القبيسي الشهري

اليـوم يعـتـذر النهـار ويظلم ... واليـوم يعـتـبـر الأصم الأبكم
قد كان درساً بالغاً ومؤثراً ... فزع الحشود إليه كي يتعلموا
وانهل دمعاً كلٌّ شيء بعدما ... صلى عليك المسلمون وسلموا
شخصت عيون البيت فيك مودعاً ... كم كان قد أصغى وأنت تكلم
واليوم تحمل حوله متغطياً ... ما كان مثلك في الحياة يلثم
فارتج زلزال البكاء يهزه ... حتى كأن صروحه تتهدم
وحراء يرسل للمقام أنينه ... والركن ينشج والحطيم وزمزم
والحزن يجتاح الزمان فلم يدع ... يوماً بلا حزن يمر ويسلم
ومضيت في درس الوداع مبيناً ... زيف الحياة لكل من يستفهموا
صمتت بحسرتها المنابر كلها ... ويظل يندلع الأنين ويلجم
والناس خلفك في الحياة ولم تزل ... بعد الممات أمامهم تتقدم
ها أنت للعلياء سقفاً شامخاً ... في غبطة نظرت إليك الأنجم
أيامك اللائي حييت عزيزة ... فلها على باقي الزمان تهكم
يتبادر الناس الحديث بفضلكم ... ووسائل الإعلام ليس لها فم
ما ذاك إلا أنكم في عرفها ... شمس وتبيين البيان محرم
تعصى على الإعلام كل عبارة ... وتظل قاصرة وأنت المعلم

رجفت قلوب المؤمنين لمشهد ... قد كان حال مثوله يتلعثم

واجتاحهم فزع يهز وجودهم ... من للمسائل عندما تستعجم؟

من للعلوم إذا استحالت صفحة ... سوداء في جوف الكتاب مترجم؟

من للجموع إذ أتت عطشانة ... لتعب من نبع العلوم معلم؟

فاستعبرت كل العيون وأمطرت ... دمعاً يبوح بكل ما يتكتم

حتى كأن الأرض تبكي تحتهم ... وكأن كثبان الثرى تتألم

والكون مد أكفه متضرعاً ... والشمس قبل غروبه تسترحم

ووريت عن أنظارنا في مشهد ... لو شاهدوه المشركون لأسلموا

ورحلت تحمل في يديك قلوبنا ... وتركت ناراً في النفوس تضرم

يعني رحيلك في حساب وجودنا ... شعب يموت وأمة تتيتم

وبيوت علم تضمحل تهدماً ... وسيوف حق مجدها يتثلم

العلم فارقنا غداة فراقكم ... فبلا رفيق يستهان ويظلم

يطوي من الدنيا مديد شعاعه ... فقداً لمن يسعى إليهم وينهم

كم كان يؤنسنا حديثك باكراً ... طب لأوجاع القلوب وبلسم

يا لهفة الأبيات حين أصفها ... ترتاع من تقصيرها وتندم

فالشعر يخسأ لم يؤدي حقكم ... إذ أنت عن هذا أجل وأكرم

رحماك ربي على شيخ نودعه

شعر الشيخ: عبد الله بن محمد المعتاز

* رئيس إدارة المساجد والمشاريع الخيرية *

ما بال جسمك يالمعتاز أضناه ... هم وغم ودمع العين يغشاه
عهدي بك الأمس مسروراً ومبتسما ... لا تستكين لما يأتي به الله
كفكفت دمعي وقلت الله يجبرنا ... هذا مصاب دهانا ما عهدناه
ألا ترى أمة الإسلام في كمد ... الشيخ في كربه والطفل أبكاه
شبابنا شدة الآلام أرقه ... وكان من لوعة الأحزان يلقاه
جاءت خطوب لعل الله يرحمنا ... موت المشايخ يترى لست أنساه
الباز من قبل والألبان يعقبه ... وابن العثيمين بعد ما تخطاه
العلم والدين والإيمان يرفعهم ... وذكرهم في الورى مهما تناساه
سألت ربي إله الحق يجمعنا ... في جنة الخلد بشرانا وبشراه
هذي الحياة هموم لا حبور لها ... إلا لمن ربنا الرحمن يرضاه
أين الطغاة وأين العابدون لها ... وأين قارون لا تحصى خطاياه
وأين فرعون قد أمسى له كفنٌ ... في لجة البحر ملعوناً تركناه
وأين من حاج إبراهيم في سفه ... الكل يمقته إن حل ذكراه
أتاهمُ هاذم اللذات في عجل ... أصلاهمُ من عذاب الله أقساه
رحماك ربي على شيخ نودعه ... بحر العلوم الذي قد نال أعلاه
فهو الذي قد بنى في الناس أفئدة ... قد زينت برحيق العلم أصفاه

مجالس العلم تبكيه وتندبه ... هذي عنيزة ثكلى بعد فرقاه
ومسجد قد بناه الشيخ يعمره ... شباب علم على التوحيد رباه
وفي الدنا ضجة حرّى تؤرقه ... الكل يبكي دماً حباً لمرآه
وفي المقابر هل شاهدت جمعهمُ ... دمع من العين فوق الخد مجراه
جاؤوا إليه يغذون المسير له ... قد انكهت سيرها ليلاً مطاياه
الله أكبر دين الله يجمعهم ... محبة من صميم القلب ذكراه
الله أكبر ذاك الشيخ تعرفه ... منابر العلم للمحراب ممشاه
تبكي الأنام إذا ما الشيخ خوفها ... يثير في القلب أشجاناً محياه
نبكيك يا أمة في ثوبها رجل ... بنى من المجد ما خطته يمناه
تراه مبتسماً مهما ألمّ به ... مسلماً لقضاء الله تلقاه
يعلم الناس دين الله في مرض ... على السرير وعين الله ترعاه
قال الطبيب ألا ترتاح في مرض ... فقال راحتي التعليم أهواه
كم قولة الحق قد دوت مجلجلة ... وكم أجاب على فتوى سألناه
وكم محاضرة للناس علمها ... كم جاهل غارق بالجهل أرواه
وكم صديق أتى للعلم يطلبه ... وكم عدو لدين الله عاداه
الله أكبر دين الله يرفعه ... يرجو ثواباً من الرحمن يخشاه
ما همه جمع مال أو مفاخرة ... بيت من الطين مأواه ومثواه
يا ربنا اخلف على الإسلام في علم ... واجبر مصيبتنا في الشيخ رباه

(جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧)

عليل النسيم في رثاء علامة القصيم

شعر الدكتور: عبد الله بن محمد السعيدي
* جامعة الملك سعود *

هل العين منها كان يستمطر القطر ... أم العين منها كان يستنطق السر
لقد نطقت سراً وجادت بمائها ... وقد فعلت فينا كما يفعل السحر
عشية ما قد ذاع أن خسف البدر ... فضاق احتمالاً في تتبعه الصدر
فلما يقيناً صار سلمت للذي ... تعالى له في كونه الخلق والأمر
وذا شأننا إن الحياة مطية ... يجوز بها سَفْرٌ ويتركها سفر
ولكن بعض الموت يحدث ثلمة ... ومن سدها في قومه فهو الصدر
تداعى انفراط العقد في جيد أمتي ... فأوله بدر وآخره بدر
فلله قوم تتقيهم ظلامتي ... صحا السكر مما حل لكنهم سكر
فقدنا إماماً في الفضيلة ليتنا ... فديناه فيمن سام والنعم الحمر
ولكن معاذ الحق من موقف به ... ترانا نناقي الصبر ما وجب الصبر
فقدنا إماماً في الورى ذاع صيته ... تقياً نقي القلب ظاهره بشر
فإن شئت نهراً في عذوبة لفظه ... وإن شئت بحراً في غزارته بحر
ولست مدلاً بالمحب وفضله ... على الله إن الكل في جنبه صفر
أشاح وقد كنا على وشك مفرق ... تنازعه من بعده البيض والسمر
لعل له في السابقين مكانة ... وكان له في كل شارقة عذر

سقى وابل من صادق الغيث قبره ... يبادره قطر ويعقبه قطر
ويغدق حتى يصبح القبر روضة ... إذا الريح راحت فاح من روضه نشر
فيا راحلاً للبيت بلغ تحيتي ... لقبلته الغراء لا نالها وزر
وبلغ سلامي للفقيد إذا التقت ... عليه جموع حين صُلِّيت العصر
وبلغ سلامي للجموع وقل لهم ... مقالة حق يستقيم بها الفكر
لئن رحل الشيخ الجليل فإن ذا ... سبيل الورى والكل موعده الحشر
ويا كم من الأصحاب قد مات قبله ... ومن قبله قد مات في الأمة الحبر
ومن قبلهم مات النبي وكل ذا ... يهوّن ما نلقى إذا التبس الأمر
فذلك أدعى للتذكر إنما ... يذكر مَنْ يخشى فينفعه الذكر
وإني فتى ثهلان مثلكمُ أسى ... وأشكر من رغم المصاب له الشكر
عزاء لمن يشكو من البين حرقة ... أرى البون مثل البين وقدهما جمر
وينسد من حرى الحشى مستهامها ... روائع شعر دونها يقصر الشعر

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٥)

الفراق المر

شعر الأستاذ: عبد الله محمد باشراحيل

يا للفراق بكتك عين أو فم ... وبكاك في كل البلاد المسلم
ما أصعب الفقد الذي ينتابنا ... والموت حق والقضاء محكّم
يا أيها الشيخ الذي يعتادنا ... في كل عيد بالتقى يتبسم
عيد الحنان هناك أعظم فرحة ... للمؤمن الصادي لمن هو أعظم
ونراك تزهد في الحياة كأنها ... طيف يمر وعابر يستلهم
تسقي النفوس بما وعيت من الهدى ... علم جليل القدر وهو المغنم
لا زال علمك في المدى أصداؤه ... بين المهامه والربى تترنم
فقد الرجال العاملين لربهم ... فقد الضياء إذا توارت أنجم
غشي البلاء وقد تعاظم حمله ... والصبر يسكنه فلا يتألم
آلامه الآمال في نيل الرضا ... وسعوده في جنة لا تهرم
فضل من الديان ما ضنت به ... أيدي الأنام ولا يضيق المكرم
عم يا محمدُ بالنعيم وبالرضى ... واشرب رحيق المسك وهو مختم
وانعم بأخراك البهيجة باسماً ... في روضة من حسنها تتكلم
يا عاشق البلد الحرام وفضله ... ها قد ثويت به وطاب المقدم
هذا جزاء العاملين بعلمهم ... هذا الفلاح قد اجتباك المنعم
فالثم ضياء الحمد في جناته ... وانهل من اللذات مالا تعلم

نعم المقـــام هناك مـــا بين المنى والله يجـــزل بالثـــواب وينعم
وله مقـاديـر الأمـور جـمـيـعـهـا وله الذي ندري ومـــا لا نعلم
هو خـــالق الكون العظيم وكلنا رهن المنون ولن ترى من يسلم

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٣)

ورحل علامة القصيم

شعر الأستاذ : عبد الله بن فهد الحسينان

رحـيل الشـيخ زاد من اغـترابي ... وأجـرى الدمع حـزني واكـتئـابي
وأخـرست القـوافي واسـتكانت ... وجفّ الجـوف من بعـد الرضـاب
وأدمى الفـقـد أحـشـائي وحـسّي ... فـواعـجـبـاً لهـمي واعـجـابي
ومن يأمنك يا منيـا الخـبـايا ... تـدسين الأحـبـة في التـراب
أيأفل كـوكـب كـالنجم يسـري ... أيرحل بزغ نور كـالشـهـاب
أينكفئ السـراج بعـثـر ليل ... أيندثر الهـزور بوسط غـاب
أيذهـب ابن عـثـيـمين فـينا ... فـمن بالجـود يدفع لي ارتيـابي
فكم زدت الغليل بحـور رشـد ... وكـم ناديت في سـوق المتـاب
وكم حلقـاً أنيـرت في قـصـيم ... وكـم ألفـيـتنا نحل الصـواب
وكم أقـصـمت بدعـيـاً مـريبـاً ... وكـم أفـحـمت منحـلاً مـرابي
وكم أرشـدت شـيخـاً أو صـغـيـراً ... أو العلمـاء أو جـمع الشـبـاب
تقـول الحق لا تخـشى لئـيـمـاً ... تقـول الحق فـيـهم لا تحـابي
وتدعـوهـم بعـذب اللفظ جـاري ... وتـدعـو بالنبـوة والكـتـاب
فـمنكم قـد نهلنا العلم دومـاً ... جـزيتم والدي حـسن الثـواب
فـأنت لنا أصـولي فـقـيـه ... وأنت العـلم في قـمـم الروابي
فكيف يحق أن أنسى حـبـيـبي ... أأنسى وجنة مـلأت فـؤادي

فهل تُنسى الشعار من الثياب أأنسى الود أم شرف الجناب
أأنسى البدر في ليل بهيم أأنسى الصوت أم فصل الخطاب
أأنسى قبلة ملأت جبيناً يشع النور من فوق السحاب
أأنسى شرحكم أم ماذا أنسى فحقاً قد علوت عن الرقاب
فجد لي يا إلهي منك صبراً لشيخي في النعيم مع الصحاب
إلهي وارحم المودود فينا وألهمني الرشاد من الصواب
إلهي واجعل الفردوس نزلاً إلهي واجزه حسن المآب

(جريدة الفرقان، العدد: ١٣١)

مهلاً عنيزة .. !!

شعر الشيخ : عبد المجيد بن عبد الرحمن المثيب

فاضت محاجر أعين لا تنضب ... بمدادها تلك المشاعر تكتب
ترثي إماماً قد بكته مجالس ... كانت تعطر حين يأتي المغرب
مهلاً عنيزة كيف حالكُم وقد ... جد الرحيل بدمع عين يسكب
فترى المنائر أجهشت لرحيله ... شوقاً إليه بدمعها تتخضب
لو أبصرت عيناك مسجدها الذي ... أضحى كئيباً والسرية تنحب
يبكيك يا شيخ الزمان صحابكم ... ابن رحيم أو صديق أو أب
يدعون رباً سامعاً لسؤالهم ... دعوات ليل لا ترد وتحجب
تبكيك شام الحسن واليمن التي ... منها خروج النار إذ تتلهب
تبكيك شيشان الجهاد وأهلها ... تبكيك دور الجامعات ومغرب
تبكيك بلقان وأطفال هنا ... في أرض قدس والمدافع ترعب
تبكيك نجد والحجاز ومعقل ... للعلم في دار المدينة تنجب
تبكيك مكتبة تُعطر دائماً ... بتلاوة ودراسة إذ تندب
تلك المكاتب والمجالس أقفرت ... لرحيلكم إذ كان فيها معشب
مات الإمام وخلف العلم الذي ... يهدي طريقة سنة ويرغب
لكن حزني رحمة ولحالنا ... تبكي البواكي أمة تتقلب

بتنا كـــحـــال الليل أطفىء نوره ... يبـتـاع دنيـا والعـقـيـدة تسلب

يمسي بإيمان ولكن عندمـــــا ... يأتي الصـبـاح فـعـينه تترقب

رحم الإله إمـــامنا في مـــوقف ... من أجله حج الحـجـيج وقـربوا

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٨)

وهل يُلام الذي يبكي العثيمينا

شعر الشيخ : علي الهذلي

يا تربة العدل واريت العثيمينا ... فهل بكيت لما أبكى المحبينا
يا تربة العدل قد واريته عجباً ... لو تعلمين بشيخ وسد الطينا
يا تربة العدل حلّ البشر فيك بمن ... ضمت لحودك أم حزناً وتأبينا
يا تربة العدل إن أسقتك غادية ... لا تنبتي حزناً عشباً ويقطينا
لله يا تربة ضمت جوانبها ... حبراً قضى عمره علماً وتبيينا
ضمّ المعارف في برديه مشتملاً ... بالزهد لم ينبري يحصي الملايينا
يرى الدليل إذا ما صح مذهبه ... في هديه يقتفي خير النبيينا
عليه فلتذرف الأحداث من كمد ... ذرف الدموع علامات المحبينا
يترجم الحب دمع العين حين همى ... من صادق الحب كم أجرت مآقينا
كم العيون التي أجرت مدامعها ... وكم على فقده نزجي مراثينا
يبكي القصيم ويبكي فقده حرمٌ ... تبكي الدروس وتحليق المصلينا
ماذا أقول لعين دمعها غدق ... وهل يلام الذي يبكي العثيمينا

(جريدة المدينة ، ملحق الأربعاء ، ٢٩/١٠/١٤٢١ هـ)

فقيد الدعوة

شعر الشيخ : علي بن محرز القرني

* وكالة دار المهرجان *

من أرض مكة جاء النعي والخبر ... فلم أصدق بما قالوا وما نشروا
ما أصعب الخبر المروي على كبدي ... ما أعظم الخطب بل ما بعده أثر
قالوا العثيمين قد ولى وودعنا ... يا للفجيعة لما جاءنا الخبر
يا للرزية فينا فدح نكبتها ... بموت أعلامنا يجتاحنا الخطر
ما صدّقت أذني الأنباء أسمعها ... والعين تُكذِبُ ما جاءت به الصور
لله نفس هوت من بعد معضلة ... أوهت قواها ويستشرى بها الضرر
لله نفس تردت بعد معركة ... وما ثنتها حشود الشر والطير
يا بن العثيمين نلتم خير جائزة ... وإنما أمة الإسلام من خسروا
أفتيت من علمك الزاكي بفائدة ... وكم من الخلق قد زاغت به البصر
ودعت يا أيها المقدام متشحاً ... براية الحق تردي كل من قهروا
كم كنت في ساحة الأشهاد تعلنها ... صريحة يجتليها النصح والعبر
وكم عملت لهذا الأمر من زمن ... فاهنأ وقد حفت النعماء والظفر
وما سعيت لأموال لتجمعها ... وليس يشغلك الإملاق والوطر
علمت أن حياة المرء يخلفها ... موت وتغتاله الأيام والحفر
هذا عزاء لكل الناس أكتبه ... للمسلمين لمن غابوا ومن حضروا

نشكو إلى الله بعد الشيخ محنتنا ودربنا ذا الذي كم حفه العثر
والموت حق ولن يبقى بها أحد سوى الذي فوق كل الخلق مقتدر
وقدّر الله والأقدار جارية إذا قضى الله ماذا ينفع الحذر
يا ليت خلقاً كثيراً مثلكم عملوا لعل ما خطت الأقلام يغتفر
فاهنأ بموتك نرجو الله يسكنكم مع النبيين أهل العزم من صبروا
ثم الصلاة على المختار سيدنا من ذنبه من إله العرش مغتفر

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٩)

رسالة رثاء ووفاء

شعر الأستاذ : علي بن محمد الغشام

إبكي عنيـزة فـالمصـاب عظيم ... بل يا جـزيرة مـا دهاك أليم
الشيخ مات؟ هل المهاتف صادق؟ ... أم ذاك وهم شاع فـهـو سليم
يا عـالم الحـرمين إن لفـقـدكم ... هم على كل القلوب جـسـيم
فـالجـامع المحـزون بعـدك مظلم ... وعليـه ليل دامس وبهـيم
وعمـارة الطلاب صـارت مـأتماً ... ببكائهم طافت عليـهـا البوم
مـوت المشـائخ ثلمـة ومصـيبـة ... والحـزن فـيـهـا قـائم ومـقـيم
فـهـم النجـوم لمن أراد هـداية ... وهـم الحـيـا للأرض بل والديم
يا أمـة الإسـلام بـدر قـد سـرى ... بالعلم يهـدي السـائرين حليم
كنز العـقـيـدة والشـريعـة علمـه ... خَـفّت بـه الطـلاب وهـو رؤوم
يا حـامل الوحـيين يا نبـراسنا ... يا خـيـر من يسـمـو به التـعليم
قـد كنت فـينا في المسائل مفـتيـاً ... يحكي عـلاكم صـالح وكـريم
لـم تجـتـذبك شـواغل الدنيـا ولا ... لذاتهـا فـالزهد منك عظيم
يا عـابداً يا زاهـداً يا ثابتـاً ... طوداً وبحـر المغـريات عـمـيم
رغم المواجع في المواضع كلهـا ... تعطي الدروس لنا وأنت سـقـيم
لـم يثنك المرض الأليم بثـقـله ... عن واجب حـتى حـواك أديم
جنات عـدن بالزخـارف زينت ... للصـالحين المخلصين نعـيم

حور وألوان الطيور شهية فردوسها فيه النعيم مقيم
بجوار رب العالمين وأحمد والأنبيا والصالحين مديم
مامات من خدم الأنام بعلمه فالعلم حي زاخر وعميم
والأجر باق ما استفيد بعلمه عبر القرون سيثمر التعليم
يا طالب العلم احتسب في أخذه ولأنت بين العالمين زعيم
فلئن بكينا فقده من بيننا وجداً عليه والفؤاد كليم
فلقد تبسم ضاحكاً في نزعه للقاء رب إذ وعاه رحيم
فاخلف لنا يا ربنا من بعده علماً بحل المعضلات عليم
والحمد لله الذي نرضى به وبحكمه ومع الرضا التسليم
صلوا على خير الأنام محمد فبذكره للمؤمنين نديم

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤١)

نم شامخاً

شعر الأستاذ : عمر بن عبد الله آل البراهيم

وقفت حياة الشيخ لا بركاته والوجد والأمجاد هن نعاته
قوس الفراق رمت وآلم وقعها جسد المحب ففارقته حياته
وأشد آلام الحياة تفرق وأشد أنواع الفراق مماته
يا سائلي عن شيخنا وصفاته عجز البيان وبان عنه أباته
قد كان في سبل الهداية مشعلاً وخطت على درب الهدى خطواته
غلبت عليه سجية نبوية فجرت على منوالها حركاته
من قلب عالمنا وفي أكفانه ولد الوفاء وأدركته وفاته
ويثير شجوي الصوت من كلماته صدقت فآتت صدقها كلماته
ويمضني فقد الإمام فعلمه رطب وشهد لا يمل جُناته
ما عذر عين لم تسح دموعها أسفاً ويحزن يومها وغداته
أتبيت دنيانا وليس بساحها فذ تمزق ليلها ركعاته
يا صاحب الجدث العظيم قلوبنا تهفو إليك .. ودينننا ودعاته
يشتاقك المحراب كنت إمامه ويهز منبرك الحزين شكاته
إن يدفنوك فما لهم أن يدفنوا حسن الثناء وقد بدت حسناته
نم شامخاً فلأنت مصدر عزنا ولأنت في ليل الدجى ومضاته
في عزم عالمنا وفي أخلاقه أدب الرسول وزهده وثباته

لا لم يمت علم البلاد فذكره   من قلب كل موحد نبضاته
أشباب منهجنا الأغر تهيؤوا   فلأنتمو بعد الفقيد حماته
ولأنتمو أمل لأمتنا فمن   دمعاتكم ماء الهدى ونباته
علم القصيم وقد مضيت مورثا   خبر الرسول وللحديث رواته
فارحل كما رحل النبي محمد   فيه العزاء لنا وفيك صفاته
وعليك منا دمعة وترحم   وإليك من رب العباد جزاته
قد بشّر العلماء حسن ثوابهم   بشرى الإله قريبة وصلاته

(جريدة الرياض، العدد: ١١٨٩٨)

رثاء .. في شيخنا ابن عثيمين

شعر الأستاذ: عمر بن عبد الله المقبل

* محاضر في كلية الشريعة بالقصيم *

القلب أصبح محزوناً وفي كدر ... لهول ما سمعت أذناي من خبر
هل مات شيخي نعم قد غاب وا أسفي ... ذاك الإمام غدا من ساكني الحفر
هل مات شيخي نعم رحماك يا عضدي ... أنت المؤمل في السراء والضرر
أنت الذي ترتجى في كل نائبة ... ومن سواك لقد سلمت للقدر
أنت الذي تحفظ الإسلام مذ بزغت ... شمس الرسالة والآيات والسور
أخلف على أمتي يا رب في عجل ... بثلة من وعاة العلم والنظر
بصفوة دائماً يفتون في ثقة ... أقوالهم تكتسي بالآي والخبر
بالزهد في هذه الدنيا التي فتنت ... بعض الأولى يدعون الوصل بالأثر
رباه يا أملي يا خير من رفعت ... لك الأيادي ومن قدرت في الزبر
إن الخليقة لا تبقى على أبد ... ولا يكون سوى ما خط في القدر
ارحم فقيداً مضت أيامه غرراً ... يفتي ويرشد لا تلقاه في بسر
ذاك الإمام إذا ما هل مبتسماً ... رأيت في وجهه إشراقة القمر
في الزهد مدرسة في النفع مملكة ... في العلم جامعة بذل بلا ضجر
فَذٌّ له في نفوس الناس منزلة ... قد عم إجلاله في البدو والحضر
ابن العثيمين من طلابه ظفروا ... بالدرس عند إمام الفقه والنظر

والشيخ ما نال هذا العز في كسل ... كلا ولا ناله باللهو والبطر
كلا ولا ناله بالمال يجمعه ... أو بالقصور التي نافت على الجدر
بالعلم قد ناله لله محتسباً ... كذاك أحسبه ما خضت في الخبر
فدرس تفسيره للآي مفخرة ... شتى الفنون به كالبحر كالنهر
تأتي الفوائد لا تلقى نظائرها ... في أي طرس مضى ما العين كالخبر
ولتسأل الزاد عن ألفاظه شكرت ... شرح الفقيه فصار الصعب كاليسر
واستفهم الروض عن أحكامه كلفا ... بباحث يدرس الألفاظ في سهر
أما البلوغ فذياك الكتاب فسل ... عن الفوائد من أقواله الدرر
كذا الصحيحان في درس له عبق ... بذكر أحمد خير الرسل والبشر
ولتسأل المنبر المحزون عن خطب ... للحق ناصرة نصح بلا فتر
عفواً فلست أصوغ الآن ملحمة ... في ذكر شيخي عظيم القدر والسير
كلا ولكنه شعر أسطره ... أصبر النفس يا نفساه فاصطبري
لو أن لي حيلة في الموت ما طمعت ... عيناي في نومة والشيخ في خطر
لكنها سنة لله ماضية ... سفينة الموت مجراها على قدر
نبينا خير خلق الله قد فجعت ... قلوب أصحابه هل دام للبشر
نسلو بذكر وفاة خير من وطئت ... رجلاه أرض الدنا في السهل والوعر
ونقتفي شرعة قد فاز حاملها ... وفاز من أرّث المورث بالظفر
وأتبع العلم بالأعمال تزهره ... فالعلم من غيره غرس بلا ثمر
آليت لا أنثني أدعو لوالدنا ... ما غرد الطير في الروحات والبكر
لأنشرنْ علمه في الناس مجتهداً ... ما دام جسمي صحيحاً غير محتضر

وذا قليل بحق الشيخ أحسبه فليس شيء على شيخي بمكتثر
بذاك كان فقيه الناس يرشدنا حثا لنشر الهدى في الحل والسفر
يا رب شيخي أتاك اليوم ملتمساً يرجوك يا خالقي يا خير منتظر
فاحشره في زمرة كالبدر مطلعها أجمل بها طلعة من أجمل الصور
هذا الذي نطلب الرحمن خالقنا ونحن يا ربنا من بعد بالأثر
يا صاحبي همسة في الأذن غالية إلزم دروب الهدى واحذر من السدر
واحذر صوارف قد تلهيك عن طلب للعلم تسعد به دنيا وفي الأخر
وانظر عواقب من أفنوا بطلبته أعمارهم تلق فيها أعظم العبر
آثارهم شاهد يبقى وإن دفنت أجسادهم فاعتبر يا صاح بالأثر

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٨)

فقد الإمام

شعر الدكتور: فريد بن عبد العزيز الزامل السليم

* عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام بالقصيم *

فـؤادي من هول الأسى يتـفطر ... ودمعي على خد الضنى يتحدر
وفي النفس ويح النفس مما أصابها ... هموم ولوعات ورود وصدّر
وكيف تطيب النفس أو يسكن الجوى ... ونار من الفقد المبرح تسعر
فقدنا غماماً كان يروى به الصدى ... كذا الأرض إذا ما أمحلت كان يمطر
تباعد حتى لا يعود فيرتجى ... وأنى لمن في القبر يرجى وينظر
إمام زكت أخلاقه فتوطنت ... محبته في الناس فهي تبختر
فقدناه فالتاعت نفوس وأسبلت ... عيون وداء الحزن ينهى ويأمر
إلى الله أشكو غصة ومرارة ... وقلباً بساح العدل بات يعفر
يعزى فلا يسلو ويأبى سوى الثوا ... هنالك عند القبر يمسي ويبكر
وما ذاك إلا العلم والفضل والتقى ... تعانق ألباب القلوب فتأسر
أشيخاً توارى وهو في القلب ماثل ... لك الله من غيث به الأرض تزهر
تسنمت عرش العلم تنفع أمة ... لها فيك مجد فهي بعدك تخسر
ترى فيك إن غطت من الليل سدفة ... ضياء يجلي الليل فيها ويسفر
ترى فيك حصناً لا يزال ممنعاً ... وليثاً إذا ما ينعق الوغد يزأر
تحملت حملاً قد ينوء بأمة ... ولم تك من عض العوادي تذمر

ترفعت عن دنيا المظاهر زاهداً ... وقد كنت في وجه المناصب تبسر
تناديك هذا المجد والرفعة التي ... إليها جموع الناس تسعى فتقصر
فتعرض عنها لا تريد من الدنا ... نصيباً فحظ الدين أجدى وأجدر
تفانيت في ذات الإله مجاهداً ... تجابه أرتال الفجور وتدحر
أمرت بمعروف وأنكرت منكراً ... وكنت لبذل العلم تسعى وتنشر
ووقتك للتأليف والدرس نهبة ... وللذكر والفتوى نصيب مقدر
إذا قيل : قال الشيخ أصغوا وأنصتوا ... ففتواك أعلى في النفوس وأكبر
تجلدت لم يفزعك سهم بلية ... وكنت على مر المصيبة تصبر
ظللت تغيث الناس فتيا وحكمة ... وفي الجسم نار الداء تصلي وتصهر
تواضعت فاستعليت عرش محبة ... فكل بها في مجمع الناس يفخر
ويوم دنا التوديع سالت بمكة ... بطاح بأمواج من الحب تهدر
لك الله كم فزعت قلباً وكم جرت ... دموع وكم سالت من الحب أبحر
حملناك فالأكتاف نشوى بقربكم ... وأما شغاف القلب فهي تحسر
بكتك جموع كنت قبل تميرهم ... علوماً وبالخيرات كنت تبصر
عنيزة من وقع المصاب ترمّلت ... بثوب من الأحزان يندى ويقطر
بكتك بها الألباب والجامع الذي ... تزين يرجو ما تجيء وتنظر
رحلت وكرسي الدروس تفطرت ... قوائمه يبكي الإياب ويعبر
بكتك بأطراف الشريمية التي ... بررت نساء أيماتٌ وقُصّر
بكينا وما يجدي النحيب ولا البكا ... ولكن حزن النفس لا بد يظهر
فيا رب إذ واريت عنا إمامنا ... فآمنه مما كان يخشى ويحذر

وظلله في ظل من العرش سابغ إذا ضم أطراف البرية محشر
وأسكنه في قصر من الخلد شامخ ترويه أنداء النعيم وأنهر
ويا رب واجمعنا به عند سدرة بعالية الفردوس إنك تقدر
رضينا بحكم الله رباً مهيمناً له الحكم يقضي ما يشاء ويقدر

(جريدة الجزيرة، العدد: ١٠٣٤١)

بكت المنابر

شعر الأستاذ : فهد بن سليمان التركي

يا عين جودي بالدموع وأكثري فالخطب يا عيني أجل وأعظم
جودي عيوني بالدموع فقد أتى رغم اكتمال البدر ليل مظلم
في ليلة مات الإمام محمد ابن العثيمين الكريم المطعم
ملأى يداه كأنها من جوده مطر يصب من السماء عرمرم
بكت المنابر بعد فقد خطيبها حتى تكاد من البكا تتكلم
كم من دروب قد أضيئت بعدما كانت تعيش بغيهب لا تعلم
كم قد نهلنا من غزير علومه فهو الإمام البحر حين يعلم
شيخ حليم زاهد متواضع لكنه في الحق سيف مخذم
مهما تكلمت الشفاه فإن ما في القلب من هول الفجيعة يعظم
لكن سندعو ربنا يا ربنا فاغفر لهذا الشيخ يا من ترحم
يا رب أسكن شيخنا في جنة علياء عند نبينا يتنعم
واجبر إلهي كسرنا من بعده أنت العليم بما نبين ونكتم

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٣٧)

مرثية في سماحة الشيخ العلامة ابن عثيمين

شعر الشيخ : فيصل بن صالح العبد المنعم

سلام من الرحمن يا ساكن القبر ورحمته دوماً عليك مدى الدهر
سلام ودمع العين يبكيك كلما ذكرت دروس العلم والفضل والبر
سلام وحزن القلب يزداد كلما ذرنا إماماً لا يمل من الذكر
فقدناك يا الشيخ العثيمين مثلما فقدنا ابن باز قبل عام من الدهر
فقدناك في شوال يا شيخ مثلما فقدنا طلوع البدر في ليلة البدر
فجعنا جميعاً في سماع رحيلكم فقد كانت البلوى أشد من الجمر
ذهبت إلى مثواك يا شيخ راحلاً وخلّفت حزناً سوف نلقاه بالصبر
سيبكيك طلاب وعلم وحلقة ويبكيك كل الناس في البدو والحضر
ويبكيك محتاج لفتوى مضيئة تطير بها الركبان في البر والبحر
ويبكيك شرح الفقه للناس ممتعاً ويبكيك أهل العلم يا عالم العصر
فقد كنت فينا مشعل العلم والتقى دليلاً إلى الجنات والفضل والخير
وكنت لهذا الدين حصناً مشيداً تذود عن الإسلام في السر والجهر
وسيفاً على أهل الضلالات مشرعاً ترد على الضُّلال من ظلمة الشر
فقدناك يا بحر العلوم وحبرها فقد كنت للإسلام كالكوكب الدري
ولكن عزائي ما نرى من شروحكم لكل فنون العلم في ساحة الفكر
وطلاب علم يقتفون طريقكم إلى درجات العلم والخير والذكر

صبرت على كل الملمّات واثقاً بوعد إله العرش في الضيق والضر
فصبرك يا شيخي ستلقى جزاءه إذا الناس موقوفون في الحشر والنشر
وداعاً حبيب الكل والدمع هاطل وداعاً فلا لقيا إلى موعد الحشر
فبالله أحببناك لا شيء غيره وحبك يا شيخي لمن أفضل البر
فحمداً لك اللهم في كل حالة فهذا قضاء الله نلقاه بالصبر
فهذا عزائي للمحبين جملة أحمله شعري ومن قبله نثري
وصل إلهي كلما صام صائم على المصطفى المختار من جاء بالخير

(جريدة الجزيرة، العدد: ١٠٣٣٥)

رحل الإمام

شعر الأستاذ : فيصل بن علي المنصور

رحل الإمام فقيل غاب الجامع ... للخير يسعى في الإمامة بارع
نقصت بحور العلم وهي كثيرة ... وبدا لنا في البحر نقص واسع
شيخ فقيه كيف لا وهو الذي ... في العلم دوماً والبصيرة لامع
رجل قضى في العلم طول سنينه ... فأفادنا وعطاؤه يتهامع
حتى أتاه الموت وهو على هدى ... عن ديننا وهدى الرسول يدافع
لما قضى ذاك الفقيه بزهده ... حزن الجميع لأنه متواضع
كان الإمام فقيهنا في عصرنا ... للخير يوماً والعلوم يسارع
فقد الإمام وكان درة عصرنا ... في أي خير لا تراه يمانع
إن العلوم بحورها لكثيرة ... والشيخ يجمعها وكم هو رائع
يا ليت من يبقى خليفة شيخنا ... هل مثل هذاك المعلم راجع
وهو الذي فينا بفضل علومه ... يبقى ويحيى منه علم نافع
مات الإمام فقيهنا واحسرة ... تجتاح قلبي إن فقدك فاجع
رحم الإله إمامنا وأثابه ... خيراً جزيلاً وافراً يتتابع
والحمد لله العظيم إلهنا ... لا بد ما يقضي إلهي واقع
يا رب صل على النبي محمد ... عدد الرمال وأنت خيرك واسع

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٥)

ما أنصف الشعر!

شعر الأستاذ: فيصل بن ناصر الشدوخي

ما أنصف الشعر مهما قال أوزانا … تجاه فضلك تبياناً وعرفانا
لكنما منطقي يفضي بصارخكم … هو الثناء يوفي الحق شكرانا
هل بالقصيم عزاء جاب ساحتهم؟ … أم بالبلاد رثاء عم دنيانا؟
ومن لمسجدك الحزنان يعمره … أفي عنيزة قلب يحيي ما كانا؟
شرح الحديث ودرس الفقه مجلسكم … شرح الصدور بأن فسرت قرآنا
ينال كل جليس حل موطنكم … من العلوم فيغدو منه ريانا
معاهد العلم حازت كل منفعة … لأنها اقتبست شرحاً وديواناً
صنفته بمدا أنت كاتبه … رصعته حللاً بالهدي ملآنا
لا لست أبكي لفقد الشيخ موطننا … ففي الجنان نعيم فاق دنيانا
لكن دمعي نزا من بعد ما ألفت … روح الحبيب وهل بالقلب سلوانا؟
كل المصائب دون الموت نازلة … نعاهد المرء حيناً ثم تنسانا
لكن موت حكيم عالم ورع … يؤرق القلب دهراً ثم أزمانا
لما زهدت عن الدنيا وزخرفها … رأيت فيك التقى قد صار عنوانا
أحبك الله فاختار البلاء بكم … فحزت بالصبر عند الله قربانا
ما من بلية عسر فيك قد وقعت … ألا ونلت بها أجراً وإحسانا

(جريدة البلاد، العدد: ١٦٢٣٧)

ضرام الجوانح

شعر الكاتبة الأستاذة: لطيفة بنت محمد البر

* كلية اللغة العربية دراسات عليا *

ببابك سامع الهمس الكليل أنخت ركائب القلب العليل
مضيت أمامه فالقلب ساج يداري دمعة الحزن الطويل
دهاني نعيه كالنصل إما طواه الجفن ذي حد صقيل
أمات الشيخ؟ كلا قلت شيئاً سوى هذا فأنى بالمثيل؟
سرى فاستل من عمق الحنايا أمانيَ جانحات للعويل
تلفتنا إذا بالشيخ ماض وقد فاضت صدور من نحيل
وقد علقت بنعش الشيخ عينٌ ترجي وقفة قبل الرحيل
تَلَفَّتُ يمنةً فإذا عراء ألا كيف المضي بلا دليل
أشيخاً في دروب الحق يمضي مضيت اليوم في الدرب الثقيل
كأن الناس غير الناس لما وعت أسماعهم فقد العديل
ستبكيك الزوايا مشفقات تسائل عودة الدرس الجليل
سيذكرك الفقير إذا تولى خلي الكف من لي بالمثيل
فيقطر دمعة العاتي فيمضي يُسائل في الدروب من السؤول
جراحات تتالت هل مُعَزٍّ بفقد الباز يتبع بالخليل؟
شجيات هي الأشياء حيرى تجللها الكآبة بالجليل

مـهـيب القـوم إمـا قـمت فـيـهم ... عنوا سـمـعـاً ودانوا بالقـبـول
خـدمت لك الشـبـيـه فـبت ممن ... غـدت أشـبـاهه أهل الطلول
أعـدلاً ضم في جنبـيـه طهـراً ... حـويت الفـضل من فـرع أصـيل
ألا هل سـامـعي شـيـخي فـأمـضي ... أَمَ انَّ الغـائلات صـددن قـيلي
مـنايا لا تـقـيـم على قـرار ... كـأن الموت يوعـد بالأفـول
سـقى ذاك الضـريح هتـون غـاد ... سـجـال العـفـو من نبع جـزيل

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٥)

يبكيك تراب الأرض والحجر

شعر الكاتبة الأستاذة : لمياء حمد صالح العقيل

دهى القلوب مصاب سامه القدر ... والبشر فيها أتى في إثره الكدر

والدار أضحت بعيد الأنس موحشة ... ماذا دهى شيخنا يا قوم ما الخبر

أيا حبال المنايا إذ وقعت لها ... في شيخنا ابن عثيمينٍ لك وطر؟!

أستغفر الله لو قد كنت مخطئة ... حياً إذاً لافتدى في أحمد البشر

لكنها سنة الله التي سبقت ... لا ليس يصرفها أنثى ولا ذكر

يا شيخنا كلنا ما بين مندهش ... وقلبه يا لهول النعي يعتصر

وبين باك تذيب القلب رؤيته ... فدمعه لفراق الشيخ ينحدر

وخيرنا من إذا حل المصاب دعا ... للصبر إذ بشر الرحمن من صبروا

ضاقت بطلابكم يا شيخ فسحتها ... يفديك أهل البلاد البدو والحضر

لطالما حظيت في ضمكم شرفاً ... عنيزة وبكم في الأرض تفتخر

على القصيم لقد كنت السحابة بل ... من القصيم لأنت السمع والبصر

واليوم يا لمصاب مس أمتنا ... قد حل وا أسفي في قلبها الخطر

يا شيخنا يا إمام العصر سنتهم ... مع الجماعة إن النظم ينتثر

قد كنت جيشاً علت في الحق رايته ... على يديه جنود الباطل اندحروا

قد كنت عون اليتامى بعد ربهم ... يمناك عن أختها في الجود تستتر

كنت الخليفة في ابن الباز دعوتنا ... أطال عمرك ربي فانقضى العمر

يا ويح أمتنا من سوف يرشدها ... إلى الصواب ونار البغي تستعر؟!!
يا رب هيء لنصر الدين صفوته ... عن العقيدة فيهم يدفع الضرر
يا شيخنا فضلكم لا ليس يدركه ... في عصرنا أحد يبقي له الأثر
فضائل لست في الأوراق احصرها ... إن قل من عدد الأفضال أوكثروا
يا شيخنا قد عهدت الشعر تسعفني ... منه القوافي إذا بادرت تنهمر
لكنها والأسى يا شيخ ألجمها ... رحيلكم فهي إن تنطق ستعتذر
بكت عنيزة وانهارت معالمها ... يبكيك منها تراب الأرض والحجر
باتت عنيزة سوداء السماء ضحى ... وهل سوى ابن عثيمين بها قمر؟
ألقى له الله وداً في القلوب ومن ... يذكره ينشر عطراً ذكره العطر
من للمصلى الكبير اليوم يعمره ... بالذكر والحمد والتهليل يبتدر؟
من للصفوف التي اصطفت إذا التفتت ... أعناقها نحو شطر الباب تنتظر؟
من يرتقي بعدك المحراب مرتجلاً ... دروس خطبة يوم الجمعة الظهر
يا شيخنا من لنور الدرب يبعثه ... يزيل عنا ظلاماً عاد ينتشر؟
من ذا يجيب على سؤال هاتفنا؟ ... من ذا يجيب وصوت العلم منكسر
من للمجالس بالفتوى يسامرها؟ ... أنعم به بالفتاوى ذلك السمر
إذا تكلم فالآيات يسردها ... والصمت في صمته الآيات والعبر
من لليالي قياماً مع برودتها؟ ... يرجو ويخشى فصبح المؤمن السحر
يا شيخنا ليس تجدي اليوم حسرتنا ... سلّمت لله نفساً وانقضى السفر
عن مكة أشرف الأصقاع قاطبة ... أبيت ألا يحيد القبر إن قبروا
أيا ثرى ليت شعري هل دريت بمن ... عانقت قد بات في مكنونك الدرر

يا رب بشّره بالفردوس غايته ... وكل حي بأمر الله يأتمر
يا رب هيىء له في عدن منزلة ... افسح له القبر حتى ينتهي النظر
انزل على قبره نوراً يجلله ... واسق ذاك الثرى بالغيث يا مطر
يا رب فاغفر له وارحمه يا ملكاً ... واغفر لنا أنت من للذنب يغتفر
ووالدينا ، وفي الجنات تجمعنا ... يوم القيامة لا خوف ولا حذر

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٤)

رثاء الشيخ ابن عثيمين

شعر الأستاذ : مبارك سلامة العرد

عظم الله أجر كل بلادي ... في فقيد على سبيل الرشاد
عظم الله أجر أهل وآل ... وتلاميذه وأهل الوداد
رحم الله شيخنا وحباه ... جنة الخلد حيث نيل المراد
رحم الله شيخنا واصطفاه ... بين أهل التقى وأهل الجهاد
رحم الله ذا علوم وفقه ... والتفاسير والفتاوى الجياد
كان للمسلمين بدراً منيراً ... ساطع النور في دروب العباد
قدم الدين في المساجد هدياً ... وشباباً تألقوا في البلاد
عالم زاهد كريم السجايا ... رابط الجأش ما اهتنى بالرقاد
كم مضى الليل ذاكراً في خشوع ... وطوى الصبح في سطور المداد
سوف تبقى مآثر الشيخ نوراً ... ما سرى البدر في ثنايا السواد
وستبقى علومه شاهدات ... مرشدات إلى نهار التناد
كان يوماً وقد توارى بعيداً ... صبحه مظلم وليل السهاد
فالعثيمين حين يمضي فقيداً ... يشتكي الفقد ريفها والبوادي
قد بكى المسلمون في كل دار ... عالماً فاضلاً ندي الأيادي
ذرف الدمع والعيون حيارى ... بين حكم مضى وجرح الفؤاد
جاهد القلب لحظة لم يطقها ... فتمادت وحزنه في ازدياد

إنما الصبر للمصائب جبر   والعزيز الحكيم خير جواد
فصلاة من ربنا وسلام   لرسول مشى على الأرض هاد

(جريدة البلاد ، العدد ١٦٢٣٧)

غاب صوت الشيخ

شعر الأستاذ : مبارك بن عبد الله الحيميد

هل أتى حين من الدهر به ... غاب صوت الشيخ عن طلابهِ
لم يكن في بيته أو درسه ... أو على الهاتف أو محرابه
صوته الخاشع يطويه أسى ... صوت ناعي الركب في ركّابه
يرحل الشيخ وما أصعب أن ... يرحل المحبوب عن أحبابه
يرحل الشيخ .. وما كان سوى ... أمة تلبس من أثوابه
يالأطيار من العلم وقد ... هاجرت والشيخ من أسرابه
لست أدري أن شيئا هزني ... حين خاض الناس في أوصابه
سائلي : عن جسمه الناحل ما ... هده؟ أخبرك عن أسبابه
زاده «الزاد» وقد آثره ... سائغاً للناس في أكوابه
«بابه المفتوح» لا يغلق من ... زحمة الناس على أعتابه
وله قول مفيد قد أتى ... ساعياً للفهم من أبوابه
طف على أسفاره واسأل بها ... كل فن على مزايا مابه
يعجز الفن وقد تسعفه ... أحرف السفر إلى إيجابه
يالأيام سمان قد خلت ... وليال خرجت من بابه
عجباً كيف استطاعت همة ... فنيت دهراً عن إنجابه
أنت سطر في سجل الكون قد ... عجز الأحياء عن إعرابه

قفل الشعر وقد أتعبه ركضه للشيخ من إعجابه
جاء بالإيجاز منه وعسى ينفع الإيجاز عن إطنابه

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٩)

فكيف صاحب علم إن فقدناه؟!

شعر الأستاذ : متعب بن عوض الغامدي

مـصـابنا جلل فـيـمن فـقـدناه ... فـأي صـوت أسـيف جـاء ينعـاه
لا الشعر يسطع أن ينبئك عن خلد ... تـأجـجت نـار حـزن في حناياه
ولا الدمـوع الهـوامي حين نذرفـهـا ... حـرّى على فـقـد من نأسى لفـرقـاه
مـاذا عـسى كلمي مـهـمـا أُحَبِّره ... أن يوفي العَلَم الطامي مـزاياه
فَقْد الرجـال عظيم في خـسـارته ... فكيف صـاحب علم إن فـقـدناه
نجم هوى فـتـرى الآفـاق مظلمـة ... وكـان يهـدي طريق الناس مـسـراه
محمد بن عـثـيمين الذي غـربت ... عن الدنا شـمـسـه أفـضى لمولاه
رزية من رزايا الدهر مـفـجـعـة ... والدهر تفـجـعنا دومـاً رزاياه
يا من إلى جنة الفـردوس نأمله ... ونحن أشـهـاد ربي حين نلقـاه
ودعت دنيـا رسـول الله ودعـهـا ... وعـافـهـا واصطفى بالحب أخـراه
إن كان شخصك عنا غاب في جدث ... فـإن علـمك حي مـا دفناه
عـزاؤنا في كنوز أنت تاركـهـا ... تحـيي القلوب كنهـر طاب مـجـراه

(جريدة المدينة)

لهفي عليك إمامنا ..!!

شعر الشيخ: محمد أبو العز

نور على درب الهدى   يبكي الإمام محمدا
يبكي إماماً حجةً   ثبتاً تقياً راشدا
سمحاً عفيفاً فاضلاً   فيه الوقار تجسدا
سهم أصاب قلوبنا   والسهم جاء مسددا
لهفي عليك إمامنا   كم كنت حقاً ماجدا
تبكي عليك عنيزة   فلقد عمرت المسجدا
ولكم قضيت حوائجاً   ومشيت فيها منجدا
ولكم أسوت جراحها   بيد المروءة والندى
ولكم قعدت مقاعداً   تفتي الخلائق مرشدا
تأسو القلوب بعلمكم   وبما لكم ما أجودا
بهما تجود وبابكم   ما كان يوماً موصدا
هذي القصيم قد ارتدت   ثوب الحداد الأسودا
تبكي عليك حزينة   حزناً يفتُّ الجلمدا
ضجت عليك مآذن   تبكي الإمام الأصيدا
فلكم علوت منابراً   ولكم أنرت مساجدا
كم كنت تكتب ثم تفـ   ـتي أو تدرس مجهدا

مـــتنقـــلاً بين البـــلا / د وكنت أنت الأســـعــدا
ودحـضت شبـهـة مـغـرض / لمز الكتـــاب مـــفـندا
ودعـــوت أهـل غـــواية / عـشـقـوا الضـلال إلى الهـدى
وكـسـرت سـهـمـاً حـاقـداً / نحـو الشـريعـة سـددا
وكـشـفـت كل مكيـدة / قـد حـاكـهـا قلم العـدى
آي الكتـاب وعـيـتـهـا / ووعـيـت منهـا المقـصـدا
وأخـذت من أحكامـهـا / عند القـيـاس شـواهـدا
فـإذا تـفـسـر آيـة / تزجي البـيـان منضـدا
فنرى المعـاني فـجـرت / ونرى الجـمـال تجـسـدا
وتغـوص فـيـهـا باحـثـاً / عـمـا خـفـا مـتـصـيـدا
در الكلام ملكـتـه / ونظـمـت مـنـه قـلائـدا
وقـفـوت هدي نبـيـنا / ومـشـيت في درب الهـدى
فـقـه الأئمـة خـضـتـه / وجـنـيت مـنـه فـرائـدا
أدب الخـلاف لزمـتـه / وبـلـغـت فـي ذاك المـدى
والـرأي لا تـفـتي بـه / حـتى يكون مـؤكـدا
فـإذا تأكـد مـا ترى / في الحق كـنـد مـهـندا
و(الله أعلم) كـم تقـا / ل إذا الجـواب تعـقـدا
وإذا قـضـيـت فـلا هوى / بـالحق تقـضي قـاصـدا
وإذا غـضـبـت فـأنت تغـ / ـضب للشـريعـة ذائـدا
وإذا وعـدت فـصـادقـاً / ولكم صـدقـت الموعـدا

وزهدت في دنيا الورى فحباك ربك سؤددا
بالعلم سدت ولم تزل بالعلم فينا سيدا
أنفقت عمرك كله تدعو العباد إلى الهدى
بك قد ألمت علة فمضيت تعمل جاهدا
وتخطفتك يد الردى والعمر قبل تحددا
فلقيت ربك صابراً متشهداً وموحدا
أوكل عام عالم يقضي ملبياً الندا
في الذاهبين بصائر ومواعظ لمن اهتدى
ثكلُ الشريعة فقدها شيخاً فقيهاً راشدا
ماذ أقول إمامنا وأرى الكلام تعقدا
فجع الفؤاد لفقدكم والحزن فيه تجددا
ستظل شيخي فرقدا بسما العلوم توقدا
ستظل تحيا بيننا أوليس علمك شاهدا
سيظل فقهك موردا يروي القلوب من الهدى
سيظل صوتك خالداً حتى وإن طال المدى
يا رب أورد شيخنا عليا الجنان مخلدا
واغمره رب برحمة في قبره كي يسعدا
أنزل عليه سكينة وعلى القلوب تجلدا
آل العثيمين اصبروا فالصبر ينفعكم غدا
سترون أجر صنيعكم أيضيع صبركم سدى

كــــلا وحـــاش لخـــالقي فــــهـــو العـليـم بمن هـدى
أولا يـخـــــف رزءكـم أن قــد فــقــدنا أحــمــدا
خـــيـــر الـبـــرية كـلـهـم فــالدين فـيــه تجـسـدا
صـلـى عـلـيـــه إلـهـنـا مـــا راح طيـــر أو غـــدا

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٤٧)

في سردات الحزن

شعر الشيخ: محمد الصاوي

لا لا تقل إني سئمت حياتي لا لا تقل عدنا إلى النكبات
لا يا أخي هذا قضاء إلهنا فلتدعه يعلي له الدرجات
لا يا أخي هذي حقيقة عيشنا طعم الفراق أشد من طعنات
يمضي الحبيب وتنتهي أيامه وتفيض عين الخل بالعبرات
ويودع الأبطال ظهر حياتنا ويعيش كل الناس في حسرات
فاصبر على الألم الرهيب وقل له إني سأمضي في طريق ثبات
كن واثقاً بالله لا تيأس وإن طال المدى فالوعد بالجنات
أواه يا قلمي فليتك ترتوي من نبع قلبي كي تبث شكاتي
وترى رياض مشاعري قد أجدبت واغتالها الهم العظيم بذاتي
وترى خيول الشعر في أصفادها قد كبلتها معصم الأزمات
إني لأعجز يا يراعي عندما أرثي إماماً قدوة بحياتي
إني لأعجز يا يراعي عندما أدنو لأكتب سيرة لأباة
إني لأعجز يا يراعي عندما أجد الفضائل دونها ورقاتي
حتى الأنامل خار منها عزمها وسطور أوراقي رمت كلماتي
في كل شيء صرت ألمح حزننا حتى هضاب الرمل في الفلوات
في كل شيء صرت أبصر مأتماً يشكو إلى الرحمن موت دعاة

في كل شيء صرت أبصر دمعة مهراقة لوداع خير هداة
رحل المعلم بعد أكرم عيشة كانت تقوم بمنهج الدعوات
رحل العثيمين الذي أبقى لنا شمس العلوم تضيء في الظلمات
رحل العثيمين الذي أبقى لنا بحر المعارف وافر الخيرات
أمضى الحياة مربياً ومجاهداً حتى بنى صرحاً من الحسنات
أمضى الحياة على كتاب إلهنا يجني الفوائد منه والثمرات
يفتي ويرشد لا يجامل كائناً ويحطم الأغلال والشهوات
يدعو إلى الدين الحنيف مثابراً ويظل مقداماً لدى العزمات
يروي عطاش الناس من فقه الهدى ويردهم عن موطن الشبهات
والله ما أبصرت شيخاً مثله في فضله ووفائه بحياتي
هو هيبة لما تراه معلماً يلقي على الطلاب خير عظات
هو هيبة لما تراه مؤدباً للناس كي يغضوا عن الهفوات
هو هيبة لما تراه مربياً للناس كي ينأوا عن الهفوات
لكن إذا لامست عمق فؤاده لوجدت فيه منابع الرحمات
أدب وعلم في صفاء سريرة ونقاء صدر دائم الأوقات
إني لأذكر مسكناً عشنا به خير الليالي أجمل اللحظات
كم زارنا كيما يقوي عزمنا ويمدنا بعطائه وهبات
كم كان يذكر دائماً قولاً له إني لأرجو أن تطول حياتي
فأراكم أشياخ علم مثلما كان الصحابة قدوة لدعاة
إني لأذكر حلقة العلم التي جمعت من الطلاب خير فئات

يتذاكرون شروحه في فرحة ... ويرونها حصناً من الزلات
والآن أمسوا في عظيم همومهم ... وكأنهم أيتام في الطرقات
والآن صاروا يشتكون لربهم ... بُعْدَ الأب الحاني على الفلذات
لكن عزاؤهمُ مآثر شيخهم ... في نصرة الإسلام بالعشرات
إني لأبصر كل شبر باكياً ... يرثي معلمنا بخير صفات
إني لأحزن حين أفقد والداً ... تبقى فضائله مع النسمات
إني لأحزن حين أفقد عالماً ... يلقى جميع الناس بالبسمات
ما زلت أذكر نوره متألقاً ... لما يجيء مصلياً لغداة
ما زلت أذكر وعده ويقينه ... بالنصر للإيمان بعد شتات
ورحلت يا شيخي وحيداً صادقاً ... وسموت عن دنياك في إخبات
ورحلت ترجو رحمة من خالق ... فهو الذي يسدي من الرحمات
سأظل أذكركم بكل كريمة ... في كل صبح بل دوام حياتي
أدعو الإله بأن يبلغك المنى ... لقيا النبي بسامق الجنات
تلقى الصحابة والأحبة والألى ... سكبوا الدماء لنصرة الحرمات
هذا العزاء مداده من مقلتي ... دونته للناس من خطراتي
الدمع قد يهمي لحب صادق ... والشعر أبلغ إن أتى بثبات

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٥)

أيها الجامع الكبير

شعر الأستاذ : محمد بن حمد العبودي

أي خطب دهى وأي بلاء ... نبأ هزنا بهذا المساء
بينما القوم في سبات ولهو ... فإذا هم في شدة وعزاء
وإذا بالإمام ينعى إماما ... أجهش الناس بعده بالبكاء
خسف البدر في سماء الثلاثا ... والخسوف الأليم في الأربعاء
مات شيخ القصيم بل غار نجم ... ملأ الكون بالهدى والضياء
منهل القاصدين للعلم والحق ... ونور وحجة في القضاء
قد ألح البلاء بالشيخ حتى ... عجزت فيه حيلة الحكماء
وقضى نحبه عزيزاً كريماً ... مفعماً بالولا وطيب الثناء
غاب عنا محمد بعد جهد ... وصراع مع العنا والداء
وطوى صفحة الحياة مفيداً ... لمريد وقاصدا للدواء
فقدت حلقة المساجد نوراً ... ساطعاً في الدجى وفي الظلماء
فقد الناس عالماً رفع الله ... له الذكر تحت كل سماء
قد توارى عن العيون فجادت ... بالدموع الغزار بل بالدماء
قد توارى وما توارى سناه ... وثوى تاركاً جميل العطاء
نفع الناس طيباً وسقيماً ... تلك والله سيرة العلماء
صالح وابن صالح وإمام ... وتقي من أفضل الأتقياء

أيها الجامع الكبير عزاء أين منك الإمام وقت العشاء
أين منك الفتيا وقد قا م عنها معلم الفقهاء
أين منك ابن صالح وشباب قد أحاطوا به كجند الفداء
ذاك للفقه مقبل ويليه مرهف للحديث في إصغاء
وكبير قد جاء يرجو ثواباً وصغير يسعى إلى العلياء
أجملي اليوم يا عنيزة صبراً واقبلي ما جرى وحسن العزاء
يا إلهي وأنت خير مجيب ربنا قد أمرتنا بالدعاء
أكرم الوافد الفقيد بنزل حيث تبنى منازل الشهداء
رب واخلف على الأنام بخير واجبر الكسر يا عظيم الرجاء

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٩)

خبر أقض مضاجع العباد

شعر الأستاذ : محمد بن سعد العجلان

خبر أقض مضاجع العباد ... قالوا ترجل زاهد الزهاد
قالوا أصيب الدين وانتزع الردى ... شيخ التقاة وأمة الإرشاد
هو أمة في العلم جحفل أمة ... وفقيد دين بل فقيد جهاد
قالوا مضى الورع البسيط محمد ... وغدا فبورك في التراب الغادي
هذا ابن صالحَ يا ملائك كبِّري ... هذا أجل دعائم الإسناد
هذا الذي أفنى الحياة معلماً ... ما رام في دنياه درب كساد
هذا الوريث لخير مخلوق به ... عم الضياء حواضراً وبوادي
هذا الفقيه العالم البر الذي ... عرف الكتاب وحاز مجد الضاد
هذا إمام التابعين وحبرهم ... المقتفي بالدرب نهج الهادي
هذا الحبيب إلى الحبيب فدربه ... مثل وزاد الدرب خير الزاد
الأبيض الوجه النقي إذا بدت ... سود الوجوه بموقف الأشهاد
قمر هوى للترب ياالخسوفه ... وجواد علم فاق كل جواد
وفجيعة للدين ليس كمثلها ... في عصرنا المتهالك المترادي
إني عجبت لمن تفرد زاهداً ... والكل في حب الدنا متمادي
وعجبت للمرض الخبيث يُضمُّ في ... جسد يطهر سيىء الأجساد
وعجبت من عجبي فيا لتعجبي ... وأنا أرتل ما بسورة صاد

تا الله لو يجدي البكاء بكيته   وجعلت من دمعي عظيم عتاد
أو كان يرجعه الرثاء رثيته   بدمي أسطر راثياً ومدادي
لكنها الآجال تدنو خلسة   نسعى إلى غدها على ميعاد
حيا الحيا مثواه إن بتربه   قمر الرجال وزينة العباد

(جريدة الرياض، العدد : ١١٨٩٩)

تناثر العقد من أقطاب ملتنا

شعر الدكتور: محمد بن عبد الله الخضيري
* عضو هيئة التدريس بفرع جامعة الإمام بالقصيم *

نوائب الدهر يا قومي لنا عبر ... فكم تدور رحاها ثم لا تذر
مشيئة الرب تقفو إثر حكمته ... فلا اعتراض لنا إذ حلت العسر
تناثر العقد من أقطاب ملتنا ... كانوا لنا بلسماً لم يجدنا الحذر
أئمة وهداة كلهم نجب ... فحول علم وتأصيل لنا غرر
مات الإمام الذي بدر التمام له ... رسم يناسمه المقدار والقدر
شيخي العثيمين بحر العلم والأدب ... شمس المعارف بالوحيين يدّثر
هو التميمي شيخ الفضل ذو نسب ... ومن معاشر قوم أمرهم نَضِرُ
ومن مشاقفهم دين ومكرمة ... في النائبات إذا ما أعسرت يسر
مات الإمام الفقيه النابه الفهم ... في هيئة العلم ذو أسٍ ومعتبر
واليوم ودّعهم يا عظم محنته ... نور على الدرب لا شمس ولا قمر
مات الإمام الذي حاكى بفطنته ... رأس القضاة شريحاً لفظه الدرر
مات الإمام إمام الزهد ذو ورع ... عن المظاهر يسمو وهو مقتدر
وحلقة الدرس تبدو لي كعادتها ... وترقب الشيخ يغدو ثم يبتدر
باب من العلم مفتوح بقلعته ... ضحى الخميس فيهجي ضيفه المطر
وبل البيان وفي التنزيل مزنته ... وودقه من صحيح النقل ينهمر

هل يا ترى الباب يجفو من سيطرقه — من بعد إن كان ذا ورد له صدر
بشاشة الشيخ تكسو من يجالسه — في حال صحته أو مسه الضرر
يلاطف الطفل كي تبقى مورثة — سمتاً وهدياً وتاريخاً إذا كبروا
بل قد يسائله بالذكر مقترناً — ليسمع الآي لا يقسو وينتهر
فلو ترى فرحة الأهلين إذ رقبوا — ذاك الحنان الذي من فيضه غمروا
يا غور منزعه يا نبل مقصده — كم بالمعاني نفوس النشء تنفجر
في حال غدوته دوماً وروحته — ملوحاً بسلام ليس يعتذر
ذاك التواضع نهج الرسل شيمته — يرفقه يسعد الساعون لو كثروا
هذا هو الجاه في دنيا وآخرة — لا جاه من يبذل المعروف ينتظر
يا رب عفواً وغفراناً ومنزلة — للشيخ في جنة الفردوس تدّخر
واحفظ لنا يا حفيظ الخلق كوكبة — من المشايخ تاج اليوم هم نذر
طلاب علم كذا سدد مقالتهم — وثبت الخطو إن غابوا وإن حضروا

(جريدة الجزيرة ، العدد ١٠٣٣٧)

مصيبتنا ليس لها جبر

شعر الشيخ : محمد بن عبد الله السعيدي

** ثانوية تحفيظ القرآن الكريم الأولى بالرياض **

سمعنا بموت الشيخ فالتطم البحر ... تحرك فيه الموج والمد والجزر
فزعنا لعمر الله من هول ما جرى ... وحتى وحوش القفر أفزعها الأمر
تناقلت الأخبار فارتاع خافقي ... أصاب فؤادي الهم والغم والذعر
فقالوا لي اصبر إنه الحق واقعاً ... فقلت عزائي أن في الصبر لي أجر
فكيف يكون اليوم جبر مصابنا ... مصيبتنا يا قوم ليس لها جبر
يموت مخالق وننسى مصابهم ... حياتهمُ كالموت عيشهمُ صفر
ولكن فقد الشيخ حقاً رزية ... وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر
وإن سياط البين تلهب خافقي ... كأن على قلبي لفقدكمُ جمر
أكفكف دمعي ثم ينهال جارياً ... كتيار سيل فاض ليس له جسر
فكيف يكون الصبر من بعد فقده ... لقد نفد الصبر الذي ضمه الصدر
ولكننا نرضى بحكم إلهنا ... رضينا بما يقضيه من أمره الأمر
عليه سلام الله ما لاح بارق ... وما غرّد العصفور وانكشف الفجر
فقد كان طلق الوجه سمح خليقة ... على وجهه تبدو البشاشة والبشر
ولكنها الدنيا سريع زوالها ... وإن أقبلت يوماً فإدبارها دهر
أقول من أغراه حلو شرابها ... بأن شراب الحلو يعقبه المر
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها ... نجوم تنير الأرض أوسطها بدر

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٠)

جرح هذا الزمان

شعر الشيخ : محمد بن فهد حمين الفهد

* هيئة التحقيق والادعاء العام *

حار فكري ومقولي ومدادي ... كيف أغشى الخطوب حين تنادي
كيف أغشى قوارعاً وفؤادي ... لم يزل يشتكي زمان الشِّداد
صخب الهم في الفؤاد ترامى ... وتمادى بمده في الفؤاد
ظلتُ رهن الأسى أغالب نومي ... في دياجير حيرة من سهاد
ضقت ذرعاً ولم يضق بيَ ذرعاً ... سهرٌ مفزع أقض وسادي
فأنا منه بين جزر ومد ... لست أدري ما صحوتي من رقادي
جرح هذا الزمان ما زال يعدو ... فوق قلبي بفارس وجواد
كلما رمت صده قال مهلاً ... ليس هذا وقت السيوف الحداد
فاتخذ خطة سواها فإني ... لم أجد فيك ما يزيل عنادي
قلت أشكو إلى الإله مصابي ... وبه وحده عليك أنادي
نعم من رمته عليك نصيراً ... نعم من كان في الخطوب مرادي
كيف يا دهر رعتنا بإمام ... وغمام ومرشد لبلاد
كيف يا دهر رعتنا بحسام ... وهمام وفارس وجواد
ما تبرمت بالقضاء ولكن ... موت حبر كموت نصف العباد
حين يربَدُّ دهرنا مستشيراً ... لجة المعضلات في كل ناد

كيف ترنو العيون من غير ضوء … كيف تمضي القلوب من غير هاد
فقد الخلق كوكباً ليس يخبو … هادياً داعياً سبيل الرشاد
حين يحمر أفقنا بدخان … من لظى الحرب أو غبار الطراد
أو يبث الضلال فكر دخيل … زائغ رافع لواء الفساد
كيف نلقى العدى بسيف ضروب … والسيوف الحتوف رهن النجاد
فقد الخلق صارماً ليس ينبو … حين يهتز ينثني كل عاد
حين يظما السؤال فوق شفاه … من سيروي تلك الشفاه الصوادي
فقد الخلق مورداً وزلالاً … سائغاً في النفوس والأكباد
فاحتياج الورى إليه ملح … كاحتياج العيون ماء السواد
وشح الهم أوجه الناس طراً … بوشاح أذاب كل فؤاد
حلق العلم بعده معولات … لبست بعده ثياب حداد
برزت في الدنا تسائل عنه … خلف تلك الربى وخلف الوهاد
ما رأت في الأنام شهماً ذكياً … حاذق الرأي ذهنه في اتقاد
يدرأ اللبس حين يدنو إليها … بصحيح الحديث والإسناد
زاخر العلم والشمائل حبر … رافع في الورى لواء الجهاد
ذائع الصيت والمكارم نجم … ساطع في سماء كل البلاد
ناشر الخير والفضائل طلق … راكع ساجد لرب العباد
شيخنا قد مضيت عنا وإنا … أحوج الناس فيك يا ذا السداد
هل دعاك الحنين يا شيخ قسراً … لابن باز فزرته في المعاد
أم سئمت الحياة بين أناس … أضرمت فيهمُ ضروب الفساد

يا مناراً أضاء وجه دجاها ويساراً للمعسرين وفاد
ما نزلت القبور يا شيخ فرداً بل أخذت الورى إلى الألحاد
يا عثيمين يا محمد مهما جاءك الدمع ساجماً كالعهاد
لن يفي بعض ما بذلت لدين من دروس ودعوة وجهاد
رحمة الله خير أمر نراها جازياً عن يمين أندى العباد
فهو بالمتقين أولى رحيم وهو للمحسنين جزل الأيادي

(جريدة الجزيرة، العدد : ١٠٣٤٥)

كم من كليم وموت الشيخ أوجعه؟

شعر الأستاذ : محمد بن ناصر آل زيد
* إدارة تعليم البنات بمحافظة الأفلاج *

ما لي أرى القلب في خفق وإيجاف ... والفكر أصبح في هولٍ وتطواف
سهم أصاب صميم القلب أو كبدي ... يا رب عونك هل للجرح من شاف
موت الهداة كسم الرقش فيه ردى ... يا رب رحماك أنت المرتجى الكاف
إني عييت فما ينقاد لي قلمي ... ماذا عساني أوفي شيخنا الوافي
إنا وترنا وأضحى خطبنا جللاً ... والدمع قد بات في سح وتذراف
تبكي عنيزة لا بل كل مملكتي ... بحرقة حيث جفّ المورد الصافي
فالمسلمون جميعاً نالهم كمد ... لمشعل العلم أمسى ضوؤه طافي
كم من كليم وموت الشيخ أوجعه ... ومقلة زاد سهد نونها الغافي
قد كان في العلم بدراً يستضاء به ... فقه وفتوى مع عدل وإنصاف
كم من دقائق فقه أنت صاحبها ... أبرزتها وهي في مكونها الخافي
سمح الخلال كريم دون ما صلف ... في قوله الحق شهم غير خواف
زهدت في زهرة الدنيا وزخرفها ... توسط بين تقتير وإسراف
ولم تر المال شيئاً إذ تجود به ... قسمته بين محتاج وأضياف
ما لي أرى الموت بالأغلى يفجعنا ... يأتي الصميم ولا يأتي بأطراف
بالأمس كانت قلوب الخلق قد كلمت ... في شيخها الحبر ذاك الراتق الرافي

عبد العزيز بن باز شيخ أمتنا بحر المعارف لا غال ولا جاف
طود أشم ودان في تواضعه يسير سيرة أصحاب وأسلاف
واليوم هذا حمام الموت يفجؤنا في شيخنا ذي الحنان الوارف الدافي
محمد بن عثيمين نودعه صرح من العلم أضحى دربه عافي
لمثل هذا يظل القلب في كمد والعين جادت بدمع هاطل صاف
هذا وإن مات شيخ أو مضى علم فالخير لا زال في سلساله الصافي
عزاؤنا حيثما حلت فجائعنا نبينا ذو الحنان الواسع الضافي
من حارب الشرك حتى بان مندحراً بكل رمح رديني وأسياف
وجاء بالسمحة الغراء صافية في ثوبها المستنير الطاهر الوافي
عليه منا صلاة لا نفاد لها ما سار في الأرض من ركب وأضياف

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤١)

دمعي يفيض

شعر الأستاذ: مد الله بن عبد الكريم المديد

* متوسطة الملك فيصل - الزلفي *

دمعي الغزير يفيض اليوم من عيني ... ويرتمي الحزن في جنبي ويكويني
فقد الأئمة رزء لا مثيل له ... بعد الرسول وهذا الرزء في الدين
فقد الأئمة أدمى مقلتي أسفاً ... أشاب ناصيتي والهم يبريني
فقد الأئمة ثلم فيه فاجعة ... والأرض تنقص من غر ميامين
في ليلة وضياء البدر مؤتلق ... والناس في شغلهم بين العشاءَين
في شهر شوال بعد العشر سادسة ... من الليالي قضى الرحمن بالحين
نعى النعاة إمام الفقه فانسكبت ... مني الدموع على فقد العثيمين
قد جاءني النعي من خل يهاتفني ... في جهبذ العلم والتقوى يعزيني
تحدرت من مآقي العين سافحة ... على الخدود دموع الحزن والبين
فيا له حدث في الدين كارثة ... فيه الجوى وسهام الحزن تصميني
من هول فاجعة بالشيخ قد شطحت ... عني القوافي من مدح وتأبين
وأصبحت خلجات النفس عاجزة ... عن نظم شعر بفضل الشيخ موزون
لا غرو أن رحيل الشيخ أفزعني ... هذي هي الدنيا بالأرزاء ترميني
لقد أتاني الأسى فيه النوى حرق ... كاد الأسى بحياض الموت يلقيني
لكنني مؤمن بالله مصطبر ... رضيت بالله رباً وهو يكفيني
مات الإمام الذي في القلب نحمله ... نفديه بالروح لا نفديه بالدون

محمد الصالح المحبوب في جدث ... يا ليتني بدلاً عنه فيحويني
محمد الصالح المحبوب يا أبتي ... رحيلكم ورحيل العلم يضنيني
لله ما أصعب الترحال يمرضني ... إن كان من ماجد كابن العثيمين
بكت عنيزة فقد الشيخ فارتجفت ... أم القرى حين غصت بالمصلين
في كل صقع من الأصقاع قد ذرفت ... على الفقيد دموع القلب والعين
سيما التواضع تبدو من شمائله ... يمد كفيه نحو الناس بالعون
وبين عينيه في جهر وخافية ... مخافة الله في عُسر وفي لين
مات الإمام الذي من فوق منبره ... قد بين الحق صرفاً خير تبيين
محمد الصالح المكسو في حلل ... من العبادة والتفقيه في الدين
محمد الصالح المحمود سيرته ... تجري محبته وسط الشرايين
محمد الصالح العلامة امتلأت ... من بحر علمك أفواه الميادين
أنت الضياء ونور البدر مكتمل ... والنور يبدو جميلاً في الضياءين
فعلمك الجم كل الناس تقبله ... من أول المغرب الأقصى إلى الصين
تلك الفتاوى ونور الدرب يرسلها ... عبر الأثير لآلاف الملايين
والزاد متن بفتح الله تشرحه ... بممتع الشرح في حسن وتضمين
بنهج طه كنوز العلم تنشرها ... ما حاد نهجكم عن نهج ياسين
في العلم جامعة كبرى حوت درراً ... في كل فن لكم باع بلا مين
جزاك ربي عن الإسلام خالدة ... حور الجنان بقصر الحور والعين

(جريدة الجزيرة، العدد: ١٠٣٣٦)

فقيه زاهد

شعر الكاتبة الأستاذة : مشاعل بنت عبد الله آل مقرن

وهل من مبلغ عني الصحابا ... بأن الغدر طبع للسنينا
تجمعنا فنأنس بالتلاقي ... فتفجعنا بخطف آمنينا
أليس محمد قد كان شمساً ... تضيء سماءها للسائرينا
أليس محمد قد كان خيراً ... ونوراً للورى والعالمينا
أليس محمد قد كان حباً ... ليعرب والخلائق أجمعينا
لعمري هل مصاب فوق هذا ... وهل نبقى إلى الدنيا ركونا
ولكن مدة تُقضى ونبغي ... لنا في دربنا قمراً مبينا
يضيء بعلمه حلك الليالي ... ويورد للمعين الظامئينا
فجعنا قبل عام بابن باز ... وقد كان الشعاع المستبينا
ولم ترض المنون بكل هذا ... فغيبت الدعاة الصالحينا
وغيبت الصدوق بأرض شام ... ودرع المصطفى عن واضعينا
وهذا الحبر ثالثة الأثافي ... محمد هل عرفت له قرينا
فقيه زاهد ورع أمين ... إمام للسراة المدلجينا
لعمري كيف أنعت من صباه ... إلى النزع الأليم يفيض دينا
سلوا بطحاء مكة أي شيخ ... سلوا العمار والحرم الأمينا
سلوا الطلاب حشداً أي نبع ... به عذب العلوم لهم معينا

سلوا العلمـاء من في العلم صـدراً ... سلوا المحـــراب والروض السكينا
سلوا المذياع عن صـوت رحـيب ... ينيـــر دروب ســيـــر السـائلينا
ألا ليت المنون لهـــا رســـول ... فـــيـقــبل فـدية نفـسي مـدينا
فـــويحي يا لزمـــان أطقت هذا ... أطقت سـهـام نعت الناعـتـينا
أطقت تغـيب الأخـيـار فـيكا ... وكنت زمـــان خـسف النيــرينا
إلهي قـد شـهـدنا للمـسـجى ... بتـرب العـدل خيـراً وقـد رضينا
إلهي فــــاجـــــزه عنـا ثـواباً ... تخص به الهــداة الأكــرمـــينا
إلهي واجـبــر الولهى الحـيـارى ... بخــيـــر يا جـواد كـمـا بدينا
بثلة صـــادقين تنيـــر درباً ... بدى وحــشــا لقلة ســالكينا
ولا تفتن عــبـــادك في زمـــان ... به فتن الهـوى مـتـعـاقـبـينا
إلهي واجـــعل المثـــوى جناناً ... على ســرر البـــاق مـتـقـابلينا
وصل على رســولك مــا تغنى ... بذكـرك من حـيـا في العـالمينا

(جريدة الرياض، العدد: ١١٨٩٨)

مات الإمام

شعر الأستاذ : مشعل حمود محمد العتيبي

في عام إحدى وعشرين مكملة ... بأربع مائة بالألف تجتمع
في شهر شوال نصف الشهر ودعنا ... شيخ جليل إمام عالم ورع
ابن العثيمين أعلى الله منزله ... في جنة الخلد لا خوف ولا هلع
جل المصاب وهال الخطب أمتنا ... بموت عالمنا قد عمنا الفزع
بكى القصيم ونجد والحجاز على ... شيخ العلوم وكل الناس قد فجعوا
يبكيه علم وطلاب ومسجده ... وكلٌّ من رايةَ الإسلام قد رفعوا
قالوا توفي شيخ الفقه في زمن ... فيه الفتاوى بزهد المال تستمع
مات الإمام وهل يبقى سوى صمد ... على السرائر والإعلان مطلع
مات الحبيب وكل الناس تعرفه ... بعلمه الجم بالأخلاق مجتمع
أيا عنيزة يا دار العلوم لقد ... غاب الإمام فصبر ثم لا جزع
ثم العزاء لنا في فقد عالمنا ... فالدمع مستبق والحزن مرتفع
قد كنت أعرفه والكل يعرفه ... بالزهد والعلم ليس المال والطمع
يا شيخ والله إن القلب منفطر ... على الفراق وجرح القلب يتسع
فسمتكم يا إمام العلم ذكرني ... أسلافنا حيث هم بالحق قد صدعوا
الموت حق وكل الناس ذائقه ... لكن فقدكمُ ما كاد يستطع
لكن ليهنئكمُ حب العباد لكم ... فكلهم نصبوا أقدامهم ودعوا

يا ناصر السنة الغراء في زمن ... تكاثرت حولنا الأوهام والبدع
فتواك تنفذ عبر الأرض في عجل ... والناس من علمكم يا شيخ تنتفع
جلوت بالحق عنا كل مبتدع ... فكم سمعنا من الضُّلال ترتدع
تركت للدين أجيالاً محصنة ... بالعلم ها هم نجوم في الورى سطعوا
رحلت عن هذه الدنيا وفتنتها ... وما بها من لظى الأسقام والوجع
يا أمتي فلتنوحي العلم في زمن ... قد غادر العلم أشياخ وما رجعوا
عزاؤنا في رحيل الشيخ نبعثه ... لأهله حيث كأس المر قد جرعوا
يا رب فارفع لروح الشيخ منزلة ... في جنة الخلد في الفردوس ترتفع
والحمد لله حمداً لا نفاد له ... وبالقضاء رضينا كيفما يقع

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٩)

تحية واعتذار

شعر الأستاذ: منصور بن تركي العبدلي المطيري

قصيدة كتبها الشاعر وأرسلها للشيخ في حياته يعتذر عن سفره من القصيم:

أرقت وما بين في قوى الغيد مطلب ... وبت كأني للمعاطب أجذب
وما كنت ذا هم على الدهر قائم ... يلاحقني من حيثما أتقلب
ولكنني فارقت والقلب واجف ... معاهد علم روضها اليوم مخصب
هنالك حيث العلم تلقاه نيراً ... على منهج الوحيين سهل مقرب
بها شيخنا الفذ الإمام محمد ... هو ابن عثيمين فقيه مجرب
يسير على نهج النبي وصحبه ... يعلم في رفق ويدعو ويحدب
ويأمر بالمعروف ينهى عن الهوى ... ويرشد للخيرات من كان يرغب
تذكرت والقلب استقل بحزنه ... لدن كان يسقينا ويرعى يؤدب
يعلمنا من لفظه الدر باهراً ... وفي سمته هدي عظيم محبب
سقى الله أياماً مضت ولياليا ... بصحبته والعلم جم مصوب
ولله هذا الشيخ كم كان حانياً ... وكم كان ذا فضل من الطيب أطيب
لعمرك يا شيخي وعزي وقدوتي ... ويا من لدينا حبه اليوم مذهب
لعمرك ما فارقت أرضكمُ قلى ... وما كنت عن درب الهدى أتجنب
ولكنني أركضت خيليَ راحلاً ... أقلب طرفي أنشد الرزق أطلب
وما زلت يا شيخي من العلم طالباً ... وهل أترك الدرب الذي فيه أنسب؟

وعهد علينا أن نوافيك كلما ... يشاء إلهي ، والزيارة تكتب
وقد يكتب الرحمن عوداً لساحكم ... كما آب من بعد الفراق المعذب

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٢)

سقى الله قبراً ضم شمساً منيرة

شعر الأستاذ : منصور بن زيد المانع

غشى ناظري يا للمصاب ظلام وفي كبدي يا حسرتاه ضرام
سقى الله قبراً ضم شمساً منيرة له عند كل المسلمين مقام
وبزّ فحول العلم حفظاً وفطنة له خضعت دون الصدارة هام
وفيك إمارات الأوائل ركبت وقار وسمت والخصال جسام
ونور تجلى في جبينك ساطع وثغرك بسام ، وأنت همام
تتلمذ آلاف عليك وسارعوا إليك له في الأخذ عنك أوام
وأسعدت دور النشر من درر الهدى فأشفت صدوراً حَلَّهن سقام
وفي منبر الإفتاء لم يأل جاهداً ويفتيك ذا حل وذاك حرام
وحاز فنون العلم وهي كثيرة وفي كل فن قال فهو إمام
عنيزةٌ السمراءُ تبكي رجالها وليس على باك بكاك ملام
أحبك أهل الأرض في كل بقعة لهم فيك يا شيخ الشيوخ هيام
سأبكي وأرثي والفراق محتم ومني على شيخي الجليل سلام

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٣٩)

مات الإمام العلامة

شعر الشيخ : مهدي بن عماش الشمري

* معهد القضاء العالي *

بكت عيني على الشيخ الهمام ... فقيد العلم خاتمة الكرام
بكيت لفقد شيخٍ أحمدي ... سماحة كفه مثل الغمام
بكت لفراقكم هند ومصر ... ونجد والعراق مع الشام
ومكة والخليج وساحلاه ... وطيبة مرقد الهادي التهامي
وصنعا والرباط وكل قطر ... ينادي بالصلاة وبالصيام
وزمزم والحطيم ومأزماه ... ومن لبّى وصلى بالمقام
ومنبر جامع الطلاب يبكي ... أحقاً لن نمتع بالإمام
أحقاً شيخنا الغالي توفى ... أحقاً غيبت شمس الظلام
أسائل في عنيزة كل ركب ... فلا ألقى سوى رجع الكلام
لقد مات الإمام فما ترجى ... وغُيّب نوركم تحت الرجام
أنين باطن لك في فؤادي ... ودمعي جمزة مثل الضرام
يعزي قلبي المكلوم فيكم ... دروسك في الأثير على الدوام
بكى لفراقكم أمسي ويومي ... وجسمي هده طول السقام
أحنّ إلى دروسك في المصلى ... ودرس في علا البيت الحرام
وإن أنسَ فلا أنسى خشوعاً ... تألق في جبينك بابتسام

عظيم لم تبـالي بالرزايا   كذاك تكون أخلاق العظام
حياتك لا تمل من المعالي   وعمرك فاق أعمار الأنام
عسى الرحمن يجمعنا بعدن   مع المبعوث والصحب الكرام
وأعقبك الإله جميل ذكر   وجنات الخلود على الدوام
عليك صلاة ربي كل حين   ورحمته بجنات السلام

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٥)

الخطب الجلل

شعر الأستاذ : موسى بن محمد الزهراني

واحزن قلباه ممن فقده جلل ... ومن له في فؤادي روضة نزل
وقد تعاظمني حزني فبحت به ... ففي فؤادي لظى كالنار تشتعل
تفجّر الحزن في قلبي أأكتمه ... وهل سيسترني دمعي فيمتثل
يا أيها القلب صبراً لا تمت كمدا ... فتلك أقدار من بالخلق مكتفل
فالحمد لله ما يهمي السحاب وما ... تخطّف الحي في دنيا الورى الأجل
موت العثيمين قد هزّ الفؤاد وقد ... تفاقم الخطب واحمرت لنا المقل
يا حسرة كلما لاح الصباح لنا ... بنوره خيّمت في كوننا الظلل
ولو فقدنا ألوف الناس ما عدلوا ... بموتهم من بدين الله يشتغل
أما علمتم بأن الأرض يُنقص من ... أطرافها موت من تسمو به المثل
في عام عشرين ودعنا ركائبهم ... واليوم ذا شيخنا يهفو له النزل
في جنة الخلد إن شاء الإله فما ... يخيّب الله مسعى كله أمل
يا والدي ليتني أستطيع أفديكم ... من رقدة الموت أو روحي لكم بدل
لكنها سنة الرحمن جارية ... في خلقه ليس في أقداره خلل
يا والدي كنت في دنياي شمعتها ... تضيء ليلي بعلم منك يشتعل
قد كنت كالبدر في ليل الظلام وكم ... تزل في قلوب الناس تكتمل
عزاؤنا ما طوت أسفاركم وحوت ... فنونها من علوم الخير تتصل

كم شبهة قد دحرتم فانجلت وخبت وأصبحت خبراً ضاقت به السبل
بعلمك الفذ يحيي الله من ضعفت قلوبهم أنت تحبوها فتهتبل
سارت بأقوالك الركبان في جذل فنعم ما قلت طاب القول والعمل
وما علمناك إلا صادعاً أبداً بقولة الحق لا زيغ ولا وجل
وما بخلت بنصح منك تبذله وما ضننت به إن غيركم فعلوا
وما كتمت علوم الشرع من طمع لنيل دنيا وما جاملت إذ جهلوا
وما قسوت على ذي امرة شطحت به الرؤى بل تبدّت منكم الجمل
في رحمة تبذل النصح الجميل ولم تُكن يوماً محاباة إذا انفعلوا
بل قد عهدناك شهماً صادقاً ورعاً مجانباً زهرة الدنيا ولو بذلوا
كم ذا أعدد من أفضالكم ولكم يا والدي فوق قولي الفضل والمثل
إني لأعلم لو كنتم بأظهرنا ما سركم مدحنا لم ترضك الجمل
لبغضك المدح إخلاصاً وتزكية للنفس حين رعاع الخلق ينشغل
يا ربنا فاجبر الكسر الأليم بنا إنا إليك إله العرش نبتهل
واغفر لعالمنا يا رب مغفرة تمحو بها الذنب يطوى عندها الزلل

(جريدة الرياض، العدد: ١١٨٩٨)

خطب عظيم

شعر الشيخ : ناصر بن عبد الرحمن آل دجين

خطب عظيم حل في وجداني ... وتتابعت من بعده أحزاني
وتناثر الدمع الحسير لهوله ... وتطايرت عن نومها أجفاني
والنطق يعجزني وضاقت حيلتي ... قد مات شيخ المسلمين الثاني
نبكيك يا شيخ المحبة والوفا ... يبكيك أهل الخير والإحسان
تبكيك نجد والحجاز وطيبة ... والمؤمنون بسائر الأوطان
يبكيك أهل العلم والخلق التي ... نورتها بحقائق البرهان
شيخ المكارم والمعالم جمة ... وفقيد أمته الأغر الباني
وفقيد أهل الخير في أرض التقى ... وفقيد بيت الله والأركان
ابن العثيمين الذي نال المنى ... من غيرما مال ولا سلطان
لكنه العلم الذي يسمو به ... من جد في طلب وفي إذعان
لكنها التقوى وحب الله إن ... كتبت لعبد فاز بالرضوان
قل للجهول وأهل سوء والهوى ... يوم الجنائز موعد الإنسان
تعلو مقامات التقيِّ إلى الذرى ... ويزول ذو الأشكال والألوان
أهل الضلال أما كفاكم غيّكم ... أفلا ترون مقام ذي الإيمان؟
غرتكم الدنيا وزخرفها الذي ... سرعان ما يمضي بلا إيذان
في موتكم يا شيخنا عِبَر لنا ... هل من مفيق يا ذوي الأذهان

(جريدة الجزيرة ، العدد : ١٠٣٤٠)

سنبكي النجم

شعر الأستاذة : نوال بنت عبد العزيز العيد

** المحاضرة بكلية التربية **

تعثرت الحروف فما لنفسي ... أخطبٌ قد دهاها بل رزاها
حبيب كان بالقرآن يهدي ... ويشفي النفس من داء غزاها
أحبته القلوب لوجه ربي ... وعاشت في قناعات تراها
أحس بأن ما أبقاه بحر ... وبحر العلم للدنيا نداها
أدار العلم في الحلقات يفتي ... سنين العمر في الفتيا قضاها
عنيزة قد دهاها اليوم خطب ... عظيم شل معصمها رماها
تقطعت القلوب على فراق ... وسال الدمع من حزن أتاها
مجالس ذكرنا باتت قفاراً ... تحن إلى أحاديث رواها
بشرح بل بفقه بل بفهم ... تصاغرت الشروح إذا تلاها
نظرت بمكتبي فرأيت شرحاً ... فهيج من مآقي العين ماها
وحج العام في نفسي عزيز ... يذكرها بقرب قد حباها
وليت الشعر يمحو بعض حزني ... فيرحل بالقلوب إلى مداها
بقاع الأرض تشكو وهي تبكي ... وتنعي النجم لما أن غشاها
ومكة في أراضيها حنين ... فشيخ العلم يرقد في رباها
سنبكي النجم حين هوى لأرض ... نجوم الليل قد يخبو سناها

سل الأرض الحرام وسل سماها   وسل كل القصيم ومن وطاها
أفقد الشيخ شل ربوع أرض   تحدثك المصاب بما زراها
حبيب للورى حر أبيٌّ   منار للهدى أرخى ضياها
أصولي وفقهي كبير   صروح للعلوم قد ابتناها
أرى شعري أتى بحروف نقص   فحرف الشعر عن شفتي تاها
فوسع قبره أدخله ربي   جنان الخلد في عالي علاها

(جريدة الجزيرة، العدد : ١٠٣٣٦)

إمام في إمامته عطاء

شعر الأستاذ : هجاد بن دميثان الحربي

مصاب ليس يعدله مصاب
وخطب فيه قد أعيا الخطاب

وما هذا المصاب علي وحدي
ولكن كل ذي دين يصاب

فيا لله من نبأ أتاين
أثار الدمع واضطرب اللباب

عشية قيل مات الشيخ هول
عظيم والنفوس لها اضطراب

فبت الليل ما أغمضت جفناً
كأن العين سارقها اللعاب

كأن النفس إذ علمت عشيا
بناعيه وإن طال الغياب

يحزحز في نواحيها لهيب
سرى فيها بها منه التهاب

فنادى بالعيون الروح حتى
لدمعي فوق خديَّ انصباب

وما والله أبكي موت شخص
لنا في غيره يلفى اقتراب

ولكني بكيت على إمام
فريد في زمانٍ لا يناب

فحمداً للإله على الرزايا
وقد فرضت على الناس الجذاب

فما في هذه الدنيا خلود
ولكن موتنا ثم الحساب

لقد كانت وفاة الشيخ ثلماً
وما يدري بها إلا العباب

فيا عجبي لصبري بعد علمي
بموت الشيخ ذا الخبر الكراب

وقد كنا نبكيه مريضاً
جميع الناس شيب أو شباب

فتبكيه المآذن والسواري
وتبكيه المشايخ والصحاب

وقد كنا به كلاً سعيداً ... وفيه اليوم قد سعد التراب
هو البحر الذي ما غار يوماً ... لموجٍ طيلة الدهر العباب
كأنك في الدنا شمس تجلت ... بنور ليس يحجبها ضباب
سهيل قد هدى السارين دوماً ... شهاب ثاقب نعم الشهاب
حياة بوركت في كل صقع ... فسارت في معالمها الركاب
شهود الله في الدنيا البرايا ... وفيه القول فصل لا يراب
ففي غرب البلاد وفي جنوب ... وفي شرق وفي شام جواب
فإن أفنى العباد وإن دعاهم ... أجاب الناس دعوته أجابوا
إمام في إمامته عطاء ... وخير للورى منها أصابو
حياة كلها لله جمعاً ... فليس بها مزاج أو قطاب
تجافى عن هوى الدنيا احتقاراً ... كما استعلى عن الجيف العقاب
فعاش الزهد لا يبغي كثيراً ... ولا ما قل والدنيا يباب
وقد كانت علوم الشيخ فيضاً ... وكان بها على الدنيا الرباب
عقول الناس أودية حوتها ... بمجرها جرى السيل الأباب
علوم قد أفاد الناس منها ... سماعاً أو بها نسخ الكتاب
وإن إمامنا لم يأل نصحاً ... وإخلاصاً وعدلاً لا يشاب
وقد شرفت عنيزة بابن بر ... فآثرها وإن طاب اغتراب
فيا ربي تغمده من تولى ... بلطفٍ منك والداعي يجاب
وبيض وجهه وامنحه خلداً ... بجنات الخلود له الثواب

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٨٩٥)

فقيد الأمة

شعر الأستاذ : هندي نابت الغياثات

على مثله تبكي البواكي ومن يكن ... بمثل مكان الشيخ لا شك يفقد
فقدنا إماماً قبل عام وبعده ... فجعنا بموت الشيخ ذاك محمد
فيا رب صبراً للمصاب وإننا ... لموت إمام العصر نبكي ونحمد
توارت نجوم في سنين قصيرة ... عليهم يغبطنا القريب ويحسد
فقدنا فقيهاً هل يجود بمثله ... علينا زمان بالكرامات يجحد
فقدنا إمام الزاهدين وشيخهم ... عفيف نظيف طيب القلب قاصد
إذا ما رأيت الشيخ قلت مردداً ... كأني أرى بعض الصحابة يوجد
لقد كنت للدنيا إماماً وقدوة ... فمن لرجال العلم بعدك مقصد
ومن للحيارى في أمور عقيدة ... ومن لجميع الناس داع ومرشد
لقد كنت كالبدر المضيء لكونه ... وإن سواد الليل بعدك سرمد
كأنك فينا ابن تيمية الذي ... لدين إله الكون نعم المجدد
إذا ما ادلهم الخطيب يأتيك شيخنا ... أمام جميع المدلهمات يركد
فيصدر منه الرأي بعد دراسة ... حليم حكيم صائب الرأي منجد
وإن جاءنا فكر خبيث يقوده ... شراذم قوم في الديار تعربد
تجلى كليث سد كل ذريعة ... أمام دعاة الشر والخبث صامد
لقد عاش كالطود الذي ظل شامخاً ... يذب عن الإسلام والله يشهد

وقد ظل نجماً في زمان تكاثرت ... نجوم يلمعها البريق وتخمد
لعمرك إنا في زمان تكالبت ... علينا أمور لسجايا تهدد
فتلك شعوب شردت من ديارها ... وذاك إمام في ثراه يلحد
عليك سلام الله يا خير راحل ... وأسكنك الفردوس تسلو وتحمد
وعوضنا خيراً بفقدك عاجلاً ... لعل دموع العين إذ ذاك تجمد
وأزكى صلاة الله تترى نقولها ... على المصطفى المبعوث منا تردد

(جريدة الجزيرة، العدد: ١٠٣٤١)

أرحلت يا علم العلوم !!

شعر الشيخ : وليد المسملي

قال الحكيم كقول كل مجرب ... غربت لنا شمس كأن لم تغرب
بل أظلم الكون الفسيح تحرقاً ... وتألماً من فقد ذاك الأشيب
هذا خسوف البدر مؤذن نقمة ... أستغفر الرحمن زلة مذنب
من كان يدري حين بتنا سجداً ... أن الخسوف غداً على الرجل الأبي
مات الإمام العالم الفرد الذي ... أحيا بهمته لنا سنن النبي
يا ابن العثيمين المقدس روحه ... سقيا لذا الجدث الكريم الطيب
أرحلت يا علم العلوم بمقلتي ... من ضيق دنيانا لقبر أرحب
قال النعي لنا مساء بائساً ... مات الإمام فكم أضر الأمر بي
وبكيت من حزن وسالت أدمعي ... وشكوت شكوى مبتلى ومعذب
وأتى أخيّ محبباً من جهله ... لا مرحباً بمرحَّب ومرحِّب
أوما علمت فجيعة العصر التي ... مايستبين لهولها من معرب
فجعت بني الإسلام قاطبة وهل ... سلمت من الأهوال أمة يعرب
يا شيخنا بوأت منزل عزة ... في جنة الفردوس خير مقرب
مازلت أذكر بسمة ألقيتها ... في خافقي وضحكت ضحكة معجب
مازلت أذكر يوم قلت اخرج فما ... أحلاك يوم نظرت نظرة مغضب
أنت الذي شجعتني للعلم في ... زمن يتاجر بالعلوم الأجنبي

أنت الذي قدمتني يوماً على ... طلاب علمك ياله من مطلب
هي ذكريات إن بدت في خاطري ... أبكي ويبكي الشعر ميراث النبي
يا ربنا ارحم شيخنا واجعل له ... نزلاً كريماً بالمقام الأطيب
واخلف لنا خلفاً يسير بدربه ... ويقيم دين الحق دون تهيب
أواه هذي زفرتي ولأمتي ... أنعي الإمام محمداً بترهب
ينعاه هذا الشعر والعلم الذي ... أحياه والإسلام نعي المتعب

(جريدة البلاد ، العدد ١٦٢٣٧)

بكت القلوب

شعر الأستاذ : يعقوب بن مطر العتيبي

بكت القلوب ولان منها الجلمد — إذ قيل قد قبض الإمام محمد
سهم أصاب من الفؤاد بقية — كانت لقرع النائبات تجلد
ما كان فقد الشيخ موتة واحد — لكنه القمر المنير يوسد
كانت تتوق إلى لقاه قلوبنا — حين الوداع لعل عيناً تسعد
ولعل مشتاقاً يفوز بنظرة — لكن طواه عن العيون الموعد
أرض الحجاز على ثراك توقفت — أنفاس من يفتي العباد ويرشد
بالأمس أودع في ثراك إمامنا — عبد العزيز العالم المتجرد
واليوم يدفن في جوار رفيقه — علم أشم وسيف هند يغمد
أسفي على الإسلام حين تصرمت — علماؤه كالعقد كان ينضد
يا شيخ قد رحلت بموتك أمة — في العلم والأخلاق أمست تلحد
لو كان تجدي في المصاب دموعنا — ما كنت أحسبها لفقدك تجمد
تنعاك يا بحر العلوم عوالم — وبكاك شيخ في الأنام وأمرد
والجامع المحزون بات وفيه من — وقع المصاب حشاشة تتردد
كم كان يلقي الدرس ثمَّ كأنه — عذب تهش له الظماء ومورد
فإذا تكلم في الخلاف مرجحاً — خلت الموفق للمسائل يسرد
ويفيض في شرح العقيدة موضحاً — ما كان يشكل فاستراح موحد

وإذا تلا آي الكتاب مفسراً ... أطرقت تستمع الفوائد تنضد
أما الأصول فلا تسل عن عمدة ... بالأصل في الفرع الجديد يؤيد
من كان يجهل ما أقول فهذه ... آثاره الحسنى بحق تشهد
سيقت له الدنيا فراح مولياً ... وأشاح عنها زاهداً يتعبد
وقضى الحياة مجاهداً ومربياً ... حين استراح القاعدون وأخلدوا
سارت فتاواه الحسان ونصحه ... شمساً لليل السالكين تبدد
وغدا ينفر من تعصب معشر ... جعلوا التفرق شرعة وتجمدوا
قد كان في درب الفساد مهنداً ... يجتث أصل المفسدين ويحصد
لا طال نوم الشامتين فخلفه ... جيل لنهج السالفين يجدد
إن كان قد رحل الأئمة قبله ... هيهات يُعدم في البلاد مسدد
يا رب من على الفقيد بجنة ... طاب المقام بها وطاب المعقد
واخلف بخير أنت أهل إجابة ... نعم النصير لنا ونعم السيد

(جريدة الجزيرة، العدد: ١٠٣٣٤)

وغاب فرقد خير

شعر الأستاذ : يوسف بن عبد الله السالم

أنَّت منابرنا حزنا وقد فجعت — وحل فيها البكا والسهد والأرق
وغاب فرقد خير يستضاء به — وانهد ركن عليه الناس ترتفق
أما فلو نطقت أحجارنا لبكت — ولاستدارت بها الأشجار تصطفق
حزناً على عالم سارت مراكبه — في كل ناحية بالعلم تستبق
هبّت مشاعرنا ترثيه عاجلة — والشعر شعلة أحزان فينفتق
والحزن كالمزن ما سالت سحائبه — بالدمع تسبقه الآهات تختنق
لكننا بقضاء الله قد رضيت — نفوسنا وأبت في الإثم تنزلق
علامة حذق راجت مسائله — في سوق معترك الفتيا وتأتلق
وفي العقائد تبيان ومخرفة — والفقه في (ممتع) قد لفه الورق
طارت فتاواه في أقصى الدنا وسمت — عن الهوى وأتت بالحق ينطبق
وكم طرحت سؤالات ليفتيني — فينبري واثقاً في الشرح ينطلق
كأنه قمر جاءت مشعشعة — أنواره في فضاء الكون يتسق
بل إنه الشمس في الإصباح مشرقة — وقد تقدم نور الصبح ينبثق
وجرأة الحق في عدل تُجلله — والخصم في حكمه يرضى به يثق
سهل بسيرته سمح تعامله — ولفظه بفصيح القول يعتنق
كفاه بين ندى خير وقابضة — سبقاً على زمرة الأعداء يمتشق
والله أشهدنا إن شاء خالقنا — فالشيخ في نزل الفردوس يغتبق

(جريدة عكاظ ، العدد : ١٠٣٣٤)

ثناء ورجاء

أفضل الحمد ، وأجل الشكر ، وأعظم الثناء ، للواحد الأحد على نعمه الكريمة ، وآلائه العظيمة ، وفيوضاته العميمة ، أشكره على حسن توفيقه ، وأحمده على جميل تيسيره . وبالرغم من لوعة الحزن الذي هدَّ الفؤاد ، وأضنى القلب ، ومزق الروح ، فإنه قد أنس قلبي ، واطمئن خاطري وأشرقت روحي ، حينما فزت بقصب السبق ، ونلت كرامة الأولية ، وحزت وسام الأسبقية في تدوين بعض مناقب الإمام ، وتسجيل خواطر أهل الإسلام وعواطف ذوي الحب والإكرام .

إن فؤادي مترع بالثقة في موعود المصطفى ﷺ حيث قال : « المرء يحشر مع من أحب » وأشهد الله أنني قد أحببت ابن باز وابن عثيمين ، وأدعو الله تعالى أن يحشرني وإياهم تحت لواء المصطفى ﷺ ، وأن نظفر بشفاعته ، ونرد حوضه ، ونفوز بجيرته ، إنه على كل شيء قدير .

ومن عجبٍ أَنِّي أَحِنُّ إليهمُ وأسأل عنهم من لقيتُ وهمْ معيْ
وتطلُبُهمْ عيني وهم في سوادها ويشتاقُهم قلبي وهم بين أضلعي

هذا بعض ما جادت به القرائح ، وما بلغته المدائح ، وإنني على يقين أن هذا العمل قطرة أولى من غيث متدفق من الكتابات والبحوث والرسائل والقصائد ، التي ستخطها أقلام بني الإسلام في سيرة هذا الإمام – عليه

رحمة العلاّم ، إلا أنني أحببت أن يكون في هذا الإسهام المتواضع ما يروي شيئاً من غُلَّة المتعطِّشين لشيءٍ من خبر ابن عثيمين - رحمه الله - إلى أن يحظى محبوه ببقية أخباره وعبير آثاره .

ولا يخلو العمل في بدايته من الخلل ، ولا يسلم غالباً من الزلل ، فكيف بعملٍ في مثل هذا الوقت القياسي من الزمن .

ولو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التَنَدُّمِ
ولكن بكت قبلي فهيجني البكا ... بكاها فقلت الفضل للمُتَقَدِّمِ

وإنني آمل من المولى جلّت قدرتُه أن أُوفّق في الطبعات القادمة إلى أجمل الإضافات ، وتدارك ما فات ، وإصلاح الهفوات ، وآمل من إخواني القرّاء أن يمدوني بملاحظاتهم ، ويجودوا عليّ بتوجيهاتهم ، ويتكرموا لي بإسهاماتهم ، وسوف تجد في نفسي مكاناً عليّا ، وشكراً وفيّا ، ولن أنسى جميلهم ما دمت حيّا .

وإنني أزجي أجمل الشكر ، وأزكى الدعاء ، وأصدق الثناء ، وأفضل التقدير ؛ لإخواني أبناء فضيلة شيخنا - رحمه الله - على أدبهم الجم ، وخلقهم الطيب ، وتعاونهم لإظهار الكتاب ، وإتمام الجهد ، حيث قاموا مشكورين بقرائته كاملاً ، وأبدوا ما رأوه من الملاحظات التي كانت محل الاعتبار ، فجزاهم الله خيراً وبارك فيهم .

اللهم نواصينا بيدك ، ماضٍ فينا حكمك ، عدل فينا قضاؤك نسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً

من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ، ونور أبصارنا ، وجلاء أحزاننا ، وذهاب همومنا .

اللهم ربنا لك الحمد ، ملء السماوات ، وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

اللهم لك أسلمنا ، وبك آمنا ، وعليك توكلنا ، وإليك أنبنا وبك خاصمنا ، وإليك حاكمنا ، فاغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلنا ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

اللهم وفق ولاة أمورنا لكل خير وصلاح ، وهدى وفلاح ، اللهم ارزقهم بطانةً صالحة ، ورفقةً ناصحة ، واجعلهم من أنصار القرآن وحملته ، والنبي ﷺ وسنته ، والعلم النافع وطلبته ، اللهم احفظ علماءنا ، وزدهم توفيقاً وعلماً ، وصلاحاً وفهماً ، اللهم اجعلهم أئمة مهديين ، وعلماء عالمين عاملين ، وارفع بهم راية العلم والحق والدين ، ووفق للخير والهدى والصلاح جميع المسلمين .

اللهم اغفر لشيخنا مغفرة من عندك ، وارحمه برحمتك ، اللهم أكرم نزله ، ووسع مُدخله ، وارفع درجته ، واجزه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وارفع مرتبتهُ مع النبيين والصديقين والشهداء .

اللهم اجعله مع المتقين في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، اللهم اجمعنا به في جنات النعيم ، وامنن عليه وعلينا بعفوك العظيم ، فإنك عفوٌ كريم ، رحمن رحيم .

اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده ، واغفر لنا وله ،،،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وإمام العلماء العاملين ، وقدوة الأولياء والمتقين وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين ،،،

الفهرس

الموضوع — الصفحة

المقدمة ٥
قصيدة حادي الركب ١٥
إنك ميت وإنهم ميتون ٢٣
موجز الترجمة ٢٧
نسبه ٢٧
مولده ونشأته ٢٧
مشايخه ٢٩
آثاره العلمية ٣٢
ميراث النبوة ٣٧
موجز الفضائل ٤٧
١ ـ الإخلاص لله تعالى ٤٨
٢ ـ الاعتصام بالكتاب والسنة ٥٤
٣ ـ روعة التأصيل ٦١
٤ ـ المنهج العلمي المحكم ٦٥
بعض مسائل الخلاف مع ابن تيميه ٧٤

٥ – النجاح الباهر ٧٥
نص جائزة الملك فيصل العالمية ٨٤
٦ – الموسوعية ٨٥
٧ – عالم العامة ٩٠
٨ – الربانية ٩١
٩ – الدعوة إلى الله ٩٥
١٠ – العالمية الرائدة ٩٨
١١ – طاعة ولاة الأمر ١١١
١٢ – حسن الخلق ولطف المعاملة ١٢١
١٣ – البعد عن الحزبية الضيقة ١٣٢
١٤ – القدوة الحسنة ١٤٤
١٥ – رجاحة العقل ١٤٥
١٦ – الهمة العالية ١٥٠
١٧ – شيخ الشباب ١٥٥
١٨ – الورع والزهد في الدنيا ١٥٩
١٩ – الحكمة والموعظة الحسنة ١٦٧
٢٠ – الصبر والمثابرة ١٧٣
في أحسن تقويم ١٨١
مواقف مع الشيخ ١٨٣
لماذا كل هذا؟ ١٩٧

العقد الثمين في الثناء على ابن عثيمين ٢٠١

أولاً : النثر

خادم الحرمين الشريفين وبرقيات العزاء ٢٠٣

ولي العهد وبرقيات العزاء ٢٠٥

وفاة ابن عثيمين خسارة كبيرة

بقلم : صاحب السمو الملكي الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود ... ٢٠٧

كان ينير الطريق للجميع

بقلم : صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز ... ٢١٠

رحمك الله يا شيخ

بقلم : صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن ثامر بن عبد العزيز ... ٢١٢

ابن عثيمين .. أمة في رجل

بقلم : صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن ثامر بن عبد العزيز ... ٢١٤

العزاء لأنفسنا وللمسلمين

لسماحة الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ٢١٦

حديث الذكريات

بقلم فضيلة الشيخ العلامة : عبد الله بن جبرين ٢١٨

الشيخ محمد العثيمين ومنهاج السلف الصالح

بقلم معالي الشيخ الدكتور : عبد الله بن عبد المحسن التركي ٢٢١

الشيخ العثيمين سلفي حالاً ومقالاً

بقلم : فضيلة الشيخ الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان ٢٣٢

وفاة الشيخ

بقلم معالي الدكتور : علي بن إبراهيم النملة.................. ٢٣٦

الشيخ الجليل ..

بقلم معالي الدكتور : علي بن إبراهيم النملة.................. ٢٣٨

العالم الذي فقدناه

بقلم : معالي الشيخ الدكتور علي بن مرشد المرشد ٢٤٢

الفقيد الكبير

بقلم : معالي الشيخ الأستاذ الدكتور راشد الراجح ٢٤٦

ليلة ظلماء وبدر مفتقد

بقلم معالي الشيخ الدكتور : صالح بن حميد ٢٤٨

ابن عثيمين .. رحيل العلماء

بقلم معالي الدكتور : محمد عبده يماني........................ ٢٥٤

فقدان عالم زاهد

بقلم معالي الدكتور : محمود محمد سفر ٢٥٧

الشيخ العثيمين .. الناصح الأمين

بقلم معالي الدكتور : عبد الله بن صالح العبيد ٢٦١

إلى جنة الخلد يا شيخنا

بقلم الدكتور : فهد بن إبراهيم آل ابراهيم ٢٦٥

الأب الكبير

بقلم الأستاذ : عبد الله بن داود الفايز ٢٦٧

إلى جنات الخلد يا شيخنا الفاضل
بقلم الأستاذ : إبراهيم بن محمد الهذلي ٢٦٩
مدرسة في البحث والاستنتاج
بقلم الشيخ : أحمد بن عبد العزيز بن باز ٢٧٢
عشت هموم أمتك برؤية سمحة
بقلم الأستاذ : خالد السهيل ٢٧٤
ورحل الشيخ
بقلم الدكتور : صالح بن عبد العزيز النصار ٢٧٩
عظم الله أجركم أهل الإسلام
بقلم الدكتور : عبد الكريم بن إبراهيم آل غضية ٢٨٢
وداع في خيمة الحب
بقلم الدكتور : عبد الرحمن بن صالح العشماوي ٢٨٥
كان الشيخ سدّاً دون الرويبضات
بقلم الدكتور : سعيد بن ناصر الغامدي ٢٨٨
الشيخ العثيمين فقيد الصحوة الإسلامية
بقلم الدكتور : عبد القادر طاش ٢٩٢
عاصرته أربعة وعشرين عاماً
بقلم الشيخ : جابر المدخلي ٢٩٦
رحم الله سماحة الشيخ
بقلم الأستاذ : خلف السليمان ٢٩٨

ذهاب العلم بفقد العلماء

بقلم الدكتور : إبراهيم بن عبد الله الدويش ٣٠١

أستاذ الأساتيذ

بقلم الداعية : أحمد بن عبد العزيز الحمدان ٣٠٧

ابن عثيمين .. الرجل المنهج

بقلم الشيخ : سليمان بن علي الضحيان ٣١٢

أدين للشيخ في وعيي النظري والنقدي

بقلم الدكتور : عبد الله الغذامي ٣٢١

درس من مجلس الشيخ

بقلم الدكتور : عبد الله الغذامي ٣٢٣

جوانب من حياته وتعامله مع طلابه

بقلم الشيخ : منصور بن تركي المطيري ٣٢٨

وعالم آخر رحل

بقلم الشيخ : زين العابدين الركابي ٣٣٢

الموت في نظر فقيد الأمة ابن عثيمين

بقلم الأستاذ : صالح بن يحيى الزهراني ٣٣٩

اليوم ينهدُّ جانب عظيم من الحكمة والفقه

بقلم الشيخ : خالد بن عبد الرحمن الشايع ٣٤٢

فراق الشيخ الجليل

بقلم الكاتبة الأستاذة : فاطمة العتيبي ٣٥١

فقيد الأمة الإسلامية

بقلم : الشيخ محمد العثمان القاضي ٣٥٥

وإنا لفراقك يا ابن عثيمين لمحزونون

بقلم : الشيخ رضوان بن عبد الكريم المشيقح........ ٣٥٨

فقيه الأمة وفقيدها

بقلم : الشيخ محمد بن سعد السعيد ٣٦٤

من أعلام علماء القصيم

بقلم الدكتور : عبد الله بن محمد بن رميان الرميان ٣٦٩

فقيد الأمة .. ابن عثيمين

بقلم الشيخ : سلمان بن محمد العمري ٣٧٩

ثلمة لن تسد

بقلم الشيخ : محمد الغفيص ٣٨٤

رحيل عالم زاهد

بقلم معالي الشيخ الدكتور : محمد بن سعد الشويعر........ ٣٨٧

من أخلاق الشيخ رحمه الله وصفاته

بقلم الشيخ : أيمن عبد العزيز أبا نمي ٣٩٣

ألا رحمه الله

بقلم الشيخ : محمد هاشم الهدية ٣٩٧

في رحاب الله يا بحر العلوم

بقلم الشيخ : عبد الإله علي حمزة ٣٩٩

ما بال هذا العقد

بقلم الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله الغنام ٤٠١

أم إبراهيم وموقف مع الشيخ في الحرم المكي

بقلم الكاتبة الأستاذة : نسيبة بنت سليمان الربعي ٤٠٣

مات بقية السلف الصالح

بقلم الكاتبة الأستاذة : هدى بنت سلطان القحطاني........... ٤٠٧

عنيزة قومي ودعيه فقد مضى

بقلم الشيخ : إبراهيم بن علي الخشان ٤١٠

فقيدنا الكبير

بقلم الشيخ : إبراهيم بن حمد الجطيلي ٤١٣

شيخنا ومجلة النهضة

بقلم الدكتور : عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي ٤٢٠

يالعزاء الأمة في فقد الجهبذ الأمة

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور : عبد الرحمن السديس............... ٤٢٣

سكن الليل يا شيخنا العثيمين

بقلم الأستاذ : عبد الكريم بن محمد بن صقر ٤٣١

آهـ .. يا ريحانة العلماء

بقلم الشيخ : عبد الله العيادة................................. ٤٣٣

ابن عثيمين .. الإنسان

بقلم الشيخ : سامي صالح العزيّر.............................. ٤٣٦

الرحيل الآمن
بقلم الشيخ : خالد عبد الرحمن العوض ٤٣٨
العالم الذي فقدنا
بقلم الشيخ : عبد العزيز علي المحيني ٤٤١
في رحاب الله الشيخ ابن عثيمين
بقلم الشيخ : عبد الله العلي النعيم ٤٤٥
الشيخ ابن عثيمين نموذج في نفع الأمة
بقلم الشيخ : عبد الرحمن الدهش ٤٤٨
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
بقلم الشيخ الدكتور أسامة خياط ٤٥٦
وأطفىء السراج الوهاج
بقلم الكاتبة الأستاذة : الجوهرة بنت ناصر ٤٦٠
ابن عثيمين .. دمعة على بقية
بقلم الشيخ : سليمان بن عبد العزيز الربعي ٤٦٤
خطب جلل ومصيبة فادحة
بقلم الدكتور : صالح بن عبد العزيز المنصور ٤٦٩
فقيه العصر
بقلم الأستاذ : محمد بن عبد الله المشوح ٤٧٢
مما رأيته في شيخنا ..
بقلم الشيخ : خالد بن صالح النزال ٤٧٦

مات الشيخ ابن عثيمين ، ثم ماذا؟
بقلم : المهندس حمود السالمي ٤٨١
فقد عالم
بقلم الشيخ : عبد العزيز بن حمين الحمين........ ٤٨٦
العظماء يولدون بموتهم
بقلم الدكتور : حسن بن فهد الهويمل........ ٤٩٠
الشيخ ابن عثيمين وموقف في بغداد
بقلم الشيخ الأديب : عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس ٤٩٨
هذا ما أخفاه ابن عثيمين عن الأمة
بقلم الدكتور : عبد الله الموسى ٥٠٢
لماذا كل هذه العواطف الجياشة؟
بقلم الدكتور : فهد بن صالح السلطان ٥٠٩
وقفات من حياة الشيخ ابن عثيمين
بقلم الدكتور : صالح حسن المبعوث........ ٥١٢
اهتمام ابن عثيمين بحديثي الإسلام
بقلم الشيخ : حمود الشميمري ٥١٨
فقدنا عالماً جليلاً
بقلم الشيخ : محمد بن أحمد الشدي ٥١٩
فقد العالم الرباني لا يعوضه مال ولا عقار
بقلم الدكتور : عبد الله بن عبد الرحمن الشثري ٥٢١

صور من حياة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

بقلم الشيخ عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضي ٥٢٦

رحم الله إمام أهل السنة

بقلم الأستاذ : تركي بن منصور التركي ٥٢٩

محمد بن عثيمين فقيد الأمة الإسلامية

بقلم الشيخ : أحمد بن عبد الرحمن المانع ٥٣٢

وأفل النجم

بقلم الدكتور : عبد الله بن علي الجعيثن ٥٣٥

وداعاً يا أبا عبد الله إلى الفردوس برحمة الله

بقلم الدكتور : عبد الله بن حمد الجلالي ٥٣٩

دروس من حياة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله

بقلم الشيخ : أحمد بن صالح الدهش ٥٤٦

إمام من أئمة المسلمين

بقلم الدكتور : إبراهيم بن محمد أبو عباة ٥٤٩

دمعة على فراق الشيخ

بقلم الشيخ : خالد بن صالح الشبل ٥٥١

ولكنه بنيان قوم تهدما

بقلم الشيخ : عبد الرحمن بن يوسف الرحمة ٥٥٤

غيّب القبر الجبل

بقلم الكاتبة : أنوار الغريب ٥٥٧

ابن عثيمين لم يرفض الكيماوي
بقلم الأستاذ الدكتور : عبد الله الصالح العثيمين ٥٦١
رحل الشيخ فهل يمكن البوح عن الألم أو الشكر؟
بقلم الأستاذ الدكتور : عبد الله الصالح العثيمين ٥٦٤
شيخنا محمد بن صالح العثيمين
بقلم الدكتور : خالد بن علي بن محمد المشيقح ٥٦٩
وكنت لي كأبي الحنون
بقلم الدكتور : عبد الله بن محمد الطيار ٥٧١
ذهب مستودع العلم
بقلم الشيخ : سليمان بن عبد الله المهنا ٥٧٨
قراءة في كتاب الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين
بقلم الدكتور : عبد الرحمن أحمد الجرعي ٥٨١
هذه سجاياه فمن مثله؟
بقلم الشيخ عبد المجيد الزنداني ٥٨٦
أضواء على منهج الإمام ابن عثيمين
بقلم الدكتور : عوض بن محمد القرني ٥٩٠
موت العلماء .. الوقوف على الأطلال
بقلم الدكتور : فهد بن سعد الجهني............ ٥٩٤
موت العلماء .. والوقوف على الحقائق
بقلم الدكتور : فهد بن سعد الجهني............ ٥٩٩

وانطفأ السراج
بقلم الشيخ : محمد بن عبد الجواد الصاوي ٦٠٦
كم فاتنا من الخير بوفاته؟
بقلم الدكتور : جاسم محمد مهلهل الياسين ٦١٠
أثار الشيخ محمد بن صالح العثيمين
بقلم الشيخ : عبد الإله بن عثمان الشايع ٦١٢
أسى وحزن لرحيل شيخ الإسلام
بقلم الشيخ : أحمد بن ناصر الخضيري ٦٢٠
ابن عثيمين والمنهج التربوي
بقلم الأستاذ : علي بن عبد العزيز السعيد ٦٢٨
العالم الرباني
بقلم الأستاذ : محمد بن صالح بن سليمان الخزيم ٦٣١
دروس وعبر من وفاة الإمام ابن عثيمين
بقلم الدكتور : عبد الله بن إبراهيم اللحيدان ٦٣٧
ودعاً أيها الإمام الرمضاني الحرمي !!
بقلم الدكتور : سعود حسن مختار ٦٤١
ابن عثيمين .. كنز ثمين
بقلم الشيخ : ناصر بن محمد العمري ٦٤٥
مواقف شخصية لابن عثيمين
بقلم الشيخ : عبد الله بن عبد العزيز العفيص ٦٤٧

ورحل جبل العلم وعَلَمَ الزهد والورع

بقلم الدكتور : محمد بن خالد الفاضل ٦٥١

وفاة الشيخ ابن عثيمين

بقلم الدكتور : أحمد بن نافع المورعي ٦٥٥

معالم الفقه عند شيخنا الراحل

بقلم الشيخ : إبراهيم بن محمد قاسم رحيم ٦٥٧

مآثر وذكريات مع والدنا العلامة ابن عثيمين

بقلم الشيخ : عبد الرحمن بن علي النهابي ٦٦٦

وقفات على عتبات الحادث الجلل

بقلم الدكتور : نجاة حافظ........................ ٦٧٦

لقد أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه

بقلم الشيخ : حمد بن عبد الله القاضي ٦٧٩

وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

بقلم الدكتور : أحمد بن سليمان العريني........................ ٦٨٣

شيخنا الذي بلّغ فبلغ

بقلم الدكتورة : أفراح بنت علي الحميضي ٦٨٨

اللقاء الأخير

إعداد فضيلة الشيخ : خالد بن عبدالله الراشد ٦٩٢

وداعاً .. فقيد الأمة

للشاعر الدكتور : خالد بن سعود الحليبي ٧٠٠

جهود الشيخ ابن عثيمين في بيان العقيدة
بقلم الدكتور : أحمد بن عبد الرحمن القاضي ٧٠٣
منهج الشيخ ابن عثيمين في التفسير
بقلم الأستاذ : عبد الرحمن الصالح الدهش ٧٢٦
المنهج الفقهي للشيخ محمد الصالح العثيمين
بقلم الدكتور : خالد بن علي المشيقح ٧٤٨
الجهاد الشيشاني في حياة الشيخ ابن عثيمين
بقلم الشيخ : محمد بن عبد الله السيف ٧٦٧

العقد الثمين في الثناء على ابن عثيمين ٧٧١
ثانياً : الشعر
في رثاء الشيخ رحمه الله
شعر الأستاذ : إبراهيم الكلثم ٧٧٣
في ذمة التاريخ حبر
شعر الشيخ : إبراهيم بن صالح الوابل ٧٧٤
بفقدهم تفقد الدنيا رواسيها
شعر الشيخ : إبراهيم بن عبد الرحمن المبارك ٧٧٥
العملاق الراحل
شعر الشيخ : إبراهيم بن عبد العزيز الفوزان ٧٧٧
في ذمـة اللـه
شعر الشيخ : إبراهيم بن محمد الحميدان ٧٧٩

رحمـــاك

شعر الشيخ : إبراهيم بن محمد الدامغ ٧٨٠

مشاعر العزاء في عزاء المشاعر

شعر الأستاذ : إبراهيم بن محمد المشاري ٧٨٢

في موكب الوداع

شعر الأستاذ : أحمد بن حسن الصابطي ٧٨٥

النـاصـح

شعر الشيخ : أحمد صالح الصالح ٧٨٧

الصدع والأنين في رثاء العلامة ابن عثيمين

شعر الأستاذ : أيمن إبراهيم شحاته ٧٨٩

يهنك العلو يا حفيد الصحابة

شعر الأستاذ : بلال بن إبراهيم الفارس ٧٩٠

فقيد العلم والدين

شعر الأستاذ : جمال الحوشبي ٧٩٢

وغاب فقيه الأمة

شعر الدكتور : حبيب بن معلا المطيري ٧٩٤

نكىء الجرح

شعر الدكتور : حبيب بن معلا المطيري ٧٩٦

في ضمير الأسى

شعر الشيخ : حمد بن محمد الهزاع ٧٩٨

من القوم لا يشقى بحال جليس
شعر الأستاذ : حسين بن مبارك الفائز ٨٠٠
فقد الإمام مصيبةٌ لا تجبر
شعر الأستاذ : خالد الحمد ٨٠٢
دموعي ...
شعر الأستاذ : خالد الوقيت ٨٠٤
الدمع السخين على فراق الشيخ العثيمين
شعر الأستاذ : خالد بن علي الدويغري ٨٠٧
شمس العلم
شعر الأستاذ : خالد بن محمد القحطاني ٨٠٩
ماذا أقول وبوح الحزن يغمرني
شعر الشيخ : رافع بن علي الشهري ٨١٠
وفي الليلة الظلماء ..
شعر الأستاذ : زكي بن صالح الحريول ٨١٢
ماذا نقول بعد الخطب؟
شعر الكاتبة الأستاذة : زينب بنت عبد الله ٨١٤
وناء الكوكب !!!
شعر الأستاذ : سامي بن خالد الحمود ٨١٥
رمـز العلـوم هـوى
شعر الشيخ : سامي بن محمد البكر ٨١٧

مات الهمام الفذ جهبذنا

شعر الشيخ : سعد بن حمد أبو حمد ٨٢٠

بقية من السلف

شعر الدكتور : سعد بن عطية الغامدي ٨٢٢

يا ناصر الدين الحنيف

شعر الأستاذ : سعود بن سليمان اليوسف ٨٢٦

تبكي لموتك أمة الإسلام

شعر الشيخ : سعود حامد الصاعدي ٨٢٧

طفح الأنين في رثاء الشيخ ابن عثيمين

شعر الأستاذ : سعيد بن رداد المالكي ٨٢٩

لحظة لا تغيب

شعر الأستاذ : سلمان بن زيد الجربوع ٨٣١

الفقد المر

شعر الدكتور : سليمان العبيد ٨٣٣

فقيدنا الغالي

شعر الأستاذ : صالح بن حمد المالك ٨٣٥

قل للمنارة في الفيحاء وَا أسفي

شعر الشيخ : صالح بن عطا الله الخزيم ٨٣٧

منارة جامع عنيزة

شعر الأستاد : صالح بن علي السبيل ٨٤٠

وجاورت قبر الباز حباً وصحبة
شعر الأستاذ : صالح بن علي العمري ٨٤٢
بقايا الذكريات
شعر الأستاذ : طالب بن عبد الله آل طالب ٨٤٥
من أفضل الناس يوم الحشر منقلباً
شعر : الدكتور ظافر بن علي القرني ٨٤٧
ورحلت يا زين الشيوخ
شعر الشيخ : عادل بن أحمد باناعمه ٨٤٩
رزئنـــا .. !
شعر الشيخ : عباس بن شعيب بن حسن ٨٥٣
يا بن العثيمين الذي فارقتنا
شعر الشعر : عبد الحميد خالد أبو الريش ٨٥٥
لوعة الأسف
شعر الشيخ : عبد الرحمن إبراهيم الطقي ٨٥٧
التوديع
شعر الأستاذ : عبد الرحمن التميمي ٨٦٠
خسوف الكواكب
شعر الشيخ : عبد الرحمن بن جزاع الراشد ٨٦٢
شموخ الصابرين
شعر : الدكتور عبد الرحمن بن صالح العشماوي ٨٦٣

جيل يعلم جيلاً
شعر الشيخ : عبد الرحمن بن عبد الله أبو دجين ٨٦٧
لم يمت بعد
شعر الأستاذ : عبد الرحمن بن عبد الله المحيميد ٨٦٩
الخطب أفدح
شعر الشيخ : عبد الرحمن بن محمد الغنام ٨٧١
لقد كان شمساً يستضاء بنوره
شعر الأستاذ : عبد الرحمن محمد الفنيسان ٨٧٣
إلى رحمة الله يا أبا عبد الله
شعر الأستاذ : عبد الرحمن المنير المساعد ٨٧٤
من يبكيه !
شعر الدكتور : عبد الرزاق الحمد ٨٧٦
رحلت يا شيخنا والأرض مجدبة
شعر الشيخ : عبد العزيز بن إبراهيم السراء ٨٧٨
هو حجة في الفقه
شعر الأستاذ : عبد العزيز بن صالح العسكر ٨٨٠
يا قبر قد حل فيك اليوم عالمنا
شعر الشيخ : عبد العزيز بن عبد الرحمن اليحيى ٨٨١
لك في رحاب الله حسن جزاء
شعر الأستاذ : عبد العزيز بن محمد النقيدان ٨٨٣

يا موت أفجعتنا في أخذ علمنا

شعر الشيخ : عبد اللطيف بن فهد بن مشيقح ٨٨٤

علم من الأعلام

شعر الأستاذ : عبد الله بن جابر المحمود ٨٨٦

شـــيخاه

شعر الشيخ : عبد الله بن جلال بن صلاح الدين.............. ٨٨٧

بدر أضاء

شعر الأستاذ : عبد الله بن سعد الغانم ٨٨٩

في رثاء الشيخ العثيمين

شعر الأستاذ : عبد الله بن سعاف ٨٩١

يا فارساً بالعلم أسرج مهره

شعر الدكتور : عبد الله سلمان ٨٩٢

رحل الإمام

شعر الشيخ : عبد الله بن سليمان المزروع ٨٩٥

وترجل الفارس الفقيه

شعر الشيخ : عبد الله بن صالح الخضيري ٨٩٧

مع القرآن بالقرآن يهدي

شعر الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن العرفج.............. ٨٩٩

صعق الفـؤاد

شعر الأستاذ : عبد الله بن عبد العزيز المحسن.............. ٩٠١

وداعاً فقيه العصر

شعر الشيخ : عبد الله بن غالب الحميري ٩٠٢

ذاك الضياء الذي نرثيه مفخرة

شعر الدكتور : عبد الله بن محمد الحميد ٩٠٦

يا فارس العلماء

شعر فضيلة الشيخ الدكتور : عبد الله بن محمد الطيار ٩٠٧

درس الوداع

شعر الشيخ : عبد الله بن محمد القبيسي الشهري ٩٠٩

رحماك ربي على شيخ نودعه

شعر الشيخ : عبد الله بن محمد المعتاز........................ ٩١١

عليل النسيم في رثاء علامة القصيم

شعر الدكتور : عبد الله بن محمد السعيدي ٩١٣

الفراق المر

شعر الأستاذ : عبد الله محمد باشراحيل........................ ٩١٥

ورحل علامة القصيم

شعر الأستاذ : عبد الله بن فهد الحسينان....................... ٩١٧

مهلاً عنيزة .. !!

شعر الشيخ : عبد المجيد بن عبد الرحمن المثيب ٩١٩

وهل يُلام الذي يبكي العثيمينا

شعر الشيخ : علي الهذلي ٩٢١

فقيد الدعوة
شعر الشيخ : علي بن محرز القرني ٩٢٢
رسالة رثاء ووفاء
شعر الأستاذ : علي بن محمد الغشام ٩٢٤
نم شامخاً
شعر الأستاذ : عمر بن عبد الله آل البراهيم ٩٢٦
رثاء .. في شيخنا ابن عثيمين
شعر الأستاذ : عمر بن عبد الله المقبل ٩٢٨
فقد الإمام
شعر الدكتور : فريد بن عبد العزيز الزامل السليم ٩٣١
بكت المنابر
شعر الأستاذ : فهد بن سليمان التركي ٩٣٤
مرثية في سماحة الشيخ العلامة ابن عثيمين
شعر الشيخ : فيصل بن صالح العبد المنعم ٩٣٥
رحل الإمام
شعر الأستاذ : فيصل بن علي المنصور ٩٣٧
ما أنصف الشعر!
شعر الأستاذ : فيصل بن ناصر الشدوخي ٩٣٨
ضرام الجوانح
شعر الكاتبة : لطيفة بنت محمد البر ٩٣٩

يبكيك تراب الأرض والحجر

شعر الكاتبة الأستاذة : لمياء حمد صالح العقيل ٩٤١

رثاء الشيخ العثيمين

شعر الأستاذ : مبارك سلامة العرد ٩٤٤

غاب صوت الشيخ

شعر الأستاذ : مبارك بن عبد الله المحيميد ٩٤٦

فكيف صاحب علم إن فقدناه

شعر الأستاذ : متعب بن عوض الغامدي ٩٤٨

لهفي عليك إمامنا .. !!

شعر الشيخ : محمد أبو العز ٩٤٩

في سردات الحزن

شعر الشيخ : محمد الصاوي ٩٥٣

أيها الجامع الكبير

شعر الأستاذ : محمد بن حمد العبودي ٩٥٦

خبر أقض مضاجع العباد

شعر الأستاذ : محمد بن سعد العجلان ٩٥٨

تناثر العقد من أقطاب ملتنا

شعر الدكتور : محمد بن عبد الله الخضيري ٩٦٠

مصيبتنا ليس لها جبر

شعر الشيخ : محمد بن عبد الله السعيدي ٩٦٢

جرح هذا الزمان
شعر الأستاذ : محمد بن فهد حمين الفهد ٩٦٣
كم من كليم وموت الشيخ أوجعه؟
شعر الأستاذ : محمد بن ناصر آل زيد ٩٦٦
دمعي يفيض
شعر الأستاذ : مد الله بن عبد الكريم المديد ٩٦٨
فقيه زاهد
شعر الكاتبة الأستاذة : مشاعل بنت عبد الله آل مقرن ٩٧٠
مات الإمام
شعر الأستاذ : مشعل حمود محمد العتيبي ٩٧٢
تحية واعتذار
شعر الأستاذ : منصور بن تركي العبدلي المطيري ٩٧٤
سقى الله قبراً ضم شمساً منيرة
شعر الأستاذ : منصور بن زيد المانع ٩٧٦
مات الإمام العلامة
شعر الشيخ : مهدي بن عماش الشمري ٩٧٧
الخطب الجلل
شعر الأستاذ : موسى بن محمد الزهراني ٩٧٩
خطب عظيم
شعر الشيخ : ناصر بن عبد الرحمن آل دجين ٩٨١